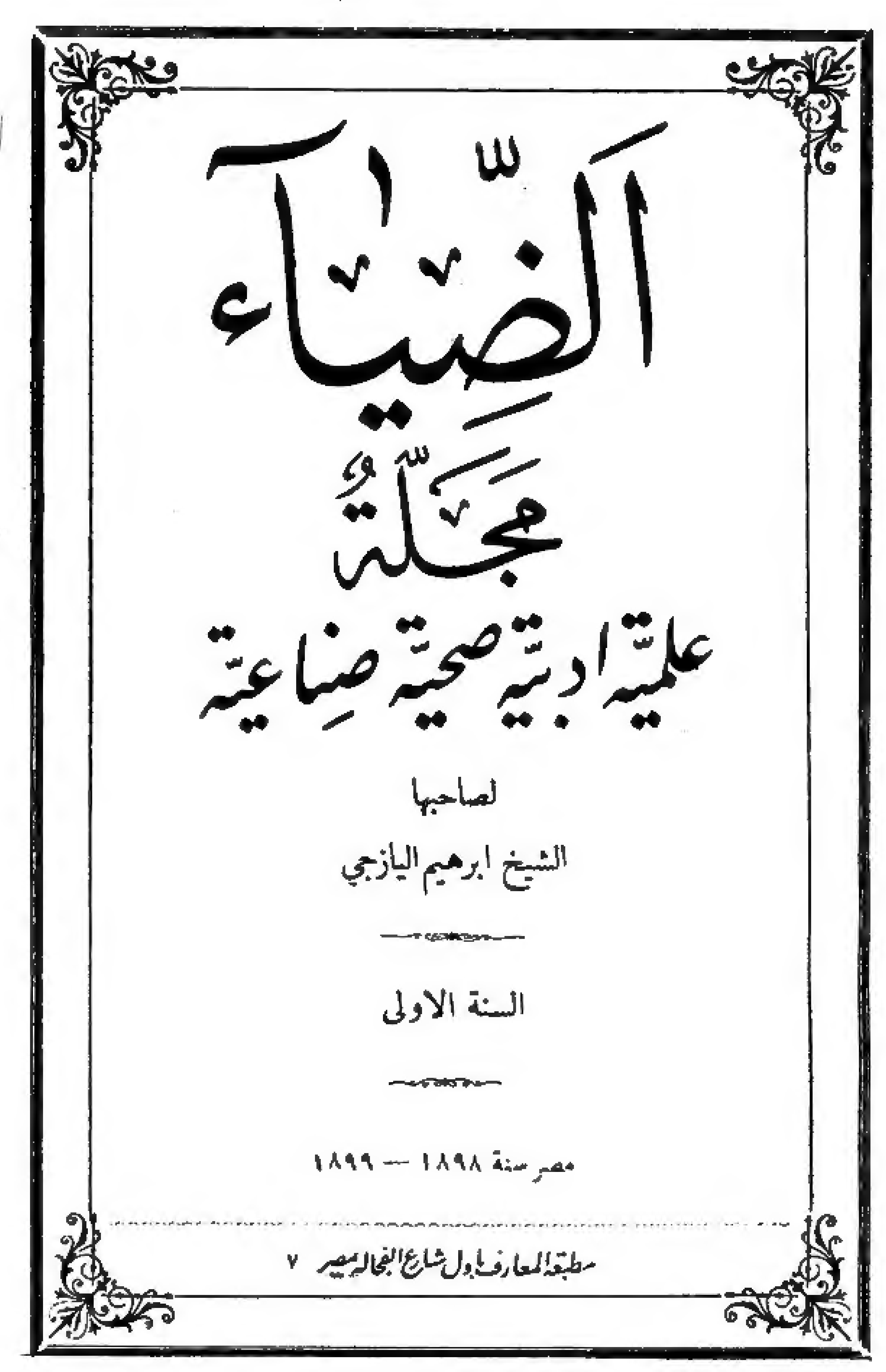
(al-Ḍiyā')



الضياء

مجلة

علمية ادبية صحية صناعية

لصاحبها

الشيخ ابرهيم اليازجي

السنة الاولى

مصر سنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر ٧

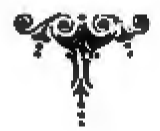
فهرست المواد

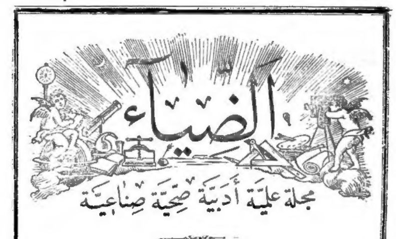
روايات الضياء

﴿ فهرست اسماء المكاتبين ﴾

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
١٦٣	٠٥	ديوكاسيوس	ديون كاسيوس
١٦٨	٢٢	خروجها	عروجها
٢٣٠	١٩	٢٥ يوماً	٢٤ يوماً
٣٩٦	٢٣	دوكاه = دوكاه	دوكاه = محير
٥٠٨	١٠	ادوية	اودية
٥٠٩	١٤	الى يقف	الى ان يقف
٥١٥	٠٦	ابن هانئ	ابن معتوق
٥٣٩	١٢	الفًا	الفي
٥٨١	٠٢	ولا جه	ولا وجه
٦١١	١٩	الى	ألى
٦٢٥	١١	صالح	الصالح
٦٣٣	١٩	بالأحياء	بالإحياء
٧١٩	٢٠	الدولاب G	الدولاب G عن طريق P ثم H





بسم الله العلاّم الحكيم

الحمد لله الذي جعل العلم ضياءً للبصائر كما جعل النور ضياءً للنواظر وبعدُ فان خدمة العلم من الفروض التي لا يُغنى منها من اتّسم بشعارهِ ولا يضطلع بها الاّ من جعلها قبلة عزائمهِ ومعقد اوطارهِ فوقف عليها ايامهُ وقصر عليها اهتمامهُ وشدّ لها مئزر الاخلاص فطهّرهُ من شوائب الاغراض وشُبُهات الرئاء وسعى فيها على قدم الثبات فوطئ اليها اعراف العوائق واكتاف العُدَواء

ولا حاجة بنا الى وصف مكان العلم من الجامعة الانسانية وما يتوقف عليهِ من صلاح شؤونها في الحالتين المدنية والسياسية ولا سيما في هذا العصر الذي عمَّ فيهِ انتشارهُ وزخر في كل وادٍ تيّارهُ فكان رائد فلاح الامم وسلّم ارتقائها بل عنصر حياتها وسبب بقائها فهو اليوم

ساعد القوّة والقهر وجبهة العزّة والفخر وفي يدهِ اعنّة السياسة عند اربابها ومقاليد الثروة عند طلّابها واليهِ ينتهي تباين الأُمم في الرفعة والاتّضاع وتفاوُت الدول في السطوة والامتناع وعلى الجملة فهو العامل الذي بطلت في جنبهِ العوامل والمحرّك الذي يقلّب احوال الارض كما يُقلَّب الدرهم بين الانامل

ولقد هبّت ريحهُ على هذا القُطر بعد ما ركدت دهراً طويلا وثابت الهمم فيهِ لتجديد ما اندرس من آثار عزّتهِ الاولى وأذّن فيهِ داعي الفلاح فرنّ صدى صوتهِ في كل ناد وخفّت اليهِ طلائع الاجابة من كل واد حتى اصبح مضماراً لسوابق الافكار وسوابح الاقلام ومعرضاً لودائع الالباب وبضائع الافهام مما حدانا ان ندخل في دهماء ذلك السواد ونرد هذه الشرعة مع الوُرّاد فانشأنا لذلك مجلتنا المعروفة بالبيان وارصدناها لنشر كل ما تمثلت لنا فيهِ فائدةٌ للاذهان او دُربةٌ للفكر واللسان مما ارتاح اليهِ كل عارفٍ من ذوي الابصار واعترف لهُ كل منصفٍ بالاستحسان والايثار غير انهُ لقَدَرٍ من الاقدار طرأ عليها ما اوجب توقُّفها قبل استيفاء سنتها الاولى ثم عقب ذلك ما ادّى الى اهمالها بتّةً ليقضي الله امراً كان مفعولا وتتابعت الينا بعدها كتب الاخوان تتقاضانا العود الى ذلك المجال واستئناف ما كنا فيهِ من مواصلة الدأب والاشتغال وفي النفس من تلك الخدمة اوطارٌ تنزع الى قضائها وحقوقٌ لم تزل الذمة مرتهَنَةً بأدائها فاستخرنا الله في تنبيه الهمة الى معاودة نشاطها وحث اليراعة على الكرّ في اشواطها واصدرنا بقية اجزاء البيان يتعاهد بها

قرآءهُ بعد ذلك الانقطاع لتكون آخر مظهرٍ لهُ يقف لهم فيهِ موقف الوداع فهو يفارقهم آسفاً على ما كان لهُ بينهم من منزلةٍ سنيّة شاكراً ما لقي فيهم من البشاشة والاريحيّة لا يسألهم الآن يشيعوهُ بجميل الذكر وان يرسلوا على ما رأوا من فرطاتهِ اذيال الستر وبودّهِ ان يكون فدآءً عن اياديهم البيضآء وان لا تعدم الآداب نفحات مكارمهم الفيحآء

وهذا صنوُهُ الضيآء نبرزهُ من بعدهِ متحلياً بآساله جارياً في طريقتهِ وناسجاً على منوالهِ نتابع العمل فيهِ على وجههِ من انتقآء المباحث العلمية والادبيّة والتنقيب عن الفوائد الصناعيّة والمكتشفات العصريّة مع ايراد فصولٍ صحية نعتمد فيها على اقلام بعض ثقات الاطبآء وزيادة اغراض اخرى مما يلائم ذوق عامة القرآء ومأمولنا في مواطنينا الكرام ان يتلقوهُ بما تلقوا به سالفهُ من الارتياح والقبول ونسأل الله ان يوفقنا الى ما بهِ مرضاتهم ونفع الوطن بمنهِ تعالى وكرمهِ وهو اكرم مسؤول

الجرائد
في القطر المصري

من ورد الديار المصرية في هذه الايام ورأى ان في القاهرة وحدها ما ينيف على خمسين جريدة بين يومية واسبوعية وشهرية وغير ذلك ثم قابل بين حالها اليوم وما كانت عليهِ من زُهآء عشرين سنة حين لم يكن فيها الاَّ جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية تبين المسافة التي جازها هذا القطر في هذه المدة اليسيرة وما حدث في نفوس اهلهِ من النهضة الادبية واقبال القرّآء منهم على المطالعة واقتباس الفوائد من خلال السطور وما نجم فيهِ واجتمع اليهِ من الكتّاب والمنشئين وانما يُجلَب الى كل سوقٍ ما ينفق فيها

لا جرَم ان هذا من سريع الانتقال الذي قلّ ان تجد لهُ نظيراً في تواريخ الامم مما يدلك على وجود الاستعداد القطريّ في الامّة تنزع بهِ الى قديمها وان عنصر تلك النفوس النبيلة والاذهان النيرة ما زال متسلسلاً في دمآء الخلف كامناً في طبائعهم متأهباً للظهور اذا صادف ما ينبههُ كالنار تظهر عند الاقتداح . بيد انك اذا تفقدت تلك الجرائد وجدت اكثرها بعيدًا عن المنزع الذي تقتضيهِ حالة القطر غير متلقٍ تلك النهضة بما يرفع الامة من كبوتها ويقتادها في الوِجهة التي هي طريق سعادتها وفلاحها لان اكثرها على تعدّد نزعاتها واختلاف مذاهبها لا خطة لها الاّ احاديث السياسة ومزاعم اربابها تتلو على القرّآء في هذا القطر ما يُتحدَث بهِ في مجالس لندرا وبرلين وما يتخرص بهِ سياسيّو باريز وبطرسبرج وتقصّ عليهم تفاصيل

المواقع الحربية بين الصين واليابان وشروط الصلح بين اسبانيا والولايات المتحدة الى غير ذلك مما لا يهمّ المصريَّ في حالتهِ الحاضرة الوقوف على شيء منهُ ولا هو في شيء من حاجاتهِ ومصالحهِ فضلاً عن ان هذه المباحث انما هي من غايات المدنية لا من مبادئها وانما تتلقاها الامه بعد ان تستوفي قسطها من ضروريات العلم وتستمدّ لفهم ما يُلق اليها من ذلك بعد معرفة المقدمات التي تفيد تصوّرهُ. ويا ليت شعري ما الذي يقع في ذهن العاميّ من مكاشفتهِ باسرار الممالك وسياسات الدول وافكار الوزرآء والقوّاد وهو لم يسمع من امر تلك الممالك الآ باسمآئها ولم يقف على شيء من تواريخها وسائر احوالها وكيف يستطيع ان يتمثل وقائع حربٍ بين امتين وهو لا يعلم موقع بلادهما من الارض واذا سردت عليهِ اسمآء بعض الاماكن التي حدثت فيها تلك الوقائع لم يعلم في ايّ البلادين هي وهل هي اسمآء ثغور ام جزر ام سفن ام قوّاد

ثم على تسليم ان ذلك كلهُ سائغ وان المقصود بهِ الفئة المتنورة من الامة وهي اقلّ من القليل فما الداعي الى وجود عشراتٍ من الجرائد تكرر الخبر الواحد مع وحدة المشتركين في اكثرها على ما هو معلوم وايّ منفرٍ للذوق وداعٍ لكساد الصحف وسقوط الرغبة في مطالعتها اعظم من ان يرى المطالع الخبر الواحد في جريدتين او ثلاث او خمس وكثيرًا ما يكون ذلك الخبر بالعبارة الواحدة لانهُ في جميعهنّ معرّب عن جرائد الاجانب حتى ما يتعلق بسياسة القطر نفسهِ . . ولا نقول ذلك على جهة التنديد بجرائدنا ولا كتّابنا ما يدوّن فيهِ الا هو معلوم من بُعد مواقفهم عن المراكز

السياسية بل خروج البلاد بأسرها عن معترك اهل السياسة العامّة والخاصة والقضاء عليها بان تكون تبعاً لما يراد بها لا لما تريد . . بل في اوربا نفسها لا تجد من اقطاب السياسة في اصحاب الجرائد وغيرهم الاّ نفراً معدودين ممن ترشحوا لها ونشأوا على دراستها وانفقوا ايامهم في مخالطة اهلها والوقوف على ابواب مجالسها مع تلقّن اسرارها من دهاقنتها واصحاب الحل والعقد فيها ولذا ترى كلمة الجريدة المعتبرة منها يرنّ صداها في مسامع كبرآء الارض واعاظم ملوكها ووزرآئها لعلمهم بانها صادرةٌ من مقامٍ هو ورآء مقام كاتبها واسمى منهُ كثيراً . فما الذي يبلغ اليهِ كتابنا من مثل ذلك وما عسى ان يكون علم السياسيّ منا ورأيهُ وهذه اخبار النظارات وهي بين ظهرانيهم لا يكادون يتعلقون بالنبأ التافه منها الاّ استراقاً او استشفافاً من ورآء حجاب وهذه اخبار مواقع السودان وهي متصلةٌ بمصر وفيها جيش مصر واموالها تتناولها جرائدنا عن جرائد انكلترا او غيرها فلا تصلها الاّ بعد ان تقطع البر وتخوض البحر وتأتيها عن طريق هو ابعد من السودان بمراحل . فاذا كان هذا الشأن في السياسة الخاصة واخبار وقائع القطر وما جاورهُ وهي تهم كل فردٍ من افرادهِ فما الظن بسياسات الدول العظام والممالك القصيّة وايّ مجالٍ لنا فيما ينوي منها سياسيّو اوربا وما يقدّرونهُ من تصريفها في انحآء المعمور وما يخططونهُ منها للمستقبل وفي بعيد الاقطار

ثم اين نصيب العاميّ من تلك الجرائد وعليهِ اكثر رواجها وحزبهُ هو العدد الاكثر من مشتركيها وهل يكتفي منها بما تسردهُ بعد ذلك من خبر زفافٍ او نعيّ وما يقع في البلاد من قتل او سرقة وما يتوخاهُ

الكاتب او المكاتب من اطرآء بعض ذوي الشأن لغرضٍ في النفس او الوشاية ببعض المستخدمين حقاً او زوراً او الاعلان بنقل حانوت فلان وضياع ختم فلان او ما أُولع بهِ بعض تلك الجرائد من نفث سموم التعصب والشقاق .. اين الكلام فيما ينمي ثروة البلاد والبحث فيما تُصلَح بهِ عناصر تربتها ويزكو ما فيها من زرع وضرع ومتى رأينا فيها حضاً على احياء الصنائع او كلاماً في بعض فروعها او ترغيباً للمتمولين في انشاء المعامل والاستغناء بها عن المصنوعات الاجنبية . ثم اين الفصول المطوَّلة في تهذيب اخلاق العامة واصلاح آدابها وعوائدها على كثرة ما فيها من المفاسد والموبقات والتنبيه على ما الفتهُ من سوء التربية الحسية والمعنوية مما فشت بهِ العاهات والآفات وتفاقمت الرذائل والمنكرات ومن تصدَّى لتنوير اذهانها بما يكشف عن بصائرها ظلمات الاوهام والاضاليل وما رسخ في عقولها من الخرافات والاباطيل التي يتناولها الخلف عن السلف حتى صارت كالحيوان الاعجم او اضلّ سبيلاً

لكنك تجد كل ما هناك من الخلل في احوال الامة والفساد في اخلاقها وآدابها مسكوتاً عنهُ لا تكاد تذكرهُ الجرائد الاَّ عند ما تلطخ وجوهها بشيء من سيئات بعض الجهلة وما يجري على ايديهم من المنكرات والفظائع ثم لا تجري لهُ من بعدُ ذكراً ولا تنبه لشيءٍ تُدخِلهُ على نفوس قرّائها وتدعوهم للتنبه اليهِ والتضافر عليهِ سوى ما اومأنا اليهِ قبلُ من الطامة التي سال سيلها في البلاد وامتدَّت بها اعراق الشرّ والفساد ألا وهي ما أُولع بهِ بعض الصحف الحالية من دسّ روح الشقاق في صدور الامة

وايقاد نيران التعصب الديني الذي هو احدى آفات الشرق بل اعظم اسباب ما لحق بهِ من الدمار والاضمحلال ومنبع ما انبثق عليهِ من الشؤم والوبال كأن تلك الصحف لم تجد في كل ما ذكرناهُ من المفاسد المحيقة بالبلاد ما هو حقيقٌ بان تتداركهُ بالتعديل والاصلاح سوى هذه المصافاة بين القلوب ترميها بالمنافرة والشقاق وهذه الموادة في الدين تبدلها بالتعصب والتحمس على ما بين القوم من التلازم والجوار وعلى ما بعضهم من الجهل والتهوُّر وأنهم ليس عندهم من معرفة حدود الدين والائتمار باوامر العقل ما يقف بهم عند حدّ الرفق والاعتدال . وكانها لا ترى في كل ما ناب البلاد من التأخر والوهن والتهافت في دركات الخمول والهوان والانغماس في ردغات الذلّ والفقر مصرفاً لتلك الاقلام عن هذا السبيل الذي يزيد الامة على وهنها وهناً ويفتّ في اعضاد جامعتها ويوهن ركن اتحادها ويفصم عروة اجتماعها ويقذفها في هوّة الخراب . فدستّ هذه الآفة في صدور السواد الكبير من اهل هذه الديار على كونهم من سنواتٍ قلائل وبعبارةٍ اخرى من قبل انتشار تلك الجرائد بينهم كانوا غافلين عن هذه المفسدة لا يعرف احدهم الاّ ما يعالجهُ من تربة ويبذرهُ من زرع ويربيهِ من حيوان ويأوي اليهِ من مسكنٍ وعيال ويرى جارهُ فلا يتوهم فيهِ الاّ الانس والمصافاة والتعاون على الدهر حتى جاءهم من حرَّك فيهم ذلك الساكن ثم لم يزل بهِ يوماً بعد يوم وشهراً اثر شهر حتى عصف إعصارهُ في القلوب وثار غبارهُ في العيون فاظلم بهِ الجوّ بين الرجل وجارهِ وتقارض القوم بينهم النظر الشزر واستحكم بينهم الشنآن على غير جناية ولا اثم واصبح لبعضهم عند البعض ثاراتٌ لا يعلمون

ما هي وان شمروا منها بحزازاتٍ لا تشفى وجراحٍ لا تبرأ

ومعلوم ان للجرائد اثبت تأثير في نفوس قرّائها لانها الجليس الدائم والعشير الملازم يقرأها الرجل في ناديهِ ويأنس بها في خلوتهِ ويختلف اليها في اوقات فراغهِ ويتكرر عليهِ حديثها في كل يوم حتى تنطبع حروفها في مخيلتهِ وترتسم الفاظها على اسلة لسانهِ فاذا تكلم نطق بما تتلو عليهِ واذا تناجت خواطرهُ لم يمرّ بها الاّ ما تلقن من اقوالها الى ان تنتقش خطتها في صفحة اعتقادهِ ويسترسل اليها برأيه وهواهُ ولا سيما اذا لم يسبق اليهِ من العلم ما يزاحم آراءها ولم يكن بين يديهِ ما ينصرف الى تلاوتهِ دونها بحيث تكون هي المورد الوحيد الذي تستمدّ منهُ بصيرتهُ فان ما يرد عليهِ منها يمتزج باجزاء نفسهِ ويرسخ فيهِ رسوخ طباعهِ حتى يصير من الضروريات التي لا تقبل الزوال ولا تعترضها الشبهات

وهذا الذي ذكرناهُ هو الغالب على اهل هذا القطر لما أنهم قومٌ غالبهم على الفطرة لم يقفوا على شيء من احوال الامم وسياساتها وآدابها الاجتماعية فاذا وقع الى احدهم حديث احدى الجرائد كان ذلك اول ما يخرج اليهِ من المباحث المتداوَلة بين اهل طبقات المجتمع والخلوهِ من أداة الحكم في صحة ما يلقى اليهِ مع اعتقادهِ العلم والاخلاص في كاتب تلك الجريدة لا يتوقف عن الاسترسال الى ما يتلوهُ فيها من غير ان يتطرّق اليهِ ادنى ريب وحينئذٍ فمن البديهي ان ما انطوت عليهِ تلك الجريدة ان كان خيراً ثبت ذلك الخير في طبائع قارئيها واقتبستهُ ملكاتهم وتمثلت صورتهُ في نفوسهم واخلاقهم وافعالهم فكانوا محلاً للخير وقدوةً لهُ بين مواطنيهم واهل طبقتهم

والاَّ كانت هي الشرّ المحض والبلاء الفاشي تقذف بمريديها في مهاوي الشرّ وتقتادهم في شعاب الغيّ والضلال وكانت كالجرب في الامة يعدي بعضها بعضاً . فليراقب كتّابنا الله فيما يملون على الامة وليعلموا ان ما يخطونهُ في خلواتهم انما يجرون بهِ اقلامهم على صفحات قلوب تنطبع فيها كلماتهم بحروفٍ لا تمحى فليكن ما يطبعونهُ فيها للخير وليكونوا من هداة الامة الى الصلاح ليحسنَ اثرهم فيها ولا تلزمهم تبعتها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون

وزد على ذلك ما تراهُ في بعض صفحات الجرائد عندنا من المثالب الشخصية والوقوع في الاعراض والتطاول على الاحساب والخروج الى الشتم والبذاء مما يفسد الاخلاق ويودي بالآداب ويهتك حجاب الحشمة ويجرئ الاغرار والسفهاء على مقامات كبراء الناس وذوي الحرمات منهم ومعلومٌ ان الجرائد انما وُضعت لتكون خادمةً لمصلحة الجمهور لا لمآرب اصحابها وانما يشترك فيها المشترك لفائدةٍ يتناولها او ادبٍ يستمدهُ لا ليتخذها نسخةً للمعايب والنقائص ولا ليكون مشايعاً لكاتبها في اهوائهِ يجتذبهُ حيث شاء وشاءت اغراضهُ وانما ذلك بابٌ من ابواب التغرير والتدليس فضلاً عن كونهِ مضرًّا بالجرائد عامةً صاداً للقرّاء عن اقتباس ما فيها من الفوائد بما يبعث في نفوسهم من النفور عنها والاعراض عن مطالعتها فتبور بذلك المصلحة المقصودة منها وفضلاً عما فيهِ من اسقاط حرمة هذه الخطة الشريفة التي من اخص مزاياها ان تكون قيّمةً على الآداب العمومية ذائدةً عن الاحساب والاعراض كما انها قيّمةٌ على الاحكام ذائدةٌ عن المصالح والحقوق . بل لا جرم ان مثل هذه الصحف تُعدّ لطخة عارٍ على الامة

باسرها لما لا يخفى من ان الجرائد عند كل قوم تُتخذ عنواناً على منزلتهم من العلوم والآداب والاخلاق والعادات لانها المرآة التي تتجلى فيها صُوَر هذه المعاني كلها وتتمثل بها درجة الكاتب والقارئ جميعاً لان الكاتب انما يكتب على مكانة علمهِ وذوقهِ وانما يختار من المباحث ما يعلم انهُ يقع من قارئهِ موقعاً مقبولاً والاَّ سقطت جريدتهُ من نفسها فقضي عليها بالاهمال

ولا نذكر هنا الجرائد التي نزعت عن هذه المناحي كلها الى ما لا يُعرَف لهُ منحىً من الخلط والهذيان والتكلم بالفاظ السكارى والحشاشين مما لم يسبق لهُ ضريبٌ في شيء من بلاد الله ولا سُمِع ان مثل ذلك الكلام مما يُكتب ويُطبَع ويُنشر وتباع الالوف منهُ في كل اسبوع الاَّ في هذه البلاد بلاد الغرائب الاَّ انها على كل حال اقلّ شرًّا من بعض الجرائد التي مرّت الاشارة اليها وان كانت خالية من المنافع

والحاصل أن الجرائد بما هي عليهِ من كثرة الانتشار والتداول بين ايدي القرَّاء وتواصل ظهورها على الايام تُعَدُّ من اعظم العوامل وابقتها أثراً في اخلاق المجتمع وعوائدهِ ومعارفهِ وعقائدهِ وطبقات مداركهِ حتى في لغتهِ ووجوه التعبير عندهُ لانها بتكررها على الذهن واللسان ترسخ عبارتها في ملكة قارئها كما ترسخ خطتها المعنوية في معتقدهِ حتى انهُ اذا رام الكتابة نزع بها الى اسلوب الجريدة التي الف مطالعتها وربما قلدها عن غير قصد. بل قد رأينا اصحاب الجرائد انفسهم لكثرة ما يطالع بعضهم جرائد بعض قد تعاوروا انفاسهم بينهم وقلد بعضهم بعضاً حتى في اللحن والخطاء بحيث لا تكاد تجد كلمة محدثة او تركيباً جديداً في واحدة من تلك الجرائد الاَّ

تجده بعد ايام قد انتشر في سائرها وأُلحق بتعابيرها الخاصة مما اصبحت فيهِ تلك الجرائد في كثير من الفاظها واصطلاحاتها لغةً بحالها وانتشر كثيرٌ من الفاظها على ألسنة العامة فيما يخوضون فيهِ من مباحثها . وهذا ولا ريب من جملة الآفات التي ينبغي تلافيها لعموم البلوى بهـا وسنذكر من ذلك الشيء بعد الشيء فيما يأتي من اجزآء هذه المجلة ان شآء الله

على اننا لا نعمم القول في شيء مما ذكرناهُ في هذه المقالة فان بين كتاب جرائدنا من الافاضل ورجال العلم والاخلاص من يرتفع بهم قدر الصحف ويحق الانتفاع بسطورهم لولا ان فيهم قوماً من المتطفلين على مقامها العائثين في الامة بفساد آدابهم وزيغ خطتهم ممن كدروا مشربها واسقطوا منزلتها وكانوا عقبةً في طريق نفوذها وعلوّ كلمتها . ولقد سرّنا وايم الله ما انتشر في جرائد هذه الايام من ان الحكومة عندنا تنوي سنّ قانون للمطبوعات يتناول الجرائد على الخصوص ويقيّد اقلام العابثين بشرفها وآداب الامة ولا ريب ان التقييد في مثل هذا المقام خيرٌ من الحرّية فعسى ان تتمحض بعد ذلك للخير وتنتصب على ما يرفع شأنها بين القرّآء وفي عيون الحكومة نفسها فلا تكون مهملةً كما هي ليومنا الحاضر والله الهادي الى السبيل السوآء

حمام الزاجل

ويقال حمام الزجّال ايضاً عن الفارسيّ وهو الحمام الذي يُرسل على بعد وقد زجلتهُ وزجلت بهِ وجآء من مزجلٍ بعيد . ولا تقل الحمام الزاجل فانهُ

من اوهام المعاصرين لعدم تحققهم معنى الكلمة اذ يقال زجلتُ الحمام ولا يقال زجل الحمام فان اردت الوصف قلت المزجول على ان المشهور في استعمالهم ما ذكرناهُ قال الراجز يا ليتنا كنا حمامَيْ زاجل . ويسمى ايضاً بالحمام الهادي وهو من هدى اللازم بمعنى اهتدى ذكرهُ صاحب اللسان وصاحب الاساس في (ز ج ل) ولم يذكراهُ في موضعهِ والعجب ان الدميري مع شدة توركهِ في البحث لم يتعرض لذكر حمام الزاجل الاّ من طرفٍ خفيّ حيث اشار الى الحاجة اليهِ في الحروب . وقد وقفنا في احدى المصنفات الاجنبية على فصلٍ لبعضهم يصف فيهِ تربية هذا الحمام وتعليمهُ فاحببنا تلخيصهُ فكاهةً للقرّاء ولعلهُ لا يخلو من فائدةٍ لطلاب هذا الشأن قال

اما كيفية تربية هذا الحمام فاول ما ينبغي صنعهُ ان يُقطَع الطعام بتّةً عن الحمام المراد تأديبهُ واستخدامهُ في الرسائل حتى يأخذهُ حاقُّ الجوع وعلامتهُ ان ينتصب ريشهُ وتتقاص عنقهُ وحوصلتهُ وحينئذٍ يُنقَل الى المكان المراد تعويدهُ الذهاب اليهِ بعد ان يُطرَح لهُ هناك حبٌّ كثير فاذا ملأت الحمام حواصلها منهُ تُطرَد عنهُ حتى تعود الى مكانها الاول ثم يُعاد عليها ما فُعل اولاً فاذا أُطلقت ثانياً لم تخطئ الطريق حتى يصير قصد ذلك الموضع مألوفاً لها كلما دفعتها حاجة الجوع

وينبغي ان يكون الموضع الذي تُطعَم فيهِ غرفةً خالية لا قواطع فيها ولا مواقع (جمع موقعة بفتح القاف وكسرها وهي كل ما يقع عليهِ الطائر) ولا شيء آخر مما يبعث عند الحمام الميل الى صنع عشٍّ فيها او اتخاذها موضع اقامة لان المعروف في طبيعة الحمام انهُ نَهِمٌ كسِلٌ غير ميالٍ الى

الخروج فاذا وجد فيها ما يوافقهُ وكان في طاقتهِ ان يتردد اليها ويأكل حاجتهُ كلما شآء هجر خليتهُ شيئاً فشيئاً فألف الموضع الجديد ولذلك يجب طردهُ منها بعد الشبع طرداً عنيفاً ثم حبسهُ عنها الى ان يبلغ منهُ الجوع ويضطرهُ الى الخروج من موضعهِ طلباً للطعام

واكثر ما يستعمل حمام الزاجل في اوقات الحروب وآونة الحصار فتناط بهِ الرسائل من الموضع المحصور الى المكان الذي عوّد الذهاب اليهِ في الخارج ثم يعود الى حيث كان باجوبتها ولذلك لا بد ان يكون لكل موضعٍ اريدت المراسلة اليه حمامٌ مخصوص يتردد بين الموضعين فيذهب الى احدهما طلباً للطعام ويعود الى الآخر طلباً للمبيت وهو يقطع من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ متر في الدقيقة

واول من استخدم الحمام في الرسائل العرب في القرن الثاني للهجرة وفيما نُقل عن تاريخ خليل الظاهري ان اول ما عُرِف استخدامها في مدينة الموصل ولبثت العادة بها جاريةً الى اواخر القرن الحادي عشر حين امرت الحكومة العثمانية بابطالها واما في غير البلاد التركية فاستعمالها شائعٌ في جميع الممالك واكثر ما يُعنى بها في البلجيك وهولندا وشمالي فرنسا وكثيراً ما يستخدمها السياح في الرحَل القطبية وغيرها يستصحبها السائح معهُ فاذا عرض لهُ ابلاغ وطنهِ امراً او اتفق لهُ الوقوع في تهلكةٍ اطلق واحدةً منها برسالةٍ يضمنّها شرح ما اراد فلا تلبث ان تعود الى حيث خرج فتبلّغ الرسالة

الاعتقاد العام في عدم الاستحمام مدة عام

لحضرة الدكتور محمد عشماوي الحكيم مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

ما من امةٍ في هذا العالم الا وتخلل عقولها خرافاتٌ واوهام تمسك بها تمسكاً اعمى ويتناقلها الخلف عن السلف حتى تصير بمنزلة عقائد راسخة الاّ انها تتفاوت حسب تقدم كل امة في الحضارة والمدنية وترقي العقول في سلم العلم ولنكد الطالع اننا نرى في مصرنا هذه الخرافات متسلطة على عقول الشعب حتى ان منها ما يكون مجلبةً لدمار النوع الانساني في طور نضارتهِ ومنها ما يكون مجلبةً لفساد اخلاقه ومثل هذه الخرافات والاوهام بمقدار وافر ونخص بالذكر منها الآن اعظمها ضرراً واكثرها شيوعاً واشدها رسوخاً في اذهان السواد الاعظم من العامة وفريقٍ ليس بقليل من الخاصة الا وهو عدم مس المآء لابدان الاطفال مدة حولٍ كامل من تاريخ ولادتهم بدعوى ان ملامسة هذا السائل المطهّر لأبدان هؤلآء التعسآء اي استحمامهم ونظافتهم مما يُظهر عليهم مرض الزهري الوراثي عند اصابة احد الوالدين بهِ او اصابتهما جميعاً

لا جرَم ان هذا من فاسد الاعتقاد المتلف لبنية الافراد والذي هو عامل من العوامل المبيدة للنوع الانساني وليس لهُ اساس يبنى عليهِ ولا تعليل يوجَّه اليهِ ولا ندري ايّ طبيبٍ اشار بهذه النصيحة المشؤومة العائدة بالوبال على النوع ولا سيما في مثل هذه السنّ التي فيها لا يعي الانسان ولا يدري الضارّ من النافع فكثيراً ما كانت سبباً في تشويه الالوف من

الاطفال وتعطيل حواسهم وتسليط الامراض على ابدانهم السليمة بل كثيراً ما كانت من حبائل المنية واشراك الهلاك فذهب اولئك المساكين ضحايا الجهل والديهم يجنون عليهم وعلى انفسهم وهم لا يشعرون

وما نرى من وسيلة فعالة لاطراح هذه الاعتقادات المشحونة بها عقول الامة وتلافي هذه الاضرار الجسيمة افضل من تعميم التعليم والاكثار من المعلمين الاكفاء الذين يرشدون المتعلمين من النوعين الى المبادئ الصحيحة مما يهذب اخلاقهم ويثقف عقولهم حتى لا تقبل مثل هذه الاوهام ولا تعتقد الا بما ينطبق على العقل والعلم الصحيح وهذا لا يتم الا بالاكثار من المدارس الاهلية المتقنة اصول التعليم

وتفنيداً لهذه المزاعم الفاسدة نأتي هنا على ذكر الاضرار والامراض الناتجة من عدم استحمام الاطفال وترك الاعتناء بنظافتهم هذه المدة الطويلة ثم نعقبهُ بشرح مرض الزهري وعلاجهِ بطريقة وجيزة ثم طرق استحمام الاطفال ونظافتهم بما ينطبق على العقل والذوق السليم وحسب النصوص العلمية الصحيحة المتبعة في تربية الاطفال اذ لا يخفى ان تراكم الاوساخ والاقذار في الجسم لا يتحملهُ الشاب في عنفوان شبابهِ فكيف يتحملهُ اولئك الاطفال ذوو الجلد الناعم والبنية الرخصة وهم يتأثرون من اقل سبب كما ان اجسامهم تكون محطاً لرحال الادواء وملجأً صالحاً لمعيشة جراثيم الامراض الفتاكة فضلاً عن انشحان الجسم بالهوام

ولنبدأ بذكر الامراض الناتجة من تراكم الاوساخ والاقذار في الجسم فنقول

اولاً (امراض فروة الرأس) وهي امراض جلدية عديدة واهمها السعفات بانواعها التي هي اشد الامراض الجلدية قذارةً وأردأها تشويهاً واعسرها شفآء واسرعها عدوى ومصابو هذا الدآء في مصر عدد ليس بقليل

ثانياً (الرمد على اختلاف انواعهِ) واكثرها انتشاراً الرمد الصديدي الذي يتلف العيون في مدة اربع وعشرين ساعة وهذا المرض من الامراض المعدية ويصاب بهِ في مصر عدد وافر وهؤلآء اذا لم يفقدوا ابصارهم بتةً فكثيراً ما تتشوّه عيونهم او بالاقل يتخلف لهم سحابات على القرنيتين

ثالثاً (امراض الاذن) وهي كثيرة الانتشار واكثرها حصولاً التهابات الاذن الظاهرة وتقيحها المستمرّ الموجب تهافت الحشرات على الاذنين وكثيراً ما ينتهي المرض بالازمان وتقرُّح غشآء الطبلة وانثقابهِ ثم الصمم النهآئي والبكم الذي منهُ في مصر عدد ليس بقليل وكثيراً ما تنتهي امراض الاذن الالتهابية بالموت بتطرّق الالتهاب الى السحايا والمخّ

رابعاً (امراض الانف) واهمها الزكام الحادّ والمزمن وهو اشدّ الامراض خطراً على الانسان في طور الطفولية وكثيراً ما يصحبهُ بعد الازمان تقرحات انفية مزمنة وتنكرُز عظم الميكعة والقُرَينات الانفية ويورث نتانة الانف المستديمة اذا لم يمتدّ الالتهاب الى المصفاة ثم السحايا الدماغية ويعقبهُ الموت

خامساً (امراض المغابن اي المطاوي الجلدية) والمغابن المعرضة للامراض في سن الطفولية مغابن العنق والابطين والمغابن الفخذية والالية والمأبضية ومغابن اعضآء التناسل فان هذه المواضع متى تراكمت فيها الاوساخ

والاقذار وخصوصاً ملامسة البول والمواد البرازية مع عدم غسلها ونظافتها كان لتلك الاوساخ فيها تأثيرٌ كتأثير المواد المهيجة اقلهُ السحج وهو المعروف عند العامة بالتسميط ومما يساعد على هذا التهيج قذارة الملابس وخشونتها التي تحدث تسلخاتها وتنتهي بتكون قروح رديئة وكثيراً ما يمتدّ التهابها الى العقد اللنفاوية المجاورة . واضف على ذلك ما يعتري الاطفال من الهزال والسقم وانقلاب البنية الى الحالة الخنازيرية وتورم العقد اللنفاوية فضلاً عن نهش الحشرات التي تجد من عدم الاعتناء بيئةً موافقةً لمعيشتها . ومما يزيد الطين بلةً انهُ مع عدم الاعتناء السالف لا يتركون هؤلاء الاطفال بما اصابهم بل يذرّون على اجسامهم وخصوصاً مقابل هذه المغابن المتقرحة مسحوق الاسفيداج (كربونات الرصاص) وهو من السموم القوية متى وضع على هذه السطوح

وهناك امراضٌ اخرى متنوعة لا نطيل بتعدادها ناشئة عن ترك الاعتناء بامر نظافة الاطفال التي ايسر ما فيها دمامة الجسم وتعرّضهُ للاسقام بما يتراكم على سطح الجلد من الاوساخ التي تسدّ مسامهُ وتمنع تنفسهُ وابراز المواد السامَّة منهُ والابخرة المؤذية والفضلات الرديئة

واما الداء الزهري الذي هو الحجة التي يُرتكن عليها في امر هذا الاهمال ويسمى في اصطلاح العامة بالمبارك وبالتشويش وبالتزفير فهو مرضٌ بنيّ جرثوميّ ورائيّ معدٍ وعدواهُ تكون بملامسة الجلد المعدي للجلد المعرّى عن البشرة او الجلد الرقيق او الاغشية المخاطية كما انهُ معدٍ بالتلقيح بالصناعة ولثقل جرثومتهِ لا يحملها الهواء ولذا فانهُ لا يعدي بالهواء الجوّي

ولا بالتنفس ولا بالغازات التي تنتشر من الانسان ولا بملامسة الملابس للملابس الاّ اذا تلوّثت ولامست مباشرةً الجلد او الاغشية المخاطية المرأة كما قدّمنا ولا ينتج من الفزع او الرعب كما هو معتقد العامة وعلى العموم لا تكون عدواهُ الا بوصول اصلهِ المعدي الى الجلد او الاغشية المخاطية او بملامسة جسمٍ ما متحمل للجرثومة الزهرية لهذه الاغشية كما اسلفنا

واعراض هذا الدآء واطوارهُ يعلمها الاطبآء جيداً وتنحصر معالجتهُ في المركّبات الزئبقية واليودية وللاطبـآء اساليب شتى في طرق معالجتهِ حسب اطوارهِ بما تقتضيهِ اصول صناعتهم كما ان عموم الاطبآء يضيفون على المعالجة الدوآئية الوسائط الصحية المهمة وذلك كالمداومة على الاستحمام وطهارة الجسم ونظـافة الملبس والرياضة البدنية والغـذآء الجيد واستعمال الادوية والمشروبات المقوّية والمعيشة في الهوآء النقي ولم يوصِ طبيبٌ قط مريضـاً بعدم الاستحمام والنظافة

وهذا المرض من الامراض الوراثية اي يتوارثهُ الابنآء عند ما يكون احد الابوين مصاباً بهِ اوكلاهما ومعـالجة المولودين من آبآء مصابين بهذا الدآء لا تخرج عما قدمنـاهُ في معالجة المصابين بهِ بطرقٍ خصوصية يعلمهـا الاطبآء. ولا دخل لتأثير المآء في ظهور الدآء عندهم بل ان الاستحمام والنظافة الدائمة والرياضة البدنية والتغذية المقوّية ممـا يساعد على شفـآء هذا المرض ويلي ذلك طرق استحمام الاطفال ونظافتهم من تاريخ الولادة ثم الوسائط النافعة للوقاية من ظهور الدآء فيهم والله الواقي

مطارحات

بعث الينا احد فضلاء القطر بما يأتي

قرأت للشاعر الفرنساوي لامارتين بعض ابيات بديعة يصف بها غروب الشمس وطلوع القمر فرأيت ان ابعث بها اليكم لعلكم تستحسنون ان تقترحوا على قرّاء مجلتكم القرّاء ترجمتها نظماً لانهُ يجدر بلغتنا العربية ان تحوي مثل هذه المعاني والتصورات البديعة منظومة في قالب شعري . اه

ونحن نورد تعريب الابيات المشار اليها لكن ببعض تصرفٍ بحيث قرّبناها ما امكن من الاسلوب العربي مع المحافظة على اصل اغراض الشاعر ونوع تخيلهِ وهذه صورة التعريب

« لقد همّ ملك النهار بالاضطجاع في سرير مجدهِ فنزل عن مركبة جلالهِ بالتؤدة والوقار حتى اذا وارتهُ كِلّة الغمام عن العيون برزت اطرافها فوق مضجعهِ مشرقة الاهاب مذهبة الاهداب تتلألأ في افق السماء فتبعث اشعتها الارجوانية الى اطراف الفضاء كانها مصباحٌ من الذهب قد عُلّق في قبةٍ من اللازورد . وبرز القمر فاستقلّ فوق شفا المنظور كأن خط الأفق حبلٌ قد تعلق بهِ مترجحاً وبث اشعتهُ الضعيفة فتوسدت فوق المروج ونشر الظلام سجوفهُ على سفوح الجبال وجوانب الاودية فالقى ذلك المنظر في فؤاد الطبيعة ما حرّكها لان تتجه الى خالق النهار والليل وترفع اليهِ بلسانها النوراني تسبيح الخلائق » . اه

وقد جعلنا جائزة افضل منظومةٍ ترد علينا ان ننقش صورة الناظم

ونصدّر بها ما ينظمهُ عند نشرهِ في الضيآء والموعد في قبول المنظومات الى منتصف شهر اكتوبر القادم

اسئلة واجوبتها

ميت يزيد ـ تستعمَل اليوم في نظارات الحكومة والمصالح الاميرية كلمة « شَطْب » بمعنى صحيفة وقد بحثت عنهـا كثيراً بقصد الوقوف على اصلها وكيف استُعملت لهذا المعنى فلم اجد في جميع النظارات والمصالح من يفيدني عنها ولاعثرت عليها في شيء من كتب اللغة التي بين ايدينا فترجوكم ان تفيدونا عنها ولكم الفضل احمد حمدي

الجواب ـ الكلمة ولا شك عامية واما مأخذها فقد علمتم ان ليس في مادّتها ما يدلّ على شيء من هذا المعنى سوى انهُ جآء في كلام المولدين شطبهُ بالسيف اذا شقّ الجلد شقّاً مستطيلاً ويقال لذلك الشقّ شطبةٌ بالفتح وقد وردت هذه اللفظة في كلام الخفاجيّ في ريحانة الالبآء . وجآء في تراجم ابن خلكان ذكر عماد الدين ابن المشطوب قال سُمي المشطوب بذلك لشطبةٍ كانت بوجههِ . اه . واصل هذا الاستعمال من قولهم شطب السنام والاديم اذا شقهُ طولاً وهو ظاهر ثم قيل من شطبهُ بالسيف شطب الكاتب على الكلمة اذا كانت غلطاً فضرب عليهـا خطاً بالقلم اشارةً الى ابطالها وقد اجتمع المعنيان من طريق التورية في شعر لابن حجة الحموي في غلامٍ قد شُطب وجههُ وهو قولهُ

بالصدغ ابدى شطبة — من شكله محوَّطُ
سألتهُ عن امرها — فقال زاد اللغطُ
فلتم بدا لي عارضٌ — مشكلٌ منقطُ
جئتُ شطبتُ فوقهُ — وقلتُ هذا غلطُ

وفي استعمال التجار ليومنا هذا يقولون شطب الحساب اذا نقلهُ من دفتر الى دفتر فشطب على القديم اي وضع عليه علامة تشير الى انهُ لا يُعمل بهِ فلا يبعد ان يكون مأخذ الشطب بالمعنى الذي ذكرتموهُ من هنا كأنهم سمّوا كل صحيفة قد شُطبت « شطباً » تسمية بالمصدر ثم نُقل الى مطلق الصحيفة كما وُضع الطرس للصحيفة المكتوبة او التي قد محيت كتابتها ثم أُطلق في كل صحيفة . هذا اقرب ما يظهر لنا في اصل هذه الكلمة والله اعلم

مبرّة عامية

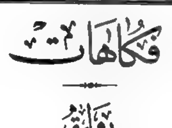
من اشرف ما دُوّن في سجلّ المحامد والمفاخر وانفس ما طُرّزت بهِ حلّة الاحساب من جميل المآثر ما تبرعت بهِ اريحية اولي المجد والفخار وعُصارة الكرم الصميم والحسب النُضار انجال الطيّب الذكر المغفور لهُ سليمان باشا اباظه الشهير من اهداء ما خلّفهُ من ذخائر الكتب الثمينة الى خزانة الجامع الازهر المنير حتى تكون تلك الكتب وقفاً على الطالبين والمستفيدين من جميع الاقطار ومستدرًّا الرحمات على روح جامعها لا ينقطع مددهُ على تراخي الاعصار . وهي مكتبةٌ عزيزة المنال نادرة المثال قد جمعت من نفائس الكتب اقدمها عهداً واجلّها فائدة واجلها خطّاً واغلاها

قيمةً وحسبك ان فيها ما يزيد على الف مجلد من الاسفار المكتوبة بخط اليد وبينها خط ابن مقلة وابن هلال وغيرهما من مشاهير الخطاطين السالفين وفيها ما ينيف على مئة كتاب بخطوط مؤلفيها فضلاً عن الكتب المطبوعة في كل علم مما حرص رحمهُ الله على التماسهِ من كل مظنة والتقاطهِ من يد كل نهزة . فلا جرم انها اكرم ذخيرةٍ تركها والدٌ لولد واثمن هديةٍ جُعلت في خزانة امةٍ او بلد بل هي من الصالحات الباقيات التي يُغتنَم ثوابها ما بقي في الامة مستفيد وما سطعت انوار الازهر فعشا اليهِ كل قاصدٍ من كلّ فجّ بعيد رحم الله جامع شملها وجزى واقفيها خير الجزآء وجعلهم قدوةً في كل مأثرةٍ شريفة ومكرمةٍ غرآء

احتفال وطني

في مسآء العاشر من هذا الشهر الموافق لرأس السنة القبطية احتفلت جمعية التوفيق باقامة النيروز المؤذن بدخول السنة الجديدة فتوافد اليها الجمّ الغفير من اعيان القطر وخواصّ اهل العلم والادب وارباب المقامات والخطط والاقلام وغيرهم ممن كانوا يُعدّون بالآلاف وفي مقدمتهم حضرة صاحبي السعادة ذي الفقار باشا وماهر باشا محافظ العاصمة . ولما انتظم الحفل وقُضيت رسوم التهنئة من جانب رئيس الجمعية ألقت بعض الطالبات في مدرسة التوفيق محاوراتٍ وخطباً علمية وادبية مما نطق بفضل الجمعية المشار اليها وشهد لمدارسها بالنجاح . ثم وقف حضرة القانوني الفاضل الخطيب المفوّه اخنوخ افندي فانوس فالقى خطاباً نفيساً استمرّ مدة ساعة ونصف

عنوانهُ « كيف تستردّ مصر مجدها القديم » وصف فيهِ ما كانت عليهِ هذه البلاد في قديم عهدها من رفعة المجد وفخامة الشان واتساع الحضارة وما كان لها بين امم تلك العصور من العزّة والسطوة والتقدم على الممالك ثم ما بُني عليهِ ذلك المجد الباذخ من أُسس الفضائل والآداب وما قام عليهِ من دعائم العلم الذي بلغت منهُ في التفنن والاستنباط مبلغها المشهور مما لا تزال آثارهُ في كل عصرٍ شاهدةً بما كان عليهِ اولئك السلف من الارتقاء في معارج المدنية والفلاح. ثم انتقل الى الزمن الحاضر فوصف الحالة التي آلت اليها هذه البلاد من الوهن والانحطاط والتهافت في دركات الذل والخمول بسبب ما غاصت فيهِ من ظلمات الجهالة وانها لا تخرج من هذه الاحوال وتتمكن من استرداد مجدها القديم الا بالرجوع الى ما كانت عليهِ من الاعتصام بحبل العلم واحياء ما طُمس من معالمهِ واختيار الطريقة المثلى في تلقين العلوم واعتماد ما يُتذرَّع بهِ منها الى تنوير عقول الامة وتربية ناشئيها على الطريقة التي يشبّون بها في حجر التمدن الصحيح مع انشاء مدارس للصناعة مما يتوقف عليهِ غنى البلاد وتوفير ثروتها . وتفرغ بعد ذلك للكلام في الجرائد وما لها من الاثر في اخلاق الامة وآدابها فافاض في هذا المعنى ملياً وبيّن ما يؤخذ على الجرائد من وجوه التقصير بالقياس الى ما تتقاضاهُ منها الحالة الحاضرة وحضها على وجوب الاخلاص في الخدمة وتجريد القصد للمنفعة وادمان الحث على ابتغاء الفضائل فاجاد في ذلك كلهِ وافاد وخرج الحضور وهم يثنون على الخطيب وعلى رئيس الجمعية واعضائها ثناءً طيباً ويرجون لهذه الطائفة دوام الترقي في درجات الفلاح



رواية

النجاة بعد اليأس[1]

هي حادثةٌ واقعية كتبها عن نفسهِ واحدٌ من مفتشي الشحنة (البوليس) بلندن يقال لهُ ادورد قال ـــ

اتصل بنا في احد الايام ان جمعيةً سرية قدمت الى لندن مؤلفة من سبعة اشخاص ممن عُرفوا بالاقدام على الكبائر وارتكاب فظائع الاعمال وان هذه الجمعية تقصد اغتيال الملكة لان غرضها اهلاك جميع الأسر المالكة في اوربا . وكنت منذ تقلدت الخطة التي انا فيها قد اشتهرت بين رصفائي بالجرأة والحزم والقدرة على استطلاع كل خفيّ بما رُكّب فيَّ من الميل الى اكتشاف المغيبات فكان زعيمي يكل الى عهدتي كل ما استعجم امرهُ من الحوادث المعضلة والنوازل المبهمة فيجد مني في كل مرةٍ ما يزيدهُ اعجاباً بي وثقةً بكفايتي . فلما انتهى اليهِ خبر هذه الجمعية استدعاني وقصَّ عليَّ ما نُمي اليهِ من امرها وقال ان هؤلاء السبعة موجودون الآن في لندن وان لم يُعلم مقرّهم ولا اسماؤُهم ولست اجد من اثق اليهِ في الكشف عنهم سواك لما اعهد فيك من الذكاء وثقوب الفطنة واصالة الرأي فاحبُّ منك ان تبذل ما استطعت من الجهد وما وسعك من الحيلة في البحث عن اولئك الاشرار والضرب على ايديهم قبل ان تفشو فتنتهم في البلاد و يتكاثر عديدهم بمن ينحاز اليهم من اهل الشر وانا مطلقٌ لك ان تصنع ما شئت وتتذرع بكل ذريعةٍ يفتح عليك بها ذكاؤُك وفطنتك للظفر بهم بحيث لا يفوتك القبض عليهم واي مساعدةٍ لزمتك من قبلي فانها تُبذَل لك . قلت اني سابلغ محبتك ان شاءَ الله ولا ادع

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

في طاقتي جهداً الاَّ بذلته ُ ثم ودعته ُ وخرجت وقد وطنت نفسي على ان استأثر بهذه المهمة وحدي لا التمس فيها معاوناً ولا ظهيراً لعلي بما يكون ورآءها من سَني الذكر والترقي في درجات الفخر

وكان في اثنآء ذلك قد شاع قدوم دوكةٍ عظيمة الشأن الى لندن يقال انها من ذوات اليسار والغنى الطائل تنفق من سعةٍ وتتبسط في الترف والنعيم الى ما لا غاية ورآءهُ وتبذل ما لا يحصى من الاموال في مقتنى العجلات والخيول الكريمة وفاخر الرياش والاثاث . فدفعني التطالّ وحبّ الاطلاع الى التنقيب عن امرها ومعرفة ماضيها واصلها وحسبها فلم اتوصل الى الوقوف على شيءٍ من ذلك لان المرأة منقطعة ٌ بنفسها لا تزور ولا تزار ولا تعاشر احداً ولكن جلّ ما عرفته ُ من امرها انها تدعى الدوكة كاترينا كرمي . فكان وجودها بهذه الحال من التكتم والاستتار مما دعاني الى الريب وعزمت مع بحثي عن القضية الاولى ان اترصد حال هذه المرأة واتطلب الاسباب للوقوف على دخيلة امرها . فبينا انا سائرٌ ذات يوم في بعض اطراف المدينة وقد اخذ مني التعب والظمآء ملت الى حانةٍ في تلك الناحية لاستريح وطلبت شراباً انقع به جوفي وفيما انا جالسٌ وقعت عيني على جريدةٍ بجانبي فتناولتها واخذت اتصفحها بقصد التشاغل واضاعة شيءٍ من الزمن فاستوقف نظري اعلانٌ رأيته ُ فيها وقد قرأت فيه ما صورته ُ

« يُطلب طبيبٌ حاذق لشأنٍ سريٍّ مهمٍّ فمن احب من الاطبآء الاجابة الى ذلك فليعرض اسمه ُ وحيثيته ُ في رقعةٍ يبعث بها بعنوان ك . ك على يد صاحب هذه الجريدة »

فاخذت اقلّب النظر في كلمات هذا الاعلان لعلي استخرج منها شيئاً فلم اجد ما يدعو الى التيقظ سوى حرفي ك . ك لاني وجدتهما موافقين لاسم الدوكة ولما كان من خصائص رجال الشحنة ان لا يهملوا ادقّ الاشيآء واقلها اهمية في بادي الرأي صممت على ان اتبع هذا الاعلان لعلي اتوصل به الى شيءٍ من تلك الاسرار . فنهضت لساعتي وتوجهت الى محل تلك الجريدة وقدمت نفسي الى صاحبها بدعوى اني طبيب واني اتيت اجابةً لدعوة صاحب الاعلان فقال لو اتيت قبل خمس دقائق فقد سبقك طبيب آخر يسمى الدكتور وليم وقد توجه الى مكان الطلب من هنيهةٍ قصيرة . ولما كنت اعرف الدكتور وليم خرجت في الحال وانطلقت على اثره في الطريق المؤدي الى منزل الدوكة وما زلت اتبعه ُ عن بعد حتى رأيته ُ دخل المنزل فوقفت اترصد حتى

خرج فسمعت الدوكة تقول لهُ اذن انتظرك غداً الساعة التاسعة . فلما كان اليوم التالي توجهت في الموعد المذكور وكان بالقرب من المنزل فندقٌ فدخلتهُ وطلبت شراباً وجلست تجاه الباب اراقب الطريق وما كاد يستقرّ بي الجلوس حتى دخلت فتاةٌ بديعة الخلق هيفاء القوام لم يقع نظري على اجمل منها فدنت مني وتناولت كرسياً وجلست بازائي ثم التفتت اليَّ وحيَّتني وقالت أَلست انت السيد ادورد قلت بلى فهل لكِ من حاجة قالت لي اليك كلامٌ لكن اسالك قبل ذلك ان لا تعاملني معاملة من تجهلهُ وان لم تسبق لك بي معرفة لكن خاطبني خطاب صديقةٍ لك واطلب لي اولاً كأساً من الشاي ففعلت وانا متعجبٌ من صنعها . ثم القت عليَّ نظراً حاداً وقالت لا شك انك تستغرب مخاطبتي لك على غير معرفةٍ بيننا ولا سبق عهدٍ ولكنني منذ مدةٍ احاول ان يجمعني واياك موضعٌ لاطلعك على امرٍ ذي بال حتى رايتك في هذه الساعة داخلاً الى هذا الموضع فلم املك نفسي من السعي اليك لاكاشفك واحذّرك من امرٍ انت منهُ على شفا الهلكة ومهواة الخطر . قلت ولكن من انتِ وما الذي يهمكِ من امري . قالت انا كاتمة اسرار الدكتور وليم واسمي اميليا واما الذي يهمني من امرك فهو حرصي على سلامة حياتك أَلست انت الساعي لتفسير غوامض الاعلان المنشور في الجريدة بتوقيع ك . ك . قلت هذا سؤالٌ لا يسعني ان اجيبكِ عليهِ . قالت لئن لم تجبني بلفظك فقد قرأت الجواب في عينيك ووجهك وانا انصح لك ان تُقلع عن عزمك وتعفي نفسك من البحث في هذا الامر بل اتوسل اليك ان تبتعد عن هذا الخطر الذي تعرّض لهُ حياتك واناشدك باقدس الاسماء واحبها اليك ان تنفيهُ من فكرك البتة وقد ابلغتك نصحي وانت بعد ذلك وما تختار

ثم صوّبت اليَّ نظرةً اخترقت فؤادي وتوجهت الى الباب تاركةً اياي عرضةً للافكار والهواجس بين ان ادع الامر وقد اوشكتُ ان اقف على دخيلتهِ او امضي على ما شرعت فيهِ ولا ابالي بقول فتاةٍ قد تكون الدوكة استأجرتها لارهابي واحباط مسعاي .

واخيراً وطنت نفسي على متابعة البحث وفي مساء ذلك اليوم توجهت الى منزل الدكتور وليم واستأذنت في الدخول عليهِ فلما دخلت سألني عن حاجتي فقلت بلغني انك دُعيت لمعالجة الدوكة كاترينا كرمي فعنَّ لي ان اسألك عن مرضها ان جاز لي هذا السؤال ثم ان اتعرّف منك ما تعلمهُ من احوالها ومعيشتها وسائر امرها . فقال اني لا ارى ما يضطرّني

الى ان ابوح باسرار مرضاي . قلت اني لا اغالطك في ذلك ولكني لا اكتمك اني احد مفتشي الشحنة وقد نمي الينا ان الدوكة هي من اعضاء الجمعية السرّية التي قد سمعتَ ولا بد بذكرها وقد تكون رئيستها وهذا هو السبب الذي يدعوني الى البحث عنها فهاتِ ما عندك من ذلك والاّ حسبتك الحكومة من اخصآئها وواحداً من اعضاء الجمعية . فقال يقيناً ان هذا الامر لم يخطر ببالي قط واقسم لك بالشرف اني لم ارَ عندها ما يدعو الى الريب ولكني اعدك وعد حرّ ان اماثلك على هذا البحث سرّاً وابعث اليك بكل ما يتهيأ لي الوقوف عليهِ

فشكرتهُ على ذلك ثم قمت وانصرفت ولما بلغت الباب الخارجي شعرت بشيءٍ أُلقي في يدي بدون ان ارى الفاعل واذا هو رقعة ٌ مطوية ففتحتها فاذا فيها الكلام الآتي

سيّدي

قد نصحت لك قبلاً ان تحافظ على حياتك الثمينة فلم تعبأ بنصحي وبما انك قد سلمت الى الآن وقد بقيت لي هذه الفرصة اليسيرة لاكرر نصحي لك فاني اتوسل اليك مترامية على قدميك ان تسعى ورآء الفخر من غير هذا الطريق المملوء بالخطر وقد تكون هذه آخر مرةٍ اتمكن فيها من تحذيرك فلتكن تذكرتي هذه بمنزلة آخر رجآء اتوقع استجابتهُ منك حرصاً على حياتك واكراماً لاحرص الناس عليها

اميليا

فلم يزدني ذلك الاّ تصميماً على الاقدام وقد تاكدت ان اميليا لم تكن الاّ آلة قد استخدمت لتخويفي ولبثت على مراقبة الحال الى ان وردني كتاب من الدكتور وليم يقول فيهِ

عزيزي ادورد

قد استدعتني الدوكة الى مصيفها في بريتون ولعلي استطيع ان اقف على شيءٍ هناك فان رايت حضورك موافقاً واحببت مرافقتي فوعدنا المحطة في قطار الساعة السابعة غير انهُ لا يحسن ان نجتمع في مكانٍ واحد فاركب انت في الدرجة الاولى وانا اركب في الثالثة واياك ان تدنو مني في الطريق

وليم

فما صدّقت ان حان الموعد حتى اسرعت الى المحطة وركبت القطار فانطلق بنا حتى

بلغنا محطة بريتون وحينئذٍ تقدَّم اليَّ الدكتور وليم وقال سأسبقك الى منتدى انكلترا فاتبعني اليهِ بعد ساعة وهناك ندع التنكر فنجتمع جهرًا ونذهب حيث شئنا معًا. فلبثت بعد انصرافهِ انتظر ان تنقضي الساعة واخذت اتمشى رويدًا وكان الظلام دامسًا والهوآء لطيفًا فلم اشعر الاَّ بخطواتٍ حثيثة تجدُّ في اثري فالتفتُّ فاذا اميليا تسعى ورآئي وقبل ان افاتحها بكلام قالت حسبك يا ظالم لقد تبعتك تحت اشدّ الاخطار وعرَّضت نفسي للسخط والانتقام والطرد والحرمان لأتواقع عليك .. لأُقبّل قدميك .. لأبتهل اليك ان ترجع من هنا شفقةً على حياتك. انهُ لم يبقَ الاَّ خطواتٌ قلائل بينك وبين الشرك الذي نُصب لاغتيالك وهذا آخر كلام تسمعهُ ممن هي اشدّ حرصًا على حياتك منك . وللحال سمعنا صوت خطواتٍ أُخر فانقطع الحديث وابتعدت اميليا عني فوارها الظلام وسرت انا في طريقي حتى بلغت المنتدى فاجتمعت بالدكتور واذهلني اضطراب افكاري في تلك الحال ان انتبه لما رأيت من تبدُّل سحنتهِ وتصبب العرق البارد من جبينهِ فنهضت واياهُ وسرنا وهو يقصّ عليَّ احاديث مختلفة واخبارًا عجيبة ثم وقف وقال هل ترى ذلك النور الاحمر فحوَّلت وجهي الى الجهة التي اشار اليها وباسرع من طرفة عين جمع قواهُ ورفسني في ظهري فسقطت الى الارض وسقط عليَّ يشدُّ وثقي مع اثنين آخرين كانا خُلقا في تلك الساعة هناك فربطوا يديَّ ورجليَّ وفمي وحملوني وانا لا اعي شيئًا فما استيقظت حتى وجدت نفسي في غرفةٍ رهيبة ذات نورٍ ضعيف قد بُثت فيها الجماجم وعظام الموتى وحولي سبعة اشخاص متسترين عرفت رئيستهم الدوكة في الحال فايقنت اني هالكٌ لا محالة. فقالت الدوكة يجب سحق راس الحية حال امساكها فهلمّ لانفاذ الحكم هذه الليلة . ثم التفتت الى الدكتور وقالت لكن خادمتك اميليا ما السبب في القبض عليها يا اخي فقال اني وجدتها متغيرةً في هذين اليومين وقد زاد قلقي حين رأيتها تتبعنا الى هنا وخشيت ان يكون لها دخلٌ مع هذا اللئيم فرايت ان موتها يكون آمن لنا . فقالت حسنًا فعلت فهلموا بنا

ثم حملونا الى الشاطىء وركبوا زورقًا فنقلونا الى مقابل ناحية مقفرة من الشاطىء ودخلوا بنا مغارةً مخيفة في وسط البحر واسفلها غائصٌ في المآء فربطوا عنقي بسلسلةٍ وعلقوها في اعلى المغارة ثم ربطوا يديَّ ورجليَّ واقاموني على اجذالٍ من الحطب قد رصفوها وشدُّوا بعضها الى بعض بالحبال والقوها على سطح المآء فلبثت واقفًا على ذلك

الطوف كاني صنم . ثم قالت الدوكة دعوهُ الآن فاذا ابتدأ الجزر وانخفضت المياه



هبط الطوف من تحت رحابهِ وبقي هذا العين معلقاً حتى يذوق اهلهُ وحذوا تلك الحيثة في ذلك القارب ونقبوهُ من اسفلهِ نقباً دقيقاً حتى تدخل اليها المياه شيئاً

فشيئاً فلا تغرق الاَّ بعد ان ترى الموت بعينيها مراراً . ففعلوا كما امرتهم وانصرفوا وتركوا كل واحدٍ منا ينتظر منيتهُ

ومضت عليَّ بعد ذلك ساعتان وانا في اشد الاضطرابات النفسانية ارى الموت يدنو مني لحظةً فلحظةً وانا لا استطيع لهُ دفعاً ولا تأخيراً ولما بزغ نور الفجر رأيت على مسافةٍ مني قارباً ترفعهُ الامواج وتخفضهُ فعلمت ان فيهِ تلك المسكينة التي لم اعرف صدقها واتيقن اخلاص حبها الاَّ في ذلك الحين فتمنيت الخلاص لانقاذها مكافأةً على ما رايت منها من طيب السريرة وطهارة الطوية . وشعرت بانقضاء المدّ وابتداء الجزر وانخفاض المياه فطار رشدي وعلمت اني ان لم اعجل باستنباط حيلة ادفع بها خطر الاختناق تعذّر عليَّ ذلك بعد بضع دقائق . وكانت الامواج ترفع طوفي على علو متر ثم تهبطهُ بمقدار ذلك فاجتهدت اولاً في تخليص يديَّ وجعلت عند ارتفاع الطوف انحني بقدر استطاعتي الى ان امكنني بعد الجهد ان انقلها من وراء ظهري الى الامام بان ادخلتها من تحت رجليَّ . وكانت سرعة هبوط الجزر تضاعف اجتهادي حذراً من فوات الفرصة فحللت طرف منطقتي الجلدية وانتظرت الى ان رفعتني الامواج فادخلت ذلك الطرف تحت حبال الطوف ثم جذبتهُ من الناحية الاخرى وشددتهُ بالسلسلة المربوط بها عنقي حتى انهُ متى تم الجزر وهبطت المياه يبقى لي ما اقف عليهِ وآمن الاختناق لكنني ما فرغت من ذلك حتى نالني من شدة الجهد والاعياء مع ما انا فيهِ من ضغط الدماغ ما غيّبني عن الادراك فلم افق الاَّ وقد حملني الطوف الى مكانٍ بعيد عن الشاطئ . وذلك انهُ لما هبط الماء من تحت الطوف وبقي معلقاً بالسلسلة انحلت احدى عراها من ثقلهِ فسقط بي على وجه الماء وقذفتني الامواج حتى صرت حيث وجدت نفسي فحمدت الله تعالى على نجاتي ثم قضمت تلك الوُثُق باسناني وجذفت برجليَّ الى جهة البرّ وكان هنالك جماعة من الصيادين فابتدروا اليَّ واخرجوني الى البرّ . ولما سكن روعي اعلمتهم بمكاني وطلبت منهم قارباً لخلاص اميليا فجاءوني بهِ واندفعنا نمخر البحر حتى ادركناها على آخر رمق وقد كاد الزورق يغوص بها في اعماق البحر فانقذتها ورجعنا الى البرّ وقصدنا اقرب فندقٍ في تلك الناحية فاصلحنا من شؤوننا وحمدنا الله عوداً على بدءٍ لما منَّ بهِ علينا من الخلاص والعود الى الحياة بعد ما دخلنا في لهوات الموت وابصرناهُ عياناً . ولما سكن روعنا من تلك الدهشة وثاب الينا رشدنا جلسنا

تحدث وقد اخذ مني جمال اميليا ولطف حديثها وكمال ادبها فوق ما اخذ مني ما علمت من رقة فؤادها واخلاص سريرتها ووُجد عندي من الميل اليها والشغف بها ما لم اشعر بهِ قط في حب انثى . الأ انني كنت لم ازل متعجباً مما رايت من انعطافها اليَّ بذلك الحنو الغريب على غير عهدٍ لاحدنا بالآخر ولم يسعني الأ ان اعدت عليها ذلك لاتحقق ما يكنهُ ضميرها فذكرت لي انها لم تفعل ما فعلتهُ عن حبٍ سابق ولا سلف لها عهدٌ بي ولكن لما كان لها اتصالٌ بتلك الجمعية وكانت مطلعةً على ما يجري فيها علمت انها تنوي اهلاكي . وذلك ان للجمعية جواسيس يطوفون في كل موضع ينهون اليها كل ما يرونهُ ويسمعونهُ فلما خرجت من عند صاحب الجريدة التي نُشر فيها اعلان الدوكة بصر بي احد اولئك الجواسيس فدخل على اثر خروجي وتلطف في استخبار صاحب الجريدة عني فاعلمهُ اني طبيب واني اتيت تلبيةً لطلب الدوكة . فعلم من ثمَّ ان ذلك تمويهٌ مني اقصد منهُ الوصول الى اكتشاف سرّ الجمعية فانهى اليها ما علمهُ وحذّرها مني ثم اتفق ما كان مني من المصير الى الدكتور وليم وتصريحي لهُ بالامر فجزموا بوجوب المبادرة الى قتلي . فلما شعرت اميليا بذلك اخذها من الشفقة عليَّ ما حملها على ان خاطرت بنفسها هذه المخاطرة الجسيمة في انقاذي من حبائلهم ضنًّا بحياة رجل بريء يذهب فريسةً لاولئك الضواري . فعظم امرها في عينيَّ لهذه العواطف الشريفة وكان ذلك ادعى الى اشتداد ميلي اليها وتعلقي بها مما لو كان منها عن شغفٍ بهواي وتهالكٍ في حبي ولم اعلم كيف اعتذر اليها عما مضى او بمَ اكافئها على ما بذلت لي من النصح والاخلاص وما تعرّضت لهُ من الاخطار في سبيل انقاذي فلم أرَ الأ ان اجعلها شريكة حياتي حتى تكون كلها في يديها . وهي الآن زوجتي الامينة وامّ ولدي اتذكر واياها ما مرّ بنا من الاهوال وما منّ الله بهِ علينا من النجاة

واما ما كان من امر اولئك الطغاة فاني بعد ان نجوت من مخالبهم عدت الى البحث عن محل اجتماعهم وقد استعنت بما عرفتهُ اميليا من اسرارهم وعلاماتهم حتى ظفرت بهم فقبضت عليهم جميعاً وسقتهم الى موضع النكال ليذوقوا شر ما قدمت ايديهم

الطيران الصناعي

لم يكفِ الانسان انهُ مالك الارض برّها وبحرها متسلّطٌ على الخلائق صامتها وناطقها وانهُ بسط يدهُ على الضعيف من الحيوان فاعتقلهُ لخدمتهِ وطعامهِ وسلّط بأسهُ على القويّ فشرّدهُ في مفاوز القفر وآجامهِ وسطا على حيوان البحر فأُوصدت في وجههِ مذاهب القرار وجاورهُ بسفُنهِ فلم يجد على ذلك الجوار من قرار حتى طمح بطرفهِ الى مسارح الطير في الهواء فودّ لو يزاحمها بجثمانهِ وينتقل اليها بكيانهِ بعد ان اخذ عليها شعاب الجوّ فلم يُنجِها منهُ جناحٌ سبّاق ولم يحمِها منهُ تحليقها على اعالي الطباق

ولقد كان امر الطيران مما تمثل لنفس الانسان قديماً بما تشبّح لهُ المخيّلة من غرائب التماثيل الاَّ انهُ كان في اول امرهِ صورةً لا تتجاوز حدّ الخيال ثم اكتسى ذلك الخيال ثوباً من الوهم فصار امنيةً تُشتهَى تارةً ويُحلَم بها اخرى ثم تجسمت تلك الأُمنيّة فصارت خُرافةً تُروَى وحديثاً يتناقلهُ الآخرون عن الاولين

واول ما رُوي من ذلك ما جاء في اساطير اليونان من حديث ديدال حين هرب بابنهِ ايكار من الحصن الذي حبُسا فيهِ في جزيرة كريت بأن اتخذ كلٌّ منهما لنفسهِ جناحين من ريش الطير الصقاهما بالشمع وطارا من اعلى الحصن فنجا ديدال وحلّق ابنهُ ايكار في الجوّ حتى دنا من الشمس فذاب الشمع وانحلّ الجناحان فسقط في البحر وهلك . ويقرب من هذه الحكاية ما رواهُ المقّريّ في كتاب نفح الطيب من ان عباس بن

فرناس حكيم الاندلس احتال في تطيير جثمان نفسهِ وكسا نفسهُ الريش ومدَّ لهُ جناحين وطار في الجوّ مسافةً بعيدة قال ولكنهُ لم يحسن الاحتيال في وقوعهِ فتأذى في مؤخرهِ ولم يدرِ ان الطائر يقع على زمِكّاهُ ولم يصنع لهُ ذنباً . اه

وقد ورد في التاريخ ذكر عدة أناسٍ ممن زاولوا ذلك منهم راهبٌ انكليزي من ملمسبري يقال لهُ اوليفياي من اهل القرن الحادي عشر للميلاد وهو اقدمهم عهداً ولعلهُ قريب من عصر عباس بن فرناس ومنهم الرياضي الطلياني جان باتست دانتي من اهل القرن الخامس عشر والآر الفرنسوي وكوك الالماني من اهل القرن السابع عشر ومنهم غير من ذكر الاّ انهُ لم يثبت عن احدٍ من اولئك انهُ طار فعلاً

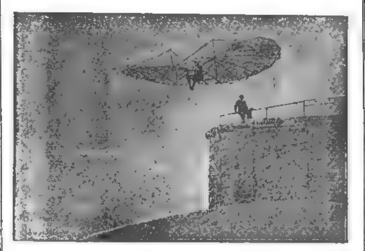
على ان محاولة الانسان الوصول الى ذريعةٍ يتمكن بها من الطيران لا تُعدّ من طلب المستحيل لوجود ذلك متحققاً في الطائر فلا يمتنع على الصناعة البشرية ان تتوصل الى بلوغ مثلهِ في الانسان . غير انهُ لا بدّ قبل إعمال الفكر في اخراج هذا التصوّر الى الفعل من الوقوف على سرّ الطيران في الطائر نفسهِ وتمثيل حركة جناحهِ بكل اطوارها وهيآتها من طريق المراقبة الحسية ثم الدخول على المسئلة من الوجه العلمي والتثبت من قوانين الحركة ومراتب ضغط الهوآء على السطوح المتحركة فيهِ باعتبار شكلها واتجاه كلٍّ من امتداد السطح والحركة التي يحركها حتى يكون البناء في هذه المسئلة الدقيقة على مشاهدةٍ صادقة وقواعد راهنة

وقد تنبه العلماء لهذا البحث من عهدٍ غير بعيد فاكثروا من المراقبة

والتنقيب في تمثيل حركة الطائر الاَّ انهم لم يصلوا الى كمال تحقيقها على وجهٍ يؤيدهُ الحسّ الجليّ حتى اجرى الدكتور ماراي امتحانهُ المشهور فاماط الحجاب عن هذه المسئلة بما وضعها بكل اجزآئها موضع العيان . وذلك انهُ اخذ صورة حمامةٍ في حال الطيران بآلةٍ اخترعها لذلك سماها بالمكحلة الفوتغرافية فمثّل حركة جناحيها وسائر اعضآئها في اثني عشر رسماً متتابعة تتألف صورة الحركة من مجموعها على ما تقدم لنا من شرح ذلك في الجزء الرابع من البيان (صفحة ١٧٥ وما يليها) ثم عمل لكل واحدٍ من هذه الرسوم تمثالاً من الشَبَه وعرض تماثيلهُ هذه في معرض باريز سنة ١٨٨٩

الا ان هذا الاكتشاف مع كبر فائدتهِ لم يكن كافياً للبلوغ بهذه الامنية الى الطور الصناعيّ لما بقي ورآء ذلك من تحقيق قوة ضغط الهوآء على الجناح في كل طورٍ من اطوار حركتهِ اذ لا يخفى ان الطائر انما يتزن في طيرانهِ بضغط الهوآء على جناحيهِ وتعديلهِ حركتهما على مقتضى ذلك الضغط . وهذا ايضاً من المسائل الخفية لدقة ما يجري هناك وقصور وسائل الامتحان عن البلوغ الى تحقيقهِ وقد اشتغل بهِ كثيرٌ من جِلّة العلمآء وارباب النظر فلم يظفروا منهُ بحقيقةٍ راهنة . واول من تكلم عليهِ الفيلسوف نيوتن المشهور فكان مما قرَّرهُ ان قوة ضغط الهوآء على السطح المستوي ان كانت حركة ذلك السطح عمودية على سطح امتدادهِ فهي على نسبة مربع سرعتهِ وان كانت مائلةً فعلى نسبة مربع جيب الزاوية الناشئة بين سطح امتدادهِ وجهة حركتهِ . وبحث بعدهُ العلاّمة بوردا فصحح الشطر الثاني من هذه القاعدة بأن جعل الضغط فيهِ على نسبة الجيب نفسهِ لا على نسبة

مربع الجيب وصوّبهُ بعض المحققين. لكن بقي ان كلاًّ من القاعدتين مبنية على اعتبار مجرّد الضغط من غير التفاتٍ الى ما يحدث هناك من الاحتكاك بجرم الهوآء. وهو كما لا يخفى يتفاوت بتفاوت الزوايا وحينئذٍ فالمسئلة في غاية الالتباس ولا يمكن الحكم فيها بوجهٍ مطرد ولهم في ذلك مباحث وتفاصيل طويلة لا فائدة من استقصائها ولا يُتوصل منها الى قولٍ فاصل فاجتزأنا



منها بما ذكر حب الاختصار

الاّ انهُ على كل حال يستفاد مما مرّ ان شكل الجناح اذا كان محدباً كانت قوة الضغط عليهِ اخفّ لانهُ الى اي جهةٍ تحرك كان قسمٌ من سطحهِ عمودياً على تلك الجهة والباقي مائلاً عن العمودية كما لا يخفى وهو الشكل الذي اعتمدهُ المجربون من اصحاب هذا الشأن وقد تتابعت امتحاناتهم في ذلك فصنعوا اجهزةً صغيرةً مثلوا فيها جناحي الطائر وجعلوا المحرّك فيها

سلكاً من المطّاط (الكاوتشوك) يُشدّ احد طرفيهِ في طرف اسطوانةٍ والطرف الآخر في الجهاز ثم تدار الاسطوانة فيلتفّ السلك حولها على شكل لولب فاذا اخذ السلك يحلّ دارت الاسطوانة فسار الجهاز في الهوآء مدةً تختلف باختلاف تركيبهِ . وقد تفننوا في هذه الاجهزة على هيئاتٍ واشكالٍ شتى لا محل لوصفها هنا وكلها كان المقصود منها الوصول الى إحكام الحركة الصناعية دون الاستعمال المقصود بالذات . واول جهازٍ من هذا الضرب صنُع بقصد الاستعمال هو الذي تراهُ في الرسم صنعهُ المسيو ليليانتال وطار بهِ في موضع يقال لهُ ستغلتز بجوار برلين ومسطّح جناحيهِ يبلغ خمسة عشر متراً مربعاً . وكان اول نهوضهِ عن منهبَط تبلغ زاوية انحدارهِ بين ١٠° و١٥° فاندفع اولاً اندفاعاً سريعاً مسافة خمس او ست اقدام ثم اخذ في تحريك جناحيهِ فارتفع في الجوّ وقطع مسافة ٢٥٠ متراً . ولما اراد النزول حوّل مركز ثقل الجهاز فأمال سطحي جناحيهِ ميلاً يسيراً وبذلك تمكن من ضبط سرعة نزولهِ وجهة حركتهِ

على انهُ مهما يكن من نجاح هذا الامتحان فانهُ لا يُرجى منهُ ان يقوم بكل الحاجة التي تُنتظر من هذا الاختراع بحيث يقوم مقام المنطاد اذ ليس في قوة عضل الانسان ما يبلغ ان يقاوم جذب الارض ولذلك كان اتخاذ الاجنحة لرفع الانسان مسافة عالية عن الارض وتحليقهِ في الهوآء مما لا تضطلع بهِ المقدرة العضلية بالقياس الى ثقل بنيتهِ على خلاف ما هو في بنية الطائر فلم يكن لهُ بدٌّ والحالة هذه من اختراع آلةٍ للطيران يكون فيها من القوة ما هو اعظم من قوّتهِ يستعين بها في رفع ثقلهِ واثقالٍ أُخر معهُ

اذا استتبَّ لهُ هذا الاختراع . وهذا الاخير هو ما عُني بهِ المسيو ادير الفرنسوي منذ سنة ١٨٩٣ بامر وزارة الحربية الفرنسوية وقد خلا لذلك في معمل اعدّهُ لهُ بعيدٍ عن حركة الناس في موضعٍ قد استتر بالاشجار والادغال بحيث لا يهتدي اليهِ طارق ولا يمرّ بهِ ابن سبيل . وقد امتحن آخر جهاز صنعهُ في شهر اكتوبر من السنة الماضية فحملهُ الى ساحة مستديرة قد سُوّيت ارضها وسُلِفت ثم اعمل آلات الجهاز فارتفع عن الارض الاّ انهُ ما كاد يستقلّ حتى انفصمت لوالبهُ الدافعة واتفق في تلك الساعة سقوط مطرٍ غزير فاضطرّ الى ترك الامتحان وارجآئهِ الى موعد آخر لكن ظهر مع ذلك ان قوّة الدافع كانت وافية والاجنحة قادرة ان تحمل الجهاز مع ملحقاتهِ وقائدهِ . ويقال انهُ اصلح الجهاز بعد ذلك واتمّهُ لكن عرض من قِبَل وزارة الحربية ما عاق استئناف امتحانهِ والله اعلم

اما شكلهُ فهو اشبه بخلقة خفاش هائل بجناحين عظيمين ممتدّين يبلغ طولهما ثمانية امتار مصنوعين من القصب الهندي والحرير المدهون ولهُ عجلات مختلفة الاوضاع قد نُصِب عليها بناء قائم الزوايا يبلغ ارتفاعهُ عدة امتار والآلات في داخلهِ وهو يتحرك بالبخار وفيهِ مكثّفٌ يردّ البخار ماء بحيث ان المقدار الذي يوضع فيهِ من الماء لا يُحتاج الى تجديدهِ ولا زيادتهِ وجميع اجزائهِ مصنوعةٌ من الفولاذ الاجوف وكلهُ لا يكاد يبلغ ٥٠٠ كيلغرام من الوزن

وهذا الاختراع اذا تمّ فهو ولا شك خيرٌ من المنطاد لقلة مقاومة الهواء لهُ بالقياس الى ما بين الجرمين من التفاوت في مساحة الظاهر الا انهُ

ادنى الى الخطر لانهُ اذا تعطل شيء من آلاتهِ او مال عن اتجاه حركتهِ سقط للحال فهلك كل ما فيهِ

كلنديك

او ارض الذهب

قد افترق الناس في طلب الدنيا على مذاهب متباينة واطوار متفاوتة فنهم من رضي منها بالكفاف علماً بانها دار قُلعة وأن كل ما فيها متاعٌ الى حين . ومنهم من جدّ بهِ الحرص على جمع حطامها وجعل ايامهُ وقفاً على الاستكثار من موجودها فحرم نفسهُ طيبات الحياة والتمتع بلُبانات العيش حرصاً على توفير الدينار يجمعهُ الى الدينار والدرهم يقرنهُ بالدرهم لا يرى اللذة الا في النظر الى تلك الجمادات . ومنهم من يرى جُلّ ما ينالهُ من الحياة ان يسعى في ابتناء المجد وتخليد الذكر وان يترك في الارض آثاراً ناطقةً من بعدهِ بما كان لهُ من مزيّة وما أُوتي من موهبة . الا ان كل واحد من هؤلاء ربما افرط في الطلب وبالغ في الحرص على دنياهُ حتى انهُ كثيراً ما يعرّضها للضياع بتةً وانظر الى الجنديّ الذي يقتحم ساحات الحروب ويقذف بنفسهِ في اعظم المواقع خطراً وابعدها بالسلامة ظنّاً طمعاً في مأثرة تُذكَر عنهُ او سؤددٍ يسمو اليهِ وكثيراً ما يكون في ذلك هلكتهُ وكذلك حال المقامر الذي يخاطر بحظهِ من الدنيا ويضع اموالهُ في كفّة القدر آملاً ان تعود عليهِ بالمزيد وقلما عاد الا بخسرانها جملةً

على انهُ شتّان بين مخاطرة الجندي بنفسهِ ومخاطرة المقامر بمالهِ فانهُ

مع كون مخاطرة الجنديّ اعظم تطوّحاً وافدح خسراناً لانهُ انما يخاطر بالنفس التي لاعوض لهُ منها ولا ينتفع بشيء بعدها فانهُ انما يقدم على ذلك بما يدفعهُ اليهِ من كبر نفسهِ وعلوّ همتهِ وما تحدثهُ بهِ خواطرهُ من المنازل الرفيعة والمراتب الشريفة مما لا يُدرَك الاّ بالاقدام على الاهوال والصبر في مواقع الجلاد وبذل اعزّ ما لديهِ في سبيل الفخر والذكر الباقي . واين هذا من مطامع المقامر الذي انما يقدم على المخاطرة بمالهِ بما يحملهُ عليها من الجشع الذميم والخسة الممقوتة وما يبعثهُ عليها من دناءة همتهِ وصغر نفسهِ وشرههِ الى ما في ايدي الناس وطلب الاستيلاء عليهِ بغير حقّ وانما يتذرع الى بغيتهِ بطرُق الاحتيال وضروب الاختلاس

وبين حال هذين حال اقوام يرحلون في هذه الايام من جميع اطراف البلاد فيغادر أحدهم منزلهُ واهلهُ وصحبهُ ويسافر على ظهور الاهوال والاخطار متخطياً اسباب الهلكة وحبائل الحمام مكافحاً عوادي الطبيعة متعرضاً لانياب الجوع وسموم الامراض سالكاً بين مسارح الضواري ومكامن اللصوص والقطَّاع الى ارضٍ لا انيس بها هي في اقصى المعمور بل وراء المعمور في بلاد الزمهرير والجمود والموت السائد على الطبيعة باسرها لا ليعمر تلك الارض او ليكتشف فيها فائدة مجهولة او يبحث عن شيء من تاريخ الانسان او الحيوان ولكن جلّ غرضهِ ان يحتفر بين صخورها ويحتمل ما امكنهُ احتمالهُ من التراب المسمى بالذهب يرجع به الى وطنه غنيمةً باردة . وما ننكر على طالب الذهب ان يسعى اليهِ ويسافر في تحصيلهِ ولكن وسائل الطلب انما تكون على قدر المطلوب ومهما كان القدر

الذي يحلم احد اولئك بالحصول عليهِ والغنى الذي سيحوزهُ فانهُ لا يستحقّ ان يخاطر في طلبهِ بالنفس التي لاجلها يسعى في ذلك الطلب . على ان امثال اولئك لو كانوا من ذوي الفقر والحاجة والذين انما يرحلون هرباً من الذلّ والمسكنة كسائر المهاجرين لعهدنا هذا طلباً للارتزاق من صنائعهم وتجاراتهم لكانوا معذورين فيما يأتون من ذلك ويقتحمون من الشدائد في سبيلهِ ولكنهم اقوامٌ من طلبة الغنى والتوسع في الدنيا وممن يبتغون الحصول على الثروة العاجلة من غير ان يقرعوا ابوابها ولا يأخذوا باسبابها والاّ فان طالب الكفاف يجدهُ فيما هو دون هذا العناء . فضلاً عن انهُ ينال رزقهُ من الوجوه التي يتنعم بها وينفع ويكون عضواً عاملاً في المجتمع

ولقد سرى هذا الداء في هذه الايام بين كثيرٍ من الناس وانتشرت عدواهُ في كل ارضٍ الى ابعد اطراف المعمور ولا سيما فيما يجاور ذلك الموضع من الارض الاميركية فنسل ارباب المطامع اليهِ من كل حَدَب يطأون اثر الرحالة هري دي وندت مكتشف كلنديك ارض السعادة والغنى بل قرارة الشقاء والفقر المدقع والموت . وهذا ما كتبهُ الرحالة المذكور عن نفسهِ في تلك الرحلة قال

لقد جلت في صحاري افريقيا ومجاهلها وسافرت في بلاد الترك والفرس وبلوخستان والهند والصين وجزائر المحيط فاكتشفت واختبرت وعانيت كثيراً من المشاق والاهوال ولكن لم اصادف ما يستحقّ ان يدعى خطراً الا في سفري الاخير الى كلنديك او ارض الذهب وهي بقعةٌ من ارض كندا من املاك الدولة البريطانية بشمال اميركا الشمالية وكان خروجي من

نيويرك منذ سنة مع ستين رجلاً من الاصدقآء والاتباع فسرنا قاصدين مُنتريال ثم انتقلنا منها الى فنككوفو ففكتوريا فجونو وهي مفتاح الارض الذهبية وباب الاخطار والمخاوف فلبثنا هنالك اياماً نتأهب لاستتمام رحلتنا وكان طريقنا فوق اكمةٍ يبلغ ارتفاعها ٣٠٠ او ٤٠٠ قدم مكسوةٍ بالثلج ليس فيها طريقٌ معروف ولكن يهُتدَى فيها باعمدةٍ مركوزة في الجد على مسافاتٍ بين الواحد منها وما يليهِ . فبينا نحن في صبيحة يومٍ نقطع ركام الثلج في احد المنحدَرات اذ سمعنا اصواتاً هائلة اشبه بقصيف الرعد ثم ظهرت قِدَرٌ عظيمة من الثلج تنحدَر كالأُكر من اعلى الاكمة وكانت كلما قربت منا يتعاظم حجمها فهرولنا مسرعين من طريقها الا ان واحداً من رفاقنا لم يتمكن من الاسراع في الهرب فادركتهُ احدى تلك القِدَر فكان آخر العهد بهِ . فقطعنا على ذلك مسافاتٍ طويلة ونحن كلما قربنا من رأس الاكمة نستبشر بقرب النجاة من تلك الطريق المهلكة حتى بلغناهُ وما كادت تطأهُ اقدامنا حتى انتصب امامنا جبلٌ شامخٌ في عنان السمآء لا يقلّ علوهُ عن ثلاثة آلاف قدم شديد الوعورة كثير الرعان والاخاديد والارض هناك مكسوةٌ كلها بالجد لا يسكنها من مخلوقات الله سوى الذئاب والدِبَبة وانواع اخرى من الوحش لا توجد الا في الاقاليم الباردة . اما الزاد فلا امل في الحصول عليهِ هناك ولو بذل الانسان الوفاً من المال وقد عاينا جثث كثير من الناس ممن هلكوا بالجوع والبرد واكثرهم متوسدون الاكياس الملأى بالذهب الذي عادوا بهِ من تلك الارض

وكانت المسافة التي قطعناها بين الاكمة الاولى وقمة الجبل الذي يليها

لا تقلّ عن ٨٠٠ ميل ولم يكن لنا من نستعين بهِ على نقل امتعتنا وازوادنا الا قومٌ من سكان تلك الناحية يُعرَفون بالهنود شرسو الاخلاق في الغاية لا يحمل احدهم اكثر من مئة ليبرة بأجرة فاحشة وقد وجدنا ذلك سهلاً بالقياس الى ما عرفناهُ بعدُ من انهم كثيراً ما يقتلون المسافرين ويستولون على امتعتهم

وبعد ان فرغنا من اجتياز هذا الجبل الشاقّ افضينا الى مكان يقال لهُ دايا وهو المحطة الثانية من تلك الطريق فلبثنا هناك حيناً للراحة واخلفنا ما نفد من مؤونتنا وابتعنا عرباتٍ تجرّها الكلاب وهي مما لا يُستغنى عنهُ في تلك السهول الجدبة لقطع المسافات والتخلص من شرّ الوحوش . ثم نهضنا لاستئناف المسير وكان بين ايدينا سهلٌ متسعٌ فقطعناهُ حتى انتهينا الى مضيق يقال لهُ مضيق شِكلوت وهو اشدّ الطريق خطراً يذهب صُعُدًا في جبلٍ قائم يبلغ ارتفاعهُ ٤٠٠٠ قدم وكأنهُ صخرٌ واحد يربط الارض بالسمآء . ولما لم يكن لنا طريقٌ سواهُ جمعنا ما بقي لنا من القوة واخذنا في تسلق ذلك المرتقى المخيف حتى بلغنا الى اواسطهِ وكان الجمد الذي ندوس عليهِ في ذلك الموضع رقيقاً جدًّا فبينا كان اثنان من الرفقة يسيران عليهِ هبط تحت اقدامهما فسقطا الى قبرهما المآتي في سفح ذلك المنحدر فكان ذلك مدعاةً لسائرنا الى التيقظ والانتباه الآ ان ذلك لم يكن هو الخطر الوحيد الذي اعترضنا في تلك الناحية فانهُ في اليوم التالي تكاثف علينا الضباب حتى حاكى ظلام الليل وسدّ علينا وجوه الهداية فبقينا مدة ست وثلاثين ساعة في اماكننا نقاسي آلام البرد والجوع والخوف وكانت الذئاب

تعوي في اسفل الوادي كانها تنذرنا انها لنا بالمرصاد . ولما كان اليوم السادس عشر من نهوضنا من دايا بلغت قمة الجبل وجلست اراقب وصول رفاقي وكانوا قد اصبحوا عدداً قليلاً وكان لي خادم احبهُ جدًّا لم يكن باقياً بينهُ وبيني سوى بضع اذرع فزلّت قدمهُ وقبل ان تمكن من تداركهِ هوى في ذلك المنحدر بمنظرٍ يفتت الاكباد والتفّ عليهِ الثلج ونحن نسمع صياحهُ بين دويّ الثلج المتحدّر حتى غاب عن ابصارنا

وبعد ان بلغنا الى ذلك الموضع واتخذنا بعض الراحة استأنفنا طريقنا قاصدين البحيرات الخمس وكان بيننا وبينها سهول شاسعة ولم يكن في تلك السهول ما يُخشى منهُ خطر سوى الوحوش المنتشرة فيها وكنا كثيراً ما نصيدها ونقتات بلحمها ونلتفّ بجلودها . ولما بلغنا البحيرات لم يبقَ علينا الا ان نقطعها فنطأ ارض الذهب فاتخذنا اخشاباً وبنينا منها قوارب واقلعنا فيها تحت رحمة العواصف والشلألات[1] الشديدة الاندفاع التي كانت تتقاذفنا من كل جهة حتى قُيّض لنا الخروج منها الى تلك الارض التي خصها الله بأثمن الكنوز واودعها مُنى الانفس ورغائب القلوب فوجدنا هناك ما يملأ العيون من قِطَع الذهب وحجارتهِ راسبةً في الجداول او مختلطةً بالتراب

---

(١) هي جمع شلأل للماء المنحدر من شفيرٍ عالٍ وليست من كلام العرب ولا في هذه المادّة ما يشبه ان تكون مشتقة منهُ لكن جاء في تاج العروس فيما استدركهُ على القاموس ما نصهُ « والشلألُ كشدّاد موضعٌ باعلى الصعيد حيث ينحدر منهُ النيل » اه . فالاظهر ان هذه اللفظة مأخوذة من هنا كانهم اطلقوا اسم ذلك الموضع على الماء الذي ينحدر منهُ من تسمية الشيء باسم محله ثم شاع استعمالهُ بهذا المعنى فوُضع موضع الجنس وأُطلق على كل ماء كان انحدارهُ كذلك والله اعلم

فحملنا منها ما قدرنا عليهِ ورجعنا بتلك الغنيمة الى الاوطان

قال ولم أكد انشر خبر رحلتي هذه حتى دبّت خمرة الطمع والكسب في رؤوس الجماهير على اختلاف طبقاتهم ففارق الرجل امرأتهُ والاب بنيهِ والجنديّ خدمتهُ والتاجر تجارتهُ والغنيّ ملذاتهِ وتوجهوا الى كلنديك زرافاتٍ متتابعة وتوافد الى هنالك ارباب العلوم والفنون والصنّاع حتى اصبحت تلك البقعة الخالية مدينةً زاهرة زاهية

مُتَفَرِّقَاتٌ

ضروب التوقيع

اصطلح الناس ان يودعوا عقودهم بطون الاوراق يقيّدون فيها ما اتفق عليهِ المتعاقدان لتكون ذكراً لصاحب الحق وحجةً على من تعهد بهِ . ولكي تكون بهذه المثابة لم يكن بدٌّ من اثبات العقد بما لا يسع العاقد جحدهُ ولا يتأتى لغيرهِ تزويرهُ عليهِ فاذا كان ممن يكتب وقّع عليهِ باسمهِ مع الاقرار بانهُ هو الكاتب لذلك الصك او القابل لما فيهِ وهو الاصطلاح الشائع لوقتنا هذا في البلاد المتمدنة وان كان امياً صنع خاتماً ينقش عليهِ اسمهُ وختم على الصك ثقةً بان الخاتم لا يزوَّر فاستغنى بذلك عن التوقيع بخطهِ وكثيراً ما يُجمَع بين الخط والختم توكيداً للثقة وزيادةً في التحرز بل هو مما تتقاضاهُ المحاكم الشرعية عندنا فلا تقنع بالخط حتى يؤيَّد بالختم . والاصطلاح

على الختم قديمٌ جدًّا حتى لقد وُجِد في الآثار البابلية خواتم اسطوانية الشكل قد نُقِش عليها ما يراد الختم بهِ نقشاً غاراً كما نصنع نحن اليوم وورد ذكر الختم في عدّة مواضع من اسفار العهدين اقدمها ما جآء في سفر خروج بني اسرائيل من مصر وسفر ايوب ثم سفر الملوك واستير وبعض اسفار النبوءات وغيرها مما يستفاد منهُ شيوع استعمالهِ من اقدم زمن

وربما وقَّع الاميّ برسمٍ لا يُقصَد بهِ الهجآء المنطقيّ وقد اصطلحوا قديماً على رسم خطين يقطع احدهما الآخر على شكل صليب واول مرةٍ ذكر هذا التوقيع في سفر ايوب ويسمّى في العبرانية بالتاو وهو اسم حرف التآء عندهم وكان رسمهُ قديماً شبيهاً بالصليب ولا نحسبهُ من معنى الحرف الهجآئي في شيء انما سمّي بذلك لموافقته رسم هذا الحرف . وهذا الشكل كان مألوفاً عند العرب ويسمى عندهم بالتوآء وهو ولا شكّ معرّبٌ عن الكلمة العبرانية الا انهُ لم يُروَ انهم كانوا يستعملونهُ الا في وسم الابل كيًّا على الفخذ والعنق . ومن الغريب ان هذا الشكل كان شائع الاستعمال في اوربا في جملة ما اصطلحوا عليه من اشكال التواقيع وبقي الاصطلاح جارياً بهِ الى اواسط القرن السادس عشر حين صدر امر الملك هنريكس الثاني سنة ١٥٥٤ بوجوب التوقيع بالاسمآء في جميع الصكوك . وكان منهم من يقتصر في التوقيع على الختم ينقش عليهِ اسم الموقّع او احرفٌ منهُ يُشبَّك بينها على هيئةٍ مخصوصة وهو اصطلاحٌ قديمٌ ايضاً وقد رؤي منهُ على بعض المسكوكات اليونانية وبهِ كان يوقّع الملك شرلمان لانهُ لم يكن يحسن الكتابة فرسموا لهُ مشبَّكاً من اسمهِ فكان يقلدهُ ومن ثم صار من

التوقيمات الخاصة بالملوك والامرآء والاساقفة والشرفآء واستمرَّ في فرنسا الى القرن الثالث عشر وفي المانيا الى القرن الخامس عشر وآخر من وقَّع بهِ من ملوك فرنسا الملك فيليب الملقب بالجري٠

ومن متقدمي الامبين من كان عوض ذلك كلهِ يغمس طرف اصبعهِ في الحبر ويطبعهُ على الورق فيستغني بهِ عن الكتابة والختم ولا يزال هـذا الاصطلاح جارياً الى يومنـا هذا في بعض المواضع البعيدة عن مواطن الحضارة ٠ وهو مستغربٌ في بادي الرأي وربما ضحك القارئ عند ذكرهِ اذ الاصابع متشابهة ولا يحتمل ان يكون فيها من العلامات والهيئات ما يتميز بهِ اثر الواحدة عن الاخرى ولكن الامر بالخلاف لما يتحقق بعد الفحص والنظر من ان بين اصابع الناس من التباين والاختلاف مثل ما بين هيآتهم وملامحهم فلا تجد اصبعاً تشبه اصبعاً كما لا تجد وجهاً يشبه وجهـاً ٠ وذلك ان ظاهر بشرة الاصبع مكسوٌّ بخطوط دقيقة تُرى كأَنصاف دوائر مختلفة المراكز بعضها في داخل بعض وهي تصغر شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى خطوطٍ في غاية الصغر فاذا تفقدت هذه الخطوط في عدة اصابع لم تجدها في اصبعين منهـا على شكلٍ واحدٍ سنة الطبيعة في كل بنـآء من الاجسام الحية حتى ان العلمآء دققوا في ورق الشجر فقابلوا بين الوفٍ من الاوراق من نوعٍ واحد فلم يجدوا ورقتين تتشابهان تمام الشبَه في وضع النَير (اي الخط الناتئ في وسط الورقة) وما يتفرع منـهُ من الشُعَب المتفرقة على جانبيهِ والمتخللة لسائر النسيج ٠ وعليه فلو طبعت ما شئت من آثار الاصـابع على الورق لامكنك ان تميز كل واحدٍ منهـا بشكلهِ المخصوص بشرط ظهور

تلك الخطوط في الطبع ظهوراً جلياً وقد ذكر احد علماء الانكليز انهُ فحص نحواً من ٢٥٠٠ اثر من آثار الاصابع فلم يجد اثنين منها متماثلين تماثلاً تاماً

وليس هنا محل الغرابة ولكن المستغرب ان الاقدمين على ما كان الغالب عليهم من الأُمية والبعد عن التدقيق في اسرار الطبيعة ومكنوناتها تنبهوا الى هذا التباين الخفيّ في نسيج بشرة الاصابع واطّرادهِ بين افراد الناس على العموم حتى اتخذوا ذلك حجةً على من يوقّع باصبعهِ تلزمهُ الاقرار بما وقّع عليهِ وتمنع من وقوع التزوير فيهِ . قيل واول من اصطلح على التوقيع بالاصبع اهل الصين ثم انتقل منهم الى الهند وانتشر في سائر الاقطار الآسوية . على انهُ لا يزال الى اليوم معتبراً عند اهل الضبط من اصدق الادلة على اثبات هوّية الشخص ولذلك فانهم في كثيرٍ من الممالك لا يكتفون بأخذ صُوَر المجرمين وذوي الشبهات وتسجيل حِلاهم واقيسة رؤوسهم ولكنهم لا بد ان يأخذوا اثر اصابعهم على الورق لانهم وجدوا ان تصوير الهيئة قد يضيع فيهِ شيءٌ من الحقيقة والحلى قد تتشابه واقطار الرأس قد تتطابق بين شخص وآخر على فرقٍ لا يُشعَر بهِ واما خطوط الاصابع فلا يقع فيها هذا الالتباس الاّ في اندر النادر والله اعلم

فوائد

تنقية الشمع — جرت العادة في تنقية الشمع بان توضع اقراصهُ في الماء الغالي فينحلّ الشمع ويطفو على وجه الماء ويرسب ما فيهِ من كدرٍ

وتُذى في اسفل الاناء . الّا انهُ بهذه الطريقة قد لا يتق تمام النقآء ولذلك اصطلح بعضهم في هذه الايام ان يضع الاقراص في اكياس من نسيج صفيق ويلقي الاكياس في المآء الغالي فاذا ذاب الشمع في داخلها خرق النسيج ونفذ الى المآء فطفا على وجههِ وبقي كل ما كان معهُ من المواد الغريبة في داخل الاكياس . وبهذه الطريقة لا يُحتاج في تنقية الشمع الا الى اذابتهِ مرةً واحدة

تركيب لألوان التصوير الزيتي — اشار بعضهم ان تركب الالوان الزيتية للتصوير والنقش على الطريقة الآتية

يؤخذ ٤ اجزآء من البارافين و ٩ من الشمع و ١٠ من الكوبال و ١٠ من المادّة الملوِّنة ثم تُمزَج فيكون عنها الوان غير قابلة الفساد . وطريقة مزجها ان يوضع البارافين والشمع في اناء ويرفعا على النار حتى يذوبا ذوباناً تاماً ثم تضاف المادة الملونة مسحوقةً والكوبال ويُساق المزيج اي يحرَّك نحواً من ربع ساعة حتى يختلط ثم يصبّ في قوالب ويترك حتى يبرد فيكون اقراصاً جامدة فاذا أُريد استعمالهُ أُذيب على النار واستُعمل حارًّا

اطفآء لهيب البترول — من المشهوران البترول اذا التهب لا يطفأ بالمآء بل يزيد بهِ اشتعالاً ولكن الافضل ان يُطرَح فوقهُ تراب او رمل او رماد او يلقى عليهِ نحو بساط او وسادة حتى ينقطع عنهُ الهوآء فينطفئ . وقد وُجد بالامتحان ان اللبن الحليب انفع شيء في سرعة اطفآئهِ فانهُ يخمد لهيبهُ في الحال

اسئلة واجوبتها

مصر ـ هل داء اليرقان معدٍ وكيف يعالج

حنا الياس العريان

الجواب ـ اليرقان ليس بمعدٍ واما علاجهُ فينُظَر فيهِ الى السبب وهو على الغالب يحدث عن احتقان في القنوات الصفراوية ينشأُ عنهُ سُدَدٌ تمنع انصباب الصفراء في الامعاء. فيعالج بازالة هذه السدد بالمساهل الملحية والمحوّلات الموضعية على جهة الكبد واذا ظُنَّ ان هناك يداً للوبالة (الملاريا) فقد يفيد مع ذلك استعمال الكينا على انهُ في كل حال لا يُستغنى عن رأي الطبيب

دمشق ـ نرجو من فضلكم ان تتكرّموا علينا بالجواب على ما يأتي

اولاً ـ يؤخذ مما ذكرتموهُ في الجزء الرابع من بيانكم الاغر عن كيفية التلفظ بالجيم استواء كلٍّ من لفظ اهل سوريا ومصر لها في الصحة ومطابقتهُ للمنقول عن العرب وقد ورد في مختصر الجمانة في شرح الخزانة انهُ لا يجب ان يمال بها نحو الكاف كما هو اصطلاح اهل الديار المصرية لانها هي والشين من حيز واحد ولا عبرة بما روي من مثل ذلك عن بعض لغات اليمن فانهُ مخالفٌ للغة جمهور العرب . فاي الرأيين يجب ان نعتمد

ثانياً ـ يقال ان الضاد خاصة بالعرب ولذلك يسمّون بالناطقين بالضاد واذا ثبت ان تلفُّظ اهل سوريا ومصر بها اليوم هو موافق لتلفظ العرب

الاقدمين فلا يصح هذا التخصيص الذي ذكروهُ لانهُ قد جآء في لغات الافرنج ما يقابلها في بعض الاحوال . ويظهر ان لفظها الصحيح يجب ان يكون كلفظ اهل العراق والجزيرة اي ذالاً مفخمة وذلك لاسباب . اولاً لان الضاد على لفظها المتعارف عندنا هي تغليظ الدال كما ان الطآء هي تغليظ التآء . وقد منع واضعو اللغة اجتماع مغلَّظ ورقيقهِ في كلمة واحدة فلا ترى الطآء مع التآء ولا الصاد مع السين مثلاً . والحال اننا نرى الضاد مع الدال مجتمعة في كلماتٍ كثيرة كما في ضَمَد وعضد ودَحض ولا نراها ابداً مع الذال في كلمة واحدة . ثانياً نص ارباب التجويد واهل اللغة على وجوب التمييز بين الضاد والظآء ووضعوا لكلٍّ منهما شروطاً وعينوا لهما مواقع وألفوا في الفرق بينهما مؤلفات منها كتابٌ رأيناهُ لابن مالك سماهُ الاعتضاد في الفرق بين الظآء والضاد ومنها كتاب لابي حيان الاندلسي دعاهُ الارتضآء في الضاد والظآء . ونُقل عن الاصمعي انهُ قال تتبعت لغات العرب كلها فلم اجد فيها اشكل من الفرق بين الضاد والظآء . وقال صاحب العين اتقان الفصل بينهما واجب لان الائمة المتقنين على ان وضع احداهما موضع الاخرى مفسدٌ للصلاة . فاذا كان لفظها كلفظ اهل سوريا ومصر فبينها وبين الظآء بونٌ كما بين هذه وبين الدال وعليهِ لم يبقَ معنى لهذا الحرص الشديد على الفصل بينهما والخوف من اختلاط احداهما بالاخرى . ثالثاً قد ورد في بعض الكلمات ابدال الضاد بالظآء كما في الضَفَف والظَفَف وضجَّ وظجَّ مثلاً فلو لم يكن تقارب بين لفظيهما هل كان يصح هذا الابدال . ويوجد ما خلا ذلك شواهد واسباب اخر نقتصر منها على

ما سبق فاي لفظٍ هو الصحيح عندكم　　　　م ١٠

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فقد علمتم اننا فيما نوردهُ من المباحث العلمية ولا سيما الاحكام اللغوية لا نتقيد بالنصوص ولا نقف عند ما قرأناهُ في كتب الاولين ولو كان سبيلنا ذلك لم تكن حاجةٌ الى الكلام فيما يكون حاصلهُ نقل كلامهم وهو موجودٌ في كتبهم متداوَلٌ بين ايدي الجمهور وانما غرضنا التحقيق والبحث العلمي المؤيد بالادلة العقلية والشواهد النقلية والتأريخية ولذلك ترون في مقالة اللغة والعصر كثيراً من الخلاف والخروج عما قالوهُ والاستدراك عليهم فيما فاتهم والقصد من ذلك كلهِ الوصول الى الحقائق والكشف عما بقي مورَّى منها من طريق الاجتهاد والاستدلال . وحاصل ما ذكرناهُ في المسئلة التي اشرتم اليها ان ما جرى عليهِ اهل الشأم ومن وافقهم في لفظ هذا الحرف هو اللفظ الذي كان عليهِ جمهور العرب في صدر الاسلام واواخر الجاهلية وعليهِ نصوص اصحاب النحو واللغة والذي في مختصر الجمانة تقريرٌ لما نقلوهُ ليس الاَّ ولا مدخل لهُ في بحثنا اذ هو مقيد بنقل احكامهم . وما جرى عليهِ اهل القاهرة ومن اخذ إخذهم هو اللفظ القديم لهذا الحرف بما اوردنا عليهِ من الادلة التي ترونها هناك فكلٌّ من اللفظين صحيح باحد الاعتبارين المذكورين . واما تخير احد اللفظين فرجعهُ الى اعتبار المعتبر بين ان يذهب الى الاعرف والاشيع او الى الاقدم والاسبق على ما اوضحناهُ هناك وذلك انما هو بالنظر الى المسئلة في نفسها مجردةً عما يضاف اليها من الاعتبارات اللاحقة التي قد يترجح بموجبها احد الوجهين او يتعين مما ليس من بحثنا في هذا المقام

واما لفظ الضاد فانا لم نسمع من يحكمهُ لهذا العهد على ما رسم علماء اللغة من مخرجهِ والظاهر انهُ لكثرة اختلاط العرب بغيرها مع فقد هذا الحرف من لغات الاعاجم ضاع موضعهُ من الالسنة ولم يبقَ من يحقق لفظهُ . ولم نجد من دلّ على مخرجهِ باوضح مما ذكرهُ الرضيّ في شرح الشافية لابن الحاجب وان اضطرب بعض كلامهِ بما لا يقف في طريق المقصود ونحن نذكرهُ هنا تحصيلاً . قال صاحب الشافية وللجيم والشين والياء وسط اللسان .. وللضاد اول احدى حافتيهِ وما يليها من الاضراس . قال الرضيّ قولهُ وللضاد اول احدى حافتيهِ الحافة الجانب وللسان حافتان من اصلهِ الى رأسهِ ويريد باول الحافة ما يلي اصل اللسان .. فتخرج الضاد من اقصى حافتي اللسان الى قريب من رأس اللسان ومنتهاها اول مخرج اللام .. وموضعها من الاسنان نفس الاضراس العليا .. قال ويقال للضاد طويل لانهُ من اقصى الحافة الى ادنى الحافة اي الى اول مخرج اللام فاستغرق اكثر الحافة . اه . فهو كما ذكرتم لا ينطبق على لفظ اهل سوريا ومصر ممن يجعلهُ دالاً مفخمة وكذلك لا يصلح ان يجعل ذالاً مغلظةً كما هو لفظ اهل العراق ومن جاورهم لان هذا انما هو لفظ الظاء بعينهِ فلم يبقَ فرقٌ بين الحرفين . واهل العربية يسمون الضاد الملفوظة كذلك بالضاد الضعيفة قال السيرافيّ وهي لغة قوم ليس في لغتهم ضاد فاذا احتاجوا الى التكلم بها اعضلت عليهم فربما اخرجوها ظاءً لاخراجهم اياها من طرف اللسان واطراف الثنايا . اه . وموضع الفرق بين لفظ الضاد ولفظ الدال او الذال المفخمتين ان الضاد كما مرّ تفصيلهُ تخرج من حافة اللسان فلا يحرّك معها

طرفهُ ولا تشترك الثنايا في لفظها وبخلافها الدال والذال وبقية هذه الطائفة فانها باسرها تخرج من طرف اللسان مع استمانة الثنايا . ويزيد ذلك صراحةً قول الرضيّ في موضع آخر من هذا الفصل وبعض الحروف اذا وقفت عليها خرج معها مثل النفخة .. وهي الضاد والظآء والذال والزاي فان الضاد تجد المنفذ بين الاضراس والظآء والذال والزاي تجد منفذاً بين الثنايا . اه . وبهذا القدر في هذا الموضع كفاية

آثار ادبيّة

مفتاح الافكار في النثر المختار — اهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب تأليف حضرة العالم الفاضل الشيخ احمد مفتاح جمع فيهِ مختاراتٍ من النثر القديم والحديث قسمها على ثلاث طبقات اولاها من كلام الجاهلية وصدر الاسلام الى آخر عهد الخلفآء الراشدين والثانية من كلام من اشتهر من بلغآء المولدين من لدن عبد الحميد ومن تلاهُ الى الحريري صاحب المقامات والثالثة من كلام المتأخرين من القاضي الفاضل ومن عقبهُ الى ابن حجة الحمويّ وختمها بفصول من ترسُّل بعض المعاصرين من افاضل المصريين لجآءت سلسلةً متواصلة تتابعت فيها مثُل الفصاحة عصراً بعد عصر وحوت من نوادر النقل ما يعزّ الظفر بهِ ولم يُجمَع قبلها في سفر فنحث المتأدّبين من طلاّب العربية على مقتنى هذا الكتاب ونرجو لهُ مزيد الرواج ولمؤلفهِ جزيل الثواب

منعى اديب

نعى الى قرّآء الضيآء وفاة الاديب البارع صديقنا الابرّ المرحوم خليل فواز وكيل مجلتنا العام في بيروت ولبنان قبضهُ الله اليهِ في الثاني والعشرين من شهر ستمبر الحالي في مصيفهِ بلبنان اثر دآء اعيا الاطبآء ولم ينجع فيهِ دوآء فاودى وهو في بُرد الشباب ونضارة الحياة لم يتجاوز من العمر سبعاً وثلاثين سنة كان فيها مثال الادب والنزاهة وطهارة السيرة والسريرة طيّب الثنآء محمود الصحبة وثيق الذمّة . وكان رحمهُ الله من ذوي الغيرة على الخدمة العلمية ومن المشتغلين بعلوم الادب كاتباً محسناً وشاعراً مجيداً ومن آثارهِ رسائل لطيفة كتبها في وصف معرض شيكاغو واترس وكان ممن شهد هذين المعرضين ولهُ نظمٌ حسن لايحضرنا منهُ الاّ مرثية رثى بها اخا صاحب هذه المجلة المرحوم خليل اليازجي ومن ابياتها قولهُ

يا خليلي في النائبات ويا خد ـنَ صبآئي وعدّتي وعمادي
كنتَ مني مكان قلبي وقد بنـ ـتَ فخلفتني بغير فؤادِ

ومنها

سوف ابكيك ما دُعيتُ « خليلاً » او ذكرتُ « الخليل » في كل نادِ
فعليك السلام حتى الاقيـ ـك وهذا في الدهر اقصى مرادي

اجل قد التقى الخليلان بعد ان اتى على افتراقهما عشر سنواتٍ لم يَحُل فيها بينهما الا تراب الضريح والذكر باقٍ والحنين دائم والروحان متصلان تتمدهما الله برحمتهِ وجمعها في دار كرامتهِ

فكاهات

رواية

غرائب المقدور[1]

بينا خرج الناس في باريز في احد ايام الاعياد يستقبلون اشعة الشمس ويحيّون وجه الطبيعة بعد ان حجبتها الغيوم والضباب اياماً اشتدّ فيها الزمهرير وحبسهم بين جدوان المنازل فانتشروا فرادى وازواجاً ترويحاً للنفوس واستنشاقاً لنفحات الازهار المنبعثة من خمائل منتزهاتها وهم بين راكبي العربات ومتسلقي الدراجات وممتطي صهوات الجياد وقد ساروا على اختلاف طبقاتهم رجالاً ونساءً يؤمّون غابات فرساي ورياضها وعلى وجوههم علائم البشر والمسرات اذا باحدى العربات تسير الهُوَينى وعليها راكبٌ تبدو عليهِ سيماءُ العظمة وجلالة الشان الاّ انهُ لم يكن يشارك القوم في سرورهم ولا يظهر عليهِ ادنى اهتزاز لذلك المنظر فلم يزل سائراً كذلك بين تلك الجماهير حتى انتهى الى غابةٍ كثيفة على يمين الطريق فعطف اليها ثم استوقف الحوذيّ وترجل عن عربتهِ فسار الى حديقةٍ قد كوّنتها يد الطبيعة على ضفّة جدولٍ يشتق من نهر السين وهناك شجرةٌ قديمة العهد فاضطجع في ظلها على الكلاْ الناعم وارتفق على يمينهِ وجعل ينظر الى الماء وهو يتقلب في تحدّرهِ على تلك

---

[1] معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الحجارة القضية فيحدث صوتاً يشبه الانين ويبعث الشجو والحنين حتى يخيل للناظر انهُ يردد عن نفسهِ قول الشاعر

جريحٌ باطراف الحصى كلما جرى عليها شكا اوجاعهُ بخريرهِ

وبينا هو كذلك اذ سمع بالقرب منهُ انشادًا رخيماً وصوتاً عذباً استوقف خاطرهُ كالمبهوت فاصغى اليهِ فاذا هو يسمع كلماتٍ في غاية الرقة والحنوّ يزيدها ذلك الصوت الشجي حلاوةً وتأثيرًا ثم انقطع ذلك الصوت فجأةً بعد ان شغل قلبهُ واخذ بمجامع حواسهِ فانتظر هنيهةً ولما لم يسمع شيئاً هاجهُ الشوق فنهض وتوجه ناحية الصوت فاذا فتاةٌ في مقتبل العمر ونضارة الشباب رشيقة القد فتانة الجمال فرفع قبعتهُ اجلالاً لها وانحنى مسلماً ثم قال هل تأذن سيدتي ان اجالسها ما دمت لا ارى لها مؤنساً في هذه البرية . فقالت لا أحبَّ اليَّ من ذلك اذا لم تجد منهُ مانعاً لكن تأذن لي ان اسألك ان تعرّفني بنفسك وتخبرني لماذا تركت صحبة غادات باريز وشبانها وقصدت هذه الخلوة . قال اما انا فالكُنت باسيل شيركوف احد انسبآء قيصر الروسية وسفيرهُ لدى امبراطوركم واما انفرادي عن معاشرة من ذكرتِ فسببهُ ما بين دولتنا ودولتكم من الفتور الحالي مما لعلهُ لا يحبّب الى الفرنسويين مخالطتي . وانتِ ايتها السيدة هل لكِ ان تتفضلي عليّ باسمكِ لاخاطبكِ بهِ في أثناء اجتماعنا هذا

فلما قال هذا جعلت الفتاة تحدّق اليهِ بنظرها لانهُ لم تبقَ فتاةٌ في باريز لم تسمع باسم شيركوف ولم تودّ ان تراهُ لما اشتهر عنه من لطف المؤانسة ورقة الشمائل ومحاسن الآداب . فقالت لهُ انا فتاةٌ سيئة الطالع فقدت والديَّ طفلةً بعد ان استحوذت الحكومة على اموالهما الطائلة وانزلت

ابي من منصبهِ الرفيع فربيت عند نسيبةٍ لي حتى بلغت الخامسة عشرة من السن فتوفاها الله وتُركتُ في العالم وحدي اقارع الخطوب واعالج الهموم واكدح في كسب معاشي . واما اسمي فسارة دوبرازاك . وكان شيركوف عارفاً باصل هذه الأُسرة وما كانت عليهِ من السؤدد واليسار فلم يتمالك ان انحنى ثانيةً امام تلك الغادة واخذ يجاذبها اطراف الحديث فلبثا يتآنسان ويتنازلان الى ان غربت الشمس او كادت فاستصحبها في عربتهِ حتى بلّغها منزلها ثم ودّعها بعد ان استأذنها في التردد عليها وانصرف

ولم يمضِ بعد ذلك طويل زمنٍ حتى اقترن باسيل بسارة وقد وقعت من قلبهِ موقعاً محموداً ولم يجد من نفسهِ ميلاً الى سواها ولا سكوناً الى غيرها فكان ذلك مدعاةً الى سخط غادات باريز وحسانها لان كلاً منهنَّ كانت تجهد في اغرآئهِ بمحاسنها وتمنّي نفسها بالحصول عليهِ فلما ان تحققنَ زواجهُ وعدم اكتراثهِ بما كنَّ يبدينَ لهُ من التقرب انقلب ذلك التودد الى عدآء فوقفنَ لهُ بالمرصاد وجعلنَ يترقبنَ فرصةً لتنغيصهِ وطارت اخبار زواجهِ على جناح البرق فبلغت مسامع القيصر في بطرسبرج

وبعد تمام السنة وضعت سارة غلاماً في نهاية الجمال تلوح على محياهُ ملامح الفطنة وسمات الذكآء . وفي ثاني يوم ولادتهِ وردت على ابيهِ رسالة برقية من الامبراطور يستقدمهُ اليهِ في الحال لابلاغهِ اموراً ذات بال . ولما لم يسعهُ الآ تلبية الامر نهض لساعتهِ يتأهب للرحيل واستحضر سلسلةً من الذهب الخالص ومعها نوطٌ (مدالية) قد نقش عليهِ اسم فيليب فعلّقها في عنق وحيدهِ تذكاراً ثم ودّع زوجتهُ بقلبٍ كسير وهو يتلهف على مفارقتها

في مثل تلك الحال ومنّاها بقرب رجوعهِ حالما يفرغ من المهمة التي استدعاهُ لاجلها القيصر واوصاها ان تعتني بولدهِ فيليب ثم سافر تاركاً قلبهُ بين زوجتهِ وولدهِ وهو يتمنى لو امكنهُ قضاء اوامر القيصر والرجوع في ليلةٍ واحدة

ولما مثل شيركوف بين يدي القيصر استقبلهُ بوجهٍ عبوس وقال له لقد قُطعت العلائق بيننا وبين فرنسا فلم يبقَ وجهٌ لبقآئك في باريز وقد استدعيتك اليَّ لتقوم في بلاطي بما هو اهمّ واسمى. فقال ما انا الاَّ عبدٌ مطيع لمولاي فمر بما احببت. قال حسنٌ لكن قل لي هل لك من علائق في باريز. قال ليس لي يا مولاي في باريز الاَّ زوجتي وولدي الذي فارقتهُ بعد ولادته بيومٍ واحد. قال أوَعلى مسمعي ايضاً تجترئ ان تثبت ما بلغني عنك من تعلقك باحدى عواهر فرنسا ومقارنتك لادناهنَّ شرفاً حالة كوني كنت انوي ان اقرنك بالغرندوقة ماريا وتذكر ايضاً ان لك ولداً كانك تحسب ما فعلتهُ مما يخالف رضايَ امرًا شرعياً. والآن فاعلم اني لا اعرفك الاَّ عزَباً واحظر عليك مزايلة بطرسبرج لحظةً واحدةً وامنعك منعاً باتّاً من قبول رسائل من باريز او ارسال مثلها اليها وان علمتُ انك خالفتني في شيء من ذلك فليس امامك الا سيبيريا فاذهب وانتظر اوامري

فقام باسيل وانصرف من بين يدي الامبراطور ولو ان صاعقةً انقضت على رأسهِ لكانت اسهل عليهِ من هذا الحكم القاطع والقضاء المبرم الذي لا يحتمل مراجعةً ولا تعديلاً فقفل في طريق منزلهِ والدمع ملءُ عينيهِ وبين صدرهِ ولهاتهِ

غصصٌ تكاد تفيض منها روحهُ ويكاد يخرج قلبهُ من صدرهِ

اما سارة فقضت الايام الاولى في القلق والانتظار وكأن قلبها انبأها بشرٍ مقبل فارسلت الى باسيل رسالةً تستخبره فيها عن امرهِ وتكررت منها بعد ذلك الرسائل والاستفادات فلم يأتها منهُ جواب ولا وقفت لهُ على خبر لان رسائلها كانت تمزّق حال وصولها عملاً بامر القيصر . ولبثت على ذلك مدةً الى ان نفد ما لديها من المال واضطرّت الى ان تبيع اثاث المنزل ولما لم يبقَ عندها ما تبيعهُ اخذت تغسل ثياب العسكر فتنال من ذلك ما يكفيها مع الحرص والتقتير لمعاشها ومعاش ولدها

واما فيليب فلما كانت عليهِ والدتهُ من ضيق ذات اليد لم يكن في امكانها ان تجعلهُ في احدى المدارس فكان يتردد معها الى ثكنة العسكر اوان ذهابها اليها فيرى من مناظرهم وحركاتهم ما أسّس في فطرتهِ الميل الى الجندية وبقي ذلك الميل ينمو فيهِ حتى اذا بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ انتظم في سلكها وتخرّج في فنونها فخرج جندياً باسلاً ذا منظرٍ ورواء . ولم يمضِ على دخولهِ فيها مدةٌ حتى نُدبت فرقتهُ الى الجزائر فسرّ فيليب سروراً عظيماً لتيقنهِ انهُ سينال في المعارك مقاماً عزيزاً اذ كان لهُ قلبٌ لا يهاب المنية وساعدٌ لا يوهنهُ طول الجلاد . ولما انبأ والدتهُ بذلك اشتدّ عليها واعولت وبكت ولكنها لما لم تجد الى ممانعتهِ سبيلاً اضطرّت الى الصبر والتسليم . ولما كانت ليلة سفرهِ اخذتهُ اليها وقصّت عليهِ تاريخ ولادتهِ وما مرّ بها من حين تعرُّفها بالكُنت باسيل شيركوف الى تلك الساعة ثم اوصتهُ بما حضرها من الوصايا الوالدية واخذت منهُ عهداً ان يكتب اليها كلما سنحت لهُ الفرص ولبث عندها يتزود من منظرها وتتزود من منظرهِ الى ان حان وقت رجوعهِ

الى المعسكر فودّعها وخرج

وبعد ذلك زحفت الجنود الفرنسوية الى بلاد الجزائر ولم يكن بينها اشدّ قلباً ولا اعظم تشوُّقاً الى خوض المعامع من فيليب فابلى فيها بلآء حسناً وابدى من الجرأة والاقدام ما أُعجب بهِ جميع قوّاد الجيش فلم يلبث ان زُيّن صدرهُ بالاوسمة وعُيّن قائداً للفرقة التي كان فيها وترامى ذكرهُ في الارجآء الفرنسوية حتى انتهى الى والدتهِ فكان ذلك مما اقرّ عينها وخفف عنها بعض ما تجرعهُ من المكاره

وفي تلك الاثنآء اتسع الخرق بين دولتي روسيا وفرنسا وأُعلن بالحرب وسارت الجيوش الفرنسوية الى روسيا فاشتبكت مواقع القتال بين الدولتين ولما حمي وطيس الوغى صدر امرٌ من باريز الى القائد فيليب في بلاد الجزائر ان ينضمّ بجيشهِ الى عساكر الفرنسيس في جنوبي روسيا فلبى الامر للحال وركب بابطالهِ البحر بعد ان كتب الى والدتهِ يبشرها بارتقائهِ وتوجههِ الى روسيا وطن والدهِ ويعدها بالرجوع اليها قريباً بعد انقضآء تلك المواقع

وكان وصولهُ الى روسيا والجيش في اشدّ الحاجة الى النجدة فاشترك مع القواد في سياسة الحرب وتدبير الجيش وحسر عن ساعد البسالة والاقدام فرافق النصر اعلامهُ واحاط الفوز بركابهِ وتقهقرت امامهُ عساكر الروس الى موسكو وكانت قد وافتها النجدات من بطرسبرج وتوقع الفريقان حدوث معارك هائلة تكون هي الفاصلة بين الجيشين

ولما كان الصباح نفرت تلك الجماهير المدججة بالسلاح وتصافّ الجيشان واصطلت نار الحرب فاشتبك الفريقان وكلٌّ يودّ ان يفوز او يموت .

وكان فيليب يهجم بجواده على اعظم مواقع الخطر ويعرّض صدره للرصاص وتهجم رجاله في اثره حتى اخترق صفوف العدوّ وانفرد عن جماعته ورأى القائد الروسي غير بعيد منه وهو على جواده يعطي الاوامر لمن تحت يده فانتهز تلك الفرصة وصوَّب مسدَّسهُ الى صدر القائد وقبل ان يطلق النار صاح احد الضباط منبهاً لهُ وقال انتبه ايها القائد شيركوف فان رصاصة هذا الفرنساوي مصوبة الى صدرك

فلما سمع فيليب اسم شيركوف توقف عن اطلاق الرصاص وشعر ببرودةٍ استولت على جسمهِ وخدرِ المّ بكلتا يديهِ فانزل يدهُ ببطء الى جانبهِ وهو لا يعلم اني يقظةٍ هو ام في منام . ولما انتبه الروسي نظر فرأى فيليب مصوباً سلاحهُ اليهِ ثم رآهُ ينزل يدهُ دون ان يطلق النار غير انهُ لشدة ما اخذهُ من التهيج لم يفطن لذلك الانقلاب ولم يتنبه لاصفرار لون خصمهِ وامتقاع وجههِ ولكنهُ في اسرع من لمح البصر رفع مسدَّسهُ واطلق منهُ رصاصتين اصابتا فيليب فسقط الى الارض مضرجاً بدمائهِ

ولما سقط فيليب تضعضعت عزائم الفرنسيس واستولى عليهم الذعر والفشل وشدّ عليهم الروسيون فاعملوا في ظهورهم النصال ودحروهم الى مسافةٍ بعيدة . ولما انفصل الجيشان اسرعت الضباط للبحث عن قتلاها وجرحاها ومرّ القائد الروسي على الموضع الذي صرع فيهِ القائد الفرنساوي فنظر اليهِ فاذا الدم يتدفق من صدرهِ وتفرس في وجههِ فرآهُ فتىً لم يكد يخطّ عارضهُ فاخذتهُ بهِ رأفةٌ على غير ما يُعهد في مثل هذه الحال وترجّل عن جوادهِ فرفع رأسهُ المعفر بالتراب والقاهُ على صدرهِ ثم اخرج من جعبتهِ زجاجةً

وجرّعهُ منها قليلاً فانتعش وفتح عينيهِ فقال لهُ الروسي لقد اعجبتني شجاعتك ايها الفتى الباسل ولكني اشدّ تعجباً من امساكك عن قتلي حين كان في يدك ان تفعل فلمَ لم تقتلني قبل ان اتمكن من قصف زهرة حياتك . فاجاب فيليب بنفسٍ متقطع وصوتٍ خافت اني مع كل بسالتي في الحروب لم اتمكن من اطلاق الرصاص على صدر والدي

فارتعش شيركوف وصاح على صدر والدك . . وما تعني بهذا الكلام ايها الفتى . فقال ألست انت الكنت باسيل شيركوف . قال بلى انا هو وانت من انت. قال انا ولدك التعيس فيليب ابن الحزينة سارة دو برازاك . فصاح شيركوف وهو كالمجنون وهل في استطاعتك ان تثبت لي هذا القول . فقال ليس عندي من البرهان على ذلك اعظم من هذه السلسلة وهذا النوط الذي علّقهُ عليّ والدي يوم ولادتي وهما لم يفارقا عنقي يوماً واحدًا

فلما رأى شيركوف السلسلة والنوط صاح بصوتٍ اليم وقلبٍ يقطّعهُ الحزن آه يا ولدي آه يا ولدي

ثم ان فيليب تجلد وعاد الى الكلام فقال انا ذاهبٌ عن هذه الارض التي لم ارَ فيها سوى الشقآء ولكن وا اسفا على قلب تلك الوالدة الحزينة حين يبلغها خبري . اما انت يا والدي فلا مسئلة لي عندك الا ان تبعث فتضمّ تلك المسكينة اليك وتلطف بقلبها الكسير وتنقذها مما تقاسيهِ من شظف العيش ومتاعب الحياة وقل لها ان قُصارَى ما كنت ارجوهُ ان اعود اليها بالسعادة والسرور ولكن . . . ثم حرّك شفتيهِ كمن يحاول المنطق فلم يقدر فسقط رأسهُ على صدر والدهِ وفاضت روحهُ

ومن لنا بوصف حالة ذلك الوالد المسكين في تلك الساعة الهائلة وقد استطير فؤادهُ جزعاً والتياعاً واكبَّ على ولدهِ يقبلهُ ويغسل الجراح التي نالها من يدهِ بماء جفنيهِ . واجتمع عليهِ كبراء الجيش وقوّادهُ فما منهم الا من بكى لبكائهِ وتفطر فؤادهُ لذلك المشهد الفاجع ونمي خبرهُ الى القيصر فتأثر لهذا الحادث تأثرًا شديداً وامر بدفن جثة فيليب بما يليق بمثلهِ من ابطال المعارك ثم استدعى اباهُ فعزّاه بما جبر من فؤادهِ الكسير ثم قال لهُ لئن رُزئت بفقد ولدك لقد نالت المملكة على يدك فوزاً مبيناً فسلني حاجتك تُقضَ في الحال . فقال اعزّ الله مولاي انهُ لم يبقَ لي من حاجةٍ في الدنيا بعد ما ثكلت وحيدي سوى ان لي في البلاد الفرنسوية شريكةً في هذا المصاب لا معزّي لها غيري وقد كان آخر ما تحركت بهِ شفتا ذلك المسكين وهو يجود بنفسهِ الرغبة اليَّ في استقدامها والتلطف في عزائها فان تعطف مولاي الامبراطور فلتكن نعمتهُ عليَّ ان يبيح لي اتمام ما توسل اليَّ فيهِ والا فانا وكل من ينتسب اليَّ فدًى لاقلّ عبيد مولاي . فرقّ الامبراطور لسماعهِ هذه الكلمات وقال قد ابحنا لك ما طلبت ورفعنا رتبتك وشرَّفناك بما تستحق ببسالتك وحزمك فابعث استقدم زوجتك لتعزّيها وتعزّيك على ما نالكما بهِ الاقدار وعيشا في كنفي على الرحب والسعة . فخرج من عندهِ شاكراً وبعث الى سارة فوافتهُ الى بطرسبرج وقضيا غابر ايامهما على احسن حالٍ من السعادة لا ينغص عيشهما الا تذكار ولدهما فيليب ولا يلذ لهما من احوال الحياة الا زيارة ضريحهِ كل يوم يسقيانهِ بالدموع ويحافظان على ما حولهُ من الازهار ان تبقى نامية واوراقها خضراء

كذب البصر

قال المعرّي

والنجم تستصغر الابصار صورتهُ　　والذنب للعين لا للنجم في الصغرِ

قال في الشرح يقول الذنب في استصغار البصر للنجم يُحال على قصور العين وعجزها عن ادراكهِ كما هو عليهِ لا أن النجم في جرمهِ صغير . اه . والصحيح ان لا ذنب للعين في ذلك ولا للنجم وانما الذنب للمسافة التي بين النجم والعين بحيث يستحيل على العين مهما كانت قوتها ان تبصرهُ الاَّ كذلك . وبيانهُ ان العين بالقياس الى المرئيات حولها بمنزلة المركز من الدائرة واقطار تلك المرئيات بمنزلة اجزاء من دوائر مرسومة حولها على ابعادٍ مختلفة . ومعلومٌ ان كبر الشبح وصغرهُ متوقفان على قربه من العين وبعدهِ عنها لانهُ كلما بَعُدَ قلّ انفراج الزاوية الواصلة منهُ الى العين فتَقصُر قطر قاعدتها المرتسمة على الشبكية فيظهر صغيرًا وبعكس ذلك اذا قرب فان تلك الزاوية تنفرج فتتسع قاعدتها ويعظم منظر الشبح وهذا هو السرّ في تعظيم الاشباح بالآلات المكبرة

ولا بأس ان نزيد هذا الموضع بياناً فنقول انهم قد اصطلحوا ان يقسموا الدائرة الى ٣٦٠ قسماً متساوية يسمونها بالدَرَج وقد وُجد بالاختبار انهُ اذا رُسِم خطٌّ بين مركز الدائرة ومحيطها كان طول ذلك الخطّ ٥٧ درجة من المحيط وهي قريبٌ من السدس وحينئذٍ فمن البديهي ان الخط او الشبح مهما كان قياسهُ اذا بَعُدَ عن المركز او عن نقطةٍ معينة مقدار ٥٧ مرةً من

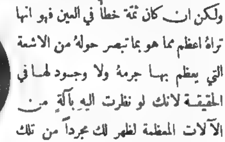
طولهِ كان قياسهُ هناك درجة وبالتالي اذا بَعُدَ مثل هذه المسافة مرةً اخرى كان نصف درجة او مرتين فثلث درجة ثم ربع درجة وهلم جرًّا حتى يصير على بعد ٣٤٣٨ مرة من مثل طولهِ فيكون قياسهُ دقيقة ثم على بعد ٢٠٦٢٦٥ مرة فيكون ثانية

وقد قدمنا ان منزلة العين مما حولها منزلة مركز الدائرة من محيطها فيكون مرأى الاشباح فيها على القياس نفسهِ . وعلى ذلك فنحن نرى قطر الشمس من هنا نحواً من ٣٢ دقيقة في القياس المعدّل وهي اكثر قليلاً من نصف درجة وبناءً على الحساب المذكور يكون بيننا وبينها ما يعدل قطرها ١٠٧ مرات . ومع ان قطر القمر اصغر من قطر الشمس بما يزيد على ٣٥٠ مرّة فاننا نراهُ بقدر قطر الشمس لان كلا الجرمين واقعان على زاوية واحدة بالتقريب بل هو احياناً يزيد على قطر الشمس في الظاهر فيبلغ ٣٣ دقيقة ونصفاً مع ان اعظم ما يبلغ اليهِ قطر الشمس ٣٢ دقيقة ونصف

ثم اذا نظرنا الى المشتري مثلاً وهو اعظم السيّارة الشمسية رأيناهُ نقطةً مضيئة مع ان قطرهُ يبلغ نحواً من ٨٨٠٠٠ ميل اي بقدر قطر الارض احدى عشرة مرّة ولكنهُ يبعد عنا في متوسط مسافتهِ اي في اوان تربيعهِ نحو ٤٨٠ الف ميل وهي نحو ٥٥٠ مرّة من مثل قطرهِ فيكون قطرهُ على هذا البعد نحو ٣٨ ثانية او $\frac{١}{١٠٠}$ من الدرجة . فاذا كان هذا حال المشتري وهو لا يبعد عنا اكثر من خمسة اضعاف من بُعد الشمس فما الظن بالنجوم الثوابت واقربها منا وهو الاول من صورة قنطورس يبعد عنا مسافة عشرين الف الف الف الف ميل وهي نحو ٢٢٠ الف مرّة من بعد الشمس عن

الارض ومع اقوى المعظّات لا يُرَى الاّ نقطةً ولا يظهر لهُ قطرٌ يمكن ان يقاس ولا بادقّ الآلات. ومع انهُ من اكبر الثوابت زاويةَ اختلافٍ لزيادة قربهِ منا فان زاوية اختلافهِ لا تزيد على تسعة اعشار الثانية بمعنى اننا لو فرضنا قطرهُ تسعين الف الف ميل وهي مسافة ما بين الارض والشمس لما ظهر لنا الاّ بهذا القياس عينهِ اي اصغر من المشتري بما يزيد على اربعين ضعفاً

اذا علمت هذا تبين لك ان الصغر في منظر النجم ليس في شيء من خطأ البصر ولا هو من قصور العين وعجزها عن ادراكهِ على ما هو عليهِ ولكن ان كان ثمّة خطأ في العين فهو انها تراهُ اعظم مما هو بما تبصر حولهُ من الاشعة التي يعظم بها جرمهُ ولا وجود لها في الحقيقة لانك لو نظرت اليهِ بآلةٍ من الآلات المعظمة لظهر لك مجرداً من تلك الاشعة وكلما ازدادت قوة المعظمة تقلص جرمهُ واجتمع حتى يبقى نقطةً هندسية . ومن هنا تعلم ان تلك الاشعة ليست من النجم وانما هي من بلورية العين نفسها وهي شُعَبٌ منها تنتشر من مركزها الى المحيط متخللةً بين الياف النسيج المحيط بها كما يظهر لك من صورتها المرسومة في هذا الموضع . وعدد هذه الشُعب يختلف بين السبعة والعشرة وكلما ضعف البصر كانت تلك الاشعة اقوى حتى ان الاحسر وهو القصير النظر يرى النجم اشبه بشعلةٍ كبيرة ويرى المصباح عن بعد كأنهُ ترسٌ من نار


صورة بلورية العين

وقريبٌ من هذا ما اذا رسمت صورتين بقياسٍ واحد احداهما بيضآء على سطحٍ اسود والاخرى بالعكس كالمربَّعين المرسومين في الشكل فانك ترى المربع الابيض اكبر من الاسود مع انك لو قستهما لم تجد بينهما فرقاً وسبب ذلك قوّة تأثير البياض على شبكيَّة العين حتى يطغى عن جوانب الشبح المرتسم عليها على حدّ ما يحدث على الصفيحة الحساسة في التصوير الشمسي اذا أُخذ عليها رسم شبحٍ شديد الضيآء.

ش١

ومن غريب كذب البصر انك اذا رسمت خطين في طولٍ واحد احدهما افقيٌّ والآخر عموديٌّ عليهِ او رسمت شكلاً مستطيلاً على خطٍ افقيٍ كذلك على نحو ما ترى في الشكل الثاني ظهر لك ان الخط العموديّ اطول من الافقي . وسببهُ فيما ذكروا ان ادراك الاقطار الافقية اسرع واقلّ كلفةً على البصر من ادراك الاقطار العمودية فان الاولى تُدرَك من اول نظرة وترتسم على الشبكية دفعةً واحدةً وبخلافها الثانية فان العين لا تستتمّ ادراكها الاّ بعد تصعيد النظر وتصويبهِ فكأنها ترتسم فيها اجزآء فيتوهم الناظر انها اطول مما هي عليهِ . ويظهر لك مصداق ذلك مما اذا رسمت مربعاً قائم الزوايا مسيَّراً بخطوطٍ افقية كما في الشكل الثالث فانك

ش٢

ش٣

تراهُ مستطيلاً من الاسفل الى الاعلى بخلاف ما اذا املتهُ على قطرهِ الآخر ولا يظهر لذلك سببٌ الّا ما ذكر من التجزُّؤ في قطرهِ العمودي الاّ ان هذا التجزُّؤ هنا حسيٌّ وهو في المثالين السابقين وهميّ

وهناك صوَرٌ واشكالٌ شتى يغلط فيها البصر منها ما تراهُ في الشكل الرابع فان المسافة التي بين (ا) و(ج) تظهر اطول من التي بين (ب) و(د) وكذا ما بين (د) و(و) وبين (ج) و(ه) وهلمَّ جرًّا مع انك لو قست هذه المسافات لوجدتها واحدة من الطرفين والخطوط متآزية تمام التآزي ولكن كل واحدٍ منها بما رُسم عليهِ من الخطوط المنحرفة كانهُ يميل الى العمودية على تلك الخطوط فينحرف الى عكس الجهة التي انحرفت اليها

ومن ذلك ما تراهُ في الشكل الخامس وهو انك اذا رسمت خطاً افقياً بين خطين اطول منهُ يظهر لك اطول مما اذا رسمتهُ بين خطين اقصر منهُ وذلك لان العين تنظر الى مجموع الخطوط الثلاثة فتتوهم خروج الاوسط مع الخطين الاطولين وتَراجُعَهُ الى الوسط مع الاقصرين . ومثل ذلك ما اذا رسمت الخط نفسهُ على الهيئة التي في الشكل السادس فانك ترى الاول اطول من الثاني بالعلة نفسها

ومن الامثلة في هذا الباب ما تراهُ من خط النور المنسحب على أثر انقضاض الشهب وان هو الا رسم نقطٍ متتابعة تتصل في العين فتراها خطاً واحداً ومثلهُ ما ترى من الدائرة النارية التي يرسمها طرف العود المشتعل اذا دُوِّر في اليد وعلى هذا بُني ما يُسمى بالصور المتحركة على ما تكلمنا فيهِ غير مرة . ومن ذلك ان المسافر في سكة الحديد يرى الارض والاشجار تجاري عن جانبيهِ وتدور الى خلفهِ ويرى الرجلَ او الدابةَ يمشي الى عكس جهة القطار فيرى حركة قوائمهِ الى الامام وحركة عامةً جسمهِ الى الوراء والامثلة في ذلك اكثر من ان تحصى فتبارك من تنزَّه عن الزيغ والخطأ وهو الهادي الى سوآء السبيل

طرق استحمام الاطفال ونظافتهم

لحضرة الدكتور محمد عشماوي الحكيم مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

ذكرنا في رسالتنا السابقة الصادرة في العدد الاول من مجلة الضياء الاغر الاضرار الناتجة من عدم استحمام الاطفال واهمال نظافتهم والامراض المتولدة من امر هذا الاهمال ووعدنا بان نأتي على طرق استحمام الاطفال من يوم ولادتهم ووسائط نظافتهم ثم الوسائل الصحية اللازمة التي تقي الاطفال من الاصابة بالداء الزهري وهذا اوان وفاء هذا الوعد فنقول

متى وُلد الطفل فبعد اتمام الاهتمامات اللازمة لهُ حال الولادة وربط الحبل السُّرّي ربطاً قانونياً يلزم اضجاعهُ على مرتبةٍ او فراش نظيف ناعم

ويلفّ بلفافةٍ ناعمة حتى يكون دافئاً و يُستحضَر له حمام من مآء فاتر لغسل جسمهِ . وقبل الاستحمام يلزم ان يُدهَن جسمهُ بزيت الزيتون النقي او زيت اللوز الحلو وخصوصاً مثاني الجلد الطبيعية كالابط وما بين الفخذين والاليتين والمأبضين اي باطن الركبتين لاذابة المادة الدهنية المغطية لاجسام الاطفال المولودين حديثاً وسهولة ازالتها

ويبتدأ بغسل العينين اولاً اما بقطعة قطن طبي او بقطعة شاش جديد خالٍ من النشآء ناعم ثم يُغسل الجسم بقطعة اسفنجة ناعمة او بقطعة شاش كالسابقة مُرغًى عليها بالصابون البسيط بمقدارٍ كافٍ و بعد تمام استحمام الطفل على هذه الصورة يزال ما على جسمهِ من الصابون بمسحهِ بالاسفنجة بعد عصرها وبعد ذلك يلفّ في مناشف ناعمة تُدفأ على النار تدفئةً خفيفة ويُجفّف جسمهُ جيداً حتى لا يُترَك فيهِ اثر ابتلال ولا رطوبة ثم يُدثَّر الطفل بملابسهِ الخصوصية بعد تدفئتها ايضاً ويلزم ان تكون واسعة نظيفة ناعمة ملائمة لجسمهِ بحيث لا تضغط على اعضآئهِ ولا يلفّ فوقها بالاقمطة كالطريقة المتبعة في مصر التي فيها يُشدّ على جسم الطفل وذراعيهِ حتى يصير جسمهُ شبه عصا فهذا من اشدّ الاضرار لانهُ مما يعوق التنفُّس ويقف في طريق نموّ الجسم ويكون سبباً لدخول الحشرات في أثنآء هذه اللفائف وتراكم الاوساخ تحتها . وبعد استحمام الطفل على الطريقة السابقة بكل سرعة حتى لا يتعرّض لتعرية جسمهِ مدةً مستطيلة وتدثيرهِ بملابسهِ يلقى على فراشهِ لكي ينام ويستريح

ويحترس الاحتراس التامّ من استحمام الطفل في محلٍّ تكون نوافذهُ

مفتوحة او في محلٍّ باردٍ كما ينبغي الاحتراس التامّ من صبّ المآء على رأسهِ من بلبُل (بزبوز) ابريق كما يفعل البعض لان هذا قد يكون سبباً في اختناقهِ وازهاق روحهِ

ثم يداوَم على استحمام الطفل ونظافتهِ بالطرق الآتية

اما الاستحمام فينبغي ان يكون كل يوم دفعتين صباحاً ومسآء او دفعةً واحدة على الاقل يومياً في الصباح . وهو اما ان يكون في حمّام من الزنك او في طستٍ يحتوي على مآء فاتر بحيث اذا غُمست اليد فيهِ شعرت بانهُ أعلى من درجة حرارة الجسم بقليل . وهذا الحمام يُغمَر فيهِ الطفل ما عدا رأسهُ ويُغسل جسمهُ باسفنجةٍ ناعمة او قطعة شاش ناعمة مرغّى عليها بالصابون البسيط كما اسلفنا وبعد نهاية الاستحمام يلزم تجفيف جسمهِ بمناشف ناعمة قد دُفّئت على حرارة النار قليلاً كما تقدم شرحهُ ويحسن ان يدلك جسم الطفل دلكاً لطيفاً بعد الاستحمام ثم يُلبَس ملابسهُ

ومع المداومة على ذلك من المفيد تنقيص درجة حرارة الحمام شيئاً فشيئاً بحسب تحمُّل بنية الطفل بحيث لا ينزعج من هذا العمل . ويتوصل لتنقيص درجة حرارة الحمام الفاتر بالتدريج باضافة المآء البارد عليهِ بعد وضع الطفل فيهِ شيئاً فشيئاً حتى اذا ناهز الطفل الشهر الخامس او السادس اي اذا بلغ طور التسنين الاول امكن تدريجياً ان يوضع في حمام بارد اي درجة حرارتهِ عاديَّة وخصوصاً في فصل الصيف

هذه هي طريقة الاستحمام العام للاطفال واما مداومة نظافة اجزاء بدن الطفل فتكون بالطريقة الآتية

اولاً (نظافة العينين) يلزم تنظيف العينين كلما شوهد فيهما اثر للوسخ وخصوصاً ما يتجمع في الموقين من الرَمَص وهو الوسخ الابيض المتجمد وما يتجمع من ذلك في الاهداب وكذا ما يقع في العين من الغبار او القذى او ما شابه ذلك . ويكون غسل الاعين بقطعة قطن طبي او شاش نظيف جديد ناعم بماء فاتر ولا باس ان يرغى عليها بالصابون البسيط ارغاء خفيفاً لكن يحترس من دخول الصابون وملامسته المقلة بحيث يهيج العين ويؤلمها وافضل من ذلك غسل العينين بمحلول حامض البوريك ويمكن استحضار هذا المحلول استحضاراً منزلياً بان يوضع في زجاجة كبيرة تسع خمسة ألتار نصف كيلوجرام من حامض البوريك المتبلور او المسحوق ثم تملأ الزجاجة بالماء المقطر وتترك مدةً حتى يذيب الماء من حامض البوريك مقدار ثلاثة الى اربعة في المائة وعند استعماله يصفى من الزجاجة ويزاد الماء الذي فيها كلما نقص الى ان يتمّ ذوبان الملح ثم يجدَّد

ولا بد من غسل عيون الاطفال في اليوم الواحد اربع دفعات على الاقل ويحترس الاحتراس التام من وضع الكحل او مواد مهيجة في العين كما يفعل بعض القابلات مما يحدث فيهما ضروباً متنوعة من الرمد

ثانياً (نظافة الاذنين) فانه كثيراً ما لا يلتفت الى تنظيف آذان الاطفال فتتراكم فيها الاوساخ ومنهم من يضع فيها موادّ تتعفن وينشأ عنها اوساخ تكون مجلبةً للحشرات ولاجل منع ذلك يجب الاعتناء التام بنظافتها وذلك ان مجارتي الاذنين (الصيوانين) لما كانتا كثيرتي التعاريج كانتا معرَّضتين لان تجمع فيهما الاوساخ ولذا يلزم غسلهما من الظاهر فقط اما

باطن المحارة اي الصيوان فينظف بقطعةٍ من القطن الطبي مغموسة في المآء الفاتر او قطعة من الشاش الناعم النظيف مع الاحتراس من دخول المآء في القنوات السمعية . واما داخل الاذن فينبغي ان لا يمسّ بشيء مطلقاً الا اذا ظهر هنالك التهاب او تقيح او ظهر من الطفل علامات تألم من داخل الاذن فيجب في هذه الاحوال عرضهُ على الطبيب واما صملاخ الاذن وهو الوسخ الذي يخرج من القنوات السمعية على هيئة مادة صفراء فيلزم تنظيفهُ بالطريقة السابقة وبعد ذلك يجب تنشيف الاذن من البلل

ثالثاً (نظافة الانف والحفر الانفية) اما نظافة الانف من الظاهر فسهلةٌ للغاية واما الحفر الانفية عند الاطفال فيتكون عادةً على جدرانها قشور سنجابية من المادة المخاطية المتجمدة وهذه قد تكون ملتصقة فما كان منها يخرج من الحفر الانفية من نفسهِ يجب رفعهُ بسهولة وما كان منها داخل الانف او ملتصقاً بجدران الحفر الانفية فلا ينبغي جذبهُ لئلا تحدث تسلخات في الغشاء المخاطي للحفر الانفية عسرة الشفاء واما اذا شوهد تراكمها داخل الحفر الانفية ومضايقتها لتنفس الطفل فيلزم تليينها بالمآء الدافئ المضاف عليهِ قليل من ملح الطعام بنحو شعرية (فرشة) او قطعة قطن ملفوفة على عودٍ دقيق وبعد لينها تنفصل وتخرج وعند سيلان مواد مخاطية من الانف لا ينبغي تركها بالقرب من الفم بل ترفع وينظف موضعها في الحال

رابعاً (نظافة الفم) وذلك ان الطفل الحديث العهد بالولادة قد يوجد في فمهِ مواد مخاطية ورُغوية فيلزم ازالتها بمسح الفم من الباطن بقطعة شاش لينة جديدة مغموسة في مآء فاتر . ثم انهُ ينبغي غسل الفم بعد كل رضاعة

بقطعة شاش بهذه الصفة ايضاً حتى ان بقايا اللبن لا تختمر وتتعفن في الفم وتحدث التهابات فية ولا يجوز ان تكون القطعة الشاش المستعملة متحملة لكثير من المآء خشية نفوذ المآء من الحنجرة وقت العمل بل ينبغي عصرها عصراً كافياً . ولا ينبغي للامهات او المراضع ان يتركنَ اثدآءهنَّ في افواه ابنآئهنَّ وهنَّ نيام اذ هذا قد يكون سبباً في هلاك الاطفال اما من دخول اللبن في الحنجرة او من سد الفم والحفر الانفية بجرم الثدي وقد تسيل بقايا اللبن في الفم بعد ترك الطفل للثدي وهذا خطأ واضح

ويحترس جيداً من وضع ايدي الاطفال في افواههم لانها قد تكون وسخة او ذات اظافر حادة تسلخ الفم ومن عادة الاطفال عند وصولهم الى الشهر الثالث فما بعدهُ انهم كلما وجدوا شيئاً يوجهونهُ الى افواههم وهذا من اشد الخطر عليهم لان هذه المواد لا تخلو من ان تحمل شيئاً من الاوساخ او جراثيم الامراض المعدية او تكون من الاشيآء السامة فتودي بحياتهم ولا ينبغي وضع اصابع الغير في فم الطفل ما لم تكن نظيفة وعند وجود داعٍ موجب لذلك

خامساً (نظافة فروة الرأس) فانها كثيراً ما تكون بعد الولادة مغطاة بقشور سمرآء ملتصقة بجلد الجمجمة والشعر الوبري فهذه لا ينبغي الاهتمام بها كثيراً وتنفصل مع المداومة على الاستحمام بالطريقة السالفة وان لم تنفصل فلا بأس من دهنها بزيت الزيتون او زيت اللوز الحلو والجليسرين النقي او الفازلين حتى تلين وتنفصل

سادساً (نظافة المذابن اي المطاوي الجلدية) وهي المطاوي التي خلف

الاذنين ومنابن المنق والابطين والمرفقين والبطن والاربيتين وما بين الفخذين والاليتين والمأبضين فهذه كلها بعد المداومة على استحمام الاطفال ونظافتهم بالطرق السابقة ينبغي تفقدها على الخصوص فاذا وجد فيها اوساخ في مدى الاربع والعشرين ساعة يلزم تنظيفها بالماء الفاتر كما اسلفنا وبعد تنشيفها جيداً يذرّ عليها مسحوق الارزّ الناعم جدًا او مسحوق النشاء الناعم ايضاً لمنع احتكاك جلد هذه المطاوي الرقيق وتسلخها . ويحترس الاحتراس التام من وضع مسحوق الاسفيداج وهو مركب رصاصي او مسحوق السيلقون وهو مركب زئبقي فان هذه المركبات كثيراً ما يضعها الجهلة في هذه الاماكن الرقيقة الجلد حتى مع تسلخها فتكون من اشدّ السموم فضلاً عن تهيج الجلد بها وظهور طفحات جلدية منها مؤلمة تكون عائقة لنموّ الطفل

سابعاً (نظافة الايدي) وهي من الواجبات المهمة وكذلك تقليم الاظافر كلما طالت لانهُ كثيراً ما يحدث بها الاطفال تسلخاتٍ في وجوههم واعينهم وافواههم فضلاً عن الاوساخ التي تتراكم تحتها . ويحترس جيداً عند تقليم الاظافر من حدوث جروح في اطراف الانامل فانها قد تؤدي الى خطرٍ عظيم

ثامناً (ملاحظة ملابس الطفل) تختلف ملابس الطفل بالنسبة الى ثروة اهله وافضل الملابس هي التي تكون من نوع الفلانلة الناعمة وعلى العموم ينبغي ان تكون ملابسهُ واسعة لينة ولا يكون فيها حافات حادّة ولا تكون مشدودة على اعضائهِ حتى تضايقهُ بل يلزم ان تكون اعضآؤهُ حرة

يحركها كيف شاء لان هذا مما يساعد على نموّهِ • ويلزم استبدال ملابس الطفل بعد كل استحمام وعلى ذلك يلزم ان تكون نظيفة وعلى كل حال يلزم استبدالها كلما لحقها شيء من الموادّ والرطوبات الفضلية

واذا عوّد الطفل لبس القلنسوة (الطاقية) يلزم ان تكون خفيفة نظيفة من نسيج ليّن وزناقها يلزم ان يكون شريطاً ليناً ناعماً خشية ان يحتك بعنق الطفل ويسلّخهُ والا فلا بأس ان يترك عاري الرأس الى ان يكبر ويستغني عن الزناق • واذا أُلبس جوارب يلزم ان تكون نظيفة ورباطها مرخى خشية ان يعوق دورة الساق

ومتى كبر الطفل على هذا المنوال وبلغ سن السنة فلا بأس من الاقتصار على استحمامهِ ثلاث دفعات في الاسبوع مع المداومة على نظافة اجزاء بدنهِ كما اسلفنا ومتى صار يأكل يلزم وضع فوطة على صدرهِ حتى لا تتناثر الاطعمة على صدرهِ وملابسهِ وتوسخها وعقب الاكل يلزم غسل فمهِ ويديهِ وتنشيفهما جيداً

تاسعاً (فراش الطفل) فراش الطفل يلزم ان يكون ليناً ناعماً نظيفاً ومن الحسن ان يوضع عليهِ مشمع طري مغشى بطبقة من الفلانلة تغير كلما تلوثت ويغسل المشمع بالصابون والعادة ان ينام الطفل في حضن والدتهِ او مرضعهِ او في سرير خصوصي فينبغي في كل حال ان يكون تنفسهُ حرًّا وكذلك حركات اعضائهِ كلها بحيث لا يُضغط عليهِ في شيء من ذلك كما قدمناهُ قبيل هذا • واما طرق وقاية الاطفال من الاصابة بالداء الزهري فسنتكلم عليها في الجزء التالي ان شاء الله

عدد السبعة

لحضرة الفاضل ميخائيل افندي اسطبولية في دمشق

كنت قديماً قد قرأت في بعض كتب اللغة ان العرب اذا عدّوا لم يعطفوا الى السبعة فاذا ذكروها عطفوا الثمانية فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية ايذاناً بان السبعة عدد تامّ وما بعدها عدد مستأنف واستشهدوا على ذلك بقوله في سورة الكهف سبعةٌ وثامنهم كلبهم . فاستغربت لاول وهلةٍ هذا الذي قرأتهُ ثم حدتني الرغبة في الوقوف على الصحيح ان انقب عن اسباب هذه الخاصية التي ذكروها لعدد السبعة فاذا لهُ في التاريخ والمعتقد شواهد لا تحصى واذا الشعوب عامةً على اختلاف صبغتهم وتباين مذاهبهم من سكان المدن واهل البوادي قد آثروا هذا العدد بالمزية ونسبوا اليهِ اليمن والبركة بحيث كان لا يخلو منهُ معدودٌ عندهم وجوديّاً كان او مخترعاً حتى شمل مصطلحاتهم في انواع المعيشة والعادات والحروب والفنون والعلوم وسائر احوالهم الدينية والمدنية مما يقف عندهُ المتأمل وقفة الحائر المتعجب . وانا ذاكرٌ على الاثر شواهدهُ في العقائد الدينية وفي خلال ذلك وما بعدهُ اورد شيئاً من هذه الشواهد في ما خلا الدين فاقول

من شواهدهِ في الوثنية — عند المصريين تقسيمهم مصر الى سبعة اقسام وانقسامهم الى سبع فرق وجعلهم للنيل سبعة مصابّ وللاهرام سبع غرف وكان لثبية سبعة ابواب على كلٍّ منها اسم احد السيارات السبع وكانوا في الشتاء يطوّفون البقرة المقدسة سبع مرات حول الهيكل ويخصصون سبعة

ايام لاخذ طالع مولد العجل آبيس ويعيدون لهُ سبعة ايام ايضاً

قال التلمساني كان من بعض اصطلاح ملوك القبط في مصر يوم النيروز ان يدخل رجلٌ على الملك ومعهُ طبقٌ من فضة وفيهِ سبعة اشيآء حنطة وشعير وجلبان وذُرَة وحِمَّص وسمسم وارزٌ من كلٍّ سبع سنابل وسبع حبات

وعند اليونان والرومان اعتياد اهل اسبرطة واثينا ان يتركوا الاطفال بين ايدي النسآء الى السنة السابعة من اعمارهم . واضطرار اهل اثينا الى ارسال سبعة غلمان وسبع بنات الى جزيرة كريت ليكونوا طعاماً فيما قالوا للحوت منوتور . ومنها حرب السبعة الرؤسآء امام مدينة ثيبة وحرب اولادهم السبعة المدعوين ايكون . وان اوميروس الشاعر الّف كتاباً سماهُ العنز المجزوزة سبع مرات . وترياندر صنع قيثارة ذات سبعة اوتار . وان حية ذات سبعة اروُس كانت كلما قُطع لها رأسٌ ظهر خلافهُ حتى جآء هركول وقطع السبعة الاروُس دفعةً واحدةً فقتل الحية وغير ذلك

وعند الفرس قولهم بسبعة ارواح تؤلف تبعة هرمز وعلى ذلك كان للملك عندهم سبعة مستشارين وسبعة وزرآء وسبعة امرآء وللملكة استير سبع نسآء يخدمنها وكانت بيوت النار عندهم سبعة على اسمآء السيارات السبع واعياد ادونيس سبعة ايام

قال التلمساني كان العجم في ايام نيروزهم يجمعون سبع سينات ويأكلونها وهي السكر والسمسم والسميذ والسفرجل والسماق والسذاب والسقنقور

وعند اليابان اعتقادهم بسبعة ارواح سماوية ومثلهم اهل مدغسكر وفي تنكين من الصين سبعة تماثيل يسمونها سماوية وللهند هيكل ذو سبعة معابد وهم يقولون ان الاله فشنو واخوته كانوا سبعة مُسخوا افراساً سبع مرات

واما شواهد اليهودية فحدث عنها ولا حرج واول ما يمرّ بقارئ التوراة منها ان الله خلق الدنيا في ستة ايام واستراح في السابع وقول الله من قتل قاين فسبعة اضعاف يقاد بهِ واما قاتل لامك فسبعين مرة سبع مرات . ولما همّ نوح ان يدخل الفلك أُوعز اليهِ ان يحمل فيه من جميع البهائم الطاهرة سبعةً سبعةً ومثلها من طير السماء وبعد سبعة ايام من دخولهِ الفلك انفتحت ميازيب السماء ثم استقرّ الفلك على جبل اراراط في الشهر السابع بعد الطوفان وبعد سبعة ايام من اطلاق الحمامة اول مرة عاد فاطلقها ثانيةً وبعد ما عادت اليهِ انتظر سبعة ايام اخر ثم اطلقها فلم تعد

ومنها ان يعقوب خدم خالهُ لابان مرتين سبع سنين حتى زوّجهُ ابنتيهِ ليئة وراحيل ولما عاد الى بيت ابيهِ ورأى اخاهُ عيسو قادماً عليهِ تقدم وسجد سبع مرات حتى دنا منهُ . وفي حلم فرعون سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف وسبع سنابل سمان وسبع سنابل دقاق المفسرة بسبع سنوات خصب وسبع سنوات قحط ولما مات يعقوب بكى عليهِ المصريون سبعين يوماً عشر مرات سبعة ايام . ومنها وصية الله الآمرة بزرع الارض ست سنين وتركها في السابعة واستخدام العبد العبراني ست سنين واعتاقهِ في السابعة وسقوط اسوار اريحا بعد طواف يشوع بها سبع مرات في سبعة كهنة ينفخون في سبعة ابواق وهلمَّ جرًّا

واما في النصرانية فمنها في الانجيل تقسيم الاجيال من ابراهيم الى داود الى جلاء بابل الى المسيح مرتين سبعة اي اربعة عشر جيلاً . واشباع المسيح اربعة آلاف رجل بسبعة ارغفة رُفع من فضلاتها سبعة سلال مملوءة وحكاية الرجال السبعة الذين تزوّجوا بامرأةٍ واحدة وقولهُ ان الشيطان اذا خرج سيرجع بسبعة ارواح شرٍّ منهُ ووصيتهُ تعالى بمسامحة المذنب لا سبع مرات بل سبعين مرة سبع مرات

قال كبريانوس ان بولس الرسول قد نوّه بمزية هذا العدد ولذلك كتب الى سبع كنائس . وقد تكرّر هذا العدد كثيراً في سفر الرؤيا فجآء فيهِ سبع كنائس وسبعة ارواح وسبع منائر من ذهب وسبعة اختام وسبعة قرون للحمل وسبع اعين وسبعة ملائكة وسبعة ابواق وسبعة رعود وسبعة آلاف رجل سقطوا وسبعة ارؤس للتنين وسبعة جامات من ذهب الى آخر ما هنالك مما يطول استقصآؤهُ

وفي الجاهلية تقسيم العرب في الانساب الى سبع طوائف الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة . وانقسامهم الى عرب عاربة وعرب مستعربة من الاولى سبع قبائل يسمونها البائدة وهي عاد وثمود واخواتهما ومن قبيلة عاد لقمان الذي تزعم العرب انهُ اتخذ سبعة أنسُر عاش عمرها كلما هلك نسر اتخذ آخر مكانهُ في حديثٍ لا موضع لهُ هنا ومنها عادة بعض الملوك ان تمدّ بينهم وبين الشعرآء حين ينشدونهم قصائدهم سبعة ستور كما رُوي في قصة النعمان مع الحارث بن حلزة . وتقسيمهم القصائد الى سبع معلقات وسبع مجمهرات وسبع مذهبات واجتماعهم اذا

ارادوا المقامرة على بعيرٍ يقسمونهُ الى اربع سبعات ثمانية وعشرين قسماً يتساهمون عليها بعشرة سهام الفائز منها سبعة فقط · وعدد ايام برد العجوز سبعة وهي المعروفة بالمستقرضات واطلاقهم لفظ القصيدة على ما يتجاوز سبعة ابيات في المشهور وجعلهم الكلمة في لغتهم اذا زيدت لا تتجاوز سبعة احرف وهلمَّ جرًّا مما لا استقصي فيهِ (ستأتي البقية)

مطالعات

﴿ علاج الكلب ﴾

نشرت مجلة الكسموس من عهدٍ قريب صورة كتاب من احد المرسلين الدينيين بالبنغال الشرقية يصف فيهِ طريقةً لاهل الهند تقي من حدوث الكلَب والكتاب المذكور من تاريخ ٣ يونيو سنة ١٨٨٩ قصدت من نشرهِ النكتة العلمية والمقابلة بين الطريقة المشار اليها وطريقة بستور فآثرنا نقلهُ في هذا الموضع على رجآء الانتفاع بتلك الطريقة الى ان يتسنى لحكومة القطر انشآء مستشفى خاصٍ بهذه العلة وهذا محصل ما في الكتاب المذكور قال

بينا انا في بارَمباي عند صديقٍ لي اذا بكلبةٍ كَلِبة قد عقرت ستة او سبعة اشخاص فجرحتهم جراحاً بالغة فهالني ما رأيت من ذلك المشهد واشرت عليهم للحال ان يعجلوا باحمآء قِطَع من الحديد الى ان تبلغ درجة البياض ويكووا بها مواضع العقر اتقآء لحدوث الكلَب · فنظروا اليَّ ضاحكين

وقالوا لا حاجة الى ذلك فان عندنا علاجاً ايسر واضمن لحصول الشفآء ثم نهض احدهم فجرى في اثر الكلبة حتى ادركها بضربة عصاً فقتلها في مكانها وقام آخر فشقّ جوفها واخرج كبدها وهي تختلج فقطع منها قطعاً صغاراً وناول كل واحدٍ من المعقورين قطعةً فأكلوا تلك القطع نيئةً والدم يسيل منها فلما اكلوها قالوا الآن لم يبقَ عليهم ادنى خطر

ومع تاكيدهم لي حصول الشفآء بهذه الطريقة بقيت مرتاباً في صحتها والححت بوجوب الكيّ فأتوني برجلٍ قد عُمّر من قبل فكشف عن ساقهِ وأراني عدة آثار لأنياب كلبٍ كَلِبٍ كانْ قد عضهُ منذ خمس سنوات فاكل قطعةً داميةً من كبد الكلب نفسهِ فلم يعقب جراحهُ اقلّ سوء

قال وكان الحادث الذي شهدتهُ في اواخر شهر مارس ونحن اليوم في اوائل يوليو وقد برئت جراح اولئك المعقورين وكلهم على تمام العافية . اه

قلنا ولعلّ الكثيرين ممن يطلعون على هذا النبأ يستغربون الامر ويعدّونهُ ضرباً من الخرافة ولكن لا ينبغي ان يُتعجل الانكار قبل البحث فان من عرف ان ترياق سمّ الافعى في دمها كما ان اكثر السوامّ من الحيوان والنبات ترياقها منها على ما تقدّم شرحهُ في البيان (صفحة ٣٧٦ و ٤٣٥) لم يستبعد ان يكون في دم الكلب الكلب ما يمنع من السمّ الدائر فيه والتجربة اعظم كاشف

اللبن في غذآء الطير

جآء في بعض المجلاّت الالمانية ان اللبن في جميع حالاتهِ يوافق غذآء

الطير ولا سيما البيوض من الدجاج فاذا طُرح لها مخيض اللبن الباقي بعد استخراج السمن نتج عنهُ ربحٌ اعظم مما لو ادُّخر لأي استعمالٍ كان لانهُ يزيد في غلة البيض ويسمّن الدجاج ويغنيها عن طلب الماء وما فيهِ من الملوحة اليسيرة يكون لهُ فيها نفعٌ عظيم . قالت وقد ظهر بالامتحان ان الدجاج تميل اليهِ ميلاً شديداً حتى انها بعد ايامٍ كانت تتناولهُ بشرهٍ عظيم

مُتَفَرِّقَات

سيّار جديد — لهجت المجلاّت والمجامع العلمية في هذه الايام بالسيّار الجديد الذي اكتشفهُ المسيو وِيت الفلكي في مرصد برلين في الليلة الواقعة بين ٢٣ و ٢٤ اوغسطس الماضي وهو سيّار صغير يُرَى بين القدر العاشر والحادي عشر وليس من السيّارة الصغرى التي بين فلكي المرّيخ والمشتري ولكن موضعهُ بين فلك الارض وفلك المريخ ومعدَّل بعدهِ عن الارض نحو ثلاثة عشر الف الف ميل وهي نحو ستين مرة من بُعد القمر عن الارض ونحو سُبع المسافة بين الارض والشمس . اما قطرهُ فيقدّر بنحو ستة اميال او فوق ذلك قليلا وهو يدور حول الشمس لا حول الارض فيُعدّ من السيّارة لا من الاقمار وسيكون عن اكتشافهِ فوائد جمة في تحقيق مسافات الاجرام الشمسية ولا سيما في قياس بعد الشمس عن الارض

اسئلة واجوبتها

مصر — يظهر على وجوه الفتيان بثورٌ مؤلمة صعبة الزوال وهي المعروفة بحبّ الصبآء . فما سبب هذه البثور وكيف تعالج ع . د

الجواب — هذه البثور تنشأ عن تهيج الحويصلات الدهنية في الجلد لعلةٍ مزاجية واكثر ما تعرض للشبان وتستعصي احياناً فلا تزول الا مع السنّ . وهي انواعٌ منها البسيطة وتكون بيضآء او الى الحمرة تخرج بالجبهة والذقن وجانبي الانف وعلاجها ان تُدهَن بالموادّ القابضة كمحلول الشبّ المُشبَع ومحلول البورق ومحلول صبغة الجاوي ومجهزات الكبريت على انواعها . ومنها ما تكون منقطةً بالسواد وهي تخرج على جانبي الانف وتعالج بدهنها عدة مرات في اليوم بمحلول مُشبَع من بيكربونات الصودا في المآء الحارّ حتى يذهب اثرها بتمامهِ ثم تُدهَن بالكحل (السبيرتو) الصرف . واما البثور الصلبة فتقتضي علاجاً مخصوصاً فلا بدّ فيها من مراجعة الطبيب

آثار ادبيّة

الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث — اهديت لنا نسخةً من الجزء الاول من هذا الكتاب لحضرة الفاضل الالمعي ميخائيل شاروبيم بك رئيس النيابة العمومية في محكمة المنصورة الاهلية سابقاً ومفتش في نظارة المالية الجليلة حالاً فتصفحناهُ فاذا هو سفرٌ جليل الفائدة حسن

التنسيق افتتحهُ بخطبةٍ انيقة الوضع رشيقة السجع قد جمعت بين حاشيتي الفصاحة والبلاغة وصيغت على قالب البيان والايجاز احسن صياغة وعقّب على اثرها بمقدّمةٍ ذكر فيها فضل التأريخ وادب المؤرخ وما ينبغي ان يراعيهُ في التعبير من التجافي عن الاغراب والايغال والترفع عن الركاكة والابتذال فجلّى عن الصواب بعبارةٍ بليغة الاساليب جزلة التراكيب حريةٍ بان تكون دستوراً يُنتهى اليهِ وحكماً لا يُعقّب عليهِ

وقد ابتدأ التأريخ بذكر اول من دخل مصر من ابناء نوح عليهِ السلام ثم جاء بذكر طبقات ملوك مصر الثلاث من الفراعنة الاولين فنسقهم واحداً واحداً ثم سرد من تعاقب بعدهم من ملوك الفرس والفراعنة المتأخرين ومن تلاهم من الفرس الثانية والمكدونيين والبطالسة والقياصرة الى الملك هرقل وهو آخر من ذُكر في هذا الجزء وختمهُ بتمهيد لما سيجيءُ بعدهُ من الفتح الاسلامي واضمحلال دول الروم وكل ذلك بعبارة موجزة اللفظ سهلة المفهوم فنثني عليهِ بما يستحق عناؤهُ في تأليف هذا الكتاب ونسأل لهُ التوفيق الى اتمامهِ افادةً للطلاب

المنار — وردنا الجزء الاول من جريدة بهذا العنوان تطبع في مدينة بيروت وهي جريدة دينية علمية اخبارية صاحب امتيازها حضرة الفاضل الشماس ارسانيوس الحداد ومديرها ورئيس تحريرها حضرة الاستاذ البارع الشيخ رشيد نفاع وهي تصدر مرة في الاسبوع وقيمة اشتراكها ريالان مجيديان في بيروت ولبنان مع اضافة اجرة البريد في الخارج فنتمنى لها النجاح

فكاهات

رواية

العدل اساس الملك (1)

وهي رواية تاريخية حدثت في عهد الملك هنريكس الرابع احد ملوك انكلترا في اواخر القرن الرابع عشر وكان ارتقآء هذا الملك الى السرير على اثر الفتن الداخلية المعروفة بحرب الوردتين وكان كبير وزرآئهِ اذ ذاك المركيز سالسبري احد دُهاة السياسة ودهاقنتها المعدودين . فلما سكنت نائرة الفتنة جعل هذا الوزير همهُ في تدارك ما اختلّ من احوال المملكة واصلاح امور الاحكام وتوطيد السلام على امتن قواعدهِ . وكان الملك من ارباب الورع والصلاح فكان يقضي اكثر اوقاتهِ في العبادات والصلوات لانهُ رأى من حزم وزيره وحصافة عقلهِ ما كفاهُ مؤونة الاهتمام باحوال الملك فوكل اليهِ امر السياسة والاحكام واطلق يدهُ في العقد والحل بما يرشدهُ اليهِ رأيهُ . فنهض بما فوّض اليهِ اتم نهوض ولم يمضِ عليهِ الا يسير زمنٍ حتى اصبحت انكلترا كانها سلسلةٌ واحدة تنقاد باسرها التدبير ذلك الحازم وتجري على ما سنّ لها من القوانين

وكان اول شيء اهتمّ بهِ امر الشرطة ليتكمن بهم من البحث عن العائثين في البلاد وقطع دابر الثوّار واصحاب الدسائس ثم عكف على ترتيب

(1) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

عدد السبعة

لحضرة الفاضل ميخائيل افندي اسطنبولية في دمشق

كنت قديماً قد قرأت في بعض كتب اللغة ان العرب اذا عدّوا لم يعطفوا الى السبعة فاذا ذكروها عطفوا الثمانية فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية ايذاناً بان السبعة عدد تامّ وما بعدها عدد مستأنف واستشهدوا على ذلك بقوله في سورة الكهف سبعةٌ وثامنهم كلبهم . فاستغربت لاول وهلةٍ هذا الذي قرأتهُ ثم حدتني الرغبة في الوقوف على الصحيح ان انقّب عن اسباب هذه الخاصية التي ذكروها لعدد السبعة فاذا لهُ في التاريخ والمعتقد شواهد لا تحصى واذا الشعوب عامةً على اختلاف صبغتهم وتباين مذاهبهم من سكان المدن واهل البوادي قد آثروا هذا العدد بالمزية ونسبوا اليهِ اليمن والبركة بحيث كان لا يخلو منهُ معدودٌ عندهم وجوديًا كان او مخترعاً حتى شمل مصطلحاتهم في انواع المعيشة والعادات والحروب والفنون والعلوم وسائر احوالهم الدينية والمدنية مما يقف عندهُ المتأمل وقفة الحائر المتعجب . وانا ذاكرٌ على الاثر شواهدهُ في العقائد الدينية وفي خلال ذلك وما بعدهُ اورد شيئاً من هذه الشواهد في ما خلا الدين فاقول

من شواهدهِ في الوثنية — عند المصريين تقسيمهم مصر الى سبعة اقسام وانقسامهم الى سبع فرق وجعلهم للنيل سبعة مصابّ وللاهرام سبع غرف وكان لثيبة سبعة ابواب على كلٍّ منها اسم احد السيارات السبع وكانوا في الشتاء يطوّفون البقرة المقدسة سبع مرات حول الهيكل ويخصصون سبعة

ايام لاخذ طالع مولد العجل آبيس ويعيدون لهُ سبعة ايام ايضاً

قال التلمساني كان من بعض اصطلاح ملوك القبط في مصر يوم النيروز ان يدخل رجلٌ على الملك ومعهُ طبقٌ من فضة وفيهِ سبعة اشيآء حنطة وشعير وجلبان وذُرَة وحِمِّص وسمسم وارزّ من كلٍّ سبع سنابل وسبع حبات

وعند اليونان والرومان اعتياد اهل اسبرطة واثينا ان يتركوا الاطفال بين ايدي النسآء الى السنة السابعة من اعمارهم . واضطرار اهل اثينا الى ارسال سبعة غلمان وسبع بنات الى جزيرة كريت ليكونوا طعاماً فيما قالوا للحوت منوتور . ومنها حرب السبعة الرؤسآء امام مدينة ثيبة وحرب اولادهم السبعة المدعوين ايكون . وان اومروس الشاعر الّف كتاباً سماهُ المنز المجزوزة سبع مرات . وترباندر صنع قيثارة ذات سبعة اوتار . وان حية ذات سبعة ارؤس كانت كلما قُطع لها رأسٌ ظهر خلافهُ حتى جآء هركول وقطع السبعة الارؤس دفعةً واحدةً فقتل الحية وغير ذلك

وعند الفرس قولهم بسبعة ارواح تؤلف تبعة هرمز وعلى ذلك كان للملك عندهم سبعة مستشارين وسبعة وزرآء وسبعة امرآء وللملكة استير سبع نسآء يخدمنها وكانت بيوت النار عندهم سبعة على اسمآء السيارات السبع واعياد ادونيس سبعة ايام

قال التلمساني كان العجم في ايام نيروزهم يجمعون سبع سينات ويأكلونها وهي السكر والسمسم والسميذ والسفرجل والسماق والسذاب والسقنقور

وعند اليابان اعتقادهم بسبعة ارواح سماوية ومثلهم اهل مدغسكر وفي تنكين من الصين سبعة تماثيل يسمونها سماوية وللهند هيكل ذو سبعة معابد وهم يقولون ان الاله فشنو واخوته كانوا سبعة مُسخوا افراساً سبع مرات

واما شواهد اليهودية فحدث عنها ولا حرج واول ما يمرّ بقارئ التوراة منها ان الله خلق الدنيا في ستة ايام واستراح في السابع وقول الله من قتل قاين فسبعة اضعاف يقاد بهِ واما قاتل لامك فسبعين مرة سبع مرات . ولما همَّ نوح ان يدخل الفلك أُوعز اليهِ ان يحمل فيه من جميع البهائم الطاهرة سبعةً سبعةً ومثلها من طير السمآء . وبعد سبعة ايام من دخوله الفلك انفتحت ميازيب السمآء ثم استقرّ الفلك على جبل اراراط في الشهر السابع بعد الطوفان وبعد سبعة ايام من اطلاق الحمامة اول مرة عاد فاطلقها ثانيةً وبعد ما عادت اليهِ انتظار سبعة ايام اخر ثم اطلقها فلم تعد

ومنها ان يعقوب خدم خالهُ لابان مرتين سبع سنين حتى زوّجهُ ابنتيهِ ليئة وراحيل ولما عاد الى بيت ابيهِ ورأى اخاهُ عيسو قادماً عليهِ تقدم وسجد سبع مرات حتى دنا منهُ . وفي حلم فرعون سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف وسبع سنابل سمان وسبع سنابل دقاق المفسرة بسبع سنوات خصب وسبع سنوات قحط ولما مات يعقوب بكى عليهِ المصريون سبعين يوماً عشر مرات سبعة ايام . ومنها وصية الله الآمرة بزرع الارض ست سنين وتركها في السابعة واستخدام العبد العبراني ست سنين واعتاقهِ في السابعة وسقوط اسوار اريحا بعد طواف يشوع بها سبع مرات في سبعة كهنة ينفخون في سبعة ابواق وهلمَّ جرًّا

واما في النصرانية فمنها في الانجيل تقسيم الاجيال من ابراهيم الى داود الى جلاء بابل الى المسيح مرتين سبعة اي اربعة عشر جيلاً . واشباع المسيح اربعة آلاف رجل بسبعة ارغفة رُفع من فضلاتها سبعة سلال مملوءة وحكاية الرجال السبعة الذين تزوّجوا بامرأةٍ واحدة وقولهُ ان الشيطان اذا خرج سيرجع بسبعة ارواح شرٍّ منهُ ووصيتهُ تعالى بمسامحة المذنب لا سبع مرات بل سبعين مرة سبع مرات

قال كبريانوس ان بولس الرسول قد نوّه بمزية هذا العدد ولذلك كتب الى سبع كنائس . وقد تكرّر هذا العدد كثيراً في سفر الرؤيا فجآء فيهِ سبع كنائس وسبعة ارواح وسبع منائر من ذهب وسبعة اختام وسبعة قرون للحمل وسبع اعين وسبعة ملائكة وسبعة ابواق وسبعة رعود وسبعة آلاف رجل سقطوا وسبعة ارؤس للتنين وسبعة جامات من ذهب الى آخر ما هنالك مما يطول استقصآؤهُ

وفي الجاهلية تقسيم العرب في الانساب الى سبع طوائف الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة . وانقسامهم الى عرب عاربة وعرب مستعربة من الاولى سبع قبائل يسمونها البائدة وهي عاد وثمود واخواتهما ومن قبيلة عاد لقمان الذي تزعم العرب انهُ اتخذ سبعة أنسُر عاش عمرها كلما هلك نسر اتخذ آخر مكانهُ في حديثٍ لا موضع لهُ هنا ومنها عادة بعض الملوك ان تمدّ بينهم وبين الشعرآء حين ينشدونهم قصائدهم سبعة ستور كما رُوي في قصة النعمان مع الحارث بن حلّزة . وتقسيمهم القصائد الى سبع معلقات وسبع مجمهرات وسبع مذهبات واجتماعهم اذا

ارادوا المقامرة على بعيرٍ يقسمونهُ الى اربع سبعات ثمانية وعشرين قسماً يتساهمون عليها بعشرة سهام الفائز منها سبعة فقط . وعدد ايام برد العجوز سبعة وهي المعروفة بالمستقرضات واطلاقهم لفظ القصيدة على ما يتجاوز سبعة ابيات في المشهور وجعلهم الكلمة في لغتهم اذا زيدت لا تتجاوز سبعة احرف وهلمَّ جرًّا مما لا استقصي فيهِ (ستأتي البقية)

مطالعات

﴿ علاج الكلَب ﴾

نشرت مجلة الكسموس من عهدٍ قريب صورة كتاب من احد المرسلين الدينيين بالبنغال الشرقية يصف فيهِ طريقةً لاهل الهند تقي من حدوث الكلَب والكتاب المذكور من تاريخ ٣ يونيو سنة ١٨٨٩ قصدت من نشرهِ النكتة العلمية والمقابلة بين الطريقة المشار اليها وطريقة بستور فآثرنا نقلهُ في هذا الموضع على رجآء الانتفاع بتلك الطريقة الى ان يتسنى لحكومة القطر انشآء مستشفى خاصٍ بهذه العلة وهذا محصل ما في الكتاب المذكور قال

بينما انا في بارَمباي عند صديقٍ لي اذا بكلبةٍ كَلِبة قد عقرت ستة او سبعة اشخاص فجرحتهم جراحاً بالغة فهالني ما رأيت من ذلك المشهد واشرت عليهم للحال ان يعجلوا باحمآء قِطَع من الحديد الى ان تبلغ درجة البياض ويكووا بها مواضع العقر اتقآء لحدوث الكلَب . فنظروا اليَّ ضاحكين

وقالوا لا حاجة الى ذلك فان عندنا علاجاً ايسر واضمن لحصول الشفاء. ثم نهض احدهم فجرى في اثر الكلبة حتى ادركها بضربة عصاً فقتلها في مكانها وقام آخر فشقّ جوفها واخرج كبدها وهي تختلج فقطع منها قطعاً صغاراً وناول كل واحدٍ من المعقورين قطعةً فأكلوا تلك القطع نيئةً والدم يسيل منها فلما اكلوها قالوا الآن لم يبقَ عليهم ادنى خطر

ومع تأكيدهم لي حصول الشفاء بهذه الطريقة بقيت مرتاباً في صحتها والحجت بوجوب الكيّ فأتوني برجلٍ قد عُمّر من قبل فكشف عن ساقهِ وأراني عدة آثارٍ لأنياب كلبٍ كَلِبٍ كان قد عضهُ منذ خمس سنوات فاكل قطعةً داميةً من كبد الكلب نفسهِ فلم يعقب جراحهُ اقلّ سوء

قال وكان الحادث الذي شهدتهُ في اواخر شهر مارس ونحن اليوم في اوائل يوليو وقد برئت جراح اولئك المعقورين وكلهم على تمام العافية . اه

قلنا ولعلّ الكثيرين ممن يطلعون على هذا النبأ يستغربون الامر ويعدّونهُ ضرباً من الخرافة ولكن لا ينبغي ان يُستعجل الانكار قبل البحث فان من عرف ان ترياق سمّ الافعى في دمها كما ان اكثر السوامّ من الحيوان والنبات ترياقها منها على ما تقدّم شرحهُ في البيان (صفحة ٣٧٦ و ٤٣٥) لم يستبعد ان يكون في دم الكلب الكلب ما ينفع من السمّ الدائر فيه والتجربة اعظم كاشف

اللبن في غذاء الطير

جاء في بعض المجلات الالمانية ان اللبن في جميع حالاته يوافق غذاء

الطير ولا سيما البيوض من الدجاج فاذا طُرح لها مخيض اللبن الباقي بعد استخراج السمن نتج عنهُ ربحٌ اعظم مما لو ادُّخر لأي استعمال كان لانهُ يزيد في غلة البيض ويسمّن الدجاج ويغنيها عن طلب الماء. وما فيهِ من الملوحة اليسيرة يكون لهُ فيها نفعٌ عظيم . قالت وقد ظهر بالامتحان ان الدجاج تميل اليهِ ميلاً شديداً حتى انها بعد ايامٍ كانت تتناولهُ بشرهٍ عظيم

مُتَفَرِّقَات

سيّار جديد — لهجت المجلاّت والمجامع العلمية في هذه الايام بالسيّار الجديد الذي اكتشفهُ المسيو ويت الفلكي في مرصد برلين في الليلة الواقعة بين ٢٣ و ٢٤ اوغسطس الماضي وهو سيّار صغير يُرَى بين القدر العاشر والحادي عشر وليس من السيّارة الصغرى التي بين فلكي المرّيخ والمشتري ولكن موضعهُ بين فلك الارض وفلك المريخ ومعدَّل بعدهِ عن الارض نحو ثلاثة عشر الف الف ميل وهي نحو ستين مرة من بُعد القمر عن الارض ونحو سُبع المسافة بين الارض والشمس . اما قطرهُ فيقدّر بنحو ستة اميال او فوق ذلك قليلا وهو يدور حول الشمس لا حول الارض فيُعدّ من السيّارة لا من الاقمار وسيكون عن اكتشافهِ فوائد جمة في تحقيق مسافات الاجرام الشمسية ولا سيما في قياس بعد الشمس عن الارض

اسئلة واجوبتها

مصر — يظهر على وجوه الفتيان بثورٌ مؤلمة صعبة الزوال وهي المعروفة بحبّ الصبآء . فما سبب هذه البثور وكيف تعالج　　　ع . د

الجواب — هذه البثور تنشأ عن تهيج الحويصلات الدهنية في الجلد لعلة مزاجية واكثر ما تعرض للشبان وتستعصي احياناً فلا تزول الا مع السنّ . وهي انواعٌ منها البسيطة وتكون بيضآء او الى الحمرة تخرج بالجبهة والذقن وجانبي الانف وعلاجها ان تُدهن بالموادّ القابضة كمحلول الشبّ المُشبَع ومحلول البورق ومحلول صبغة الجاوي ومجهزات الكبريت على انواعها . ومنها ما تكون منقطةً بالسواد وهي تخرج على جانبي الانف وتعالج بدهنها عدة مرات في اليوم بمحلول مُشبَع من بيكربونات الصودا في المآء الحارّ حتى يذهب اثرها بتمامهِ ثم تُدهن بالكحل (السبيرتو) الصرف . واما البثور الصلبة فتقتضي علاجاً مخصوصاً فلا بدّ فيها من مراجعة الطبيب

آثار ادبيّة

الكافي في تأريخ مصر القديم والحديث — اهديت لنا نسخةٌ من الجزء الاول من هذا الكتاب لحضرة الفاضل الالمي ميخائيل شاروبيم بك رئيس النيابة العمومية في محكمة المنصورة الاهلية سابقاً ومفتش في نظارة المالية الجليلة حالاً فتصفحناهُ فاذا هو سفرٌ جليل الفائدة حسن

التنسيق افتتحهُ بخطبةٍ انيقة الوضع رشيقة السجع قد جمت بين حاشيتي الفصاحة والبلاغة وصيغت على قالب البيان والايجاز احسن صياغة وعقّب على اثرها بمقدّمةٍ ذكر فيها فضل التأريخ وادب المؤرخ وما ينبغي ان يراعيهُ في التعبير من التجافي عن الاغراب والايغال والترفع عن الركاكة والابتذال فجلَّى عن الصواب بعبارةٍ بليغة الاساليب جزلة التراكيب حريةٍ بان تكون دستوراً يُنتهى اليهِ وحكماً لا يُعقّب عليهِ

وقد ابتدأ التأريخ بذكر اول من دخل مصر من ابنآء نوح عليهِ السلام ثم جآء بذكر طبقات ملوك مصر الثلاث من الفراعنة الاولين فنسقهم واحداً واحداً ثم سرد من تعاقب بعدهم من ملوك الفرس والفراعنة المتأخرين ومن تلاهم من الفرس الثانية والمكدونيين والبطالسة والقياصرة الى الملك هرقل وهو آخر من ذُكر في هذا الجزء وختمهُ بتمهيد لما سيجيءُ بعدهُ من الفتح الاسلامي واضمحلال دول الروم وكل ذلك بعبارة موجزة اللفظ سهلة المفهوم فنثني عليهِ بما يستحق عنآؤهُ في تأليف هذا الكتاب ونسأل لهُ التوفيق الى اتمامهِ افادةً للطلاّب

المنار — وردنا الجزء الاول من جريدة بهذا العنوان تطبع في مدينة بيروت وهي جريدة دينية علمية اخبارية صاحب امتيازها حضرة الفاضل الشماس ارسانيوس الحداد ومديرها ورئيس تحريرها حضرة الاستاذ البارع الشيخ رشيد نفاع وهي تصدر مرة في الاسبوع وقيمة اشتراكها ريالان مجيديان في بيروت ولبنان مع اضافة اجرة البريد في الخارج فنتمنى لها النجاح

فكاهات

رواية

العدل اساس الملك[1]

وهي رواية تاريخية حدثت في عهد الملك هنريكس الرابع احد ملوك انكلترا في اواخر القرن الرابع عشر وكان ارتقاء هذا الملك الى السرير على اثر الفتن الداخلية المعروفة بحرب الوردتين وكان كبير وزرآئه اذ ذاك المركيز سالسبري احد دُهاة السياسة ودهاقنتها المعدودين . فلما سكنت ثائرة الفتنة جمل هذا الوزير همهُ في تدارك ما اختلّ من احوال المملكة واصلاح امور الاحكام وتوطيد السلام على امتن قواعدهِ . وكان الملك من ارباب الورع والصلاح فكان يقضي اكثر اوقاتهِ في العبادات والصلوات لانهُ رأى من حزم وزيرهِ وحصافة عقلهِ ما كفاهُ مؤونة الاهتمام باحوال الملك فوكل اليهِ امر السياسة والاحكام واطلق يدهُ في العقد والحل بما يرشدهُ اليهِ رأيهُ . فنهض بما فوّض اليهِ اتم نهوض ولم يمضِ عليهِ الا يسير زمنٍ حتى اصبحت انكلترا كانها سلسلةٌ واحدة تنقاد باسرها التدبير ذلك الحازم وتجري على ما سنّ لها من القوانين

وكان اول شيء اهتمّ بهِ امر الشرطة ليتمكن بهم من البحث عن العاثين في البلاد وقطع دابر الثوّار واصحاب الدسائس ثم عكف على ترتيب

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

مجالس القضاء. فجعلها طبقاتٍ تجوز الاحكام من ادناها الى الذي يليه حتى تنتهي الى مجلسه فلا ينفذ حكمٌ الا بعد ان ينظر فيه ويصدر عن منطقه

وبعد ما فرغ من تقرير احوال المملكة واجرى امور الرعية على محاورها انصرف الى تدبير شؤون نفسه والنظر في احواله الخاصة وكان يميل الى فتاةٍ من بنات الاشراف يقال لها مرغريتا بديعة المحاسن لطيفة الذات كاملة الادب فاقترن بها واقاما على اهنأ عيشٍ يتجاذبان اهداب المسرات ويرتعان في ظل السعادة والنعيم

وكان للمركيز وكيلٌ على بيته واملاكه يقال له بطرس لا ينحطّ عن مولاه في الحزم والدُربة وسداد الرأي فال اليه الوزير لما رأى من كفايته وخبرته وحسن قيامه على اعماله وولاه تدبير جميع مهماته فكان يحكم في امواله وعقاره لا ينازعه في ذلك منازع وليس عليه فيه مسيطر. فلما اقترن مولاه ونظر الى مولاته الجديدة وما هي عليه من الجمال واللطف وقع حبها في قلبه وحدثته نفسه بمغازلتها الا انه لم يقدم على ذلك تهيباً من مقامها وخوفاً من مولاه الوزير واستمرّ الحال على ذلك نحواً من سبعة اشهر وهو لا يزداد الا كلفاً وهياماً . وآخر الامر صمم على مفاتحها بما يجد من حبها وجعل يتربص الفرص وينتهز الاوقات الى ان رآها يوماً جالسةً في حديقة القصر فاسرع اليها وقد جمع في يده باقةً من الازهار وقدمها اليها فقبلتها منه شاكرةً مبتسمة ثم اقبل يحادثها بعبارات من التودد والملق شفت عن بعض ما في ضميره غير انها لم تكد تلمح منه ذلك حتى احمرّت وجنتاها من الغضب فقاطعته الكلام وقالت له اليك يا بطرس عن هذا الحديث واعلم من التي

تطارحها عواطف حبك وغرامك . انك ربما فعلت ذلك مع غيري من النسآء فسوّلت لك نفسك ان تجترئ عليّ بمثلهِ ولكن ينبغي ان تعلم ان ليس كل الناس سوآء فدع عما انت فيهِ واياك ان تعيد مثل هذا الكلام على مسمعي مرةً اخرى

غير ان ذلك لم يكن ليردع بطرس عن غيّهِ فما ازداد الاّ تمادياً في جسارتهِ فدنا من المركيزة ضاحكاً وفتح فاهُ للكلام وقبل ان ينطق ببنت شفة وثبت المركيزة كاللبؤة الفاقدة اشبالها ورفعت كرسيّها في وجههِ وصاحت بهِ بغضبٍ شديد اخرس يا قبيح واغرب عن وجهي واعلم انك ان تعرضت لي بمثل هذا مرةً اخرى اعلمت مولاك بخبرك وانت ادرى حينئذٍ بما يكون . وما اتمت كلامها حتى اخذت تقفز كالظبي وقد اصابهُ سهم الصياد حتى دخلت غرفتها فاستلقت على سريرها وهي ترتجف من الغضب . وخطر لها ان تكاشف زوجها بالامر غير انها اشفقت على الخادم من سوء العاقبة فاضمرت ان تطوي كشحاً عنهُ لعلّ تهديدها يكفيهِ

اما بطرس فجعل يخبط في اودية الحيرة ولم يدرِ ما يصنع لعلمهِ بان سيدتهُ ان اخبرت مولاهُ بالامر كان فيهِ هلكتهُ لا محالة فاخذ يقلّب وجوه الحيلة ويستفتح ابواب الدهآء والساعات تمرّ عليهِ وهو لا يشعر بها الى ان اقبل مولاهُ في المسآء وكان من عادتهِ في اكثر الايام ان يخلو بهِ قبل ان يدخل قصرهُ للنظر فيما حدث من مهمات النهار . فلما دخل عليهِ وجدهُ غائصاً في تيارات الافكار وعلائم الحيرة تلوح على وجههِ فقال لهُ ما لي اراك اليوم مرتبكاً فانكر فالحّ عليهِ فقال اني قد وقفت اليوم على سرّ عظيم يتعلق بشرف مولاي وراحتهِ وانا متردد بين ان اطلعهُ عليهِ او احتال في القبض

على الحية الرقطآء فاسحق رأسها بقدمي . قال وما هو هذا السرّ افصح عنهُ فوراً . قال اني يا مولاي اخشى العواقب . قال لا تخش شيئاً وتكلم في الحال قال اذا لم يكن بدٌّ من الكلام فاسمع يا مولاي . اني منذ دقائق قليلة بينا كنت جالساً امام هذا الطاق لمحت في أُخريَات الحديقة شبحين يتمشيان رُوَيداً تظهر سوقهما من ورآء الاغصان المتدلية فبادرت الخروج لانظر من هناك فما كاد يُسمعَ صوت خطوي حتى رأيت احدهما قد وثب فتسلق جدار الحديقة فاسرعت لعلي اقبض عليه او المح وجههُ ففاتني وبقي الشبح الآخر واقفاً مبهوتاً . فنظرت فاذا مولاتي المركيزة فلم اجسر ان اكلمها بشيء وعدت ادراجي الى هنا ولبثت حائراً بين ان اخبر مولاي بالامر او اتبعهُ بنفسي واكفي مولاي ما فيهِ من تكدير صفوهِ وتعريض المركيزة لعواقب سخطهِ وانتقامهِ

ولم يكد بطارس يتمّ النطق بآخر كلمة حتى اتقدت عينا المركيز بنيران الغضب ثم ارغى وازبد وجعل يدور كالجمل الهائج ومرّ بالقرب من بطارس فلطمهُ بيدهِ فالقاهُ صريعاً ثم هجم الى جهة القصر وتوجه توًّا الى غرفة زوجتهِ فالفاها جالسةً بهيئتها الملكية فلما رأتهُ نهضت لاستقبالهِ على عادتها فرفسها برجلهِ وصاح وهو يفور من الغضب ابعدي عني ايتها الدنسة فلو لم يكن من العار ان الطخ يدي بدمك لارسلتكِ الآن الى الجحيم التي قذفتكِ اليّ . اغربي عني واخرجي في هذه الدقيقة من بيتي ولا تُريني بعد الآن هذه الهيئة الممقوتة . ثم نادى احد الخدام فامرهُ بحملها الى خارج باب الحديقة فاحتملها لوقتهِ والقاها خارج الباب ثم اوصدهُ وتركها هناك

وكانت المركيزة قد أُغمي عليها في تلك الساعة لشدة ما اخذها من الوهل والدهش فلم تنتبه من غشيتها الى اواسط الليل فلما افاقت وعلمت اين هي اخذت تراجع ما سمعت من زوجها وعلمت ان ذلك كان بمكيدة بطرس فبكت بدموعٍ سخية ثم جلست تفكر ما عساها ان تفعل فلم تجد خيراً لها من ان تهاجر الى بلدٍ بعيد تخلصاً من سماع التقولات والاراجيف. فتوكلت على الله وقامت تسعى تحت ذلك الليل حتى خرجت من البلد وكان قد بزغ الفجر فمالت عن جادة الطريق ودخلت في برية مقفرة فجعلت تسير حيناً وتستريح حيناً الى ان مالت الشمس للغروب فرأت على مسافةٍ منها في تلك البرية بناء من خشبٍ فقصدتهُ وقرعت بابهُ فلما فُتح لها اذا عجوزٌ شمطاء وبيتٌ تدل هيئتهُ على انهُ مطعمٌ حقير . فلم تكد رجلها تطأ داخل المنزل حتى سقطت مغشياً عليها لفرط ما اخذها من الجهد والاعياء. فبادرت اليها العجوز بشيء من المشروب وسقتها حتى انتعشت وافاقت ثم حملتها فوضعتها على سريرها وجاءتها بشيء من الطعام فتناولت ما امسك رمقها وبعد ما استراحت قليلاً التفتت الى العجوز وقالت يا أُماه انني امرأة شقية قد رماني الدهر بنكباتهِ فلا تسألي عن ماضيَّ فلستُ الآ بنت الساعة اسألكِ اغاثتي ان كان في قلبكِ موضعٌ للرأفة . واعلمي اني فقيرة وحيدة طريدة وما كنتُ لأضنّ بروحي على المنية لولا حياةٌ في احشائي هي اثمن من حياتي اودّ ان القيها الى الدنيا قبل ان اموت فهل لكِ ان تبقيني عندكِ حيناً واكون في خدمتكِ بشرط ان لا تخبري احداً من البشر بوجودي عندكِ ولا تدعي مخلوقاً سواكِ يرى وجهي . وكانت العجوز قد اخذتها

الشفقة عليها لما رأت وسمعت منها فسحت بيديها الخشنتين الدموع المترقرقة من مآقيها وقالت لها على الرحب والسعة ياولدي وقد علمتُ انكسار قلبكِ فلا ازيدهُ انكساراً بالاكثار عليكِ من الاسئلة التي ربما تجدد جراحكِ . ثم أُعلمكِ انني مقيمةٌ وحدي في هذا المنزل وقد بنيتهُ بقصد المعيشة لقومٍ من فعلة المعادن في القرية المجاورة يأتونني كل ليلةٍ فيأكلون ويشربون ثم ينصرفون فان احببتِ اعطيتكِ غرفتي الداخلية تقيمين فيها وتساعدينني في الطبخ والغسل . فشكرت المركيزة احسانها ودخلت الغرفة وكانت تساعد العجوز وتخدمها بما تقدر عليهِ

وبعد ان اتى على المركيزة نحو الشهرين استدعت العجوز وقالت لها اني شاعرةٌ بقرب مفارقتي للدنيا فاطلب منكِ دفني في هذه الحقول والعناية بعدي بالولد الذي سأضعهُ الى ان يطالبكِ بهِ من يهمهُ امرهُ . وفي الليلة نفسها وضعت المركيزة غلاماً وبعد ما علمت بولادتهِ سالماً انطرحت على سريرها واسلمت الروح

ولما اقبل الفعلة في الغد طلبت اليهم العجوز مساعدتها في دفن نزيلتها فتعجبوا من ذلك واحتفروا لها قبراً فواروها فيهِ وشفق احدهم على الطفل فاستأذن العجوز ان يأخذهُ الى زوجتهِ لتربيهُ وسماهُ جاك . ولما بلغ الولد ست سنوات من عمرهِ عاد الى منزل جدتهِ العجوز فتلقتهُ فرحةً واخذت تدرّبهُ على تقديم المشروب الى الفعلة فكان يسقيهم ويشرب معهم ونشأ على معاشرتهم القبيحة فكان كلما تقدم في السن تمكن منهُ الملكات الرديئة من السكر والسرقة والاقدام على الشرور والمنكرات حتى اذا كانوا في احد

الايام على الشراب كعادتهم وهو بينهم وقد اخذت الخمرة منهُ ومنهم رأى مع احدهم شيئاً من النقود فانتشل منهُ خنجراً وطعنهُ بهِ في صدرهِ فالقاهُ صريعاً ثم خطف منهُ تلك النقود وفرّ في عرُض الصحرآء

ومن ذلك الوقت توحش في البراري والف عيشة اللصوصية وسفك الدمآء فكان يقطع الطرق ويسطو على السابلة فيقتل ويسلب ولم يمضِ عليهِ مدةٌ يسيرة حتى تفاقمت شرورهُ واشتهر اسمهُ واهتمت الحكومة بالقبض عليهِ فكان يتخلص من احذق شرطتها بفنون عجيبة من المكر حتى وقع خوفهُ في قلوب الجميع وصار اذا ذُكر اسمهُ في شارع من شوارع لندن رأيت الناس يزحم بعضهم بعضاً للهرب من وجههِ

واما المركيز فانهُ بعد ان طرد زوجتهُ اثر ذلك الحادث في نفسهِ اثراً شديداً فلم يصفُ لهُ عيش ولم يهنأ لهُ بال وكذلك بطرس فانهُ كان يقاسي من تعذيب ضميرهِ ما منعهُ القرار حتى نحل جسمهُ ثم استولى عليهِ مرضٌ شديد عجز الاطبآء عن شفآئهِ ولما احسّ بقرب اجلهِ استدعى مولاهُ واعترف لهُ بجنايتهِ وطهارة المركيزة ثم فاضت روحهُ وهو يردد قولهُ الويل لي انا الجاني . فكان ذلك مما زاد المركيز غماً واسفاً وندم ولكن حين لا ينفع الندم وعاد للبحث عن امرأتهِ وافرغ كل ما في وسعهِ فلم يقف لها على خبر . فاستدعى واحداً من احذق الشرطة في المملكة وكاشفهُ بالامر وارسلهُ يبحث عن الزوجة والولد ان كان لها ولدٌ ووعدهُ باعظم الجزآء ان جآءهُ بالخبر اليقين . فانطلق الرجل في مسعاهُ وبحث واستقصى حتى لم يدع موضعاً ومضى على ذلك عدة سنواتٍ لم يفتر فيها عن البحث ولم يظفر بطائل .

واتفق بعد ذلك انهُ كان في بعض الايام يعتسف الفلاة وقد دنت الشمس من المغيب فبصُر بمنزل العجوز فتوجه نحوهُ ولما قرب منهُ رأى العجوز ساجدةً على ضريح وهي تصلي . فلما رأتهُ نهضت فاستقبلتهُ وادخلتهُ المنزل وفي اثناء الحديث سألها عن الضريح فاخبرتهُ ما علمت من قصة صاحبهِ وولدها فايقن الشرطيّ ان هذه هي المركيزة التي يبحث عنها. فقال لها واين الولد فقالت انهُ هرب ليلةً من المنزل ولم نعد نسمع عنهُ شيئاً. فاستخبرها عن هيئتهِ وحِلاهُ ليتمكن من استطلاع خبرهِ وبث في تلك الليلة يخبر المركيز بالامر وينعى اليهِ امرأتهُ ويعدهُ بالسعي في ادراك الفتى . فتأسف المركيز وناح وبكى زوجتهُ التي قتلها ظلماً ولم يبقَ لهُ ما يعزيهِ عنها الاَّ الامل في وجود ولدهِ

وكان في تلك المدة قد استفحل امر جاك وكثرت جرائمهُ وبذلت الحكومة وسعها في القبض عليهِ فكان يهزأ بها . اما المركيز فكان مسروراً بما سنَّهُ للبلاد من الاحكام راضياً عن عمّالهِ مغتبطاً برضى مليكهِ عنهُ ولم يكن يقلقهُ ويشغل بالهُ سوى امرين مهمين اولهما وجدان فلذة كبدهِ والثاني القبض على اللعين جاك . . . .

وفي اثناء ذلك طارت البشرى في انحاء انكلترا بالقاء القبض على جاك واحضارهِ الى العاصمة مكبلاً بالحديد ليلقى جزاء ما جنت يداهُ ويديهي ان الحكم على امثالهِ لا يكون الاَّ بالقتل لكثرة ما انغمس في الجرائم وسفك من الدماء. وانتقل الحكم عليهِ من مجلس الى آخر حتى انتهى الى قاضي القضاة الاكبر وهو المركيز . فلما كان اليوم المضروب لتلك الجلسة غصَّت ساحة المجلس بجماهير الوافدين لسماع الحكم ثم جيء بجاك فأُقيم امام منصة القضاء

والجند من حولهِ وعيون الالوف من الخلق مصوَّبةٌ اليـهِ ومع ميل الجميع الى الانتقام منهُ فانهُ لم يكن فيهم الاَّ من اشفق على شبابهِ وجمال طلعتهِ

ولما انتظمت الجلسة سأل المركيز جاك هل لهُ من حجةٍ يدفع بها عن نفسهِ . فاجاب بجأشٍ ثابت ونفسٍ لا تعرف الخوف اني اعرف نفسي امرأً مجرماً واعترف امام هذا الجمع باني ارتكبت افظع الذنوب وقتلت في حياتي لا اقلّ من مئة نفس . لقد ولدتني الشقاوة وربَّتني الجرائم وستكون نهاية حياتي الشقية على يد القضآء . اجل اني مستحقٌّ للموت وانا اهواهُ واتمناهُ لانهُ سيجمعني بالشخص الذي حرمتنيهِ الحياة . نعم اني اتمنى الموت لاجتمع بوالدتي . . .

ومع كل ما ابداهُ من ثبات الجنان في وقوفهِ وكلامهِ فانهُ لم يذكر اسم والدتهِ حتى امتقع لونهُ وارتجفت شفتاهُ وغطى وجههُ بكلتا يديهِ وبكى بكآءً مرًّا . وخاف المركيز من حدوث حادث فامر بالسكينة ووقف ليتلو الحكم فقال بعد كلامٍ . . وبنآءً على قرارات المجالس المذكورة وثبوت حقيقتها فقد حكمنا باسم ملكنا المعظم على هذا المجرم جاك . . . وقبل ان يتمّ نطقهُ فُتح الباب واندفع الى الوسط رجلٌ يكاد يطير سرعةً حتى وصل الى منصةّ المركيز ودفع اليهِ رقعةً واسرّ اليهِ كلاماً فلما قرأ المركيز الرقعة شخصت عيناهُ وارتعشت اعضآؤهُ وسقط على كرسيّهِ كمن اصيب بشللٍ عام . فشخص الجمهور كلهُ لذلك المنظر ووقفوا ينتظرون ما يكون ورآءهُ وبعد هنيهةٍ قام المركيز وقد ظهرت على وجههِ علائم الكرب والاسى وفتح فاهُ للنطق فلم يستطعهُ ثم اكبّ على الورقة التي في يدهِ فكتب عليها كلمتين

وعاد فتجلد بما بقي عنده من القوة واتمّ كلامهُ فقال قد حكمنا عليه ان يقتل باطلاق الرصاص في الدار الخارجية بعد نصف ساعة . ثم سقط ثانيةً على كرسيهِ وهو يئن انيناً موجعاً فزاد تعجب القوم وكان اشدهم تعجباً القضاة لان حكمهم عليهِ كان بالاعمال الشاقة مدة العمر فرأوهُ قد غيرهُ بالموت العاجل

وبعد نصف ساعةٍ احتشد الخلق الى محل العقاب و قيد جاك الى الوسط وتقدم الجند لتقييدهِ فابى ولم يبقَ لانفاذ الحكم الاَّ حضور رئيس القضاة ليأمر باطلاق الرصاص . فلما حضر وقف بازآء المحكوم عليهِ وكان عشرة من الجند واقفين ببنادقهم المصوَّبة فامرهم باطلاقها ثم هجم بسرعة البرق فالقى بنفسهِ على جاك وكان الجند قد اطلقوا بنادقهم فسقط الاثنان معاً يختبطان في دمآئهما

فوقع هذا الامر على جمهور المشاهدين اغرب موقع ولم يستطيعوا ان يفهموا شيئاً من سرّ هذا الحادث وارتفع الخبر الى الملك فحضر بنفسهِ لتحقيق الامر وبينا هو يتأمل في ذلك المنظر رأى يد المركيز ممطبقةً على رقعةٍ فامر باحضارها فاذا هي رسالةٌ من الشرطيّ الذي بعثهُ المركيز للبحث عن ولدهِ يقول فيها انني في هذه الدقيقة تحققت ان ولدك الذي نحن في البحث عنهُ منذ عشرين سنةً هو نفس جاك الذي القيتم القبض عليهِ ولم يصر الى هذه الحالة الاَّ مدفوعاً بشدائد الدهر والآن فاعمل كل ما في وسعك لتأخير الحكم الى ان نجتمع وازيدك بياناً . ثم نظر الملك واذا تحت هذا الكلام بخط المركيز « العدل اساس الملك » . فاستدعى الملك الشرطيّ المذكور فاخبرهُ بما كان فحزن حزناً شديداً وامر بنقل الجثتين ودفنهما في ضريحٍ واحد وبنى عليهما كنيسةً وكان يزورها في اكثر الايام الى آخر حياتهِ

الوقاية من السلّ

قد اشتدّ اهتمام الممالك الاوروبية في هذه الايام بامر هذا الداء الوبيل الذي ضرب اطنابهُ في اكثر المدن الغنّاء وانتشرت عدواهُ انتشاراً ذريعاً ولا سيما في الارجاء الفرنسوية حيث يموت بهِ في السنة لا اقلّ من مئة وخمسين الف نفس . وقد عُقِد في اواخر شهر اوغسطس في مدينة باريز مؤتمر طبي اجتمع فيهِ اشهر الاطباء من جميع ممالك اوربا للبحث في هذه العلة والوقوف في طريق امتدادها ونحن ننشر خلاصة ما دار من المباحث في هذا المؤتمر ملخصةً عن مقالةٍ طويلة للدكتور نيوانكلسكي نشرها في احدى المجلات العلمية قال

لا يخفى ان هذه العلة اكثر الامراض المعدية انتشاراً واعظمها فتكاً في نفوس المصابين بها فان الذي يؤخذ من مجمل الاحصاآت انها تتناول الربع من افراد الأُسَر الفاشية بينها ويموت بها ما يزيد على السدس فهي اشدّ فتكاً من الكوليرة لأنَّا اذا تفقدنا اعداد الذين ماتوا بالكوليرة في قسم السين من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٥٣ وجدناهم ٥٧ الفاً الا ان السلّ يقتل في كل سنة ١٤ الف نفس في القسم عينهِ وعليهِ ففي اربع سنوات فقط يفعل ما فعلتهُ الكوليرة في احدى وعشرين سنة

اما اسباب السلّ فانهُ ينشأ عن نوع من الجُسيمات الحيَّة اكتشفهُ الدكتور كوخ بهيئة عُصيَّات مستطيلة يبلغ طول الواحدة منها ٣ من الف من المليمتر وقُطرها نحو العشر من ذلك . وهذه الجسيمات تمتاز بقوّتها

على احتمال الفواعل الطبيعية والكيماوية فانها في حالة الجفاف لا يقتلها البرد ولا الحرّ الى ١٠٠ درجة وتبقى عدواها بعد ان تتطاير مع الغبار الى ستة اشهر . وهي تدخل البنية من طرقٍ عديدة وتجري مع الطعام في المسالك الهضمية واكثر ما تدخل الجسم مع اللبن ولذلك وجب اغلاؤهُ قبل ان يُتناول مدة ١٠ دقائق في الاقلّ واما لحم الحيوان فقلما يعدي الا في ندور وبخلافهِ الدماغ والكبد والقلب والكليتان والمخ فان هذه كلها تحمل العدوى ولذلك ينبغي ان لا تُتناول الا مع التحرز

واكثر ما تكون عدوى هذه العلة من طريق التنفس بما يُستنشَق من جراثيمها المنتشرة من نفث المسلولين اذا جف وتطاير في الهوآء الا ان مجلسها لا يكون دائماً في الصدر خلافاً للشائع في معتقد العامة لانها قد تصيب الجهاز الهضمي والعصبي والعظام والمفاصل وربما انحصرت في العين او الاذن او غيرها وحينئذٍ يمكن ان تُشفى بالعمل الجراحيّ مع العناية بالتدبير العام . على انها في غير ذلك كثيراً ما تكون قابلةً للشفآء خلافاً لما تعتقد العامة ايضاً لكن لا بدّ مع ذلك من كون الجسم قوياً صحيح البنية لان نمآء هذه الجراثيم يتوقف على حالة المرعى الذي تتغذي منهُ ولذلك كان الضعفآء الابدان والسيئو الغذآء والمجهودون بالتعب المتواصل وسائر ضروب النواهك البدنية اقرب الى الاصابة بها وابعد عن امل الشفآء

على انهُ الى الآن لم يُظفَر بالعلاج الذي يطّرد نفعهُ في هذا الدآء لان جميع التجارب التي أُجريت فيهِ صدقت في بعض الحوادث دون بعض وحينئذٍ فلم يبقَ الاّ إعمال الجهد في التحرُّز منهُ قبل حدوثهِ وهذا يتوقف

على امرين احدهما اتقآء عدواه من الخارج بمنع وصول جراثيمه الى الاصحاء والثاني مقاومته من الداخل بتقوية الابدان المعرّضة له حتى اذا خالطتهم تلك الجراثيم لم تفعل فيهم فعلها في المصابين به . ولسنا ننكر ما في اول هذين الامرين من الصعوبة وبُعد المنال وان ظهر في بادي الرأي سهلاً اذ هو من الامور التي تتعلق بالجمهور بأسره فلا يُتمكن من الاستيلآء عليه الاّ بعد تضافر جميع طبقات الناس على تحقيقه وهيهات ذلك مطلباً . ومع ذلك فانه بالمكان الاول من الاهمية لانه قد ظهر من الاحصآءات المتوالية ان تأثير العدوى اعظم كثيراً من تأثير الإرث بحيث ان الحوادث الناشئة عن الارث لم تكن الاّ السدس من مجمل عدد الاصابات وعليه فلو امتنعت العدوى لنجا من المئة والخمسين الفاً الذين يموتون كل سنة في فرنسا مئة وخمسة وعشرون الفاً

وقد تقدم ان العدوى واردة على الاكثر من نفث المصابين بعد جفافه وانتشاره في الهوآء وتذراكاً لذلك قد اصطلحوا على وضع متافل في المجتمعات وسائر الاماكن المطروقة الاّ ان هذه المتافل غير وافية بالغرض المقصود منها بل هي مما يساعد على انتشار العدوى وسرعة تفشيها لان اكثر ما يُجعَل فيها الرمل ونشارة الخشب وهما مما يعجّل جفاف النفث وتحويله الى هبآء يتطاير عند اقلّ حركة في الهوآء

وقد اطال المجمع الطبي والمؤتمر الاخير من البحث في امر هذه المتافل فاجمعوا على وجوب اتخاذ متافل من خاصيّتها قتل الجراثيم المرضية او منع مضرّتها وذلك بان يُجعَل فيها سائل يمنع الفساد كالمحلول الذي

وصفهُ المسيو ميكال وهو ان يؤخذ جزآن من كلورور الزئبق و٢٠ جزأً من كلورور الصوديوم وتُحلّ في ١٠٠٠ جزء من المآء . ثم ان يكون وضع هذه المتافل بحيث يسهل التفل فيها اي ان توضع على مسافة مترٍ من الارض متصلةً بالجدار او مركوزةً على عمود ويكون منها متافل منقولة توضع في قُطُر الحديد والعجلات وغير ذلك

وقد ارتأى بعضهم ان يُصطلَح عوض ذلك على متافل صغيرة تُحمَل في الجيب فيستصحبها الانسان حيثما ذهب غير ان هذه لا تتمّ فائدتها الا اذا عمّ استعمالها وهو من الامور المستبعدة لانها تكون دليلاً على ان مستعملها مصابٌ بالدآء فتبعث الناس على تجنبهِ خوف العدوى . وحينئذٍ فلا سبيل الى تعميم استعمالها الا بان تُدخَل في جملة الآداب العامّة حتى ان من لا يبصق في متفلة سوآءٌ كان مريضاً او لا يُعَدّ ناقص التهذيب

اما شكل متفلة الجيب فقد مُثلت بهيئاتٍ مختلفة افضلها ما عرضهُ بعض اعضآء المؤتمر وهو ان تتخذ قارورةٌ من الزجاج الاصفر او الازرق واسعة الفم يكون موسوعها نحو ١٠٠ غرام تُسدّ بسداد من المطّاط (الكاوتشوك) غير شديد الصلابة ليمكن ان يكون السدّ بهِ محكماً ويُجعَل في القارورة قطعةٌ من القطن السليماني بعد ان تُغمَس في المآء وتُعصَر . ومتى اريد تنظيف المتفلة يُستخرَج منها القطن بطرف سلكٍ معدنيّ ويُطرَح في النار ثم تطهّر القارورة بشيء من محلول ميكال الذي سبقت صفتهُ قريباً . ولا يجوز القآء القطن المذكور في المرحاض على ما جرت بهِ العادة في مثل ذلك الا بعد ان يُقتَل ما فيهِ من الجراثيم المرضية والا فانها ان بقيت حيةً

لا تلبث بعد ان تخرج الى الهوآء ان تجفَّ وتنتشر

وارتأى بعضهم ان تخذ تلك المتافل من الورق المضغوط لانها حينئذٍ تكون رخيصة الثمن فاذا امتلأت طُرحت بما فيهـا في النار واستُعمل غيرها ولعلَّ هذه اقرب الى ضمانة تلف الجراثيم وتجنب اسباب العدوى

على ان العدوى لا تقتصر على النفث ولا يغني فيها امر المتافل وحدهُ ولكن لا بدَّ مع ذلك من تطهير ملابس العليل ولا سيما منـاديلهُ وان لم يتفل فيها ويجب التحرز من الغبار الذي يثور من حجرتهِ عند الكنس فيجتزأ عن الكنس بمسح ارض الحجرة كل يوم بخرق مبلولة وعلى الجملة فانهُ يجب الاحتراز من كل ما يلامس العليل او يتصل بهِ وكل مُبرَزٍ من مبرزاتهِ من اي طريقٍ كان

وقد ذكرنا ان من اسباب العدوى بهذا الدآء المطاعم واقواها شبهةً اللبن لانا وجدنا ٩٩ في المئة من اولاد المسلولين يولدون اصحآء ولكن يتطرق اليهم مزاج السلّ بالإعداد فهو يكون فيهم بالعدوى لا بالإرث ولذلك يجب ان لا يرضعوا من والداتهم وان يوكل ارضاعهم الى مراضع سليمات الابدان واذا احوج الامر ان يربَّوا على لبن البقر فلا بدَّ من اغلائهِ على ما تقدَّم

وبقي الكلام في مرعى جراثيم المرض من الجسم وقد قدَّمنا ان هذه الجراثيم لا تنتشر ويستفحل امرها في الجسم الا اذا اصابت فيهِ مرتعاً يوافق حياتها ونمآءها لانهـا اذا دخلت جسماً سليماً لم تجد فيهِ غذآءها فتموت او يبطل فعلها ولهذا كانت عدوى هذا الدآء تتناول بعض الناس دون بعض مع استوآئهم في التعرض لاسبابها وكذا يقال في سائر الامراض المعدية

ومعلوم ان تقوية الجسم انما تتم بالمحافظة على الحالة الصحية واستدامتها والاعضاء لا تقاوم الداء وتثبت امام العوارض الا اذا كانت صلبة البناء وهذه الصلابة ينبغي ان تكتسب بالتدريج منذ الحداثة الاولى فليس شيء من مهيئات الطفل للمرض مثل ان يربى كما يقال في علبةٍ من قطن . ولذا ينبغي للطفل منذ ولادهِ ان يعوَّد البرد فلا يحصر في حجرةٍ دافئة ولكن يعرَّض ما امكن للهواء المطلق . ولمقاومة البرد يجب ان يعوَّد الرياضة البدنية التي بها تحفظ الحرارة الغريزية لكن بشرط تجنب الافراط فيها وانفع انواع الرياضة لهُ المشي ولا بأس باستعمال الدرّاجة لكن لا يحسن ان يكون ذلك قبل بلوغهِ الثانية عشرة من سنيهِ وبشرط ان تكون بحيث توافق قدّهُ وقواهُ وذلك مع كونهِ قويّ البنية بحيث لا يعقبهُ استعمالها تعباً يوجب الاعياء ويفضي الى الهزال . وكذلك الرياضة الفنيَّة المعروفة بالجمنستيك لكن مع التدريج البطيء في اطوارها . ولا بدّ مع استعمال الرياضة من العناية بامر التغذية لإخلاف ما يتحلل من البنية لكن من غير افراط

ومما ينبغي تجنب الافراط فيهِ المشروبات الروحية فانها تشوش اعمال الجهاز العصبي والهضمي والدوري وكثيراً ما تكون مهيئةً لقبول العدوى وكذلك ينبغي تجنب الافراط في التنعم والرفاهية والراحة ومنع الضغط على الاعضاء بتضييق الملابس ولا سيما على الخصر والاعضاء الصدرية كما تفعلهُ المولعات بطلب الجمال وخصوصاً الشابات اللواتي لم يتكامل نموّ بنيتهنّ بحيث يحوّلنَ اعضاء التنفس عن وضعها الطبيعي ويضغطنَ على آلات الهضم فان ذلك من اعظم المهيئات للعلل التدرنية

ويجب التوفر التام على العناية بامر المسكن فانهُ ينبغي ان يكون بحيث يدخلهُ النور والهوآء بكثرة وقد جآء في مثلٍ قديم من امثال الفرس « حيث يقلّ دخول الشمس والهوآء يكثر دخول الطبيب » فانهُ لا شيء اقتل للجراثيم المرضية من الشمس ولا شيء اشدّ ضرراً في المنازل من اكثار الستائر ومضاعفتها فانها اولاً تحجب النور الذي هو من اعظم اسباب الصحة وثانياً تكون موضماً تعشش فيهِ تلك الجراثيم بما يتجمع بين اثنآئها من الغبار

هذا اهمّ ما ينبغي اتخاذهُ من اسباب الوقاية ولا حاجة الى ذكر سائر الاحتياطات المشهورة من مثل نظافة البدن والملابس والمسكن وتخير انواع الغذآء غير انهُ لا بدّ لنا ان نكرر الالحاح فيما يتعلق بامر الصغار وتربية ابدانهم على الطريقة التي تمنع اعدادهم لهذا الدآء الوبيل لما ان الامر يرجع في الاكثر الى حالة البنية كما اسلفناهُ فان قوّتها اعظم مقاومٍ لهُ وسلامتها اصدق ضامنٍ للوقاية منهُ والله الواقي

غوائل الحروب

ما ترى الطير اقبلنَ اسراباً تحسبها سحاباً يملأ عنان الفضآء ويحجب وجه السمآء فاجتمعنَ فوق بقعةٍ اعدّ فيها الانسان وليمةً من لحوم اخوانهِ وجسوم بني جنسهِ وتداعت الوحوش من الاودية والاكام وقد برزت من الكهوف والآجام فتواردت من كل فجٍّ متسابقةً متدافعةً

لتروي ظمأها من دم الانسان وتملأ بطونها من لحمهِ فتقتص منهُ عما ارهقها من الجهد والبلآء والمطاردة في اكناف العرآء وهي تحدث بقسوتهِ وفظاظة طباعهِ وقد بلغ منهما ما لم تبلغهُ هي على شراستها ودنآءة جبلتها . وذلك بعد معتركٍ قام بهِ الطعان بين فئتين من بني الانسان والتحم القتال فاظلم الفضآء بالدخان المتكاثف وارتجت الارض بالرعود القواصف من دويّ المدافع التى تنبعث كراتها الهائلة فتحصد النفوس حصداً وتخرّ لها المدن والاسوار هدًا وقد فُقدت من الانسان عاطفة الرقة والحنان فانقلب وحشاً ضارياً ينقضّ على ابن جلدته فيمزقهُ كل ممزق وتتراكم جثث القتلى فتحسبها تلالاً وما هي بتلال وانما هي اجساد الرجال بجوهرها الانساني ونفوسها الناطقة . ويمشي القائد الظافر مفتخراً يكاد ينطح برأسهِ السمآء ويداهُ ملطختان بالدمآء يفضّ بهما رسائل التهانئ من الملوك والامرآء فتتركان فيها اثر الهمجية والعار وسمة الخزي والشنار

وليت شعري اي فضلٍ اتى ذلك القائد واي سعادةٍ جرّها الى الانسانية حتى ينال لاجلها جيل الذكر ويكافأ عليها بالثنآء والشكر سوى انهُ كان قاسي القلب فظّ الطباع جامد الشعور فأمر بسفك الدمآء وتدمير البلاد وصبر على مشاهدة ما ارتُكب من الفظائع في بني جنسهِ دون ان يندى لهُ جفنٌ او تتحرك فيهِ عاطفة ثم داس برجليهِ ركام القتلى وخاض بهما سيول الدمآء وهو يتخيل انهُ انما يدوس بقاع الفخر ويخوض غمار المجد وقصاراهُ ان ينقلك في هنيهةٍ من عصر الحضارة والنور الى ما سبق من ظلمات الخشونة في سالف العصور

هل بلغ من غباوة البشر ان سُدِل على تصوراتهم هذا الحجاب الكثيف ام انحط الانسان بجبلتهِ عن الدرجة التي خُلق عليها ام لا يزال يتسلسل فيهِ ما ورث عن آبائهِ الاولين من ان السلب والقهر عنوان العزة والفخر وان السفح والتدمير اساس المجد والحسب النمير ايام قام امثال اسكندر وأنيبال وتيمور ونابوليون الذين دمروا المدن وابادوا مئات الالوف من بني الانسان وعاثوا في جسم الانسانية فساداً فعلوا بهِ ما لم تفعلهُ الاوبئة المخيفة والناس مع ذلك يقيمون لهم التماثيل ويخصّونهم بكل تعظيم وتبجيل وقد ملأوا صحف التواريخ بذكر اعمالهم محفوفةً بالثنآء عليهم والاعجاب بما أُوتوا من الذكآء والاقدام وهم لم يستخدموا ذلك الذكآء الا فيما يؤيد سطوتهم ويمكّن هيبتهم في النفوس ويبلّغهم ما تطمح اليهِ مطامعهم من الاثرة والسيادة ولا رأينا من اقدامهم الا استباحتهم لكل محظور من المظالم والمحرمات وركوب الفظائع والموبقات مع انهُ لا يصعب على الانسان كما قال احد فلاسفة الفرنسيس ان يتصف بالظلم ويمارسهُ ولا هو مما يحق الافتخار بهِ . وليت شعري الا يُفضَّل على هؤلآء امثال ارسطو وابقراط ونيوتن وبستور وسائر اهل الفلسفة ورجال الطب وخدام المدنية وناشري الوية السلم الذين كشفوا للناس سرّ الوجود واسسوا لهم قواعد الحضارة وارشدوهم الى سعادة الحياة وخففوا عنهم وطأة الشقآء فما اعظم الفرق بين الفئتين

وان قيل ان فضل اولئك الغزاة انهم خدموا بلادهم ووسعوا نطاقها وزادوا ثروتها بما ساقوا اليها من موارد الكسب وما اخضعوا لها من الامم

قلنا ان هذه هي الاثرة بعينها فان هذه من المنافع الخاصة بفريق دون آخر بل هي من تضحية قوم لقوم على ان شرائع العدل الطبيعي لا تجيز ان يُبلَغ الى الثروة على اجسام الرجال ولا ان تشرى البلاد بالنفوس الغوال

ألا ما لزعماء الاصلاح واهل النور ودعاة التمدن وارباب الاحكام وواضعي الشرائع قد صمّت آذانهم وصمتت افواههم وسدل ذكر الفوز ستاراً على ابصارهم فهم لا ينظرون وقد كانوا من قبل ينادون بسموّ فطرة الانسان وعلو شأنهِ في الوجود وصيانة حقوقهِ وحفظ كرامتهِ واجتناب مضرّتهِ فما بالهم لا يبالون بالالوف منهُ تسقط تحت حدود السيوف وتتناثر اشلاؤها في مجازر الوغى وتُهدّم ديارها وتُغنَم اموالها ويُغصَب عقارها وتذهب نسآؤها وعيالها فريسة الجوع والشقاء وسائر انواع البلاء

افي العدل ان يرفع احدهم يدهُ الى السماء متهدّداً باسم الشرع كل فردٍ من الامة يعتدي على اخيهِ او يغصب حقاً من حقوقهِ ثم يسلمهُ باليد الاخرى سيفاً ويأمرهُ ان يذهب ويقتلهُ حتى اذا عاد ظافراً نال على ذلك اسنى المكافأة وعُدّ من عظماء الرجال

اوليس من الغريب انهم يجتهدون في اختراع اشدّ الآلات فتكاً واعظمها ابادةً وتدميراً فيرسلونها الى ميادين الحرب ثم يُصحبونها باعضاء جمعيات الرحمة لمداواة المرضى واساوة المجروحين . فكيف يكون بعد تلك القسوة شفقة ام هل يجتمع الظلم والرحمة والعنف واللين . لا جرم ان تلك فصول تمثيلٍ مضحك يموّه بها على عيون الناظرين فيشتغلون بلهوها عن ان يسبروا غورها وما زال الانسان وحشيّ الطبع وان تنكر تحت ثوب

الانس والرقة تمويهاً وزوراً وتستتر بما يسميهِ تمدناً وهو عن التمدن بمراحل

ويسألون متى يتاح للمجتمع الانساني ان يتمتع بنعيم السلام وهنآءة الالفة والوئام فيُطرَح السلاح وتلغى الحروب وتنقضي الغارات وتبطل القطائع وتنصرف الامم الى اصلاح شؤونها والتوفر على اسباب سعادتها ونعيمها وهل يدخل الانسان ذلك الطور في احد عصورهِ ام تبقى تلك الامنية في رؤوس بعض عظمآء الرجال لا تخرج عن حيز التمثُّل والخيال . وهيهات ان ذلك لما يستحيل بلوغهُ على الانسان وهو على ما عُرِف بهِ من الطمع والأَثرة التي غرستها فيهِ يد الفطرة فليس ينزع عنهُ الا بتوالي العصور وتمام انتشار العلم والمعارف حين تتطهَّر الاهوآء وتعلو النفوس فلا يساق افراد الامة الى طريق الخير كرهاً وهم جاهلون المصير بل يسعون اليهِ عن رغبةٍ واقتناع . وان قيل ان امتداد التمدن لا يكفل بلوغ تلك الغاية لانهُ يشاهَد بامتدادهِ امتداد الشرور وبانتشارهِ انتشار فظائع جديدة لم تكن معروفةً من قبل فهو غير قادر ان يستأصل من الفطرة الانسانية ما لازمها من الخواص الحيوانية قلنا ربما لا يصعب على الطبيعة التي تخفض الجبال وترفع السهول وتغير وجه البسيطة في كل زمان ان تغير شيئاً من فطرة الانسان

موسى صيدح

عدد السبعة

لحضرة الفاضل ميخائيل افندي اسطنبولية في دمشق

(تتمة ما في الجزء السابق)

وقد بقي في كلامهم عدة آثار تدل على اعتقادهم الفضل والقوة في السبعة

فنها قولهم للمقتدر أخذهُ اخذ سبعة وعذبهُ عذاب سبعة وسبَّعَ الله لك اي اعطاك الله اجرك سبع مراتٍ او سبعة اضعاف

وبعد الجاهلية انزال القرآن على سبعة احرف اي سبع لغات من لغات العرب وكون الفاتحة سبع آيات وهي المدعوة احياناً بالسبع المثاني وقول المستشهد لا اله الا الله سبع كلمات وان السماوات سبع والارضين سبع وابواب جهنم سبع والطواف بالكعبة سبع مرات والحصى التي يرمى بها في الحج سبع وهي المدعوة بالجمرات وان سحرة فرعون كانوا من سبع مدائن . ومن بعض الآيات التي جاء فيها ذكر السبعة قولهُ في سورة التوبة « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وفي سورة الاعراف « اختار موسى قومهُ سبعين رجلاً » وفي سورة البقرة « مثل الذين اموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ انبتت سبع سنابل » وآياتٌ كثيرة غير هذه طابق فيها ذكر السبعة لما ذكر عنها في التوراة فلا حاجة الى تعدادها

وفي الحديث قولهُ « المؤمن يأكل في معًى واحدٍ والكافر في سبعة امعآء » وقولهُ « اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسلهُ سبع مراتٍ احداهنَّ بالتراب » و « اذا همَّ احدكم بامرٍ فليستخر ربهُ فيهِ سبع مرات » وغير ذلك

وقد رأيت في مكتبة الملك الظاهر في دمشق في جملة كتب لرجل من الصالحية يدعى يوسف بن عبد الهادي اسم رسالةٍ يدلّ عنوانها على انهُ قد استقصى فيها جميع الاقوال والافعال النبوية المذكور فيها عدد السبعة والعنوان هو « السباعيات الواردة عن سيد السادات »

ولا بأس ان اذكر هنا بعض آثار السبعة في تاريخ الدروز كان الحاكم

بامرهِ وهو سابع خلفاءِ مصر من الفاطميين يقول ابي علي وامي فاطمة بنت النبي يقول ذلك على المنبر كل سبعة ايام ولبس الصوف سبع سنين ومنع النسآء من الخروج الى الطرقات ليلاً ونهاراً قال ابن خلكان كانت مدة منعهنَّ سبع سنين وسبعة اشهر

وفيما خلا الدينيات كون بنات نعش في السمآء سبعة كواكب واجتماع سبعة انجم في الثريا قال الشاعر

خليليَّ اني للثريا لحاسدُ وانّي على ريب الزمان لواجدُ
أيُجمع منها شملها وهي سبعةٌ وافقدَ من احببتهُ وهو واحدُ

واعتقادات القدمآء ان السيارات سبع والمعادن سبعة والبحار سبعة والاقاليم سبعة وكون طبقات الموسيقى سبعاً واجتماع سبعة الوان في قوس قزح وغير ذلك مما اضرب عنهُ صفحاً

ولم تخلُ المنظومات ايضاً من آثار هذا العدد فقد عددوا للشتآء سبع كافات جمعها ابن سكرة في قولهِ

جآء الشتآء وعندي من حوائجهِ سبعٌ اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كيسٌ وكنٌّ وكانونٌ وكأس طلاً بعد الكباب وكفٌّ ناعمٌ وكِسا

وعدد بعضهم في مقابلتها سبع ميمات للخريف فقال

جآء الخريف وعندي من حوائجهِ سبعٌ بهنَّ قوام السمع والبصرِ
موزٌ ومزٌّ ومحبوبٌ ومائدةٌ ومسمعٌ ومدامٌ طيبٌ ومرسى

وقال المتنبي مفتخراً بسبعة

الخيل والليل والبيدآء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

وعارضهُ ابو الحسين الجزار بسبعة فقال

اللحم والعظم والسكين تعرفني　　والقطع والخلع والساطور والوضمُ

وقد بقي غير هذا الذي اوردتهُ امثلة متعددة في التنجيم والسحر وسائر العلوم والفنون وانما ذكرت قطرةً من بحر ولو اردت ان استقصي للزمني مجلد كامل . ومن هذا القليل الذي سردتهُ يُستدلّ على شرف هذا العدد وعِظَم اهميتهِ في الاديان كافةً وعند الشعوب قاطبةً وقد انفرد بالشهرة دون غيرهِ من الاعداد وكان لهُ من الآثار في تواريخ الامم ما ليس لسواهُ .
وقد جآءت اقوال مختلفة في اسباب هذه الخاصية التي لهُ فقال بعض الشرقيين السبعة عدد كامل لجمعهِ العدد كلهُ اذ العدد اما ازواج او افراد فالازواج الاثنان والاربعة والافراد الثلثة والخمسة واما الواحد فليس بعدد على المشهور فاذا جمعت الزوج الاول وهو الاثنان مع الفرد الثاني وهو الخمسة او الزوج الثاني وهو الاربعة مع الفرد الاول وهو الثلاثة كان مجموع كلٍ منها سبعة وهذا التفسير على ما فيهِ من الذكآء لا يكشف سرًّا ولا يبين مغزًى لان الشعوب قديماً من سكان المدن والقفار حين اقبلوا على تعداد السبعة في معتقداتهم وعوائدهم واحتفالاتهم لم يكونوا يعلمون هذه الخاصية المستنبطة . وقال آخرون ان السبعة انما شاعت هذا الشيوع وعمت سائر الاحوال الدينية والمدنية لما كان عليهِ الناس قديماً من عبادة الكواكب السيارة السبعة فاعتبروا لذلك هذا العدد مقدساً وجعلوهُ اساساً لكل تقسيم لهم ولذلك وُجدت آثارهُ على اكثر الابنية الدينية القديمة عندهم كما مرّ بنا سالفاً . وجعل بعضهم الرمز في ذلك كلهِ الى ايام الاسبوع وكلا

القولين وان صح بعضهُ في زمنٍ فلا يصح في زمنٍ آخر لان تقسيم الايام الى اسابيع لم يكن من وضع الناس وكثيراً من معدودات السبعة وُجدت في حين لم يكن للفلك والكواكب تمدادٌ او علمٌ يُعرَف والارجح ان هذه المزية التي آثر بها الناس عدد السبعة على ما سواهُ من الاعداد مسببة عن اعتقاد كونهِ مقدساً ولذلك قال فرجيل الشاعر اللاتيني من شطر بيتٍ ما تعريبهُ ان الآلهة تحب العدد الفرد

ومن قرأ اسفار الوحي خاصةً ورأى كم ذُكر هذا العدد في كلام الله عزّ وجلّ ووصاياهُ مما نقلت بعضهُ في ما سبق حكم ان تفضيل السبعة على ما سواها وشيوعها هذا الشيوع في المعتقدات والعادات والمصطلحات ليس من باب العبث او الاتفاق وانما هو ناشئ عن سببٍ اوجبهُ ولعلهُ كان نظراً لخلق الله العالم في سبعة ايام واستراحتهِ في السابع منها قال في سفر التكوين وبارك الله اليوم السابع وقدّسهُ لانهُ فيهِ استراح من جميع اعمالهِ فلما بورِك اليوم اعتُبر العدد نفسهُ مباركاً وشاع ذلك الشيوع الذي نقلت من بعض آثارهِ قليلاً من كثير . ولست اريد بهذا ان عدد السبعة نفسهُ قُصد بالبركة ولكن لحقتهُ البركة من طريق الظرفية اي بما انهُ كان ظرفاً وزماناً لليوم الذي فيهِ استراح الله لا انهُ مقصود بذاتهِ بحيث لو كانت قد حصلت هذه الاستراحة في اليوم الخامس مثلاً او غيرهِ لاعتبر الناس ذلك العدد مباركاً وادخلوهُ في كل معدود لهم والله اعلم بالصواب

آثار ادبيّة

سبيل الصلاح — اطرفنا بنسخةٍ من هذا الكتاب النفيس وهو مجموع الخُطَب التي ألقاها قدس الحبر الجليل العلاّمة المنطيق السيد جرمانس المعقَّد مطران اللاذقية في الكنيسة الكبرى بدمشق ايام الصيام الكبير من سنة ١٨٩٦ . وهي تسع عشرة خطبةً مطوَّلة في اغراضٍ مختلفة جمع فيها بين حاشيتي الدين والفلسفة واودعها من نفحاته القدسية وعباراته القُسّيةَ ما يُستروَح منهُ نسيم الجِنان ويملك أعنّة السمع والجَنان ومن قوة الحجج المنطقية واشمة البراهين العلمية ما تتلقّاهُ الالباب بالاذعان وتستنير به البصائر والاذهان الى زواجر تَرُدّ بمثلها الاهواء عن الجماح ونصائح تُقتاد بها النفوس الى سبيل الصلاح فجزاهُ الله على هذا التأليف وغيره خير ما جزى به ذوي الاحسان ولا زلنا نتلقى من نوابغ علمه ما ينطق بحجتنا يوم تَعشَى البصائر ويتلجلج اللسان

فاكهة النديم في تهانئ السليم — انتهت الينا نسخةٌ من كرّاسةٍ بهذا العنوان تشتمل على مجموع القصائد التي نُظمت لحضرة الوجيه الامثل سليم باشا الملحمة تهنئةً لهُ برتبة الوزارة السنية جمعها وطبعها حضرة الاديب جرجي افندي مرعي صاحب المكتبة اللبنانية في البترون . وقد تصحفنا بعضها على قدر ما وسعهُ وقتنا الضيّق وفسح لنا تراكم الاشغال فرأينا فيها من غرائب النظم ما استوقفنا وايم الله بين الحيرة والاسف لما تمثل لنا من

تخلف صناعة الادب في بلادنا السورية مع ما نعلم فيها من زيادة وسائل انتشار العلم وكثرة المدارس والدارسين وتمنينا ان لا يكون ذلك عن تراجعٍ في الفطرة وانتكاسٍ في استعداد السُلالة الشرقية التي طالما لمعت اشعة ذكائها في العصور الغوابر . ولا جرَم ان مثل هذا لما تنقبض لهُ صدور الآمال ويكفهرّ لهُ محيا الاستقبال ومما يُسجل على الشرقيّ بتمام الانحطاط والاضمحلال لولا اننا لم نزل نشاهد من نجابة مواطنينا الاعزآء ونوابغ عقولهم حيثما انقلبوا وفي اي مأخذٍ شرعوا ما يؤيد ان شعلة ذلك الذكآء لم تبرح تتوقد في فِطَرِهم الشفافة وما استبنّاهُ منهُ ان ما ظهر لنا من ذلك التخلف لم يكن عن نقصٍ في الغرائز ولا فتورٍ في الذكآء وانما هو من نقص العلم وسوء التلقين وفقد المنبهين على العثرات والمسددين في طريق العمل مما سوَّل للقاصر ان يتطاول الى ما يفوت يدهُ من الغايات واراهُ طريق الفضل سهلاً فوطئهُ وهو لا يدري ما امامهُ من المهاوي والعقبات فكثر المتطفلون على موائد العلم والمجترئون على مقامات الشعر والانشآء على حين لا وازع يزَع ولا هادي يدعو فيتَّبع وما كان احوج البلاد الى مسيطرين على اقلام الشعرآء والكتَّاب كما ان فيها مسيطرين على اقلام اصحاب الجرائد السياسية وصحف الاخبار لانهُ ان خيف من تلك ان تضرَّ بالمصلحة الوطنية من الجهة السياسية فان هذه ولا جرَم تضرّ بها من الجهة الادبية بما تؤدّي اليهِ من فساد اللغة التي هي اعظم اركان الوطنية واهمّ روابط الجامعة الأُمّية

ومعلومٌ ان الشعر من اعلى طبقات الكلام وابعدها غايةً لما يقتضيهِ من شرف الالفاظ ونباهة المعاني وسلامة الذوق والمبالغة في التنقيح والتهذيب

فابتذالهُ على ألسنة غير اهله مما يزري بهِ ويفسد رونقهُ ويُسقِط مزيتهُ بل ربما افضى الى دفن كثيرٍ من جواهرهِ في صدور اربابهِ لانهُ اذا اصبح متداولاً بين ايدي العامة وابتذلهُ من لا يحسنهُ أنِف المجيدون لهُ من انتحالهِ وتجافى كبرآء اهل القول عن نزول كنفهِ . وهذا ولا ريب احد اسباب عقم الشعر في هذه الايام وانصراف الرغبة عنهُ الى النثر الذي لا يجلّي في حلبتهِ الا كل من اعطتهُ البلاغة قيادها وملَّكتهُ الفصاحة عنانها ولذلك ترى المتعرّضين للشعر اكثر من المتعرّضين للنثر حتى في الاعصر الاولى وايام كانت الفصاحة شائعةً بين طبقات المتأدبين على العموم

ولقد مرَّ بنا كثيرٌ من ركيك الشعر وساقط القول ولا سيما في هذه السنين المتأخرة التي لم يبقَ فيها من عرف قاعدةً من قواعد الصرف او قرأ ديواناً من دواوين الشعرآء الا تصدّى للنظم وطيَّر قصائدهُ في البلاد الان جلّ ما كنا ننكرهُ على اولئك الشعرآء خلوّ كلامهم من مبتكر المعاني وجليل الاغراض وبُعد الفاظهم عن مقام الجزالة العربية التي هي حلية الشعر ورونقهُ ولم نكن نتوهم ان نرى من الشعر ما يبلغ ان ينتظم في سلك اللغو ويُعدّ ضرباً من التخليط والهذيان مما لم نرَ لهُ مثيلاً الا في كلام بعض الجرائد عندنا مما سبقت لنا الاشارة اليهِ في غير هذا الموضع . لاجرم ان هذا من فاحش التأخر بل هو نهاية السقوط والانحطاط ولولا ان تكون تلك القصائد مطبوعةً متداولةً بين ايدي المطالعين لما كنا نؤثر الا سترها على اربابها تفادياً من هذه المعرّة الشنعآء . ونحن نروي لك امثلةً منها تكفي للدلالة على باقيها فنها قول القائل في فاتحة تلك القصائد

تسابقَ درّ المادحين امامهُ وكلٌّ غدا فيما يقول مقصرا

ولم نسمع ان الدرّ يتسابق الا في هذا البيت . وقولهُ

لهم اوجهٌ منها المشاشة اشرقت وعرفٌ بهِ الطرف القريح تنوّرا

وما نعلم كيف يتنور الطرف بالعرف ولا اي مشاركةٍ بين العين والانف .

وقولهُ

ولما بدت انوارهُ وتلألأت فقلنا بهِ يا ما اجلّ وازهرا

وما عابهُ نقصٌ بُعيد تمامهِ كذاك اذا خسفٌ عراهُ تنيرا

وانظر ماذا تفهم من هذا البيت الاخير . ومنها قول الآخر

يميس ببردة النعمات تيهاً امينًا باليمين وبالشمالِ

بظل ظلال من اولى البرايا بحوراً من مكارم كالرمالِ

وقولهُ

وحي اقوالهُ كظباة عضبٍ تقدّ بحدّها صعب الوصالِ

يطارح في مراميهِ بعيداً وفي شوط المصاعب لايخالي

وقول الآخر

جلت لنا برق رعدٍ خلبٍ فذرى قلبي بقرب الردى في سحب هجريها

رأت تدلل ليلى عند قيس كما ارى تذلل قيسٍ في تصابيها

يدنو اليها قريح الجفن تجزلهُ ريقاً رحيق لمى برداً يوافيها

وقولهُ

حنت فنحت دواعي الزعر عن مهجٍ تخال في وصلها صولا يجافيها

جماعة الجهم والالطاف في خلقٍ صدًا ووصلاً صلا ناراً بماديها

وقول الآخر

الى اهلهـا تصبو العلى والمراتبُ واقدارها عن كل قدرٍ دلائلُ
فلا تحسبنَّ المجد سهلاً نوالهُ فدونهُ بيدٌ خلٌ فيها الحلاحلُ

وقول الآخر

لو استطاع ثغر الشرق زم رحالهُ اليك ليحيي بالمثول ضلوعا
فوالله لم يمنعهُ عن ذاك شاغلٌ سوى شططٍ ابقى الفؤاد مروعا

وقول الآخر

اعزَّ واحمى في الشدائد والرخا وان كان اقدامٌ فما فوقهُ الاجرى
يجيء لدى الجلى وقد زعر الورى فيجلو دياجيها وقد رغم الدهرا

وقس على ذلك سائر ما هناك مما نحسب المطالع اكتفى منهُ بهذا القدر . ولا نزيد اولي الذوق علماً بان مثل هذا الشعر حريٌ بان يزري بقدر الممدوح لما فيهِ من امتهان ذكرهِ وتعريضهِ للسخرية والاستهزآء وقد جآء في بعض كتب الادب ان احمد بن اسمعيل بن الخصيب دخل يوماً على سليمان بن وهب يعزيهِ عن والدتهِ فقال لهُ يا اعزَّك الله بي مصائب انثالت عليَّ من كل جانب فقال ما هي اطال الله بقآءك قال ماتت امي وغُيّر اسمي ورُثي ميتي بهذا الشعر ورمى اليهِ رقعةً فيها مكتوب

لامّ سليمانٍ علينا مصيبةٌ مجللةٌ مثل الحسام البواترِ
وكنتِ سراج البيت يا ام سالمٍ فاضحى سراج البيت بين المقابرِ

قال فاشتغل بالضحك عن البكآء وبالتسلي عن العزآء . انتهى . فقد رأيت انهُ عدَّ رثآء امهِ بهذا الشعر مصيبةً اخرى فوق مصيبتهِ فيها لِما عرَّض

ذكرها للضحك والاستخفاف في مقام الحزن والخشوع . وانت تدري ان المقصود بالمدح والرثآء وسائر الاغراض الشعرية تصوير المعنى باظهر الوانهِ واشدها تأثيراً في النفس والمبالغة في الوصف الى آخر حدٍّ ممكن على ما هو المعروف من مذهب الشعرآء فاذا برز ذلك المدح في صورةٍ مضحكة وقالبٍ مستهجَن غلب ما فيهِ من المُجنة على محاسن اوصاف الممدوح وانصرفت النفس عن الاشتغال بتصوُّر فضائلهِ والاعجاب بمناقبهِ الى اللهو بما ورد في كلام الشاعر من المضحكات فتوارى ذكر الممدوح ورآء هذا الستار المتهَن

واسوأ مما ذُكر وابعد مذهباً في الفهاهة انك ترى منهم من يعمد الى البيت المشهور من ابيات الذم او الرثآء فيُدخِل بعض الفاظهِ في قصيدتهِ او يُفرغ في قالبهِ بيتاً من المدح فاول ما يقرأهُ المطالع او يسمعهُ السامع يذكر ذلك البيت فيكون كالتعريض بالممدوح وذلك كقول القائل في اهدآء هذه المجموعة يخاطب الممدوح

فغضّ طرفك ان العجز يخجلها لعزّةٍ انت بدرٌ في معاليها

فان اول ما يقرع الخاطر من هذا البيت قول جرير في هجآء الراعي وهو من الشواهد المشهورة في كتب النحو

فغضّ الطرف انك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وكقول الآخر

فلو قيل من نال العلى بلياقةٍ اشارت اليهِ بالتواري الاناملُ

فانهُ سلخ البيت المشهور وهو من شواهد النحو ايضاً

اذا قيل ايّ الناس شرّ قبيلةٍ اشارت كليبٍ بالاكفّ الاصابعُ

غير انهُ بدّل الاصابع بالانامل والاكف بالتواري والله والناظم اعلم بما اراد بهذه اللفظة . ومثلهُ قول الآخر

اذا قيل ايّ الناس واحد عصرهِ تمدّ اليهِ الخلق انملها العشرا

فانهُ لا يعدو البيت نفسهُ الا انهُ جعل الاشارة اليهِ بالانامل العشر اي بالراحتين جميعاً مفتوحتي الاصابع ..... ومن ذلك قول صاحب هذه القصيدة وهو بيت المطلع

افيقا لسان الحال قد نظم الدرّا وصوت الهنا اهدى الى البشر البشرى

وانظر ما محل قولهِ افيقا من هذا البيت وانما هو من قول المتنبي

افيقا خمار الهمّ بغّضني الخمرا وسكري من الايام جنّبني السكرا

والفرق بين الموضعين ظاهر . ومن هذا القبيل قول الآخر

ركبتَ مطيّةَ الاخلاص بدءًا فرُقّيتم الى خير المآلِ

وانما هو من قول ابي الحسن الانباري في رثآء ابن بقية وقد مات مصلوباً

ركبتَ مطيةً من قبلُ زيدٌ علاها في السنين الماضياتِ

واما ما هناك من اغلاط اللغة والنحو والوزن والتقفية فامرٌ يطول الكلام عليهِ وليس من قصدنا في هذا الموضع وقد امتدّ بنا نَفَس الكلام الى ما لا يحتملهُ حال هذه القصائد ولا تتسع صفحات هذه المجلة للمزيد عليهِ . والله يعلم ان ليس من غرضنا فيما اوردناهُ تثبيط اقلام اولئك الادبآء وامثالهم عن الجري في هذا المضمار فانهُ ليسرّنا ان نرى في قومنا من يهتمّ بالادب واللغة ويشتغل بالشعر والانشآء وهو ولا شك مما تفخر بهِ البلاد ويحيا

بهِ تمدّن الأمّة ولكن لا اقلّ من ان يكون ما يأتون بهِ صحيح التركيب مفهوم المعنى ولا نطالبهم بالفائق ولا الجيّد والا فقد كانت الاميّة اجمل واستر . وانما الذي نتوخاهُ هنا تنبيههم الى التثبُّت فيما يكتبون وان لا يعجلوا الى نشر ما يبدر من قرائحهم قبل تنقيحهِ وعرضهِ على من يقيم من أوَدهِ او ينبه الى ما فيهِ من خطإٍ او لحن والا فلا اقلّ من ان يطلع الواحد منهم صاحبهُ على ما يجود بهِ خاطرهُ فان للمرء في شعر غيرهِ نظرة غير نظرتهِ في شعر نفسهِ وان لم يكن هذا ولا ذاك فليطوِ ما ينظمهُ عن نفسهِ اياماً حتى يتناساهُ ثم يعاودهُ فانهُ حينئذٍ يكون نظرهُ فيهِ كنظر الاجنبي ويتنبه فيهِ لاشيآء لم يتنبه لها حال النظم . ونمسك عنان القلم على هذا القدر تفادياً من الملل والله المسؤول ان يسددنا جميعاً بهديهِ وهو حسبنا

لله في خلقهِ آيات

نقصّ على قرآئنا الكرام نادرةً مبتكرةً اتفقت لنا في هذه الايام وهي ان رجلاً — او غير رجلٍ ... ولكنهُ فيلسوف في جنسه — أُرسل اليه الضيآء في جملة من ارسل اليهم من المشتركين فلما بلغهُ الجزء الاول ردهُ ولكن على صورةٍ غريبة لم نعلم معها كيف نجاريهِ على هذا الرد فانهُ جرّد الجزء من اللفافة المكتوب عليها اسمهُ وغلفهُ بلفافةٍ اخرى وكتب عليها اسمنا وسلمهُ الى البريد فلما صدر الجزء الثاني ارسل اليه بالضرورة لاننا لم نتنبأ عن اسمهِ حتى نمحوهُ من بين اسمآء المشتركين ففعل به كما فعل بالاول ثم وصل اليهِ الثالث ففعل بهِ كذلك والى الآن لم يفهم ان الضيآء لا يمكن ان يُقطع عنهُ ما دام اسمهُ مجهولاً عندنا ونحن نعلم انهُ مظلوم بارسال الضيآء اليهِ والضيآء مظلوم بان يُرسل الى مثلهِ ولكن من لنا بان نعرف اسمهُ حتى نعفيهُ من الضيآء ونعفي انفسنا من هذا العنآء

فكاهات

رواية

حكمة الوالدين[1]

كان في مدينة باريز رجلٌ واسع الثروة بسيط الجاه يقال لهُ المسيو ريشار موصوفٌ بحصافة العقل وثقوب الذهن واصالة الرأي وبُعد المدارك وقد عركتهُ الحوادث وسبكتهُ التجارب حتى قتل الدهر خبراً وعرف الايام بطناً وظهراً . وكانت لهُ زوجةٌ لا تحطّ عنهُ حكمةً ورصانةً يقال لها جوليا قد جمعت بين شهامة القلب ومكارم الاخلاق والصبر وطول الاناة وكان زوجها يجلها ويكرّمها لما زُيّنت بهِ من المواهب الطبيعية ومحاسن الآداب فعاشا عيشةً راضية تمثلت فيها سعادة الحياة ورغد معيشة الزوجين بالأُلفة والسلام . وكانت لهما بنتٌ بارعة الجمال يقال لها لويزا قد احسنا تربيتها وتهذيبها فنشأت على الفضائل ومحامد الخلال وتلقنت العلوم في افضل المدارس فاحكمت كثيراً من المعارف والفنون حتى قرنت الجمال بالكمال واصبحت فتنةً للالباب وبهجةً للناظرين. ولما اتمّت التحصيل وكان لها من العمر ثماني عشرة سنةً خرجت من المدرسة فاستقرّت في بيت ابيها وعُني والداها بتخريجها في فنون المعاشرة وآداب المجتمع فكانا يعرّفانها بزوّار المنزل

(١) بقلم موسى افندي صيدح

فتجلس اليهم وتحادثهم ولم يمضِ الا قليلٌ حتى اصبحت زينة تلك المجتمعات ومحل اعجاب كل من رآها واختبر عقلها وادبها مما زاد ابويها سروراً بها وزادها نشاطاً وانبساطاً فكانت لا تُرى الاّ طرِبةً مسرورةً ولا يُسمَع في اطراف المنزل الاّ تغريدها العذب ونغماتها الشجية ولم يكن لوالديها من امنيةٍ الا ان يقعا لها على كفوءٍ من الازواج يليق بها ويكفل سعادة آتيها

وكان فيمن يزور اباها فتى في الخامسة والعشرين من السنّ طلق المحيا رقيق الاخلاق حسن المحاضرة يقال لهُ المسيو موريس من المستخدمين في وزارة المالية وكان قد قُدّم الى البيت على يد احد الاصدقاء ثم جعل بعد ذلك يتردد حيناً بعد حين وقد كلف بحب الفتاة وطمع في وفرة غناها لما يعلم من اتساع ثروة ابيها فجعل يجهد في التقرّب من قلبها بكل ما استطاع من اساليب الرقة ولطف المغازلة حتى مالت اليهِ واستولى على ازمّة هواها وصار يجلس اليها في اكثر الاحيان فيتحادثان ويتغازلان . ولما تمكن الانس بينهما ووثق بحبها وانعطافها كاشفها برغبتهِ في الاقتران بها فاظهرت لهُ الاجابة الى ذلك لما سبق من مكانهِ في قلبها فكاد يطير فرحاً واستبشاراً وأيقن بالحصول على ما يتمناهُ من السعادة وتمثـل لهُ المستقبل باسماً محفوفاً بلألآء المجد والغبطة . فسكر بنشوة هذه الامانيّ وحدثتهُ نفسهُ ان يذهب ويطلبها من ابيها فاسرع وفعل فلما سمع ابوها منهُ ذلك وهو ما لم يكن يترقَّب ان يصدر منهُ بالقياس الى انحطاط مقامهِ عن منزلة البيت اخذتهُ أنفةٌ شديدة وصدّهُ صداً جافياً . فأخذ يتوسَّـل اليهِ بكل ما استطاع من الضراعة فلم يغنِ ذلك عنهُ شيئاً وانصرف وهو يتعثر بأذيال الخيبة وقد

اضمحلت آمالهُ كما يضمحلّ سحاب الصيف في أفق السماء وتقوّضت صروح امانيهِ وظهرت لهُ تماثيل رجآئهِ في اقبح صور اليأس والقنوط . ولما بلغ الى منزلهِ كتب الى لويزا يعلمها بما كان ويشكو اليها فرط لوعتهِ وما اخذهُ من المضّ والجزع عند ما أيقن باليأس من الاقتران بها فلم تكن لويزا بأقلّ منهُ كداً واكتئاباً عند ما بلغتها رقعتهُ لما كان لها من شديد التعلق بهِ والميل اليهِ وما كانت تبني على اقترانها بهِ من آمال الغبطة والنعيم فاستولى عليها الانقباض والقنوط وتبدل صفوها بالكدر وبدت على ملامحها علائم الغمّ والوحشة فانكسف ذلك الجمال بعد اشراقهِ وتبدلت تلك البهجة بالاكفهرار والعبوس

وشعرت والدتها بتغير حال ابنتها وعرفت سببهُ لانها لم تكن تجهل تعلقها بموريس ولا تمانع اقترانها بهِ لما كانت ترجو لها من الغبطة في ذلك الاقتران بيد انها لم ترَ ان تفاتح زوجها بهذا الحديث لما تعلم من شدة شكيمتهِ وفرط تصلبهِ في رأيهِ وخشيت ان يكون ذلك سبب تنغيص لعيشتهم البيتية فلزمت الصمت اضطراراً وتربصت ان تأتي الايام بحلٍ لذلك المشكل

واتفق في اضعاف ذلك ان رجلاً من ذوي الحسب الرفيع والثروة الطائلة يقال لهُ الكُنت رولان كان قد رأى لويزا فوقعت من قلبهِ موقعاً جليلاً وأُعجب بما شاهد من جمالها وسمع من صفاتها فوافى اباها خاطباً فسرّ ابوها بذلك اعظم سرور لما يعلم من محاسن صفات الرجل وكرم أصلهِ ووفرة غناهُ الا انهُ لم يحبّ ان يقطع معهُ قولاً الاّ بعدما يقف على رضاها فسأل

الكُنت ان يمهلهُ في ذلك اياماً ثم جآء ابنتهُ وعرض عليها الامر فرفضت فراجعها بكل وسيلةٍ للاقناع فلم تزد الاّ عنادًا واصرارًا على الإبآء فلجأ اخيرًا الى العنف وتهددها بكل ويلٍ إذا لم تجب الى طاعته في اجلٍ ضربهُ لها وانصرف وقد بلغ منهُ الحنق والغيظ كل مبلغ وتنغصت ايامهم بعد ذلك بما شابها من النكد والنزاع بين لويزا وأبيها . أما جوليا فكان دأبها المراوحة بين تسكين غضب زوجها وترويض اخلاق ابنتها بما وسعها من الجهد وما أُوتيت من الحكمة وهكذا اصبح البيت في قلق دائم وخيَّم عليهِ الغمّ والكمد وانقلبت تلك المسرّات الى هموم وقعها مرّ وعناؤها مستمرّ

ولما كانت الليلة التي وُعد الكُنت رولان ان يبلَّغ الجواب في غدها باتت جوليا في تلك الليلة قلقة الخاطر مضطربة البال لحلول الموعد الذي ضربهُ زوجها للكنت وبقآء لويزا على اصرارها وامتناعها من موافقة ابيها بحيث يُضطرّ الى اجابتهِ بالرفض فكثرت هواجسها وأحاطت بها جيوش الهموم ولم يأخذها نوم ولا قرار . ولما تنصف الليل وقد غلب عليها الارَق وضيق الصدر نهضت من سريرها وفتحت باب غرفتها فرأت في غرفة زوجها نورًا فعرفت انهُ استيقظ في تلك الساعة فدخلت عليهِ فوجدتهُ جالساً وراء مائدتهِ مكبّاً على المطالعة يحاول بها طرد ضجرهِ ومدافعة بلبالهِ . فنظر اليها وقال لها ما أتى بكِ في مثل هذه الساعة ألعلَّكِ آتية لتسكّني غضبي وترضّيني عن وقاحة ابنتكِ على حسب العادة فاعلمي ان غيظي منها قد بلغ حدّهُ فاذا ذكرتُ اسمها ارتجفت شفتاي واذا تمثل لي اصرارها وعصيانها انتفض كل عرقٍ مني لاني فضلاً عن تمرُّدها ومخالفتها لرأيي أراها ترمي

بنفسها في مهواة الشقاء وتضيع سعادة مستقبلها في سبيل الحماقة والطيش •
فقالت لقد عهدتك حكيماً حازماً كثير التروي والاناة في كل أعمالك فلا
يُطيشنَّ هذا الحادث حلمك ولا يستولينَّ عليك الغضب والحدَّة ولقد
افرغنا كل ما في وسعنا من اساليب الملاينة وطرق المخاشنة لاقناعها فلم يكن
الى ذلك من سبيل فهل يحسن بعد هذا ان نُكرِه ابنتنا على التزوّج بمن
لا تحبهُ ولا يطيب لها معهُ عيش أَوَلا ترى اننا بذلك نعرّضها لشقاء دائم
ونكون سبباً في تنغيص حياتها بضروب النكد والقلاقل وقد نكون جالبين
عليها وعلى انفسنا ما لا تُحمدَ عقباهُ • ثم اذكر ألم يكن زواجنا مسبوقاً بالرضى
والاختيار وتبادل الحبّ من الجانبين فلمَ لا يكون زواج ابنتنا كذلك وبأي
حقٍ نحرمها الاقتران بمن تميل اليهِ وتعيش معهُ عيشةً راضية ولا سيما ان
موريس فتى حلو الشمائل رقيق الطباع مهذب الخصال خليقٌ بأن تكون
ابنتنا معهُ في حالٍ يسرّها ولو لم يكن غنياً • فقال ريشار ولكن اعلمي
يا جوليا ان موريس لم يخطب الي ابنتي الا رغبةً فيما يعلمهُ من ثروتها الطائلة
فهو في الحقيقة مغرمٌ بصندوق اموالي لا بجمالها وانما يروم الاستيلاء على
جواهري وأملاكي لا الاستيلاء على يدها وأما الكنت فانهُ رجلٌ غنيٌّ لم
يثرهُ الطمع في المال ولكنهُ يودّ الحصول على لويزا لاعجابهِ بجمالها وأدبها
وانما طلبها عن حبٍّ صحيح وميلٍ مجرّد فهو الحريّ بأن يقدُر مواهبها حقَّ
قدرها والذي تحظى عندهُ بالسعادة وهناءة العيش • قالت لا يبعد ان تكون
مصيباً في ذلك وما انا بالتي تغالطك فيهِ ولكنَّ صرفها الى هذه الجهة لا
يكون بالتهديد والتضييق على اميالها بل ربما كان ذلك مما يزيدها نفاراً

واصراراً فالاولى ان نتدبر الامر بالاناة والصبر ونسلك معها سبيل اللطف والملاينة لاقناعها بما هو خيرٌ لها وأرى ان تَكِل هذا الامر اليَّ اتصرف فيه بما يُفتَح بهِ عليَّ ولعلي لا انتهي الا الى ما تحب . قال دونكِ فافعلي ما شئتِ فخرجت من عندهِ وعادت الى غرفتها

وما كادت جوليا تستقر في غرفتها حتى رأت لويزا داخلةً عليها بملابسها المعتادة وعليها علائم القلق والارتباك فاستغربت منها جوليا ذلك وقالت ما الذي جآء بكِ في مثل هذه الساعة يالويزا وما بالكِ لم تنامي بعد. فاستخرطت في البكآء ووقعت على قدمي والدتها وقالت ارحميني يا والدتي. قالت وما عرض لكِ الآن يا ولدي . قالت اغفري ذنبي فاني لم اقدم على ما نويت فعلهُ الا لقساوة والدي فكوني انتِ أرأف بي منهُ واني منطرحةٌ بين يديكِ وغير صادرةٍ الا عن رضاكِ . قالت ويحكِ وما ذاك . فأخرجت صحيفةً ودفعتها الى والدتها وقالت خذي واقرئي ثم اجهشت بالبكآء. وكانت الصحيفة رسالة من موريس يواعدها فيها ان يأتيها الساعة الواحدة بعد منتصف تلك الليلة ويقول لها لتنتظرهُ في تلك الساعة في حديقة القصر ليأخذها ويفرّ بها . فلما قرأت جوليا الرسالة جعلت ترتعد من الغضب وتقول يا للنذالة أبلغ من وقاحة الوغد انهُ يريد اختطاف ابنتي . ثم التفتت الى لويزا وقالت لها اذن كنتِ تنوين ان تفارقي والديكِ على هذه الصورة المعيبة وتَخلعي على اللذين ربياكِ هذا العار . قالت عفواً يا والدتي فان هذا هو الامر الذي استوقفني عن عزمي واقامني في الحيرة والارتباك بين ان اجيب داعي حبي لموريس او ارعى شرف والديَّ وجميلها ولذلك لم اجد الا ان ألتجئ اليكِ

وأستغيث برحمتكِ وحنوّكِ . قالت لقد احسنتِ بكشف سرّكِ لي فانكِ حديثة السنّ قليلة الاختبار فدعيني اتولى عنكِ الوصول الى نهاية هذا الامر . وكانت الساعة قد اتت فأخذت جوليا بيد ابنتها وقالت لها هلمي بنا ننزل الى الحديقة ونلاقيهِ هناك . قالت ولكن يا أُمَّاهُ . . . قالت هذا ليس من شأنكِ فاتبعيني ثم نزلتا الى الحديقة ولم تلبثا الا قليلاً حتى رأتا شبحاً يتسلل بين الاشجار وهو يقترب منهما . فأشارت جوليا الى لويزا ان تتوارى قليلاً بحيث تكون منهما بمرأى ومسمع ففعلت ودنا الشبح حتى وقف امام جوليا فاسرعت بعودٍ من الثقاب وأشعلته ُ فلما لمح موريس هيئتها ارتدّ الى الوراء مذعوراً وقد استولى عليهِ الدهش والهلع . فقالت لهُ سكّن روعك يا مسيو موريس ولا تجزع لشيء . فان لويزا قد كاشفتني بمكنون سرّها وعرّفتني كل ما دار بينكما فاجلس لنتحدث قليلاً . فجلسا على مقعدٍ هناك وابتدأت جوليا بالكلام فقالت لهُ اني أعلم يا موريس بمحبتك لابنتي ومحبتها لك ولست استغرب مجيئك الآن لتأخذها خلسةً بعد ان ردّك ابوها ومنعها منك ولستَ اول من فعل مثل ذلك في مثل هذه الحال واقول لك اني لا امانع اقترانك بها لاني اعلم انك شابٌ لطيف الذات ممدوح الصفات وانها ستعيش معك عيشةً هنيئة . قال ما اغزر حكمتكِ يا مولاتي وأوفر حلمكِ وان لساني ليعجز عن وفآء شكركِ على ما ابديتهِ من الجميل وكرم الاخلاق لكن أحقاً لا تمانعين . قالت لا ولكني قبل ان اخوض معك في هذا الحديث رأيت ان اطلعك على امرٍ لا بدّ منهُ مما يتعلق بهذا القران حتى تكون على بينةٍ مما انت مقْدِمٌ عليهِ وهو امرٌ لم اكن لاكاشفك بهِ

لولا ان الحال الجأتني ان افشيهُ اليك وارجو ان تكتمهُ علينا لانهُ الى الآن لا يزال مستوراً . قال تكلمي فكلي مسامع وأعدكِ وعد صادقٍ اني لا ابوح بحرفٍ مما تقولين . قالت تعلم يا موريس ان زوجي ربُّ مصرف وان اصحاب هذه الحرفة معرّضون كلَّ ساعةٍ لسقوط ماليتهم يتهددهم الخراب من حيث يعلمون ولا يعلمون ولست اخفي عنك ان هذا ما وقع لنا لان ماكان آخراً من نزول اسعار الاسهم قد جلب علينا خسائر جمة استغرقت كل ما نملك ولم يبقَ لنا ما يقوم بضروريات معاشنا فهذا القصر الذي تراهُ وهذه الارض التي تطأها والثروة الواسعة التي تسمع بها كل ذلك لم يعد ملكاً لنا ولم يبقَ لنا منهُ شيء وهذا ما دعا زوجي ان يرفض طلبك ويمنع زواج لويزا وقد كتمنا الامر عن لويزا فهي الى الآن لم تعلم بشيء منهُ . قال أحقٌّ ما تقولين يا سيدتي وقد وافاكم هذا الخراب الفجائي قالت نعم وانهُ لخرابٌ عظيم يا موريس فقد امسينا فقراء وامسى من يتزوج لويزا يتزوج فتاةً فقيرة لا تملك شيئاً . وقد اطلعتك على حقيقة الحالة لتراجع رأيك في الامر حتى اذا كنت لا تزال على عزمك فهيا بنا الآن لاتمام العقد بحضوري فان لويزا بالانتظار وانا ارافقكما الى المنزل ولا داعي لأن نخرج خلسةً كما كنت تنوي ان تفعل بل نخرج جهاراً ونحن على كمال الطمأنينة لان البواب اذا رآني لا يتأخر عن ان يفتح الابواب

فلما فرغت من حديثها اطرق موريس الى الارض يتفكر وقد ايقن بصحة جميع ما ذكرتهُ جوليا وتحققت لهُ خيبة املهِ من الحصول على الثروة التي كان يرجوها . فقالت لهُ جوليا مالك يا موريس قم بنا لنذهب فقال

اني اشكركِ يا سيدتي على كرم اخلاقكِ وعظيم ما بذلتِ لاجلي فانكِ سمحتِ باقتراني بلويزا وعزمتِ ان تنابذي زوجكِ وتتعرضي لسخطهِ وانتقامهِ وانا لا احبّ ان احملكِ كل هذا من اجلي فأرجو ان تأذني لي في الانصراف وقام لساعتهِ وانسلّ من بين الاشجار عائداً من حيث اتى. فقهقهت جوليا ضحكاً وقالت للويزا أرأيتِ مبلغ حبهِ لكِ وعلمتِ يقيناً انهُ انما يرغب في اموالكِ لا فيكِ فانبذي من قلبكِ حبّ هذا المتملق المخادع وأيقني بنصح مشورة ابيكِ وسموّ حكمتهِ وصدق رغبتهِ في ابتغاء راحتكِ وسعادة حياتكِ . فألقت لويزا بنفسها على عنق والدتها ويديها تقبلهما وتستغفرها عما فرط منها من الجهل والغرور وقد ايقنت بزيغها وشعرت بخطآتها العظيم في تسرعها بتسليم قلبها الى من لم تختبر طويتهُ وندمت على ما كان منها من مخالفة والدها وعدم ثقتها بحسن قصدهِ وطلبت من والدتها ان تستغفرهُ لها وتستجلب رضاهُ عنها. ثم صعدتا الى المنزل فذهبت جوليا واخبرت زوجها باعتدال لويزا في افكارها ورجوعها عن غيها وذلك دون ان تطلعهُ على شيء مما كان فسرّ الوالد كل السرور وانفرجت كربتهُ ونام الجميع بدعةٍ وسلام وقد زال ما كان يتهدد ذلك البيت من النكد والشقاق

ولما كان الصباح اقبل الكُنت رولان للموعد فاجيب طلبهُ بالقبول وبعد ايام تمّ عقد القران وقضت لويزا معهُ حياةً هنيئةً لا يشوبها كدر ولا ينغصها نكد وكان الفضل كلهُ في ذلك لحزم والدها وحكمة والدتها

التنجيم

قال ابن خلدون هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قِبَل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولَّدات العنصرية منفردةً ومجتمعةً فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالَّةً على ما سيحدث من نوعٍ نوعٍ من انواع الكائنات الكلية والشخصية . قال فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو امرٌ تقصر الاعمار عن تحصيلهِ اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن وادوار الكواكب منها ما يحتاج تكرارهُ الى آمادٍ واحقابٍ متطاولة . واما بطليموس ومن تبعهُ من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالةٌ طبيعية من قِبَل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيّرين واثرهما في العنصريات ظاهرٌ لا يسع احداً جحدهُ مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وامزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك . . ثم قال (اي بطليموس) ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاولى التقليد . . والثانية الحدس والتجربة بقياس كل واحد منها الى النيّر الاعظم الذي عرفنا طبيعتهُ واثرهُ معرفةً ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القران في قوّتهِ ومزاجهِ فتُعرَف موافقتهُ لهُ في الطبيعة او ينقص منها فتُعرَف مضادّتهُ ثم اذا عرفنا قواها مفردةً عرفناها مركبةً وذلك عند تناظرها باشكال التثليث والتربيع وغيرهما . انتهى المقصود من هذا الفصل ملخصاً ومنهُ يتبين ان البناء في هذه الصناعة

على ادّعاء قوةٍ خاصّة في النجم من شأنها ان تؤثر في طبائع المولّدات العنصرية فتتخلق بها وتكون احوالها تابعةً لمقتضاها . وهذه القوّة على ما يؤخذ من كلامهم هي غير القُوَى المادّية المنبثّة في هذه الاجرام او الصادرة عنها وانما هي قوةٌ معنوية او كما يقولون روحانية تشترك فيها الشمس والقمر وسائر الاجرام العُلوية ولذلك اذا اقترنت الشمس باحد السيارة زاد ذلك السيّار في قوتها او نقص منها تبعاً لما تكون عليهِ طبيعتهُ من الموافقة لطبيعتها او المضادّة لها . ولا يخفى ان ذلك من الاقوال التي لا تُعقَل صحتها ولا دليل عليها في الخارج بل الدليل الخارجي ينقضها جملةً لان ما بنوا عليهِ استدلالهم من تأثير الشمس في تبديل الفصول وانضاج الفواكه والزرع وما اشبه ذلك ليس في شيء من القوى التي يزعمونها وانما علّتهُ الحرارة المنبعثة من الشمس مع تفاوت المقدار الواصل منها الى الارض واختلاف وقع اشعّتها على ناحيةٍ ناحيةٍ منها كما هو معلومٌ بالبداهة ولذلك كانت تلك الفصول ومتعلقاتها تابعةً لحركة الشمس دون غيرها لان حركات السيارة لا تطّرد مع الفصول ولا يثبت انها تغير شيئاً من احوالها . وقس على ذلك سائر الكائنات الارضية والجوّية من المدّ والجزر وهبوب الرياح وانتشار السحب واحوال المطر والصحو وغير ذلك مما يتواطأ عليهِ الشمس والقمر او ينفرد فيهِ احدهما بحسب ما تكون علّتهُ حرارة الشمس او ما فيها وفي القمر والارض من قوة التجاذب بحيث لو جرّدنا الشمس والقمر من الخصائص التي يزعمونها لهما لم يتغير شيء من تأثيرهما في الاحوال المذكورة

على ان هذه الكائنات منها ما يُعرَف قبل حدوثهِ وهو ما بُني على

شرائع طبيعية وحركاتٍ مطّردة كمبادئ الفصول وطول الايام والليالي ومواقيت الكسوف والخسوف وحدوث المدّ والجزر وتساقط الشهب وظهور بعض المذنَّبات وغير ذلك من الاحوال المتعاقبة على اوقاتٍ مقدَّرة وهذا ولا شك اصل ما وقع الانبآء بهِ للمتقدمين على اثر المراقبات الطويلة والحسبان المدققة وهو من العلم الصحيح الذي لا ريب في صدقهِ لرجوعهِ الى سنن مطّردة واقيسة لا تتخلف . ومنها ما لا يصحّ الانبآء بهِ ولا دليل عليهِ قبل حدوثهِ كهبوب الرياح ونشء الغيم والمطر وحصول الخصب والجدب وغير ذلك من الحوادث الفجآئية أو التي جهِلت اسبابها وهذه لا تدخل تحت قاعدة ولا تعنو لضابط وانما دخلت في التنجيم من طريق التمويه والمخرقة ووردت على اثر تلك فسد بها هذا العلم وغلبت فيهِ الخرافات والاباطيل . وذلك انهُ لما صدق اهل هذا الشأن في الانبآء ببعض الحوادث الدائرة مما مرّ ذكرهُ وقع في اعتقاد الاغرار والعوامّ ومن لم يكن على بيّنةٍ من سريرة الامر انهم قد استولوا على مفاتيح الغيب وفُتحت لهم صُحُف المستقبل فكانوا اذا عرض لهم استطلاع امرٍ مجهول فزعوا بهِ الى المنجم وبذلوا لهُ من الرغائب ما يهوّن عليهِ ركوب المخرقة والكذب . ومعلومٌ ان ليس كل احدٍ يأبى لنفسهِ مثل هذه المنزلة مما يكون لهُ عوناً على بلوغ المآرب والإستيلآء على عقائد القلوب ولا سيما ان اكثر الناس اهتماماً بمعرفة المستقبل هم الملوك والعظمآء واصحاب البسطة في الجاه والغنى لما يكتنفهم من الاحوال الخطيرة فكان في ذلك من التقرُّب اليهم ما يجذب باعنّة المطامع وتتطالّ اليهِ اعناق الآمال فاتّسع من ثمّ باب التدليس والشعوذة ولم يبق شيءٌ من الكائنات

الكلية او الشخصية من وباء او حرب او خصب او جدب او سعادة او شقاء او موتٍ او حياة الا سنوا لهُ حكماً في التنجيم حتى جعلوا لكل مولودٍ برجاً يولد فيهِ ويتسلط على حوادث حياتهِ فتكون باسرها منوطةً بذلك البرج . وتلقى الناس منهم هذه الخزعبلات بالتصديق وعمَّت الثقة باقوالهم فكان اكابر الناس واصاغرهم يلجأُون اليهم في تعرُّف غيبهم حتى كان لكل ملكٍ منجمهُ ينظر لهُ في الطوالع واحكام النجوم عند كل عزيمةٍ فلا يصدر الا عن قوله وكان كل مولودٍ في البلاط يؤتى لهُ بالمنجم فيستخرج طالعهُ وينظر في مستقبلهِ

ومن الغريب ان التنجيم كان شائعاً حتى بين العلماء الفلكيين انفسهم من لدن بطليموس صاحب المجسطي على ما مرَّ بك من المنقول عنهُ الى كپلر صاحب القواعد المشهورة في احكام حركات السيارة وكاسيني اول قيِّم على مرصد باريز وغيرهم ويروى عن كردان الطبيب الرياضي المشهور انهُ استشار النجم في ميقات موتهِ فلما كان اليوم الذي خرج لهُ انقطع عن الطعام حتى مات جوعاً

قيل واول ما ظهر التنجيم في بلاد الكلدان واشتهر الكلدان بهِ دهراً طويلاً حتى كان المنجم قديماً يسمى بالكلداني ثم انتقل التنجيم منهم الى مصر ثم الى اليونان ثم الرومان وانتحلهُ العرب في الاسلام وانتقل معهم الى الاندلس ومن هناك عمَّ الغرب كلهُ . وكان قياصرة الرومان يقرّبون المنجمين ويبالغون في اكرامهم والاحتفاء بهم الا انهم ربما اوقعوا بهم اذا لم يصدقوا في انبائهم وذلك لاعتقادهم ان كذب الانباء انما ورد من قِبَل

تخلقهم في مدارك هـذا العلم لالان العلم باطلٌ في نفسهِ . ويُروى عن طيباريوس انهُ لما نُفي الى رودس طلب جماعةً منهم يستشيرهم فكان اذا انبأوهُ بامرٍ ثم ظهر لهُ ما يدلّ على كذبهم يأمر بهم فيُقذَفون من اعلى القارة التي عليهـا منزلهُ الى البحر . وكذلك كان شأنهم مع بعض ملوك فرنسا ومن مضحك ما يُروَى من خزعبلاتهم ودهآئهم ان لويس الحادي عشر وكان شديد الحرص على حياتهِ كثير التطلّع الى المستقبل استشار مرةً منجماً لهُ يقال لهُ غاليوتي في غزوةٍ لهُ ينويها الى بعض الوجوه فانبأهُ نبأً حسناً ولـكنهُ اخفق وفشل فشلاً قبيحاً . فلما عاد دخل على منجمهِ وقال لهُ ايه ايها الاستاذ انك لتقرأ في صحيفة المستقبل فقل لي هل تعلم متى تموت يشير بذلك الى قرب ايقاعهِ بهِ . فقال لهُ المنجم اما ذلك اليوم بعينهِ فلست اعرفهُ ولـكني اعلم يقيناً اني ساموت قبل مولاي الملك بثلاثة ايام فلما سمع الملك ذلك خاف ان يصدق ان قتلهُ فتركهُ

ومن غريب ما نُقل ان واحداً من اولئك المخرفين يقال لهُ يوحنا ستوفلر انبأ بطوفانٍ عامّ يحدث سنة ١٥٢٤ بنآء على ما ظهر لهُ من ان زُحَل والمشتري والمريخ ستقترن في تلك السنة في برج الحوت فذاعت نبوءتهُ هذه في الاقطار وقلق لها الناس قلقاً عظيماً لان الرجل كان من اشهر علمآء اوربا لذلك العهـد ولم يبقَ الا من احتاط لنفسهِ باتخاذ القوارب واعداد القوت وبنى احد الاعيان في طولوز سفينة عظيمة اعدّها لهُ ولاهل بيتهِ واخصآء اخوانهِ وما عندهُ من الحيوان فجعل لكلٍّ موضعاً يأوي اليهِ من الغرق غير ان تلك السنة مرت بجملتها الى آخر شهر فبراير ولم يقع قطرة

مطر . الا انهُ صدق بعد ذلك في نبوءةٍ اخرى وهي انهُ انبأ عن نفسهِ بانهُ سيموت بسقطةٍ فاتفق انهُ بينما كان في بعض الايام في مكتبتهِ يباحث في مسئلة جدلية قام يطلب كتاباً عن رفٍّ في المكتبة ليؤيد بهِ حجتهُ فسقط الرفّ على رأسهِ فمات بعد ايام

ورُوي ان الكنت دي بولَنڤيلياي انبأ ڤولتير بانهُ سيموت في الثانية والثلاثين من عمرهِ فكتب ڤولتير في سنة ١٧٥٧ اني مكرت بهِ فغالطتهُ باكثر من ثلاثين سنة ولذلك فاني اسألهُ الصفح . على ان ڤولتير غالطهُ باكثر من ذلك لانهُ مات في سن اربع وثمانين

ولبث امر التنجيم شائعاً في الآفاق الاوربية يؤيدهُ الجهل تارةً ويفضحهُ الكذب اخرى والملوك بين مقرّبٍ لاربابهِ ومنكل بهم الى اواخر القرن السابع عشر ومذ ذاك اخذ امرهُ يضعف شيئاً بعد شيء بانتشار العلم حتى عاد ضرباً من الهزؤ والسخرية ولم يبق لهُ رواج الا عند جماعات من رعاع القوم وأُميّيهم

اما العرب فلم يُحكَ فيما نُقل عنهم انهم كانوا على شيء من هذه الصناعة خلا ما كانوا يقولون بهِ من امر الانوآء والاستدلال بها على المطر وهذا مع كذبهِ على الغالب لا يُعدّ من التنجيم الذي نحن فيهِ لابتنآئهِ على شبهٍ من الادلة الطبيعية لكن جآء في الحديث من صدّق كاهناً او منجماً فقد كفر بما أُنزل على محمد وجآء في حديث آخر من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السحر ولعل هذا انما كان عند ما سُئل عما تفعلهُ الاعاجم من ذلك . على ان التنجيم لم يلبث ان اتصل بالعرب على اثر

اختلاطهم بغيرهم من الامم ودخل دُور الخلفآء وحظي اصحابهُ عندهم . وقد ذكر المسعوديّ فيما رواهُ عن محمد بن عليّ العبديّ الخراسانيّ ان اول خليفةٍ قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم هو المنصور العباسيّ وكان عندهُ من المنجمين نوبخت المجوسي وابرهيم الفزاري وعليّ بن عيسى الاسطرلابي . قال وهو اول خليفةٍ تُرجمت لهُ الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وكتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وكتاب المجسطي لبطليموس . . وخرجت هذه الكتب الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها . اه . وشاع هـذا العلم بعد ذلك بين العرب واشتهر فيهم عدّةٌ من المنجمين منهم ابو معشر محمـد بن عمر البلخيّ ومن حديثهِ ما رواهُ ابن خلكان في ترجمتهِ قال رأيت في بعض المجاميع انهُ كان متصلاً بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طلب رجلاً من اتباعهِ واكابر دولتهِ ليعاقبهُ بسبب جريمةٍ صدرت منهُ فاستخفى وعلم ان ابا معشر يدلّ عليهِ بالطرائق التي يستخرج بها الخبايا والاشيآء الكامنة فاراد ان يعمل شيئاً لا يهتدي اليهِ ويبعد عنهُ حسّهُ فاخذ طستاً وجعل فيـهِ دماً وجعل في الدم هاوَن ذهب وقعد على الهاون اياماً . وتطلّب الملك ذلك الرجل وبالغ في التطلّب فلما عجز عنهُ احضر ابا معشر وقال لهُ تعرّفني موضعهُ بما جرت عادتك بهِ فعمل المسئلة التي يستخرج بهـا الخبايا وسكت زماناً حائراً فقال لهُ الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال ارى شيئاً عجيباً قال وما هو قال ارى الرجل المطلوب على جبلٍ من ذهب والجبل في بحرٍ من دم ولا اعلم في العالم موضعاً من البلاد على هذه الصفة . فقال لهُ اعد نظرك

وغيَّر المسئلة وجدّد اخذ الطالع فعمل ثم قال ما اراهُ الا كما ذكرت وهذا شيءٌ ما وقع لي مثلهُ . فلما يئس الملك من القدرة عليهِ بهذا الطريق ايضاً نادى في البلد بالامان للرجل ولمن اخفاهُ واظهر من ذلك ما وثق بهِ فلما اطمأنَّ الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسأَلهُ عن الموضع الذي كان فيهِ فاخبرهُ بما اعتمدهُ فاعجبهُ حسن احتيالهِ في اخفاءِ نفسهِ ولطافة ابي معشر في استخراجهِ . انتهى

والحكايات في امثال ذلك كثيرةٌ تدلّ على ميل طبع الانسان الى قبول الخرافات والاباطيل بل تدلّ على ان بعض الانسان شيطانٌ مارد وبعضهُ اشبه بالانعام او اضلّ سبيلاً . على ان هذا العلم قد اندرست آثارهُ عندنا فيما اندرس من علوم الاولين وكتبهم ولم يبقَ منهُ الا نُتيفاتٌ يتناقلها بعض سفلة المشعوذين يحتالون بها على سلب اموال الاغرار وضعفاء العقول وانما كان انقراضهُ عندنا لعموم الجهل لا لانتشار العلم لكن خلفهُ من الزار واشباههِ ما هو انكر وادهى والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء

وسنأتي في الجزء التالي على ذكر طرفٍ من احكام هذا العلم ومزاعم اربابهِ تبصرةً للغافل وتفكهة للبصير

طرق وقاية الاطفال من الاصابة بالداء الزهري

لحضرة الدكتور محمد عشماوي الحكيم مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

قدمنا ان الداء الزُهري هو من الامراض الوراثية اي انهُ يصيب الابناء متى كان الوالدان او احدهما مصاباً بهِ

فالاطفال المولودون من ابوين مصابين بهذا الداء قد يصابون بهذه الآفة وهم اجنة وحينئذٍ فاما ان يسقطوا قبل تمام الحمل واما ان يستوفوا مدة الحمل فيولدون لتمام ولكنهم على الغالب لا يعيشون الا مدة قصيرة

وقد يولدون اصحاء من الآفات الزهرية ولكنهم بعد مضي الاسبوع الثالث او الرابع من الحياة الهوائية تبتدئ عندهم الاعراض الزهرية في الظهور وذلك لظهور الطفحات الجلدية المتنوعة والالتهابات الفمية الخبيثة والزكام الزهري المزمن والتقرحات الفمية ولا سيما في الصماغين (اي جانبي الفم مما يلي الشدقين) وغير ذلك من الاعراض الزهرية الثقيلة التي تنهك بنية الطفل وتكون سبباً في اهلاكهِ

الا اننا لا نيأس من تحسن الحالة عند مثل هؤلاء الاطفال متى تولى معالجتهم احد مهرة الاطباء لان الادوية المنوعة للداء الزهري عظيمة الفائدة في معالجة الاطفال المولودين من آباء مصابين بهذا المرض ومتى عولجت هذه الآفات بدقة وانتباه لم يبعد حصول الشفاء . ولذا يلزم ان تتبع ارشادات الطبيب المعالج بكل دقة

واما اذا وُلد الطفل من ابوين سليمين فيلزم وقايتهُ من الاصابة بالداء الزهري بالطرق الآتية

اولاً ينبغي عدم تعريض الاطفال للتقبيل ولا سيما في الفم والخدين اذ الغشاء المخاطي للشفتين سريع الامتصاص لجرثومة الداء الزهري وكذلك جلد الوجه في هذه السن لما يكون عليهِ من الرقة والنحافة . وافضل واسطة لمنع تقبيل الاطفال ان يكتب على صدورهم او قلانسهم باحرف واضحة

« لا تقبلوا الاولاد » كما انهُ لا ينبغي تعليم الطفل ان يقبل الغير اذ كلا الحالين واحد

ثانياً اذا أُصيب احد الوالدين بالداء الزهري بعد ان وُلد لهما طفلٌ سليم فعليهما كذلك ان لا يقبّلاهُ بالكلية وان لا يضعا ايديهما في فمهِ وان كانت الام هي المصابة يلزم ان يُنتخب لهُ مرضعة موافقة او ان يغذى بالصناعة

ثالثاً لا ينبغي للام ان ترضع طفلا آخر سوى طفلها اذ قد يكون هذا مصاباً و يعديها كما انهُ لا ينبغي للام ان تدفع ابنها الى اخرى ليست معروفة سلامة بنيتها لارضاعهِ اذ قد يكون ذلك سبباً في عدواهُ

رابعاً اذا اضطر الحال الى ارضاع الطفل من مرضعةٍ اخرى يلزم عند انتخابها ان تكون حائزةً للشروط الصحية القانونية خالية من الامراض المعدية مستكملة شروط النظافة لبنها موافق لسنّ الطفل معلوماً امرها وما في أُسرتها من الامراض الوراثية والا فالافضل تغذيتهُ بالصناعة

خامساً عند ارضاع الطفل بالصناعة واستعمال الثدي الصناعي لا ينبغي ان يُعار الثدي او حلمتهُ لآخرين واذا وقع ذلك مرةً فلا ينبغي ان يُرضع منهُ الطفل عند استرجاعهِ مباشرةً بدون استبدال الحلمة واتلافها في الحال كما لا ينبغي ان يستعار ثدي صناعيّ او حلمة مستعملة . وكذلك لا ينبغي ان يسمح لاحدٍ غير معلوم او مشكوك فيهِ ان يضع حلمة الثدي الصناعي في فمهِ بقصد تمرينها او ما شابه ذلك اذ هذا جميعهُ قد يكون سبباً في انتقال العدوى

سادساً لا ينبغي اعطاء الاطفال موادّ او ادوات غير معلومة نظافتها

يضعونها في افواههم كما لا ينبغي ان يتركوا يلتقطون شيئاً من ذلك حيثما كان اذ قد تكون هذه الاشياء سبباً في انتقال العدوى

سابعاً ينبغي منع الذباب والناموس وما شاكل ذلك من انواع الحشرات أن تتهافت على وجوه الاولاد خوفاً من نقلها لعدوى الداء لان جراثيمهُ تعلق بارجلها متى وقعت على عضوٍ مصابٍ به او خرقة ملوثة بجرثومتهِ وهي من اسرع ناقلات العدوى بهِ وبالامراض المعدية الاخرى

ثامناً لا ينبغي ان تُسقى الاطفال الماء او المشروبات الاخرى في اوانٍ غير معلومة او متردد عليها كثيرون اذ الماء سيال متصل بالاحياء على العموم وهو صالح لمعيشة جراثيم الامراض المعدية السريعة الانتقال بهِ كما ان من اللازم تعليم الاطفال وتعويدهم ان لا يقدموا على مثل هذه الاواني ويشربوا الماء او سواهُ منها ولا سيما من الاسبلة الموجودة في الطرقات اذ هي من اعظم ناقلات العدوى وينبغي ان يُجعَل للاولاد اوانٍ خصوصية لتناول الماء او سواهُ لا يشرب منها سواهم وتُغسَل اولاً فاولاً .

تاسعاً ينبغي ختانة الاطفال او حلق رؤوسهم بمواس جديدة وان كانت مستعملة من قبل يجب احمآؤها على النار قبل استعمالها او ان تطهر تطهيراً قانونياً

عاشراً ينبغي منع الاولاد ان يزدحموا على باعة المأكولات وخصوصاً الحلوى وما شاكلها من المأكولات الهشة التي تباع في الاسواق وهي مكشوفة للغبار ومعرضة لتقليب ايدي المشترين

هذا ولا شك ان كثيراً من القوم متى اطلعوا على مقالتنا هذه وما

سبقها وخصوصاً من الفقرآء يقولون نحن قومٌ فقرآء ليس لنا طاقة على
القيام بهذه التكاليف لاننا لا نحصل على ما نسدّ بهِ الرمق الا بشقّ
الانفس ونسآؤنا اللاتي عليهنّ القيام باشغال المنازل ليس في طاقتهنّ التفرغ
لتأدية هذه الواجبات التي تستلزم الانقطاع لخدمة الطفل فضلاً عما يكون
عندهنّ من الاولاد الآخرين المحتاجين الى العناية والاهتمام. وهذه كلها امورٌ
لا ننكرها عليهم ولكننا نقول ان هذه هي الوسائط اللازمة لتربية الاطفال
وحفظ صحتهم ومن ليس في طوقهِ من فقرآء القوم ان يقوم بهذه الاهتمامات
كلها فليجتهد على قدر ما تمكنهُ استطاعتهُ فان ما لا يدرك كلهُ لا يترك
جلهُ. وعلى الوالدين ان يجعلوا هذه الوصايا نصب اعينهم ويحافظوا عليها بقدر
الطاقة ويرسّخوا مضمونها في عقول ابنآئهم حتى يربوا على ملكة النظافة
والآداب الصحيحة فالمآء غزيرٌ في مصر وهو أُسّ النظافة والوسائل الاخرى
اكثرها متيسر الحصول لا يقتضي نفقة ولا ثمن لهُ الا الانتباه والعناية مع
العلم بالواجب . على ان الامر لا يقتصر على الفقرآء بل ان كثيرين من
الذين لهم قدرة على تأدية هذا العمل مهملون لهُ لعدم وجود من يرشدهم
اليهِ . وبعدُ فان الفقر ليس مخصوصاً بمصر ولكنهُ منتشر في العالم كلهِ وها هم
فقرآء الاجانب بين ظهرانينا لا نرى في اولادهم ما نرى في اولادنا من
القذارة وسوء التربية وتفاقم الآفات والامراض ونكتفي الآن بهذا القدر
سائلين الله ان ينير اذهان القوم ويهديهم للتي هي اقوم وسنتبع هذه المقالة
بفصل في الارضاع وتغذية الاطفال ان شآء الله وبالله الهداية

- نسآء الشرق -

لحضرة الكاتبة السيدة لبيبة شمعون

لا عجب اذا فاق اهل الغرب اهل الشرق وسبقوهم بمراحل ما دمنا نرى نسآء الشرق اللواتي هنَّ حياة الامة وسبب ارتقائها عاكفاتٍ على الكسل والتواني يقضينَ ايامهنَّ باللهو والاحاديث الفارغة والمفاخرة بالملابس والحلى لا يهتممنَ بتحصيل العلوم وطلب الارتقآء في درجات الفضائل والكمال ولا ينظرنَ من جميع تمدن الغربيات الا الى تقليدهنَّ في بعض العادات والازيآء وخصوصاً المُضرَّة منها بالصحة او الآداب ولا تطمح ابصارهنَّ من مساعيهنَّ الجليلة ونفوسهنَّ الكبيرة الا الى طلب المساواة بالرجال في المقام والشرف وسائر الحقوق المدنية . وترى الواحدة منهنَّ اذا لبست الزيّ الافرنجي وتعلمت بعض جملٍ من الفرنسوية او الانكليزية تتكلم بها في المجالس حسبت نفسها قد صارت في اعلى مقام من التمدن فترفعت وتعظمت ورأت سائر الناس دونها واصبح الوطني في عينيها صغيراً وصار التكلم بلغة الوطن عندها امراً يوجب الامتهان والانحطاط فاذا كلمتها بالعربية اعرضت انفةً واستكراهاً واذا اضطرت الى التكلم بها مزجت الصواب بالخطأ وربما توقفت احياناً كمن يتذكر امراً منسياً وربما ضاق بها الامر فعبرت عن بعض معانيها باللفظ الافرنجي . وهي مع ذلك اذا سألتها عن شيءٍ من الامور العلمية او باحثتها في مسئلة ادبية او تاريخية او غير ذلك مما تحلت بهِ نسآء الغرب كانت كمن تخاطبهُ بلغةٍ غير لغتهِ فاستولى

عليها البكم ـ ولكن بلا خجل ـ او انقلبت الى الاستهزآء والاستخفاف . . .

على انك اذا نظرت الى نسآء الافرنج وجدت فيهنّ العالمات والاديبات والكاتبات والشاعرات والفقيهات والخطيبات ومنهنّ من انتظمنَ في سلك اصحاب الجرائد السياسية والعلمية وغيرها ومن أَلَّفنَ الكتب المفيدة في الفنون المختلفة ومن تعاطينَ رصد الكواكب ودرس حركاتها وابعادها ومن تعاطين الطب بفروعهِ وغير ذلك مما لحقنَ فيهِ باعاظم الرجال . واذا جالست احداهنّ في مجلسٍ لم تنطق الا بما يدلّ على ادبها وفضلها وحسن تهذيبها واتساع مداركها وما يدلك على انها عارفةٌ بما حولها من الاحوال الطبيعية والاجتماعية لا يغيب عنها شيء من حوادث التاريخ المهمة وسياسة الممالك وطبائع الامم وآدابها وما اشبه هذه الامور مما تجدهُ في عالم وتجد نسآءنا في عالم آخر . فلا ريب ان من كنَّ على هذه الصفة من التمدن يُحسَبنَ من الاركان المهمة في قيام الحضارة والعمران ويكون وجودهنّ من اعظم الاسباب المؤدية الى نجاح اوطانهنّ لما ينشأ عنهنّ من المثل الصالح والتربية الحسنة لاولادهنّ لان تربية الصغير اساس مستقبلهِ وعليها تترتب احوال حياتهِ جسماً وعقلاً وصحةً وادباً فينشأ عضواً عاملاً نافعاً لنفسهِ ولامتهِ متأهباً لان ينال اعلى الدرجات في مراكز المجتمع . وبالنتيجة فانهُ يحق لهنّ ان يطلبن مساواة الرجال لانهنّ قد بلغنَ مساواتهم فلا بل الرجال انفسهم يضطرون حينئذ ان يرفعوا منزلتهنّ ويساووهنّ بانفسهم لما يرون فيهنّ من الفضائل التي تحملهم على اجلال قدرهنّ عن اعتبار حقيقي لا عن تملق لهنّ او شفقة عليهنّ كما تعامَل الجاهلات فان ذلك يكون في

الحقيقة هو عين الاحتقار والهوان

ولذلك كان من الواجب على السيدات عندنا اذا اردنَ ان يرفعن منزلتهنَّ حقيقةً ويُحسبنَ من الاعضاء المهمة في المجتمع المدني ان يجارينَ الرجال اولاً في فضائلهم الذاتية التي هي سبب الرفعة والاحترام وان يجتهدنَ قبل كل شيء في طلب العلم والانصباب على تحصيلهِ ويكثرن من مطالعة الكتب العلمية والادبية والتاريخية واشباهها تغذيةً لعقولهنَّ وتوسيعاً لمعارفهنَّ واللواتي تعلمن شيئاً في المدارس من اللغات ومبادئ العلوم ينبغي ان لا يكتفينَ بهِ ويتوقفنَ عندهُ بل يجب ان يتخذنهُ واسطةً لتكثير معارفهنَّ وتنمية مداركهنَّ ويجعلنهُ وسيلةً الى تحسين اخلاقهنَّ وعاداتهنَّ وسائر آدابهنَّ ومرآةً تمثل لهنَّ حقيقة التمدن الذي بهِ يرتفع مقامهنَّ اذ يعلمنَ ان التمدن لا يقوم بالزيّ الخارجي ولا بالتكلم باللغات الافرنجية وان الكمال والعلم معتبران مع التكلم باللسان العربي كما هما معتبران مع التكلم بغيرهِ وان الشرف يقوم بمحافظة كل انسان على لغتهِ وعوائدهِ الا القبيح منها . ولينظرنَ في ذلك الى الاجنبيات اللواتي يأتينَ بلادنا هل يغيّرنَ شيئاً من عوائدهنَّ ولغاتهنَّ مع انهنَّ نزيلات عندنا فقد كان الاولى ان يكنَّ هنَّ التابعات لنا لا بالعكس ولم يكن من المستبعد ان يفعلنَ كذلك لو وجدننا نتشرف لغتنا ونحافظ على اصطلاحاتنا ولكن كيف يتبعننا وهنَّ يريننا نتبعهنَّ ونقلدهنَّ في كل شيء

ولست اخصّ النساء بذلك ولكن الرجال ايضاً مشاركون لهنَّ فيهِ الا انهُ عند النساء ابلغ واشيع وهو على كل حال راجع الى مقدار العلم

وسعة الادراك لان الامر بجوهره لا بهذه الاعراض الخارجية التي لا دخل لها في التمدن الصحيح ولا تغير من اعتبار الشخص الا بمقدار ما تدلّ عليهِ من منزلة عقلهِ واعتبارهِ لحقائق الامور والسلام

مطالعات

سرعة انتقال الشمس ـ وجد المسيو مونك احد الفلكيين في دوبلين بالمقابلة بين حركة الشمس وحركات النجوم المقيدة في زيج بورتر وهي نحو ألفي نجم ان سرعة الشمس تكون بين ١٦ و٢٤ كيلومترًا في الثانية وهي اعظم كثيرًا مما قدرهُ المسيو استروف من كونها بين ٦ و٧ كيلومترات . وعليهِ فالشمس تقطع بنا وببقية السيارات والاقمار وما يتبعها من المذنّبات نحو ٢٠ كيلو مترًا في الثانية

الجرائد في الولايات المتحدة ـ كان في الولايات المتحدة سنة ١٧٠٠ جريدة واحدة فقط والآن فان فيها من الجرائد ما يزيد على ما في انكلترا وفرنسا وجرمانيا معًا

الاسلاك البرقية في العالم ـ يقدّر طول الاسلاك البرقية الممدودة في انحاء مختلفة من الارض بما لا يقلّ عن خمسة ملايين من الاميال خلا الممدود منها تحت الماء وهو يقدّر بنحو مليون وثماني مئة الف ميل . واما تقسيم هذه الاسلاك فان منها في اوربا ١٫٧٦٥٫٠٠٠ ميل وفي آسيا

٣١١٫٠٠٠ وفي افريقيا ١٠٠٫٠٠٠ وفي استراليا ٢١٨٫٠٠٠ وفي اميركا ٢٥٠٫٠٠٠

اكتشاف سيارات جديدة ـ اكتشف المسيو وُلف في ١١ و١٢ و١٤ ستمبر الاخير ثلاثة نجيمات جدد من الاجرام الدائرة بين المريخ والمشتري

اسئلة واجوبتها

رشيد ـ ما تأويل كذب المنجمون وان صدقوا ومن هم المنجمون وعلى من تدخل ترهاتهم وهل من منجم يصدق ارجو شرح هذه العبارة بقدر ما تستطيعون اليهِ سبيلاً تنويراً لقومٍ عميت ابصارهم وضلوا عن جادَّة الحقِّ واتبعوا خطوات الشيطان انهُ كان للانسان عدوًّا مبيناً م ٭ ع

الجواب ـ اما تأويل كذب المنجمون وان صدقوا فالمراد انهم كاذبون في دعواهم معرفة الغيب وان صدق انبآؤهم احياناً لان صدقهم انما يكون اتفاقاً لا عن علم بما سيكون . واما تعريف المنجمين وحقيقة التنجيم فترون في صدر هذا الجزء مقالةً في هذا المعنى بسطنا الكلام فيها على قدر ما يحتملهُ حال هذه المجلة غير اننا نزيد هنا ان التنجيم ليس فيهِ شيء من عمل الشيطان انما ذاك مما يُتَّهم بهِ اهل السحر والصحيح ان لا هذا ولا ذاك من عمل الشيطان وما الشيطان اذا اعتبرتم الاَّ بعض افراد الانسان

القاهرة ـ جآء في كتاب دروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية (ص ٢١) ان الجملة من قولنا ظننت زيداً قائماً « تنعقد من المفعولين فقط »

لان معناهُ « زيدٌ قائمٌ على وجه الظن » فلم نعلم كيف تنعقد الجملة « من مفعولين » ولا على اي قاعدةٍ بُني هذا القول . ثم على فرض صحتهِ فما القول في قولنا ظننت وهل هناك جملةٌ ام جملتان وان كان ثمَّ جملتان فكيف تحصل الجملة الاخرى من التأويل المذكور وان لم يكن الا جملةٌ واحدة فان كانت هي المنعقدة من المفعولين فكيف نُخرج قولنا ظننت عن ان يكون جملةً وهو لا يخرج عن حدّ الجمل في شيء وان كانت هي المنعقدة من قولنا ظننت فقد خرج المفعولان بعدها عن ان يكونا جملةً . فنرجو ان تفيدونا عن جميع ذلك معزّزاً بالنصوص الواضحة من كلام المتقدمين ولكم الفضل

ع * د

الجواب ـ قد علمتم ان هذا الكتاب تأليف جماعةٍ من اكابر علماء القطر ومشاهيرهم فليس من الاصابة ان نتولى الاجابة عنهم فيما هم احق منا بالاجابة عليهِ وادرى بنقدهِ ولذلك فانا نستأذنهم في احالة هذا السؤال عليهم مع استعدادنا لنشر ما يأتون بهِ ان احبوا والا استأذناهم في الاجابة بما يحضرنا والله الهادي

آثار ادبيّة

دائرة المعارف ـ صدر الجزء العاشر من هذا المصنَّف الجليل بعد توقفهِ بضع سنواتٍ حالت فيها العوائق دون ظهورهِ بما كان من استئثار رحمة الله بواضعهِ الاول الطيب الذكر المعلم بطرس البستاني الشهير ثم ما

طرأ على عقب ذلك من الحِدثان الخصوصية وتبدُّل الاحوال المكانية الى ان قيّض الله لهُ همة حضرة العالم الفاضل سليمان افندي البستاني احد اعلام هذه الأُسرة الكريمة وادناها وشيجةً من المصنف فحسر عن معصم الجدّ لتوفية هذه الخدمة النافعة بالاشتراك مع حضرة الاديبين اللوذعيين نجيب افندي ونسيب افندي البستاني نجلي المغفور لهُ صاحب هذا الاثر الجليل فاصدروا الجزء التاسع منهُ منذ سنواتٍ قلائل ثم اصدروا الآن الجزء العاشر ولا تزال هممهم منصرفةً الى الاتيان على تتمة الكتاب واغنآء المكاتب العربية بفوائدهِ الجمّة

وقد تصفحنا هذا الجزء بما يقتضي مثلهُ من التأمل والنظر المليّ فالفيناهُ سفراً جامعاً لشتات الفوائد مستوفياً لأدقّ المباحث العلمية والادبية والتاريخية ولا سيما ما يتعلق منها بالشرق والشرقيين مما لم يوفهِ اصحاب هذه التصانيف من الغربيين حقهُ اهمالاً منهم او تقصيراً على ما هو معلومٌ من شأنهم في كثيرٍ من الشؤون الشرقية وخصوصاً العربية لِما يعترضهم دونها من حائل اللغة وغيرها على ما سنفرد للكلام في بعضهِ محلاً ان شآء الله

ومما يزيد في محاسن هذا الكتاب ما تضمن من الالمام بالاوضاع اللغوية في كثيرٍ من الالفاظ وبيان اشتقاقها ومواردها وتعريب كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية وتزيين العربيّ منها بالتوجيهات العلمية العصرية في كل ما احتمل ذلك من متعلقات الهيئة والعلم الطبيعي والكيميآء وسائر الفروع الرياضية والطب والتشريح والصناعات المختلفة مع ايضاح كثيرٍ من اغراضهِ بالرسوم والاشكال البديعة

فنثني على اولئك الافاضل بما يستحقّ هذا الاهتمام الطويل في خدمة الوطن ونشر العلم بين ذويهِ ونسأل الله ان يأخذ بايديهم في اتمام هذا العمل الكبير ونستدرّ على الشارع فيهِ سحائب الرحمة والرضوان

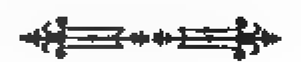
تدوين اللغة العامّية ـ وردتنا نسخةٌ من مقالة لحضرة الاستاذ الفاضل الدكتور مرتين هرتمن مدرّس اللغات الشرقية في برلين ينتدب فيها الادباء وارباب الاقلام في الآفاق العربية للاهتمام بجمع الالفاظ العامية وتقييدها تذرّعاً بذلك الى الاستدلال على القبائل العربية التي تمدّت حدود جزيرة العرب قديماً واستولت على ما يجاورها من بلاد الروم والعجم . وهذا ولا شك من المقاصد العلمية الجليلة وقد لايخلو من دليلٍ تاريخي على ما يتوخاهُ الاستاذ اذ اللغة اصدق مخبرٍ عن اصول الامم وانسابها كما ينبئ عن حضارتها وعلومها واديانها وسائر ما يتعلق بها . وفيما نذكر اننا كنا وقفنا على رسالةٍ في مثل ذلك لحضرة الفاضل حفني افندي ناصف تلاها في المجمع الشرقي في استكهلم ضمنّها المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري فردّ كل قومٍ الى عنصرهم من القبائل التي دخلت مصر في زمن الفتح الاسلامي استدلالاً بما بقي في الفاظهم من الاثر المتسلسل الى هذا العهد

بيد اننا لا بد ان نصرّح بان دون الوصول الى هذه الغاية عقباتٍ قد لا تُجاز بالقياس الى حالة البلاد الحاضرة منها انك تجد لكل بلدٍ او قرية بل لكل جانبٍ من البلد الواحد لغةً خاصةً باهلهِ فكان ثَمَّ ما لا يحصى من اللهجات التي لاتتسنى الاحاطة بها الا بأن يتجرد لها من كل مدينة او

من كل ناحيةٍ من يعكف على التقاطها من الافواه وتدوينها في الصحف وهيهات ان يُظفَر بمثل ذلك مع ما هو معلوم من حال الامة وتخلفها في اكثر انحاء البلاد حتى في معرفة الكتابة فضلاً عن ان يوجد فيها من يوثق بهِ في صحة التدوين والتمييز بين اللهجات وردّ كل واحدةٍ الى نصابها . ومنها ان مثل هذا العمل لم يستتبّ في اوربا نفسها مع توفر العلم فيها وامتدادهِ الا بأن بسط أُولو الامر ايديهم للمساعدة فيهِ كما ورد بيانهُ في المقالة المشار اليها فبذلوا لهُ الاموال واقاموا لهُ لجاناً عينوها تحت رعايتهم وتدبيرهم تبث الرسائل في الوجوه وتتلقى الاجوبة وترتبها وتطبعها واين في بلادنا من يُتوقع منهُ مثل هذه العناية

على ان الاستاذ وعد في مقالتهِ ان ينتدب لهذا الامر بنفسهِ فيتلقى الرسائل التي تردهُ من الاقطار العربية فيما عساهُ ان يُرسل اليهِ من هذه الفوائد ويرتبها لتُجمَع اخيراً في مؤلف مخصوص وسيطبع في ذلك اسئلةً يبثها في البلاد يضمنها كلماتٍ وجملاً من الفصيح يطلب مرادفها من العاميّ ويكلف من تُرسل اليهِ ان يدوّن بجانب كل سؤالٍ جوابهُ

فنحن نثني على حضرتهِ ثناءً جميلاً لما بذلهُ من الرغبة والاهتمام في خدمة لغتنا والبحث عن تاريخ سلَفنا ونأمل في مواطنينا الاعزآء من كل بلدٍ ان يؤازروهُ في هذا المقصد الحميد العائد شرفهُ عليهم وبالله التوفيق



فكاهات

رواية

عجائب الفراسة [1]

اعتاد اهالي اوربا ان يحيوا ليالي الشتآء بالمخاصرة كما اعتاد غيرهم ان يحييها بغير ذلك طلباً لقطع ساعاتها الطوال وتذرعاً الى رياضة ابدانهم وتدفئتها وكثيراً ما يحدث في مثل تلك الليالي من الحوادث النادرة ما يكون جديراً بان يسطرَّ على صفحات الاوراق بل ما تُبنى عليهِ الروايات الطويلة وعلى مثل ذلك بُنيت الرواية الآتية

احيا احد وجهآء الفرنسيس ليلةً باهرةً دعا اليها السراة والاعيان وأتمَّ فيها معدات اللهو والسرور وحضرها كثيرٌ من النزالة الاجانب في باريز وكان في جملتهم فتى في مقتبل الشباب من اعرق الأُسر الانكليزية نسباً واعلاها حسباً يقال لهُ وكتور حضر متأبطاً ذراع فتاةٍ في منتهى الجمال يقال لها ماري وهي خطيبتهُ . فلما دخلا تلقاهما اهل المنزل وسائر من هناك من الاصدقآء ورحبوا بهما وكان بين المدعوين كُنتٌ فرنسويٌ يسمى الكنت ريمون وهو هَرِمٌ قبيح الصورة شرس الاخلاق سيء الظن عاتٍ متكبر لم تمنعهُ الثمانون سنة التي مرت عليهِ من مصاحبة الشبان وشهود ليالي الرقص . واغرب من ذلك انهُ كان قد تزوّج حديثاً بفتاةٍ لا تتجاوز الثانية والعشرين من العمر رشيقة

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

القوام بارعة الجمال فاصبحت بعد تزوّجها به عرضةً لتقوّلات الناس وأسفهم على ذلك الجمال النادر ان يكون في حوزة مثل ذلك الوحش الضاري وكانت الكُنتة جالسةً على حدةٍ غائصةً في تيار الافكار باديةً على محياها سمات الغم والقنوط ولسان حالها يقول ليست السعادة في الغنى . . .

ولما دارت المخاصرة على توقيع النغم انقلبت تلك الساحات الى جنةٍ تنوب فيها القدود عن الاغصان او فضاء بهيج تجارى فيهِ الاقمار وتخللهُ الكواكب . وكان الراقصون كلما تعبوا يخرجون الى حديقة القصر وقد أُعِدَّ لهم هناك مقصفٌ[1] بسطت فيهِ الموائد وصُفِفت الاواني فيتناولون ما شاءوا ويتجاذبون اطراف الحديث . واتفق انهُ لما خرج الجميع الى الحديقة التفت ماري باحدى اترابها فسارتا تحدثان ورأى وكتور الكنتة جالسةً على مقعدٍ بالقرب منهُ ولا جليس لها فدنا منها بقصد مؤانستها واستوى الى جانبها يحادثها ويسليها فاذهب عنها ما كانت فيهِ من الوحشة والفتور وكانت تقابل كلامهُ بعبارات الشكر والابتسام . واتفق حينئذٍ مرور الكنت من هناك وهو يبحث عن زوجتهِ بين الحضور وكان لشدة غيرتهِ عليها قد حظر عليها مكالمة ايّ احدٍ من الناس الا باذنهِ فلما رأى وكتور الى جانبها ولا ثالث معهما وهي تحادثهُ وتبتسم لحديثهِ التهب من الغيظ والحنق ولمعت عيناهُ الصغيرتان من تحت حاجبيهِ الكثيفين وظهرت عليهِ علائم الشراسة وفظاظة الطباع ثم دنا من الكنتة وقال لها هلمي بنا للانصراف في هذه الدقيقة والا . . . ومنعهُ الحنق عن تتمة الكلام فاشار اليها ان

(١) اسم مكان من التصوف وهو الاقامة في الاكل والشرب تعريب Buffet

تتبعهُ فلبّت مطيعةً وتبعتهُ الى باب الحديقة فاستدعى عربةً فلما حضرت امسك زوجتهُ بذراعها ودفعها بعنفٍ الى داخل العربة فسقطت متألمةً واستغرقت في البكاء ثم دخل وراءها وامر الحوذيّ ان يسرع بهما الى البيت

وكان وكتور يراقب ما يجري بينهما وقد لاحظ ارتعاد الكنتة وامتقاع لونها وغيظ الكنت واربداد وجههِ وخاف ان يأول الامر الى ما لا تُحمَد عقباهُ ويكون هو السبب فيهِ فشقّ عليهِ ذلك جدًّا وجعل يلوم نفسهُ على تعرُّضهِ للكنتة وجلس حيناً وهو يتفكر في الامر ثم نهض بسرعةٍ وقد خطر لهُ انهُ ربما بلغت الغيرة من الكنت ان يفعل بزوجتهِ مكروهاً ورأى انهُ يكون من الجبانة ان يترك ذلك الملَك الطاهر عرضةً لتهمة الكنت وانتقامهِ وفي امكانهِ ان يبرّئها عندهُ وينفي لهُ ما قد يكون توهمهُ فيها من السوء . وللحال صمم على ان يتبعهما الى البيت ويبين للكنت سبب محادثتهِ للكنتة ويعيد عليهِ نفس الحديث الذي كلّمها بهِ وفي اسرع من طرفة عين خرج من الحديقة فركب عربةً وامر الحوذيّ ان يُلهب ظهر الجواد بسوطهِ ويتبع العربة السائرة امامهُ . ولما بلغ الكنت البيت ترجل وهو قابض على ذراع زوجتهِ يدفعها امامهُ الى ان دخلا البيت فاوصلها الى غرفتها وتركها ملقاةً على سريرها وخرج الى غرفةٍ ثانية ليحضر مسدَّسهُ بقصد ان يقتلها او ان يهدّدها ليحملها على الاقرار . وكان حال دخول الكنت والكنتة ان وكتور وصل الى المنزل فبرز لهُ البوّاب وسألهُ عن حاجتهِ فقال لهُ هل لك ان تُدخلني الى جانب غرفة الكنتة بدون ان يعلم بي احد واُقسم لك اني لا اريد بهما سوءًا وليس مرادي الآن افاجئها بامرٍ يسرّها ثم اخرج من

جيبهِ قبضة من الدنانير فوضعها في يد البوّاب فبرقت اسرّة البوّاب و وعدهُ باجابة مبتغاهُ ثم اتاهُ بحذآء من المطّاط فالبسهُ اياهُ وقال لهُ اتبعني فسار وكتور ورآءهُ في دهاليز مظلمٍ ثم ارتقى بهِ سلماً طويلاً افضى منهُ الى بهوٍ فسيح ثم الى باب قد أُرسلت عليهِ الستائر الفاخرة فهمس في اذنهِ ان هذه هي غرفة الكنتة ثم تركهُ هناك وانقلب راجعاً

واقترب وكتور من الباب وازاح الستارة قليلاً فاذا الكنتة ملقاة على سريرها تمزّق صدرها التنهدات ثم ما لبث ان سمع صوت بابٍ قد فُتح بعنف واذا بالكنت داخلٌ من بابٍ آخر وقد ازداد وجههُ اكفهراراً ومنظرهُ شراسةً وبيدهِ مسدَّسةٌ موجهاً الى صدر الكنتة فلم يتمالك وكتور نفسهُ عند هذا المنظر أن وثب الى امام الكنت فقبض على ذراعهِ بيدٍ من حديد وقال تأنَّ يا سيدي الكنت قبل ان تسفك دماً بريئاً . فازداد الكنت حنقاً والتهاباً وصاح بهِ بصوتٍ ابحّ وقد خنقهُ الغيظ أَوَالى هنا بلغت منك الجسارة ايها الوغد الزنيم فدونك واطلق عليهِ النار. الا ان وكتور كان لا يزال قابضاً على ذراعهِ فاندفعت الرصاصة الى جهة السقف وارتزّت في الحائط ثم اخذ الاثنان في عراكٍ شديد انطلقت في اثنآئهِ رصاصةٌ ثانية فدخلت في الارض وثالثة فاصابت صدر الكنت فسقط على الارض وليس عليهِ من علائم الحياة الا الدم المتدفق من صدرهِ . فلما رأى وكتور ذلك وقف كالمبهوت وصاحت بهِ الكنتة الويل لك ايها القاتل ماذا فعلت . ثم قالت لهُ انا اعلم ان ذلك لم يكن برضاك فدونك الباب واسرع في الهرب قبل ان تصل الخدم ويتبعها الجند

اما وكتور فلبث واقفاً كالصنم ويداهُ منضمتان الى صدرهِ وهو يفكر فيما حدث مما لم يكن ليخطر لهُ ببال وقد صمّت اذناهُ عن سماع ابتهالات الكنتة اليهِ في الخروج فلم يفق الا وقد قرع سمعهُ وقع اقدام كثيرة وصوت قائلٍ يقول لهُ باسم امبراطور فرنسا وامر حكومتها التي عليك القبض . ثم تقدم اربعة من الجند فشدّوا وثاقهُ وحملوهُ الى الفسحة الخارجية وبقي اثنان يحرسان الجثة ريثما يفد الطبيب . وبعد ساعةٍ حضر الطبيب ورئيس الشحنة واعوانهما وفحصوا صدر الكنت ثم نقلوهُ الى غرفتهِ ووسدوهُ سريرهُ وجلس الطبيب يعالجهُ بما اوتي من المهارة في صناعتهِ وتوجه الباقون لسماع اقرار الكنتة والمجرم . فقالت الكنتة انها لم تعلم شيئاً مما جرى بينهما سوى ماسمعت من صوت اطلاق الرصاص . وسئل وكتور فقال انهُ بريءٌ من تلك الجريمة وانهُ لم يدخل ذلك المنزل لسرقةٍ ولا لقتلٍ . وجهد المستنطقون في زيادة الاستيضاح منهُ عما حدث فلم يعد يفوه ببنت شفة وآخر الامر ساقوهُ الى السجن وبقيت الكنتة في غرفتها تحت المراقبة . وضمد الطبيب جراحة الكنت وجرّعهُ منوماً فنام واستولى على ذلك المنزل السكوت

اما ماري فلما فصلت عن صديقتها عادت الى حيث غادرت وكتور فلم تجدهُ وبحثت عنهُ فلم تقف لهُ على اثر فركبت عربةً وسارت الى منزلهِ وسألت عنهُ فقيل لها انهُ لم يعد فقلقت لذلك اشد القلق وباتت ليلتها لم تذق اجفانها غمضاً

ولما انبثق الصباح رأت احد الخدم عائداً من منزلهِ فدعتهُ وسألتهُ عما انجلى من امر وكتور فاخبرها انهُ بلغهُ ان مولاهُ في السجن الا انهُ لم

يصدق ذلك الخبر ولم يحفل بهِ . فلما سمعت ماري ذلك منهُ وقع عليها وقوع الصاعقة ونهضت لساعتها فانطلقت ناحية السجن ولما بلغتهُ استأذنت الحجّاب ودخلت فاذا وكتور جالس الى مائدة وقد اسند رأسهُ بيدهِ والدمع يترقرق من عينيهِ . فلما رآها ستر وجههُ بكفيهِ وقال لها اذهبي عني ايها الملاك الطاهر فاني لست اهلاً لأن تقتربي مني بعد . فزاد ذلك في قلق ماري واضطرابها لانها لم تعلم شيئاً من امرهِ والقت بنفسها على صدرهِ وجعلت تخفض عليهِ وتلحّ في الاستخبار عن سبب وصولهِ الى ذلك المكان . و بعد شديد الالحاح اخبرها بكل ما حدث وسألها كتمان الامر حرصاً على عرض الكنتة ان تتهم بسوء لان الذي اشتهر عنهُ انهُ انما فعل ذلك لعداوة بينهُ و بين الكنت ليس الاّ . فالحّت عليهِ بوجوب الافصاح عن حقيقة الواقع دفعاً لغائلة التهمة عن نفسهِ فابى اشد الإبآء وقال اني اسلّم امري الى الله فان قدّر لي سبيلاً الى النجاة والا فخيرٌ لي ان اموت من ان اكون سبباً في ثلب عرضٍ مصون

وان الطبيب لبث كل ذلك الليل بالقرب من سرير الكنت يتولى بنفسهِ تجريعهُ الادوية المسكّنة وسائر العلاجات المقتضاة وقد تبين لهُ من حالتهِ انهُ ولو عاش اياماً فلا بد من ان يموت بسبب ذلك الجرح لان الرصاصة اصابت مقتلاً من صدرهِ واتلفت آلات الصوت فكان حيناً بعد حين يغيب عن الوجود واذا افاق لا يقوى على النطق ولا الحركة . ولما كان منتصف اليوم التالي خرج الطبيب في بعض شؤونهِ فصادف في جوار المنزل راهبة من الممرّضات المعروفات بأخوات المحبة فعرض عليها الاهتمام

بتمريض الكنت في اوقات غيابهِ على اجرٍ تتناولهُ من الحكومة فاجابت الى ذلك فادخلها الى عرفة الكنت واطلعها على انواع الادوية واوقات استعمالها ثم تركها هناك وخرج . فجلست تلك الاخت الى جانب السرير وكانت تتعاطى امر العلاج على حسب ما رسم لها الطبيب وفي اثناء ذلك اخذت تفحص بنفسها محل الجرح فكشفت عن صدر الجريح ونظرت الى محل دخول الرصاصة ثم بحثت عن الموضع الذي كان ينبغي ان تخرج منهُ وكان الطبيب قد قرّر ان الرصاصة لم تزل في الصدر وحالة العليل تمنع من اخراجها . فبينما هي تبحث وتستقصي اذ شعرت بنتوء في الجانب الايسر ثم ظهر لها ان قسماً من الرصاصة بارزٌ من الجلد فاخذت تضغط من حولها حتى خرجت فتناولتها ولفتها في منديلها و وضعتها في جيبها وتململ العليل من الالم فجرعتهُ شيئاً من الدوآء فنام نوماً هادئاً . وكانت تخرج حيناً بعد حين تمشي في الدار وتتفقد الغرف حتى عرفت غرفة الكنتة فدخلتها وكانت الغرفة خالية فوقفت في وسطها تتأمل بعينها النقّادة وتنظر كيف حدث ذلك الحادث الهائل . ثم توجهت الى الباب الذي دخل منهُ وكتور ووقفت في موقفهِ وتمثلت دخول الكنت من الباب المقابل واطلاقهُ الرصاصة الاولى فقدّرت انهُ لابد ان يكون لها اثرٌ بالقرب من الباب الذي دخل منهُ وكتور فاقبلت تفحص حواليهِ حتى رأت الرصاصة داخل الحائط . ولما تحقق لها ذلك عادت لفحص مكان الرصاصة الثانية و بعد التنقيب في ارض الغرفة ظهر لها خرقٌ في البساط علمت انهُ محل الرصاصة ورأت بجانب الخرق قطعةً من المطاط المُحرَق فاستوعبت هذه الامور كلها وقد علمت انها

كشفت الجانب الاعظم من سرّ المسئلة

واجتهدت النزّالة الانكليزية وسفيرها في تبرئة ساحة وكتور وتبرع اشهر المحامين في الدفاع عنهُ فلم يجدِ ذلك نفعاً لان الدلائل كانت كلها متضافرة على اتهامهِ وعلى الخصوص سكوتهُ التام وعدم نطقهِ بكلمةٍ تدل على براءتهِ لانهُ لم يزد على قولهِ الاول انهُ ليس هو القاتل . وعلى ذلك حكموا عليهِ بالقتل حكماً باتاً الا اذا افاق الكنت ونطق بما يبرّئهُ ولذلك اجّلوا انفاذ الحكم الى ما بعد وفاة الكنت ورسموا للطبيب ان يتعهد الكنت بالانتباه الدقيق لعلهُ يتمكن من سماع كلمةٍ منهُ او الشعور باشارةٍ يستفاد منها شيء في الكشف عن سرّ هذه الجريمة . فجهد الطبيب في ذلك بما أُوتي من الحذق والمهارة واوصى الراهبة اذا غاب ان تنتبه لكل حركة تصدر من الكنت في اثناء غيابهِ

وبعد ان اتى على الحادثة المذكورة ثمانية ايام كانت الراهبة جالسةً بجانب سرير الكنت وقد انتصف الليل فسمعتهُ يتكلم بالفاظٍ متقطعة فاصغت اليهِ فاذا هو يقول « الويل لي ماذا فعلت . . لمَ ظننت السوء بهذا الفتى ولمَ قتلتهُ . . اني بعدلٍ اموت بعدهُ لاني سفكت دماً زكياً . . وانتِ يا زوجتي العزيزة اصفحي عن جرمي . . انكِ بلا ريبٍ تجافين عن اخذ يدي . . وانكِ بحقٍّ تفعلين . . ان يدي اثيمة ملطخة بالدماء . . . آه ايها الموت لمَ لم تعاجلني قبل ان ارتكبت هذه الفعلة الفظيعة . . . . . » ثم غاب ثانيةً عن الوجود وجلست الراهبة تردد في نفسها ما سمعتهُ حتى لا يذهب منهُ شيء واخذت قرطاساً وسطّرت ما قالهُ الكنت حرفاً حرفاً

ولما كان الصباح جآء الطبيب على عادتهِ فلما وصل الى سرير العليل وجدهُ جثة هامدة فرفع الامر الى مقام القضآء وعند انتصاف النهار قرّر انفاذ الحكم على وكتور فسيق الى محلّ القَوَد وطار الخبر في اطراف البلد فاجتمع هناك جمهور كبير من مواطنيهِ وغيرهم . وعند ما دنت الساعة الرهيبة وهمّوا باطلاق الرصاص اذا براهبة تسعى بخطوات متثاقلة حتى بلغت موقف القاضي واسرّت اليهِ كلاماً كانها تستأذنهُ في مخاطبة الجمهور بامرٍ ذي بال . و بعدعدة مراجعات بينهُ و بينها رقيت مكاناً مرتفعاًوادارت نظارها في الحشد ثم كلمتهم بصوتٍ كان لهُ في افئدة الواقفين اعظم وقع فقالت

« قد علمتم ايها السادة ان الساعة التي فيها تفارق النفس هذا الجسد الترابي لتلحق ببارئها لهي ارهب ساعةٍ ترتجف لها الابدان وابلغ عظة تعتبر بها النفوس وان العدل لما امر الله بالتزامهِ واوجبهُ على الحاكم والمحكوم. غير ان لي في الخطب الذي اجتمعتم لاجلهِ كلاماً اسألكم ان تصغوا اليهِ واسأل الله ان ينطقني بحجة الحق ويحقن على يدي دم هذا البريء

« ان الذي ثبت للقضآء ان القاتل للكنت هو هذا المتهم المسكين ولكن الذي علمتهُ بعد التحقيق العياني والشواهد الناطقة ان القاتل هو الكنت نفسهُ ولكن سكوت المتهم عن تبرئة نفسهِ وتعذُّر الكلام على الكنت هما اللذان اديا الى ثبوت هذه التهمة ومن فحص مكان الحادثة وعاين مواقع الرصاص من جدار الغرفة وارضها ومن جسم الكنت تبين لهُ الامر بما لا يحتمل ادنى ريب . ثم التفتت الى القضاة وقالت لهم تعلمون اني كنت هذه المدة كلها ملازمةً للكنت في تمريضهِ وقد تأتى لي في اثنآئها ان

الخص الامر حق لخصهِ وشخَّصت "واقعة بنفسي فوقفت موقف المتهم اذ دخل من الباب الشمالي ثم تمثلت موقف الكنت اذ دخل من الباب الجنوبي فوجدت الرصاصة الاولى قد وقعت في الحائط الشمالي اي ورآء المتهم فهي اذن ولا ريب قد انطلقت من يد الكنت . ثم وجدت اثر الرصاصة الثانية في ارض الغرفة وقد اخذت في طريقها قسماً من حذآء المطاط الذي كان في رجل المتهم وهذا ايضاً يدل دلالة واضحة على ان الطلق كان موجهاً الى المتهم لا منهُ . واما الثالثة وهي التي اصابت الكنت فانها دخلت من جانب الصدر الايمن ونفذت من جانب الظهر الايسر فلو كان المتهم هو الفاعل لكان ذهابها على العكس كما يظهر بالتأمل . وبقي هناك امران اخفيتهما عن طبيبهِ احدهما اني استدللت على محل خروج الرصاصة التي كانت في صدره واستخرجتها وهي محفوظة معي فلكم ان تقايسوها على مسدَّس الكنت فان وافقتهُ ترجَّح انها منهُ . والثاني وهو الامر الأَهمّ اني ليلة وفاتهِ سمعت منهُ كلمات يخافت بها فكتبتها في هذه الرقعة ثم اخرجت الرقعة فتلتها عليهم ولما فرغت من تلاوتها قالت واني احمد الله على ان اقدرني على كشف سريرة هذا الامر وانتم بعد ذلك وما تفعلون »

فلما انتهت من كلامها ماج الحاضرون ونهض السفير الانكليزي فطلب من القضاة تحقيق الامر وتوجه مع القضاة والراهبة الى منزل الكنت وبعد الفحص المدقق ومعاينة الاماكن التي اشارت اليها وجدوا الامر على ما قالت واخذوا الرصاصة فقايسوها على المسدَّس فكانت على وفقهِ واثبتوا ان المسدَّس كان للكنت لانهم وجدوا عليهِ حرفي اسمهِ فلم يبقَ عندهم شبهةٌ

في براءة وكتور وان القتل كان من فعل الكنت نفسهِ

وكان المتهم والحضور ينتظرون عودة السفير ورجال المجلس ولما عادوا قرّروا براءة وكتور واطلقوا سراحهُ وانتشر ذكر هذه الحادثة في كل نادٍ من اندية باريس فكان ما فعلتهُ الراهبة محل اعجابٍ لكل من سمع بهِ ولم يبقَ الامن تمنى ان يراها

ولما أُطلق سراح وكتور اقبل اصحابهُ يهنئونهُ ثم استدعاهُ السفير فاخذهُ في عربتهِ والراهبة معهُ حتى انتهى الى مقام السفارة فقام وكتور هناك بواجب شكرهِ وشكرَ الراهبة على ما بذلت من العناية في انقاذهِ والتفت اليها السفير فاثنى عليها ثناءً جميلاً لما ابدتهُ من الحذق ودقة الفكر وما نتج على يديها من الخير في حقن دمٍ بريءٍ ثم قال لها اتأذنين لي ايتها الاخت المكرمة ان اسألكِ من انت وما الذي حملك على ما صنعتِ . فقالت اما انا فيكفيني من تعريف نفسي اني ممن فُطروا على اخلاص الحب والمحافظة على الذمام واما الذي حملني على ما صنعت فهو نصرة العدل ودفع الظلم الذي امر الله باجتنابهِ ولذلك تسلحت لهُ بهذا الثوب الذي هو عنوان الخير والصلاح . ثم نظرت الى وكتور وقالت لهُ تفرَّس فيَّ هل تعرفني . فلما قالت ذلك تنبه من دهشتهِ وعرف انها خطيبتهُ ماري فصاح أَالى هنا بلغ حبكِ يا حياتي ثم وقع على يديها يقبلهما ويغسلهما بدموع الفرح . وبعد ان لبثا ساعةً عند السفير وعرَّفاهُ خبرهما خرجا من عندهِ وهما من اسعد الناس حالاً وفي ذلك الاسبوع تمَّ بينهما عقد القران فعاشا اهنأ عيشة الى ان ادركهما هادم اللذات ومفرّق الجماعات

التنجيم

(عَودٌ على ما سبق)

تقدم لنا في الجزء الخامس كلامٌ في حقيقة التنجيم واصلهِ وما بلغ من الانتشار عند اشهر امم الارض وارسخها قدماً في الحضارة والعلم حتى كان من العلوم التي لا يُستغنى عنها في معرفة حقائق الكائنات واسرار الحوادث بل العلم الذي لا يُضمَن مستقبل الامم الا بهِ ولا تثبت قاعدة ملكٍ بدونهِ . وقد استقصى اربابهُ جميع حوادث الكون واطوار البشر وافعالهم ومصايرهم فجعلوا لكلٍّ منها حكماً منوطاً باحد الكواكب وبسطوا جميع ذلك في كتب هذا الفنّ وقيدوا كل حكمٍ بمرجعهِ بحيث لم يكن على من اراد الاطّلاع على شيء من تلك المغيّبات الا ان يتفقد ما نُصَّ عليهِ في تلك الكتب فيستخرج نبأهُ عن قاعدةٍ مقرَّرة وحكمٍ مرسوم

واما مرجع تلك الاحكام فهو السيارات السبع والبروج الاثنا عشر والسيارات المذكورة هي في عرفهم الشمس والقمر والزهرة والمشتري والمرّيخ وعُطارد وزُحَل وكل واحدٍ من هذه السيّارات مخصوصٌ بعضوٍ من اعضاء الانسان فالشمس للرأس والقمر لليد اليمنى والزهرة لليد اليسرى والمشتري للمعدة والمرّيخ لما دون ذلك وعطارد للرجل اليمنى وزحل للرجل اليُسرى . وكذلك صور البروج فالحمل منها للرأس والثور للعنق والتوأمان لليدين والكتفين والسرطان للصدر والقلب والاسد للمعدة والعذراء للجوف والميزان للكليتين والعقرب لما دون ذلك والرامي للفخذين والجدي للركبتين

والدلو للساقين والحوتان للقدمين

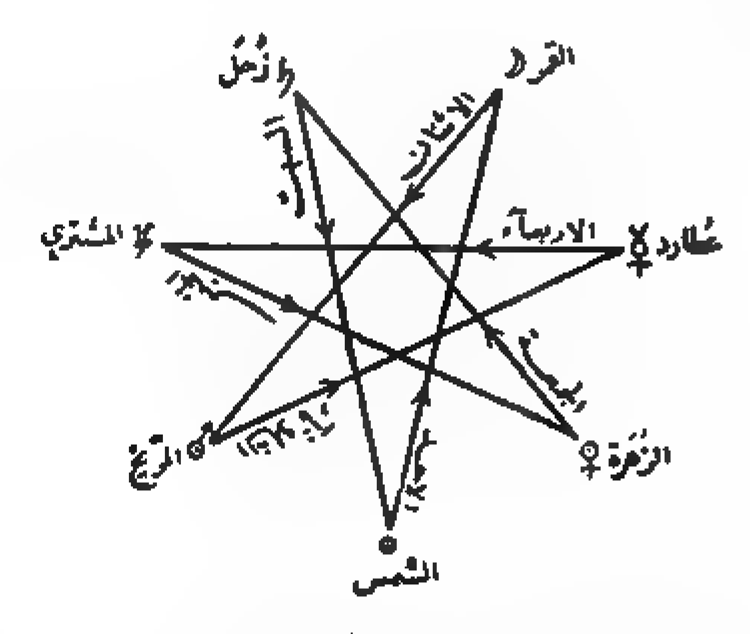
واما في غير ذلك من متعلقات الانسان فزُحل للحياة وتبدُّل الاحوال والعلوم والابنية والمشتري للسؤدد والاماني والمال والعقار والمرّيخ للحرب والسجن والزواج والضغائن والشمس للامل والسعادة والكسب والميراث والزهرة للمودّة والعشق وعطارد للامراض والديون والتجارة والمخاوف والقمر للجراحات والاحلام والسرقات

ثم ان لكلٍّ من هذه الاجرام يوماً من الاسبوع وهو يتسلط في ذلك اليوم على لونٍ من الالوان او معدنٍ من المعادن وهلمّ جراً • فللشمس الاحد وللقمر الاثنان وللمرّيخ الثلاثآء ولعطارد الاربعاء وللمشتري الخميس وللزهرة الجمعة ولزحل السبت • ثم للشمس من الالوان الاصفر وللقمر الابيض وللزهرة الاخضر وللمرّيخ الاحمر وللمشتري الازرق ولزحل الاسود ولعطارد ما فوق اللون الواحد وفي المعادن الشمس تتسلط على الذهب والقمر على الفضة والزهرة على القصدير والمرّيخ على الحديد والمشتري على الصفُر وزُحل على الرصاص وعطارد على الزئبق

واما الصفات الخاصة بكلٍّ من هذه الاجرام فانهم يصفون الشمس بالجودة وزحل بالغمّ واليبوسة والبرد والمشتري بالحرارة والارتياح والمرّيخ بالحدّة والزهرة بالخصب والاريحية وعطارد بالتقلب والتلون والقمر بالوسواس

واما طبائع صور البروج فالحمل منها والاسد والرامي حارّة يابسة والثور والعذرآء والجدي باردة يابسة والتوأمان والميزان والدلو حارّة رطبة والسرطان والعقرب والحوتان باردة رطبة

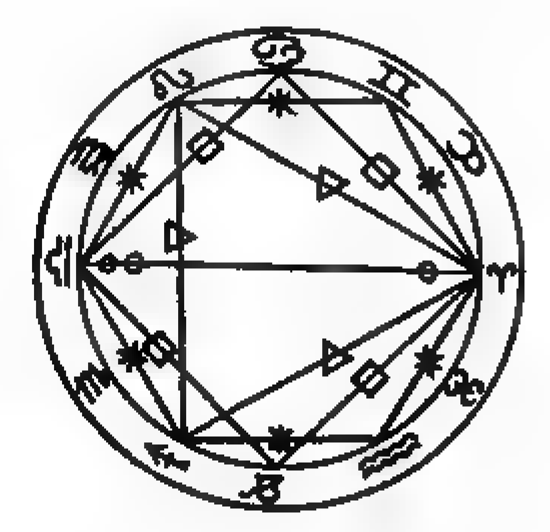
اما تخصيص كل واحدٍ من السيّارة بيوم من ايام الاسبوع فيقال ان اول من وضعهُ المصريون وهذا التقسيم مبنيٌّ على التنجيم لا على هيئة الافلاك والا لجرى ترتيب الايام على ترتيب السيّارة فجُعل الاول للقمر والثاني لعطارد والذي يليهِ للزهرة ثم للشمس ثم للمرّيخ ثم للمشتري ثم لزحل على ما هو ترتيبهم في هذه الاجرام . وذكر ديوكاسيوس ان المصريين كانوا يقسمون اليوم اربعة اقسام (والصواب ثلاثة) يتولى كل قسم منها واحدٌ من السيّارة على ترتيبها فسُمّي كل يوم باسم السيّار الذي يتولى القسم الاول منهُ بحيث يتألف من ذلك الشكل الذي تراهُ



فانه مؤلف من سبع زوايا رسم على قمّة كل واحدةٍ منها رمز واحدٍ من السيّارة وبجانبهِ اسم اليوم الذي يخصهُ واولها الشمس في اسفل الشكل ولها يوم الاحد تتولى ثلثهُ ثم تنوب عنها الزهرة ثم عطارد . ثم يدخل يوم الاثنين وهو للقمر ويخلفهُ زحل ثم المشتري . ثم يدخل يوم الثلاثاء وهو للمرّيخ ثم للشمس ثم للزهرة وهكذا حتى يصيب كل واحدٍ منها يومٌ من

ايام الاسبوع فيكون القسم الاول من يوم السبت في ولاية زحل والاخير في ولاية المريخ ثم يبدأ الاحد فيكون في ولاية الشمس وهلم جرًّا

اما اخذ الطالع فيكون باعتبار السيارات والبروج جميعاً وهو انما يُبنى على الاشكال والمراد بها نسبة مواقع بعض السيارات الى بعض عند مولد او سفر او غزو او غير ذلك . وعرّف كبلر الشكل بانهُ الزاوية الحادثة بين شعاعين منبعثين من سيارين الى الارض والاشكال ذوات التأثير عندهم خمسة احدها الاقتران وزاويتهُ ٠° وهذه علامتهُ ☌ ثم الاستقبال وزاويتهُ ١٨٠° وهذه علامتهُ ☍ ثم التثليث وزاويتهُ ١٢٠° وهذه علامتهُ △ ثم التربيع وزاويتهُ ٩٠° وهذه علامتهُ □ ثم التسديس وزاويتهُ ٦٠° وهذه علامتهُ ✱ . وهذه الاشكال منها ما هو سعد وهو التثليث والتسديس ومنها ما هو نحس وهو التربيع والاستقبال ومنها لا ولا وهو الاقتران . وهذه صورة مجموع الاشكال وعلاماتها نقلاً عن رسمٍ لهم قديم



ولضبط تعيين الاشكال يقسمون السماء ظاهرها وخفيها الى اثني عشر قسماً متساوية ترسمها دائرتا الافق والزوال واربع دوائر اخر تمرّ كلها

بنقطتي الشمال والجنوب وتقاطع خط المعدّل في اربع نقط ثنتان منها على ٣٠ْ من جانبي خط الزوال والاخريان على ٦٠ْ ويسمون ما بين هذه الدوائر من المسافات المذكورة بيوت الفلك الاثني عشر والدوائر التي ترسمها دوائر الوضع . وهذه الدوائر عندهم ثابتة لا تنتقل بحيث ان كل جرم من الاجرام العلوية يقطع في دورانهِ اليومي كل واحدٍ من البيوت المذكورة . فالبيت الاول من خط الافق الشرقي الى اول دائرةٍ من دوائر الوضع تليهِ غرباً والثاني من هذه الى التي تليها وهلمّ جرًّا الى البيت السابع وهو يكون من خطّ الافق الغربيّ الى الدائرة التي تليهِ تحت الافق وهكذا . ويؤخذ الطالع من ابتدآء البيت الاول او من نقطة دائرة البروج التي تطلع وقت الرصد.وكل واحدٍ من البيوت يختصّ بحكمٍ من الاحكام فالبيت الاول بيت الحياة والثاني بيت الغنى والثالث بيت الاخوة والرابع بيت الابوين والخامس بيت البنين والسادس بيت الصحة والسابع بيت الزواج والثامن بيت الوفاة والتاسع بيت التديُّن والعاشر بيت المنصب والحادي عشر بيت الاصدقآء والثاني عشر بيت الاعدآء . ولكل واحدٍ من هذه البيوت جرمٌ يتسلط عليهِ وهي تتفاوت في قوّة التأثير فاعظمها قوّةً الاول ويليهِ العاشر فاذا اجتمع كوكبان متكافئان في القوّة فما كان منهما في بيتٍ اقوى كان حكمهُ الغالب

واما تأثير السيّارات في اصحاب الطوالع فمن وُلد والطالع لزحل كان عرضةً للمناحس او للمشتري كان من ذوي الشهرة والمكانة او للمرّيخ كان حربيًّا او لعطارد فمن ارباب الفنون او للزهرة فمن السعداء

وفصّل بعضهم قال من وُلد والطالع للمشتري كان رئيس دين او وزيرًا او شريفًا او قاضيًا او فيلسوفًا او حكيمًا او تاجرًا او صرّافًا . او كان الطالع للمريخ جآء حربيًا او مفسدًا او سفّاحًا او طبيبًا (كذا) او حلاّقًا او جزّارًا او صوّاغًا او طبّاخًا او خبّازًا اوكل ذي صناعةٍ تعالج بالنار . اوكان الطالع للزهرة كان من مواليدهِ الملكات والغادات والصيادلة والخياطون والجوهريون والبزّازون (تجار الانسجة) ومعاقرو الخمر واللاعبون بالنرد (الطاولة) وقطّاع السبل . او لعطارد فاللاهوتيون والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والحُسّاب والمؤلفون باللاتينيـة (كذا) والمصورون والصنّاع اصحاب الاعمال الدقيقة من رجال ونسآء . اما اصحاب زحل فيأتون فظاظًا قساة القلوب معاندين وقحين متطوحين ظلاّماً غشاشين نَهِمين قَرِمين سكيرين مشاغبين غدّارين اشدّآء متعجرفين عيونهم دموية وشعورهم حمرآء يباشرون من الصنائع كل ما فيهِ نارٌ وحديدٌ مُحمًى . انتهى

على ان هذا الفنّ مهما يكن فيهِ من الخرافات والترّهات فقد نشأ عنهُ عدّة فوائد في علم الهيئة اجلّها تعيين مواقع بعض النجوم ومطالعها مما تُوصّل بهِ الى معرفة حركات بعض الثوابت بالمقابلة بين مواقعها المنصوص عليهـا في ازياج المتقدمين ومواقعها في الازمنة المتاخرة والاستدلال على حركة الشمس وانتقالها بين النجوم بتغير ما بينها من الابعاد والتنبّه الى مبادرة الاعتدالين بتغيرُّ مطالعها الى غير ذلك من الفوائد التي لا تطيل باستقصآئها فكان مثل اولئك القوم في تعيين الطالع للبحث عن المغيّبات مثل اهل الكيميآء في البحث عن الحجر الكريم لاحالة بعض المعادن الى بعض فانهم وُفّقوا في

ذلك الى معرفة كثيرٍ من الاسرار الكيماوية التي انتفع بهـا المتأخرون مما سنفرد للكلام فيهِ فصلاً مخصوصاً ان شآء الله

الطاعون والتبغ[1]

قد قلقت اوربا في هذه الايام لما وقع فيها من حوادث الطاعون وخافت ان يكون من فعلهِ فيها مثل ما مرّ بهـا من فتكهِ الهائل في الزمن السالف . وذلك ان عاملاً في المختبَر المخصوص بجراثيم هذا الدآء في مدينة وينّا مرض وتوفي في اعراضٍ تشبه اعراض هذا المرض الخبيث وبعد تشريح الجثة ظهرت لهم جراثيمهُ فيها وفي الغد ظهر مثل تلك الاعراض في ممرّضةٍ كانت تخدمهُ وفي اليوم الثالث اصيب الدكتور مولر الذي كان يعالجهُ بالاعراض نفسها

---

(١) التبغ لفظة دخيلة قيل هي من الهندية واصلها تاباكوس وقيل هي تعريب تاباغو وهو اسم الجزيرة التي وجدهُ الاسبانيول فيها اولاً فسموهُ باسمها والمشهور في ضبطها اسكان البآء مع فتح التآء او كسرها والوجه الفتح فيهما كما لا يخفى الا ان استعمال هذا اللفظ قليل ولا سيما في هذه البلاد فانهم يسمونهُ بالدخان وهو الاسم الذي أُطلق عليهِ اول ما عُرف في بلاد العرب ومنهُ قول بعضهم مؤرخاً

سألوني عن الدخان وقالوا هل لهُ في كتابنـا ايمآء
قلت ما فرّط الكتاب بشيءٍ ثم ارّختُ يوم تأتي السمآء

يريد يوم تأتي السمآء بدخان (الآية) ما كتفى منها بما ذكرهُ وجملتهُ ٩٩٩ . وجآء ذكرهُ في ريحانة الالبآء لشهاب الدين الخفاجي في ترجمة السيد محمد بن برهان قال وكان يوماً بمنزلي مع الاخوان فارادوا الجري على العادة في الدخان فابى ذلك لانهُ يراهُ من منكرات الزمان فقلت لهُ بديهاً

وقد وقفنا في احدى المجلات العلمية الفرنسوية على مقالةٍ في هذا المرض لاحد حذاق الاطباء ذكر في جلتها ما نعرّبهُ في هذا الموضع تحصيلاً قال

ان طبيباً هولندياً من اهل القرن السابع عشر يقال لهُ اسبرَنْد شهد الوباء الذي حدث في نيماغ من ديمربروك سنة ١٦٣٦ و١٦٣٧ وخالط المصابين بهِ واصيب بهِ غير مرةٍ ونجا وكان الحرز الوحيد الذي اتخذهُ للتحصن منهُ شرب الدخان وقد قصّ هذا الطبيب عن نفسهِ ما كان يفعلهُ ايام ذلك الوباء قال

كنت كل يومٍ عند الساعة العاشرة من الصباح اشرب قصبةً من التبغ وبعد الغداء اشرب قصبتين او ثلاثاً وكذلك بعد العشاء واذا اتفق لي شربت في سائر النهار ايضاً نحو هذا المقدار . وفيما خلا ذلك كنت اذا شعرت باقلّ انقباض من كراهة رائحة المرضى او المنازل التي فيها اصابة بهذا

فديتك جُد باذنٍ للندامى　　ليأتوا بالدخان بلا توانِ
تريد مهذَّباً لا عيب فيهِ　　ومل‌عودٌ يفوح بلا دخانِ

فقال بديهاً واجاد

اذا شُرِب الدخان فلا تلمني　　على لومي لابناء الزمانِ
من الاخوان اهوى طيب خلقٍ　　كمثل المسك فاح بلا دخانِ

اما استعمال الشرب لامتصاص دخانهِ فمع كونهِ غريباً في بادي الرأي ليس بالبعيد عن الصلة اللغوية وقد تكلموا بهِ في النظم والنثر كما رأيت وربما استعملوا في معناهُ التدخين ايضاً وقد اجتمعا في قول صلاح الدين الكوراني الحلبي

لعمرك لم اشرب دخاناً لاجل ان　　تُسَرّ بهِ نفسٌ تداني خروجها
ولكن زنابير الهموم لسعنني　　فدخنتُ حتى يستبين خروجها

المرض اترك كل شغلٍ لي مهما كان مهماً وفي ايّ ساعةٍ كنت من النهار فاشرب قصبتين او ثلاثاً لاني ايقنت ان هذا الصنف من النبات افضل واقٍ من الوبآء بشرط ان يكون من جيد التبغ وناضجهِ ولذلك فاني بعد اعتمادي عليهِ لم اعد اتخذ شيئاً من الاطياب ولا من كل ما يوضع في الفم في مثل هذه الحال. وقد استهلكت في مدة الوبآء مقداراً عظيماً من هذا النبات الفاخر ولكني بعد انقضآء تلك المدة اقلعت عن استعمالهِ مخافة ان اعتادهُ فأُفرط فيهِ كما يفعلهُ كثيرون اليوم

واني بينا ذهبت يوماً لعيادة مصابٍ بالمرض يقال لهُ استرالتن لم آكد ادخل غرفتهُ حتى اوشكت ان اختنق لخبث الرائحة التي كانت تنبعث منهُ وشعرت لوقتي اني قد أُصبت بالعدوى فقصّرت عيادتي ما استطعت ثم خرجت من ذلك المنزل وانا شاعرٌ بدُوارٍ وغثيانٍ وكربٍ شديد وانقباضٍ في القلب مما لم اشكّ معهُ اني قد أُصبت بسمّ الوبآء. فانقلبت الى منزلي وشربت ست او سبع قصبات من التبغ الفاخر فلم تلبث تلك الاعراض ان زالت عني بجملتها ووجدت في نفسي من الرَوح والعافية ما لم اتوقف معهُ عن معاودة مرضاي. وقد اصابني مثل هذه الاعراض ثلاث او اربع مرات في المدة التي عالجت فيها المصابين في نيماغ وكنت كل مرةٍ اتداوى بالعلاج نفسهِ . انتهى

قال الكاتب ومن المعلوم ان هذا الوبآء قد تقلص ظلهُ عن اوربا من عدة قرون بعد ان اجتاحها مدةً تزيد على الف سنة واذا تفقدت حوادثهُ بعدها وجدت ان وطأتهُ كانت تخفّ تبعاً لزيادة استعمال التبغ وزيادة انتشارهِ

ولا سيما حيث كان يُستعمَل شرباً فان هذا الصنف من النبات دخل اوربا
سنة ١٥٤٨ حين أُهدي الى شرلكان وفي سنة ١٦٢٤ ابتدأت زراعتهُ
تمَّ في فرنسا لشيوع استعمالهِ بين جميع الطبقات وبعد ذلك اخذ ينتشر في
مملكةٍ مملكةٍ حتى صار يُنفَق منهُ مقادير لا تُحصَى وأُهملت عادة السعوط
بتكاثر عادة الشرب فانتشرت سحائب دخانهِ المشحون بالنيكوتين في هوآء
اوربا عامةً

قال ولعلَّ قائلاً يقول فما بال هذا الوبآء لم ينقطع من آسيا مع كثرة
استعمالهِ فيها وكيف ظهر حديثاً في العجم وهو اليوم في الهند الانكليزية •
والجواب ان لذلك اسباباً منها ان القوانين الصحية في آسيا قاصرةٌ جدًّا بالقياس
الى ما هي عليهِ في اوروبا ومنها ان المستهلك من التبغ في البلاد الآسويةِ اقلّ جدًّا
مما هو عليهِ في الممالك الاوربية ومنها وهو الاهمّ ان صنف التبغ المشروب
عند هؤلآء اذا فحصنا تركيبهُ وجدنا العنصر الفعّال فيهِ اقلّ مما في دخاننا
بثلاثة او اربعة اضعاف • انتهى بتصرف والله اعلم

قولٌ جديد
في تكوُّن الجبال وانحلالها

اختلفت العلمآء في نشوء الجبال على اقوالٍ شتى نورد منها في هذا
الفصل آخر ما انتهى اليهِ البحث وهو القول الذي اجمع عليهِ اكثر المحققين
في هذه الايام

وقبل الخوض في ذلك لا بد ان ننبه الى أن الارض كانت في اول

امرها قطعةً من السديم المشتعل تدور على نفسها حول الشمس وبانبعاث الحرارة منها تكاثفت اجزآؤها منها وتألفت بشكل نواةٍ مركزية ثم اخذت تلك النواة تجذب اليها سائر الاجزآء المتكاثفة حولها الى ان اجتمعت كلها كتلةً واحدة وتناقصت الحرارة المنبعثة عنها وحينئذٍ اخذت الابخرة المآئية المتطايرة منها تنعقد سحاباً ثم تنزل امطارًا وسيولاً فاذا لاقت سطحها ردّتها الحرارة بخارًا ثم سقط البخار مطرًا الى ان برد ظاهر تلك النواة فاصبح قشرةً صلبة . قالوا واستمرّ باطنها يتقلص ويجتمع بانبعاث الحرارة منهُ الى ان حدث فراغٌ بين القشرة وما تحتها من المواد كما يحدث لمن ضمر جسمهُ بعد السمن وحينئذٍ تجعدت تلك القشرة فكان بعضها غائرًا وهو الاودية والقيعان ولبث البعض الآخر شاخصاً وهو الجبال

وعليهِ فتكون سلاسل الجبال بمنزلة غضونٍ مستطيلة نشأت في القشرة الارضية عند ضمورها وتتابع تكوُّن تلك السلاسل شيئاً فشيئاً من ناحيتي القطبين الى المعدّل. الا انها بتوالي الامطار والسيول وسائر الفواعل الطبيعية اخذ ينهار منها الشيء بعد الشيء حتى تبدلت هيئتها الاصلية ولم يبقَ من اكثرها الا قممٌ شاخصة هي الجبال المعروفة اليوم وان هي على الحقيقة الا اطلالٌ من بقايا تلك السلاسل

لا جرم انا اذا حاولنا اليوم الاستدلال على ما كانت عليهِ الارض في اعصرها الاولى لم نجد في سطحها من الهيئة التي كُوّنت عليها الا آثارًا عافية وذلك انا كيفما انقلبنا لا نرى الا مجاري انهار وكثبان رمل واراضي مؤلفة من الطفال والابارق وغيرها مما احدثتهُ المياه وليس من اصل الخلق في

شيء . وعلى الجملة فانك ترى تلك الجبال منذ كانت لم تزل عُرضةً للسيول تجتاحها من كل جانب وهي طوع فعل المياه تبدّل هيئتها كيف شاءت على الدوام حتى ان اضعف الاجسام العضوية واكثرها هشاشةً كانت اثبت على مقاومة الطبيعة من الجبال انفسها . وحسبك ان النمل الذي وُجد منذ الطور الثاني ويمكن ان يُردّ عهدهُ الى الزمن الذي شخصت فيهِ جبال الألب لا تزال بقاياهُ ماثلةً لطبقاتٍ ثخينة من ارض كوراسيا بحيث ترُى الصخور هناك سوداء لكثرتهِ فيها وهو باقٍ الى يومنا هذا بقوائمهِ وقرونهِ الدقيقة . ومما يجدر ذكرهُ هنا ان علماء الحشرات يعدّون اليوم في اوربا نحو خمسين صنفاً من النمل ولكن المسيو هير من زوريخ والمسيو ماير من وينّا وجدا من متحجراتهِ في نواحي اوتنجان ورادوبوى فقط ما يزيد على مئة صنف

اما سلاسل الجبال الحالية فاكثرهم على انها حديثة التكوُّن اي انها حدثت بسبب طارئ وليست من النشأة الاولى وانما ثبتت على هيئتها لانهُ لم يأتِ عليها من الزمن ما يكفي لتفتيتها . وفي رأي بعضهم انهُ لا يمتنع ان تكون من السلاسل التي حدثت اولاً غير انها بعد ما توالت عليها جوائح الطبيعة حتى تبسطت وعادت سهولاً استمرّ عليها فعل الماء فجرف ما بينها من الاراضي اللينة وبقيت الصلبة شاخصةً حتى استمادت هيئتها الاولى فكانت كما قال المسيو لباران جبالاً محشورةً وفي هذا القول الاخير من التعسف ما لا يخفى والله اعلم

اخذ التماثيل عن الاحياء

لا يخفى ان عمل التماثيل البشرية قديم جدًّا كانت تمثَّل بهِ هيئات الملوك والعظمآء ومشاهير الناس حرصاً على بقآء صُورهم بعد ذهاب اشخاصهم وكانت في اول الامر تؤخذ بالنظر والقياس كما تؤخذ الصُور المرسومة على الالواح الا ان المشابهة بين التمثال والممثَّل كانت تتوقف على مهارة الصانع وكثيرًا ما كان يفوتهُ من الملامح ما يضيع بهِ شيءٌ من الهيئة . فصاروا اذا ارادوا اخذ تمثال ميتٍ يطبعون قالبًا على وجه الميت نفسهِ يتخذونهُ من الجبس والجير والرمل ويتركونهُ حتى يجفّ ثم ينزعونهُ ويفرغون فيهِ المادّة التي يراد جعل التمثال منها وبعد ذلك يصحح بالنحت حتى تتمّ صنعتهُ . الا ان هذا ايضاً لم يزل فيهِ بعض النقص لتغيُّر بعض السحنة عقيب الموت بحيث لا تنطبق الهيئة على ما كانت عليهِ في حال الحياة ولذلك ارتأَوا ان يتخذوا تلك القوالب عن وجه الشخص في حياتهِ لكن تعذر عليهم ابقآء التنفس مدة عمل القالب وجفافهِ لما يلزم فيهِ من تغطية الوجه كلهِ وسدّ الفم والانف وبعد تكرار المزاولة والامتحان تسنى لهم الامر فتمكنوا من اخذ قالبٍ عن الحيّ مع ابقآء النَفَس حرًّا مدة العمل . واول من توصل الى ذلك نقاشٌ من الحذاق يقال لهُ هريهمس وطريقتهُ في ذلك ان يؤتى بالشخص المراد تمثيلهُ فيلقى على ظهرهِ ويُدخل في انفهِ انبوبان أجوفان ويُحشى ما حولها بالقطن لمنع دخول عجينة القالب في الانف فيبقى مجرى النفس مفتوحاً ثم يُلفّ شعر رأسهِ بمنديل ويطلى شعر وجههِ بمادّة لزجة حتى

يصير كتلةً واحدة فلا تخللهُ اجزآء العجينة ويتعذر تخليصهُ منها وبعد الفراغ من ذلك كلهِ يلبَّس وجههُ بكتلةٍ من خليطٍ مؤلف من الجبس والجير والشمع والرمل بحيث يتغطى الوجه كلهُ والأُذنان حتى العنق . ومن خصائص هذا الخليط انهُ سريع الجفاف فلا يلبث الشخص الى ان يُفرَغ من العمل اكثر من ثماني او عشر دقائق ثم يُنزَع القالب عن وجههِ وقد جفَّ تمام الجفاف فيكون معدًّا لافراغ مادّة التمثال . وبعد سكب تلك المادّة فيهِ واخراج التمثال لا يبقى الا ان يُصلَح فيهِ شيءٌ يسير لا يصعب على حذاقة الصانع كفتح العينين لا نهما لا بدّ ان تكونا مغمضتين وتفريق الشعر بعد ان يكون كتلةً واحدة . وقد اقبل الناس على هذا الاختراع اقبالاً عجيباً لكثرة من يطلبون ذلك مع ما فيهِ من السهولة والسرعة حتى اصبح معمل النقاش المذكور كاحد معامل المصوّرين لا يكاد يخلو من جماعاتٍ يقصدونهُ لاخذ قوالبهم

متفرّقات

معرض الاطفال - بلغ من عناية الغربيين واهتمامهم بتعزيز العمران وتوفير سعادة الانسان ان أُقيم في هذه السنة في بلاد الانكليز معرضٌ مخصوص لعرض الاطفال وفُرِضت فيهِ جوائز لمن امتاز منهم في نموّ البنية وحالة الصحة والنظافة . وهذا المعرض مباح لكل من شآء الدخول فيهِ

بشرط ان يكون الطفل المروض مصحوباً بصكٍ يُثبِت تأريخ ولادتهِ وكونهُ ولدًا شرعياً. وقد تمّ العرض على ايدي جماعةٍ من ذوي الخبرة وبمشهد الوفِ من النظّارة فقسموا الاطفال الى اربع فِرَق وهم الذين دون ثلاثة اشهر والذين دون ستة ودون تسعة والذين اتمّوا السنة وكان عرضهم بالوزن مع فحص بنيتهم وسائر احوالهم. فنال الجائزة اربعة منهم وهم واحدٌ من كل فئةٍ وقد بلغ وزن الاول وهو صاحب الفئة الاولى ١٨ ليبرة والثاني ٢٤ ليبرة والثالث ١/٢ ٢٩ والرابع ٣/٤ ٢٨ وكانت الجائزة لكل واحدٍ مقدارًا من النقود وحلّة كاملة للطفل . وخلا ذلك فقد تكرّم قيّم المعرض بجوائز أُخر سماها جوائز الجبر وهي زوج جوارب يُعطى لمن لم يستحق جائزة الامتياز

اما الذي اقام هذا المعرض وانفق عليهِ فهو واحدٌ من اغنيآء الانكليز وفي عزمهِ ان يعيدهُ كل سنةٍ فلله درّهُ لقد كاد ينسينا كرم اغنيآئنا واهتمامهم بوطنهم اما كرم حكومتنا والتفاتها الى تحسين احوال الرعية فما لا ينسينا اياهُ شيء .....

الزواج في سيام ـ جرت العادة في هذه البلاد ان كل بنتٍ عنست في بيت ابيها (اي كبرت ولم تخطَب) اذا اظهرت رغبتها في الزواج قُيِّد اسمها في سجلّ الحكومة واهتمّت الحكومة بان تجد لها زوجاً. واما الحيلة في تزويجها فهي ان المجرم منهم مهما كان نوع جريمتهِ لا يكتفون بسجنهِ او تغريمهِ ولكنهم يقسرونهُ على الزواج باحدى النسآء المذكورات القائمات تحت ظل الحكومة ويسمّونهنّ بالنسآء الرسميات . وحينئذٍ فان

كان جرمهُ خفيفاً أُطلق لهُ ان يختار التي تعجبهُ منهنَّ والاَّ أُكرِه ان يتزوَّج المرأة التي تعيّنها لهُ الحكومة وهي تعتني بان لا تعين لهُ الا واحدة من اقبح الموجودات صورةً او اشدّهنَّ صخباً وسوء خلق٠ وعليهِ فلا يوجد في تلك البلاد امرأةٌ مهما كانت قبيحة المنظر الا وهي على يقين بان تجد لها زوجاً وهو صنيعٌ لا يخلو من الحكمة الا ان المتزوجين على هذه الصورة لا تكون حياتهم على الغالب الا في نكدٍ دائم

الجثث الرخامية ـ ذُكر في مجلة المجلاّت ان الدكتور ماريني اخترع طريقةً يحيل بها جثة الميت الى رخام فانهُ يعالجها علاجاً كيماوياً تتصلب بهِ فيصير اللحم رخاماً والعين زجاجاً فان صح هذا فهو افضل من تحنيط المصريين المتقدمين بما لا يقاس

سرعة الصوت ـ اعاد بعضهم في هذه الاثناء امتحان سرعة الصوت في الهواء بواسطة اطلاق المدفع فتحقق لهُ بعد تعيين المسافة بالمدقّق (اي المكرومتر) مع تناول الصوت بالاذن وبواسطة جهاز كهربائي انهُ يقطع في الثانية بين ٣٣٠،٦ مترًا و٣٣٠،٩ وذلك على درجة صفر من ميزان الحرارة وفي هواء تامّ الركود . وهو اقلّ من التقدير الذي كان عليهِ علماء الطبيعة بمقتضى الامتحان الاخير الذي أُجري سنة ١٨٢٢ وهو ٣٣٣ مترًا في مثل الحالة المذكورة

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية ــ رأينا في مجلتكم الزاهرة (صفحة ٥٦) لفظ العربة بمعنى المركبة فهل هذه الكلمة عربية ومن اين اشتقاقها احد القرآء

الجواب ــ اللفظة ليست بعربية واول من استعملها ابن بطوطة في رحلتهِ المشهورة في الكلام على بلاد الترك قال وهم يسمون العجلة عربة بعين مهملة وراء وباء موحّدة مفتوحات وهي عجلات تكون للواحدة منهنَّ اربع بكرات كبار ومنها ما يجرّهُ فرسان ومنها ما يجرّهُ اكثر من ذلك وتجرّها البقر والجمال . اهـ . والعرب تسميها العَجَلة كما عبّر بهِ ابن بطوطة في تعريف العربة قال في القاموس هي الآلة التي يجرّها الثور . اهـ . ولم نجد من زاد في تعريفها على ذلك لكن الذي يظهر لنا انها كانت تُستعمَل عندهم لنقل الاثقال لا لركوب الناس بدليل اسهاب ابن بطوطة في وصف العربات التركية فانهُ عنون الفصل بقولهِ ذكر العجلات التي يسافَر عليها في هذه البلاد ثم قال بعد ما ذُكر ويُجعَل على العربة شبه قبّةٍ من قضبان خشبٍ مربوطٍ بعضها الى بعض بسيور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتكسى باللبد او بالملف (ضرب من النسيج) ويكون فيها طِيقان مشبّكة ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونهُ ويتقلب فيها كما يحبّ وينام وياكل ويقرأ ويكتب وهو في حال سيرهِ . انتهى

برمّانا (لبنان) ــ نرجو ان تجيبونا على الاسئلة الآتية

(١) هل كلام الامام علي بن ابي طالب حجةٌ في اللغة . (٢) هل يقال رهبنة الكرمليين مثلاً ام رهبانية الكرمليين وما الفرق بين اللفظتين .
(٣) هل لفظة نوتي بمعنى بحّار فصيحة الياس الحويك

الجواب ـ اما كلام الامام عليّ فما ثبت انهُ لهُ فهو ولا شك من الحجج القاطعة في اللغة لانهُ عربيٌّ قحٌّ من قُرَيش ولكن كثيرًا من الكلام المنسوب اليهِ ليس لهُ وحينئذٍ فالشأن كل الشأن في اثبات ما هو من كلامهِ لا في صحة الاحتجاج بهِ وهذه احدى مفاسد اللغة كما صرحنا بهِ في غير هذا الموضع

واما الرهبنة والرهبانية فكلتاهما صحيحتان والفرق بينهما لفظيٌّ لا معنويٌّ وذلك ان الاولى مصدرٌ مأخوذ من الرُهبان جمع راهب على توهم اصالة النون كما قالوا من السلطان سلطنة ومن الدهقان دهقنة وهو بابٌ واسع في اللغة . والثانية مصدرٌ مأخوذ من طريق النسبة مع زيادة تاء المصدرية وهي تُروَى بالفتح على انها منسوبةٌ الى الرَهبة وهي من مصادر الراهب ايضاً وزيدت فيها الالف والنون على حدّ قولهم الروحانية مثلاً وتُروَى بالضمّ على انها منسوبةٌ الى الرُهبان جمع راهب وانما نسبوا الى الجمع لان هذا اللفظ لما صار اسماً لطائفةٍ مخصوصة أُجري مجرى الاعلام فنُسِب اليهِ على حدّ الأعرابيّ والانصاريّ واشباههما

واما النوتيّ فيمدّ من الفصيح لانهُ ورد في كلام العرب قال في الصحاح النواتيّ الملاّحون في البحر وهو من كلام اهل الشأم واحدهم نوتيّ . وقال في لسان العرب وفي حديث عليٍ كرّم الله وجههُ كانهُ قلعُ

داريٌّ عنجهٌ نوتيةٌ قال النوتيّ الملاّح الذي يدبر السفينة في البحر وقد نات ينوت اذا تمايل من النعاس كأن النوتي يميل السفينة من جانب الى جانب. ونقل في تاج العروس كلام الصحاح ثم قال وصرّح غيرهُ بانها معربة.اهـ. لكنهُ لم يذكر اصلها المعرَّبة عنهُ وجاء بهامشهِ ما حاصلهُ انهُ ان صح انها معرَّبة فهي تعريب الناوي بالفارسية وهي بمعنى النوتي والله اعلم

القاهرة — يعتري افرادًا من الناس توقف في النطق عن بعض الكلمات حتى يضطرّ احدهم ان يكرر الحرف مرارًا ولا يتأتى لهُ الانتقال الى ما يليهِ الا بعنفٍ فما سبب ذلك وعلاجهُ ع * د

الجواب — الاظهر ان ما تذكرونهُ وارد من قبيل العادة وكثيرًا ما يكون سببهُ حدّة طبع الشخص بحيث يسبق فكرهُ لسانهُ حتى يعجز اللسان عن مجاراتهِ فيتلعثم عن الكلام . وافضل ما يعالج بهِ ان كان راشدًا ان يأخذ نفسهُ بالتمهل في النطق وتمثيل ما يريد ان يقولهُ بالفكر قبل ان يلفظهُ باللسان فاذا امكنهُ الاستمرار على ذلك اياماً جرى لسانهُ شيئاً فشيئاً حتى يعتاد متابعة النطق بلا تكلف . وان كان صغيرًا فالافضل ان يتعهدهُ مربيهِ او معلمهُ بان ينطق بالتأني ويعاقبهُ على التسرع في اللفظ بحيث لا يدع ذلك يتمكن فيهِ ويصير عادةً يصعب قلعها

القاهرة — عندنا طفل عمرهُ عشرة اشهر وهو من يوم وُلد الى اليوم اصفر اللون فهل لكم ان تفيدونا عن سبب ذلك الاصفرار وهل يبقى على هذه الحالة حنا الياس المريان

الجواب ـ ان مثل ما ذكرتم لا يتأتى القطع بسببهِ الا بعد المعاينة والفحص عن اسبابهِ في الطفل وفي ابويهِ او في احدهما فانهُ قد يكون عن وبالةٍ اتصلت اليهِ عن طريق الام وهو جنين وقد يكون عن اختلال في الجهاز الصفراوي او عن غير ذلك من الاسباب فالافضل ان يُعرَض على احد مهرة الاطباء

القاهرة ـ رأيت رجلين بصرهما ضعيف غير ان احدهما لا يرى احرف الكتابة الا اذا ادناها من عينهِ كثيرًا والآخر الا اذا ابعدها بمقدار ذراع او نحوهِ فما الحكمة في ذلك احمد سعيد البغدادي

الجواب ـ اذا كان كلٌ منهما يرى الكتابة واضحة بعد جعلها على المسافة التي اشرتم اليها فالبصر صحيح والضعف وارد من قبل شكل البلورية في العين بان تكون في الاول شديدة التحدب حتى صار صاحبها احسر اي قصير النظر والآخر بعكسهِ ويُصلَح بصرهما بان يستعمل الاول الزجاجات المقعَّرة والثاني الزجاجات المحدَّبة

بيروت ـ هل لكم ان ترشدونا الى طريقة لتثبيت الصور المرسومة بالفحم مستفيد

الجواب ـ اعتاد اهل هذا الفن ان يستعملوا لذلك المزيج الآتي وهو ١٥ غراماً من صمغ اللك و٥ من صمغ الكوبال تحلّ في ٣٠٠ غرام من الكحل (السيرتو) من غير نار ثم يصفّى المزيج . وعند ارادة الاستعمال

يؤخذ بضخة ويرش رشاً دقيقاً على وجه الصورة مع تركه بين المرة والمرة حتى يجف

ويُستعمل لذلك ايضاً اللبن الحليب ممزوجاً بضعفيه من المآء يُجعل في طبق واسع وتُغمس فيه الصورة بان يُدخل احد طرفيها تحت السائل وتُسحب شيئاً فشيئاً الى ان تمرّ فيه بكاملها ثم تُخرج من الجانب الآخر وتُمسك من احدى زواياها عمودية حتى يترشح عنها ما زاد عن المقدار وبعد ان تجف تُغمس ثانيةً في مغطس من المآء والشب لمنع الهوام ان تقربها

آثار ادبيّة

الموسوعات ـ هو اسم مجلةٍ عمومية تصدر مرتين في الشهر يحرّرها لجنة من افاضل الكتاب ويديرها حضرة الاديب احمد افندي حافظ عوض وقيمة اشتراكها السنوي خمسون قرشاً مصرياً في القطر و١٥ فرنكاً في الخارج . وقد اطلعنا على الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على نُبذٍ تاريخية وفوائد علمية وادبية وفي آخره قسمٌ من رواية تسمى رواية لادياس تأليف حضرة الفاضل احمد بك شوقي الشاعر المشهور . فنثني على اصحاب هذه المجلة ثنآء طيباً ونحضّ جمهور المتأدبين على اقتباس فوائدها

رواية لايس ـ أُهديت لنا نسخةٌ من رواية بهذا الاسم وهي رواية

تأريخية معرَّبة بقلم حضرة الاديب يوسف افندي الطوا تتضمن ذكر حوادث يونانية قديمة من عهد القرن الخامس قبل الميلاد يتخللها فوائد شتى من اقوال فلاسفة اليونان في انواع العلوم والفنون والفضائل الاجتماعية واشياء من عقائد اليونان الاولين وعوائدهم وغير ذلك وكلها مفرغة في قالب فكاهي يرتاح اليه المطالع فنحث الادباء على مطالعتها وهي تباع في المكتبة الشرقية لصاحبها ابرهيم افندي فارس

كتاب الكنوز الذهبية في الزراعة العملية المصرية ـ وقفنا على نسخة من هذا الكتاب تأليف حضرة الفاضل اللوذعي السيد افندي عزمي المعاون في الدائرة السنية فألفيناه كتاباً حافلاً بالفوائد الزراعية العلمية والعملية مشتملاً على وصف الاراضي الصالحة للزراعة وغيرها وبيان طرق اصلاحها وما يتعلق بها من احكام الريّ والحراثة والتسميد وما يتبع ذلك من زراعة المزروعات باصنافها موزعةً على الفصول مع بيان الاراضي التي تلائم كلاً منها الى غير ذلك من متعلقات هذا الشأن . وهو الكتاب الذي طالما كان هذا القطر في حاجةٍ الى مثلهِ مما يتناول العمل فيه عن علم وخبر لا عن تقليد ومجازفة فما احراهُ ان يتخذ دستوراً يجرى بمقتضاهُ في معالجة الارض واستخراج ما أودعتهُ من الكنوز الثمينة. فنثني على مؤلفه الفاضل ونرجو لمؤلَّفهِ هذا ان يصادف ما هو اهلٌ لهُ من الاقبال مما يرجع على القطر بالنفع الجزيل وعليهِ بالاجر الوافي والثناء الجميل

فكاهات

رواية

العدوّ الحبيب[1]

لما كانت سنة ١٨٧٢ انتشر على الالسنة في باريز وضواحيها خبر جمعية سرّية قد جعلت دأْبها الفتك والاغتيال وركوب الفظائع والمنكرات حتى في داخل المنازل ومعاطف الشوارع والسكك بحيث لم يكد يمرّ اسبوع الا يُرَى لها آثارٌ من الفتك يتناقل الناس انبآءها المخيفة ولا تُعلَم اشخاص الفاعلين الى ان هلعت لها القلوب واضطربت الخواطر وصار الرجل لا يأْمن على نفسهِ واهلهِ وهو متحصن في داخل ابوابهِ وسعت الحكومة في طلبها وبثت العيون والارصاد في كل سبيل فلم تظفر منها بطائل

وكان بين رجال الشحنة (البوليس) لذلك العهد فتىً في الثامنة عشرة من سنيهِ يقال لهُ ادمون حادّ الذهن متوقد الفؤاد يكاد يلتهب فطنةً وذكآء وهو ابن رجل من وجهآء باريز توفي والدهُ بعد ان ذهبت ثروتهُ بحادثٍ من حوادث الدهر وهو لم يكد يتجاوز سن الحلم ولم يكن لهُ من يلجأُ اليهِ بعد موت ابيهِ الا عمٌّ لهُ فاعرض عنهُ واغلق بابهُ في وجههِ على ما هو شأْن اكثر الناس ممن يعرفون انسبآءهم اغنيآء وينكرونهم فقرآء فصرف آمالهُ عنهُ وجعل اتكالهُ على ما وهبهُ الله من الفطنة والاقدام والصبر على

[1] معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

مغالبة الدهر ولسان حالهِ ينشد قول الشاعر

وانما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوّل في الدنيا على رجلِ

وكان ادمون منذ صغرهِ مولعاً باخبار الشحنة كثير الاعجاب بما يصدر عنهم من افعال الذكاء ودقة الفكر في كشف غوامض الامور والتوصل الى الاسرار الخفية فأُشرب قلبهُ حبّ الانتظام في هذه الفئة وجعل هذا الميل يزداد فيهِ يوماً بعد يوم الى ان حملتهُ رغبتهُ على قصد رئيس الشحنة فعرض عليهِ معرفة نفسهِ وسألهُ ان يقبلهُ في جملة رجالهِ . فاستغرب الرئيس منهُ هذا الطلب ولا سيما مع صغر سنهِ الا انهُ رأى فيهِ من الذكاء والجرأة وعلوّ الهمة ما توسم منهُ انهُ سيكون لهُ شأنٌ محمود في هذه الخطة فادخلهُ في جملتهِ وامتحنهُ في بعض المهمات فاظهر عن نجابةٍ ودُربةٍ عظيمة وارتفعت منزلتهُ في عين رئيسهِ وعيون سائر رصفائهِ بحيث انهُ لم يبلغ الثامنة عشرة من السن حتى صارت تستشيرهُ افراد الشحنة فيما يعرض لها من المشكلات وتنتفع برأيهِ

وفي ذلك الوقت كانت الجمعية المذكورة قد استفحل امرها وتفاقم شرها وعجزت ارباب الحكومة واعضاء الشحنة السرّية عن الوقوف على اثرها فارتأى رئيس الشحنة ان يعيّن لهذه المهمة اناساً مخصوصين من رجالهِ ينقطعون لمتابعتها ويتنسمون اخبارها من كل ريح وانتخب ادمون زعيماً لهذه الفرقة فحسر عن ساق الجد وشحذ عوامل ما أُودع فيهِ من الفطنة والبصيرة الثاقبة واخذ يتفقد المظانّ ويترصد الدلائل مدة سنتين كاملتين فلم يظفر من الوقوف على مطلوبهِ بأثر

واتفق بعد ذلك ان دخل ذات يوم حدى الحدائق العمومية بقصد

الاستراحة فجلس الى ما ثدةٍ هناك وطلب كأساً من المرطبات ثم غاص في لجةٍ من التأملات تنقلت بهِ من طورٍ الى طور الى ان امعن في عالم الخيال وتصور نفسهُ بعد موت والديهِ وحيدًا مهملاً يكافح الدهر بنفسهِ وليس لهُ من منجدٍ ولا معزٍّ فتنهد من قلبٍ جريح وفاض صدرهُ ببعض كلماتٍ كان يناجي بها نفسهُ فقال ولمَ يعيش امثالي على وجه الارض واي املٍ لي في الحياة.. اني ارى كل شيءٍ في الدنيا يقاومني فمن نصيري .. ومن اذا قبضت على ناصية السعادة بيدي فمن يعرفني ويُسرّ لسروري .. واذا متُّ في هذه الساعة فمن يبلّ ضريحي بعبرةٍ واحدة .. أجل انا في وطني ولكنني فيهِ غريب وهل اشقى ممن كان في وطنهِ غريباً ... وبينا هو يحدث نفسهُ بمثل ذلك اذ استوقفهُ عن الكلام حركةٌ بجانبهِ وصوتٌ كان على سمعهِ اعذب من خطرات النسيم بين عذبات الاشجار يقول لهُ اما اذا كنت ممن لا يزدري القلوب الامينة فان ههنا شخصاً لا يسرّهُ الا ان يراك سعيدًا وكل ما يودّهُ ان يكلل رأسك بالغار لا ان يبلل ضريحك بالدموع . فكانت هذه الكلمات اشبه بطلسمٍ اعادهُ الى رشدهِ والتفت فاذا فتاةٌ في نضارة الشباب ممشوقة القوام بديعة المحيا وقد زادتها تلك العواطف التي ابدتها لا دمون جمالاً واشراقاً فوقف اجلالاً لها وقدّم لها كرسياً فجلست بازآئهِ ثم اخذا يتجاذبان اطراف الحديث فقالت لهُ اني قد رأيت من ملامح وجهك وسمعت من كلماتك ما اعلمني انك مثلي لا حميم لك ولا انيس وانك في عالمٍ لا يشعر بوجودك ولا تشعر باحتياجهِ اليك وليس اثقل على الانسان من ان يعيش منقطعاً . واني فتاةٌ قدمت من اميركا الجنوبية مع والديَّ ثم

فقدتهما في هذه البلاد وتركا لي مبلغاً من المال اشتريت ببعضهِ بيتاً صغيراً اسكنهُ واودعت الباقي عند احد الصيارف اتميش بريعهِ وانا الى الآن وحيدةٌ في هذه الديار لا انيس لي ولا من اعتمد عليهِ في احوال تصرّفي ومماشي اتجوّل من موضعٍ الى آخر وليس امامي ما انتظرهُ الا ان ألحق بوالديَّ واتخلّص من وحدة هذه الحياة . اما اسمي فايزابلاّ . فقال ادمون اما انا فاني مولودٌ في هذه المدينة واسمي ادمون وتاريخ حياتي كما ظهر لكِ من هيئتي وكلامي واظن ان الله قد رثى لعذابي فارسل اليَّ ملكاً يعزّيني ويحبّب اليَّ الحياة ويمهّد لي سُبل السعادة ويشاطرني هنآءها

وكانت نتيجة تلك الخلوة بين ادمون وايزابلاّ ان قلوبهما ارتبطت بوثاق الحب فدخلا الحديقة وأحدهما لا يعلم بالآخر وخرجا منها خطيبين كلٌّ منهما مستندٌ على صاحبهِ ولبث ادمون سائرًا مع ايزابلاّ حتى بلغا منزلها ثم فارقها على موعد ان يزورها قريباً

ولما كثر تردد ادمون على ايزابلاّ كان يتبين لها منهُ المرّة بعد المرّة انهُ كثير الاهتمام مشتغل القلب بامورٍ ذات بال فسألتهُ في ذلك فاخبرها انهُ قد فُوّض اليهِ البحث عن الجمعية السرّية التي اشتهر امرها في باريز والقبض على من يستطيع من اعضآئها . فقالت اني قد سمعت بهذه الجمعية واحبّ ان اقف على ما تطلع عليهِ من امرها ولا سيما ما يكون من نجاحك فيما فُوّض اليك من البحث عنها فارجو ان تعلمني بكل ما تتوصل اليه بذكائك . فلما كان بعد ايامٍ وافاها وهو متهلل الوجه وقصّ عليها انهُ قد وُفّق الى القبض على اثنين من اعضآء الجمعية يقال لاحدهما باولو وللآخر استفانو وانهما قد

أُلقيا في السجن وهما تحت اشدّ اصناف العذاب ليقرّا عن بقية اصحابهما .
قال وقد علمت ان زعيم هذه الجمعية فتاة من ذوات الدهآء والنكر تدبّر شؤونها وتصرّف اعضآءها كيف شآءت فلا تجد فيهم الا خدّاماً مطيعين فرعى الله ذلك اليوم الذي فيهِ امسك تلك الحية الخبيثة . وقد بلغني ايضاً ان لها قصرًا انيقاً مملوءًا بالاثاث الثمين والرياش الفاخر وفيهِ من الخدم والحشم ما لا يقلّ عن قصور الملوك فلا بدّ لي من قصد ذلك القصر واخراجها منهُ صاغرةً لتذوق ما تستحقهُ من انواع النكال

وكانت ايزابلاّ تسمع كلامهُ وهي معجبةٌ ببسالتهِ وحذقهِ ولما نهض لينصرف قال لها اني هذه المرة ساطيل غيابي عنكِ ايتها الحبيبة اياماً لاني بعد ان ظفرت بذينك اللئيمين لا بدّ لي من ملازمتهما ومتابعة اقرارهما استكمالاً لما وُفقت اليهِ من الفوز العظيم فادعي لي بالفلاح حتى اراكِ قريباً .
ثم ودّعها وسار وكلهُ آمال فكان يقضي معظم اوقاتهِ في مراقبة اسيريهِ واستدراجهما الى الاقرار طورًا بالمخادعة وتارةً بالعذاب ولكنهُ لم يحصل منهما على طائل . ولما يئس من اقرارهما بهذه الطريقة فصل احدهما عن الآخر ثم اخذ يراسلهما بطرقٍ عجيبة حتى علم انهُ باقٍ من اصحابهما اربعة اشخاص يسكنون برجاً قديماً بفرساي على ضفة السين وزعيمتهم في قصرها بباريز . فلما تحقق ذلك اخذ ستةً من الشرطة فركبوا قارباً وتوجهوا ناحية فرساي وهم متنكرون بهيئة اشرافٍ يطلبون الصيد ولما بلغوا المكان خرجوا الى البرّ ببنادقهم وادوات صيدهم وجعلوا يطوفون حول البرج وهم يتأملونهُ فلم يظهر لهم الا انهُ مهجورٌ لانهم لم يروا ما يدلّ على وجود ساكن . وفيما

هم كذلك اذ بصروا بحمامةٍ قد طارت من اعلى البرج فسدّد ادمون اليها بندقيتهُ واطلقها فسقطت الحمامة بين يديهِ ميتةً فاسرع اليها واذا في عنقها بطاقةٌ مكتوبٌ فيها « قد تم الاستعداد فهلمي في اول فرصة » فتحقق لهم انها رسالةٌ من الاربعة الى زعيمتهم يستقدمونها للفرار الى بلادٍ اخرى . وبينا هم واقفون كذلك يتأملون اذا بكوةٍ قد فُتِحت من اعلى البرج وخرج منها طلقٌ ناريّ فصاح ادمون برجالهِ وهجموا على باب البرج فكسروهُ ولم يمضِ عليهم الا القليل حتى خرجوا بالاشخاص الاربعة مقيّدين اذلآء . ثم عاد ادمون الى البرج واعاد البحث فيهِ فوجد قفصاً فيهِ حمامتان أُخريان فاخذ احداهما وعمد الى بطاقةٍ فكتب فيها « ابقي في باريز حتى يقدم احدنا اليكِ واياكِ الخروج من البيت فان الخطر عظيم » ثم ناط البطاقة بعنق الحمامة وارسلها ونزل من هناك فركب القارب باسراهُ راجعاً ولما وصل الى باريز نقلهم في عرباتٍ مقفلة الى السجن فالقى كل واحدٍ منهم في غرفةٍ بعد ان كُبلوا بالحديد

ولما فرغ من امر هؤلآء سعى برجالهِ قاصدًا قصر زعيمتهم ولما بلغهُ قرع الباب وبعد هنيهةٍ فتحت لهُ خادمةٌ عجوز فسألها عن مولاتها فقالت لهُ انها ليست هناك قال بل انا اعلم انها هنا ولا بدّ لي من مواجهتها فقالت تأتي لمواجهتها في وقتٍ آخر فانها الآن في الخارج فقال اني آتٍ لاقبض عليها بامر الحكومة فلا بد لي اذن من تفتيش المنزل . ثم دفعها الى جانبٍ ودخل بجماعتهِ وشرع في البحث فلم يدع غرفةً ولا زاويةً الا فحصها فلم يجد شيئاً واخيرًا انتهى الى غرفةٍ مقفلة فعالجها ففُتحت فلما دخلها وقف مبهوتاً وصاح لقد

حبطت مساعيَّ ونجت من يدي فقالوا وكيف ذلك قال انها نجت بالموت واشار اليهم ان يتقدموا فرأوا جثة فتاةٍ هامدة وبجانبها زجاجةٌ مفتوحة فيها بقية من سائلٍ سمّيّ فتيقنوا انها جثة فريستهم . ولما هموا بالخروج سمع ادمون صوت انينٍ ضعيف كانهُ صادرٌ من اعماق القبر فذُعر لذلك ووقف مصغياً فاذا الصوت آتٍ من تحت اقدامهم فعلم بوجود حجرةٍ في الاسفل الا انهُ لا يُعلَم اين بابها فامر للحال بالمعاول وشرعوا في حفر ارض الغرفة الى ان بانت الحجرة السفلى فالقى ادمون بنفسهِ الى الاسفل واسرع بايقاد عودٍ من الكبريت فاذا فتاةٌ اخرى مطروحةٌ على الارض ولما جسها تبين لهُ ان فيها بقية حياةٍ فرفعها بين ذراعيهِ واصعدها من النقب الذي نزل منهُ فلما وصلت الى الهوآء النقيّ تنهدت وفتحت عينيها وهي لا تكاد تصدّق بالنجاة

ولما سكن روعها سألها ادمون عما اتى بها الى هناك فقالت اني خرجت في هذا الصباح لزيارة بعض انسبآئي فلقيتني في الطريق عجوزٌ شمطآء متردية بملابس سودآء وعلى كتفها كيس كبير . فلما رأيتها استغربت منظرها ورأتني اتفرّس فيها فدنت مني تسايرني وتلاطفني الى ان وصلنا الى امام هذا البيت وبينما هي تحدثني اخرجت من كيسها زجاجةً وباسرع من لمح البصر نفضت تلك الزجاجة في وجهي وفيها سائلٌ حادٌّ لا اعلم ما هو فدخل ذلك السائل في عينيَّ وفمي فلم اعد ابصر ولا اطيق الكلام ولم افق الا وانا في داخل هذه الدار وقد انقلبت تلك العجوز الى فتاةٍ يتطاير من عينيها الشرر . فاوثقت يديَّ ورجليَّ ثم سحبتني الى الغرفة التي كنت فيها وكانت هناك

فتاةٌ اخرى تصيح وتستغيث فانتهرتنا وقالت لا بدّ ان تموت احداكما فداءً عني وهي اقربكما شبهاً بي وتبقى الاخرى في هذا القبر الى ان يُسكتها الموت عن افشاء هذا السرّ . وبعد ما قالت ذلك اخذت تتفرّس فينا ولحسن الحظ اختارت رفيقتي فاخذتها واقفلت عليَّ الباب فما كدت استقرّ هناك حتى اوشكت ان اختنق لحرارة المكان واحتباس الهواء فيهِ وطفقت استجير ولا مجير الى ان غبت عن رشدي ولم ارَ نفسي الا بين ايديكم

فلما قصت عليهم ذلك علم ادمون ان الزعيمة لم تزل حيةً وانها هي نفس العجوز التي قابلتهُ على الباب وانما اماتت الفتاة لتوهم انها هي التي ماتت فيكفّ عنها الطالبون وتغتنم الفرصة لتسافر من باريز وتنجو بحياتها . فصمم على ان يأخذ عليها طرق الهرب وخرج من هناك فنبه لمراقبتها ارباب الضبط في محطات السكك الحديدية ثم عاد للبحث عنها في انحاء المدينة لعلهُ يظفر بمقرّها . ومضى عليهِ في ذلك نحو الاسبوعين ولم يتيسر لهُ زيارة خطيبتهِ ايزابلا وقد اشتدّ بهِ الشوق الى الاجتماع بها فسار اليها وجلسا يتشاكيان الوجد ويتطارحان احاديث الحب ثم قصّ عليها ما فعلهُ في تلك المدة وهي تُظهر اعجابها بافعالهِ وتبتسم على ذكر تلك المكايد . ثم قالت لهُ اني لم افتر في هذه المدة عن البحث عن احوال هذه الجمعية وقد علمت كل ما فعلتهُ قبل ان تذكرهُ لي وعلمت اشياء اخر لم تعلمها انت . اما عدوّتك فانها لم تفارق باريز خطوةً واحدةً ولكنها انتقلت من منزلها الاول الى منزلٍ آخر هو في شارع سان جرمان وقد علمت انها

يئست من الحياة بعد ما بلغها القاء القبض على رجالها الستة ولها حزبٌ في ايطاليا يراسلونها كل يوم وقد اعلمتهم بما كان فجاءها الامر ان لا تبرح باريز ولو هلكت وان تحافظ على كتمان السرّ الذي اقسمت عليهِ واراقة دم كل من تعرَّض لكشف امرها ولو كان اخاها . وهي الآن في منزلها المذكور لا تستطيع ان تفارقهُ ويمكنك ان تقبض عليها بكل سهولة صباح غد ولكن اذا فعلتَ فاعلم انني انا التي بلَّغتك هذا المرام. وكان ادمون يسمع وهو لا يعلم أفي يقظةٍ هو ام في منام ولم يدرِ كيف يشكر حبيبتهُ على هذه الغيرة العظيمة ولبث يحادثها الى ان اقبل الظلام ثم نهض لساعتهِ وانصرف من عندها وقضى تلك الليلة وهو يحسب ساعاتها اشهرًا

ولما كان صباح الغد اخذ جماعةً من رجالهِ وتوجه قاصدًا المنزل المذكور ولما وقف ببابهِ استقبلهُ الحاجب فسألهُ عن مولاتهِ فقال لهُ انها في غرفتها واشار لهُ الى الغرفة فدخل باثنين من اشدّاء اصحابهِ وتقدم ادمون الى الباب ففتحهُ بلطفٍ الا انهُ لم تكد قدماهُ تطآن داخل الغرفة حتى جمد الدم في عروقهِ ووقف كمن أُصيب بصاعقة . فانهُ رأى خطيبتهُ ايزابلاً واقفةً في صدر الغرفة مستندةً على مائدةٍ كبيرة وعلى شفتيها ابتسامة اليأس ونار الانتقام تتقد في عينيها . فلما رأت ادمون رفعت مسدَّساً وصوَّبتهُ الى صدرهِ وصاحت بهِ قائلةً قف يا ادمون مكانك واعلم ان حركةً واحدة منك او من رفيقيك تذهب بحياتك لكن اصغِ لما اقول . انا عدوَّتك وحبيبتك . انا زعيمة الجمعية التي انت ساعٍ للقبض عليها وخطيبتك التي

تروم الزواج بها . ادمون اني قد اقسمت يمين الاخلاص للجمعية فلا اخونها واقسم قلبي يمين الحب لك فلا يحنث بيمينهِ غير ان عهدي للجمعية اثبت واوجب وان يكن امرّ وانكى فانا لا بدّ لي من قتلك كما أُمرت ولكن قلبي يشفع فيك فلا اقتلك بيدي . ولما قالت هذا ألقت المسدَّس من يدها الى الارض فهجم عليها الشرطيان ولبث ادمون واقفاً كانهُ قطعةٌ من جماد وما كاد الشرطيان يتوسطان الغرفة حتى دفعت زرًّا في الحائط فانفتحت الارض تحت اقدامهما وسقطا في حفرةٍ قد أُوقدت فيها نارٌ عظيمة فذهبا فريسة اللهب . ولما رأت ان ادمون لا يزال حياً التقطت المسدَّس وافرغت عليهِ رصاصتين اصابتهُ احداهما في ذراعهِ وللحال احدقت بها افراد الشحنة من الخارج وقبل ان يمكنوها من الانتحار وثب احدهم اليها فامسكها ثم اوثقوها وقادوها الى دار الحكومة حيث أُلقيت مع جماعتها يقاسون الوان العذاب

اما ادمون فانهُ كوفئ على ما فعلهُ باكثر مما كان يتوقع ولا سيما بعد فقدهِ يدهُ فرُقّيت رتبتهُ وزيد في راتبهِ ووُهب لهُ كل ما كان في دار الزعيمة من مالٍ واثاث . وبعد بضعة اعوامٍ استقال من خدمتهِ واشترى لهُ منزلاً في احدى ضواحي باريز فاقام بهِ ليقضي غابر ايامهِ في دعةٍ بعيداً عن زخارف باريز وملاهيها وهو يعيد على ذكراهُ حادثة ايزابلا فترتعد فرائصهُ من مجرد ذكر الحبّ



الهوآء السائل

معلومٌ ان للاجسام ثلاث حالات وهي الجمود والسيلان والغازيّة وهي تتقلب بين هذه الحالات تبعاً لدرجة الحرارة وتفاوتها ارتفاعاً وانخفاضاً لان الحرارة كلما ازدادت على الجسم تخلخلت اجزآؤهُ وضعُف تماسكها فسال او تبخر وكلما قلّت تضامّت تلك الاجزآء وتلززت فجمد. الاّ ان من الاجسام ما هو سهل الانتقال من حالةٍ الى اخرى فيتحول الى الجمود او الغازيّة باقلّ انحطاطٍ او ارتفاع في درجة حرارتهِ كالشمع ومنها ما لا يتمّ هذا التحوّل فيهِ الاّ على درجة عالية او سافلة كالخلّ مثلاً فانهُ لا يتبخر الاّ على ١٢٠° وكمصعد الكبريت المعروف بالحامض الكبريتوس فانهُ يكون غازاً على الدرجة المتادة ويسيل على ١٠° تحت الصفر

على أن تحويل الجوامد الى سوائل او غازات اسهل من عكسهِ اذ ليس عندنا في الحال الطبيعي ما يبلغ فيهِ البرد ان تماسك اجزآء بعض انواع الغاز المتناهية في التخلخل ولذلك عمدوا في تسييل بعض الغازات الى التبريد الصناعي والضغط لان كليهما مما تتضامّ بهِ دقائق الجسم . واول من عمد الى ذلك الكيماويّ فاراداي الانكليزي فامتحنهُ في الغاز الكربونيك بأن عرّضهُ لدرجة الصفر من البرد وسلّط عليهِ من الضغط ما يوازن ٣٦ ضعفاً من قوّة الضغط الجوّي فرشح منهُ سائل يسير . ثم اخترع تيلورياسيه الفرنسوي آلةً للضغط اوصل بها الغاز المضغوط الى $\frac{1}{٧٥}$ من جرمهِ المطلق فسال ثم عرّضهُ للتبخر فطرأ عليهِ من البرد ما نزل بهِ الى ٧٠° تحت

الصفر فجمد

وقد استقروا هذا الامتحان في جميع انواع الغازات فامكن تسيلها ما خلا خمسةً منها هي الاكسيجين والازوت والهدروجين وثاني اكسيد الازوت واكسيد الكربون فانها امتنعت من السيلان حتى قام في اعتقادهم زمناً طويلاً ان ذلك محالٌ فيها وانهُ لا بدَّ من استثنآئها من طبيعة سائر الاجسام . غير انهم ما برحوا مثابرين على متابعة الامتحان الى ان كان شهر دسمبر من سنة ١٨٧٧ فوُفّق المسيو كايتّاي الفرنسوي الى تسييل ثلاثةٍ منها وهي ثاني اكسيد الازوت والاكسيجين واكسيد الكربون وفي نحو ذلك العهد فُتح على المسيو بُكتاي من علمآء سويسرا بأن توصل الى تسييل الاكسيجين والهدروجين

وكانت طريقة كايتّاي انهُ برّد الغاز الى نحو ٣٠° تحت الصفر ثم جعلهُ تحت ضغطٍ يعدل ٣٠٠ ضعف من الضغط الجوّي فلم يستبن فيهِ تغيّر ثم عرّضهُ وهو في هذه الحالة من الضغط للتبخّر فما لبث بعد انطلاق البخار منهُ ان هبط الى - ٢٣٠° وهي من اقصى درجات البرد وعند ذلك استحالت العناصر الممتنعة الى السيلان ثم صارت الى الجمود . واما بكتاي فلم يستخدم التبخّر ولكنهُ عالج الغازين المذكورين بأن عرّضهما مباشرةً للبرد والضغط الشديدين بحيث بلغ البرد الى - ١٤٠° والضغط الى ٦٥٠ ضعفاً من الضغط الجوّي

ثم ان المسيو كايتّاي عمد الى امتحان طريقتهِ في الهوآء الكروي فرشح منهُ سائلٌ ضعيف ثم جعل يزيد الضغط عليهِ شيئاً فشيئاً حتى تكامل

سيلانهُ ثم اخذ في التجمد فاستحال الى شبه كتلةٍ من القطن

ومذ ذاك تكاثرت ضروب الاختراع للآلات المسيِّلة للهوآء حتى بلغت قوّة الضغط في آخر جهازٍ استُنبط منها الى ٢٠٠٠ ليرة على العقدة المربعة من الهوآء بقوّةٍ تعدل قوّة ٤٠ الى ٥٠ فرساً. وهذا الجهاز يتمّ تسييل الهوآء فيهِ في اقلّ من ١٥ دقيقة ويبلغ مقدار ما يسيَّل منهُ من ١٥٠ الى ١٨٠ لتراً في ١٠ ساعات . واما صفتهُ فانهُ مؤلف من ضاغط ومبرّد والضاغط مؤلفٌ من ثلاث مضخات الاولى بقوّة ٦٠ ليبرة والثانية تبلغ الى ٧٥٠ ليبرة والثالثة الى ٢٠٠٠ وعقب كل ضغطٍ يسرَّب الهوآء في انابيب مغشاة بغلافٍ غير موصل للحرارة حيث يبرّد بالمآء وبعد الضغط الثالث يدفَع الى المبرّد وهو انبوبٌ في طرفهِ لهاةٌ[1] يحيط بهِ انبوبٌ آخر اوسع منهُ فيُطلَق شيءٌ منهُ من اللهاة المذكورة الى الانبوب الخارجي فيتمدد ما أُطلِق منهُ وبهذا التمدد يُمتصّ جانبٌ كبيرٌ من حرارة الهوآء المنضغط في الانبوب الداخلي فيكون ذلك كافياً لتسييلهِ

على ان هذا السائل سريع التبخر في الحال فاذا راموا حفظهُ مدةً جعلوهُ في قابلة من القصدير مغشاةٍ باللِبد فيبقى عدة ساعات في حالة السيلان بحيث ان القابلة اذا كان فيها ١٢ لتراً لا تتبخر بجملتها في اقل من ٨ الى ١٠ ساعات . واخترع الاستاذ ديوار لحفظهِ قارورةً من الزجاج ذات جدارين

(١) ضربٌ من السداد يُجعَل على منفتح انبوبٍ ونحوهِ يفتح من احدى جهتيهِ ويُطبق من الاخرى بحيث انهُ كلما ازداد الضغط عليهِ من تلك الجهة استحكم اطباقهُ . تعريب Valve

احدهما ضمن الآخر وقد فُرّغ ما بينهما تفريغاً تاماً فامكن ان يبقى الهوآء هنالك على سيلانهِ مدة ٥٠ ساعة فما فوق

ولما توفر لهم الحصول على مقادير وافرة من هذا السائل اخذوا يجرون فيهِ ضروباً من الامتحان كانت كلها غريبة . فمن تلك الامتحانات انهم افرغوا منهُ في اناء من الزجاج فغلى غلياناً شديداً في الغاية حتى كان ينفت اي يتطاير من شدة الغلي الى مسافةٍ بعيدة ولم يزل جيشانهُ متواصلاً الى ان تبرَّد الاناء وتساوت درجتهُ ودرجة السائل فسكن . غير انهُ بعد سكونهِ كان كدراً بما خالطهُ من دقائق الحامض الكربونيك وما تخللهُ من الجمد على اثر ذلك التبخر الشديد فصفّي بمرشحةٍ من الكاغد فكان لهُ بعد ذلك لونٌ رائق كالماء الزلال يضرب الى زرقةٍ خفيفة

ومن تلك الامتحانات انهم سكبوا منهُ شيئاً على قطعةٍ من الثلج فتبخر تبخراً عنيفاً حتى كان يُسمَع لهُ نشيشٌ اشبه بصوت الماء اذا سُكب على حديدٍ محمّى وذلك ان اعلى درجات الهوآء السائل ١٩١° تحت الصفر الذي هو درجة انعقاد الثلج ومعلوم ان الماء يغلي على ١٠٠° فوق الصفر فتكون المسافة بين الهوآء السائل والثلج اكثر مما بين الثلج والماء الغالي باحدى وتسعين درجة

ومع هذا البرد المتناهي فانهُ يمكن ان تغمس فيهِ اليد بدون ان تشعر لهُ بقرسٍ شديد لان حرارة اليد تسرع في تبخيرهِ حتى ينتشر عليها شبه غيم من البخار غير انهُ اذا لاقى الجلد بدون ان يكون لهُ سبيلٌ الى التبخر كان عنهُ حرقٌ أليم لا يقاس بهِ حرق النار وقد حدث ذلك مرةً

لبكتاي فانهُ اصابهُ حرقٌ بالنار وبالهوآء السائل فبرئ من حرق النار في مدة عشرة ايام واما الحرق الثاني فبقي سائلاً مدة ستة اشهر

واذا غُمس الحديد في هـذا الهوآء حتى يصير في درجة بردهِ اصبح قَصِياً كالزجاج فاذا ضُرب بهِ على مائدة او سقط من علوٍ ذهب قِطعاً وبخلافهِ النحاس والبلاتين فانهما لا يبلغ البرد منهما هـذه الدرجة . وقد امتحنوا ذلك في كرةٍ من المطّاط (الكاوتشوك) ثم قذفوها على حائط فسقطت فتاتاً

ومن غريب امتحاناتهم فيهِ انهم غمسوا انبوباً مملوءًا منـهُ في كأس من الوسكي فلم يلبث الا بضع دقائق حتى تجمّد الوسكي فاصبح ثلجاً قاسياً . واغرب منهُ انهم افرغوا مقداراً من الزئبق في قالبٍ من الورق مكعب الشكل وادخلوا في اعلى القالب واسفلهِ لولبين (برغيين) شديدين في طرف كلّ منهما عروة ثم غمسوا هذا القالب في اناء مملوء من الهوآء السائل فلم يلبث الزئبق ان جمد في الحال لان الزئبق يجمد على ٣٩،٥° تحت الصفر فاخرجوهُ منهُ وقد أُمسك اللولبان فيهِ فصارا معهُ كقطعةٍ واحدة ثم علقوهُ من احدى العروتين وناطوا بالعروة الاخرى ثقلاً عظيماً فبقي الثقـل محمولاً بهِ ما ينيف على ٢٠ دقيقة حتى انحلّ الزئبق وعاد الى السيلان

اما مقدار تقلص الهوآء بعد الضغط المذكور فانهُ ينتهي الى $\frac{١}{٧٤٨}$ من جرمهِ وهو في حالة الاطلاق وقد امتحنوا قوة تمددهِ بان اتخذوا انبوباً من النحاس قطرهُ ٥ سنتيمترات وثخنهُ ٣ ميليمترات وافرغوا فيـهِ ٦٠ غراماً من الهوآء السائل ثم سدّوهُ بسدادٍ من خشب ادخلوهُ بضرب المطرقة فما

كاد يرتفع الضرب عن السداد حتى طار بقوّة هائلة وتصدّعت فوّهة الانبوب

اما فوائد هذا الاكتشاف فلم يظهر منهُ الى الآن ما يمكن الانتفاع به سوى ما ارتآهُ بعضهم من امكان التذرع بهِ الى ادخال الهوآء النقي حيث لا سبيل الى ادخال الهوآء المطلق كالآبار والمواضع العفنة المحجوبة عن الهواء وتبديل الهوآء في غُرَف الاعلاّء حين لا يمكن اطلاق الهوآء الكرويّ فيها وهذه ولا جرم من اعظم الفوائد وآكدها ولكن هنالك فائدة اخرى علمية وهي اطلاق القول بان جميع المواد قابلة للاطوار الثلاثة المذكورة وهي الغازية والسيلان والجمود

خواطر مستطرفة

في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

- ١ -

الموسيقى لغةٌ تتفاهم بها النفوس الفاظُها الانغام وجملها الالحان. واذا كانت الملامح البدنية لغة العواطف القلبية والانفعالات النفسانية فالالحان اشعار تلك اللغة تتناشدها هذه العواطف والانفعالات. فبالموسيقى تخاطب قلوب الانام وبالحانها يعبر عن معاني الغرام وعلى سلّمها تتصاعد الاحساسات الحية وعلى اجنحة الغناء ترتقي الافكار الى المراتب العلوية. وهي سمر المتسامرين ونديم المصطبحين والمغتبقين وتعزية الحزانى

وسلوة المكتئبين وهي الخدر الذي ينوّم الاطفال والمحمّس الذي يدفع الجيوش الى ساحات القتال وهي الحادي الذي يُنسي مشاقّ الاسفار وينشّط على قطع الانجاد والاغوار وهي بريد الحب بين العشاق ورسول المغرم المشتاق

٢

والموسيقى من اقدم الاشيآء عهداً في تاريخ الانسان فقد ذكر في التوراة ان توبال قايين كان اول ضاربٍ بالعود ولعلّ ابانا آدم سمع العزف على العود من حفيدهِ توبال المذكور . ولا نظن ان امةً من الامم اغفلت هذا الفن مهما كانت متوغلة في البداوة لانهُ اقرب ما يُكتسَب بتقليد الظواهر الطبيعية المحيطة بالانسان ولا يُستبعد ان الغناء نشأ مع اللغة وكان فرعاً منها واستُخدِم في اول امرهِ للتمييز عن الانفعالات والعواطف ثم استقلّ عن اللغة وصار فناً قائماً بنفسهِ .

ولا ريب في ان الموسيقى كانت في اول عهدها مقصورة على الصوت الطبيعي ثم فطن الانسان لاستعمال الآلات من سماعهِ صفير الهوآء المتزاحم في الخصاص والثقوب او وُفِّق اليهِ بالنفخ اتفاقاً في انابيب القصب ونحوها وبالضرب على اوتار القسيّ وما اشبه

وبما ان الموسيقى من كماليات الانسان لا ضرورياتهِ كان اتقانها تابعاً لارتقائهِ في سلم المدنية والحضارة فكلما كانت الامة موسرةً عكفت على هذا الفن لانهُ من جملة احوال النعمة والترف . قال ابن خلدون « لا يحدث الغناء الا في العمران متى توفر وجاوز الحد الضروري الى الحاجي وصناعتهُ

لا يستدعيها الا من فرغ من حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل »
ولانها من الفنون الطبيعية الرياضية فقد بحث فيها الفلاسفة الاوائل
والاواخر فاهتدوا الى تعليلات مفيدة وقرروا حقائق راهنة واشتغل بها
اربابها فوُفِقوا فيها الى تحسينات جمة ووضعوا لها قواعد اساسية حسنة

- ٣ -

اما تاريخها فلا يُعلم متى اصبحت الموسيقى فنّاً قائماً بنفسهِ وانما
الذي يُعلم من اول عهد التاريخ انها كانت فنّاً مضبوطاً عند اكثر الشعوب
القديمة المعروفة . ويظن ان قدماء المصريين هم الذين وضعوا اساس هذا
الفن وكان كهنتهم يجلّونهُ جدًّا حتى عدُّوا الغناء من جملة طقوسهم الدينية
واحتفالاتهم المختلفة كالافراح والمآتم واتقنوهُ حتى بلغ عندهم منزلة رفيعة
واخترعوا لهُ عدة آلات موسيقية تشبه آلات العبرانيين

ثم اخذهُ الاسرائيليون عنهم في اثناء اقامتهم بمصر . وكان عندهم فرعاً
من فروع شعائرهم الدينية كما كان عند المصريين ولهذا كانوا يؤلفون جوقة
للغناء والعزف على الآلات. وقد اشتهر بينهم داود النبي بنظم النشائد وآساف
وهيمان ويدوثون رؤساء المغنين بايقاع الحانها. ويظهر ان الموسيقى كانت في
طبقةٍ عالية من الكمال عند العبرانيين بدليل استعمالهم احسن الآلات التي
لم تزل في مقدمة الآلات الموسيقية حتى الآن كالعود والمزمار ونحوهما. ومن
استقرى الآلات الموسيقية الحاضرة يرى انها هي آلاتهم القديمة نفسها
الا ان المتأخرين ادخلوا عليها بعض التحسين وما اخترعوهُ منها فانهُ مبنيٌّ
على مبدأ القديم كالبيانو والارغن فان الاول على مبدإ القيثار والثاني على

مبدإ المزمار الا انهما اسهل استعمالاً واحكم تركيباً

واخذهُ اليونان عن المصريين ايضاً ولعل ذلك كان في عهد أَمَسيس احد فراعنة الدولة السادسة والعشرين الذي اباح لليونان التعامل مع المصريين في التجارة وغيرها . وهؤلآء تفننوا فيهِ فبلغ عندهم مبلغاً سامياً وبحث فيهِ فلاسفتهم كما بحثوا في سائر العلوم ويقال ان سقراط نفسهُ كان يطرب عشرآءهُ بغنآئهِ

ثم نقلهُ العرب عن اليونان كما نقلوا عنهم سائر العلوم وكان لهم قبل ذلك غنآء يعرف بالنصب ولم نجد من عرّفهُ تعريفاً يفيد حقيقتهُ وفيما نُقل عن علاّمتنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي انهُ كان من اللحن المعروف بالسلمك رواهُ حضرة ولدهِ العلامة الفاضل صاحب هذه المجلة . ويقال ان اول من اشتهر بالغنآء عندهم قينتان يقال لهما الجرادتان كانتا تغنيان النعمان ابن المنذر وقيل كانتا بمكة . ولما انتقل العرب الى الحضارة على عهد الاسلام سمعوا تلحين الفرس والروم للاصوات فلحنوا عليها اشعارهم واوقعوها على المعازف والمزامير . وما زالت هذه الصناعة تتدرج عندهم الى ان كملت في ايام بني العباس

ثم اتصلت من العرب بالغربيين فاخذها الاتراك اولاً ومنهم انتشرت في كل اوروبا وانتقلت مع الاوربيين الى اميركا وانتشرت في سائر مستعمرات الدول الاوربية

وكانت الالحان قديماً تحفظ بالسماع على ما يظن ولم يكن لها ضابط فلما اشتغل بها الاوربيون وضعوا لها علامات يستطيع كل من ينظر اليها ان

يغني اللحن او يعزف بهِ بدون ان يسمعهُ كما يستطيع القارئ ان يلفظ الكلام المكتوب بدون ان يسمعهُ من قبل حتى ان بعض الماهرين في فهم العلامات لكثرة المزاولة يطربون من الالحان اذا نظروا الى علاماتها بدون ان يغنوها كما يلتذ القارئ بفهم ما يقرأ بدون ان يتلفظ بهِ

اما الموسيقى الشرقية فاول من غنى بها الصينيون ويظنّ بعضهم انهم اسبق اليها من المصريين وقد اشتغل بها كنفوشيوس فيلسوفهم المشهور وكان ملوكهم يعتنون بها ويحثون على درسها ولم تزل حتى اليوم زاهية زاهرة عندهم ولهم فيها تآليف واوضاع ومباحث جديرة بالاعتبار . وانتشرت عنهم الى اليابان والهنود حتى وصلت الى الفرس فتفننوا فيها كثيراً ووضعوا فيها الحاناً بديعة وميزوا بين ضروب الالحان كما يستدل عليهِ من اسمائها في الموسيقى الحاضرة مما يدلّ على ان العرب استفادوا من موسيقى الفرس فوائد عديدة ولعل الفضل في جمال الموسيقى العربية راجع اليهم والله اعلم

(ستأتي البقية)

كذب المنجمون ولو صدقوا

لحضرة الاديب قاسم افندي الهلالي مهندس في ري الوجه القبلي

حديثٌ ثبتت صحتهُ　واتضحت محجتهُ　ودعا الى مجانبة اهل الغي والضلالة　والغفلة والجهالة　ممن يفتحون الكتاب ولا يدرون ما فيهِ ويخطئون الصواب ظاهرهُ وخافيهِ　ويضربون الرمل وما جنى ذنباً ويشتغلون بالدجل ويجعلونهُ كسباً　بئس الكسب المشؤم　والاكل

المسموم فهم كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ والجادع مارن انفهِ بكفهِ وما ضر هؤلآء الناس الانجاس ان يشتغلوا بصنعة من الصنائع او حرفة من الحرف يأكلون منها حلالاً ويدعون بها رجالاً ويتركون هذه الخرافات والاكاذيب والترّهات وما هو الغيب الذي اطلعوا عليهِ ووصل كتابهم اليهِ وهل هو الاّ الاتفاق الذي يصادفهم بعد كل الف مرة والعبد لا يملك لنفسهِ منفعة ولا مضرة (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا الا ما شآء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء ان انا الا نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يعلمون)

ويا عجبا من قومٍ خيم على عقولهم عنكبوت الاوهام وعبروا اضغاث الاحلام وتحققوا الصدق من مسيلمة الكذاب وفكوا الرموز وفتحوا الكنوز بدلائل من كتاب كتابٍ كبرت صفحاتهُ وما عمّت بركاتهُ فيهِ للمحبة والقبول كلامٌ غير مقبول ولا معقول وكيف يصدق بصيرٌ عاقل اويقول متحققٌ ناقل ان جاهلاً لا يحسن قرآءة الخط ولا يميز الشكل من النقط يكتب كلماتٍ مختلة المبنى فاسدة المعنى لم يرد بها خبر ولا قام عليها اثر يطلّع على الغيوب ويقدر على ان يؤلف بين القلوب و(لو انفقتَ ما في الارض جيماً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم انهُ عزيز حكيم) وانما تلك خزعبلاتٌ يموّهون بها على عقول الجهلآء من رجالٍ ونسآء وشباكٌ يصطادون بها ارباب العقول السخيفة والمدارك الضعيفة ولو كانت نافعة كما يدعون لاختصوا بها من دونهم وما جلسوا في الطرقات واستوجبوا عقوبة المخالفات

ومن ذلك مسألة الزار المستعمل في مصر لجلب الدرهم والدينار بدعةٌ مذمومة وحالة قبيحة مشؤمة جمعية نسآء وبنات وابناء ودق طبول بصوتٍ يذهل العقول ورقصٌ وتخلّع وبكاء وتفجع وركوعٌ وسجود وقيامٌ وقعود وضربٌ على الخدود وموائد تُمَدّ وافواهٌ تُسَدّ وبطونٌ تُملا واكاذيب تُتلى وبخورٌ يُحرَق وروائح تعبق وخروفٌ يزيَّن بحليٍ نفيس كانهُ العجل المعبود ابيس وغاية ما هنالك ما تسلبهُ شيخة الزار وزبانيتها الفجار من ايدي المتغفلين والأغرار

فالى متى نحن متمسكون بهذه الخرافات والترّهات والى كم تستهوينا هذه الخزعبلات والتخيلات الا يكفينا ان صرنا اضحوكةً للضاحكين ومضغةً في افواه الماضغين اما آن لنا نحن المصريين ان ننظر بعين الاستبصار ونتنبه الى ما يميط عنا شعار العار الا نعلم ان ذلك كلهُ ناشئٌ عما احاط بنا من ظلمات الجهالة وخيم على عقول الامة حتى هامت باسرها في اودية الضلالة ولقد طالما سمعنا نداء ذوي الغيرة في المحاشد وقرأنا ما خطّت اقلامهم على صفحات الجرائد وهم يجهدون في دعاء ارباب المكانة واليسر الى انشاء المدارس وتعميم المعارف في القطر فان كان ثمت من مجيبٍ فقبل ان يستفحل الداء ويصير بالعليل الى حالٍ لا ينفع فيها دواء ولا يؤمل من بعدها شفاء وحسبنا بهذا ذكرى لمن كان لهُ قلبٌ او القى السمع وهو شهيد وما هم باسرِ الحزمِ قومٌ فتولّوهُ بالنظر السديد والعزم الشديد الاّ بلغوا منامهم منهُ باذن الله وما ذلك على الله ببعيد

آثار ادبية

الشعر العصري ـ كنا نطالب شعرآءنا بالمعاني المخترعة والاساليب البليغة والعدول عن التراكيب الركيكة واللفظ المبتذل فصرنا نقنع من بعضهم بالكلام المعقول والتعبير المفهوم وما كان يخطر لنا انا سنصير الى عهدٍ نرى الشعر فيهِ ضرباً من اللغو والخلط وسردًا لالفاظٍ لا معنى لها وكأن هذا من ابتكارات هذا العصر حتى صار طريقةً يجري عليها بعض شعرآئنا ثم لا يكفينا منهم ذلك حتى ينشروا شعرهم في الآفاق وحتى يتلقاهُ بعض من يُتخيَّل فيهم التمييز بين صحيح القول وسقيمهِ بالقبول والاعجاب ويكونوا هم الساعين بنشرهِ بين اهل الادب مما دلَّ على عموم الجهل بين عامة طبقات الامة ومن يُضلل الله فلا هادي لهُ

فقد انتهت الينا في هذه الاثنآء نسخةٌ من قصيدةٍ مطبوعة قد طُيّرت مع احدى الجرائد السيارة تتضمن مدحاً واستجدآءً لبعض متقلدي المناصب ممن لا نذكر اسمهُ في هذا المجال كما لا نذكر اسم الشاعر ولكننا نكتفي بذكر بعض ابيات القصيدة عبرةً لذوي الالباب من اهل هذا اللسان وحثًّا لحملة الاقلام منهم واصحاب الجرائد على الخصوص ان يقفوا سدًّا في طريق امثال هذه السفاسف الساقطة بل الفضائح الشائنة وان يبادروا لتدارك هذا الدآء الوبيل قبل استحكامهِ فقد كفى اللغة ما تسلط عليها من دواعي الوهن والفساد واننا مع علمنا بأنها قد اصبحت على حدود اجلها ليعزّ علينا ان نراها تموت موت الهوان وهي مهشّمة الاوصال مشوّهة بضروب

التمثيل والنكال . وهذا مطلع القصيدة المذكورة قال

تأهب الى العليا فثمَّ التداركُ ولو عنها صدَّتك الرجال الصمالكُ

فلينظر المطالع ما معنى قولهِ ثمَّ التدارك وما المراد بالرجال الصمالك وكيف يصدّون طالب العليا عن طلبها وانما الصمالك الفقرآء واراد بها الصماليك جمع صعلوك فقصرها . ثم ان في هذا البيت اربع غلطات احداها في اللغة وهي قولهُ تأهب الى العليا وانما يقال تأهب للأمر ولا يقال تأهب اليهِ . والثانية في النحو وهي قولهُ ولو عنها صدّتك حيث فصل بين لو والفعل وليس هذا من المواضع التي يجوز فيها الفصل . والثالثة في الوزن وهي في قولهِ عنها فان الالف زائدة بعد ميم مفاعيلن صارت بها بوزن مفعولاتن وهذا يدلك على ان الناظم لا يحسن القرآءة ايضاً فلا يميز في نطقهِ بين حرف المدّ والحركة . والرابعة في القافية وهي قولهُ التداركُ بضم الرآء مع الصمالكِ بكسر اللام وهذا مع ورودهِ في بعض شوارد النظم منصوصٌ على وجوب اجتنابهِ لانهُ عيبٌ من عيوب القافية يسمى بسناد الاشباع . على ان الجمع بين الضم والكسر قد يُتساهل فيهِ ولكنهُ لم يلبث ان قال في البيت الثاني

وشدّ على الفرّ العتاق وسر لها فسيرك للعليآء سيرٌ مباركُ

فجآء بالاشباع هنا فتحةً ومنهُ تعلم ان ما في البيت السابق جهلٌ لا تساهل. وقال بعد ذلك

فبالعزم والحزم الذي جلّ شأوهُ اليها فكم شدّت نياقٌ رواتكُ

الشأو الغاية والمنتهى فقولهُ جلّ شأوهُ لا معنى لهُ لان الشأو لا يوصف

بالجلالة . وقولهُ بالعزم واليها متعلقان بشدّت لانهُ يريد كم شدّت اليها نياق بالعزم وهو من فاحش الغلط لان كم من ذوات الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فضلاً عن ان الفآء قبل كم تمنع من ذلك ايضاً . ثم قال

وحطت رحالاً في فسيح رحابها   وما شاكها بالنوض والوخدشائكُ

وبانت باسما القصد مع انما العلا   بمن امها قامت تناط المهالكُ

كذا بلفظهِ ورسمهِ وانظر ما الذي يُفهَم من هذين البيتين . وقس على ذلك سائر ابيات القصيدة مما لا يسع المقام سردهُ ونقدهُ وأغرب ما ورد فيها قولهُ في الممدوح

همامٌ براهُ الله من كل ريبةٍ   بطرس الثنا زفت اليهِ المآلكُ

يريد برّأهُ بالتشديد فأفسد وجآء المعنى ذماً من اقبح الذمّ والفحشِ وحسبك ان يوصف انسانٌ بان الله قد خلقهُ من كل ريبة اي من كل انواع التهم . وقريبٌ من هذا البيت قولهُ ايضاً

فاوراقهُ ورق المعاني وزهرها   واقلامهُ سمر القنا والسنابكُ

وليس للسنابك معنًى يناسب هذا المقام ولكن كثر ورودها في كلام الشعرآء بمعنى حوافر الخيل وكانهُ سمع ذكر هذه اللفظة مع الخيل وآلات الحرب فظنها شيئاً من السلاح . ومسك الختام قولهُ

لذاك بها اني بعزمٍ وهمةٍ   مدى الدهر بالاوطار قائم باركُ

وهذا البيت من اغرب ما سُمِع من تراكيب الكلام . وهنا نسأل اولي الالباب عذراً على تعرضنا لنقد مثل هذا الشعر وهو مما لا يستحق ان يُقرأ فضلاً عن ان يُتفرّغ لتتبع اغلاطهِ وبيان ما فيها على انا لم ننبه من ذلك

الاّ على الشيء اليسير ممـا يكفي لاظهار منزلتهِ فيما لا يخفى على من لهُ اقل المام بعلوم الادب . ولسنا نلوم الشاعر على ان اتى مثل هذا السخف فان ذلك مبلغ ما عندهُ ولا يكلف الله نفساً الاّ وسعها ولا هو ملومٌ على تصدّيهِ للنظم وقد اصبح الشعر قَيْدَ الحاجات واحبولة الاغراض على ما اختـار لهُ اهلهُ واوصلوهُ اليهِ . ولكن الذي حدانا على كتابة هذا الفصل انّا رأينـا هذه القصيدة على ما ابنّا من حالها مصدّرةً بعنوانٍ فخيم ظننّا ورآءهُ ان المتنبيء قد بُعث في هذا العصر ليحيي ما عفا من دارس الشعر فلما شرعنا في تلاوتها ادركنا من القشعريرة والانقباض ما يدرك القارئ من العجب والاستغراب اذا تلونا عليهِ العنوان المذكور بعد ما سمع من الابيات وهذه صورة العنوان بنصهِ

« نظم حضرة العالم الفاضل واللوذعيّ البارع الكامل مكرمتلو الشيخ فلان فلان افندي الفلاني من علمآء مدينة كذا قصيدةً غرّآء ـ وهي بحرفها الرائق ومعناها الشائق ... »

فلا جرم ان مثل هذا الوصف في مثل هذا الشاعر لا يُعدّ الاّ ضرباً من التغرير يجرّأ بهِ هو وامثالهُ على الاسترسال في مثل هذه الركاكات ونشرها بين اظهر القوم لا يحذر فيها رقيباً ولا حسيباً فيكون ذلك ذريعةً الى افساد ذوق الشعر وابتذالهِ بين المتطفلين عليهِ فضلاً عما فيهِ من رمي عامة الامّة بالجهل اذا كان افاضلها والقابضون على ازمّة الادب فيهـا يقبلون مثل هذا الكلام ثم يخدمونهُ بالطبع والتوزيع في اطراف البلاد بعد ان يقلدوهُ بمثل الوصف المذكور وبهذا القدر كفاية في هذا المقام والله المسؤول ان يهدينـا

جميعاً قصد السبيل ويعصمنا من الزيغ عن محجة السداد وهو حسبنا ونعم الوكيل

التحفة النصوحية في احوال ممالك الكرة الارضية — هي جغرافية عمومية عني بتأليفها حضرة الاديب الفاضل حسن افندي نصوح من مستخدمي الدائرة السنية ذكر فيها اقسام الارض وممالكها وطبقات دولها واحوالها العامة والخاصة وضروب سياساتها وتواريخها واسهب في الكلام على جغرافية مصر واحوال اهلها وتربتها وحكومتها وتاريخها وكل ذلك في ترتيب واضح المسلك حسن المتابعة والتنسيق فجآءت كتاباً وافياً كثير الفائدة ينيف على ٥٧٠ صفحة كبيرة

فنحث المستفيدين وطلبة المدارس على اقتنآء هذا المؤلف الجليل وهو يباع في اشهر مكاتب القطر وثمنهُ ثلاثون غرشاً مصرياً

رواية صلاح الدين — لم يبقَ في ادبآء القطر من لم يشهد تمثيل هذه الرواية البديعة لما حازتهُ من الشهرة والاستحسان عند كل من حضر تمثيلها ووعى مناظرها وفصولها وهي احدى الروايات التي دبّجتها يراعة الشاعر الناثر نجيب افندي الحداد الكاتب المشهور وقد طبعها في هذه الايام اجابةً لطلب الكثيرين من الادبآء وتداركاً لما طرأ عليها من تحريف النساخ والممثلين وزيادات الرواة والملقّنين مما شوّه محاسنها وألزم مؤلفها ما لم يكن لهُ بهِ عهد

وقد اطرونا بنسخةٍ منها كانت عندنا من انفس الذخائر   وأحقّها بأن تُجمَع عليها يد الحرص وانمـا يُحرَص على الجيل النـادر   حتى اذا فتحنا خزانة أعلاقها   واخذنا نقلّب الطرف في ودائع اوراقها   اذا في ضمنهـا هديّة اخرى لا تتعلق بها هديّة الورق والمداد   ولا يقاس بها ما أُودعتهُ من الفُكاهة والادب وان كانا مما يُشرَى بالطريف والتلاد   فقد صدّرها باهدآء هذا الاثر النفيس الى صـاحب هذه المجلة   مزفوفاً بين ثوبين من خالص الحبّ ورفيع التجلّة   في كلامٍ كان على فؤادنا اعذب من المآء الزلال   قد حوى من جيل المعـاني ما لا يُستغرَب مثلهُ من ابن اختٍ في خال

وما نحسبهُ اختصنا بهذه الطُرفة الحسنآء دون من اشار اليهِ من ذوي الثرآء الطائل   الاّ تنزيهاً لها عن ان تعادَل بثمنٍ او تقابَل بنـائل وتنبيهـاً على ان امثال هذه الجواهر اكرم من ان تُبذَل فيهـا الاعراض واجلّ من ان يُتزلّف بهـا الى احدٍ لنيل غرضٍ من الاغراض   فما اجدرنا ولا كفآء لها عندنا يقابَل بهِ هذا الاهدآء   ان نوفّيها ما يستحقّ مثلها من التقريظ والثنآء   على أنّا لا نقول فيها الا الحقّ وان بلغناهُ فحسبها بهِ مغنياً عن الاطرآء

اما سياق الرواية فانهُ مبتكرٌ من عند مؤلفهـا لم ينقلهُ عن عربيٍ ولم يقلّد بهِ اعجمياً ولم يودعها من غير بنات افكارهِ سوى الوقائع التاريخية التي مثّلها للابصـار حتى كأنّ حاضرها من شهود تلك الاعصـار وقد البس كلّ مذكورٍ فيها ثوبهُ الذي يبرز بهِ باخلاقهِ وصفاتهِ ووضع على لسـانهِ الكلام

الحريّ بان يدلّ على سجيتهِ وموضعهِ وحسبك من ذلك ما مثّل به السلطان صلاح الدين من سعة الحلم ودماثة الاخلاق وعلوّ الهمة ورحب الصدر والعدل المتناهي والشجاعة المقرونة بالحكمة والحزم مما هو جديرٌ بمثل هذا الملك العظيم ومما لا يُبلَغ مثل منزلتهِ بين الملوك الاَّ بمثلهِ من الصفات والخلال

اما عبارة الرواية فاول ما نصفها بهِ انها عارية من هذا السجع الثقيل الذي يلتزمهُ اكثر المؤلفين في هذا الفن وغيرهِ لقصورهم عن اجادة الكلام المرسل فيموّهون على الاسماع بتلفيق تلك الاسجاع مما يضطرهم احياناً الى اتيان ما لا داعي لهُ من السياق فيخرج بالكلام عن المقصود او يشوش المعنى على السامع بكثرة ما يرد عليهِ من التخليط . على ان هذه الرواية لا تخلو من مواضع قد درج فيها على السجع المتين الفواصل المحكم الوضع وذلك حيث يقتضيهِ السياق مما كان فيهِ وصف واقعةٍ مهمّة او امرٍ خطير او تمثيل شيءٍ من حركات النفس وانفعالاتها اذ السجع نوعٌ من الشعر لا يحسن الا في مقامات التخييل وحيث يتلاعب المنشئ بضروب المعاني فيأتي بالاستعارات والكنايات وغير ذلك من فنون التعبير . وقد وجدنا كلامهُ في كل ذلك واضح المنهج سهل الاسلوب خالياً من الحشو والتعقيد مع حسن اختيار الالفاظ وتوخي المانوس منها في النثر والنظم

واما شعرها فغالبهُ في الغاية من الجودة وحسن السبك مع ابتكار كثير من المعاني بحيث انهُ على كثرتهِ فيها وعلى كون مقام النظم في مثل هذا مما يتكلفهُ الشاعر اذ لا باعث عليهِ من نفسهِ ولا محرّك لهُ من وجدانهِ تراهُ مطّرد المحاسن غير متخلفٍ عن النهج المطبوع ولولا ضيق

المقام لاوردنا من شواهدهِ ما يكون فكاهةً للمطالع على ان في شهرة هذه الرواية وكثرة تداولها ما يغني عن ايراد الشواهد

وهناك جهاتٌ أُخرى يتنبه لها العارفون بهذا الفن وروابطهِ اكتفينا منها بما ذكرناهُ فانا لو اردنا استيفآء الكلام على جميع محاسن هذه الرواية لطال بنا القول الى ما لا يحتملهُ هذا المجال. على اننا مع ما ذكرنا لها من الحسنات لا ندعي لها انها بنجوةٍ عن مطارح النقد ولكنك اذا اعتبرت انها اول رواية وضعها من عند نفسهِ كما صرح بذلك في مقدمتها وانهُ راعى في كثيرٍ منها فهم العامة مما يقضي عليهِ بالتساهل احياناً في وجوه التعبير لم تعدم لهُ في جنب ذلك عذراً

فنحن نهنئهُ على ما اصاب بقوة ذكآئهِ من الشهرة الحسنة والذكر البعيد ونتمنى لهُ من لباس السلامة ما يبشر الآمال منهُ بالخلف الحميد ان شآء الله تعالى بفضلهِ واحسانهِ

اسئلة واجوبتها

دمشق ـ منذ ثلاثة اشهر فشت عندنا علة الجُدَري ولا تزال الى اليوم تفتك ببعض الناس ولا سيما بالفتيان والفتيات وقد اصيب بها كثيرون ممن تطعموا او اصيبوا على اثر التطعم فما السبب في ذلك وكيف تتقى غائلة هذا الدآء

احد المشتركين

الجواب ـ لا خلاف في ان الوقاية من هذه العلة لا تكون الا بالتطعيم

واما الذين اصيبوا على اثر التطعيم فلا شك ان المدوى كانت قد سرت اليهم قبل ذلك وكانوا عند التطعيم في طور الحضانة . واما الذين اصيبوا وكانوا مطعمين من قبل فاما ان تطعيمهم كان بمادّة غير صالحة او كانوا قد مضى عليهم من الزمان ما ازال قوة الطعم لانهُ من المقرر ان التطعيم يبطل تأثيرهُ بعد مدّة ولذلك لم يكن بدٌّ من اعادة التطعيم بعد سبع سنين

فاقوس ـ قد راينا كثيراً من كتب اللغة غير وافية بالمرام بمعنى ان الانسان قد لا يهتدي الى معنى بعض الالفاظ فيها فهل لكم ان ترشدونا الى كتاب يفي بالمطلوب محمد سيد احمد

كاتب في محكمة فاقوس

الجواب ـ اتمّ كتب اللغة التي بين ايدينا اليوم لسان العرب وتاج العروس ومع ذلك فان غالب ما فيهما لا يخرج عما ورد في غيرهما من الكتب المتداولة مع الاستشهاد عليهِ من كلام المتقدمين واما ما لم يفسَّر في الكتب المذكورة فقلما تجدون لهُ تفسيراً هناك . واكثر ما ورد هذا النقص في تعريف اسمآء النبات والطير والسمك واصناف الحجارة واشيآء من الملابس والحلى مما لم يزيدوا على تعريفهِ بالجنس او تفسيرهِ بقولهم معروف... وقد كان هذا الخلل من جملة ما توقعنا سدّهُ من المجمع اللغويّ المعهود بل هو أهمّ ما كان ينبغي صرف العناية اليهِ ولقد نفخنا في هذا الضرم بل في هذا الحُمم ما استطعنا فلم نزدنا على البرد والخمود ولعلّ لنا عودةً الى ما سألتم عنهُ ان شآء الله

فكاهات

رواية

السرّ الغريب (١)

كان لاحد سراة الانكليز واعاظم اغنيآئهم ولدٌ وحيد يقال لهُ يوسف وهو شابٌ في الخامسة والعشرين من عمرهِ ترتسم على محيَّاهُ الوسيم علائم النجابة وسمات الالمعية والذكاء. وكان مع ما هو فيهِ من ريعان الشباب وسعة ذات اليد وتوفر اسباب اللهو والقصف والخلاعة لا يميل الى شيء من ذاك بل يتجنب حضور مآدب الكبرآء واجتماعاتهم ويكره ما كان عليهِ وجهآء بلدهِ واغنيآؤهُ من الانهماك على الملذات والملاهي وانفاق فضل اموالهم على ما لا يجلب محمدةً ولا يعقِب اجراً . وكان كل همهِ منصرفاً الى عمل الخير ومؤاساة ذوي الفاقة والمسكنة فكان يستعيض عن مجالس اللهو بتعزية البائسين ويعدل عن مخاصرة الحسان الى الاخذ بايدي العاجزين وكان في اكثر الايام يزور محلاَّت الخير فيوزع ما شاء الله من المبرَّات الى ان حملهُ حبهُ للاحسان على ان انشأ مدرسةً لليتامى والبائسات كان يكفلهنَّ فيها من مالهِ ويعلمهنَّ على نفقتهِ الخاصة

واتفق في احد الايام أن دُعي الى تلك المدرسة لشهود حفلة امتحانٍ

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لتلميذاتها فاجاب مسروراً وبعد الفراغ من الامتحان دُعي للغداء فقبل شاكراً وجلس الى رأس المائدة وجلست حواليهِ رئيسة المدرسة والمدرّسات يليهنّ سائر البنات ولما نهضوا عن المائدة اخذ يتنقل بين اولئك التلميذات يلاطف قلوبهنّ ويلقي عليهنّ اعذب كلمات التعزية وفيما هو يمشي معهنّ مدّ يدهُ الى جيبهِ يلتمس ساعتهُ فلم يجدها فوقف حائراً مبهوتاً ورأت الرئيسة علامات الانقباض على وجههِ فسألتهُ عن ذلك فاخبرها انهُ فقد ساعتهُ وانهُ انما يأسف عليها لانها كانت التذكار الوحيد الذي آثرتهُ بهِ والدتهُ قبل وفاتها. فاستاءت الرئيسة لذلك وامرت بتفتيش جميع الغُرَف التي دخلها يوسف فاقبل الجميع يفتشون فلم يجدوا شيئاً وسألت التلميذات عنها فانكرنَ انهنّ رأينها فبلغ الغيظ منها كل مبلغ وامرت بان تفتَّش البنات واحدةً واحدةً فأُخذ في التفتيش الى ان بلغت النوبة الى احداهنّ وكانت اجملهنّ صورةً والطفهنّ شعوراً فلما دعتها الرئيسة تقدمت الى الامام وقالت أُقسم اني لم أرَ الساعة ولا اعلم عنها شيئاً ولذلك ارجو ان لا تفتشوني ثم خنقتها العبرة فرثى لها الحاضرون الا ان انكارها التفتيش احدث فيها بعض الظن فابت الرئيسة الا ان يجري عليها ما جرى على صويحباتها وتقدمت اليها ووضعت يدها في جيبها فاذا بصرةٍ كبيرة فيها فاخرجتها والشرر يتطاير من عينيها وتقدم الجميع ليروا ما هناك ولما فتحت الصرة اذا فيها قطعةٌ من اللحم الذي كانوا يأكلونهُ . ولا حاجة الى وصف ما اعترى تلك الفتاة من الحياء عند انكشاف هذا الامر امام ذلك الجمهور الا انها تمالكت نفسها للدفاع عن شرفها وقالت لهم ابى الله ان اكون سارقةً فليس ذلك من شيمتي ولا انا

في حاجةٍ اليهِ لاني كنت معكم على المائدة آكل ما شئت كما اني لم ابرح كذلك في كل وقتٍ من فضل هذا السيّد العظيم ولكن لي والدةً ارملةً مسكينة تمرّ عليها تارةً ايامٌ ولا تذوق القوت فلما جلسنا الى المائدة ورايت الوان الطعام الشهي لم تطاوعني نفسي ان اتلذذ بهِ وانا اعلم ان والدتي تشتهي بعضهُ فاخذت نصيبي منهُ وخبأتهُ بقصد ارسالهِ اليها . ثم شرقت بدمعها فانقطعت عن الكلام واثر هذا الحادث في نفوس الحاضرين تأثيراً شديداً ولا سيما يوسف الذي أُخذ برقيق عواطفها فودّع وخرج وقد انساهُ هذا الامر ساعتهُ . ولما بلغ البيت دخل توًّا الى غرفتهِ فراى ساعتهُ على المائدة وكان قد سها عن أخذها فزادهُ ذلك تأسفاً مما جرى في المدرسة ولا سيما لاجل تلك الفتاة ورجع للحال معتذراً

وكانت هذه الحادثة مقدّمة لتعلق يوسف بالفتاة وكان اسمها أليس نخصها بمزيد عنايتهِ والتفاتهِ ولا سيما بعد ما ماتت والدتها ولما اتمت دروسها اعلن ميلهُ الى الاقتران بها لما تحلت بهِ من الادب والتعقل والعواطف الشريفة وآثرها على بنات اعظم الشرفاء واوسعهم ثروة . ولما بلغ هذا الخبر والد يوسف قام لهُ وقعد وتهدد ابنهُ بالطرد والحرمان اذا اصرّ على مزج دمهِ الشريف بدم فتاةٍ خاملة النسب الا ان ذلك لم يكن ليثنيهُ عن عزمهِ فلم يبطئ ان اتم عقدهُ عليها. ولما عاد بها الى البيت تلقاهُ والدهُ بالسخط الشديد وطردهُ من منزلهِ وقال لهُ انك من الآن لست ابني ولا اعرفك بل احظر عليك ان تتخذ اسم أُسرتنا الشريفة التي حاولت حطّ مجدها وكرامتها فاغرُب عني ولا تُرِني وجهك بعد الآن ولا تطمع في رضايَ عنك فليس لك عندي

الا اللعنة فلتُمطِر السماوات عليك غضبها ولتسدّ الارض في وجهك أبواب رزقها ولتمت منسياً بين الطبقات السفلى كما اخترت لنفسك ثم اقفل في وجهما الباب ودخل

ولم يكن يوسف مترقباً لمثل هذه المقابلة فوقف هنيهةً مبهوتاً ثم قفل راجعاً بزوجتهِ فاكترى لهُ منزلاً اوى بها اليهِ . ولما لم يكن في يدهِ شيءٌ من المال توجه الى المصرف (البنك) فوجد ان اوامر ابيهِ قد سبقتهُ الى هناك بان لا يعرفوهُ ابناً لهُ ولا يعطوهُ شيئاً من النقود اذا طلب فقصد جماعةً من معارفهِ فصدُّوهُ لعلمهم بانهُ قد صار فقيراً عاجزاً عن الوفآء . ولما سُدَّت في وجههِ المسالك غادر بزوجتهِ المدينة الى احدى القرى فاتخذا لهما بيتاً حقيراً يسكنانهِ

وقضي على يوسف بعد ذلك ان يدأب في تحصيل قوتهِ وقوت زوجتهِ فلم يجد في تلك القرية الاَّ حداداً دخل في خدمتهِ وجعل يساعدهُ في صناعتهِ فيقضي نهارهُ بين ضرب المطارق ومقاساة حرّ النار فلا يأتي المسآء الا وقد كاد يهلك جسمهُ النحيف من الجهد والتعب فوق ما هو فيهِ من مناصبة الهموم . وكان اذا عاد الى البيت يجهد في اخفآء ما عاناهُ ويبش في وجه زوجتهِ لئلا يزيدها على ما هي فيهِ من الكرب وكذلك هي كانت تقضي نهارها في البكآء فاذا عاد اليها في المسآء استقبلتهُ بوجهٍ طلق وثغرٍ باسم . الا انهُ لم يطل عليهِ ذلك حتى اثَّر التعب في بنيتهِ وشعر بألمٍ في صدرهِ فكتمهُ عن أليس وتحملهُ بتمام الصبر وكانت هي بعد أن ينام تسهر عليهِ وتقرأ في هيئتهِ رسم الاتعاب والآلام فيذوب فؤادها حزناً . ولما كان ذات ليلةٍ شعرت أليس بشدة أوجاعهِ وتململهِ فجلست الى جانبهِ واخذت تقبلهُ وتمسح وجههُ

بدموعها فأفاق بغتةً واذ رآها على تلك الحال تنهد من قلب جريح وقال لها يا أليس انا مائتٌ ولا مطمع لي في الحياة بعدُ. لقد كنت ارغب ان اجعل حياتكِ سعيدةً فعاندني القدر ولست أشك ان هذا الموت ليس الاّ جزاء ما جلبت عليكِ من الاتعاب التي كنتِ بمعزلٍ عنها فاغفري ذنبي يا أليس وأسمعيني الكلمة الاخيرة من فيكِ انكِ قد صفحتِ عني

وكانت الدموع تمنع أليس من النطق فانحنت عليهِ وقبلتهُ قبلةً افادت ما طلب فقال احمد الله اني اموت الآن مسروراً ثم ضمها الى صدرهِ واسلم الروح

واستمرّت أليس بعد ذلك تتقلب بين الفاقة والاحزان الى ان انحل جسمها واشتد عليها الضعف والهزال وكانت قد قربت ايام ولادها فدعت كاهن القرية وقصّت عليهِ تاريخ حياتها وسألتهُ ان يعتني بها الى ان تلد فان عاش ولدها رباهُ تحت كنفهِ وان مات دفنهُ واياها بجانب ضريح زوجها لانها ايقنت ان اجلها قد صار قريباً

وبعد ذلك بايام قلائل اخذها الطلق فاستدعى لها الكاهن طبيباً فوضعت ولداً ذكراً ثم ادركها الاغماء من الضعف وشعر الطبيب ان في احشائها طفلاً آخر فعالجها ببعض المنعشات فوضعت طفلةً ايضاً ولم تقوَ بعد ذلك على الاحتمال فقالت اتيتك يا يوسف وفاضت روحها. وبحث الكاهن بين امتعتها فلم يجد شيئاً ذا قيمةٍ سوى خاتمين نُقش على احدهما اسم يوسف وتاريخ زواجهِ وعلى الآخر اسم أليس فأخذهما مع الطفلين الى منزلهِ وكتب الله لهما الحياة فعاشا وصنع الكاهن لهما سلسلتين من الذهب فعلق خاتم الاب في عنق الابن وسماهُ يوسف وخاتم الامّ في عنق البنت وسماها أليس

ولم يكن الكاهن قادراً على كفالة الولدين طويلاً فاعلن بوجود هذين اليتيمين عندهُ فتحننت احدى الخواتين واخذت ألبس اليها وادركت الشفقة قلب احد الاطباء وكان شيخاً عزباً فاخذ يوسف وهكذا افترق هذان الطفلان قبل ان يعرف احدهما الآخر وقبل ان يعرفا شيئاً من العالم

وترعرع يوسف في حجر الطبيب وهو يظنهُ اباهُ ولما كبر ارسلهُ الى احدى المدارس الجامعة يتلق فيها علم الطب فخرج طبيباً ماهراً . وحينئذٍ دعاهُ مربيهِ واعلمهُ انهُ ليس بابيهِ ولكنهُ وجدهُ يتيماً فآواهُ وكفلهُ حتى صار قادراً ان يستغني بنفسهِ . ثم اخرج لهُ مئة دينار فدفعها اليهِ وقال لهُ اذهب الآن فتعاطَ صناعتك واستعن بهذه الدنانير الى ان تستتبّ امورك واسأل الله ان ياخذ بيدك ويوفق مسعاك

وكان يوسف يميل الى مزايلة انكلترا والاقامة بالبلاد الفرنسوية فودع مربيهُ بعد ما شكرهُ على صنيعتهِ ثم سافر اليها وقصد قريةً فاقام بها يتعاطى صناعتهُ على ما يقسم الله لهُ . واتفق انهُ دُعي في احد الايام لمعالجة امرأةٍ عجوز من الاغنياء فلما دخل منزلها رأى فيهِ فتاةً بديعة الجمال فحالما وقع بصرهُ عليها تعلق بهواها ووقع منهُ في فؤاد الفتاة مثل ما وقع في فؤادهِ منها. ومذ ذلك اليوم اخذ يكثر من التردد الى بيت العجوز ولمحت العجوز منهُ ذلك ففاتحتهُ في قصدهِ فاعترف لها بحبهِ للفتاة وانهُ يودّ ان يخطبها لنفسهِ. فقالت لهُ اني لا امنعها منك ولكن لا بدّ بعد عقد خطبتك عليها ان تسعى في جمع ما يكفيك ويكفيها فان الفتاة ليست بذات ثروةٍ كما تظنّ . ورأى يوسف ان دخلهُ لا يمكنهُ من الوصول الى مبتغاهُ الا بعد زمنٍ

طويل فاهتمّ ان يتوصل الى ما يزيد رزقهُ وكان في ذلك الحين قد تفشى الوبآء في الهند واخذت الحكومة الانكليزية تبحث عن اطبآء توجههم الى هناك باجور وافية فخطر لهُ ان يسافر في جملة اولئك الاطبآء فيغيب سنةً ثم يعود بما يُقسَم لهُ من المال ولم يلبث ان ودّع خطيبتهُ وامها وركب غارب السفر

واقام يوسف مدة بالهند جمع فيها ما شآء الله من المال ثم همّ بالقفول الى فرنسا. وكان قد تعرف في محل اقامتهِ بفتاةٍ انكليزية يقال لها لوسيل فاحبتهُ ومنت نفسها بالاقتران بهِ ولما تمكن الانس بينهما كاشفتهُ بما في صدرها فاخبرها ان لهُ خطيبةً تنتظرهُ في فرنسا وانهُ لو لم يكن ملّكها قلبهُ من قبل لم يتوقف عن موافقة ميلها وجعلها شريكة حياتهِ . فشقّ ذلك على الفتاة وقالت لهُ أمَا وقد كتُب هذا الحظّ لغيري وحُرمتهُ انا فلست بساعيةٍ في ابتغآء غيرهِ ما حييت ولست بمُريتك وجهي بعد الآن حرصاً على حبك لذلك الملَك الذي قُسِم لهُ ان يسعد بك دوني غير اني ساجهد ان احظى من محياك بنظرةٍ بعد اخرى بدون ان تراني

وكان هذا الشاغل الجديد مما دعا يوسف الى تعجيل السفر فلم يلبث ان ركب البحر قاصداً فرنسا ورافقهُ في الباخرة فتى من مولَّدي الانكليز في الهند يقال لهُ فيليب وهو مسافر الى وطن آبآئهِ يطلب لهُ زوجةً من ابنآء جنسهِ . ولما بلغت الباخرة السويس ارست هناك يومين فنزل يوسف وصاحبهُ الى البرّ وقضيا تلك الفترة فيهِ ولما استأنفت الباخرة مسيرها تفقد يوسف صناديقهُ فوجد مالهُ مفقوداً . فلما رأى ذلك اسودّت الدنيا في وجههِ وجلس مكتئباً يندب مستقبلهُ والزمان الذي قضاهُ سدًى ولم يذق في ذلك

اليوم طعاماً ولا فارق مجلسهُ . ولما كان صباح اليوم الثاني دخل بهو الباخرة فجلس الى مائدةٍ هناك واخذ رقعةً يكتب فيها كتاباً الى رفيقهِ فيليب يقول فيهِ

اخي فيليب - اتيت الهند لتحصيل ما قُسِم لي من المال وقد جمعت الفاً من الدنانير وعدت بها لاقترن بمالكة لبي فوجدت امس ان ما جمعتهُ قد سُرق مني ولا امل لي في الحصول عليهِ . واذ لم يبقَ في امكاني الرجوع الى الهند لتعويضهِ ولا يسمني القدوم على خطيبتي وانا صفر اليدين فقد عزمت على ان اغادر حياةً لا خير لي فيها ولم يكن نصيبي منها الا الشقآء . والآن اناشدك الله ان تقصد خطيبتي وتخبرها بامري وتعلمها بان طلبي الاخير قبل مماتي هو ان تتخذك قريناً لها بدلاً مني لاني قد اختبرتك وعرفتك ولا احبَّ لها سواك . اما انا فلا تصلك رقعتي هذه الا بعد ان تكون المياه قد غمرت جسمي والاسماك قد نهشت لحمي فاستودعك الله

ولما فرغ من الكتابة غاص في تأملاتهِ واذا برقعةٍ قد سقطت امامهُ على المائدة فتناولها فاذا هي حوالةٌ باسمهِ على مصرفٍ في فرنسا بقيمة خمسين الف دينار غير انهُ لم يستبن اسم محوّلها ونظر حواليهِ فلم يرَ احداً فقام للحال يبحث في نواحي الباخرة فلم يصادف بشراً . فرجع الى مكانهِ وكأَن اليتم والذل لم يمنعا جري الدم الشريف في عروقهِ فرأى من الدناَءة ان يقبل عطية من شخص يجهلهُ ففكر قليلاً ثم تناول القلم فزاد على كتابهِ الى فيليب ما يأتي

اخي فيليب - في هذه اللحظة وصلت اليَّ من يدٍ اجهلها الحوالة التي تراها في درج كتابي ولما كنت لا احب الانتفاع بها لجهلي صاحبها فقد رأيت ان احيلها اليك فاجعلها هديةً للتي ستقترن بها . ثم طوى الكتاب

ودخل غرفتهُ فلم يرهُ احدٌ حتى المسآء . ولما خيم الظلام والباخرة تمخر عباب البحر وقف يوسف على جانبها ثم القى نظراً مودعاً الى جهة فرنسا وتنهد من قلبٍ اسيف وهمّ بالوثوب واذا بيدٍ من حديد قد امسكت بهِ فدفعتهُ الى الورآء وصوتٍ انثويّ رخيم يقول لهُ اشفق على حياتك اكراماً لي . فالتفت يوسف وتبين التي تكلمهُ فاذا هي الفتاة التي احبتهُ في الهند فتعجب غاية العجب وقال لها ما اتى بكِ الى هنا.قالت اني عاهدتك ان لا اريك وجهي ولكني لم اعاهدك ان لا اتبعك وابلّ غليلي برؤيتك وقد اوجدتني العناية في هذا الموضع لتخليص حياتك . ثم قالت لهُ اني فقدت ابويّ في الهند وترك لي والدي ثروةً طائلة وقد رايت كثيراً من الفتيان فلم امل الى غيرك وقد تبعتك لاقضي بقية عمري في بلادٍ تكون انت فيها . ولقد رايت ما كنت فيهِ من القلق ثم رايت ما كنت تكتبهُ مما اعلمني سريرة حالك فاحببت ان امدك بمقدارٍ يسير من مالي لعلهُ يفرّج عنك . والآن فاني ارجو ان تقبل هذا المال مني وستكون هذه آخر مرةٍ تواجهني فيها غير اني لا افارقك حتى تقسم لي بشرفك ان تمزق ما كتبتهُ الى فيليب ولا تحاول الايقاع بنفسك مرةً اخرى . وكان كلامها الساحر وهيئة اخلاصها يكمان يوسف عن مراجعتها فاقسم لها على ما طلبتْ واكبّ على يدها فقبلها شاكراً ثم شردت عنه كالظبي النافر ولم يعد يراها

ولما رست الباخرة في مرسيليا ونزل ركبها الى البرّ وقف يوسف يترصد لوسيل فلم يقف لها على اثر فركب القطار مع فيليب وتوجه الى البلد الذي فيهِ خطيبتهُ . فتلقتهُ الفتاة وأمها وجلس بعضهم الى بعض يتشاكون النوى

وبينما هو يحدثهما لمحت المجوز في عنق يوسف شيئاً لامماً فسألتهُ عنهُ فاراها السلسلة والخاتم المنقوش عليهِ اسم والدهِ وتاريخ زواجهِ فلما رات ذلك ارتعشت وتغير لونها الا انها لم تبدِ كلاماً . وبعد ذلك طلب يوسف التعجيل في عقد قرانهِ على أليس فقالت لهُ امها اني سأغيب يومين في خارج البلدة فأعدِد أهبة العرس الى ان اعود . ولما كان اليوم الثالث وقد جلس يوسف الى جانب خطيبتهِ وبازآئهما فيليب وهما يتحادثان في امر مستقبلهما ويبنيان قصوراً في الهوآء اذا بالوالدة قد دخلت وعلى وجهها آثار تنازع العوامل المتحركة في صدرها وقبل ان تبدأهم بالسلام التفتت الى يوسف وقالت لهُ عسى ان لا تكون قد اتممت اهبتك يا عزيزي . فقال بل قد اتممت كل شيء ولم يبقَ الاَّ حضوركِ للعقد . قالت بل حضوري سيكون سبب امتناع العقد لانهُ من المحال ان تكون أليس زوجةً لك . فبهت يوسف لهذا الكلام وقد استطير فؤادهُ وقال ولمَ ذلك . فقالت اعلم ان أليس ليست ابنتي ولكنها ابنةٌ يتيمة اخذتها بعد موت والديها فربيتها وتبنيتها وقد عقدت خطبتك عليها ولكني علمت الآن انها لا تحلّ لك لاني تيقنت انها شقيقتك . فلما قالت ذلك بُهت الجميع وساد السكوت حيناً ثم عادت العجوز الى الكلام فاخبرتهم انها قصدت الكاهن الذي اخذت الفتاة منهُ فاستخبرتهُ عن تاريخها وتاريخ اخيها وعن الطبيب الذي تبنَّاهُ فعلمت ان يوسف خطيب أليس هو نفس اخيها ثم قابلت بين السلسلتين اللتين في اعناقهما والخاتمين فلم يبقَ في الامر ريبٌ وحينئذٍ قام يوسف الى شقيقتهِ فعانقها وما عتم ان زفها الى صديقهِ فيليب

وبعد ذلك بايام بينما كان يوسف في حديقتهِ يناجي افكارهُ اذا بالخادم يستأذنهُ

لسيدةٍ تريد مواجهتهُ فاذن لها فلما دخلت اذا هي لوسيل صاحبتهُ بالهند فتلقاها محتفلاً ثم دعا شقيقتهُ وصهرهُ فاخبرهما بما كان من امرهِ وامرها فلم يدعاها تبرح مكانها حتى اتمَّا عقد قرانهِ عليها

وفي ذات يوم وردت على يوسف رسالةٌ برقية من لندرة تستدعيهِ لأمورٍ مهمة فسافر وفي صحبتهِ فيليب والعروسان بقصد التسلي والتنزهة وكان الداعي لهُ احد اشراف الانكليز فذهب اليهِ ولما مثل امامهُ اذا هو شيخٌ كبير ملقًى على سريرهِ.فسألهُ الشيخ عن شقيقتهِ وكانت اليس مع رفيقيها تنتظرهُ في العربة فدعاها ولما صارا كلاهما بحضرتهِ تحامل اللُرد بما بقي لهُ من القوة وقام فجثا امامهما فنهضا في الحال ورفعاهُ فضمهما بين ذراعيهِ وقبلهما قائلاً انا ذاهب لأسأل اباكما الصفح عن اساءتي ثم اخذهُ من قوة العواطف في تلك الساعة ما لم يحتملهُ ضعفهُ فانحنى عليهما واسلم الروح

ووُجد هناك رسالةٌ باسم يوسف ففضها فوجد في جملتها حكاية ما قاسى الشيخ من تبكيت ضميرهِ على ما فعلهُ بولدهِ الوحيد وما بذل من السعي في البحث عن آثارهِ وفي الختام يمنح يوسف ما سلب من والدهِ وهو لقب لُرد اف بدفرد وكل املاكهِ وثروتهِ . فبكوهُ جميعاً واستمطروا على نفسهِ الرحمة والرضوان وسكن يوسف وزوجتهُ دار جدّهِ واسكن شقيقتهُ وزوجها بقربهِ ثم نقل ضريح والديهِ الى حديقتهِ فكان يزورهُ كل يوم ويعطرهُ من عبراتهِ ولم ينس ان يكافئ الكاهن والطبيب والعجوز التي ربت شقيقتهُ وسار على خطة والدهِ في عمل الخير والمبرات الى آخر حياتهِ



الزُهرة

هي ملك جند الدُجى بل قائد معسكرَ الانوار بل الاهة الجمال قد استوت على عرشٍ من النضار اذا برزت في ثوب بهآئها فاكفهرّت لها الشمس من الحسد بل غشيتها حمرة الخجل بعد ما علتها صفرة الكمد فاقبل الهلال وقد انحنى بين يديها وسجد واطافت بها حُور الكواكب كانهنَّ اترابٌ كواعب فوقفنَ لخدمتها متضائلاتٍ امام عظمة جلالها وقد ارخينَ شعورهنَّ من حولها فشبينَ من جمالها فما كادت تجلى لهنَّ حيناً حتى توارت عنهنَّ بالحجاب وسرنَ في اثرها متتابعات حتى يرقعهنَّ الصبح بابيض الجلباب

***

واذا رأيتها بارزة في طليعة الكواكب وقد تجلّت في فلكها حين لا يبدو طالعٌ ولا غارب فاستلّت من الهلال سيفاً استقبلت بهِ نحر الظلام.

ثم نادت في جيشها فاذا بهِ قد طبّق نواحي السمآء فبرز الرامي فأوتر قوسهُ وانتصب للنضال ووضع الجبّار يدهُ على سيفهِ ونادى يا للنزال وأشرع السماك رمحهُ تخفق لهُ فؤاد العذرآء واطلق المرّيخ سهمهُ فاذا هو مضرّجٌ بالدمآء وتتابع سائر الجيش بسلاحهِ فلا ترى الا وميضاً وبريقاً وأسنّةً قد غاصت في كبد الدجنّة فمزّقتها تمزيقاً فما اقبل جيش الصباح الا والافق مخضوبٌ بدم الدُجى وقد بلغ سيلهُ الزُبَى بل جاوز الزُبَى

***

واذا شخصت اليها العيون من اطراف الارض فاتصلت أهدابها بأشعّتها حتى كأن بعضاً معقودٌ ببعض واجتذبت اليها القلوب فطارت نحوها باجنحة الصبابة والهيام وصبَت اليها الارواح فامتزجت بروحانيتها امتزاج المآء بالمدام فاوحت اليها من اسرار الحب ما شغلها عن معرفة نفسها بعد ما تجلى لها من معاني الجمال ما ارتفعت بهِ عن مقام حسّها فاذا هي عاشقةٌ لكل ما يبدو لها من محاسن الصور وقد بثّت فيها من عوامل الفتنة ما يستعبد القلب والنظر فهي التي كحلت الجفون بالفتور وخامت النحول على الخصور وزيّنت السوالف بالجيَد ووشّحت المعاطف بالمَد وأودعت الاحداق سحر الدَعَج وبلّجت الثغور بضوء الفَلَج بل هي التي امرت القلوب بطاعة النواظر واغرت العقول بمعاصاة النصيح والزاجر وجمعت بين الجفون والسهاد وحبّبت السقم الى الاجساد وجعلت الحب وسيلة التآلف حتى بين دقائق الجماد

***

تلك الآلهة الجمال التي عبدها الاوائل　واقاموا لها المساجد والهياكل ورفعوا اليها الابصار والقلوب　في أُخرَيات الليل وقُبَيل الغروب　فكانت مناط الآمال　ومَصعَد الابتهال　ومستودَع نجوَى العاشق　واسرار الابكار العواتق　اذا رقبنَ ظهورها تحت اذيال الديجور　يخلونَ اليها يكاشفنها بمكنونات الصدور　ويستمحنها الخيرة في الالهام　والحُظوة في عيني من شئنَ من الانام　اماني تخترق الفضآء　وتسافر بين الارض والسمآء فتنزل مكانها طمأنينة الاتكال　بين حرارة الرغبة وبرد الآمال

***

لا جرم انهُ اذا كان بعد الشمس والقمر نجمٌ حريٌّ بالعبادة فاحرى النجوم بذلك الزُهَرة لما أنها اعظم الكواكب نوراً واصفاهنَّ شعاعاً لا يدانيها في ذلك الا المشتري والشعرى اليمانية بيد أنهما اذا قوبلا بها عن كثب كسفت بهآءهما بتألق شعاعها ولا سيما عند معظم نورها فانها تظهر حينئذٍ والشمس في كبد السمآء . وقد عبدها جميع امم الارض قديماً حتى لا تكاد تبحث في تاريخ أمةٍ الا تجد لتلك العبادة آثاراً في مسطوراتها ومخلفاتها من هياكل وتماثيل وغيرها وممن عبدها العرب وكان لها معبدٌ بصنعآء اليمن وهو قصر غمدان المشهور بناهُ على اسمها الضحاك ولبث بيت عبادةٍ لها حتى هدمهُ عثمان بن عفان

والزُهَرة ولا شك اول كوكبٍ عُرِف من السيارة لسرعة حركتها في فلكها بحيث انها لا تثبت مدة اسبوعين في موضعٍ واحد من السمآء . وهي تكون تارة نجم مسآء وتارةً نجم صباح تبعاً لموضعها من الشمس لانها اذا

كانت الى شرقيّ الشمس ظهرت بعد مغيبها في الافق الغربيّ فكانت نجم مساآء وهي تظهر اولاً لمحةً ثم ترتفع يوماً بعد يوم حتى يبلغ معظم ارتفاعها ٤٨ درجة وحينئذٍ تلبث فوق الافق ما يزيد على اربع ساعات وبعد ذلك تعود فتنزل كما ارتفعت حتى تمرّ من امام الشمس فتبرز من غربيّها وتظهر قبلها في الافق الشرقيّ فتكون نجم صباح وتستمرّ في الشرق كذلك ثم تعود فتبرز من وراآء الشمس في الافق الغربيّ وهلمّ جرًّا

وكانت الزهرة قديماً كبقيّة اخواتها من السيارة تُعتبَر مضيئةً بذاتها لانهم لم يروا تغيُّراً في منظرها فكانت عندهم في حدّ سائر النجوم الثوابت. واول من خالفهم في ذلك كوبرنيكس الفلكي المشهور من رجال القرن السادس عشر فانهُ لما بدّل هيئة النظام البطليموسي جزم بان السيارات ينبغي ان تكون كراتٍ مظلمة كالارض وان ما ترسلهُ الينا من النور انما هو منعكسٌ عن اشعّة الشمس . فاعتُرض عليهِ بانهُ لو كان الامر كذلك للزم ان يظهر كلٌّ من الزهرة وعطارد باوجهٍ مختلفة كاوجه القمر ولما لم يسعهُ البرهان على ذلك من الطريق الحسي بقي قولهُ مهملاً حتى حققهُ غاليلاي في القرن التالي بعد اختراعهِ للمرقب سنة ١٦١٠ فانهُ اول ما وجههُ الى الزهرة فظهرت لهُ فيها كلّ رُؤَى القمر من الهلال الى البدر

اما بُعد الزهرة من الشمس فهو ٧٢٣ من بُعد الارض وفلكها قريبٌ من الاستدارة التامة لان اهليلجيتهُ لا تزيد على ٠٠٦٨ وهي تتمّ دورتها حول الشمس في ٢٢٤ يوماً او سبعة اشهر ونصف تقطع في اليوم منها نحو ١٨٥٠٠٠٠ ميل او ٢١ ميلاً في الثانية فهي اسرع من الارض قليلاً . الاّ

انهُ لما كانت الارض مشابهةً للزهرة في مسيرها اذ كلتاهما تجهان من الغرب الى الشرق لزم ان لا نراها اتمّت دورتهـا الاّ بعد ٥٨٤ يوماً او تسعة عشر شهراً ونصف وهي مجموع سنتي الارض والزهرة معاً غير انها تخفى نحو خمسة اشهر من هذه المدة تكون فيها محتجبة باشعة الشمس لانهـا تقترن بهـا في كل دورةٍ مرتين تخفى في كلٍّ منهما نحو سبعين يوماً نصفها قبل الاقتران والنصف الآخر بعدهُ وتظهر لنا سبعة اشهر نجم مسآء وسبعة اشهر نجم صباح

واما بعدها عن الارض فيختلف كثيراً فانها في الاقتران الادنى تبعد نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ ميل وفي الاعلى تبعد نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ١٦٠ ميـل وذلك انها في الوضع الاول تكون بين الارض والشمس فلا يكون بين الارض وبينها الا عرض المنطقة الفاصلة بين الفلكين وفي الثاني تكون ورآء الشمس فيكون بيننا وبينها مسافة قطر فلكها مع عرض المنطقة المذكورة . ويختلف قطرها المرئيّ بحسب ذلك فيكون بين ٦٥ً و ١٠ً الا انهـا في الحـال الاولى تكون في المحاق اي يكون الموجّه الينا منها نصفها المظلم فلا نراها وفي الحال الثانية تكون بدراً الا ان قطرها الظاهر حينئذٍ لو امكن ان نراها يكون اقل من سدس ما يكون عليهِ وهي في حال المحاق . ولذلك فان معظم نورها لا يكون في شيء مما جاور هاتين الحـالتين ولكن انور ما تكون عليهِ اذا بلغ تباينها اي بعدها عن الشمس شرقاً او غرباً ٥ ′ ٣٩° وذلك قبل الاقتران الادنى او بعدهُ بمدة ٦٩ يوماً وحينئذٍ يكون المنوَّر منهـا ربع قرصها فتكون كانهـا هلال اربع. ومتى كانت كذلك فقد تُرَى في ابان النهـار كما سبقت الاشارة اليهِ الا ان ذلك يختلف فيهـا بين سنة وسنة تبعاً لميل فلكها وهي

تعود في كل ثماني سنين الى الاقتران بالشمس في الموضع نفسهِ من السمآء لانها حينئذٍ تكون قد اتمت خمس دوراتٍ من دوراتها المرئية فتعود رؤيتها من الارض الى مثل ما كانت عليهِ في الموعد السابق

واما دوران الزهرة على نفسها فما اشتغل العلمآء واهل الرصد في تحقيقهِ زمناً مديداً واستخدموا لذلك اعظم المراقب فلم يحصلوا من معرفتهِ على يقين. وذلك ان ظاهر هذا السيار شديد البياض واللمعان لا يكاد يبدو عليهِ ظلٌ ولا تظهر فيهِ سمةٌ واضحة الحدود بخلاف غيرهِ من الاجرام المتحركة حولنا فان كل واحدٍ منها يُرى على سطحهِ شيءٌ من السواد كالمحو الذي نراهُ على وجه القمر فاذا تحرك الجرم على محورهِ انتقل ذلك السواد من موضعهِ حتى يخفى ورآء الجرم ثم يعود من الناحية الاخرى حتى يرجع الى حيث كان فيكون قد تمَّ هناك دورةٌ كاملة وبمثل هذا عينوا الدورة اليومية في السيارة وعرفوا ميل محاورها على سطوح افلاكها ومنهُ عُلم ان القمر لا يدور على نفسهِ دورةً مستقلة. وقد عُني الراصدون بذلك في الزهرة منذ اختُرعت الآلات المقرِّبة وممن عانى ذلك الفلكيّ كاسيني فانهُ بعد جهد المراقبة ظهر لهُ شيءٌ من المحو على سطحها فبقي يراقبهُ على ايام متعددة فوجدهُ كل يوم يظهر في مثل الساعة من الامس في مكانهِ الاول على فرق زهيد تمثّل لهُ فحكم بانها تدور على نفسها في ٢٣ ساعة و ١٥ دقيقة وذلك سنة ١٦٦٦ . ثم تتبع العلمآء بعدهُ تحقيق ذلك فنظر فيهِ بيانكيني سنة ١٧٢٦ فاحصى لها ٢٥ دورة في ٢٥ يوماً و ٨ ساعات فخرج لكل دورة ٢٣ ساعة و ٢٢ دقيقة . وتتابعت الرصود من غير هذين فكان الخارج متقاربا على

فرق ثوانٍ قليلة وحينئذٍ حكموا بان سنتها تكون مؤلفة من ٢٣١ يوماً من
ايامها وهي السنة النجمية وان سنتها الشمسية تكون ٢٣٠ يوماً . ثم راقبوا
محور دورانها وحددوا ميلهُ على دائرة البروج فجعلهُ بيانكيني ٧٥° وجعلهُ
غيرهُ ممن جآء بعدهُ ٥٥° وهو آخر ما جروا على اعتبارهِ . وقد بنوا على ذلك
مباحث وتفاصيل شتى في تعيين المناطق والفصول وطول الايام وقصرها
وما يتبع ذلك من التفاوت في الحر والبرد وحالة الاحيآء هناك من النبات
والحيوان الى غير ذلك من الاحوال المترتبة على هذا الوضع الى ان اعلن
شياپارلّي الفلكي الايطالياني سنة ١٨٩٠ نتيجة مراقباتهِ الطويلة فزعم ان
هذا السيّار لا يدور على نفسهِ الدورة اليومية ولكنهُ في دورانهِ حول
الشمس يوجه اليها احد صفحيهِ على حدّ حال القمر مع الارض وعليهِ
فيكون احد نصفيهِ معرَّضاً ابداً لاشعة الشمس والنصف الآخر في
ظلمةٍ دائمة . فكان ذلك مدعاةً للفلكيين الى معاودة الرصد والتحقيق فمنهم
من وافق الفلكي المذكور ومنهم من نازعهُ والى الآن لم يقع الاجماع على
رأيٍ في هذه المسئلة الغامضة ولا سيما وان هذا السيار على ما ثبت لهم
بالمشاهدة وتحليل الطيف يسبح في ضمن حجاب كثيف من جوّهِ المتلبد
بالابخرة والغيوم بحيث ان اشعة الشمس تنعكس عن هذا الجوّ لا عن سطح
السيار . وحينئذٍ فان هذا الامر سيبقى محجوباً بحجاب الريب الى ان
يتلطف ما هناك من الابخرة المتكاثفة وينشفّ عما تحتهُ ولعل ذلك لا يتم
الاّ في الوفٍ من السنين والله اعلم

ولا بأس ان نفكه القرّآء في هذا المقام بايراد اياتٍ تمثلت للقريحة

الضعيفة في بعض ليالي الفراغ والزهرة في معظم تألقها وذلك في اثناء شهر فبراير من سنة ١٨٨٣ وهي من قصيدةٍ طويلة تتضمن وصف الزهرة والمقابلة بينها وبين الارض نقتصر منها على الابيات الآتية

قف بي بنحوِ رُباها ايها الحادي   فتلك ابياتها في عدوة الوادي

قد خيّمت باللوى الغربيّ ضاربةً   عليهِ اطنابها من غير اوتادِ

مقيمةٌ لم تُقِم الاّ على سفرٍ   ما ينقضي بين تأويبٍ وإسآدِ

تمشي الهُوينى كما مرّ النسيم ضحًى   في هودجٍ من شعاع النور وقّادِ

يحجّب البعد سيماها فان قرُبت   صدّت دلالاً فزادت غلّة الصادي

يسارق الطرف عين الشمس منظرها   فالشمس من دونها حلت بمرصادِ

حتى اذا هجعت في ليلها ظفرت   منها العيون بلمح الميسم البادي

فنبئينا وعاكِ الله جارتنا   بل انتِ سوّغٌ لنا من عهد ميلادِ

قد انقطعنا فما ان بيننا صلةٌ   ولا سبيلٌ لملاّحٍ ولا حادِ

ولم يكن بيننا سدٌّ وقد ضربت   ايدي القضا دون لقيانا بأسدادِ

ما إن ينالكمُ للبرق منطلقٌ   ولا يقرّبُ منكم سيرُ منطادِ

وانما رُسلنا الانوار حاكية   نار الصليب تبدّت فوق انجادِ

تهدي لنا عنكمُ رمزاً تعود لكم   بمثلهِ بين اصدار وايرادِ

يا ليت شعري هل تدرين موضعنا   وهل لديكِ رجالٌ اهلُ أرصادِ

وهل رأوا ركبنا النوريَّ منطلقاً   في ليلهم بين تصويب واصعاد

وهل اقاموا لنا مثل الذي رفعت   آباؤنا لكِ من تكريم عبّادِ

فذي هياكلكِ الشمّاء قد شخصت   هاماتها في الذرى امثال اطوادِ

رأولِكِ للحسن معبوداً وما وهموا — فالحسن معبود عُشّاقٍ وزُهّادِ
لعلَّ للارض هذا الحظَّ عندكمُ — وانها لو علمتم دارُ افسادِ
وعلكِ اليوم خلوٌ من مفاسدها — وان نكن قد خُلقنا خلق أنْدادِ
انتِ الفتيه لا تدرين مفسدةً — اين المفاسد من اخلاق اولادِ

* * * * *

ضلَّ الجميع وتاهوا في غوايتهم — فما اهتدى حاضرٌ منهم ولا بادِ
واصبح الزور مرفوع اللواء بهم — وقائل الحقِّ موصوفاً بإلحادِ
قام الخصام بما لا يعلمون له — كنهاً ولم ترَهُ أبصار أشهادِ
شُغبٌ تفاقم في الاجيال واضطرمت — بهِ المداوات دهراً بين اكبادِ

* * * * *

أما كفاكم بني الانسان شِقوتكم — وأنكم للمنايا جِدُّ رُوّادِ
وما تعانون من جهد الحياة وقد — امست كوِقرٍ ثقيلٍ فوق اكتادِ
ومن تقلب اطوار الزمان بكم — كأنما هو حرباءٌ باعوادِ
ومن مراغمة الاقدار طاردة — لكم كتيّار يمٍّ حول طرّادِ
ومن مزاولة الارزاق بَغيتها — تزاحمون باقدامٍ واعضادِ
ومن مكابدة الادواء ساطيةً — ومن نوازلَ لا تُحصى بتعدادِ
فما لكم تُسعِدون الدهر بعضكمُ — لكيد بعضٍ بهِ يا شرَّ اسعادِ

* * * * *

وانما ارضنا دار السلام لمن — يبغي السلام ودار الحرب للعادي
وكلنا فوقها رهن الزوال فلا — اضلَّ بعد الكفى من سعي مزدادِ

اسرار الكف

لحضرة الكاتبة السيدة لبيبة شمعون

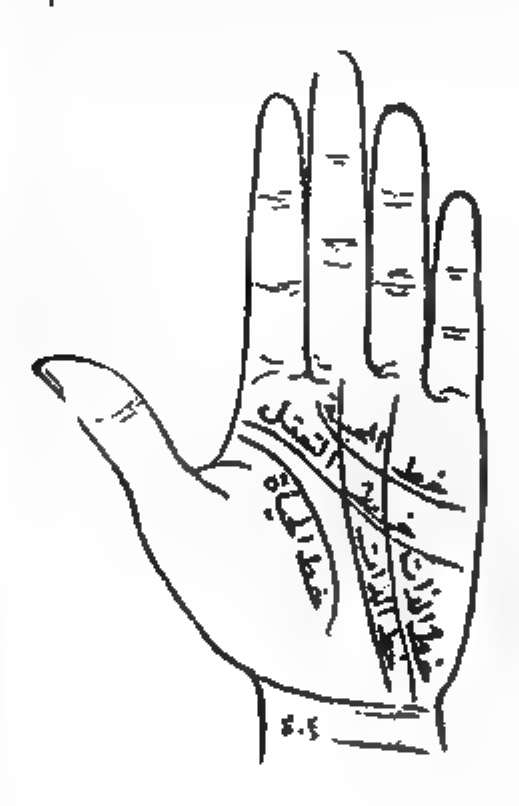
بينما كنت اطالع في بعض المجلات العلمية الانكليزية عثرت على المقالة الآتية لاحدى الكاتبات الانكليزيات فاحببت تلخيصها لغرابتها قالت

الانسان في هذه الدنيا لا يعرف من اين اتى ولا اين يذهب وكل انسان يتطاول الى الوقوف على معرفة ما فوق الطبيعة ويجهد نفسهُ في خرق حجاب الغيب ويرتاح الى كل وسيلة ترفع لهُ ولو قيراطاً واحداً من ذلك الحجاب. ولقد اشتهر عند الاقدمين الاستدلال بخطوط الكف على امور غيبية الا ان اكثر الناس بل تسعة اعشارهم لا يعيرون هذا الامر شيئاً من الثقة وينفون صحتهُ بمجرد قولهم ان هـذه الامور من الخزعبلات بدون ان يبرهنوا على فسادها. على ان انكارهم لصحة ما ذكرناهُ كانكارهم لاشعة رنتجن والتلغراف بدون اسلاك عند اول ظهورهما لان ذلك ليس من الامور التي يستحيل صدقها ولا سيما في هذا العصر عصر الاختراع والاكتشاف والعجائب الذي ما برحت فيهِ هذه الحقائق تُستخرَج الواحدة بعد الاخرى وتظهر لعالم الحس وقد عني الباحثون بهذا الفن الذي طالما كان معدوداً من الامور الخرافية فاستخرجوا حقائقهُ واصبح بمنزلة علم دقيق يستحق الدرس ومزيد الانتباه

وقد ألّف بعض علماء النفس كتاباً جليلاً في علم اسرار الكف استأذنتهُ ان انقل عنهُ الرسوم التي اودعتها هذه المقالة وهي مأخوذة عن اثر اليد نفسها بعد دلكها بحبر المطابع ولذلك جاءت اليد اليمنى في صورة اليسرى

وصدّرتها بصورة الكفّ مخططةً بالخطوط المعتبرة في هذا الفن وهي التي تراها في الشكل الاول مرسوماً على كل خطٍّ منها اسمهُ في اصطلاحهم

على ان من الناس من يظن ان الخطوط في الكفّ تنشأ عن العمل او عن مداومة اطباق الكف ولو كان السبب ما ذُكر لكان في يد الرجل الذي نوع عملهِ يوجب اطباق كفهِ الوفُ من الخطوط ولكانت المرأة المنعمة المترفهة التي لا تعمل عملاً لا اثر في كفها لشيءٍ من الخطوط ولكن الاختبار والاستقراء ينفيان ذلك فانهُ كلما كثر عمل الانسان بيدهِ قلّت



ش ١

الخطوط في كفهِ حتى قد تمحي اخيراً ولا يبقى منها شيءٌ من الخطوط الاصلية الظاهرة الا اثنان او ثلاثة . وكذلك اطباق اليد فانهُ يوجب زوال هذه الخطوط كما شوهد ذلك في يدٍ قد اصيبت بالفالج وكانت دائمة الانطباق فوجد ان اساريرها قد زالت بتمامها وبعكس ذلك اذا تفقدنا ايدي الاطفال فاننا نجد فيها مئاتٍ من الخطوط مما لا يمكن ان يقال انهُ مسبب عن الشغل ولا الاطباق الدائم ولكن العلة في تلك الخطوط انها آثارٌ دالة على امور دماغية لما يتصل بين الدماغ واليد من اعصاب الحس والحركة وزيادة تأثيرها في اليد على سائر اعضاء الجسم لان اليد آلة الدماغ فلا غرو ان

تكون محلاً لظهور قواهُ وخفاياهُ

وتجد في الشكل الثاني رسم كف سارا برنار الممثلة المشهورة وهي من الشكل المسمى في عُرفهم بالشكل الفنّي وقد جعلناها انموذجاً في مقدّمة الاشكال لما اجتمع فيها من العلامات الدالّة على الميل الى تمثيل الهيئات والالوان وحب الموسيقى والشعر . ويُرَى في يدها زيادةً على ما في يد غيرها ان احد خطّي الذات يمتدّ الى قريب من اصل البنصر وهذا لا يكون على الغالب الا في يد من حاز مقاماً سامياً ينالهُ باجماع الناس على

ش ٢

الميل اليهِ لا بمجرَّد افعال يستحق بها هذا المقام . ثم ان هذا الخط قلما يُرَى ممتداً على طول الكفّ وان كان كذلك دلّ على ان صاحبهُ قد نال شهرةً من اول حياتهِ وهو ما حصل لسارا برنار ولذلك اتخذت كفها مثالاً . وعلامة الصليب الصغير عند اصل السبابة تدل على قوّة الذكاء وعلوّ الهمة لان السبابة في لغة اليد دليل القوة واجتلاب المنافع . والشكل المربع او شبه المعين بجانبهِ يدلّ على السلامة من الخطر . وشكل الكوكب

عند اصل البنصر وهي الاصبع الفنّية دليل الرفعة والمجد . الا ان العلامة السيئة في هذه اليد السعيدة هي شكل الصليب عند اصل الاصبع الوسطى فانهُ يدل دلالةً لا ريب فيها على ان حياة صاحبهِ ملأى بالاحزان والمصائب

ثم ان الخطوط الدقيقة التي على ضرّة الابهام مارّةً من عند اسفلهِ الى خارج الكف تدل على مزاحمات ومعارضات من اناس من جنس الشخص وهذا ولاشك كثيرٌ في حق شخص شهير كسارا برنار . ومما هو جديرٌ بالانتباه اليهِ استقامة الخطوط في عامة الكف وهذا يدل على صدق العزم واستقامة القصد .



ش ٣

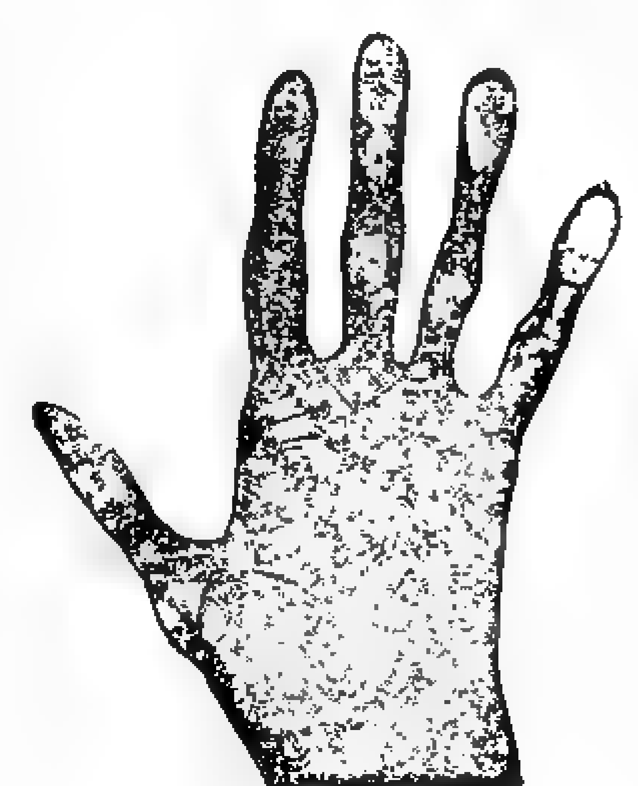
وما في ابهامها من الكبر يدل على حدّة الطبع والعناد الى آخر حدودهِ . وما بين الخنصر والبنصر من اتساع الفوت اي الفسحة بين الاصبعين يدل على الميل الى التصرف المطلق

ومما يلاحظ في كفها ان خطي التعقل والحياة ليسا كالعادة ملتصقين عند منشئهما بل بينهما انفراج قليل وهذا يدل على الاقدام والاتكال على

النفس وهو امرٌ معلومٌ فيها

والشكل الثالث رسم كف مجنون واول دليل على الجنون قبح شكل الابهام لان الابهام دليل الفهم ثم كون خطي التعقل وهما الخطان العرضيان في وسط الكف ليس لهما في كف المجنون الا آثار دقيقة مخرفشة

والشكل الرابع رسم يد امرأةٍ انتحرت وقد تقدم ان شكل الصليب الصغير عند اصل السبابة دليل المصائب والاحزان ونزيد هنا ان ضيق الكف وتقعرها دليلٌ اكيد على النحس



ش ٤

ثم ان خط التعقل من اهم العلامات في اليد فانهُ اذا كان طرفهُ الذي الى جهة الابهام منحنياً الى الاسفل دلّ على قوّة التفنن . واذا كان مستقيما قليل الانحناء دلّ على قوّة الذوق في الصنائع واستقامة الفكر . واذا ذهب صُعُداً وانعكس وضمهُ في الكف دل على ردآءة الطبع وشراستهِ وتصميمهِ في المقاصد وتهالك صاحبهِ على حب الكسب حتى يسهل عليهِ اتيان الفظائع والجنايات في سبيل تحصيل الاموال. وارداُ علامة في الكف اذا لم يكن للحياة والتعقل الا خطٌّ واحد على ان هذا من النادر

واخيراً فان صاحب هذا الكتاب يقول ان ما ذُكر هنا من العلامات لا يكون حيثما وُجد دليلاً قاطعاً على المعاني المشروحة ولكنهُ يكون مصاحباً لها عادةً ولذلك فانهُ كثيراً ما توجد تلك العلامات ولا يوجد مدلولها. انتهى

قلنا اننا نشكر حضرة الكاتبة على ما اتحفتنا بهِ من هذا الفصل الغريب وما ذُكر فيـهِ مع كون بعضهِ ممكناً بالعلة التي ذكرها المؤلف من قوة الاشتراك بين الدماغ واليد في اعصاب الحس والحركة فان ذلك لا ينبغي ان يتخذ قاعدة للحكم كما صرّح بهِ آخراً وفضلاً عن ذلك فان بعض ما ذكرهُ من المدلولات لا تُعقل صحتهُ ككون بعض الخطوط تدل على السلامة من الاخطار او كون صاحبها محبوباً او رفيع القدر او معرَّضاً للمصائب والاحزان او المزاحمات والمعارضات وما اشبه ذلك مما يكون اثرهُ وارداً على الشخص من الخارج لا من ذات نفسهِ اذ من المحال ان يكون مثل هذا الاتصال بين كف الشخص وما يجول في دماغ غيرهِ الا ان يكون اثراً عن شيءٍ قد وقع وانفعل الشخص بهِ حتى يكون لهُ اثرٌ في دماغهِ والله اعلم

رائحة الارض

لحضرة الاديب اسعد افندي المعلوف

اطلعت في بعض المجلات الاجنبية على نبذة لاحد علمآء الطبيعة في هذا المعنى فاحببت ان اتحف بها قرّآء الضيآء لجمعها بين الفائدة والفكاهة قال ما تعريبهُ

لا شيء اشهى الى الانسان من مسآء صحا جوُّهُ ورقّ نسيمهُ بعد

يوم اضلمت شمسهُ وتلبدت غيومهُ وهطلت امطارهُ فيصفو الهوآء كأن المطر قد غسل ما خالطهُ من الاكدار ويكون الفكر رائقاً والوجه متهللاً بعد ما كان منقبضاً بعبوسة الجوّ وتراكم السيول وتنبعث من الارض رائحة شهية لا تشبهُ بهـا اذكى الروائح المطرية . بيد أن هذه الرائحة لا تظهر في المدن الناصة بالجماهير ولا في مواضع المستنقعات ولا في الارض المشحونة باقذار السكان بل في القرى والجبال بين الاودية والتلال التي لم تَشُب تربتها اقذار الانسان ولا تراكمت فيهـا الابنية المتلاصقة بل تركت للطبيعة مجالاً تجري فيهِ بحسب ناموسها الذي سنهُ لها الخالق عزّ وجلّ

فبقي ان نبحث عن منشأ هذه الرائحة التي تنتشر من الارض بعد نزول المطر ولو كان طلاً خفيفاً وننظر هل هي رائحة مختصة بالتراب كرائحة الجلد والخشب مثلاً ام هناك سرٌّ آخر ليس من قبيل ما ذُكر فانا لو اخذنا التراب في غير تلك الحال ونضحناهُ بالمآء لا نشم منهُ بتلك الرائحة التي نجدها منهُ بعد المطر فبقي ان هنـاك شيئاً غير التراب هو الذي تنبعث عنهُ هذه الرائحة المستعذبة

وقد تبين للبـاحثين من عهدٍ قريب أن في الارض التي نطأها الوف الملايين من الجراثيم المسماة في عرفهم بالبكتيريا او الانبوبيات وهذه الجراثيم من الطائفة النباتية وهي التي تعطي الارض رائحتها الذكية . وقد وُجد بعد الفحص ان في كلّ درهم من التراب ما يزيد على ثلاثين مليوناً من هـذه الانبوبيات وقد تزداد الى مئتي مليون وذلك في الاراضي الرخوة

واذا تتبعنا خصائص هذه الجراثيم وجدنا انها هي العامل الاعظم في

انبات المزروعات فهي التي تخرق قشرة الجوزة وتفلقها وتعاون فرخها على امتصاص الهوآء ومحتويات الاتربة وتقشر حبة القمح وتغذوها حتى تمو ومتى فرغت هذه النباتات والاشجار من عملها الحيوي واشرفت على آجالها فهي التي تُسقط الاوراق وتُذبل الاغصان حتى تردها الى جواهرها الاصلية

وهذه الجراثيم اصنافٌ مختلفة كلٌّ منها يجمع بعضهُ الى بعض ويتألف طائفةً بحالها واذا اخذتَ الجرثومة الواحدة منها وجدتها اشبه بخيط لا لون لهُ ولها طورٌ من حياتها تنقسم فيهِ الى قسمين فتصبح جرثومتين مستقلتين لكل واحدةٍ خصائص الجرثومة الاصلية ثم ان كل واحدةٍ من هاتين تنقسم الى قسمين ايضاً وهلمّ جرًّا فتتكاثر الى غير نهاية وهو بمنزلة التوليد في غيرها الا انها لا تعرف الموت . وهي تفرز مادةً تتصعد مع مآء المطر عند تبخرهِ ويحملها الهوآء الى اعصاب الشمّ فنشعر منها بهذه الرائحة المختصة بها

ومن خصائص هذه الجراثيم انها تقاوم اشد السموم فعلاً فلا تميتها كما تميت غيرها من اصناف النبات ولكنها تستوقفها عن العمل حيناً ثم ترجع الى ما كانت عليهِ من الدأب فسبحان من اعطى كل شيء خلقهُ

فوائد

علاج الحرق ـ افضل ما يستعمل في معالجة الحرق مما اثبتتهُ التجارب ان يُغمَس المحل المحروق بمحلول نترات البوتاس (ملح البارود) المشبع ويترك فيهِ مدة فلا يلبث الالم ان يسكن ومتى سخن المحلول من حرارة

العضو المحروق يضاف اليهِ في كل فترة شيء من النترات ويترك العضو المحروق مغموراً بهِ مدة ساعتين او ثلاث الى ان يزول الالم بالكلية واما ما لا يمكن غمسهُ في المحلول من اجزاء الجسد فتستعمل لهُ الكمادات اي الخرق مبلولةً بالمحلول وتلصق على الموضع المحروق ومتى سخنت تبدل بغيرها حتى تحصل الفائدة

وقد تستعمل لذلك المانيزيا المكلسة وتفيد نفس الفائدة وذلك ان يؤخذ منها كمية وترطب بالماء الى ان تصير في قوام المرهم ثم يوضع منها على المحل المحروق بهيئة طلاء وتترك الى ان تجف ومتى امكن نزعها تنزع وتستبدل بمثلها وهكذا فالالم يزول ولا يبقى للحرق من اثر

حفظ الفواكه ـ ذكر احد المجرّبين ان انجع طريقة لحفظ الفواكه هي ان تُجعل في ناعم الكلس الحيّ فتبقى اشهراً دون ان تتغير

ملاط شفاف ـ يؤخذ ١٠٠ جزء من غراء السمك و ١٥٠ من الكحل (السبيرتو) على ٩٠° و ٢٠٠ جزء من مسحوق الراتينج العاديّ ويُحلّ الغراء في الكحل ثم يضاف الراتينج قليلاً قليلاً مع تحريك المزيج تحريكاً متواصلاً بقطعةٍ من الخشب حتى يصير في قوام عجينةٍ رخوة ثم تُحفظ هذه العجينة في قارورةٍ تُسدّ سداً محكماً لئلا يتصلب المزيج في داخلها وهذا الملاط يستعمل للحام الكسور الزجاجية وهو شديد المقاومة

اسئلة واجوبتها

بيروت ـ ارجو ان تفيدونا عن الالفاظ الفصيحة التي يصلح ان تستعمل في مكان هذه الالفاظ العاميّة او الدخيلة وهي كبُّوت . برواز . آرمة قشب . ربطة رقبة على اختلاف شكلها في الطول والقصر ولكم الفضل

* ر *

الجواب ـ اما الكبّوت فلا سبيل الى وجود مرادفٍ لهُ في العربية لانهُ اسم ثوبٍ بعينهِ لم يكن عند العرب وكانوا يستعملون في غرضهِ الرداء والدثار ونحوهما وهو في الاصل كلمةٌ اسبانيولية نقلها العرب هناك الى لسانهم وانتقلت منهم الى المغرب ثم شاعت في سائر بلاد العرب والذي نراهُ انهُ لا بأس باستعمالها اذ ليس فيها شيء يخالف الاوضاع العربية . واما البَرْواز (بالفتح) فلفظة فارسية واصلهُ بالحرف الذي بين البآء والفآء . وقد ورد في كلام المولدين فرْوَز الثوب مثال دَهوَر وثوبٌ مفروَز وفسرهُ في شفآء الغليل بانهُ الثوب الذي لهُ تطاريف ولم ترد التطاريف في كتب اللغة الا بمعنى خضاب اطراف الاصابع من قولهم طرَّفت المرأة بنانها والظاهر ان المراد بها في عبارة الشفآء ما يُجعل على داخل اذيال الثوب من الاطراف الملوَّنة للزينة على ما لا نزال نراهُ الى اليوم ولعلهم كانوا يسمون ذلك بالفرواز . واما البرواز لما يحيط بالصورة ونحوها من الخشب او غيرهِ فالظاهر انهم لم يكونوا يعرفونهُ ولا بأس ان نسميهُ بالكِفاف وهو حرف الشيء وما اطاف بهِ ومنهُ يسمّى حرف غضروف الاذن كفافاً وكذلك اللحم المحيط بالظفر

قال في لسان العرب وكل مضمّ شيء كفافهُ . ومثل الكفاف في معانيهِ الحتار ومنهُ يقال حتار العين لحروف اجفانها التي تلتقي عند التغميض وحتار المنخل والغربال وغير ذلك . واما الآرمة فلعلّ اقرب ما تسمى بهِ الشعار وهو في الاصل اسمٌ للكلمة يصطلح عليها في حربٍ او سفر يتعارف بها ثم استُعملت في كل ما يصطلح عليهِ من علامة واستعملها ابن خلدون فيما يقرب من المعنى المراد هنا اذ سمى الرايات شعار الحرب . واما القَشَب فصيحهُ الشَرَث بفتحتين وقد شَرِثت يدهُ وشفتهُ بالكسر . واما ربطة الرقبة فأليق ما تسمى بهِ الأُربة بالضمّ وهي في اللغة بمعنى العقدة والقلادة وكلاهما موافقٌ للمقام . واما تمييز شكلها فان كانت من الطويلة وُصفت بالمرسلة والا اكتُفي بذكرها مجرَّدةً والله اعلم

القاهرة ـ تطفلنا قبلاً على مجلتكم الغرّاء بالسؤال الذي تفضلتم بنشرهِ في الجزء الخامس (صفحة ١٤٥ و ١٤٦) عما جاء في الكتاب المسمى بدروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية وهو ما ورد هناك من ان الجملة من قولنا ظننت زيداً قائماً تنعقد « من المفعولين فقط » . وما دفعنا الى هذا السؤال الا حبّ الفائدة لنا ولسوانا والوقوف على حل هذه المسئلة الغريبة لكن ابى لكم حسن ادبكم الا ان تحيلوا سؤالنا على مؤلفي الكتاب مما شكرناكم عليهِ شكرَهُ وكنا نودّ ان نراهُ مقدوراً قدرَهُ . . وبما انهُ قد مضى على نشرهِ ما يزيد على الشهر وقد صدر في خلال هذه المدة جزآن ولم نرَ فيهما جواباً جئنا بالدافع نفسهِ نكرر عليكم ما سألناهُ قبلاً من الكشف عن هذه

المسئلة ـ وانما هي مسئلة من مسائل ـ راجين من كرمكم التفضل بالجواب على ما سبق لكم من الوعد بهِ ان الوعد كان مسؤولاً　　　ع . د

الجواب ـ لا شك ان هذه المسئلة من اغرب ما جآء من انواع الشطط لانا لا نعلم شيئاً من تراكيب الكلام تنعقد الجملة فيهِ من مفعولين كما لا نعهد لفظاً مركباً من فعل وفاعل لا يُعدّ جملةً . ولقد نظرنا فيما بين يدينا من كتب هذا الفن للوقوف على منشأ هذا الوهم فلم نجد زيادةً على ما جآء في عبارة التلخيص في باب احوال المسند فانهُ بعد ما ذكر تقييد الفعل بالمفاعيل ونحوها استدرك عليهِ بقولهِ « والمقيَّد في نحو كان زيدٌ منطلقاً هو منطلقاً لا كان » وكأن مؤلفي الكتاب لما اطلعوا على هذه العبارة ذهب وهمهم ان المراد بنحو كان بقية النواسخ فدخل في جملتها باب ظنّ وحينئذٍ جعلوا هذه الافعال قيوداً وحكموا ببقآء الاسناد في مفعوليها ثم توسعوا في ذلك فجعلوا المفعولين جملةً ولما صارا كذلك لزم تجريدهما من عمل الناسخ فحكموا باهمالهِ ثم اسقطوا اعتبارهُ من اللفظ حتى كانهُ لم يكن فبقيت الجملة عندهم منعقدة « من المفعولين فقط » وفي ذلك من ركوب المحال والخروج عن قواعد الصناعة ما لا يحتاج الى تنبيه . على أن الشارح قد كفاهم مؤونة الحكم في هذه المسئلة بما لم يدع مجالاً للتوهم ولا التحكم لانك اذا تتبعت كلامهُ هناك وجدتهُ مقصوراً على باب كان من غير تعرضٍ لشيء من سائر ابواب النواسخ . ولا باس ان ننقل هنا عبارة المتن والشرح جميعاً وهذا نصها « (واما تقييد الفعل) وما يشبههُ من اسم الفاعل والمفعول وغير ذلك (بمفعول) مطلق او بهِ او فيهِ او لهُ او معهُ (ونحوهِ)

من الحال والتميز والاستثناء (فلتربية الفائدة) وتقويتها .. ولما كان ههنا مظنة سؤالٍ وهو ان خبركان مما هو نحو المفعول وتقييد كان بهِ ليس لتربية الفائدة اذ لا فائدة في نحو كان زيدٌ بدون الخبر اشار الى انهُ مستثنًى من هذا الحكم فقال (والمقيد في نحو كان زيدٌ منطلقاً الى آخرهِ) » . ثم شرح ذلك فقال « لان منطلقاً هو نفس المسند حقيقةً اذ الاصل زيدٌ منطلقٌ وفي ذكركان دلالةٌ على زمان النسبة فهو قيدٌ لمنطلقاً كما في قولك زيدٌ منطلقٌ في الزمان الماضي وايضاً وُضع الباب لتقرير الفاعل على صفةٍ غير مصدر ذلك الفعل وهو مفهوم الخبر على ان تلك الصفة متصفة بمعاني تلك الافعال فمعنى كان زيدٌ قائماً انهُ متصفٌ بالقيام المتصف بالكون اي الحصول والوجود في الماضي ومعنى صار زيدٌ غنياً انهُ متصف بالغنى المتصف بالصيرورة اي الحصول بعد ان لم يكن ... » اه . ومن هنا تفهم ان المراد بنحو كان اخوات كان لا سائر النواسخ وذلك لان هذه الافعال تدلّ على الزمان دون الحدث وانما يستفاد الحدث من اخبارها ولذلك كانت لا تستغني عن الخبر وبالتالي فانها تسند الى مرفوعاتها فلا يزال مرفوعها مسنداً اليهِ وخبرها مسنداً الى مرفوعها وبخلاف ذلك باب ظنّ فان الافعال فيهِ تدلّ على الاحداث المستفادة من معانيها لا على مجرّد الزمان وهي تسند الى فاعلها لا الى المبتدا والمبتدا معها ينصب مفعولاً بهِ فيخلع الاسناد بتةً وان امكن بقاء اعتبارهِ في المعنى وحينئذٍ فالمفعولان بعدها قيدٌ لها لا هي قيدٌ للمفعول الثاني منهما الذي كان خبراً في الاصل . وهذا القدر كافٍ في هذا المقام والله اعلم

فكاهات

رواية

نهاية السنة[1]

كانت مدة ادوَرد الثالث على سرير انكلترا مدة نعيمٍ وشقآء وايامه ممزوجةً من كأسين مدامٍ ودمآء ففيها ثارت الفتن الداخلية والحروب الدموية التي زهقت بها ارواح كثيرين من زهرة شبانها ونخبة فرسانها وكان ادورد منقطعاً الى اللهو والترف وجمع اسباب السرور قليل المبالاة بمصالح البلاد وراحة الرعية فلم يكن يهمهُ سوى ايلام الولائم ومخاصرة الحسان وترويض فرسانهِ على المبارزة والمثاقفة وكانت الملاهي والولائم التي يقيمها لرعيتهِ تنسيهم ما يراق من دمآء ابطالهم وبنيهم . وكان شديد الشغف بالنسآء مولعاً بالاستكثار منهنَّ في بلاطهِ فلم يكن يرى ذات جمال او يُذكَر بحضرتهِ اسم من اشتهرت بالمحاسن الا سعى في احتيازها فجعلها عندهُ في قرارٍ مكين

وكان في جملة بطانتهِ رجلان من كبرآء دولتهِ وضمت نسآؤهما في يومٍ واحد فرُزق الاول غلاماً سماهُ ليوبولد والآخر ابنة سماها مرغريت وكان ابو الغلام شيخاً افنى معظم ايامهِ في قيادة الجيوش وخدمة البلاد فلم يبلغ الى ذلك العهد حتى كان قد انتهك جسمهُ من طول معاناة الاتعاب وحضور

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

مواقع الجلاد فتوفاهُ الله بعد مدة يسيرة من ولادة ابنهِ فاتخذ والد مرغريت على نفسهِ تربية ولدهِ والعناية بامرأتهِ من بعدهِ لصلةٍ بينهما في النسب فربي الطفلان على مهدٍ واحد وشبا معاً كفرعي شجرةٍ واحدة فلم يكن احدهما يفارق الآخر وتولدت في قلبيهما ذرات الحبّ الطاهر فما بلغا العاشرة من سنيهما حتى تعلق بعضهما ببعض تعلقاً شديداً وتعاهدا على الحبّ الدائم الذي لا يفصلهما عنهُ الا الموت

ولما بلغا مبلغ الرشد بعد ان تخرجا في العلوم والآداب وحان لهما ان يخالطا المجتمع كان والداهما يستصحبانهما في زياراتهما فكانا آيةً في الظرف ورقة المعاشرة وكمال الآداب المدنية . واتفق في خلال ذلك ان الملك ادورد بَصُر بالفتاة في احدى حفلات اللهو التي اعتاد ان يقيمها ويدعو اليها وجهاء بلاطهِ واهل البيوتات منهم فادهشهُ جمالها الباهر وسحرهُ لطف حديثها ورقيق اسلوبها ووقعت من قلبهِ موقعاً لم تقعهُ انثى قبلها فما ابطأ ان استدعى والدها ورغب اليهِ ان يسمح لهُ باخذها الى قصرهِ لتكون بين فتيات الشرف . فتوقف الوالد هنيهةً ثم قال لا اكتمك يا مولاي ان مرغريت مخطوبةٌ لابن واحد من اعاظم قوادك الفتى ليوبولد فلا يجمل ان افعل شيئاً من ذلك قبل ان استشيرهُ فيهِ . فلما سمع الملك جوابهُ استشاط غيظاً وقال لهُ أَوَترفض مثل هذه النعمة التي احببت ان انعم بها عليك اين مسكن ليوبولد من قصري واين غناهُ من مملكتي الواسعة وهل في يدهِ ان يقلدك وزارتي الاولى ويحلّي صدرك بأوسمتي السنيّة . ثم لطف حديثهُ واخذ يتملقهُ بالمواعيد ما بين رفعهِ الى المقامات العلية وغمرهِ بالانعامات

الطائلة وجعله من اقرب المقرَّبين اليهِ حتى اغواهُ واستهوى قلبهُ بحب الرفعة والغنى فما لبث ان انقاد لهُ ووعدهُ بامتثال امرهِ ولم يبطئ بعد ذلك ان اظهر جفآءهُ لليوبولد ثم طردهُ مع والدتهِ وارسل مرغريت الى البلاط الملوكي

ولم يكن ليوبولد ووالدتهُ يتوقعان مثل هذا الحادث السيء فأثّر ذلك في الارملة تأثيراً شديداً غير أن ولدها خفف عنها بسعة صدرهِ ولطف اخلاقهِ واتخذا لهما مسكناً فأقاما بهِ . وكأن الملك شعر بعظم الرزء الذي اصاب بهِ ليوبولد واراد التعويض عليهِ فادخلهُ في خدمتهِ وعيَّنهُ قائداً في حرسهِ وكظم الفتى ما المَّ بقلبهِ من الجراح ووثق بحب مالكة فؤادهِ ان تصون نفسها كما عاهدتهُ وان لا تكترث بسواهُ فصبر على ما بهِ وامل ان تعود عليهِ الايام بما يتمنى

اما مرغريت فاشتدَّ عليها ما لقيتهُ من قسوة ابيها وآلمها فراق حبيبها فرضت ولزمت سريرها اياماً وقد صممت ان تجود بروحها او تقطع حبل حياتها بيدها ولا تنيل ادورد قلامةً من ظفرها . ولما تماثلت من علتها اقبل الملك عليها يهنئها ويطيب خاطرها فقابلتهُ بالاجلال والاكرام وجعل بعد ذلك يكثر من التردد عليها ويبالغ في ملاطفتها ويمنيها بكل ما تقترح عليهِ من المطالب. ولما اكثر عليها من ذلك اقترحت عليهِ ان يوليها نعمةً واحدة وهي ردّ خطيبها اليها فلما سمع ادورد منها ذلك استآء وانقبض ونهاها عن ذكرهِ واخطارهِ ببالها فلم تمرهُ سمعها وكان يعاملها تارةً بالشدة وطوراً باللين وهي لا تزداد الا نفاراً منهُ . ولما اعيتهُ الحيلة في صرفها عن ليوبولد عزم على الايقاع بهِ وجعل يترقب الفرص لذلك ثم امهل مرغريت مدة سنة تكون

فيها مطلقة الحرية في بلاطهِ لتراجع نفسها وتحقق انهُ لا فائدة لها من انتظار خطيبها ووعدها انهُ في نهاية السنة سيتزوج بها ويجعلها ملكة انكلترا. وكانت مرغريت تعلم عتوّ ادورد وعدم وجود من يقاومهُ اذا عزم على امر فنوت ان تحمل تلك المدة بصبر حتى اذا انتهت السنة ويئست من الخلاص انتحرت وتخلصت من شرّهِ

ومضى الشهر الاول من ذلك الحادث ولم يرَ ليوبولد وجه مرغريت ولا امكنهُ مراسلتها لتضييق ادورد عليها فعيل صبرهُ وسئم الحياة ورأى انهُ لا سبيل الى الامل في معاودة الاجتماع بها ما دامت في قبضة ذلك الغاشم فلما كان في احدى الليالي وقد انتصف الليل صمم على زيارة مرغريت وتزوُّد نظرةٍ منها ولو كان في ذلك حتفهُ . فنهض لساعتهِ وصعد في سلالم القصر وكان قد استدلّ على غرفة مرغريت فقرع بابها قرعاً لطيفاً . وكانت هي كعادتها تحيي ليلها سهراً وتبتهل الى الله ان يخلصها مما هي فيهِ فلما سمعت قرع بابها ظنتهُ ادورد فلم تبدِ حراكاً . ولبث ليوبولد نحو نصف ساعة وهو يتردد بين الانتظار او الرجوع واخيراً خطر لهُ انها ربما تكون مستيقظة ولكنها لم تعلم من القادم فوضع شفتيهِ على ثقب الباب وعرّفها باسمهِ فلم تكد تسمع اسم حبيبها حتى طارت الى الباب ففتحتهُ وتقابل الاثنان وقد استولى عليهما الصمت وتكلم ارتعاش ابدانهما وجمود اعينهما . ثم فضّ ليوبولد السكوت فقال حسبي اني رايتكِ وتزودت منكِ هذه النظرة قبل الموت فاني اعلم ان ادورد سينصب لي اعظم الاشراك بقصد اهلاكي كما لعلهُ سينصب لكِ ايضاً بقصد تخويفكِ ولكن هيهات

ان يثيرني شيء من تهديداته وفي يقيني انكِ انتِ ايضاً ستحافظين ما استطعتِ على عهدي لعل الله ... ولم يصل الى هنا حتى شعر بيدٍ من حديد قد قبضت على عنقهِ وللحال اجفل الاثنان وقد رأيا ادورد نفسهُ معهما في الغرفة وحدثت ليوبولد نفسهُ ان يقتل ادورد ويتخلص من بغيهِ ولكن ارهبتهُ هيبة الملك فطأطأ رأسهُ وسار بين يديهِ صاغراً . ولم يفهُ ادورد ببنت شفة ولكن قادهُ صامتاً حتى اوصلهُ الى حرسهِ فسلمهُ لاحدهم وكتب لهُ رقعةً يوصلها معهُ الى قيّم السجون وهناك جرّد ليوبولد من ملابسهِ الجندية وأُلبس ثياب المسجونين وزُجَّ في احقر السجون التي يُلقى فيها اعاظم المجرمين لتقصير اجلهم . وادركت مرغريت ان الأمر لا بدَّ ان ينتهي الى مكروهٍ فسقطت على سريرها غائصةً بين تيارات الافكار والمخاوف وقضت بقية ذلك الليل بالبكآء

وكان ادورد يزورها كل يوم فيلاطفها باجمل الكلام ليستميلها اليهِ وينسيها ليوبولد فلم يحصل من فؤادها على طائل ولم تكن تكلمهُ بكلمةٍ البتة. وبلغ الهيام من ادورد مبلغاً لم يصبر معهُ بعد على تلك الحالة فامر بتجهيز يختهِ الخاص وعزم ان يطوف على سواحل مملكتهِ ترويضاً للنفس واستصحب معهُ في هذه السفرة اخصآء بلاطهِ والتعيسة مرغريت فاقلعت الباخرة بهم من مينآء لندن وانطلقوا يجوبون موانئَ الخليج الانكليزي وطاب لهم المقام في احدى فُرَضهِ فاقاموا . وبذل ادورد ما في طاقتهِ لاستمالة مرغريت فلم تزدهُ الا صدوداً واستيحاشاً الى ان دخل غرفتها في احد الايام وبعد كلام طويل قال لها اذا كنت لا اراكِ مسرورةً قبل نهاية هذه السنة ما لم تري

ليوبولد فسأحضرهُ الى هنا لعلكِ متى رأيتهِ تقلعين عن هذا الغمّ الذي اضرّ بصحتكِ فدونكِ القلم والقرطاس واكتبي اليهِ ان يوافيكِ الى هنا وسأصدر امري بانفاذهِ الينا على مركبٍ مخصوص . فبرقت اسرّة مرغريت وشكرت الله ثم تناولت القلم فكتبت اليهِ بضعة اسطر على ما اوحى اليها قلبها ودفعت الرسالة الى الملك فاصحبها بامرٍ منهُ وارسلها الى العاصمة . ولما كان اليوم الثالث ظهر في عرض البحر المركب المقلّ ليوبولد وهو يشقّ عباب الامواج ولما اقترب منهم استدعى ادورد مرغريت واعطاها منظاراً تراقب بهِ وصولهُ وقال لها انكِ ترينهُ على مقدم السفينة فتى تحققتِ رؤيتهُ فاعلميني . وما زال المركب يقترب ومرغريت تحدق بمنظارها الى ان تعينت ليوبولد وقد وقف على المقدم وهو مسندٌ راسهُ على يدهِ يفكر فيما عسى ان يكون امامهُ فلما رأتهُ صاحت ها هو ليوبولد . وكان الملك مترقباً لسماع هذه الكلمة منها فلم تكد تتمها حتى أُطلقت اربع مدافعٍ متوالية من اليخت الى المركب فتحطم قطعاً ولما انقطع الدخان لم يُرَ من آثارهِ سوى اعالي صواريهِ وهو يهوي في قلب البحر . وتمثلت لعيني مرغريت في تلك اللحظة خيانة ادورد وقتل حبيبها فسقطت لا تعي شيئاً . وبعد ذلك عاد بها ادورد الى قصرهِ بلندن واخذ يبذل كل ما في استطاعتهِ لصرف قلبها اليهِ بعد ان قطع املها من ليوبولد وهو يرجو انها بعد مدةٍ يسيرة تنسى الامر وتكون في نهاية السنة التي حددها لها قد مالت اليهِ فيقترن بها كما احب

وكتب الله لليوبولد السلامة فلما انكسر المركب اصابتهُ قطعةٌ من اخشابهِ المتكسرة فقذفتهُ الى بعد واخذت الامواج تتلاعب بهِ مدة وهو

فاقد الشعور حتى ضربتهُ الى صخرةٍ في وسط البحر فتهشم وسال دمهُ واستيقظ اذ ذاك لنفسهِ فتشبث بتلك الصخرة وجلس عليها . ولما عاد اليهِ رشده خطر لهُ لاول وهلةٍ ان يعود فيلقي بنفسهِ في البحر للتخلص من حياتهِ ثم نازعهُ فكر النجاة والسعي للانتقام فكان يتردد بين هذين الفكرين الى ان راى بالقرب منهُ لوحاً من السفينة قد قذفتهُ اليهِ الامواج فغلب عليه فكر التخلص وسبح اليهِ ثم ركبهُ واخذ يجذف برجليهِ فقطع مسافة بعيدة من البحر ثم ابصر شاطئاً على بعدٍ يسير فتوجه اليهِ حتى بلغهُ واذا هو شاطئ جزيرة مان

وكان قد بلغ منهُ التعب والجوع فجلس قلق البال مشتت الخواطر حتى اقبلت جيوش الظلام وفيما هو كذلك اذ طرق سمعهُ وقع حوافر خيل فانتبه واذا بشرذمةٍ من الفرسان مارّةٌ من هناك فسألهم اغاثتهُ فحملهُ احدهم على فرسهِ وانثنوا سائرين حتى بلغوا برجاً خرباً في ظاهر البلدة فترجلوا ودخلوهُ ثم انتظموا في غرفةٍ فسيحة ينيرها مصباحٌ ضعيف وترأس عليهم فتًى في غاية الجمال والحذق . ولما استقرّ بهم الجلوس اقبلوا على ذلك الغريب يسألونهُ عن اسمهِ ونسبهِ وسائر احوالهِ فاجابهم عما سألوا ثم طلب ان يؤتى بشيءٍ من الطعام فاكل وقدّم اليهِ رئيسهم كأساً من الشراب فتناولها شاكراً ولما ادناها من فيهِ سألهُ الرئيس ان يشربها باسم ادورد ملك انكلترا فلما سمع ليوبولد ذلك الاسم رمى بالكاس الى الارض وقدحت عيناهُ شراراً فامتشق كلٌّ من الفرسان سيفهُ وهجموا عليهِ فضرب ليوبولد يدهُ على فخذهِ يلتمس سيفهُ ولما لم يجدهُ وثب الى الجدار فحمل شاهرهُ اليهِ وتأهب

لملاقاتهم . فلما رأى رئيسهم ذلك تبسم وامرهم فرجعوا عنهُ ثم اخذ يكلم ليو بولد فتحقق انهُ من اشدّ الناس عداوةً لادورد وحينئذٍ قال لهم لا بأس من اطلاع هذا الفتى على مقاصدنا . ثم عقدوا اجتماعهم فظهر ان هؤلاء الفرسان رؤساء حزب الملك هنري الذي سجنهُ ادورد بعد اغتصاب عرشهِ وهم يحاولون خلع ادورد وردّ هنري الى الملك فلما عرف ليو بولد ذلك منهم اقسم لهم اليمين المغلظة على الانضمام اليهم وبذل مهجتهِ في سبيل غايتهم فقلدوه لباس الفرسان واعطوهُ فرساً وجعلوهُ واحداً منهم

وكان حزب هنري يزداد كل يوم بما ينتشر عن ادورد من سيّئ الاعمال والانغماس في الفحش والملاهي وقد عزم اولئك الاحزاب المنتشرون في جميع مدن انكلترا ان يتواعدوا ليوم يقومون فيهِ قومةً واحدةً . واتفق في اثناء ذلك ان ادورد جمع نخبةً من فرسانهِ للمبارزة امامهُ ودعا اعاظم دولتهِ لحضور ذلك المشهد وعين للفائز اكليلاً مرصعاً بالجواهر يلبسهُ من يد مرغريت وكان قد اكرهها على الحضور لتسليتها لانها كانت بعد موت حبيبها كما تحققت ذلك عياناً لم تعد تفتح فاها بكلام . ولما تأهب الفرسان وانقسموا فرقتين راى ادورد فارساً واقفاً الى جانب وكان كغيرهِ مغطى بالزرد وعلى راسهِ خوذةٌ قد سُدِل لثامها على وجههِ فناداهُ ادورد وقال لهُ ما بالك لا تبارز ايها الفتى . فقال سأبارز اذا اذن لي مولاي غير اني لا ارى لي صاحباً اختار مبارزتهُ من بين هؤلاء فانا اميل الى ان ابارزهم جميعاً . فقهقه ادورد وقال سيكون لك ما طلبتهُ بعد المناوشة الاولى فحيا الفتى وانحاز الى ناحية يراقب المبارزين . ثم اعطى الملك اشارتهُ فهجم الفريقان واشتد

بينهما الطعان وكان الملك قد رسم ان كل من سقط منهم عن جواده يُعد مغلوباً ويخرج من ميدان البراز . ومضى عليهم نحوٌ من نصف ساعةٍ وهم في اشدّ العراك حتى لم يبقَ منهم في تلك الساحة الا ستةٌ من فحولهم وحينئذٍ صدر امر الملك بالتوقف ثم نادى ذلك الفتى وقال لهُ انك على ما ظهر لي منك لا تبالي بالكثرة فهل تحبّ ان تبارز هؤلآء . قال لا اشهى اليَّ من ذلك ثم اندفع بجوادهِ الى حلقة المبارزة ودار في الحلقة ينظر في وجوه الواقفين حتى انتهى الى موضعٍ منها فوقف امام الستة . ولما ارتفع صوت البوق هجم احدهم على الفتى فتلقاهُ ذاك كقطعةٍ من الصخر ولم يمهلهُ ريثما استوى امامهُ حتى هجم عليهِ بجوادهِ فاخرج رجلهُ من الركاب وضربهُ بها في صدرهِ فسقط على الارض والدم يتدفق من فيهِ . وللحال هجم الثاني فما امهلهُ حتى صرعهُ والحق بهِ الثالث . فلما رأى الثلاثة الباقون ذلك هجموا عليهِ هجمةً واحدة فتلقاهم بقلبٍ من حديد ولما خاف ان يفوزوا عليهِ استطرد امامهم فتبعوهُ وبعد ان جاوز مسافةً امامهم كرَّ على الاول وكان وحدهُ فضربهُ بفأسهِ على خوذتهِ فغرزت في دماغه وخرَّ الفارس صريعاً ثم فعل كذلك بالثاني وخلا المجال بينهُ وبين الثالث فاشتدَّ بينهما الاخذ والردّ حتى تكسرت آلات حربهما فتشابكا بايديهما من فوق الجوادين ثم سقطا كلاهما الى الارض.وكان الحضور قد انتصبوا على اقدامهم لمشاهدة ما يكون من امرهما وشعر الفتى بتراجع عزمهِ فجمع ما بقي لهُ من القوة ورفع الفارس بين يديهِ ثم جلد بهِ الارض فبقي عليها وارتفعت من الجمهور اصوات الاستحسان . وحينئذٍ دعاهُ الملك اليهِ وقال لقد حقّت لك

ايها الفتى الجائزة المعينة لهذا النهار واني لأغتبط بوجود مثلك في مملكتي فمن انت وابن من . فقال الفتى انا لست من ذويك ايها الملك ولكني فتى غريب قذفني الى ديارك البحر . قال لا بأس فتقدم وخذ اكليل الظفر من يد اجمل فتيات انكلترا وملكتها المستقبلة . وكانت مرغريت موجودة هنالك بجسمها واما افكارها ففي غير ذلك الاحتفال فلم تشعر الا والفتى قد جثا امامها ليتلقى من يدها تلك النعمة وصوت الملك يقول كللي هذا الفتى يا مرغريت . فمدّت مرغريت يديها لتكللهُ وللحال رفع الفتى لثامهُ الحديدي عن وجههِ فلما وقع نظر مرغريت عليهِ صاحت بصوتٍ عظيم وسقطت على مقعدها مغشياً عليها . وقام ادورد ليرى ما حدث لها فاغتنم الفتى تلك الفرصة واخرج من جيبهِ بوقاً فهتف بهِ ثلاثاً ثم نظر الى الملك ادورد وقال قد اخبرتك اني غريبٌ قذفني البحر الذي القيتني فيهِ وقد جئت احاسبك على ما فعلت فهل عرفت ليوبولد . وللحال اطبقت جيوش الملك هنري من الجهات الاربع فحدثت هنالك معركةٌ دموية مشهورة اجلت عن انهزام ادورد وارجاع الملك الى هنري . ولما تمت السنة التي جعلها ادورد موعدًا لاقترانهِ بمرغريت كان قد اصبح طريداً بعيدًا عن بلادهِ واقترن ليوبولد بمرغريت بعد ان رُقي الى منصبٍ عالٍ فقضى مع عروسهِ ايام سعادةٍ وسرور وهنأ كلٌ منهما صاحبهُ بانتهاء المكاره واقبال المسرات كما اهنئ قرّاء الضياء ببلوغهم نهاية السنة ودخولهم في العام الجديد متمنياً ان يكون لهم عام خيرٍ واقبال مقروناً بالسعادة وبلوغ الآمال ان شاء الله تعالى بفضلهِ ومنهِ

لغة الجرائد

تقدم لنا في الجزء الاول من هذه المجلة كلامٌ في بيان موضع الجرائد من الامة وما لها من التأثير في مداركها واذواقها وآدابها ولغتها وسائر ملكاتها ولا سيما مع كثرتها وانتشارها في عهدنا الحالي حتى اصبحت بحيث تصدر الالوف منها كل يومٍ وتوزَّع بين ايدي القرّآء فيتناول كل قارئٍ منها على حسب وسعهِ واستمدادهِ . وليس من ينكر ان ذلك كان سبباً في انتشار صناعة القلم عندنا وتدريب الكتاب على اساليب الانشآء واقتباسهم صُوَر التراكيب المختلفة واحيآء كثيرٍ من اللهجة الفصحى حتى بين عامة الكتاب مما آذن بانتماش اللغة من كبوتها واحيا الآمال في عودها الى قديم رونقها . بل اذا تفقدت الجرائد انفسها وجدتها قد انتقلت الى طورٍ جديدٍ من الفصاحة وجزالة التعبير كما تتبين ذلك من المقابلة بين حال الكثير من جرائدنا اليوم وما كانت عليهِ عامة الجرائد منذ نحو عشر سنواتٍ او دونها والفضل في ذلك ولا شك عائدٌ الى هذه الكثرة نفسها بما نشأ عنها من المباراة بين الاقلام وازدحام القرائح في حلبات السبق فضلاً عما تهيأ بها من انتشار اسلوب الفصاحة ورسوخ ملكة الانشآء .

بيد انا مع ذلك كلهِ لا نزال نرى في بعض جرائدنا الفاظاً قد شذت عن منقول اللغة فأُنزلت في غير منازلها او استُعملت في غير معناها فجآءت بها العبارة مشوَّهةً وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطآء . ولا سيما اذا وقع في كلام

من يوثق بهِ فتتناولهُ الاقلام بغير بحثٍ ولا نكير . ولا يخفى ان الغلط في اللغة اقبح من اللحن في الاعراب وابعد عن مظانّ التصحيح لرجوعها الى النقل دون القياس فيكون الغلط فيها اسرع تفشياً واشدّ استدراجاً للسقوط في دركات الوهم . والعجب هنا انك كثيراً ما ترى اناساً من متقدمي الكتّاب وذوي القدم الراسخة في اللغة والانشآء يتمدون احياناً على التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من اصاغر اهل الصناعة حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها واصبح كثيرٌ من الفاظ الجرائد لغةً خاصةً بها تقتضي معجماً بحالهِ . ولما كان الاستمرار على ذلك مما يُخاف منهُ ان تفسد اللغة بايدي انصارها والموكول اليهم امر اصلاحها وهو الفساد الذي لا صلاح بعدهُ رأينا ان نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيهِ اكثر تلك الالفاظ تداولاً وننبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة وفي يقيننا ان رصفآءنا الافاضل يتلقون ذلك منا خدمة اخلاص لهم لا نقصد بها الا المحافظة على اللغة وصيانة اقلامهم من مثل هذه الشوائب مع كفايتهم مؤونة البحث والتنقيب في كتب اللغة على ما هو معلومٌ من وعورة مسلكها وشكاسة ترتيبها مما كان ولا شك هو السبب في تجافيهم عن مراجعتها واستثبات صحة تلك الالفاظ منها والله نسأل ان يوردنا جميعاً موارد الصواب بفضلهِ عز وجل وحسن تسديدهِ

فمن تلك الالفاظ لفظة التحوير التي لم يبقَ كاتب جريدةٍ ولا مؤلف كتاب الا وردت في كلامهِ مئات من المرار يريدون بها معنى التنقيح والتعديل والتهذيب وما جرى هذا المجرى وذلك في الكلام على الشروط

والمعاهدات والاحكام واشباهها . ولم ترد هذه اللفظة في شيء من كتب اللغة بمعنى من هذه المعاني انما التحوير في اللغة بمعنى التبييض يقال حوَّر الثوب اذا قصرهُ وبيضهُ ومنهُ الحُوَّارَى للدقيق الابيض وهو لباب البرّ واجودهُ واخلصهُ وقد حوَّر الدقيق اذا بيضهُ وغالب الفاظ هذه المادة يرجع الى معنى البياض فما ضرّ لو استعملوا في مكان هذه اللفظة احدى الكلمات التي ذكرناها في مرادفها

ومن ذلك قولهم تقدم اليهِ بكذا يعنون رغب اليهِ فيهِ وسألهُ قضآءهُ وانما يقال تقدم اليهِ بمعنى اوعز اليهِ وأمرهُ تقول تقدم الامير الى عاملهِ ان يفعل كذا وكذا فهو على عكس المعنى الذي يريدونهُ كما ترى

ومن ذلك قولهم شكر لهُ على احسانهِ وشكر لاحسانهِ وشكر لهُ لاحسانهِ صورٌ لا تكاد تتعداها كتابات الاكثرين وكلها حائدةٌ عن الصواب . قال في تاج العروس شكرهُ وشكر لهُ .. وشكرت الله وشكرت لله وشكرت بالله وكذلك شكرت نعمة الله وشكرت بها وفي البصائر للمصنف .. يقال شكرتهُ وشكرت لهُ وباللام افصح . اه . وفي لسان العرب قريبٌ منهُ وهو لا يخلو من ابهامٍ وقصور واحسن منهُ واوضح تفصيلاً ما جآء في الاساس قال شكرت لله نعمتهُ واشكروا لي وقد يقال شكرت فلاناً يريدون نعمة فلان .. اه . فعُلم من صريح عبارتهِ ان الشكر يعدَّى الى المشكور لهُ اي المنعم باللام والى المشكور بهِ اي النعمة بنفسهِ تقول شكرت لزيدٍ صنيعتهُ بجر الاول ونصب الثاني وهو الاشهر في اصل استعمال هذا الحرف ثم يجوز لك ان تحذف احد المتعلقين فتقول شكرت

لزيد وشكرت صنيعة زيد ويجوز ان تقول شكرت زيداً على تقدير مضاف محذوف اي صنيعة زيد. واما تعديتهُ الى المشكور بهِ بعلى فيجوز على تضمين الشكر معنى الحمد وحينئذٍ تمتنع اللام فتقول شكرتهُ على احسانهِ كما تقول حمدتهُ على احسانهِ للمطابقة بين الاستعمالين . فتأمل

ومن ذلك قول بعضهم مزّق الكتاب ارباً ارباً وقطّع الحبل ارباً ارباً اي قطعةً قطعةً واكثرهم يقرأها أَرَباً أَرَباً بفتحتين وليس شيء من ذلك بصواب انما يقال قطّعت الذبيحة إِرْباً إِرْباً بكسر الهمزة وسكون الرآء اي إِرباً فإِرباً ومعنى الإِرب العضو فهو خاصٌّ بما لهُ اعضآء ولا يجوز استعمالهُ للكتاب والحبل وامثالهما . واما الأَرَب بفتحتين فمعناهُ الحاجة

ومن ذلك قولهم خرج فلانٌ عصارى يوم كذا يريدون وقت العصر واكثر ما سُمعت اللفظة في قرآءتهم بضم العين وفتح الرآء على مثال قُصارَى وخُزامَى ولا وجود لهذه اللفظة في كتب اللغة ولعل اول من قالها اراد ان تكون بفتح العين وكسر الرآء وتشديد اليآء كانها جمع عصرية من قول العامة جئتهُ عصرية النهار كما يقولون جئتهُ صبحية وظهرية وكل ذلك لم يرد شيء منهُ في استعمال العرب

ومن ذلك قولهم اوجبني الى كذا اي الجأني اليهِ واضطرّني وانما يقال اوجبت الامر ولا يقال اوجبت الرجل فالصواب اوجب عليَّ كذا

ومثلهُ قولهم اعلنت فلاناً بالامر على حدّ اعلمتهُ بهِ مثلاً وانما يقال اعلنت الامر وبالامر اي اظهرتهُ وقد اعلنتهُ لفلان كما تقول اظهرتهُ لهُ ويقال ايضاً اعلنتهُ اليهِ كما يؤخذ من عبارة لسان العرب

ومن ذلك قولهم تولج فلانٌ الامر اي تولاهُ وما نحسبهم الا ارادوا هذا اللفظ الاخير بعينهِ اي لفظ تولاهُ فأبدلوا من الفهِ جيماً وهو من غريب التحريف . فاما تولج فمعناهُ دخل مثل ولج المجرّد

ويقولون اشار عليهِ بكذا فانصاع لمشورتهِ يعنون انقاد واطاع ولا وجود لذلك في اللغة لكن يقال انصاع الرجل اذا انفتل راجعاً مسرعاً وفي الاساس انصاع القوم اذا مرّوا سراعاً وفي اللسان صاع الشيء يصوعهُ صوعاً فانصاع اي فرّقهُ فتفرّق لم يجئ في هذا الحرف غير ذلك (ستأتي البقية)

وجوب العقوبات

لحضرة الكاتب الاديب نجيب افندي الشوشاني

طُبع الانسان ميالاً الى الشرّ مسترسلاً الى اهوآئهِ واغراضهِ يطمع في مقتنيات غيرهِ ويحسدهُ على ما بين يديهِ بل يروم الاستئثار بكل امر يراهُ خيراً لنفسهِ ويودّ لو يكون العالم باسرهِ ملكاً لهُ يتصرف فيهِ كيفما شآء . وفي الانسان من مثل هذه الصفات الغريزية وغيرها ما يدفعهُ الى ارتكاب الشر واقتراف الضرّ فقد رُكب فيهِ الميل الى الاعتدآء والاغتصاب والبغي والجور والتحرش ومن طباعهِ التنازع والتباغض والحقد والانتقام والخيانة واللؤم والغدر والاحتيال والمكر ذو فطرة وحشية وطبيعة مجبولة على الفتك يثور على اخيهِ فيقتلهُ بريثما ويحمل على مناوئهِ فيطرب لصوت النزع في صدرهِ وقد عُرف بانهُ اشد شراسةً من السباع الضارية واصلب قلباً من الحجارة القاسية اذا اراد ارتكاب شرٍّ فقلّما يرتد من طبيعتهِ عنهُ او يكون لهُ

من نفسهِ وازع يمنعهُ منهُ

ومع ذلك فقد خُلق الانسان اليفاً مدنياً بالطبع ميالا الى الاجتماع فقد كان في اول امرهِ منفرداً ضارباً في مجاهل الأرض ثم تحيز فرقاً او جماعات وما زال يتسع نطاق اجتماعهِ ويعتد ذله في الحضارة والمدنية الى ان اصبح على ما نراهُ فيهِ اليوم من تخطيط المدائن الواسعة وتأليف الممالك العظيمة وتقريب الابعاد وتيسير المواصلات وتفننهِ في ضروب العمران وجعل جمعيتهِ البشرية مشتبكة الروابط مشتدة الاواصر كالسلسلة الواحدة اذا انفكت حلقة من حلقاتها احدثت خللاً في سائر هذا المجموع

وأول ما خطر للانسان عند ما اقبل على الاجتماع بل أوّل ما اضطرَّ اليهِ قياماً بالغرض الذي اجتمع لاجلهِ من حيث التعاون على اصلاح حالهِ والذود عن حياتهِ ومتاعهِ ان يكون لاجتماعهِ نظام يؤلف بين افرادهِ فيصون الحقوق العامة ويحفظ الصلات ويمنع التعديات فنشأت من ذلك السلطة ووجدت الزعامات فالمشيخات فالرئاسات فالحكومات وبذلك النظام استطاع الانسان ان ينتقل من طور الى طور ويزداد امتداداً في الاجتماع وبسطةً في العمران وكان النظام يتقدم بتقدمهِ ويسير متبعاً ضرورات كل جيل من الناس وكل عصر من العصور

لا جرم ان هذا النظام هو الذي ضبط الانسان وهو على ما عرفناهُ بهِ من شرّية الخلق عن ان يظل مندفعاً في غمرات اميالهِ الوحشية يفعل ما تزينهُ لهُ الاهوآء وتندفع اليهِ الاطماع مما يستحيل معهُ حصول الاجتماع ولا يتيسر الوصول الى الغاية المقصودة منهُ وقد جعل لهُ حداً لا يتعداهُ

وضرب عليهِ العقاب اذا هو حاد عن السبيل الذي اختطهُ لهُ ليجري عليهِ وبذلك استتبَّ قيام ذلك النظام وتوصل المجتمع الى الحصول على الفائدة التي وُضع لاجلها . وذلك ان الشرائع تمنع القتل ولكن هذا المنع لم يكن كافياً لان يمتنع الانسان عنهُ لو لم يكن يعلم ان القاتل يُقتل او انه يُزجّ في سجنٍ مؤبد يذوق فيهِ العذاب الوانآ ويفضل الموت فيهِ على الحياة . وكذلك الشرائع تمنع ان يضرّ الواحد بالآخر وان يتعرض للحقوق العامة ولكن من كان يأبه لذلك لو لم يكن من ساعد الاحكام المتين ما يقبض بشدة عليهِ ويقتصّ منهُ على ما جناهُ . وانظر الى الاديان فان اكثرها قد قدّمت العقاب على الثواب وانما الغرض من ذلك ادخال الرهبة على النفوس حفظاً لتلك السنة وحملاً للناس على العمل بما تقتضيهِ

فقد ثبت مما تقدم ان النظام لا بد منهُ لحفظ كيان هذا المجتمع كما أن العقاب لا بد منهُ لحفظ كيان هذا النظام وقد اجمع على ذلك المشترعون عامةً الا ان منهم من مسَّتهم الرأفة بالمجرم فرأوا استبدال العقاب بالغرامة المالية والقَوَد بالسجن وما اشبه ذلك ميلاً الى الرفق بالانسان ولهم في ذلك مباحث طويلة نقتصر على ذكر اهمها بالايجاز مراعاة للمقام

ومعلومٌ ان العقاب مترتبٌ على الجرم من حيث كونهُ اي الجرم فعلاً مخالفاً لما يأمر بهِ النظام او ينهى عنهُ فيكون نظام العقوبات اذن هو مجتمع القواعد التي تجعل الحق العام يقتصّ من المجرم وعليهِ فالعقاب يكون العمل بما نصت عليهِ هذه القواعد وغايتهُ الاصلية النفع العام وهو انما يكون فيما لا يدخل تحت ملك مالك لحياة الانسان وحريتهِ بعكس الحكم الذي

يصدر مثلاً باعادة حقٍّ مغتصَب او تحصيل حقٍّ ضائع او تعويض الضرر بالمال مما هو معروف بالحقوق الشخصية فان ذلك ينحصر فيما يجوز للانسان ان يتملكهُ ويكون غايتهُ النفع الخاص . وأهمّ ما يؤخذ من اقوالهم في هذا البحث ينحصر في ثلاثة اقسام . الاول ــ وجوب العقاب من حيث العدالة ــ وقد تولد عن هذا المبدا مذهبٌ عُرِف بالعدالة المطلقة او التكفير عن الذنوب ومرجع هذا المذهب الى الاعتقاد بان السلطة من عند الله وان الملك ظل الله على الارض وان حق العقاب الذي لهُ انما هو حق صائرٌ اليهِ من هذه العدالة المطلقة . غير ان اصحاب الآراء الحديثة لا يسلمون بذلك بل يقولون ان حق العقاب انما هو مختص بالامة التي تقوم بهِ بواسطة نوابها فان السلطة المشترعة تضع النظامات للعقوبة والسلطة الاجرائية تقوم بتنفيذها وعندهم ان بين العدالة الالهية والعدالة البشرية بوناً شاسعاً فالاولى تصفح عن المذنب والثانية لا تستطيع الاَّ ان تعاقبهُ عبرةً لسواهُ ولو ندم على ما فعل . ومن هذا وغيرهِ مما لا حاجة بنا الى ذكرهِ يستنتجون ان العدالة البشرية في وجوب العقاب ليست براجعةٍ الى مذهب العدالة المطلقة وان العقاب على الجانين واجبٌ لان الله سبحانهُ لا يأذن في اعتداء الواحد على الآخر وقد نهى عن القتل وارتكاب المحارم وقضى بمعاقبة المعتدي . والانسان اذا عاقب المجرم دفاعاً عن كل فردٍ من افرادهِ وصيانةً للنظام العام لا يكون قد ظلم بل انصف وعدل وعليهِ فالعقاب يكون واجباً عدلاً

الثاني ــ وجوب العقاب من حيث النفع ــ واول المذاهب فيهِ المعروف بمذهب الرابطة الاجتماعية واشهر من قام بهِ بكاريه وجان جاك روسو وقد

ايدهُ بعض الخطباء ايام اشتغال فرنسا بوضع النظامات وتسطيرها . واساس هذا المذهب عند اصحابهِ ان البشر في حالتهم الطبيعية كانوا يعيشون منفردين ثم اقبلوا على الاجتماع بغاية النفع واذ ذاك وجدت الرابطة الاجتماعية التي انشأت حق العقاب . وجعل بعضهم حق العقاب من جهة ان الفرد من البشر قد ترك للجمعية البشرية التي هو عضو من اعضائها حق الدفاع عن نفسهِ وهذه القاعدة تعرف بالدفاع المستقيم . وذهب آخرون الى ان النظام لما كان ضروريًّا لقوام الاجتماع فقد قبل الانسان من تلقاء نفسهِ ان يُعاقَب اذا خالف سنن ذلك النظام وهذه القاعدة تعرف بقبول توزيع العقاب . الا ان اكثرهم حصر وجوب العقاب في لفظة النفع مجرّدة لان المجرمين اعداءٌ للمجتمع باسرهِ وايّ نفع بل اية ضرورةٍ اشد من تجريد امثال هؤلاء الاعداء من اسلحتهم ووضعهم في حيّز لا يتعدونهُ ومعاقبتهم على ما اجترموهُ

وذهب الفلاسفة الوضعيون الى قاعدة الدفاع الغير المستقيم قالوا ان الانسان من حيث الحقوق الطبيعية لهُ حق الدفاع عن نفسهِ بنفسهِ ولما كان المجتمع البشري ليس سوى الانسان معنويًّا كان من حقهِ نفس ذلك الدفاع الذي من مقتضاهُ معاقبة المجرم. وذلك ان الخطر الذي يلحق بالمجتمع عن حدوث الجناية وان اختلف عن مثلهِ في الفرد من افرادها اذ هو في الفرد لا يتجاوز ايقاع الاذى بهِ لكنهُ يتجاوز ذلك في جسم المجتمع بحصول ما يتولد عنهُ من الاقتداء ولذلك فان المجتمع باجراء العقاب على الجناية الواقعة يكون قد دفع عن نفسهِ وقوع الجنايات في المستقبل ولا يكون قد

قيَّد حرية الانسان الاَّ بما يقتضيه حسن النظام العام وحيئذٍ فلا يكون منشؤهُ ومرجعهُ الاَّ النفع

الثالث — وجوب العقاب من حيث اعتبار الامة بمنزلة جمعية دستورية — وقد لبثت هذه الشعلة كامنة في بطون الادهار الى ان ابرزت نارها الثورة الفرنسوية اذ اعلنت حقوق الانسان في السادس والعشرين من شهر آب سنة ١٧٨٩ ومنذ ذلك الحين بوشر وضع نظام خاص بالعقوبات وأُبطل الكثير من العقوبات المتبعة في الازمان الغابرة ثم أُعيد البعض منها اضطرارًا فكانت فرنسا البادئة بذلك ثم تلتها اكثر الحكومات المتمدنة . اما انكلترا وروسيا فلبثتا بمعزلٍ عن ادخال هذا الاصلاح في النظامات ولم تنشطا اليهِ الا منذ عهدٍ غير بعيد فاخذتا في تنقيح نظام العقوبات ولعلنا لانلبث طويلاً حتى نرى الوحدة بين الحكومات في مواد العقاب وان اختلفت في بعض وجوهٍ مما يساعد على تعميم المعاهدات المختصة بتسليم المجرم الذي يلجأُ الى غير بلادهِ ويزيد الانسان بعداً عن ارتكاب الجرائم وتغلباً بالانسانية والمدنية على فطرتهِ الحيوانية

على ان تقرير وجوب المجازاة يقودنا الى البحث عن خصائص العقاب وكيفياتهِ بحيث يكون منطبقاً على النفع المقصود منهُ في صيانة النظام العام والعقاب انما يكون مستحسناً اذا اجتمعت فيهِ الصفات الآتية . واولها — ان يكون العقاب مثالياً — اي ان يكون على القدر الواجب من الشدة وان يكون اجراؤهُ علناً بحيث تكون معاقبة المجرم مثالاً وعبرة لسواهُ

ثانيها — ان يكون اصلاحياً — وتحصل هذه الخاصيةِ في العقاب اذا كان

من طبيعته ان يحدث في المحكوم عليه تأثيراً زاجراً في المستقبل

ثالثها ـ ان يكون مشروعاً ـ اي ان يكون منصوصاً عليه في النظامات فان اكثر العقوبات في الزمن الغابر كان الحكام يقضون فيها بحسب ما يرتأون فتصدر الاحكام في الغالب جائرة غاشمة تثور لها الخواطر وتبعد عن ان تكون حافظة انتظام المجتمع وكافلة بتنقيص الجرائم

رابعها ـ ان يكون شخصياً ـ اي ان يكون العقاب منحصراً في شخص المجرم ولا يتعداهُ وقد كان من قبل يحكم بالعقاب على المجرم وذويهِ . ومن ثم الغت الحكومة الفرنسوية سنة ١٨١٤ المصادرة على اموال المجرم اذ يمتدّ ذلك الى ورثتهِ ولا يكون منحصراً فيهِ

خامسها ـ ان تراعى المساواة في العقاب ـ وذلك بان يكون لكل جرم بعينهِ عقوبة بعينها من غير نظر الى تفاوت مراتب المجرمين . ولا يقتصر هذا على رعاية المساواة في الحكم بالعقاب بل يشمل المساواة في طريقة تنفيذهِ وقد كانت شرائع الرومانيين تقضي بقطع رأس المحكوم عليهِ بالموت اذا كان من اصحاب الطبقة العالية وبصلبهِ اذا كان من العامة وكذلك في فرنسا كان يقضى على الطبقة الاولى بقطع الرأس وعلى الثانية بالشنق اما اليوم فالمجرمون لدى العقاب وتنفيذهِ بالسواء

سادسها ـ ان ينجم عن العقاب منافع ادبية ـ وذلك بان لا تكون العقوبات قاتلة لعواطف المجرم الانسانية بل تثبتها في نفسهِ وترجع اليهِ ما يكون قد فقدهُ منها والا كانت سبباً لأن تصيّر المجرم شرًّا مما كان عليهِ وقد تقرر ان العذابات البدنية تنزل بالمجرم الى حضيض الطبيعة الحيوانية

ولا تزيدهُ الا اقتحاماً للشرور وقد أُبطلت امثال هذه العقوبات في كل صقع اضاءت فيهِ شمس العلم والعدل

ومعلوم ان العقوبات على انواع والاعدام يخرج عن بعض الخصائص المذكورة كما ترى وليس من حاجة الى بيان خطورتهِ وحرج مقامهِ بين سائر انواع العقوبات ولذلك افردوا لهُ باباً مخصوصاً وسموهُ « بالعقاب الرئيسي» واشد ما كان الجدال فيهِ بين المشترعين والفلاسفة والكتاب فنهم من سلب ومنهم من اوجب الا ان النظامات اثبتتهُ جرياً على القاعدة العامة القاضية بوجوب اجرآء العقاب والقيام بهِ

وقد يستغرب المرء لاول وهلةٍ عند ما يرى ان النظام الذي يمنع القتل هو نفسهُ يقضي بهِ ومن يشاهد اعدام مجرم لديهِ ولا ترتعد فرائصهُ وتنقبض نفسهُ اذ يرى آلة القتل منتصبة صامتة فاغرةً فاها لتبتلع روحاً وتنزع من جسدٍ حياةً ويرى المجرم مسوقاً كالحيوان الى الذبح لا يستطيع عن نفسهِ دفاعاً وليس في طاقتهِ التخلص ولا النجاة ويرى هذه الآلة الهائلة قد اطبقت على رجلٍ نظيرهِ فغادرتهُ جثةً هامدة. ولا يزال الانسان غير منتبه الى هول الاعدام ما لم يعاين وقوعهُ لديهِ او ان يقف متأملاً احدى تلك الآلات المعدّة لذلك العقاب

على ان من اعمل الفكرة في الاسباب التي حملت النظام على ان يجزم بوجوب العقاب وبالتالي بوجوب الاعدام وعلم ان الضرورة تقضي بهِ حفظاً للنظام ودفاعاً عن كل فرد من افراد مجتمع الانسان وان الحاكم لا يقضي بهِ انتقاماً ولا اختياراً وان الحكومات لا تجريهِ الاَّ بعد التدبر

والتثبت الشديدين وان الكثير من الشعوب والقبائل لا يستقيم بينهم حكمٌ ولا تكبح اعنة اشرارهم الا بوضع السيف في موضعهِ يذهب عنهُ ما استغربهُ من تناقض النظام بمنع القتل والقضاء بهِ ويثبت لديهِ وجوب القيام بالامرين على السواء

ومن يشاهد يا ترى قتل نفسٍ بريئة لديهِ ويرى ان هذا الانسان الذي هو نظيرهُ والذي كان منذ طرفة عينٍ صحيح الجسم متمتعاً حياةً يتمتع بما انعم الله بهِ عليهِ من الوجود وخيرات هذه الارض وقد كان قرّة عين ذويهِ وعضواً عاملاً بين افراد المجتمع قد سطت عليهِ يدٌ اثيمة مغتالة فالقتهُ صريعاً يتخبط بدمهِ ويحث التراب بيديهِ وقد حُرم ظلماً ملذات الحياة وأُعدم من غير حق ولا سابق جناية ففارق والدين أو اخوة او زوجة او بنين واقارب واحباباً او كل هؤلاء تتفطر منهم المرائر وتتصدع القلوب . بل من يعاين وقوع مثل هذه الجريمة الهائلة او يسمع بها وقد علم ان ذاك القاتل اللئيم لم يحمل على هذه النفس البريئة الا بقصد اكتساب شيء من المال او لان القتيل على غير معتقدهِ او من غير جنسيتهِ او لان مقامهُ ارفع من مقامهِ او لبعض المقاصد السافلة ولا يجيش في صدرهِ حب الانتقام ويستحل دم القاتل اذا قام النظام باعدامهِ والاقتصاص منهُ عما فعل

وقد نظرت اكثر الحكومات في هذا الامر الخطير ووضعتهُ موضع الامتحان فابدلتهُ فرنسا ضمناً بالسجن والنفي وما يصحبهما ولم تلبث ان عادت اليهِ وابطلتهُ الحكومة البلجيكية نحو خمس من السنين فتبين لها من الاحصاءات ان مقدار الجرائم قد ازداد عن مثل معدلهِ من قبل فرجعت

بشدة اليهِ وكلنا يذكر ما فعلتهُ من عهدٍ غير بعيد اذ اعدمت جماعةً من الفوضويين دفعةً واحدة وكان ذلك من احسن العبر . ولنا فيما جرت عليهِ أكثر الممالك من وجوب معاملة هذه الجماعة باشد ما يكون من العنف والقسوة وان لا يعاقبوا الاَّ بالاعدام اعظم دليل واسطع برهان على ان لا غنى للحكومات عنهُ وانهُ خير ما يعوَّل عليهِ في ردع الاشرار وان لنا في القصاص حياة وان القتل انفى للقتل وانهُ واجب وجوب سائر العقوبات . انتهى

خواطر مستطرقة

في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تابع لما في الجزء السابع)

- ٤ -

اما تأثير الموسيقى في الحواس الباطنة فشديدٌ قد لا يفوقهُ الا تأثير البشارة بالسعادة الفجائية او الانذار بمصابٍ عاجل ولا شيءٌ يجتذب الانتباه عادةً مثل سماع الالحان مهما كان الانسان منهمكاً في غيرها من الامور . ولا ريب ان المطرب المعجب يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بسبحتهِ فيحزنهم ويفرحهم ويشوّقهم ويحببهم بعوامل تطريبهِ وذلك لان المرء بعواطفهِ والعواطف تخضع لفعل التطريب خضوعاً غريباً فكما تحرك العواطف يظهر المرء ولذلك يستخدمون الموسيقى في الجيش لانها تحمس الجنود وتحملهم على الاستبسال في ساحات القتال وتذكرهم بحب الاوطان

وتسليهم في الغربة وتعزيهم في الضيق والذي يعلم ما تؤثره الأغنية المعروفة بالمرسلياز في الفرنسويين من الحماسة والتفاني في حب الوطن لا يخامرهُ ادنى ريب في هذا القول

وتستعمل الموسيقى في اقامة الطقوس الدينية لانها توجه النفوس الى العلآء ويتوصل بها الى ارضآء الله تعالى . وكانت في القديم ركناً مهماً من اركان الطقوس ولهذا نظم بعض انبيآء اليهود اسفارهم اشعاراً ليُترنم بها وأُلفت الاجواق الموسيقية في معابدهم وكان النسآء ولا سيما بنات اللاويين يتعاطينَ الغنآء كالرجال في الهيكل والاحتفالات الدينية وكانت مواكبهم تسير على وقع الموسيقى فقد ذكر في التوراة ان داود اصعد تابوت الرب من قرية يعاريم الى اورشليم باغانيٍّ وعيدان وربابات ودفوف وصنوج وابواق وفي شخوصهم الى اورشليم في الاعياد الثلاثة كانت الموسيقى ترافقهم في الذهاب والاياب ولا تزال الموسيقى حتى وقتنا الحاضر تستعمل في اكثر المعابد وفي بعضها يقتصر على الترنيم والانشاد

وقد رأى الاطبآء ان يداووا بعض الادوآء العصبية بالموسيقى ففي اميركا تستعمل الموسيقى في البيمارستانات لابرآء المجانين . ويروى انهُ انتشر مرةً في ايطاليا نوعٌ من الامراض العصبية فكان الموسيقيون يجولون بآلات طربهم من مكانٍ الى آخر بغية شفآء المرضى فشفي كثيرون . وليست هذه المعالجة حديثة فقد ذُكر في التوراة ان داود كان يسكّن روح شاول بالعزف على العود

اما تأثير الموسيقى في الاخلاق والعوائد فامرٌ لا ريب فيهِ وقد رُوي

عن فلاسفة اليونان ان البلاد التي انتشرت فيها الموسيقى كانت طباع اهلها ارقّ والطف من غيرها واقلّ فظائع . وكان القدمآء يغالون في تأثير الموسيقى حتى نسبوا الى فعلها قوّة خارقة فمما يروى في خرافات اليونان ان اورفيوس كان يُخضع باغانيهِ وحوش الصحرآء ويستوقف امواج البحر عن حركتها ويرقص الاشجار والصخور طرباً . وذكر في اساطير المصريين القديمة ان امفيون بنى اسوار ثيبس بصوت عودهِ فكان حينما يضرب على العود تتحرك الحجارة من انفسها وينتضد بعضها فوق بعض . وفي الاساطير الهندية انهُ كان عند الهنود أُغنية كل من غناها يحترق فاراد الملك ان يمتحن ذلك فامر احد الموسيقيين ان يغنيها وهو منغمس في مياه النهر الى ذقنهِ ففعل ولكن ذلك لم يغنِ عنهُ شيئاً فالتهمتهُ النار وهو في النهر

وفي التاريخ من مثل هذه الخرافات شيء كثير وكلهُ يدل على ان القدمآء كانوا يرون ان للموسيقى تأثيراً لا يشبهها فيهِ شيء من سائر المؤثرات الخارجية على ان لبعض حذاق الموسيقيين مهارة غريبة في تأثيرهم على الحضور فقد ذكر ان ابا النصر الفارابي قدم بقانونهِ على سيف الدولة وكان مجلسهُ حافلاً فضرب عليهِ فاضحك الحضور ثم ضرب فابكاهم ثم ضرب فانامهم وتركهم نياماً وانسل من المجلس ولم يشعر بهِ احد . ومثل ذلك كان يفعل زلزل الاعرابي الذي اشتهر بالعزف على العود حتى ضُرب بهِ المثل فقيل اطرب من عود زلزل . والذي يسمع مشاهير المغنين واتمهم في هذا القطر لا يستغرب مثل هذه الروايات لما يأتونهُ من الالحان الشجية التي تأخذ بمجامع القلوب وتستعبد الالباب

وليس تأثير الموسيقى مقصوراً على الانسان فقط بل يتناول بعض الحيوانات فقد اشتهر ان النياق تسترسل في سيرها على الحداء وثبت ان الحيات تكثر حيث يكثر الغناء او العزف لانهُ يلذ لها سماع الموسيقى . وقد ذكر لي صديق من متخرجي احدى المدارس الكلية في بيروت انهُ وبعض رصفائهِ عثروا على حية صغيرة فقبضوا عليها وارادوا ان يمتحنوا هذا الامر فجاءوا بها الى فسحة واسعة واطلقوها وكان احدهم يلعب على كمنجتهِ فتقف واذا توقف عن اللعب تسير وقد امتحنوا ذلك مراراً وهم يبعدون عنها فصح امتحانهم

وقد ورد في احدى جرائد بيروت ما محصلهُ ان قسيساً يقال لهُ داويس كان مرةً مقيماً في بياز مادزبورك وكان لهُ ولدٌ صغير في سن الرابعة فدنا الولد من اسدٍ مسلسل لبعض الجيران وكان من اشرس السباع الى ان صار عند براثنهِ نخفقت لذلك قلوب الناظرين ولم يكن من يجترئ على انقاذهِ ورأت ذلك فتاة يقال لها مس مولند كانت في غرفة مشرفة على موضع الاسد فاسرعت واخذت توقع على آلةٍ موسيقية اللحن المعروف « بملك الآجام » فسرَّ الاسد سروراً ذهل بهِ عن فريستهِ والتفت الى جهة الصوت مصغياً فذهب الولد مطمئناً كأن لم يكن ما يخشاهُ ولكنهُ لما بلغ البيت وسمع البكاء وشاهد الاضطراب صرخ وبكى

وأغرب من ذلك ما قرأتهُ في تلك الجريدة عينها بقلم من اختبر الامر بنفسهِ قال بعنوان « شجرة العاشق » سمعت كثيراً عن هذه الشجرة انهُ اذا وقف المرء عليها وكان صوتهُ حسناً وانشد بنغم الاصفهان يتناثر زهرها

قال وقد زارني يوماً في حمص احد اخواننا فقصدت واياهُ التنزه في بستان لي بظاهر البلدة فعند دخولنا وجدت ولدي وابن اخي وصاحباً لهما حسن الصوت مجتمعين حول شجرة طولها نحو متر ذات جذوع وورقها كورق الحنآء وزهرها اصفر بحجم زهر الفل وهي من النباتات الطبيعية . فسألتهم عن سبب اجتماعهم فاعلموني انها « شجرة العاشق » المشار اليها فوقفنا وسألنا الغلام ان ينشد بعد ان هززت الشجرة فلم يسقط منها زهرة فلم ينشد الغلام حتى اخذ الزهر يلوي ويسقط فتركنا هذه وتتبعنا خمساً اخرى من نوعها فوجدناهنَّ مثل الاولى . اه

فاذا كانت الموسيقى تفعل هذا الفعل في الاشجار والسباع فلا بدع ان تفعل غرائب وعجائب في الانسان وهو ارقى المخلوقات وارق الحيوانات شعوراً (ستأتي البقية)

مطارحات

مسئلة رياضية ـ جآء في نفح الطيب في الكلام عن صاعد بن الحسين البغدادي اللغوي وكان قد رحل الى الاندلس واتصل بالمنصور العامري أن صاعداً حدّث عن نفسهِ قال جمعت خِرَق الاكياس والصرر التي قبضت فيها صِلات المنصور فقطعت لكافور الاسود غلامي منها قميصاً كالمرقّعة وبكرت بهِ معي الى قصر المنصور . فاحتلتُ في تنشيطهِ حتى طابت نفسهُ ثم قلت يا مولانا لعبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامي كافور الى

هنا. فقال أوعلى هذه الحال فقلت لا اقنع الا بحضوره بين يديك . فقال ادخلوهُ فمثل قائماً بين يديهِ في مرقّتهِ وهو كالنخلة إشرافاً . فقال قد حضر وانهُ لباذُّ الهيئة فهالك اصنعهُ . فقلت يامولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاي انك وهبت لي الى اليوم ملء جلد كافور مالاً . فتهلل وقال لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر وامر لي بمال واسع وكسوة وكسا كافوراً احسن كسوة . اه

وهذه القصة على ظرافتها لا تخلو من سبق وهم قد جاز على الشاعر وعلى الممدوح لان خرق الاكياس التي وسعت جلد كافور لو أُخذ بحجم كافور مال ورُدّت تلك الخرق اكياساً وصُرَراً لم تسع المال ولا نصفهُ ولا ثلثهُ. ولنفرض ان طول كافور من كتفيهِ الى قدميهِ ١٦٠ سنتيمتراً وعرضهُ ٤٠ سنتيمتراً ولنفرض ان الكيس من هذه الاكياس كان ذا اقطار متساوية من ١٠ سنتيمترات فكم كيساً كان هناك وكم كانت جملة موسوع الاكياس وبالتالي كم مرةً كان ينبغي ان تضاعف حتى يكون موسوعها اكياساً بقدر موسوعها قميصاً

نرجو من اخواننا الرياضيين الجواب على هذه المسئلة والجائزة اشتراك الضياء مجاناً على سنة كاملة

قيل لابن المقفع من أدّبك فقال نفسي اذا رأيت من غيري حسناً آتيتهُ وان رأيت قبيحاً أبيتهُ

متفرّقات

سكر الفراش ـ ذكر البروفسور توت في جملة كلام القاهُ في جمعية الهوام والتاريخ الطبيعي ان الفراش من اشدّ المخلوقات انهماكاً في السكر قال انهُ ادخل الى حديقةٍ لهُ مغشاةٍ بالزجاج اربعاً وعشرين فراشة نصفها ذكران والنصف الآخر اناث واقام يراقب طبائعها فوجد ان الذكران منها كانت شديدة التهالك على معاقرة المسكر لانها كانت تختلف الى اكثر الازهار مادةً كحلية فترتشف منها حتى تروى من عصارتها ويغلب عليها السكر حتى تبقى احياناً مدة عشر ساعات ملقاة كالميتة . واما الاناث فكانت على عكس ذلك خلافاً للحال المعهودة في انكلترا . . . فانها لم تكن تشرب الا الماء الصرف من الندى المتجمع في الصباح

ثم انهُ لم يكتفِ بما رأى من ميل تلك الفراش الى الزهر الذي تُفرَز عنهُ المادة المسكرة فخطر لهُ ان يمتحن ميلها بالشراب نفسهِ فسكب بعض قطرات من الوسكي على بلاط الموضع فلم تلبث الفراش ان تهافتت على الوسكي ثم تساقط اكثرها سكارى وكانت فراشاتٌ منها في الخارج فاجتذبها ريح كأسٍ من عرَق الفواكه كانت منسية على مائدة من موائد الحديقة فشربنَ منها شرباً مفرطاً ثم استغرقنَ في نوم ٍعميق

براميل من الورق ـ ورد الى دُنكَرْك شحن مركبٍ كامل من

البترول كلهُ في براميل من الورق المضغوط مطوقاً بالحديد . ولهذه البراميل مزيةٌ على البراميل الخشبية بان تلك تتركب من اضلاع يُضَمّ بعضها الى بعض فلا بد ان يبقى بينها شيء من الخصاص يسرب منهُ السائل فيذهب جانبٌ منهُ سدًى . ويقال ان قد خصص حديثاً ثلاثة معامل لهذه الصنعة في هَرتفرُد وكلافلند وتولادو وان هذه المعامل يكون جملة مصنوعها كل يوم ٣٠٠٠ برميل

استخدام البترول في الوَقود ــ ما زال الناس منذ عدة سنين يحاولون استخدام البترول في مكان الفحم المعدني وقد امتحنت حكومة الروسية لذلك عدة اجهزة في سكة حديد القوقاس فلم يستقم لها الا في سنة ١٨٨٠ ومذ ذاك عم استعماله في السكة المذكورة ويُنفَق منهُ فيها اليوم ما يزيد على ٦٠٠ ٠٠٠ وسق في السنة . وقد حسب مهندسو هذه المصلحة ان المئة كيلغراماً من البترول تعادل ١٤٢ كيلغراماً من الكوك و ١٣٩ من الفحم الانكليزي

وقد توصلوا اليوم الى ان يصنعوا منهُ لِبناً جامداً على نحو ما يُصنَع من دُقاق الفحم المعدني مع القطران . وذلك بان يُضاف الى اللتر من البترول ١٥٠ غراماً من مسحوق الصابون مع ١٠ للمئة من الراتينج و ٣٥٠ غراماً من الصودا الكاوية ويسخَّن المزيج بعد قطعهِ عن الهواء حتى يصير في قوام العجين . وحينئذٍ يضاف اليهِ ٢٠ للمئة من نشارة الخشب ومثلها من الرمل وبعد ان تمزج بهِ جيدًا حتى يصير الكل قواماً واحدًا يُفرَغ في

القوالب ويُترَك حتى يبرد فيكون لَبِناً صلباً . والغرض من ادخال الرمل في هذا التركيب ان يكون اللبن اصبر على النار فلا يكون سريع الانهياع . وقد حسبوا ان الكيلغرام منهُ يعدل ٤ كيلغرامات من الفحم المعدني وعند الايقاد يمكن ان يوضع على شباك الموقد المستعمل عادةً في لبن الفحم

فوائد

تغذية البقر الحلوبة — نلخص ما يأتي عن فصل ورد في بعض المجلات الفرنسوية لاحد ذوي الخبرة في هذا الشأن قال

لتكثير لبن البقر يجب اولاً ان تعلف البقرة الحلوبة الى اقصى غايات الشبع ولذلك يحسن ان يجوَّد غذاؤها ويجعل لها فيهِ كل ما تميل اليهِ طبعاً حتى تقوى شهوتها لطلبهِ وتزيد مقدار ما تتناول منهُ . ومما يفيد في ذلك ان يُطرح في علفها مقدار قليل من الملح لكن بحيث لا يزيد عن ٤٥ غراماً في اليوم لبقرة متوسطة الوزن الى ٥٠٠ كيلغرام او من الماء المحلَّى بفضلات السكر الباقية بعد تصفيتهِ فان ذلك يعينها على سرعة الهضم ويفيد في كثرة درور اللبن

ثانياً ان يكون علفها كثير الماء لان اللبن يتضمن عادةً نحو ٨٧،٥ في المئة من الماء فبزيادتهِ تزداد كية اللبن على هذه النسبة وللماء فائدةٌ اخرى وهي انهُ يسهّل انحلال دقائق المواد الغذائية ولا سيما اذا أُعطي لها فاتراً

ثم ان الكلأَ الذي هو الغذاء الطبيعي للبقر يتضمن ٨٠ في المئة من

المآء فينبغي ان يُجعل سائر علفها على ما يقرب من هذه النسبة ولذلك يُحمد في علفها البنجر والجزر ويحسن ان يضاف اليهما شيءٌ من المواد النشآئية كالبطاطس والنخالة وغيرهما يطبخ في المآء ويقدَّم لها وهو فاتر لانهُ قد وُجد بالاختبار ان حرارة المشروب الذي تتناولهُ كافية وحدها لأن تزيد في مقدار الدِرَّة وقد حُسب ان مقدار الزيادة يكون نحو كيلغرام ونصف لكل بقرة في اليوم . ولا ينبغي ان يهيأ لها هذا المشروب الا عند ارادة اعطآئهِ لها او قبل ذلك بقليل لئلا يختمر اذا مضى عليهِ وقتٌ طويل فيكون مضرًّا

ولابد في اعطآئها العلف من اجتناب انواع البقول التي تغير طعم اللبن او رائحتهُ او لونهُ كالملفوف واللفت والفجل وسائر هذه الطائفة فانها تغير طعمهُ وكثفل البنجر والشعير فانهما يهيئانهِ لسرعة الحموضة وكذلك كل غذآء قد دبَّ فيهِ الاختمار حتى حمض واما ما لم يختمر الا الاختمار الكحليّ فلا بأس منهُ

واذا أُريد تحويل البقر عن نوع من العلف الى غيرهِ فلا يجوز ان يكون ذلك فجآءةً وبمرَّةٍ واحدة ولكن لا بد ان يكون بالتدريج حتى تألف الغذآء الجديد قبل ان تُقطع عن القديم

تنظيف الاسفنج ـ افضل ما يستعمل لذلك ان يغمس الاسفنج في مآء قد حُلَّ فيهِ شيءٌ من ملح الطعام يُنقَع فيهِ بضع ساعات ثم يرفع منهُ ويغسل . وهو افضل من محلول البوتاس الذي يستعمل عادةً فانهُ لا يخلو

من تأثير على نسيج الاسفنج يفسد بنيتهُ ويرخي قوامهُ حتى يصير اشبه شيء بنسيج الغشاء المخاطي

آثار ادبيّة

اقرب سبب لتعليم الاطفال كلام العرب — هو اسم مؤلف صغير عني بوضعهِ حضرة الاستاذ احمد افندي سعيد البغدادي مدرّس العلوم العربية في مدرسة الاتحاد الاسرائيلي بمصر . وقد جرى فيه على طريقة مستحدثة التزم فيها ان يعلّم الصغير مقاطع الحروف قبل اسمآئها ويتهجأ الكلمات كذلك وقد ظهر لهُ بالامتحان ان ذلك اسهل على المبتدئ واسرع في تعليمهِ من الطريقة المتعارَفة فنثني على المؤلف ثنآء جميلاً ونرجو لطريقتهِ هذه الثبات والانتشار

كتاب الدروس الحسابية لتلامذة المدارس الابتدائية — اهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب لحضرة مؤلفيهِ الاديبين محمد افندي طاهر وميخائيل افندي عفت من مدرسي الرياضيات في المدارس الوطنية وهو « مقرر السنة الرابعة » في تلك المدارس وفاقاً لترتيب نظارة المعارف في مدارسها وقد اودعاهُ كثيرًا من الفوائد والتمرينات مع حل كثيرٍ من المسائل المشكلة مما استحقا بهِ طيب الثنآء على هذه الطرفة السنية فنحض الطالبين على مقتناهُ ونرجو لهُ مزيد الرواج والنفع

فكاهات

رواية

كشف المعمى[1]

لا ريب ان قرّاء الروايات يزداد ارتياحهم اليها ورغبتهم في مطالعتها اذا عرفوا ان جميع حوادثها واقعية ولذلك آثرنا تعريب هذه الرواية لانها من الوقائع المصرية المهمة وهي من وضع هربرت دي لزنالك الذي حكم عليهِ بالموت في مرسيليا وهو احد الذين لهم دخلٌ في قضية دريفوس المشهورة وقد كتبها قبل موتهِ وكشف فيها اللثام عن كثير من الوقائع والفظائع فهي ولا شك مما يتطالّ اليهِ كل من اتصل بهِ شيءٌ من القضية المذكورة وقد وُطّئ لها بمقدّمةٍ تاريخية تتم بها سلسلة وقائعها الغريبة ونحن نعرّبها كما وجدناها والعهدة فيها على الراوي قال

لما كان اليوم الثالث من شهر يونيو سنة ١٨٩٠ دخل رجلٌ الى محطة السكة الحديدية بليوربول يقال لهُ لويس كرتال وطلب مواجهة مدير المحطة وهو رجلٌ كهلٌ قصير القامة اسمر اللون في ظهرهِ انحناءٌ وبصحبتهِ فتًى مقتبل الشبيبة طويل القامة تلوح عليهِ علائم الرزانة والتحرُّز والسكينة وكان ملازماً للويس ملازمة ظلهِ مما يدلّ على انهُ كاتم سرّهِ وحارسهُ . ولم يُعرَف اسم الفتى ولا جنسهُ لكن يُستدَلّ من منظرهِ انهُ اسبانيولي او من

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اهل جنوبي اميركا وكان في يدهِ محفظة من الجلد الاسود كان شديد الحرص عليها والاحتفاظ بها . ولما حضر المدير سأله لويس عن قطار يقلهُ وكاتم اسرارهِ الى لندن فقال لهُ المدير قد سافر القطار منذ ساعة ولا يسافر القطار الثاني قبل الساعة السادسة . فقال لويس لكن لي اشغالاً مهمة تقتضي وصولي في اسرع ما يمكن الى باريز فاذا كان في الامكان ان تجهز لي قطاراً مخصوصاً فاني لا اتأخر عن اداء نفقتهِ بالغةً ما بلغت . ولما الحّ عليهِ دخل المدير وفاوض الادارة العامة بالبرق ثم خرج وقال لهُ سنجيبك الى ما اردت فانتظر ربع ساعة لتجهيز القطار . فشكرهُ على ذلك ثم خرج هو وصاحبهُ الى محلّ الانتظار

وحال خروجهما دخل رجلٌ آخر على المدير وسأَلهُ تجهيز قطار مخصوص يسافر بهِ الى لندن لان زوجتهُ على فراش الموت وبذل للمدير ما شآء بشرط ان يسافر في الحال . فتأسف المدير لتعذُّر اجابتهِ الى ما طلب اذ لا يمكن ان يسيَّر زيادة على قطار واحد مخصوص في اليوم . ثم انهُ بعد ان تفكر قليلاً قال لهُ ان غريباً قد استأجر الساعة قطاراً مخصوصاً فسأَلهُ لك فان شآء ركبت معهُ في القطار وتقاسمتما الاجرة . فبرقت اسرّة الرجل وجلس ينتظر وبعد هنيهةٍ عاد المدير فقال لهُ ان المسيو كرتال استأجر القطار لنفسهِ ولا يحب ان يصحبهُ احد . فخرج الرجل وعلى وجههِ أمارات الغيظ والقنوط ثم توغل بين الحضور فاخفاهُ جمهم المتكاثف

ولما تمّ اعداد القطار ركبهُ المسيو كرتال وكاتم اسرارهِ والقائد والمحافظ فانطلق بهم بسرعة النيازك مخلفاً ورآءهُ خطاً اسود من الدخان لم

يلبث ان تلاشى في الهوآء وامعن القطار في مسيرهِ فتوارى عن الابصار

وكان قيام القطار المذكور من ليوربول في منتصف الساعة الخامسة وينتظر وصولهُ الى منشستر قبل تمام الساعة السادسة فلما بلغت الساعة السادسة ولم يصل الى منشستر اضطربت افكار مدير محطتها وارسل بالبرق الى ليوربول يعلمهم ان القطار لم يصل فنهض المدير بنفسهِ الى الآلة البرقية وقد راعهُ هذا الخبر واوجس منهُ عاقبة مخيفة فخاطب محطة القديسة هيلانة وهي على ثلث الطريق فورد عليهِ الجواب منها ان القطار قد مرَّ بها بقرب الساعة الخامسة . وبعد نصف ساعة وردت رسالة اخرى من منشستر تفيد ان القطار لم يصل بعد ثم في الساعة السابعة أُردفت برسالة اخرى تقول ان القطار العاديّ الذي قام من القديسة هيلانة بعد القطار المخصوص قد وصل ولم يقف في طريقهِ على اثر لذلك

وما بلغ هذا الخبر مسامع المدير العامّ حتى قامت عيناهُ وقفَّ شعرهُ واسرع الى الآلة البرقية فسأل المحطات واحدة واحدة ان تنبئهُ عن مرور القطار الخصوصي بها ليعرف اين فُقد فعلم منها انهُ مرَّ بالمحطة الاولى والثانية والثالثة والرابعة ولكنهُ لم يصل الى المحطة الخامسة قطارٌ مخصوص ولم يُسمَع عنهُ شيء . فجمد الدم في عروق المدير ولبث شاخصاً الى الآلة لا يبدي حراكاً وفيما هو كذلك دخل عليهِ المفتش واخذا يتذاكران ما عسى ان يفعلا ثم ارسلا الى الموقف الرابع والخامس ان يفحصا الخط بينهما فاتاهما الجواب ان لا اثر للقطار وليس على الخط ولا بجانبهِ ما يدلّ على حدوث حادث او مرور قطار

فنتف المدير شعرهُ وصاح يالله ايختفي قطارٌ حديدي في منتصف النهار في وسط انكلترا ولا يظهر لهُ اثر . أتحوّل الى بخار واضمحلّ في الجوّ ام استحال الى ذرّات غبار وتبدّد في الارض . وللحال ركب هو والمفتش العامّ ليفحصا الامر بانفسهما وقد جهزا لهما قطاراً مخصوصاً وانطلقا ينهبان الارض الى ان بلغا المحطة الخامسة وهي التي لم يصل اليها القطار المفقود فترجلا واخذا يفحصان الخطّ بمزيد الدقة والانتباه وبعد مرورهما اولاً وثانياً لم يجدا شيئاً سوى جثة ميت مهشم الاعضاء عرفا انها جثة قائد القطار المفقود ولم يريا غير ذلك ولا تبينا ان القطار قد زاغ عن الخط او سقط عنهُ . فازدادت حيرة المدير وقلقهُ واخذ يمعن في البحث والاستقصاء وكان للخط المذكور ثلاثة فروع لا غير احدها يصل الى معمل حديدي في تلك الناحية والثاني يصل الى منجم فحم والثالث الى منجم آخر مهجور منذ سنين . فتتبع الخط الاول الى ان بلغ المعمل وعاد منهُ ولم يظهر لهُ شيء ثم الخط الثاني الى المنجم ودقق البحث بين العملة هناك ورجع بلا طائل واما الخط الثالث فلانهُ كان مهملاً كانت قد رُفعت منهُ القضبان الحديدية التي تصلهُ بالخط الاصلي على مسافة عدة يردات بحيث كان يستحيل انعطاف القطار اليهِ . ومع ذلك فانهُ تتبعهُ الى ان وصل الى المنجم المهجور وكانت قد رُدِمت فوّهتهُ باخشابٍ وتراب ونبت عليها العشب فعاد وقد ضاقت الدنيا في وجههِ فانطرح في قطارهِ وعاد الى ليوربول ووكل الامر الى حذق الشحنة الانكليزية واجتهادها وشاع هذا الخبر في الجرائد والاندية فلم يبقَ الا من تحدث بهِ وتعجب لهذا الحادث الغريب

وفي ذلك الوقت قامت قيامة الوزارة الفرنسوية في باريز بما اشتهر من امرها في تلك السنة وارتبكت حكومتها بمشاكل ومعضلات مالية ودولية وقفت فرنسا منها على شفا السقوط والانغماس في حمأة الذل والعار واتجهت ابصار اوربا باسرها الى حالة فرنسا في ذلك الحين فلم تكن حادثة القطار مع فظاعتها وغرابتها لتشغل افكار القوم عن مراقبة احوال الجمهورية المذكورة حتى تنوسيت هذه الحادثة بعد حين وتحول مجرى الافكار الى الوزارة الفرنسوية التي كانت يومئذٍ كريشةٍ في مهبّ الريح

واستمرت فرنسا غائصةً في مشاكلها ودعاوي وزرائها منذ سنة ١٨٩٠ الى ان اشتهرت قضية دريفوس من عهدٍ قريب وتشيع لهُ هربرت دي لرناك فحوكم في مرسيليا وقضي عليهِ بالقتل وقبل انفاذ الحكم فيهِ نشر هذه الرواية فجاءت حلاً لسرّ اختفاء القطار منذ ثماني سنوات وكشفاً عن بعض الامور التي التطخ بها شرف فرنسا بدناءة بعض ممثلي حكومتها

قال دي لرناك كنت في سنة ١٨٨٩ في عداد الشرطة الفرنسوية وكنت ممن امتازوا بالحذق والدربة حتى كانت الحكومة تكل اليّ كبار المعضلات فلا ألبث ان احلّها في اسرع وقت على احسن وجه . وفي السنة نفسها استدعاني اليهِ الكُنت ... واخذ عليّ آكد الاقسام ان لا ابوح بما ينوي ان يُفضي بهِ اليّ من الاسرار ولما عاهدتهُ على ذلك قال انهُ بالاشتراك مع البارون ... والجنرال ... قد عزموا على ان يزيدوا ثروتهم بالاستيلاء على شيء من اموال الحكومة يستعينون بهِ في المستقبل اذا اقالتهم الحكومة من مناصبهم . ثم افاض دي لرناك في شرح ما كان من

تمام هذه القصة فذكر ان هؤلآء الثلاثة بما كان لهم من الاستيلآء على ازمة المملكة الفرنسوية كانوا قد اختاروا لهم تاجراً يهودياً اسمهُ لويس كرتال فاطلعوهُ على اسرارهم وارسلوهُ عميلاً لهم الى جنوبي اميركا ثم جعلوا يرسلون اليهِ اوراقاً من حكومتهم والقاباً ورتباً وغير ذلك وهو يتاجر بها هناك حتى اجتمع لديهِ في زمن قصير مبلغ طائل من المال وكانت المراسلات متواصلة بين كرتال وهؤلآء الوزرآء باسمآء مستعارة ولما صار المجتمع لديهِ نحواً من ثلاثة ملايين فرنك كتبوا اليهِ ان يرسل المبلغ في الحال وينتظر اوامرهم فارسل تلك الملايين بموجب حوالاتٍ واقام ينتظر . اما شركآؤهُ فبعد ان وصل المال اليهم تقاسموهُ بينهم ولم يعد يهمهم السؤال عنهُ وبقي منتظراً في مكانهِ الى ان طال امد الانتظار وكاتبهم مراراً فلم يجيبوهُ ولما تحقق غدرهم عزم على ان يعود الى فرنسا ويذيع ذلك السرّ انتقاماً منهم ليحرمهم التنعم بتلك الاموال التي جمعها بكدّهِ . ولما شعر اولئك الثلاثة بقصدهِ صمموا على ان يهلكوهُ ولا يدعوهُ يصل الى فرنسا ولهذا السبب استدعوا هربرت دي لرناك واطلعوهُ على سريرة الامر ووعدوهُ بما شآء من المال اذا توصل الى اهلاك كرتال على وجهٍ لا يشعر بهِ احدٌ بحيث يبقى الامر مكتوماً. وللحال اخذ دي لرناك يتأهب لتنفيذ مأربهم فوجه من قبلهِ أُناساً الى اميركا يترصدون كرتال ويهلكونهُ في الطريق فوصلوا اليهِ وتتبعوا حركاتهِ وعرفوا كل ما كان ينوي ان يفعلهُ وكانوا يبعثون بكل ذلك الى دي لرناك بالبرق الاّ انهم لم يتمكنوا من اهلاكهِ . ولما ركب البحر من نيويرك ارسلوا يعلمون دي لرناك فارسل مركباً يلاقيهِ في الطريق فلم يوفق الى مصادفتهِ لما اعترضهُ

من حوادث البحر. وكانت الاخبار تصل الى دي لرناك كل يوم وهو يدبّر الوسائل وينصب الاشراك وقد شحذ همتهُ وقريحتهُ واخذ على كرتال جميع الطرق التي قدَّر انهُ سيسلكها من البحر والبرّ فلم يدع مسلكاً الاّ ارصد لهُ فيهِ فخاً بحيث انهُ اذا نجا من الواحد لم ينجُ من الآخر. ثم توجه لانتظاره في ليوربول لعلمهِ انها الطريق الوحيد الذي يعود منهُ فاعدَّ كل ما ينبغي من وسائل الاغتيال وصبر الى ان وصل كرتال وكاتم اسرارهِ فلما رآهما سرَّ واستبشر وايقن ببلوغ المرام وجعل دأبهُ ترصُّدهُ حيثما توجه لا يفارقهُ طرفة عين وهو يتلون بهيئاتٍ شتى حتى لا تتنبه لهُ الابصار الى ان ذهب كرتال الى المحطة واستأجر القطار المخصوص فصمم دي لرناك على ان يرافقهُ في سفرهِ وتقدّم الى المدير وطلب قطاراً آخر وهو يعلم ان الشركة لا يمكن ان تجيبهُ الى طلبهِ ولكنها ربما سمحت لهُ ان يسافر في نفس قطار كرتال. فلما رفض كرتال قبولهُ انصرف بهيئة الآنس فما عتم ان بدَّل هيئتهُ وصمد الى القطار من ناحية اخرى فاختفى فيهِ . ولما أزفت الساعة المعينة وسار القطار كان اول شيء صنعهُ دي لرناك انهُ قطع لسان المحافظ بقبصةٍ من الدنانير ليخفي امرهُ ولا يعترضهُ في سفرهِ وكان من جملة الاشراك التي اعدّها ان ارسل من قبلهِ جماعةً ينتظرونهُ بقرب المحطة الخامسة حتى اذا دنت ساعة مرور القطار من هناك اسرعوا فوصلوا الخط الاصلي بالفرع الثالث المذكور آنفاً المؤدي الى المنجم المهجور وكانوا قد كشفوا فوّهتهُ حتى يعرّج القطار اليهِ ويهبط فيهِ . وكان دي لرناك مستعداً لتلك الساعة فلما دنوا من الموضع وثب الى موقف القائد فقتلهُ وطرحهُ الى الارض واخذ القيادة عنهُ ولما

وصل الى الفرع المذكور ورأى القطار قد عرّج اليهِ تأهب للوثوب ثم ترك البخار على معظم قوّتهِ ووثب الى الارض في خفة الطير فسار القطار كالبرق الي الجحيم المُدّ لابتلاعهِ . ولاحظ كرتال حركةً انكرها فاطلّ من كوة القطار فظهر لهُ ان في الامر دسيسةً عظيمة ولما لم يمكنهُ الخلاص مع رفيقهِ وايقن بالهلكة رمى بالمحفظة الجلدية وكان قد جعل فيها الاوراق التي كان معوّلاً عليها للانتقام من شركآئهِ الوزرآء واذ ذاك وصل القطار الى هوة المنجم فسقط فيها وسُمع لهُ دويٌّ عظيمٌ وانفجارٌ هائل . واسرع دي لرناك فردّ الاخشاب والتراب كما كانت والتقط المحفظة ثم عاد ففصل الخطّ برفع القضبان الحديدية التي كان قد وُصل بها وهكذا خفيت هذه الحادثة تمام الخفآء ولم يدرِ بها احدٌ سوى المشتغلين بها

وقد مضى على هذه الواقعة ثماني سنين وهي مستورة تحت طي الكتمان الى ان وصلنا الى السنة الحاضرة ونشأت قضية دريفوس وحُكم على هربرت دي لرناك بالموت فكتب هذه الرواية وايدها بالبراهين والشواهد وذيلها بما يأتي قال

والآن اعترف بانني لما سلّمت اوراق كرتال الى حضرات الوزرآء اخفيت منها اثنتين هما اعظمها اهميةً وانا قادرٌ ان اقوّض بهما اركان الوزارة الفرنسوية اذا لم تبادر لانقاذي في الحال . وهذه روايتي ازفها الى حضرات الكنت ... والجنرال ... والبارون ... تذكرةً لهم وتنبيهاً وان دعت الحال اعدت نشرها مصرّحاً فيها بذكر الاسمآء من غير توريةٍ ولا اخفآء

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ومن ذلك قولهم عهِد اليهِ امر كذا فيستعملون عهِد متعدياً بنفسهِ والصواب تعديتهُ بالى قال في لسان العرب ويقال عهد اليّ في كذا اي اوصاني . . ومنهُ قولهُ عز وجل الم اعهد اليكم يا بني آدم يعني الوصية والامر والعهدُ التقدم الى المرء في الشيء . اه . وقد علمت معنى التقدم في محلهِ

ومن ذلك قول بعضهم ينبغي عليك ان تفعل كذا فيعدّونهُ بعلى لظنّهم انهُ بمعنى يجب وليس كذلك لانهُ في الاصل مطاوع بغى الشيء بمعنى طلبهُ فكانهُ قيل ينطلب لك وان كان لا يجوز ان يقال انبغى وانطلب بهذا المعنى ولكنهُ من الالفاظ التي جرت كذلك على ألسنة العرب وأُلزمت وجهاً من الاستعمال لا تتعداهُ . وهو يستعمل عندهم بمعنى يجوز ويصلح ويتيسر ولم يسمع عنهم الا موصولاً باللام ومنهُ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر وما علمناهُ الشعر وما ينبغي لهُ . ولا يكاد يستعمل الا بصيغة المضارع كما رايت ولذلك يعدّهُ اكثرهم من الافعال الغير المتصرفة

ومن هذا القبيل قولهم هذا العمل يقتضي لهُ كذا من النفقة وقد جُمعت لهُ الاموال المقتضية فيستعملون هذا الحرف لازماً بمنزلة يجب وهو لا يُستعمل كذلك البتة لان اقتضى هنا بمعنى طلب يقال افعل ما يقتضيهِ كرمك اي ما يطالبك بهِ كما في الاساس . فالصواب ان يقال هذا العمل يقتضي كذا من النفقة باستعمال الفعل متعدياً مسنداً الى ضمير العمل وقد

جُمعت لهُ الاموال المتقضاة بصيغة اسم المفعول

ومثلهُ قولهم هذا الامر قاصرٌ على كذا اي مقصورٌ عليهِ لا يتعداهُ الى غيرهِ فيستعملون هذا الحرف لازماً ايضاً لا تكاد تجدهُ في كلامهم الا كذلك وهو غريب . قال في لسان العرب قصرتُ نفسي على الشيء اذا حبستها عليهِ والزمتها اياهُ .. وقصرت الشيء على كذا اذا لم تجاوز بهِ الى غيرهِ يقال قصرتُ اللقحةَ على فرسي اذا جعلت درّها لهُ وناقةٌ مقصورةٌ على العيال يشربون لبنها . اه

ويقولون فلان من ذوي الشهامة يعنون المروءة وعزة النفس وليس ذلك في شيء من كلام العرب ولكن الشهم عندهم الذكيّ المتوقد الفؤاد ويجيء بمعنى السيّد النافذ الحكم في الامور وقال الفرّاء الشهم في كلام العرب الحَمُول الجيّد القيام بما حُمّل وكلهُ بعيدٌ عن المعنى الذي يريدونهُ كما ترى

وقريبٌ من ذلك قولهم فلان طاهر الذيل يريدون انهُ ظلِف النفس منزّهٌ عن المطامع الدنيئة والمكاسب الممقوتة ولا معنى لطهارة الذيل هنا كما لا يخفى ولكن لهذه الكناية معنى آخر لا يخفى على اللبيب ومثلها هو عفيف المئزر ونقيّ الثياب وطاهر الحُجزة وطيّب معقد الإزار قال النابغة

رقاق النعال طيّبٌ حُجُزاتهم   يحيّون بالريحان يوم السباسبِ

ويقولون غصنٌ يانع اي نضير او رطب وكذا زهرةٌ يانعة وروضٌ يانع ولا يأتي ينع بهذا المعنى انما يقال ثمرٌ يانع وينيع اي ناضج وقد ينع الثمر وأينع اذا ادرك وحان قطافهُ واليانع ايضاً الاحمر من كل شيء وثمرٌ يانع اذا لوّن . ومن الغريب ان هذا الوهم ورد في كلام اناسٍ من المتقدمين وممن

وهم فيهِ الحريريّ صاحب درّة الغوّاص قال في المقامة النصيبية « وكان يوماً حامي الوديقة يانع الحديقة » وفسّر الشريشيّ يانع الحديقة بقولهِ « ناعم الروضة » وجآء للشريشيّ ايضاً في خطبة شرحهِ « ولم يزل في كل عصر من حَمَلتهِ بدرٌ طالع وزهر غصن يانع » . ومن كلام القاضي شهاب الدين ابن فضل الله « حتى تدفق نهرهُ وايتع زهرهُ » رواهُ صاحب فوات الوفيات وقال الصفديّ

يا من حواهُ اللحد غصناً يانعاً وكذا كسوف البدر وهو تمامُ

وهو كثيرٌ في كلامهم ووقوع مثل هذا من امثال هؤلآء الائمة في منتهى الغرابة

ويقولون اخذت بناصر فلانٍ يعنون اخذت بيدهِ ونصرتهُ وهو غير مسموع عن العرب ولا يظهر لهُ وجهٌ في اللغة

ومثلهُ قولهم فعلت هذا لصالح فلانٍ اي لمصلحتهِ ومنفعتهِ وهذا الامر من صالحي وهي الصوالح ولم يأتِ الصالح في شيء من اللغة بهذا المعنى وانما هو من كلام العامة

ويقولون أنِم بفلانٍ من رجل اي نِمَ الرجل هو فيأتون بهِ على صيغة أفعِل على حدّ أكرم بهِ مثلاً ومنهم من يجمع بينهما يقول انم بهِ واكرم وهي من العبارات الشائعة على ألسنة العامة . ومعلومٌ ان أنِم بهِ صيغة تعجب فهو بمعنى ما أنعمهُ كما ان أكرِم بهِ بمعنى ما اكرمهُ وحينئذٍ فاشتقاقهُ من النعومة او النَّعمة لا من نِعمَ التي هي فعل مدح لان هذه من الافعال الجامدة التي لا تُبنى منها صيغة التعجب

ويقولون ارفقتهُ بكذا وجآء مرفوقاً بفلان وارسلت الكتاب برفق

فلان اي برفقته وكل ذلك بعيدٌ عن استعمال العرب لان فعل الرُفقة لا يتجاوز المفاعلة وما في معناها يقال رافقتهُ وترافقنا وارتفقنا ولا يقال ارفقت فلاناً بفلان ولا رفقتهُ بهِ . على ان المرافقة لا تكون الا في السفر فان اريد مطلق الصحبة قيل اصحبتهُ الشيء واستصحبتهُ كتابي

ومن ذلك قولهم يخال لي ان الامر كذا بفتح الياء او ضمها على ان الفعل مجرَّد او من باب أفعل مبنياً للمجهول وكلاهما غير صواب لان خال المجرَّد لا يكون الا متعدياً تقول خلت الامر كذا ولا تقول خال لي الامر وأخالَ لا يكون الا لازماً تقول أخالَ الامرُ اخالةً اذا اشتبه والتبس وهو امرٌ مُخيل . والصواب يخيَّل اليَّ ان الامر كذا من باب التفعيل وقد خُيِّل اليَّ انهُ كذا بالبناء فيهما للمجهول

ويقولون احطتهُ علماً بالامر اي انهيتهُ اليهِ واعلمتهُ بهِ فيجعلون هذا الفعل متعدياً وهو لا يكون الا لازماً يقال احطتُ بالامر واحطتُ بهِ علماً لم يُسمَع فيهِ غير ذلك (ستأتي البقية)

الدورتان الهوائية والمائية

لحضرة الاديب امين افندي مرشاق

تتقلب بنا الاحوال وتتعاقب علينا الايام والليال ونحن بين قعودٍ وقيام ويقظةٍ ومنام وراحةٍ وعناء وسعادةٍ وشقاء والطبيعة سائرة بحسب الشرائع التي سنها لها مبدع الاكوان لا تخالفها ولا تتعداها ولا تتخلف عنها ولا تتخطاها فبينا يكون الانسان غائصاً في مهماتهِ واشغالهِ

او مشتغلاً بصحبهِ وعيالهِ او لاهياً بمسراتهِ وافراحهِ او هائماً في اودية شجونهِ واتراحهِ تبقى تلك قائمةً على اعمالها آناء الليل واطراف النهار لا يأخذها ملال ولا يمروها كلال ولا تطلب راحةً ولا تكتحل بمنام ولا ينالها سغبٌ ولا اوام ولا تعبث بها تقلبات الاحوال ولا يقعدها حبوط مسعى ولا اخلاف آمال . ومن العجيب اننا مع ما نرى من اختلاف اعمال الطبيعة بيننا بما يبدّل كل يوم من احوالنا ويتوقف عليهِ امر سعادتنا ووبالنا قلما نتفطن لمراقبة تلك الاعمال بما يكشف من سرّها ويقفنا على حقيقة امرها الا ما تمس اليهِ حاجة الاضطرار او تسوقنا الى التنبه لهُ ايدي الاقدار فكاننا نكتفي بما نال ونتعلل بقول من قال خذ من جذع ٍ ما اعطاك ولا تسل كيف ذاك فانهُ قلما تهب الرياح فنهتم بالبحث عن سبب هبوبها او تنسكب الامطار فنتنبه للسؤال عن كيفية ارتفاعها ونزولها او تتساقط الثلوج فنسأل عن كيفية تكوّنها وسقوطها مع ان هذه الامور من اقرب الحوادث الكونية منا مكاناً ومن ادناها الى البحث امكاناً ومن اهمها بالنسبة الينا عرفاناً اذ هي السبب في قيام ابداننا واحيآء نباتنا وحيواننا فانهُ لولا الامطار التي تخرج منافع الارض بسقياها والرياح التي تعدّل طبائع الجوّ بتنقلها ومسراها لبطلت عوامل الطبيعة في الارض فكانت قاعاً بوراً ولساد الموت فيها على الحياة فعادت قفراً مهجوراً

ولما كان هذان العنصران بهذه المنزلة من حياة الكائنات وكان امرهما مما يهم كل عاقل يبحث عن علائق الاسباب والمسبَّبات راينا ان

نتكلم عن حركتهما في الكون بالاختصار وبيان ما يطرأ عليهما من التقلبات والاطوار ونبدأ اولاً بذكر الرياح فنقول

من الامور المعلومة ان الهوآء الذي يحيط بنا هو مادّة غازية مركبة من دقائق صغيرة عارية عن اللون والرائحة والطعم ذات ثقل معلوم وحجم يشغل حيزاً . وهو يحيط بالكرة الارضية من كل الجهات على مسافات شاسعة من سطحها قدّرها بعضهم بخمسين ميلاً وبعضهم بمئتين واوصلها بعضهم الى خمس مئة ميل وغالب المحققين على انها بين مئتين ومئتين وخمسين ميلاً. ولا يخفى ان من خصائص المادة عموماً انهُ كلما ارتفعت درجة حرارتها ازداد حجمها بالتمدد فاذا احمينا قطعة حديد مثلاً نرى حجمها قد صار اكبر مما كان عليهِ قبل الاحمآء. وهذا الناموس اي ناموس التمدد عند الاحمآء يصدق على جميع انواع المادة ما عدا بعضاً من المعادن والمآء . اما المآء فحجمهُ يتقلص كلما ارتفعت حرارتهُ فوق درجة الجمد حتى يبلغ ٤° من السنتغراد وبعد ذلك يتبع الناموس العام ولذلك نرى الجمد يطفو على وجه المآء وذلك لان ثقلهُ النوعي اقل من ثقل المآء النوعي وبعبارة اخرى لان الجمد اخف من المآء مع ان حرارتهُ اقل من حرارة المآء العادية بعدة درجات . وما ذلك الا دليل على حكمة الباري جل وعلا فلولا وجود هذه الصفة الخاصة في المآء لكان الجمد الذي يتكون بمقادير عظيمة في الاصقاع الشمالية والجنوبية يغوص الى اعماق البحر حيث لا تصل اليهِ حرارة ولا تؤثر فيهِ الرياح فيزحف بخيلهِ ورجلهِ من الشمال والجنوب ولا يطول الحال حتى يملأ البحار ويقف حركات العالم باسرهِ

وقد سبق ان الاجسام كلما ارتفعت درجة حرارتها تمددت وتباعد بعض ذرّاتها عن بعض وذلك ظاهر في السوائل اكثر منهُ في الجوامد وفي الغازيات اكثر منهُ في السائلات ولذلك اذا سخنّا مقداراً من الهوآء تمدد حالاً وتباعدت دقائقهُ بعضها عن بعض وبذلك ينقص ثقلهُ عن ثقل الهواء المحيط وحينئذٍ فلا بد لهُ ان يرتفع الى الاعلى تاركاً ورآءهُ حيزاً فارغاً ولما كانت الطبيعة تأبى الفراغ فانهُ حالما يرتفع يسرع الهوآء من كل الجهات او من بعضها ويشغل محل الهوآء المرتفع وهذا الانتقال هو الذي ينشئ ما نسميّهِ ريحاً . ولا نبعد المرمى في ايضاح ما تقدم فلو اوقدنا ناراً في غرفةٍ مغلقة وصبرنا قليلاً حتى يسخن ما فيها من الهوآء ثم فتحنا باب تلك الغرفة بعض الفتح واخذنا شمعتين مشتعلتين ووضعنا احداهما عند اسفل الباب والاخرى عند اعلاهُ لرأينا لهيب الشمعة السفلى ينقذف الى الداخل ولهيب العليا ينقذف الى الخارج . وذلك لان الهوآء الحار ارتفع الى الاعلى فلما فُتح الباب خرج من قسمهِ العلوي ودخل الهوآء البارد من الاسفل ليشغل محل الهوآء المرتفع . وعليهِ فلا نعجب اذا رأينا الريح تهبّ على اماكن الحريق بشدة مع انها كانت قبل ذلك راكدة اذ ان هذا من الامور الضرورية حينئذٍ فان نيران المكان المحترق تسخّن طبقات الهوآء التي فوقها فترتفع هذه ويتوارد ما حولها من الهوآء البارد الى محلها وذلك يسبب ريحاً كما تقدم فيزداد بها استعار النيران وقوة التهابها وكلما ازدادت قوة النيران ازدادت سرعة ارتفاع الهوآء فازدادت حركة الريح قوةً وهلمّ جرّا

اما الرياح العادية فاشهر اسبابها انعكاس اشعة الشمس على طبقات

الهوآء السفلى فتحميها وتمددها وترفعها وعند ارتفاعها يخلو مكانها فيجري اليهِ ما يجاورها من الهوآء البارد حتى يسخن فيرتفع ايضاً ويملأ مكانهُ الهوآء المجاور فتتابع بذلك حركة الريح الا انها عند ارتفاع ما سخن من الهوآء تكون حركتها عمودية وعند انجذاب ما يجاورهُ من الهوآء البارد الى مكانهِ تكون حركتها افقية . ثم ان الهوآء الذي يرتفع الى الطبقات العليا يتمدد هناك الى كل جهة فيبرد ويتقلص وعند ذلك يسود فينزل الى سطح الارض الى المكان الذي ارتفع عنهُ اولاً فاذا سخن عاد فارتفع ايضاً وهكذا تتم الدورة الهوآئية وهي اولى الدورتين اللتين فيهما كلامنا في هذه المجالة

واما الدورة الثانية وهي الدورة المآئية فلا يخفى ان الشمس تفعل على مياه الارض فتحوّل بحرارتها قسماً عظيماً منها الى بخار مآئي وهي قائمة على عملها هذا ليلاً ونهاراً صيفاً وشتآء ربيعاً وخريفاً ومع ان هذا العمل لا ينقطع مدة الفصول الاربعة فاهميتهُ لا تظهر الا في فصل الشتآء لان حرارة الهوآء في بقية الفصول لا تدعهُ يظهر بالهيئة التي يظهر فيها في هذا الفصل . ثم ان البخار المآئي اخف من الهوآء ولذلك يطفو في طبقات الهوآء العليا وهو مركب من فقاقيع صغيرة من المآء لا لون لها تبقى متباعدة بعضها عن بعض ما دامت حرارة الهوآء التي تتخللها في درجة تحفظها على تلك الحالة ولكن متى ارتفع هذا البخار الى طبقاتٍ ابرد تتقلص دقائقهُ وتجمع بعضها الى بعض وحينئذٍ يظهر لنا جسماً فنسميهِ غيماً . وللغيوم اشكال وانواع مختلفة لا محل لوصفها هنا وهي تبقى سابحةً في الهوآء الى ان يشتدّ بردهُ فيقلص اجزآءها ويضم تلك الفقاقيع الصغيرة بعضها الى بعض فتصير

قطراتٍ كبيرة لا قوة للهوآء على حملها فتسقط الى الارض ونسميها مطراً .
هذا اذا لم تهبط درجة الحرارة قبل هذا التجمع الى درجة الجمد فاذا هبطت
الى تلك الدرجة او ما دونها تجمدت تلك الذرّات وسقطت الى الارض
بهيئة الثلج . اما البَرَد فيحصل من تجمد قطرات المطر الكبيرة بعد ان
تنفصل من الغيم لا عن تجمد الذرّات البخارية وهذا هو الفرق بين تكوُّن
البَرَد وتكوُّن الثلج

ثم ان المياه التي تسقط الى الارض تنقسم الى اربعة اقسام قسمٌ منها
يسيل على وجه الارض ويجرف اوساخها وترابها ورملها وحصاها ويذهب
بها توّاً الى البحر . وقسمٌ منها يتحوّل الى بخار قبل ان يصل الى البحر ويعود
فيسقط مطراً او ثلجاً او برداً . وقسمٌ منها يتغلغل في الارض ولا يظهر على
سطحها البتة بل يخرق طبقاتها على اتجاهات مختلفة الى ان يصل راساً الى
البحر . والقسم الرابع يخرق الارض الى اعماقٍ متفاوتة ثم يعود فيظهر
بالتدريج بمظاهر مختلفة كالانهار والينابيع ومياه الآبار وبعد ان يجري على
سطح الارض ويطفئ غليلها ويروي اوام حيوانها ونباتها يودّعها بدمعهِ
المدرار ويعود الى مقرّهِ الاصلي الذي خرج منهُ قبل ذلك بمدةٍ لا تنيف
على بضعة اشهر وهكذا تتم الدورة المآئية التي تتبّعنا خطاها من البحر الى
البحر وبها تم وصف هاتين الدورتين اللتين جعلتا كرتنا الارضية تاج السيارات
مع انها تُعَدّ بين اصغرهنّ

اقتصاد الطبيعة والانسان

تمرّ اطوار الحياة من امام مشهد الوجود متتابعةً متسابقة دون ان يُسمح لها بوقفةٍ ولا مقام كانها البرق يومض حيناً ثم يتوارى اوكانها حلقةٌ تدار فلا يلبث ان يتصل منها المبدأ بالختام

وتتوالى القرون طاويةً الالوف والملايين من بني الانسان والشرائع الطبيعية العاملة في الكون ثابتةٌ لا تتغير بتغير الازمان ولا تتبدل بتبدل الاعصار ويمرّ الانسان بالكائنات فيظنها كانت في سالف القرون كما تراها الآن العيون وما هي بالحق كذلك لان سنة التغير عامل مؤثر على كل موجود لا ينقرض حتى ينقرض الوجود

فالجبال الشامخة الضاربة الى الملآء سيباً تتفتت من دور الى دور فتعود هضاباً وسهولاً والسهول المنبسطة تجرفها السيول فتصبح بعد حين اخاديد واغواراً والاماكن المغمورة بالمياه تتحول الى يبس واليبس يصير ماء وكم من اماكن يقطنها الآن البشر وقد كانت من قبل مأوى لاسماك البحار وكم من بحارٍ تعوم في لجها السفن كانت مدناً حافلة بالسكان مستجمعة لأسباب المدنية والعمران

فاذا رايت الدخان يتصاعد متلبدًا الى الملآء ثم رايت طبقاتهِ تتفرق متبددة في انحاء الفضاء تذهب بها الرياح كل مذهب حتى تستولي عليها ايدي الفناء فاعلم ان تلك الطبقات لم تبدْ ولم تتلاشَ وانما هي قائمة بين ذرات الهواء حتى اذا جاء وقت عملها تجمعت فتحولت سحاباً ثم تحوّل ذلك

السحاب ديمةً مدرارًا تخذ في الارض قراراً الى ان تأتي اشعة الشمس وتردها بخاراً فترجع الى ما كانت عليهِ ثم تحوّل ثانيةً ولا تزال تتعاقب كذلك الى ما شاء الله

واذا احرقت القطعة من الورق وذرّيت رمادها في الهوآء وانت تظن انك قد ازلت اثرها من الوجود فاعلم انك لم تأتِ شيئاً من ذلك فانها باحتراقها قد تحللت الى عناصرها فطار بعض تلك العناصر في الهوآء وجذبت الارض بعضها فرسب على اديم الغبرآء واصبح كلٌّ منهما معدًّا لان يدخل في تركيب جديد ويظهر بمظهرٍ آخر في الوجود

واذا القيت بالفضلة من الاشيآء في جوف الارض ثم تفقدتها فلم تقف لها على اثر بعد حين فهي كذلك قد انحلت فاتحد كل عنصرٍ منها بما يلائمهُ ليقوم بعمل آخر بين الكائنات فينتشر بعد العفاء بثوبٍ من البهاء قشيب ومظهرٍ من الحياة جديد وما هو الا ما نرى من نضارة النبات وغضارتهِ التي تشوق الناظرين

وقس على ما ذكر باقي التغيرات والتحوّلات الطبيعية التي تجري كل يوم ونحن لاهون عن معرفة حقيقتها بعيدون عن ادراك ماهيتها بحيث ترى هذا الكون اشبه بمعملٍ كيماوي عظيم يتحول بهِ كل ما في الوجود الى ما يصلح لهُ حتى اذا ادّى خدمتهُ عاد فتحوّل الى شكلٍ آخر ليقوم بخدمةٍ اخرى ولا يزال العمل دائباً والتحول متعاقباً ويدُ الطبيعةِ القادرة تصرّف العمل ببراعة غريبة واقتصاد عجيب والله خالق الكائنات وواضع شرائعها مذ امرها ان تكون

وقد راقب الانسان الطبيعة في كل عصوره فادرك شيئاً كثيرًا من اسرارها وتعلم منها كثيراً من القواعد الاقتصادية فعرف قيمة الموجودات واستخدم كلاً منها فيما يفيده في ضروريات معيشته او كمالياتها وما زال يترقى في معارفه عصرًا بعد عصر متدرباً على الطبيعة استاذه الاعظم حتى بلغ الى ما نراه عليه الآن من التفنن والابداع وبراعة الانتفاع بكثير من الاشياء التي كانت تُنبذ من قبل على انها فضلات لا نفع لها او اقذارٌ يشمئز منها النظر . ونحن نذكر هنا بعض الطرق الاقتصادية التي توصل اليها الانسان في حالة مدنيته فمن ذلك ان دقيق الفحم الذي كان يلقى من قبل كشيء غير ذي قيمة اصبح الآن يباع في لندرا بثمن غير بخس فيؤخذ وينتفع به وذلك انهم يضيفون اليه مقدارًا من الكلس ثم يخلطونه بكسار الحصى الدقيقة ويفرغونه في قوالب مخصوصة ثم يعرضونه للحرارة مدة ثم للهواء فيصبح متيناً متلاحم الاجزاء فيستخدمونه لترصيف الشوارع واقامة الابنية

والخرق البالية يصنعون من القطنية منها الورق كما يعلم الكل وقد ازدادت اسعارها في السنين الاخيرة زيادةً باهظة حتى اضطروا ان يستعيضوا عنها بمواد اخرى ارخص اثماناً . واما الصوفية فيحولونها الى رماد يتخذونه سماداً للاراضي فيفيدها فائدة كبيرة لما فيه من المواد النتروجينية . والورق الذي قد سُوِّد بالكتابة او بالطبع ولم يبق له فائدة يجمعون قطعهُ ويميزون بعضها من بعض فما كان منها نظيفاً يستعملونهُ في عمل الورق الابيض ثانيةً بعد ان يزيلوا ما عليهِ من تأثير الحبر ببعض المواد

الكياوية وما كان منهُ ملطخاً باقذار لا يمكن نزعها يدخل في عمل الورق المضغوط وهكذا ينتفعون بفضلاتهِ فلا تذهب ضياعاً

وينتفعون من العظام بطرق كثيرة فانهم يغلونها ويستخرجون منها الدهن والجلاتين فيستخدمون الدهن لعمل الصابون واشيآء اخرى كثيرة واما الجلاتين فليس من يجهل ما لطبقاتهِ الرقيقة الجلية من الفائدة وكثرة الاستعمال . ثم انهم يتخذون من قطع العظام الصغيرة المتكسرة سماداً للارض بعد احراقها ومعالجتها بالحامض الكبريتيك وهو اجود انواع السماد لما فيهِ من الفسفات الذي يزيد الارض قوةً وخصباً . والقطع الكبيرة يصنعون منها ادوات شتى وقد تؤخذ برادتها الناعمة فتحرق ويعمل منها مسحوق لتنظيف الاسنان

والقطع الزجاجية المتكسرة تؤخذ وتذاب ثانيةً ويعمل منها اوانٍ اخرى حتى اذا استُعملت وتكسرت ايضاً اعادوا عملها وتحويلها ولذا فانا نستعمل كثيرًا من الاواني الزجاجية التي مضى عليها اعوام بل قرون كثيرة وهي تتحول من شكلٍ الى آخر حتى بلغت الى الشكل الذي وصلتنا عليهِ

واما جثث الحيوانات التي نشمئزّ من النظر اليها فنلقيها بعيدًا ونرميها في مجاهل الارض حتى لا يهتدى اليها ففي اوربا يأخذون امثال هذه الجثث وينتفعون بكل جزء من اجزائها فجثة الحصان مثلاً يستعمل شعرها في صناعة البُسط ويستخدم الجلد فيما يصلح لهُ من عمل الفرآء او القفافيز او غير ذلك ويتخذون من الامعآء اوتارًا غليظة تستخدم في الاعمال ويستخرجون من الحوافر موادّ ملوّنة وهي الصبغ المعروف بازرق بروسيا وينتفع بالعظام على

الوجوه التي مرّت وهكذا فقد يبلغ ما يُكتَسب من جثة الحصان الميت اضعاف ثمنهِ اذا كان حياً

وغير ذلك كثيرٌ من الطرق الاقتصادية والصناعية التي يأتيها الاوربيون في عصرنا الحاضر وقد بلغوا فيها من التفنن والابداع والحذق في استخراج المنافع ما يشهد لهم بانهم قد بلغوا الى اقصى الغايات التي يمكن ان يتوصل اليها العقل الانساني وما ذلك الاَّ بفضل العلم وادمان البحث والاكتشاف حتى القت اليهم الطبيعة بمقاليدها وكاشفتهم بمكنون اسرارها . واين حالهم هذه من حال الشرقي الذي اذا ذكرنا امامهُ مبلغ الغربيين في تفننهم وترقيهم في صناعاتهم كنا كمن يروي لهُ عجائب اخبار الجبابرة او خرافات العصور الغابرة او نصف لهُ حوادث خيالية تمثلها النفس وينكرها الحس وما ذلك الاَّ لانا رضينا بالجهل اليفاً واتخذنا الخمول حليفاً كاننا لم نخلق الاَّ لنكون عيالاً على الامم المتمدنة في هذا العصر او طعمةً لها تتخطفنا اطماعها من كل جانبٍ ونحن غافلون

على انهُ ليس من ينكر ذكاء اذهاننا وخصب اوطاننا وان فينا قابليةً لكل عمل سوى ان هممنا قاعدة وافكارنا خامدة وايدينا مغلولة ولا غلٌ لها الا الكسل وما دمنا كذلك فنحن منساقون الى هوَّة الدمار والاضمحلال الا ان يقيض الله لنا هبّةً نخرج بها من ذلك الاهمال والله سبحانهُ وتعالى ولينا وهو محقق الآمال

موسى صيدح

مطارحات

حل المسئلة الرياضية المدرجة في الجزء التاسع من الضياء

بقلم حضرة الاديب امين افندي مرشاق

لحل هذه المسئلة حلاً رياضياً ينبغي ان نعتبر القميص كاسطوانة فارغة علوها علو كافور اي ١٦٠ سنتيمتراً وقطرها بقدر عرضهِ اي ٤٠ سنتيمتراً ولتقريب الحلّ وتقليل المفروضات لا بأس ان نتسامح بحذف الاكمام في مقابلة ما نربحهُ من الاتساع في مواضع مختلفة من بدن القميص

وعليهِ فاذا اعتبرنا القميص بمنزلة اسطوانة تكون مساحتهُ ٢٠١٠٦،٢٤ سنتيمترات مربعة وذلك لان مساحة الاسطوانة تعدل القطر × π × العلو = ٤٠ × ٣،١٤١٦ × ١٦٠ = ٢٠١٠٦،٢٤ سنتيمترات مربعة .

ومقدار جرم الاسطوانة اي مقدار موسوع القميص يعدل ٢٠١٠٦٢،٤ سنتيمتراً مكعباً . وذلك لان الجرم يعدل مربع نصف القطر × π × العلو = ٤٠٠ × ٣،١٤١٦ × ١٦٠ = ٢٠١٠٦٢،٤ سنتيمترًا مكعباً

اما الاكياس فلأن جميع اقطارها متساوية فهي معتبرة ككرات تامة فتكون مساحة كل منها تعدل ٣١٤،١٦ سنتيمترًا مربعاً لان مساحة الكرة تعدل مربع القطر × π = ١٠٠ × ٣،١٤١٦ = ٣١٤،١٦ سنتيمترًا مربعاً وموسوع الوحد منها يعدل ٥٢٤،٦٥ سنتيمترًا مكعباً لان جرم كرة يعدل مساحتها × ⅙ قطرها = ٣١٤،١٦ × ١،٦٦٧ = ٥٢٤،٦٥ سنتيمترًا مكعباً

الجواب

(١) لو اخذنا القميص واعدناهُ اكياساً لكان ٦٤ كيساً وذلك ينتج من قسمة ٢٤ ، ٢٠١٠٦ (مساحة القميص) على ١٦ ، ٣١٤ (مساحة كل كيس) = ٦٤

(٢) تكون جملة موسوع الاكياس٦ ، ٣٣٥٧٧ سنتيمترًا مكعباً وذلك ينتج من حاصل ٦٤ (عدد الاكياس) × ٦٥ ، ٥٢٤ (موسوع كل منها) = ٦ ، ٣٣٥٧٧ سنتيمترًا مكعباً

(٣) لو ملأنا القميص دراهم واردنا ان نفرغهُ في اكياس من حجم الاكياس التي مرَّ ذكرها للزمنا ٣٨٣ كيساً وذلك يخرج من قسمة ٤ ، ٢٠١٠٦٢ (موسوع القميص) على ٦٥ ، ٥٢٤ (موسوع كل كيس) = ٣٨٣ كيساً على التقريب اي ان الاكياس التي اخذها من الممدوح ينبغي ان تضاعف ست مراتٍ حتى تطابق قول المادح . انتهى

وجآءنا حل هذه المسئلة ايضاً من حضرات الادباء نقولا افندي الحدّاد وسلامة افندي نصر وحبيب افندي لبأد في مصر وشكري افندي النحاس من طلبة المدرسة البطريركية في بيروت فاكتفينا بنشر الاسبق

من كلام بعض البلغآء - الدنيا ان اقبلت بلت وان ادبرت برت او اطنبت نبت او اركبت كبت او اسعفت عفت او اينعت نعت او اكرمت رمت او ماجنت جنت او سامحت محت او باسطت سطت - فهل من مزيد

مُتَفَرِّقَات

اطالة الحياة ـ عثرنا في احدى المجلات العلمية على ذكر محاضرة عقدها بعض نطس الاطبآء في برمنغام للبحث عن ذرائع طول الحياة فتلا فيها الدكتور جمس سويرَ الوصايا الآتية زعم انهـا القواعد التي ينبغي التزامها لمن احبَّ ان يعيش مئة عام وهي وان لم يمكن الجزم بانها تبلّغ الى هذه الغاية فلا ريب انها من انفع الوصايا الصحية التي تقتم مع مراعاتها سلامة الجسم والبعد عن التعرض للعلل وبالتالي فلا شك انها تفيد في اطالة مدة الحياة وهي هذه

(١) ان تكون مدة النوم ثماني ساعات

(٢) ان يكون الاضطجاع على الجانب الايمن

(٣) ان لا يكون السرير متصلاً بالحائط

(٤) ان لا يُنتضح بالمآء البارد في الصباح ولكن يتخذ حمّام بدرجة حرارة الجسم

(٥) ترويض الجسم قبل اتخاذ الغدآء

(٦) تقليل مقدار اللحم في الطعام مع تحرّي النضج التام

(٧) اجتناب شرب اللبن (فيما فوق سن الرضاع)

(٨) الاكثار من تناول الشحم (الدهن) لتغذية الحويصلات التي تقتل جراثيم الامراض

(٩) اجتناب المتاولات السامة التي تتلف هذه الحويصلات

(١٠) ادمان الرياضة كل يوم في الهوآء المطلق

(١١) ان لا يُجعل في غُرَف السكنى شيءٌ من الحيوان اجتناباً لما قد يحملهُ من جراثيم الامراض

(١٢) العيش ان امكن في البرّية

(١٣) الاقتصار على شرب المآء واجتناب الرطوبة والبعد عن مجاورة مصارف الدور

(١٤) التزام المراوحة في الاشغال

(١٥) اتخاذ راحة قصيرة كل مدة بعد مدة

(١٦) وضع حدٍّ لمطامع النفس وتطلباتها

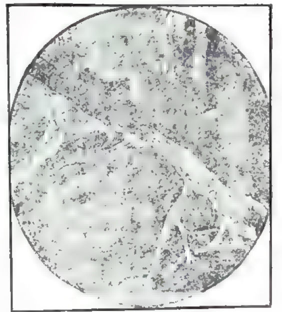
(١٧) مقاومة الطبع والاستيلآء على ازمة الاهوآء

السمك الدبّاب ـ لايخفى ان لبعض الاسماك قوةً على استعمال زعانفها للدبيب في حضيض البحار فاذا كان في خياشيمها والحالة هذه ما تستطيع بهِ ان تستنشق الهوآء مدةً امكنها ان تقطع مسافاتٍ في البرّ طلباً لقوتها او لماء آخر تعيش فيهِ اذا نضب المآء الذي كانت فيهِ اولاً

وللسمك صبرٌ عن المآء اكثر مما يُظَنّ فان الجرّيّ (الانكليس) لضيق سمّ آذانهِ يستطيع ان يختزن المآء الى مدةٍ طويلة في خياشيمهِ فيعيش عدة ايام في الهوآء ولهُ عوائد برية بينة فانهُ في الليل او عند الفجر ينتقل من جحرٍ الى آخر زاحفاً على الكلأ الرطب واذا انتشر في المزارع اكل

النبات وربما كان مؤذياً وهو شديد الولوع بالحمّص

وقد ذكر بعضهم ان على شواطئ الاتلنتيك من اميركا الجنوبية صنفاً من السمك يُعرَف بالمَلْث ليس في بناء جسمهِ ما يمكنهُ من العوم كسائر الاسماك فيضطر ان يمشي مشياً او يقفز كالحرباء . ومنافذ خياشيمهِ ضيّقة



جدًّا بحيث ان لهُ استطاعةً ان يدّخر الماء فيها زمناً طويلا . وهو سمك غريب في مقدم راسهِ شبه قرنٍ مستطيل ولهُ ذنبٌ طويل في طرفهِ زعنفةٌ كثيفة لحيمة وليس في ظهرهِ الا ثلاث او اربع شوكاتٍ صغار من شبه الزعانف الظهرية . واما زعانف صدرهِ وهي صغيرةٌ جدًّا ايضاً فانها اشبه بالارجل لكن لا غشاء بين اصابعها وكذا الزعانف البطنية وهي ذات مفصلٍ

حقيقيٌّ وفي طرفها فرسٌ عريض

وقريبٌ من الملث سمكٌ بالهند يسمى بالأنباس وآخر بياوا من جزُر ملقّا يقال لهُ النوراسي وكلاهما من السمك الدبّاب . وجاء في تاج العروس في الكلام على الشِلق بالكسر او بفتح فكسر انهُ سمكةٌ صغيرة او على خلقة السمكة لها رجلان عند الذنب كرجل الضفدع لا يدان لها تكون في انهار البصرة وقيل هي من سمك البحرين وليست بعربية . اه .

ومن هذ الصنف ضربٌ يقال لهُ البَرَفْتلمُس هو الذي تراهُ في الشكل يكون على الشواطئ ما بين البحر الاحمر الى استراليا يبلغ طولهُ نحو الشبر ولهُ الوان ناصعة يقضي جانباً من حياتهِ في الحمأة والجانب الآخر في البرّ على الاشجار الّا انهُ أميَل الى الظلّ ويقتات بالحشرات . وعينا هذا السمك جاحظتان جداً قريبةٌ احداهما من الاخرى وجفونهُ منحسرة وزعانفهُ الصدرية متسعة جداً فيستطيع بها ان يقبض على اغصان الشجر ويزحف عليها بقوّة عضلهِ وزعم بعضهم انهُ يطفر من الارض الى الاغصان الدانية فيتعلق بها وكل ذلك ولا شك من غرائب الاحوال في السمك

فوائد

تنظيف قِمَم قناديل البترول — ينبغي ان تنظَّف قمم هذه القناديل مما يملوها من الدخان مرةً في الشهر على الاقل وطريقة تنظيفها ان يوضع في لترٍ من المآء قطعة من بلور الصودا بقدر الجوزة وتُغمس فيهِ القمم ويُجعل على النار وبعد ان يغلي المآء مدة خمس دقائق تُرفع القطع وتغسل بالمآء البارد

فتعود كما كانت حال جدّتها

صفة انوار ملوّنة ـ وصف بعضهم الاجزآء الآتية

ـ للازرق السماوي		ـ للاصفر	
كحل (سبيريتو)	٣	كحل	٢٠
ملح نشادر	١	ملح بارود	١
ثاني كبريتات النحاس المكلس	٢	ـ للاحمر	
ـ للاخضر		كحل	٣
كحل	٣	نترات او كلورهدرات	
كلورهدرات النحاس	١	السرنتيان	١

يمزج كل فريقٍ من هذه الاجزآء في وعآء خزف ويوقد بواسطة فتائل مبلولة بالكحل

اسئلة واجوبتها

ميت غمر ـ جآء في كتاب الطرّة عن الغرّة المطبوع بالمطبعة الحنفية بدمشق ما نصهُ . . وقال ابن الجوزي في ذيل الدرّة قال السكري العامة تقول في جمع الجواب جوابات واجوبة وهو خطأٌ لان الجواب مصدر كالذهاب لا يجمع وقال سيبويه الجواب لا يجمع وقولهم جوابات واجوبة كثيرة مولد . اه .

فنرجو افادتنا عما نقولهُ اذا اردنا ان نقول مثلاً اتاني من فلان جواب

وجواب وجواب او اجابني بجواب وجواب وجواب هل تقول اتاني منه ثلاثة جواب او اجابني بثلاثة جواب اذا كان هذا اللفظ لا يجمع ام كيف

احمد الصراف

ملاحظ بوليس ابي نجاح

بمركز ميت غمر

الجواب ـ اذا اريد بالمصدر مجرَّد الحدث الذي يدلُّ عليهِ الفعل لم يثنَّ ولم يُجمع لانهُ موضوع للحقيقة المشتركة بين القليل والكثير كالقيام والقعود والنوم والمشي والقرب والبعد وما اشبه ذلك فلا معنى لتثنيتهِ وجمعهِ الا اذا اريد الدلالة على تكرر حدوثهِ اوكان وقوعهُ على هيئاتٍ مختلفة باعتبار ما يقارنهُ في الخارج فيثَّى ويُجمع باعتبار ذلك لا باعتبار الحدث في نفسهِ فتقول ضربتهُ ضربتين او ضربات وفي هذه المسئلة قولان او اقوال ومنهُ تظنون بالله الظنونا والتحيَّات والتسليمات وغير ذلك . وكذا اذا نُقل الى الذات كالهبة والرهن المراد بهما الشيء الموهوب او المرهون لانهُ خرج حينئذٍ عن كونهِ حدثاً مجرداً ومن هذا القبيل الجواب على ان المراد بهِ اللفظ المجاب بهِ او الكتاب الذي يتضمنهُ فانك تثنيهِ وتجمعهُ تقول اجابني ثلاثة اجوبة واتاني منهُ ثلاثة اجوبة

على ان الجواب في الحقيقة اسم مصدرٍ كالعطآء لا مصدرٌ كالذهاب على ما قالهُ العسكريّ لان أفعل لا يجيء مصدرهُ على فَعال وهو في الاصل اسمٌ لما يجاب بهِ كما ان العطآء اسمٌ لما يُعطى وقد صرَّح بجمعهِ في المصباح على نفس الصورة التي انكرها العسكريّ والله اعلم

فكاهات

رواية

الكيد في النحر[1]

بينما كانت احدى البواخر الانكليزية التي تمخر بين الهند وانكلترا على اهبة الاقلاع من مينآء كلكوتا وقد تم شحنها وتكامل ركابها ولم يبقَ لسفرها الا وقتٌ قصير وكان ربانها قد خرج الى البرّ فجلس في احد المنتديات القريبة من الشاطئ اذا بفتى معتدل القامة اسود العينين حادّ النظر قد دخل المنتدى فاشرف منهُ على جهة البحر ثم اتخذ مجلساً بقرب احدى النوافذ فجعل مرةً يراقب الدخان المتصاعد من الباخرة وطوراً يجيل طرفهُ في الحضور فيفحصهم بنظر دقيق وكان كلما دخل احد الخدم يظهر عليهِ الاضطراب والارتعاش حتى اذا تبين لهُ انهُ من اهل المكان عاد الى ما كان عليهِ من الطمأنينة . واخيراً نهض من مكانهِ فدنا من ربان الباخرة وقال يأذن لي سيدي ان اسألهُ هل هو ربان الباخرة نجم الصباح . قال نعم انا هو فهل لك من حاجةٍ تُقضَى . قال اني سأسافر في الباخرة نفسها ففي اي ساعةٍ تُقلع . فنظر الربان في ساعتهِ ثم قال لهُ بعد نصف ساعة . قال اذن ينبغي ان اعجل ثم لم يلبث ان اندفع مهرولاً فاستأجر قارباً وركب منطلقاً جهة الباخرة وهو يودّ لو يطير اليها ويبتعد عن البلاد

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اما الربان فلبث يفكر فيما يكون من امر هذا الرجل وقد اقلقته هيئته وحالة ارتباكه فما ابطأ ان اقتفى اثره فبلغ الباخرة بعده بقليل وحال وصوله قصد سجل الاسماء فعرف منه ان الرجل جندي يقال له الماجور واي . ثم رآه واقفاً الى جانب الباخرة مستنداً الى درابزينها وهو يرفس برجله الارض متضجراً من تأخر مسيرها وكان كلما دنا منه احد او سمع خطوة بالقرب منه يتفزع ويمتقع لونه وتتسع حدقتاه . ولما أزفت ساعة الرحيل ورفعت الباخرة مرساتها وصفر البخار ايذاناً بوشك الاقلاع سُرّي عن الماجور بعض كربه غير انه بعد قليل سُمع صفير من ناحية البر يشير الى ان هناك ركاباً آخرين يريدون اللحاق بالباخرة فما كاد يسمع الماجور ذلك حتى اكفهر وجهه وارتعشت اوصاله ولم تعد رجلاه تحملانه فالقى بنفسه على كرسي بقرب سلم الباخرة . وبعد هنيهة تبين القادم واذا هو فتاة في زهرة الصبا ورونق الشباب ممشوقة القوام بيضاء اللون فتانة العينين فلما ظهر للماجور انها فتاة سكن جأشه فتنفس ملياً وجلس مطمئناً . ولما صعدت الفتاة امرت فنقلت اثقالها الى غرفتها ورقيت هي الى ظهر الباخرة تسرّح الطرف في مناظر الهند البديعة وللحال اقلعت الباخرة تشق عباب البحر ولما اقبل المساء وأزفت ساعة العشاء توارد الجميع الى غرفة الطعام واتفق أن جلس الربان والى يمينه الفتاة المذكورة يليها الماجور واي ثم بقية الركب . والتفت الربان الى الفتاة ليحادثها فما وقع نظره عليها حتى كاد يصيح صيحة الاستغراب فانه تذكر انه رأى هذه الفتاة منذ سنوات تُحاكَم في لندن على جناية نسبت اليها الا انه لم يدرِ حينئذٍ كيف انتهى امرها . وبعد

تكرار النظر فيها ومشاهدة ما رأى من دماثة اخلاقها وحسن ادبها غلب على ظنهِ انهُ واهم وان التي رآها اذ ذاك قد تكون شبيهة بهذه وهذا كثيراً ما يحدث بين الناس . فطوى كشحاً عن فكرهِ الاول الا انهُ لم يزل متنبهاً لمراقبة حركاتها واحوالها وعاد الى محادثتها وكان قد علم ان اسمها روزا كيل فسألها كيف رأت الهند وهل تميل الى السكنى فيها . فقالت انني احبّ سكنى الهند ولا سيما جزيرة سيلان التي فيها أُسرتي غير اني اشتقت الى وطني انكلترا بعد مفارقتي لها مدة خمس سنوات ولي عمةٌ في لندن قد دعتني الى ان اقضي عندها مدة فلم يكن احبّ اليّ من ذلك وها انا لا اصدّق ان تُطوى بيننا هذه المسافة حتى اصل اليها . وكانت تفتنّ في كلامها افتناناً يسحر الالباب ويأخذ بمجامع الافئدة فالتفت اليها الماجور واي وقال لها قد ذكرت السيدة انها تقيم مع اسرتها في سيلان ففي اي مقاطعةٍ منها . قالت في مقاطعة كندي . قال وهل تعرفين أُسرةً تسمى باسم دوبيني . قالت كيف لا وهم اعز اصدقائنا واحب الناس الينا . قال اذن لي الشرف العظيم في معرفتكِ يا سيدتي فانهم أُسرة خالي . ثم خاض معها في احاديث شتى فتركهما الربان وانصرف لشأنهِ وهو يفكر في هذين الشخصين وان لا بدّ لهما من اسرارٍ عظيمة يكتمانها في ضمائرهما وعزم على ان يدقق البحث في حركاتهما لعلهُ يطلع على شيء من خفاياهما

ولما كانت الليلة الثانية عند منتصف الليل دخل الربان غرفتهُ لينام وما كاد يدخل حتى سمع الباب يُقرع من الخارج فأذن للقارع في الدخول فدخل واذا هو الماجور واي وهو بهيئتهِ الاولى من الرعب والارتعاش

فنهض الربان لاستقبالهِ وقد عجب لزيارتهِ في مثل ذلك الوقت وقدّم لهُ كرسياً فجلس وقبل ان يفتتح الكلام استأذن الربان في اقفال باب الغرفة فأذن لهُ وقد تحير من ذلك وقام الماجور فاوصد الباب وبعد ان استوثق منهُ عاد فجلس وقال اتيتك يا سيدي الربان لاطلعك على سرّ خطير يتعلق بي لم يطلع عليهِ احدٌ سواك واودّ قبل كل شيء ان تقسم لي بشرفك انك لا تبوح بهِ لأحد قبل وصولنا الى لندن . فازداد الربان تعجباً واقسم لهُ الايمان المغلظة بحسب طلبهِ . وعند ذلك اقترب منهُ الماجور وقال انني حاملٌ على جسدي ما تبلغ قيمتهُ نصف مليون من الليرات . فبُهت الربان واخذ يتفرس في الرجل ولما لم يرَ عليهِ ما يثبت مدعاهُ ايقن ان عقلهُ مخالَط واستعد ان ينادي بعض الخدم لمساعدتهِ على طردهِ اذا بدا منهُ سوء . ولحظ الماجور منهُ ذلك فتبسم وقال لا تظن بي يا سيدي سوءًا وللحال كشف ثيابهُ عن صدرهِ وحلّ عن وسطهِ منطقةً من جلد الحوت ثم فتحها فاذا هي ملأى من الحجارة الكريمة من الالماس والزمرُّد والياقوت واليشب وغير ذلك من ثمين الجواهر ونادرها حتى تألقت الغرفة بنورها وانبهرت عينا الربان واعتُقل لسانهُ عن الكلام . ثم ان الماجور اعاد المنطقة الى مكانها وزرّر ثيابهُ فوقها وعاد الى الكلام مع الربان فقال قد تحققت يا سيدي صدق كلامي واراك ولا شك راغباً في زيادة البيان . فاعلم اني كاتم اسرار الامير سندهار مهرجاه بسلمير نزيل لندن حالاً وقد تعطفت الملكة وكتوريا فدعتهُ الى مأدبةٍ ستقيمها لهُ في قصر بكنهام في آخر هذا الشهر ولما كان من الواجب ان يمثل امام جلالتها بلباسهِ الرسمي ولم يكن قد احضر هذه

الجواهر معهُ لم يجد لسوء الحظّ من يكل اليهِ هذه المهمة سواي فكلفني ان اسافر الى مقاطعة بسلمير واحضر لهُ هذه الجواهر فلم يسعني الا اجابتهُ الى ما امر على ما فيهِ من الخطر العظيم واي خطرٍ اعظم من ان احمل مبلغ نصف مليون من الليرات بدون خفيرٍ ولا ضمانة . وقد اخذ عليَّ المواثيق ان احافظ على هذه الجواهر محافظتي على حياتي ولا ادعها تفارقني ليلاً ولا نهاراً حتى ارجع اليهِ واسلمها لهُ في لندن . وبعد ان وصلت الى بسلمير واستلمت الجواهر في منطقتها كما رايتها وصلني تلغراف من الامير بالحروف السرية وانا في كلكوتا يفيدني فيهِ ان جماعةً من اشهر لصوص الانكليز قد علمت بما سافرت لاجلهِ وانها تترصدني بكل وسيلة لتهلكني وتستولي على هذا المغنم . فحرت في امري ولم ازل مذ ذلك الوقت قلق البال مشتت الافكار كما رايتني اول مرة وانا كلما رايت احداً يدنو مني احسبهُ احد تلك العصابة وما صدقت ان بلغت الباخرة وتاكدت انهُ لم يتبعنا على ظهرها احدٌ يُخشى منهُ وكان آخر مخاوفي حين توقفت الباخرة لانتظار القادم الاخير ولكن ولله الحمد لم يكن سوى السيدة اللطيفة التي ستكون محلَّ انسنا وتسليتنا في هذا السفر الطويل

وكان بودّ الربان ان يحذّر الماجور من هذه الفتاة الا انهُ لما كان امرها لم يزل مشتبهاً عليهِ ولم يكن ما تفرسهُ فيها الا من طريق الشك لم يحب ان يوقع في نفس الماجور من جهتها سوءًا فسكت . وعاود الماجور حديثهُ فقال ولخوفي من حادث غير منتظر آثرت ان اطلعك على هذا السر حتى ان اصابني لا سمح الله حادثٌ توصل هذه الجواهر الى الامير سندهار وان

فُقدت معي تشهد لهُ بانني حافظت عليها الى آخر دقيقةٍ من حياتي . قال ولِمَ لا تسلم هذه الجواهر الى عهدتي اجعلها لك في خزينة الباخرة الى ان تصل الى لندن بسلام . قال اشكرك على ذلك واني لم اكن لاتوقف ان اطلب هذا الامر منك لولا اني اقسمت للامير ان لا ادعها تفارق جسدي دقيقةً واحدة . ولما فرغ من حديثهِ استأذن الربان ثم قام وانصرف

اما السيدة روزا فكانت محل اعجاب وافتتان لركاب السفينة فكانوا كل يوم ينتظرونها على ظهر الباخرة حتى اذا صعدت من غرفتها احاطوا بها احاطة الهالة بالقمر وجعلوا يحادثونها ويلاطفونها وهي بينهم كملكٍ كريم وكان اشدّهم شغفاً بها الماجور واي . وراقبها الربان طول تلك المدة فلم يرَ ما يحقق لهُ بها ظناً واخيراً ندم على سوء ظنهِ ومال اليها كسواهُ

وكان كلما دنت الباخرة من احد الموانيّ ينزل الهمّ بالماجور خوفاً ان يطرأ عليهم احد اللصوص الذين يترصدونهُ غير انهُ لم يحدث لهُ ما يوجب القلق . ولما بلغت الباخرة مضيق جبل طارق القت مراسيها لاخذ الفحم وكان هناك فتى يقصد السفر الى انكلترا فصعد الى الباخرة ولما رآهُ الماجور اذا هو ابن خالهِ المسمى توما دوبيني فسرّ بهِ سروراً عظيماً ثم ادخلهُ على الربان فعرّفهُ بهِ فاكرم الربان وفادتهُ ورحب بهِ. ثم قال الماجور لابن خالهِ هل تعرف السيدة روزا كيل . قال نعم وهي جارتنا في كندي من سيلان . قال انها معنا الآن وهي تقصد انكلترا . فسرّ توما بذلك سروراً لا مزيد عليهِ وطلب ان يراها فقال لهُ الربان انا نازلٌ لبعض الاشغال وسأعلمها بقدومك ولست اشك انها تأتي في الحال . ثم غادر الماجور وابن خالهِ على

ظهر الباخرة ونزل فمرّ بغرفة السيدة روزا فوجدها تكتب فقال لها لقد اتيتكِ بخبرٍ يسرّكِ . قالت وما ذاك . قال ان توما رودبني قد ركب معنا وسيسافر وايانا الى لندن . قالت اذن لا بدّ ان ابادر لملتقاهُ . ثم وثبت كالظبي النافر ولسرعتها اصطدمت بالمائدة فسقطت زجاجة الحبر وانكسرت وجرى الحبر في ارض الغرفة . الا ان ذلك لم يكن ليستوقفها فاشارت الى الربان ان يأمر بتلافي ذلك ثم وثبت على السلم ولم تكد تثب حتى سمع الربان سقطةً عظيمة تلاها أنين متألم فاسرع لينظر فاذا روزا مطر وحةٌ عند اسفل السلّم وقد زلت قدمها فسقطت وآلمت رجلها . فاسرعوا بنقلها الى غرفتها وسألت الربان ان يعتذر عنها الى توما دوبني وانها ترجو ان تشفى في وقت قريب وتسعى لمقابلتهِ . ولما كان اليوم التالي اعلن الطبيب انها قريبة الشفآء وانهُ يمكن نقلها الى ظهر الباخرة لكنها لم ترضَ ان تصعد ولا ان يزورها في غرفتها احد

ولبث الامر على ذلك والسفينة تمخر البحر حتى لم يبقَ بينهم وبين لندن سوى ليلتين ويومٍ واحد . وفيما الربان واقفٌ على ظهر الباخرة اتاهُ الماجور باسماً فقال كيف انت يا ماجور وكيف الامانة . قال على ما ينبغي ولي خبرٌ احسن ارويهِ لك . قال وما هو . قال ان السيدة روزا كيل قد قبلت ان تقترن بي وسيُعقد لي عليها ان شآء الله بعد وصولنا الى لندن . قال ومتى كان ذلك . قال الساعة . قال واين رأيتها الساعة . قال كنت عندها في غرفتها وقد استأذنت في الدخول عليها فاذنت لي وعقدنا النية على ذلك . فقال الربان اهنئك بذلك واتمنى لك كل خير وسرور . وخطر لهُ ثانيةً ان يحذرهُ من هذه الفتاة ثم غالط افكارهُ وصمت

وفي مساء اليوم الثاني بينا كان الربان متوجهاً الى غرفتهِ لينام بعد ان نام الجميع صادف في طريقهِ توما دو بيني فاستوقفهُ توما وقال لهُ الم تقل لي ان السيدة روزا كيل مسافرة معكم . قال بلى . قال توما لكنكم مخدوعون فاني قد قابلت هذه الفتاة الآن وهي ليست روزا كيل . فحملق الربان بعينيهِ وقال كيف ذلك واين رايتها الآن . قال رايتها مارةً من هنا وقد تحققت انها ليست اياها ولكنها تشبهها . وقد علمت ايضاً انها لم تسقط عن السلم الا عمداً واحتيالاً ليتهيأ لها العذر في عدم مقابلتي لانها تعلم اني اكشف عنها الستار وقد رايتها الآن تمشي كالظبي لا يعوقها المٌ في رجلها ولا غيرهُ

فلما سمع الربان ذلك لم يبق عندهُ شكٌ في صحة ظنونهِ بها وللحال استأذن توما وطار مسرعاً الى غرفة الماجور واي فدخلها وكان النور الكهربآئي قد انطفأ ولم يكن هناك الا شمعةٌ صغيرة ذات نورٍ ضعيف فافتقد مضجع الماجور فوجدهُ نائماً على سريرهِ باثوابهِ وهو اصفر اللون وصدرهُ مكشوف فاهوى بيدهِ الى موضع المنطقة فوجدها مفقودةً فطار رشدهُ وتحول يريد الخروج واذا بشبح يحاول التسلل من الباب فقبض عليهِ بذراعٍ من حديد واذا هو روزا كيل . ولما تحققها صاح بصوتٍ يخنقهُ الغضب وقال ماذا تصنعين هنا ايتها الخبيثة . فقالت لا شيءٌ دعني . قال خسئتِ يا رديئة فاين المنطقة . فقهقهت بصوتٍ عالٍ وقالت انها قد اصبحت في ايدي طالبيها فلن تروها من بعد . قال وكيف اجترأتِ على قتل الرجل ايها الشيطان . قالت اني لم اقتلهُ لان قلبي لم يطاوعني على قتلهِ بعد ما اظهر لي من الحبّ ولكني اعطيتهُ دوآءً منوّماً فنام وعن قليل سيستيقظ . وكانت الضوضاة

قد جمعت عليهما خدام المركب ونبهت الركاب فامر الربان بالوقوف فوقفت الباخرة عن المسير ثم استدعى الطبيب واوصاهُ بمعالجة الماجور واخذ روزا يتهددها مرةً ويتملقها اخرى لتسلم اليهِ المنطقة فقالت لهُ لا تجهد نفسك في الحصول على اقراري فاني قد أُرسلت لآخذ هذه المنطقة وقد اخذتها وارسلتها الى طالبيها واذ قد اتممت هذا الواجب فالموت والحياة عندي سيآن وانا من الآن مستعدة للقآء المنية بكل نفسٍ طيبة . فسلمها الربان لحراسة احد الضباط واخذ يبحث في جميع جوانب الباخرة وزواياها فلم يهتدِ الى اثرٍ . ولما اعيت الربان الحيلة فطن لامرٍ كان قد جرى لهُ مراراً من بعض الركاب اذا راموا تهريب شيء من البضائع فتهلل وجههُ وصاح قد وجدتها وللحال امر بانزال قاربٍ الى البحر فأُنزل في اسرع من لمح البصر ورأت روزا ذلك فامتقع لونها وبدت على محياها علامات الكمد والقنوط

فنزل الربان في القارب وامر النوتية ان يجدّوا على نفس الخط الذي مرّت عليهِ الباخرة وكان هو على مقدم القارب يحدّق ببصرهِ الى البحر وما مضى عليهِ نحو نصف ساعة حتى تراءى لهُ عن بُعد شيءٌ يلمع فقصدهُ ولما وصل اليهِ مدّ يدهُ فتناولهُ واذا هو قطعةٌ من الفلّين مدهونةٌ بمادةٍ لامعةٍ وقد رُبط بها سلك دقيق متين فجذب السلك فاذا هو منوط بشيءٍ ثقيل فاخذ يجرّهُ الشيء بعد الشيء حتى بلغ آخرهُ واذا هناك المنطقة بعينها فما صدّق ان ضمها الى صدرهِ ثم رجع فائزاً . وكانت روزا قد فعلت ذلك باشارة من مستخدميها حتى يمكنهم الاستدلال على مكانها في اليوم الثاني من وصول الباخرة

وحالما وصل الربان الى الباخرة سأَل عن الماجور فقيل لهُ انهُ قد افاق ولما علم بما جرى اصابهُ مثل الجنون فاسرع الربان اليهِ وبشرهُ باعادة الكنز فسرَّ سروراً لا يقدَّر وشعر كانهُ قد رُدَّت عليهِ الحياة بعد ذهابها . اما روزا فلما علمت بما كان طار رشدها وايقنت بالفشل وحبوط المسعى فاجتهدت في التملص من يد حارسها واسرعت الى جانب الباخرة وقبل ان يتمكن احدٌ من الوصول اليها اخرجت من جيبها مسدَّساً فاطلقتهُ على راسها وألقت بنفسها في البحر فكان آخر العهد بها

ولما كان الصباح القت الباخرة مرساتها في ميناء لندن ونزل الماجور واي وربان الباخرة فتوجها الى الامير سندهار فسلم اليهِ الماجور المنطقة وقص عليهِ تفاصيل الواقعة وما كان من عناية الربان بهِ وبالمنطقة واستردادهِ اياها بعد ان دخلت في لهوات العدم فسرَّ الامير من كليهما وشكرهما بما هما اهلٌ لهُ ثم نهض الربان فانصرف وبقي الماجور عند مولاهُ

وقبل ان يسافر الربان من لندن وصلت اليهِ حُقَّة صغيرة ففتحها فاذا فيها رقعة قد كُتب فيها

« تذكار حبٍ ومعرفة جميل للسيّد فلان ربان الباخرة نجم الصباح من المعترف بفضلهِ سندهار مهرجاه بسلمير »

وتحت الرقعة خاتمٌ فصهُ حجرٌ كبير من الزمرد السلقيّ ومعهُ حجارة اخر من قَطع الالماس واليواقيت الثمينة . قال فسأَلت بعض ذوي الخبرة عما تساويهِ هذه الجواهر ولما عرفت قيمتها لم آمن ان استصحبها معي في سفري فاودعتها في مصرف الامانات العام في شانسري لاين بلندن . انتهى

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون حافّة الوادي فيشددون الفآء ويجمعونها على حفافي وصوابها حافة بالتخفيف والمشهور في جمعها حافات على لفظ المفرد وتجمع ايضاً على حِيَف بالكسر[1] مثل غادة وغِيد ومن الاول الحديث عليك بحافات الطريق . وربما قالوا في جمعها حوافي كأنهم جمعوا حافية وهو كذلك مسموعٌ من بعض عامّتنا وقد ورد في شعرٍ للطرمّاح رواهُ صاحب لسان العرب ثم قال فسّربانهُ جمع حافة ولا ادري وجه هذا الا ان تُجمع حافة على حوائف كما جمعوا حاجة على حوائج وهو نادرٌ عزيز ثم تُقلب

ويقولون فلانٌ حميد النوايا يريدون النيّات جمع نية وانما النوايا جمع نويّة مثل الطوايا جمع طويّة ولم ترد النويّة في شيء من كلامهم بهذا المعنى

---

(١) قال في لسان العرب بعد ذكر الحافة والجمع حِيَف على القياس وحِيْف على غير قياس وضُبط الاول في النسخة المطبوعة في بولاق بكسر ففتح والثاني بكسر فسكون وهو مقتضى صنيع المرتضى في تاج العروس . والاظهر العكس كما اشرنا اليه بالرسم لان جمع حافة على حِيَف بكسر ففتح ليس في شيء من القياس لما أن حافة في تقدير فَعَلَة بالتحريك وفَعَلَة لا تجمع على فِعَل ولكنهم جمعوها على حِيْف بكسر فسكون بناء على ان اصلها حُيُف بضمتين مثل خَشَبة وخُشُب وساحة وسُوح ثم اسكنت اليآء لاستثقال الضم عليها وكُسِر اولها لتسلم اليآء وذلك كما قالوا في جمع ناب وهي الناقة المسنة نِيب بالكسر وفي جمع ابيض واهيف بِيض وهِيف فابدلوا من الضم في كل ذلك كسرًا لئلا يلزم قلب اليآء واوًا . واما الحِيَف بكسر ففتح فالصحيح انها جمع حِيفة بالكسر بمعنى حافة كما صرح بهِ في القاموس لا جمع حافة فيكون جمعها كذلك على حدّ سِدرة وسِدَر ومِيرة ومِيَر وهو القياس فتأمل

ويقولون هو وريث فلان ووريث العهد وهم الورثاء ولم يُنقل عنهم لفظ الوريث انما هو الوارث والجمع الوَرَثة والورّاث

ويقولون وحشٌ كاسر اي ضار وانما الكاسر في مثل هذا من صفات جوارح الطير يقال كسر الطائر اذا ضمَّ جناحيهِ يريد الوقوع وبازٍ كاسر وعقابٌ كاسر

ويقولون حكمٌ صارم اي عنيف ورجلٌ صارم مثلهُ وفلان من اهل الصرامة اي من اهل الشدة والعنف وانما الصرامة بمعنى الشجاعة وفسرها في الاساس بمعنى المضآء في الامور وقد صَرُم الرجل بالضم وهو صارم . نادرٌ

ويقولون انجلى القوم عن المكان اي خرجوا منهُ ولا يأتي انجلى بهذا المعنى والصواب جَلَوا واجلوا وقيل جلوا من الخوف واجلوا من الجدب وهذا اوان جلائهم بالفتح

ويقولون اقتصد كذا من المال اذا استفضل منهُ فضلةً فيغيرون معنى الفعل ووجه استعمالهِ لان الاقتصاد في اللغة بمعنى الاعتدال والتوسط في الامر يقال فلانٌ مقتصدٌ في معيشتهِ اذا توسط بين التقتير والاسراف واقتصد الرجل في امرهِ اذا لم يبالغ فيهِ واصل معنى القصد استقامة الطريق فكأن المقتصد لا يميل الى التفريط ولا الافراط ولكن قصداً بين الطريقين وحينئذٍ فلا معنى لان يقال اقتصدت مالاً فضلاً عن ان الفعل لازمٌ لا يحتمل التعدية . ويا عجبا لمَ لا يستعمل التوفير في هذا الموضع وهو اللفظ اللائق بهِ مع شهرتهِ على الالسنة وعدم مباينتهِ لاصل المعنى الذي وضع لهُ . بلى انا لم نجد هذا اللفظ في كلامهم على وجههِ الذي نستعملهُ اليوم ولكن

يمكن ردهُ الى كلامهم من اسهل سبيل وذلك انهم يقولون شيء وافر اي تام لا نقص فيهِ وقد وفّرهُ توفيراً اذا جعلهُ تاماً وكذلك اذا تركهُ تاماً يقال وفّر شعرهُ اذا لم يأخذ منهُ ووفّرت عرضهُ اذا لم تنتقصهُ بشتم . وجآء في اصطلاح العروضيين اطلاق الموفّر على ما جاز من الاجزآء ان يُخرَم فلم يُخرَم فسُمّي ترك الخرم توفيراً . فيتحصل من ذلك انك تقول وفّرت المال اذا لم تنقص منهُ ثم استُعمِل في الحصة التي استُبقيت منهُ فجُعل استبقآؤها توفيرًا وهو غير خارج عن اصل المعنى كما ترى . وقد تضافرت على هذا الاستعمال اقوال مشاهير الكتاب من المولدين ولا بأس ان ننقل شيئاً منها في هذا الموضع ولو اطلنا تقريرًا للفائدة . فمن ذلك ما جآء في مروج الذهب للمسعودي في الكلام على خلافة المعتضد نقلاً عن ابن حمدون ان المعتضد امر ان تُنقَص حشمهُ ومن كان يجرى عليهِ من كل رغيفٍ اوقية . . قال قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك في اول امرهِ ثم تبينت القصة فاذا انهُ يتوفر من ذلك في كل شهرٍ مالٌ عظيم . اه . وجآء في المجلد الثاني من نفح الطيب للمقّري (صفحة ٥٢٨ من النسخة المطبوعة في مصر) امضي اليكم والقاكم في بلادكم رفقاً بكم وتوفيراً عليكم . وفي المجلد نفسهِ (صفحة ٦١٣) وما ذلك منهُ الا توفيرٌ لرجالهِ وعدتهِ ودفعٌ بالتي هي احسن . وفي المجلد الثاني من كتاب الف با للبلوي (صفحة ١٦٨) نقلاً عن بعض التفاسير ان سليمان سأل مرةً نملةً كم تاكلين في السنة فقالت ثلاث حبات فاخذ النملة وجعلها في حُقّ وجعل معها ثلاث حبات ثم نظر اليها بعد سنة فوجدها قد اكلت حبةً ونصف حبة فقال كيف هذا فقالت

لما سجنتني هنا وانت ابن آدم خشيت ان تنساني فوفرت قوت عامٍ آخر .
اه . وبهذا القدر كفاية

ويقولون رجلٌ تعيس وقومٌ تعساء وهو من اهل التعاسة وكل ذلك خلاف المنقول عن العرب والمسموع عنهم رجلٌ تاعسٌ وتَعِسٌ بوزن كتِف وقد تَعِس بفتح العين وكسرها والمصدر التَعْس بالفتح والتَعَس بالتحريك ويعدَّى الاول بالهمزة تقول اتعسهُ الله اتعاساً والثاني بالحركة تقول تَعَسهُ بالفتح وهو مُتْعَسٌ ومتعوس لم يُحكَ فيهِ غير ذلك

ويقولون نوَّه بالامر ونوَّه عنهُ اي ذكرهُ تلويحاً واشار اليهِ من طرفٍ خفيٍ وليس ذلك من استعمال العرب في شيء وانما هو من تواطؤ العامّة . قال في الاساس نوّهت بهِ تنويهاً رفعت ذكرهُ وشهرتهُ . . واذا رفعت صوتك فدعوت انساناً قلت نوّهت بهِ ونوّهت بالحديث اشدت بهِ واظهرتهُ . اه . فهو لا يخلو ان يكون على عكس استعمالهم كما ترى

ويقولون انفرط العقد اي انتثر وتبدد وهو من اوضاع العامة صيغةً ومعنى ومن الغريب ان هذا اللفظ ورد في كلام ابن حجة الحموي في خزانة الادب وهو قولهُ في الكلام على نوع الانسجام « وقد الجأتني ضرورة الجنسية الى ضمّ المتقدمين مع المتأخرين لئلا ينفرط لعقودها نظام » ومثلهُ بعد صفحات « وقدّمت عصر المتأخر لئلا ينفرط سلكهُ » فجعل هنا الانفراط للسلك وهو اغرب لان المتعارف في معنى هذه اللفظة عند العامة الانتثار وقد فرط الشيءَ فانفرط يقولون فرطت حب الرمانة وانفرط عنقود العنب ونحو ذلك ولا يقولون انفرط الخيط او الحبل　　(ستأتي البقية)

مروحة الخيش

قد تكرر ذكر هذه المروحة في الكتب وتناولتها اقلام المنشئين والشعرآء وكان لها شأنٌ في دور الملوك وارباب الترف ولا سيما في العراق وما يجاورهُ من البلاد الحارّة . وهي شيءٌ كالشراع تعلّق بالسقف ويشدّ بها حبل يُدار بهامشها وتُبلّ بالمآء وتُرش بمآء الورد فاذا اراد الرجل في القائلة او الليل ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهبّ منها نسيمٌ بارد طيب الريح فيذهب عنهُ اذى الحرّ ويستطيب النوم وهي فوقهُ ذاهبة وجآئية . قالهُ الشريشيّ في شرح المقامة النجرانية في تفسير لغز الحريري فيها وهو قولهُ

وجاريةٍ في سيرها مشمعلّةٍ ولكن على إثر المسير قفولها
لها سائقٌ من جنسها يستحثّها على أنهُ في الاحشاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ويبدو اذا ولّى المصيف قحولها

قولهُ لها سائقٌ من جنسها يريد الحبل الذي تُجذب بهِ فانهُ يُفتل من خيوط الكتان . وربما سموها بالخيش فقط وهو النسيج الذي كانت تؤخذ منهُ قال في لسان العرب هو ثيابٌ رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان . قال السريّ الموصليّ من قصيدة يصف فيها يوم انس

قد ضُربت خيمة الغمام لنا ورُشّ خيش النسيم بالمطرِ

وللسريّ ايضاً فيها

ومبثوثةٍ في كل شرقٍ ومغربٍ لها امهاتٌ بالعراق قواطنُ

يحرّك انفاس الرياح حراكها كأن نسيم الروض فيهنّ كامن

قال في خزانة الادب وكان السبب في حدوث هذه المروحة أن هرون الرشيد دخل يوماً على اخته علية بنت المهدي في يوم قيظ فألفاها وقد صبغت ثيابها من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجفّ فجلس هرون قريباً من الثياب المنشورة فصارت الريح تمرّ على الثياب فتحمل منها ريحاً بليلةً عطرة فوجد لذلك راحةً من الحرّ واستطابهُ وامر ان يُصنع لهُ مثل ذلك . اه

وجآء في بعض المجلات الافرنجية ذكر ما يشبه هذه المروحة في بلاد الهند ويسمونها بلسانهم بَنكا او تَنكا وهي مروحة كبيرة لا يكاد يخلو منها موضعٌ في الاقطار الهندية يتخذون كفافاً (برواز) مربعاً خفيفاً من الخشب ويشدّون عليهِ قطعةً من النسيج في اطرافها رفرفٌ مرسل يضطرب في الهوآء ويعلقونها تحت سقف المكان بحيث تستوعب عرض الغرفة وطولها وينوطون بادناها حبلاً يسلكونهُ في بكارة ولها خادمٌ مخصوص يجذب هذا الحبل فترتفع المروحة حتى اذا بلغت حداً معلوماً عادت فهبطت فكان عنها نسيمٌ بارد يستروَح بهِ من شدّة الحرّ التي قد تبلغ في ذلك الصقع درجةً لا تطاق . وهي توجد في كل موضعٍ من الهند حتى في المعابد والمحاكم وسائر الاماكن العمومية كما توجد في المحترفات والمنازل الخاصة فاذا دخلها الغريب ادهشهُ هذا المنظر ولكنهُ لا يلبث ان يعلم منفعتها لان البلاد التي يبلغ الحرّ فيها ٤٠° او فوقها لا بد فيها من الاحتيال على التبرّد بكل ذريعة ولولا ذلك لكانت الهند من الاقاليم التي لا يمكن

ان يقيم بها اوربي . اه

قلنا ولا شك ان هذه المروحة قديمة جداً في الهند والاتصال بين بلاد العرب والهند ولا سيما بعد الاسلام معروف فان صح ما نقلهُ الحموي من اصل هذه المروحة عند العرب فهو من غريب الاتفاق . على ان كثيراً من اهالي اوربا قد اقتدوا بالهند في صنع هذه المراوح لاستعمالها في بعض النواحي الاوربية التي لا يُستغنى فيها عن مثل ذلك كجنوبي فرنسا مثلاً . ثم اخذوا يتفننون فيها فاخترع بعضهم مروحة يمكن ان يُروَّح بها النهار بطولهِ بدون ادنى مشقة مع القرآءة او الكتابة



او الاكل او اللعب او غير ذلك وهي المروحة التي تراها في الرسم . وهي مؤلفة من شراع يتحرَّك من جانبهِ الاعلى في ثقبين في قائمتي الخيمة ويتصل بهِ مفصلان دقيقان ينتهيان الى جانبي الموطئ الذي في ارض الخيمة تحت المائدة وهذا الموطئ يتحرك حركةً متعاقبة كحركة آلة الخياطة الا انهُ اسهل

منها كثيرًا بحيث يكفي لتحريكهِ ان يُرفع طرف قدمٍ فقدم فترتفع المروحة او تهبط بمجرَّد ثقل القدم الأخرى

خواطر مستطرفة في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تابع لما في الجزء التاسع)

— ٥ —

اما فلسفة تأثيرها فالموسيقى لغة النفس تعبر بالحانها عن وجدان ملحنها او مؤلفها فيدركها وجدان السامع ويتأثر بمثل تأثر وجدان المرنم او المؤلف فاذا غنى المغني بلحن مفرح واجاد فيهِ كان هو فرِحاً بالفعل وشاركهُ السامعون في فرحهِ لان وجدان الفرح يتحرك في قلب السامع محاكاةً لوجدان المغني الذي دلّ عليهِ لحنهُ . وكذلك الحزين اذا غنى بلحنٍ محزن كالحجاز حزن معهُ سامعوهُ لتأثرهم من لحنهِ الشجي واذا تذكر الصب الولهان احبآءهُ وحنَّ اليهم وغنى بلحن يوافق هذه الحالة كلحن الصبا مثلاً حنَّ السامع مثلهُ اذا كان لهُ من يحنّ اليهِ فترى من ذلك ان اصناف الوجدان تتفاهم بالالحان . ثم اذا كلفت مغنياً حزيناً ان يغني لحناً مفرحاً فقد لا يجيد فيهِ لان وجدانهُ يستميل غنآءهُ عن اللحن المفرح الى لحنٍ شجيٍ محزن ولذا كان المغني يميل الى الالحان التي تطابق حالتهُ وتعبّر عن وجدانهِ . الا ترى انك تترنم احياناً بلحن تحبهُ فلا يلذ لك فتعدل عنهُ الى غيرهِ وقد لا يلذ

لك حينئذٍ الا لحنٌ قلما تميل اليهِ لانهُ لا ءم حالتك وعبر عن الوجدان الذي انت فيهِ

واذا كُلِّف العازف ان يعزف بلحن لم يألفهُ بعد فيتأثر هو منهُ كثيرو من السامعين طبقاً لما كانت عليهِ حالة المؤلف ساعة ألَّفهُ ولا يخفى ان اساس وضع الالحان انما هو الوجدان فكما تكون حالة المؤلف يكون اللحن طبعاً فان كان المؤلف مسروراً جآء اللحن مفرحاً وان كان حزيناً كان اللحن محزناً

واعلم ان هذه الاعتبارات دقيقة قد لا يدركها او يميزها حق تمييزها الا من كان موسيقيَّ الطبع لان الناس مختلفو الذوق من هذا القبيل فنهم من لا يميز بين الالحان فتكون كلها في ذوقهِ متشابهة وهناك افرادٌ لا يفرقون بين السلم الموسيقي الصحيح والسلم المختلّ بل قد لا يميز بعضهم بين الصوت العالي والسافل . وبالعكس من الناس من يلاحظ ادق الحركات الموسيقية ويشعر باقل خلل يقع في اللحن او في السلم ومنهم من يتم اللحن الذي يجهلهُ من نفسهِ اذا وقف مرنمهُ على ما قبل الجزء الاخير منهُ كما يكمل الشاعر القافية من نفسهِ اذا أُلقي عليهِ بيت من الشعر دون القافية . ولمهرة الموسيقيين من هذا القبيل نوادر في غاية الدقة والغرابة كما ان للموسيقي الطبع ولوعاً شديداً بسماع الغنآء والتطريب حتى تراهم يؤثرون محافل الطرب على كل محفل ويفوتون اعز الاوطار عليهم في سبيل سماع الالحان وينفعلون بها انفعالاً شديداً فتراهم يتلوون مع الالحان تلوّي الغصون مع النسيم . والذي يحضر محافل الطرب في هذه العاصمة ويرى

حركات الحضور ويسمع صراخهم « آه » ونحوها عند ختام كل جملة موسيقية لا يخامرهُ ادنى ريب في هذا القول

- ٦ -

اما موضوع هذا الفن فانهُ يُبحث فيهِ عن تأليف الالحان وايقاعها والترنيم والعزف بها . واللحن عبارةٌ موسيقية مؤلفة من عدة نَغَم تختلف في المدة والحدة كما سيأتي ايضاحهُ . والنَغَمة صوتٌ موسيقيٌّ يلبث زماناً على درجة معلومة من الحدة . فاللحن من الموسيقى كالقصيدة من الشعر والنَغَم للحن كالحروف للكلام . والصوت نتيجة تموج الهواء باهتزاز الاجسام الصائتة . فاذا ضُربَ وترٌ يهتزُّ اهتزازاتٍ متساوية المدة فيتموج الهواء المحيط بهِ الى ان يبلغ غشاء السمع فيرجهُ فتنقل الاعصاب السمعية ذلك الصوت الى الدماغ مقرّ الادراك . وكلما كانت الاهتزازات سريعة كان الصوت حاداً (عالياً) ودقيقاً والعكس بالعكس . وتتوقف سرعة الاهتزازات في ذوات الاوتار على طول الوتر واشتدادهِ ودقتهِ فالوتر الدقيق القصير المشدود كثيراً احدّ صوتاً وادق واعلى والوتر الثخين الطويل المشدود قليلاً اضخم صوتاً واخفض . وفي ذوات النفخ يعتبر العمود الهوائي في الانبوب كالوتر فتجري عليهِ احكامهُ المذكورة . وعلى ذلك كانت الاوتار الصوتية في الانسان تشتدّ وترتخي وتطول وتقصر وتدقّ وتغلظ على هذا النمط

والفرق بين الصوت الموسيقي وغيرهِ ان تفاوت الاصوات الموسيقية في عدد الاهتزازات محدود غير متغير كما يجيءُ في الكلام على السلّم الموسيقي

فاذا شذ عنهُ لم يُعدّ الصوت موسيقياً . وهذا التفاوت الثابت هو اساس ما يسمى بالدوزان ولذلك ترى صاحب القانون مثلاً لا يشدّ اوتارهُ مجازفة بل على قياس مفهوم في ذهنهِ وهو السلم الموسيقي . ثم ان المدَوِّزن لا يعلم عدد اهتزازات كل وتر في الثانية ولكن متى ضبط دوزانهُ ثم عُدّت اهتزازات كل وتر باحدى الطرق المعروفة عند علماء الصوت وُجد ذلك التفاوت في عدد الاهتزازات صحيحاً كما يجب . اما الاصوات غير الموسيقية كالكلام ونحوهِ فالتفاوت بين طبقات حدّتها الناجمة عن تفاوت عدد الاهتزازات غير منتظم ولا مستقرّ على نسبةٍ معلومة ولهذا فليس فيهِ مزية الاطراب التي في الاصوات الموسيقية . ولامتحان ذلك اضرب على القانون اذ يكون دوزانهُ صحيحاً ما شئت غير متعمدٍ لحناً مخصوصاً ثم اضرب عليهِ كذلك اذ يكون الدوزان غير صحيح فترى ان الاصوات في الحالة الاولى اوقع منها في الحالة الثانية وان كان الضرب جارياً على غير لحن

- ٧ -

اما السلم الموسيقي فيتألف من انغام متناسبة على مقادير محدودة . ولبيان ذلك نقول اذا ضُرب وتران متشابهان في الطول والثخن ومشدودان شدّاً متساوياً كانت اهتزازاتهما بالطبع متساوية المدد في مدة معلومة وكانت نغمتاهما متوافقتين توافقاً تاماً حتى لا يفرق السامع بينهما بل يظنهما نغمةً واحدةً . واذا شُدّ احدهما اكثر من الآخر الى ان تصير اهتزازات الاول ضعفي اهتزازات الآخر اتفقت نغمتاهما ايضاً اتفاقاً مقبولاً في السمع ولكن يظهر بينهما الفرق بالحدة والضخامة اي يكون الاول ادقّ من

الآخر واحداً لان ضخامتهُ تكون نصف ضخامة الآخر وحدّتهُ ضعفي حدّتهِ . اما سبب اتفاقهما المقبول فهو تناسب الاهتزاز بينهما حتى اذا خطر الاول خطرتين خطر الآخر خطرة فتتطابق تموجات الهوآء الحادثة عن اهتزازهما واذا لم تكن اهتزازات الأول ضعفي اهتزازات الآخر فلا تتفق النمتان اتفاقهما في الحالة السابقة . ولايضاح ذلك اذا كان الأول يهتز مئتي اهتزازة في الثانية والآخر مئة وعشرين مثلاً كان كلما اهتز الاول اهتزازتين اهتز الآخر اهتزازة وخمساً فاختلف موقع اهتزازات الواحد من اهتزازات الآخر بحيث تكون تموجات الهوآء غير متطابقة ولذلك تسمع النمتان متنافرتين . وهكذا اذا كانت اهتزازات احد الوترين اضعاف اهتزازات الآخر حصل الوفاق المذكور ولكن يكون الفرق بالحدة والدقة بينهما بقدر التضعيف . وقد يحصل وفاق مقبول بعض القبول بغير التضعيف كما لو خطر كلاهما في وقت واحد الاول ثلاث خطرات والآخر خطرتين

ثم ان نغمة الوتر الذي يهتز ضعفي اهتزاز الآخر تدعى جواباً لنغمة هذا الآخر ونغمة هذا تدعى قراراً لنغمة ذاك . فيرى من ذلك ان القرار والجواب طبيعيان لما علمناهُ من التناسب وتطابق التموجات كما مرّ آنفاً

والسلّم الموسيقي يؤلف عادةً من سبع نغمات تتوالى من القرار الى الجواب كدرجات السلم ولكن التفاوت بينها غير متساوٍ في كلها بل يختلف في بعضها كثيراً في السلم الافرنجي وقليلاً في السلم العربي كما سيجيء . وجواب السلم يكون قراراً لسلم اعلى وقرارهُ يكون جواباً لسلم ادنى . وهكذا يمكن ان يتألف من الاصوات الموسيقية سلالم غير متناهية بالقوة وان

تناهت بالفعل وكل سلّم جوابٌ لما دونهُ وقرارٌ لما فوقهُ اي كل درجة منهُ كذلك فالثالثة مثلاً من سلم الجواب جوابٌ للثالثة من سلم القرار وهكذا سائر الدرجات وصوت الانسان الطبيعي مهما كان حسناً وقوياً لا يتألف منهُ اكثر من ثلاثة سلالم الا نادراً واما بعض الآلات فيتألف فيها اكثر من ذلك كثيراً او قليلاً (ستأتي البقية)

متفرّقات

صنع الورق في سيام – وصف بعضهم صنع الورق في هذه البلاد فقال انهم يصنعونهُ من لحاء شجرٍ يسمى التوكوا يقطعون اغصانهُ الطريئة وينقعونها في الماء مدة ثلاثة ايام ثم ينزعون لحاءها ويجعلونهُ في الماء ايضاً مدة ثلاثة ايام اخر او اربعة وبعد تنقيتهِ يعرّضونهُ مدة يومين لحرارة نارٍ ضعيفة ويذرّون عليهِ شيئاً من مسحوق الجير ثم يعيدونهُ الى الماء في جرارٍ من الخزف ويضيفون اليهِ من مسحوق الجير اكثر من المرة الاولى ويتركونهُ كذلك بضعة ايام ثم يخرجونهُ ويغسلونهُ حتى يزول منهُ الجير ويطرقونهُ بمطرقةٍ حتى يصير اشبه بعجينةٍ ناعمة . وحينئذٍ يأخذون شبه غربالٍ من الشبك في كفافٍ (برواز) مربع طولهُ متر و ٨٠ سنتيمتراً في عرض ٤٠ ويفرغون تلك العجينة في الغربال بعد ان يميدوا عجنها بالماء ويسوّون الطبقة في ثخانةٍ واحدة ثم يدلكون العجينة بعطلةٍ (شوبق) حتى

تنضغط ويخرج المآء منها ويتركونها بعد ذلك تجف في الشمس مدة عشر ساعات ثم يرفعونها ويمدّون عليهـا طبقةً من غرآء دقيق الرز ويدلكونهـا بحجرٍ صقيل فتكون طبقاً من الورق . فاذا ارادوا ان يكون الورق اسود من الذي يكتبون عليهِ بالقلم الحجري صبغوهُ بمزيجٍ قاعدتهُ الفحم النباتي

تقليد الذهب ـ ذكرت احدى المجلات الافرنجية ان بعض المُعانين لهذا الشأن ركّب مزيجاً جآءت فيهِ كل خصائص الذهب من اللون وقبول الطرق والانسحاب واللحام والصقل واذا عُرّض لفعل املاح الامونياك او بخار النتروجين لا يتغير شيء من منظرهِ

اما صفة هذا التركيب فيؤخذ ٩٦ جزءًا من النحاس و ٦ اجزآء من الانتيمون وتذاب معاً واتزداد كثافة المزيج يضاف عليها قليلٌ من المغنيسيوم وكربونات الكلس . ونفقة الكيلغرام من هذا المزيج لا تجـاوز ثلاثة الى اربعة فرنكات

ادخال الابرة في قطعة من المسكوك ـ لا يخفى ان بعض الاجسام اصلب من بعض فالقطعة من الزجاج مثلاً تؤثر في الرخام والألمـاس يؤثر في الزجاج وكذا الفولاذ (الصلب) والنحاس او الفضة . وعليهِ فليس من الممتنع ادخال ابرة في قطعة من النحاس او الفضة لانهـا اصلب منهُ كثيراً غير ان المانع من ذلك انها مع صلابتها شديدة القصَم (يقـال جسمٌ قَصِم وقَصِف اذا كان سريع الانكسـار) فاذا اريد قسرها على الدخول في قطعة

النحاس مثلاً كما يدخل المسمار في الخشب انقصفت قبل ان تدخل ولكن اذا امكن ضبط الابرة من الميل والانحناء امكن ادخالها . والحيلة في ذلك ان تغرز الابرة اولاً في قطعةٍ من الفلّين يكون طولها طول الابرة فتصير كانها في قراب يضبطها من جميع الجهات فلا يبقى سبيل لان تميل الى جهةٍ ما وحينئذٍ يمكن ان تُضرَب على محورها ضرباً شديداً بدون ان تنكسر

فاذا تم ذلك توضع الفلينة والابرة فيها على القطعة من المسكوك المراد ادخالها فيها وتوضع القطعة على مائدةٍ جامدة ثم تؤخذ مطرقة وتُضرَب بها ضرباً شديداً فتنزل الابرة بقدر انضغاط الفلين بشرط ان تكون الضربة معتدلة ولا تُعاد والا فاذا اختلفت الضربتان انكسرت الابرة لا محالة

فوائد

استعمال البترول في التصوير الزيتي - الف الناس منذ عهدهم بالحضارة ان يزخرفوا جدرانهم بالنقوش والتصاوير المختلفة كما تُرى آثار ذلك الى اليوم في بعض المدافن بمصر القديمة وغيرها الا ان الموادّ الملونة سوآء كانت من الاتربة او الاملاح المعدنية لا بدّ لها عند الاستعمال من مائعٍ تداف بهِ ليمكن اجرآؤها بالصناعة وكانوا قديماً يمزجونها بمذوَّب شمع العسل وحدهُ او ممزوجاً بخلاصة التربنتينا ولكن مادّة اللون كانت مع ذلك لا تثبت على الاحتكاك فتتقشر على الايام وتتشوَّه ومنهم من كان يمزجها بالمآء والغرآء وآح

البيض فكانت الالوان بذلك اشدّ تماسكاً الا انها لم تكن تثبت على رطوبة الجوّ فلم يكن يمكن استعمالها من الخارج الا في الاقاليم الشديدة الجفاف ومع ذلك فانهم ما زالوا على استعمال الآح الى الاعصر المتوسطة ولم يُعرَف التصوير بالزيت الا منذ القرن الخامس عشر

على ان التصوير بالزيوت المجفِفة مع ما يتسنى بهِ من تماسك موادّ التلوين وثباتها فان الزيت المستعمل فيهِ مهما كان نوعهُ ودرجة نقاوتهِ لا بدّ ان يتاكسد بعد حين فيصفرّ ثم يسمرّ الى ان يصير في آخر الامر اسود واذا استُعمل لهُ غير ذلك من المجففات كاملاح الرصاص مثلاً كان هذا التاكسد اسرع ولا سيما اذا عُرِّض للانوار الصناعية كغاز الاستصباح فان ما ينبعث عن هذه الانوار من الابخرة يزيد في سرعة تأكسدهِ ولذلك فكثيراً ما يُرى التصوير في بعض المجتمعات العمومية بهيّاً ناضر الالوان فلا يمرّ عليهِ الا بضعة اشهر حتى يتغير وتكمد الوانهُ ثم لا يعود الى ما كان عليهِ مهما بولغ في غسلهِ وتنظيفهِ واذ ذاك يضطرّ الى قشرهِ وتجديدهِ وفي ذلك من المغرم ما لا يخفى

وقد اكثروا من امتحان الموادّ المجففة فكانت النتيجة في كلها واحدةً حتى خطر لبعضهم في هذه الايام استعمال البترول فكان فيهِ النجاح المطلوب وذلك بان تؤخذ المادّة الملوّنة مدُوفةً بالزيت حسب العادة لكن لا يُجعَل فيها من الزيت الا المقدار الذي لا بدّ منهُ ثم تُمدّ بالبترول المصفى الى ان تصير بالقوام اللازم للاستعمال فاذا أُخذ ثلاثة كيلغرامات من كربونات الرصاص مثلاً دِيفت بثلاثة ارباع اللتر من زيت الكتان المعروف

ثم اضيف اليها لتر من البترول بحيث يحل البترول محلّ خلاصة التربنتينا وهو كما لا يخفى ارخص ثمناً فقيهِ مع كونهِ افضل في الصناعة توفيرٌ في النفقة

لحام للحديد والفولاذ (الصلب) مع احمآئهما الى درجة الحمرة فقط — يؤخذ ٢٥ جزءًا من دُقاق البورق و٢٥ من برادة الفولاذ و٧ من ملح الامونياك و٢٢ من صمغ الكوباهي وتُطبَخ هذه الاجزآء كلها على حرارة لطيفة في انآء من حديد حتى تتصلب ثم تسحَق وتحفظ جافةً الى حين الاستعمال

تليين انابيب المطّاط (الكاوتشوك) — لمنع هذه الانابيب من التصلب يكفي ان تُغمَس مدة نصف ساعة في مغطس مؤلف من جزءين من المآء وجزء من الامونياك

اسئلة واجوبتها

مصر — ارجو ان تفيدوني عن الصحيح من قولهم جآء الثلاثة الرجال وجآء الثلاثة رجال وعن الافصح من قولنا عرَضَ هذه المسئلة المهمة عليهِ او عرَضَ عليهِ هذه المسئلة المهمة كما ارجو ان تفيدوني عن المصنفات العربية التي يُرجع اليها في معرفة ما ينبغي اتباعهُ في امثال هذه التراكيب

احد المشتركين
في مجلة الضيآء

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فالصحيح المثال الاول واما الثاني فمع انهُ من التراكيب المهجورة فصحتهُ ان تنصب الرجال فتقول جآء الثلاثة رجالاً وكذا المئة رجلاً والالف رجلاً لانهُ مع تعريف اسم العدد تمتنع الاضافة فلا يبقى الا النصب على التمييز

واما المسئلة الثانية فتقدّم المفعول بهِ او المجرور بحسب ما تبني عليهِ الحديث تقول وقعت لي مسئلةٌ مهمّة فعرضت هذه المسئلة على فلان فتقدّم المسئلة لان الكلام عنها . وتقول بلغني ان فلاناً من اهل العلم فقصدتهُ وعرضت عليهِ مسئلة كذا تقدم ضمير الرجل لان الكلام عنهُ . واما المصنفات التي يُرجَع اليها في هذه التراكيب فهي كتب البيان على انهم لم ينصّوا على جميع الصور التي تقع في تراكيب الكلام لان الاحاطة في مثل هذا مما لا يمكن ولكن هناك من القواعد الكلية ما اذا احسن الطالب اعتبارهُ لم يخفَ عليهِ حكم الجزئيات الراجعة اليهِ

الاسكندرية ـ جآء في كلام الجرائد الافرنجية في هذه الايام لفظة مرتجلة عرّبها اصحاب الجرائد عندنا بدَرْفسَ وهي كلمةٌ مشتقة من اسم دريفوس الرجل المشهور فهل ورد في العربية شيء من مثل ذلك

مشترك

الجواب ـ لا نذكر من مثل ذلك عندنا الاحكايةً جآءت في الاغاني محصلها ان بدر بن معشر الغفاري كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمنعتهِ فاتخذ

مجلساً بسوق عكاظ وجعل ينشد ويقول

نحن بنو مدركةَ بن خندفِ   من يطعنوا في عينهِ لم يطرفِ
ومن يكونوا قومهُ يغطرفِ   كانهم لجة بحرٍ مُسدِفِ

وكان ينشد ذلك وهو باسط رجليهِ يقول انا اعز العرب فمن زعم انهُ اعزّ مني فليضرب هامتي بالسيف . فوثب رجلٌ من بني نصر بن معاوية يقال لهُ الاحمر بن مازن فضربهُ بالسيف على ركبتهِ فاندرها اي اطارها ثم قال خذها اليك ايها الخندفُ اهـ

آثار ادبيّة

انيس الجليس - هي المجلة النسآئية المشهورة لحضرة صاحبتها ومنشئتها السيدة الكسندرا ماتيادي افيرينوه كريمة المرحوم قسطنطين الخوري وقد علم كل من طالع هذه المجلة الانيقة ما اشتملت عليهِ من سنيّ المطالب ومفيد المباحث ولا سيما فيما يتعلق بالسياسة المنزلية وما يتصل بها من احوال الأُلفة الزوجية وشؤون التربية والتعليم وتهذيب الاخلاق والروائد الى غير ذلك من الحكم والآداب المتنوعة والفكاهات اللطيفة ممثّلاً جميع ذلك بعبارة فصيحة الالفاظ سهلة المفهوم يستعذبها السمع ويتعشقها الطبع

وقد اجتازت هذه المجلة سنتها الاولى وورد علينا الجزء الاول من سنتها الثانية فاذا هو كالاجزآء التي سبقتهُ حافلٌ بالفوائد الجليلة والشذور النفيسة مع زيادة تحسينات حسيّة ومعنوية طبقاً لما وعدت بهِ في الجزء

الاخير من السنة الماضية . فنثني على حضرة منشئتها الفاضلة اجمل الثناء لما تبذلهُ من العناية والدرهم في خدمة البلاد ونسأل لمجلتها هذه مزيد الانتشار والامتداد

المحبة ـ هو اسم مجلةٍ اسبوعية تصدر من جمعية التعليم المسيحي الارثوذكسية في بيروت في ست عشرة صفحةً كبيرة صاحب امتيازها حضرة الاديب فضل الله افندي فارس ابي حلقة . وقد تلقينا الاعداد الأُول منها فوجدناها مشتملةً على كثيرٍ من المقالات والمباحث المفيدة في اغراض شتى بين دينية وادبية وتاريخية وصحية مما هو حريٌّ بالمطالعة والاستفادة . فنسأل لهذه المجلة الثبات والنماء ونثني على همم رجال الجمعية المشار اليها ثناءً طيباً لما يبثون من الخير في البلاد ونحث الجمهور على اقتناء هذه التحفة النفيسة والانتفاع بما فيها من الفوائد

مغني اللبيب عن الطبيب ـ كتابٌ طابق اسمهُ مسمّاهُ عني بوضعهِ حضرة النطاسيين الفاضلين الدكتور داود ابي شعر والدكتور امين ابي خاطر اودعاهُ كل ما تلزم معرفتهُ من تركيب الجسم الانساني وما يعرض عليهِ من الامراض والآفات مع ذكر طريقة معالجتها وتمريض اصحابها واقفين في ذلك عند القدر الذي يتمكن العامي من تناولهِ ويجوز لهُ ان يقوم فيهِ مقام الطبيب . وقد قسماهُ الى خمسة اقسام احدها في تركيب الجسم والثاني في العقاقير الدوائية والثالث في الامراض الباطنة والرابع في الآفات الجراحية

والخامس في التمريض فشرحا كل ذلك بعبارةٍ واضحة تجافيا بها ما استطاعا عن المصطلحات الطبية الى اللفظ الذي يتمكن كل احدٍ من فهم مضمونهِ والعمل بهِ بجآء كتاباً كثير الفوائد حرياً بان يقتنيهُ كل رب بيتٍ ويتخذهُ مشيراً لهُ في طرق المحافظة على الصحة ودفع غوائل الامراض . فجزى الله مؤلفيهِ الفاضلين خير الجزآء ولا برحا مصدراً لجزيل النفع وموردا لجميل الثنآء

والكتاب واضح التبويب حسن الطبع مزين بكثير من الرسوم يبلغ نحواً من ٥٠٠ صفحة وثمنهُ اربعة فرنكات ونصف

رزء أليم

كان اليوم التاسع من هذا الشهر يوماً اظلمت على عالم الادب سمآؤه واكفهرّ بضباب الاحزان صبحهُ ومسآؤه انطلقت فيهِ ألسنة البرق بما اصمّ المسامع واستوكف سُحُب الاجفان بهتّان المدامع وقد حمل الينا نعي غصن الادب النضير وبدر سمآئهِ المنير المرحوم الطيّب الاثر والعين نابغة العصر وشاعر القطرين الشيخ نجيب الحدّاد وكفى بذكر اسمهِ تعريفا ومن يجهل اسم نجيب الحداد وقد ملأ البلاد كتابةً وتأليفا فعُرف بانهُ الشاعر الذي كان رُقيةَ الألباب شعرُه والناثر الذي كان حليةَ الاسماع نثرُه والكاتب الذي كانت تتسابق خواطرهُ واقلامهُ ويتبارى في مضمار البديهة نثرهُ ونظامهُ وقد خدم العلم نحواً من سبع عشرة سنةً جدّد فيها معالم الآداب ونشر بز الفصاحة بعد ما طوتهُ ايدي الاحقاب

ونهج من طريقة الانشآء ما لم يطرقهُ طارقٌ قبله وسنّ من مذاهب الشعر ما لم يطأْ احدٌ من المتقدمين سبلَه

استأثرت بهِ رحمة الله وهو في ريعان الشباب وجدّة الإهاب غير متجاوز اثنتين وثلاثين سنةً كان فيها مثال الظارف ومحاسن الآداب فذهب والعيون تودّعهُ بالعبرات والصدور تشيّعهُ بالزفرات وقد عقرت بجانب ضريحهِ ركائب الآمال بعد ما عقلَت من ذلك الجسد عند طللٍ بالٍ ولم يبقَ الاّ طيّ القلوب على تذكارهِ وجمع الايدي على نفائس آثارهِ واطلاق الالسنة بتمديدهِ ورثآئهِ وترديد الحسرات في ندبهِ وبكآئهِ

وعزيزٌ على الضيآء ان ينشر نعيهُ على صفحاتهِ وقد كان معدًّا لنشر طيّبات نفثاتهِ وتقريظ ما يقلّد بهِ جيد العصر من جواهر كلماتهِ وأنّى للضيآء ان يفيهُ حقّ رثآئهِ وتأبينهِ ومَن احقّ من الضيآء ان يجهر عليهِ بحسراتهِ وشجونهِ وهو ابن الشقيقة بل شقيق الروح الذي جرح الفؤاد بفقدهِ وقد كان مرهم الفؤاد المجروح وبالله ما ندري أنندب في هذا الموضع شبابه ام نعدّد مناقبهُ وآدابَه ام نعزّي مريديهِ واحبابَه ام نسأل الله ان يعطر برحمتهِ ترابَه ويُجزل في نعيمهِ ثوابَه

اللهمّ انهُ قد يمّم جوارك فافسح لهُ في جوارك محلاً وأجمل برضوانك نزلهُ انهُ كان لرضوانك اهلا وهبنا على الرزء فيهِ صبراً يبرّد قلوب صحبهِ وآلهِ وأضف اجر الحزن فيهِ الى اجر اعمالهِ برحمتك يا ارحم الراحمين

سننشر ترجمة الفقيد مع رسمهِ في الجزء التالي ان شآء الله

فكاهات

رواية

عواقب اليأس [1]

على الساحل الغربي الجنوبي من انكلترا بلدةٌ يقال لها بليموث حركة اشغالها لا تنقطع لانها فرضةٌ بحرية لا يمرّ يومٌ الا يكون في مينآئها عدد عظيم من البواخر بين واردة وصادرة . وعلى نحو ساعةٍ من بليموث قرية صغيرة فيها ابنيةٌ معدودة ولكنها حسنة واراضيها واسعة خصيبة يقطنها نفرٌ يسير من اغنيآء الانكليز ممن قد سئموا معاناة الاشغال فتفرغوا لقضآء ايامهم الاخيرة بمعزل عن محن الاعمال وضوضآء الناس فبنوا لهم منازل هناك تكتنفها الحدائق النضرة والادغال الكثيفة وجداول المياه والبحر منبسطٌ امامها كانهُ بساطٌ من اللازورد وقد انبثت فيهِ السفن والزوارق فحاكت الكواكب في القبة الزرقآء

وكان في جملة سكان هذه القرية ارملةٌ عجوز تبلغ الخامسة والخمسين من العمر يقال لها اللادي تابوت كان قد توفي زوجها من مدةٍ طويلة وترك لها ثروةً واسعة من الاموال والعقار فانقلبت بعد وفاتهِ الى هذه القرية واقامت بها في قصرٍ بديع وانقطعت هناك الى تفقّد اراضيها واستقبال الجماعات الذين كانت تدعوهم حيناً بعد حين الى قضآء بضعة ايام في قصرها

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وان اللادي المذكورة خرجت في بعض ايام الربيع الى موقف القطار لاستقبال جماعةٍ من مدعوّيها فلما وقف القطار تلقتهم بمنتهى الحفاوة والترحاب ثم ركبوا العربات واموا جهة القصر . وبينما اللادي في عربتها وقد هموا بالمسير حانت التفاتةٌ منها فرأت فتىً غريباً في عنفوان الشباب قد نزل من القطار وسار قاصداً طريق القرية فنادتهُ بقصد ان تكامهُ فدنا منها ورفع قبّعتهُ لها مشيراً بالسلام . وكان الفتى طويل القامة اشقر الشعر ابيض اللون ازرق العينين تنبئان عن نباهة وذكآء . وكانت ملامحهُ تدلّ على انهُ ليس دون التي تخاطبهُ مكاناً غير انها تبينت في نفسهِ انكساراً وفي هيئتهِ كدّاً يحاول ان يخفيهُ فازدادت رغبتها في التعرف بهِ واستطلاع كنه احوالهِ . فقالت لهُ انا اللادي تلبوت فهل لك ان تعرّفني اسمك . قال اسمي الماجور كرستيان . قالت لا يثقل عليك تطفلي ايها الماجور وأذن لي ان اسألك من تقصد في بلدتنا ومن لك من المعارف فيها . قال لا معارف لي فيها ولا في هذه الناحية كلها غير اني قد سمعت انها بلدة ساكنة ساكتة يقصدها كل من احب ان يفرّغ نفسهُ من عنآء الاشغال وضيق الهموم ولم اهتمَّ بان يكون لي فيها من اعرفهُ لاني لا اظن ان بلدةً بانكلترا تخلو من نزلٍ يأوي اليهِ الغريب . فتبسمت اللادي وقالت لقد اخطأ ظنك ايها الماجور فان هذه البلدة لا نزل فيها وليس فيها من يقبل ضيفاً الا اذا كان مدعواً غير انك لا تعدم في منزلي غرفةً فسيحة وسريراً وطيئاً وطعاماً لذيذاً اذا احببت ان تزيد سرورنا بحضورك . فقال الماجور عفواً يا سيدتي اني اشكر تنازلكِ وكرمكِ من صميم فؤادي غير اني اخشى ان جمود افكاري لا يدع لكم

سبيلاً الى التلذذ بحضوري فأرى الافضل ان ارجع من حيث اتيت . قالت لكن لا قطار آخر يسافر اليوم فلا بد لك من الاقامة عندي فهلمَّ معنا واذا وجدنا حديثك طيباً تمتعنا بهِ وان كانت افكارك جامدةً كما قلت تركناك وشأنك الى تنطلق نفسك مما هي فيهِ . ثم اشارت اليهِ بالصعود فصعد الى العربة شاكرًا واخذا يتجاذبان اطراف الحديث حتى بلغوا الى القصر فاسرعت المضيفة واخذت كلاً منهم الى الغرفة التي أُعدت لهُ لازالة غبار الطريق والاستعداد للعشآء . ولما بُسطت المائدة اجتمع جمهورهم للطعام ودارت بينهم الاحاديث والنوادر واللادي تلبوت تظهر لهم من الحفاوة واللطف ما زاد ذلك الاجتماع انساً وابتهاجاً . وكان الماجور كرستيان طول وقتهِ صامتاً مطرقاً لا يزيد على التبسم الخفيف اذا دعاهُ الى ذلك داعٍ وتبين الجميع ان للماجور همّاً يناجيهِ فادركتهم الشفقة عليهِ وحاروا فيما يسلونهُ بهِ ويبسطون من انقباضهِ . ولما فرغوا من الطعام قاموا فدخلوا بهو المنزل واخذوا في ضروبٍ من الالعاب ثم قام الماجور الى آلة طربٍ هناك فعزف عليها عزفاً شجياً تحركت لهُ افئدة الجميع ثم تنهد من قلبٍ جريحٍ وانشد اغنيةً محزنة ما بلغ منتصفها حتى اخذت دموعهُ تتساقط على عارضيهِ كالمطر وكانت هيئتهُ وكلمات اغنيتهِ مما تتصدع لهُ القلوب رحمةً فاخذ الجميع يبكون لبكآئهِ . ولما فرغ التفت فرأى كلاً يمسح دموعهُ بمنديلهِ فحيا صامتاً وذهب الى غرفتهِ حزيناً وقام الحاضرون بعدهُ فانصرفوا كل واحدٍ الى سريرهِ وقد شغلتهم حالة الماجور وما فيهم الا من تمنى ان يقف على حقيقة حالهِ

ولما كان الصباح نهض كرستيان من سريرهِ ولم تكن قد أُغمضت

جفونهُ طول الليل وتوجه الى حديقة القصر فجلس على مقعدٍ هناك مصنوع من جذوع الشجر يجري امامهُ معين مآء وجعل يتأمل في مياههِ المتسلسلة وخريرهِ المتواصل وبينا هو كذلك اذ شعر بوقع اقدامٍ بالقرب منهُ فالتفت فاذا باللادي تلبوت واقفة بازآئهِ بلباس الصباح . وبعد تبادل التحية بينهما سأَلتهُ عن ليلتهِ فشكرها على ذلك واثنى على كرم ضيافتها فجلست الى جانبهِ وامرتهُ بالجلوس ففعل ثم قالت لهُ اعلم ايها الماجور اني ارملة فقدت زوجي منذ نحو عشرين سنةً وترك لي من المال والعقار شيئاً كثيراً . وقد طلبني كثيرون للاقتران بي فابيت لاني لم ارجُ ان اجد من يخلف زوجي في حسن صفاتهِ وفرط حبهِ لي فآثرت ان اتمتع بقية حياتي بما لديَّ من المال دون ان احكّم عليَّ رجلاً . ولقد وجدت اعظم لذةٍ اغتنمها هي ان أواسي البائس واخفف كرب المحزون ما وجدت الى ذلك سبيلاً وقد لمحت منذ رايتك انك في همٍ يساورك ولا تستطيع دفعهُ فاحببت ان استطلعك طلع حالك لعل في طاقتي ان اعينك على ما انت فيهِ او ازيل عنك ما تجدهُ وان لم استطع هذا ولا ذاك فلا اقلّ من ان تجد راحةً بالشكوى اذا رايت امامك سامعاً يشاطرك اساك ويكتم اسرارك في صدرٍ اعمق من القبر

وكان في ملامح اللادي ولهجة كلامها ما يؤكد اخلاصها وانها تنوي تحقيق ما تقول فتنفس طويلاً وجالت في آماقهِ عبرةٌ حارّة ثم التفت اليها وقال اني لا اروم المساعدة في شيء لان المساعدة التي ابغيها هي مما لا اطمع في الحصول عليهِ من بشر ولست ارجوهُ الا من فضل الله ورحمتهِ واما المال فلديَّ منهُ بحمد الله ما لا احتاج معهُ الى مزيد غير ان ما ابديتهِ

لي من الحفاوة بي والاهتمام بشأني يدعوني الى ان اخبرك بخبري كما يكاشف الولد والدتهُ بما في صدرهِ وحسبي ان تشعري معي بما يكنهُ ضميري وترثي لبلواي . ثم اخذ في قصتهِ فقال اني وُلدت من والدين انكليزيين في مدينة فلورنسا من ايطاليا حيث كانت تجارة ابي واملاكهُ الواسعة غير ان والديَّ لم يُقسم لهما ان يتمتعا بمشاهدتي طويلاً لانهُ في السنة التي عدت فيها من المدرسة توفي كلاهما في شهرٍ واحد وتركاني لطيماً . فاقمت وكيلاً يتولى اشغال ابي وما ترك لي من الاملاك ودخلت في سلك الجندية فأُرسلت الى الهند ولبثت هناك نحواً من عشر سنوات نلت فيها رتبة ماجور ثم انقلبت الى مسقط راسي فوجدت ثروتي قد ازدادت اضعافاً . واقمت بفلورنسا زمناً طويلاً الى ان كنت ذات يوم في دعوةٍ عند صديقٍ لي فرأيت فتاة ايطاليانية متناهيةً في الجمال فملت اليها وعزمت على الاقتران بها . ولما تمكنت الالفة بيننا وجدت عندها من التعلق بي ما لا يقلّ عن تعلقي بها فعرضت عليها ما في نفسي فاطرقت وانقبضت ثم تنهدت وقالت اني احبك حباً لا مزيد عليهِ وأعلم انك تحبني كذلك غير اني ارجو ان يكون حبك لي كحبّ اختٍ لاني لست اهلاً لان اكون زوجةً لك . فظننت لاول سماعي ذلك منها انها ربما استبعدت ما اقول لها لما بيننا من التفاوت في الثروة اذ كانت هي رقيقة الحال ولم تكن من اهل الغنى فلم اياس من الحصول عليها ولبثنا على ما كنا عليهِ من مواصلة الاجتماع وكان الحب بيننا يزداد يوماً عن يوم حتى لم يعد احدنا يصبر عن لقاء الآخر يوماً واحداً . ثم اني اعدت عليها الطلب مرةً اخرى وسألتها اما ان تعدني بالاجابة الى مبتغاي واما ان

نقطع املي بتةً لاهاجر ايطاليا وانقطع عن العالم باسرهِ . فلما رأت مني ذلك الاصرار قالت لا أحبَّ اليَّ من هذه السعادة يا كرستيان وما امتنعت منها اولاً الاّ حرصاً على سعادة مستقبلك واما وقد اصررت على طلب موافقتي لك فها ان يدي ملكٌ لك وانا بكليتي وقفٌ على خدمتك وراحتك بشرط ان لا تسكن ايطاليا ابدًا . فاجبتها الى ذلك وبعد مدة يسيرة اقترنت بها وقضينا ايامنا الاولى على اتمّ الصفو والنعيم الا انها كانت لا تفتر عن الالحاح عليَّ في مغادرة ايطاليا وكنت انا اودّ ذلك ايضاً للرجوع الى موطن آبآئي غير ان اشغالي وعلائقي التجارية لم تكن لتسمح لي بالاسراع في السفر فلم يكن لي بدٌّ من تأجيلهِ حيناً بعد حين . ولما كان احد الايام قالت لي احذر على سعادتك وهلمّ نزايل ايطاليا في اسرع ما يمكننا والاّ لم نأمن حدوث حادثٍ يفرّق بيننا وينغص عيشنا ما بقينا فوعدتها بالتعجيل في اجابتها وخرجت لقضآء مهماتي استعداداً للسفر . فبينا انا في احد المخازن اذا بزوجتي قد دخلت على أثري وهي مستندة على ذراع رجل غريب لا اعرفهُ فنظرت اليها وقد اخذ مني الدهش كل مأخذ فلم تلبث ان تقدمت اليَّ وقالت هات الف ليرة في هذه الدقيقة . فزادني ذلك حيرةً ووقفت مبهوتاً من وقاحتها هذه التي لم اعهدها فيها وقبل ان اراجعها بكلمة قالت الم تسمع يا هذا فخذ من يدي لتتعلم ان تطيعني متى امرتك وبسرعة البرق اخرجت من جيبها مسدساً فاطلقتهُ عليَّ فاصابتني رصاصتهُ في جنبي الايمن وسقطت لا اعي شيئاً فما افقت الا وانا في احد المستشفيات والطبيب يعالجني . واول ما امكنني النهوض ركبت واسرعت الى منزلي فلم اجد زوجتي وسألت عنها

الخدم فقالوا انها خرجت يوم خروجي بعدي بقليل والى ذلك الوقت لم تعد . فقضيت ذلك اليوم وانا في اشد القلق والاضطراب ومذ ذاك جعلت همي الوحيد ان ابحث عن زوجتي لاعلم اين هي واعرف السبب الذي دعا الى هذا الانقلاب السريع والعمل الفظيع فبحثت اياماً كثيرة ولكن بدون جدوى. ولما اعيتني الحيل وسئمت الحياة بعت جميع املاكي وحصرت ثروتي في المصارف وجعلت انتقل من بلدةٍ الى اخرى وانا ابحث عنها حتى بلغت الى هنا لعلي اقف لها على اثر

وكانت اللادي تلبوت تسمع لهُ باصغآء عظيم وقد اثر فيها حديثهُ تأثيراً شديدًا حتى لم تملك دموعها فاجتهدت في تعزيتهِ وتخفيف جزعهِ ما امكن ولما حان وقت الطعام وكان الضيوف في الانتظار اخذتهُ معها فاكلوا جميعاً . وبعد الطعام اقترحت اللادي ان تذهب بضيوفها الى متنزهات البلدة وكان على بعد نصف ساعة من منزلها بنآء جميل تحيط بهِ الخمائل والمياه فانطلقت بهم الى تلك الناحية لانها سمعت ان احدى الخواتين قد استأجرت تلك الارض فاحبّت ان تعرفها فلما بلغت المحل المذكور جلسوا جميعاً على العشب الاخضر في ظل شجرةٍ من حدائقهِ يتمتعون بتلك المناظر الشائقة . وبينا هم كذلك اذا بالماجور كرستيان قد وقف يحدّق الى شخصٍ لاح لهُ بين الاشجار قاصدًا المنزل ثم صاح باعلى صوتهِ ها هي ذي وسقط على الارض فاقد الشعور . فتحير القوم لما اصابهُ واسرعوا بنقلهِ الى البيت ولما افاق دخلت عليهِ اللادي وسألتهُ عما عرض لهُ فاخبرها انهُ رأى زوجتهُ بعينها داخلةً الى المنزل وهي عريانة وقد استندت الى ذراع الفتى الذي رآهُ

معها حين اطلقت عليهِ الرصاص

وجعل كرستيان بعد ذلك يتردد كل يوم الى ذلك الموضع لعلهُ يصادف زوجتهُ او يطلع من امرها على شيء آخر فلم يكن يرى الا الامور الدالة على تهتكها فكان ذلك يصرف عزمهُ عن الرغبة في مقابلتها ويزيد في حرقتهِ وحزازات صدرهِ . وفي تلك الاثناء قدمت الى تلك البلدة خاتونٌ من المثريات فاكترت لها قصراً واقامت بهِ بعد ان اتقنت فرشهُ ورياشهُ وربت فيهِ الخيول الكريمة وسائر انواع الطيور والحيوانات الداجنة حتى صار مسكنها مقصداً لسكان تلك الناحية يتلهَّون بالنظر الى محتوياتهِ ويقضون اوقاتهم في حدائقهِ . وكان من غريب امر هذه الخاتون صاحبة القصر انها لم تكن تخرج من غرفتها ولم يرَ وجهها احدٌ قط وارادت اللادي تلبوت ان تسرَّ ضيوفها فبعثت برقعةٍ الى صاحبة القصر تستأذنها في الذهاب مع ضيوفها لزيارة القصر والنظر الى ما فيهِ فأذنت لها في ذلك عن طيبة خاطر . وفي اليوم التالي انطلق جمهورهم الى القصر واخذوا يطوفون فيهِ فدهشوا لما شاهدوا فيهِ من النفائس والمناظر البديعة بين اثاث وحيوان وفرش وزينة . وبينا هم يتنقلون في غرفهِ اذ سمعوا عزفاً على آلة طرب وصوتاً رخيماً ينشد فوقفوا جميعاً يتسمعون لذلك الغناء وما كاد ذلك الصوت يقع في مسمع الماجور حتى ارتعش شديداً وقذف بنفسهِ الى جهة الباب ووقف مصيخاً . وإذ ذاك تقدم الخادم ورغب اليهم ان لا يدخلوا تلك الغرفة لانها غرفة مولاته الخصوصية . وكانت الاغنية هي نفس التي انشدها الماجور في قصر اللادي وهي اول اغنية علمها لزوجتهِ قبل اقترانهِ بها فاشتغل قلبهُ بها

وعكف على الخادم يسألهُ عن مولاتهِ من هي ومن اين اتت فقال انهُ لا يعلم عنها الا انهـا دائمة الجولان من بلدةٍ الى اخرى وانهُ دخل في خدمتها منذ سنة وكانت اذ ذاك في لندرا . قال المـاجور اوليست مولاتك ايضـاً تقيم بالقصر الذي بشمال ظاهر البلدة قال لا فان مولاتي لا تعرف من هذه البلدة سوى الطريق الذي بين محطة القطار وقصرها لانها منذ وصولها لم تخرج قط وهي دائمًا في غرفتها لا تواجه احداً

وكانت الظنون تتزايد في مخيلة الماجور وقد ارتسمت على وجههِ دلائل الاضطراب الشديد . ثم عاد الصوت الى انشادهِ فادنى المـاجور اذنهُ من الباب مصغياً ولما اتمت المنشدة البيت الاول لم يتمالك كرستيان نفسهُ من انشاد البيت الثاني وللحال توقف الضرب والغنآء من الداخل وفي اسرع من لمح البصر فُتح الباب وظهرت من ورآئهِ الفتـاة وهي صفرآء اللون مهزولة الجسم وحالما وقعت عينها على كرستيان القت بنفسها عليهِ وسقطا كلاهما مغشياً عليهما. فتبادر الواقفون اليهما ولما افاقا ادخلتهم الخاتون جميعاً الى غرفتها وجلست بجانب كرستيان زوجها . وحينئذٍ لم يرَ كرستيان بدًّا من اطلاع الحضور على قصتهِ فاخذ يسردها عليهم ثم سأل زوجتهُ ان تخبرهم لمَ فعلت بهِ كذلك واين ذهبت بعد تركها لهُ . وكانت الخاتون تتعجب مما قصهُ زوجها ثم التفتت اليهم فقالت اني من يوم تزوجت بالماجور كنت الحّ عليه بالخروج من ايطاليا لان لي اختاً قبيحة السـيرة قد قضت عمرها في ارتكاب المنكرات والرذائل حتى اشتهر امرها في ايطاليا وحبسناها مراراً في سجون للمجانين ففرّت منها وكنت اخشى ان زوجي يطلع على امرها فاسقط من عينهِ . فلما خرج

في ذلك اليوم المشؤوم استبطأتهُ وخرجت اقتفي أثرهُ وبينما انا في الطريق صادفت اختي على غير انتظار فشهرت عليّ السلاح وقادتني امامها صاغرةً الى السجن الذي هربت منهُ اذ ذاك واخذت تؤنب الحراس على ان تركوني افرّ زاعمةً اني انا التي كنت مسجونة واوصتهم ان يحتفظوا بي وعادت هي الى متابعة منكراتها واعمالها البذيئة ولم اتمكن من اقناع سجاني بالواقع الا بعد سنتين . ولما اطلقوني عدت الى المنزل فوجدت ان كرستيان قد باع كل شيء وسافر الى حيث لا يعلم احد فطفقت ابحث عنهُ في كل وجه ولما لم اقف لهُ على اثر ظننت انهُ ربما رأى اختي وما هي فيهِ من الحال الدنيئة فانف مني ومن اسرتي وسافر الى حيث لا ادركهُ فوطنت نفسي على ان اقضي بقية ايامي في هذه العزلة بالسكينة والهدوء

وكان الجميع يعجبون من هذه الحوادث الغريبة وكرستيان مطوّق خصر زوجتهِ بذراعهِ والدموع تتساقط على خدّيهِ . وما كادت تفرغ من قصتها حتى دخل الخادم فقال يا مولاتي ان بالباب سيدةً تروم مواجهتكِ فأمرتهُ بادخالها واذا هي اختها وقد انتصبت في وسط الغرفة وفي يدها المسدس المعهود ولم تكن تترقب ان ترى هذا الجمهور هناك وللحال وثب كرستيان اليها وثبة النمر فاوثقها وسلمها الى الخادم وقد عجبوا كلهم من شدة مشابهتها لاختها وحققت لهم هذه الحادثة ما سمعوهُ . فهنأوا كرستيان وزوجتهُ باجتماعهما بعد مرارة ذلك الفراق ثم ارسلوا اختها الى البيمارستان الانكليزي واقام كرستيان مع زوجتهِ في القصر يولم الولائم للاّدي تلبوت وزوّارها ويعوّض ما قاساهُ من المكاره والغصص بالنعيم والمسرّات

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون صحيفةٌ وَضّاءِ وفلانٌ ذو طلعةٍ وضّاءِ فيؤنثون لفظ الوضّاء ذهاباً الى ان الفهُ للتأنيث على حدّ الف غرّاء مثلا ومقتضاهُ ان الوضّاء مؤنث الأوضّ مثل غرّاء وأغرّ وهي مادّةٌ لم ينطقوا بها ولا يُعرَف لها معنى . وانما الوضّاء من الوضاءة بمعنى الحسن يقال وَضُؤ الرجل وهو وَضيءٌ على فعيل ووُضّاءٌ بضمّ فتشديد مثل كبير وكُبّار وعجيب وعُجّاب فالهمزة فيهِ اصلية وهي لام الكلمة ويقال في مؤنثهِ وُضّاءة

على ان مثل هذا الوهم قد جاء حتى في كلام بعض الجاهليين لانهُ من المواضع التي تلتبس على غير اللغويّ قال الحارث بن حلِّزة

اجمعوا امرهم بليلٍ فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاءُ

فأنث الضوضاء على توهم انهُ من باب شحناء وبغضاء والذي يلزم عن هذا ان يكون اشتقاقهُ من ضاض يضوض وهي مادةٌ لم ينطقوا بها ايضاً . والصحيح ان الضوضاء وزنهُ فَعْلال على حد بَلبال وزَلزال واشتقاقهُ من الضَوّة وهي الصياح والجلبة واصلهُ ضَوْضاوٌ ثم قُلبت الواو همزةً لتطرفها بعد الف

واغرب منهُ ما جاء في القاموس حيث اورد الخِشّاء بالكسر والتشديد في مادّة (خ ش ش) وفسرهُ بالتخويف وليس في هذه المادة شيءٌ من هذا المعنى وانما الخِشّاء فِعّال (بالكسر) من خَشّاهُ بالتشديد يخشّيهِ تخشيةً

وخِشاآء مثل كذّبهُ تكذيباً وكِذّاباً وقضّاهُ تقضيةً وقِضّاآء فالهمزة فيهِ منقلبة عن اليآء التي هي لام الكلمة كما هو ظاهر . ومن الغريب ان الشارح لم يتعرض لهذه اللفظة مع انها لم ترد في لسان العرب الذي عنهُ اخذ معظم ما جآء في هذا الشرح مع ما هو معروف من كثرة تنقيب صاحب اللسان وحرصهِ على جمع نوادر اللغة

ويقولون هم في حاجةٍ الى الغذآء والكسآء فيستعملون الكسآء بالمدّ لمطلق الملبوس وانما الكسآء ثوبٌ بعينهِ وهو نحو العبآءة من صوف قال

جزاكِ الله خيراً من كسآء　　فقد ادفأتني في ذا الشتآء

فامّكِ نعجةٌ وابوكِ كبشٌ　　وانت الصوف من غزل النسآء

والصواب في مرادهم الكُسَى بالقصر مع ضم الكاف وكسرها جمع كسوة بالوجهين وهي كل ما يُكتَسَى

ويقولون امعن في الامر وتمعن فيهِ اي تدبرهُ وتقصّى النظر فيهِ وربما قالوا تمعّنهُ وامعن فيهِ النظر وكل ذلك غلطٌ لان الامعان بمعنى الابعاد في المذهب وهو لا يستعمل الا لازماً يقال امعنت السفينة في البحر اي اوغلت وامعن الطائر في الطيران اذا تباعد وقد يستعمل بمعنى المبالغة في الامر مجازاً يقال امعن في الطعام والشراب وامعن في الضحك . واما تمعن فلم يثبت ورودهُ في شيء من كلام العرب وكانهم بنوهُ على تأمل وتدبر وتفرس وما اشبه ذلك

ويقولون قرأت هذا في صحيفة كذا من الكتاب وفي هذا الكتاب كذا كذا صحيفة يعنون الصفحة وهي احد وجهي الصحيفة وانما الصحيفة

الورقة بوجهيها

ويقولون ذهب الرجلان سويةً اي ذهبا معاً وانما السوية بمعنى السوآء يقال قسموا المال بينهم بالسوية وهذا حكمٌ لا سوية فيهِ وهي النصفة والعدل

ويقولون احتـار في الامر من الحيرة ولم يسمع افتعل من هذا وانما يقال حار يحار فهو حائرٌ وحيران وحيّرتهُ فتحير

ويقولون فوّضت فلاناً بالامر وفي الامر اي رددتهُ اليهِ فيعكسون عمل الفعل والصواب فوّضت الامر الى فلان

ومثلهُ قولهم نوّطتهُ بالامر وأنطتهُ بالامر فيغيرون صيغة الفعل وعملهُ جميعاً والصواب نُطت الامر بفلان انوطهُ وهذا الامر منوطٌ بك بلفظ الثلاثي لا غير

ويقولون هذا امرٌ مريع وقد اراعهُ الامر فيأتون بهِ على صيغة افعل والصواب راعهُ يروعهُ وهو امرٌ رائع . وهذا في كلامهم بابٌ واسع نذكر منهُ ما يحضرنا في هذا المقام يقولون اسأت الرجل اي فعلت به ما يكره وهو خلاف سررتهُ فيزيدون في اولهِ همزةً والصواب سؤتهُ بالمجرد واما اسأت فهو خلاف احسنت تقول اسآء الرجلُ العمل اذا جآء به سيئاً وقد اسآء الى فلان اذا اتى في حقهِ فعلاً سيئاً كما تقول اذنب اليهِ واجرم اليهِ . ويقولون اهاجهُ الغضب وهو مُقادٌ الى هذا الامر بطبعهِ وطعامٌ مُقيت وأقرّ المجلس على كذا اي استقرّ رأيهُ عليهِ والصواب في كل ذلك التجريد . وربما خصّوا هذا الاستعمال ببعض صيغ الفعل دون بعض يقولون فلانٌ غير مُلام في هذا الامر فيأتون بهِ من باب افعل مع انهم يقولون لمتهُ الومهُ وانا لائمٌ لهُ وهو عجيب .

وكذا قولهم أكربهُ الهمُّ وارعبهُ الخطب وامرٌ مكرِب ومُرعِب وفلانٌ رجلٌ مهاب مع انهم يقولون رجلٌ مكروب ومرعوب وهبت فلاناً وانا اهاب ان اكلمهُ . ويقولون اشهرت الامر واشهرت عليهِ السلاح وامرٌ مشهور وسيفٌ مُشْهَر فيفرقون بين الامر والسيف في صيغة المفعول . وقد جاء من هذا في كلام الاولين قول سليمان بن عبد الملك « انا الملك الشاب السيد المهاب » رواهُ المسعودي في مروج الذهب وهذا يدل على ان هذا الغلط قديم يتصل باوائل عهد الاسلام وقد وهم فيهِ اناسٌ من اكابر الشعراء وجِلة اهل الادب لندرة كتب اللغة في ايامهم واعتمادهم في تحملها على السماع مع ما دخلها من الفساد والتحريف فمن ذلك قول الالبيري رواهُ في نفح الطيب

ومهما اكربتك صروف دهرٍ فقل ما قالهُ الرجل الاريبُ

وقول صفوان بن ادريس

وقد اسكرت اعطاف اغصانها الصبا وما كنت اعددت الصبا قبلها خمرا

يريد عددت . وقول مصطفى الحلبي

ولا تغنَّت على غصنٍ مطوَّقةٌ الا اهاجت لي الاشجان والارقا

والامثلة من هذا كثيرةٌ فنقف منها عند هذا القدر رعايةً للمقام

ويقولون امرٌ عتيد ويومٌ عتيد اي منتظَر فيغلطون فيهِ لان العتيد بمعنى الحاضر المهيأ وقد أعتد الامرَ اي اعدهُ وامرٌ مُعتَدٌ وعتيد

ويقولون هذا كلامٌ طليٌّ وهو اطلى من كلام فلان اي كلامٌ ذو طلاوة وهو اكثر طلاوةً من كلام فلان ولم ترد الصفة من هذا الحرف فيما نقلوهُ

ويقولون لهُ في هذا الامر باعٌ طُولَى فيؤنثون الباع وهو مذكر

ويقولون جماعة القُسُس بضمتين يريدون القسوس فيحذفون الواو لان فَعْلاً الساكن العين لا يجمع على فُعُل ولم يمرّ بنا من مثل هذا الا قول عبد الرحمن الشيرازي

لو أنّ ما ذاب منهُ يجمدُ لم　　　يصلح لغير العقود والشُنُفِ

يعني الشنوف فحذف الواو لضرورة الشعر وان كان المتاخر لا تعذرهُ ضرورة

(ستأتي البقية)

باطن الارض واقوال العلمآء فيهِ

لحضرة الاديب امين افندي مرشاق

قد اصبح اليوم من ضروريات العلم ان الارض كان اصلها غازاً مشتعلاً ثم صارت جذوةً سائلة وبعد ذلك اخذ ظاهرها يبرد شيئاً بعد شيء ومع تقادم الزمان وتتابع القرون وصلت الى الحالة التي هي عليها الآن

ومن المعلوم ان الاجسام الحارّة الذائبة اذا اخذت تجمد يجمد سطحها اولاً ثم تأخذ حرارة الباطن تتناقص بنفوذها من السطح وهذا ما حدث للارض فان اول ما برد وتجمد منها كان قشرتها الخارجية وبعد ذلك اخذت حرارة باطنها تتناقص وهي لم تزل على ذلك التناقص الى اليوم

ومن الامور المسلمة ان باطن الارض حارٌّ والادلة على ذلك كثيرة ينحصر اهمها في ثلاثة. الاول انهُ شوهد في المعادن والمقاطع والآبار العميقة ان درجة الحرارة كانت ترتفع كلما ازداد عمق تلك الحفر وقُدِّر معدل الزيادة

فيها بدرجة واحدة من مقياس فهرنهيت لـكل زيادة ستين قدماً من العمق . والدليل الثاني هو ما يرى من المواد الذائبة من سائلة وغازية التي تقذفها البراكين من باطن الارض . والدليل الثالث ما يشـاهد على سطح عامة الارض من الينابيع الحـارة التي بلغت حرارة مآء بعضها الى درجة الغليـان وارتفعت حرارة مآء البعض الآخر حتى تحول ذلك المـآء الى بخـار وصار يخرج من منافذ الارض كذلك . وهذه الادلة جميعها تظهر باجلى بيان ان داخل الارض حارٌ ولا خلاف بين العلمآء في ذلك ولكن الخلاف في الحالة التي عليها باطن الارض والعلمآء من هذا القبيل على ثلاثة أفرقة . الفريق الاول يرتئي ان باطن الارض سائل حتى يصل الى نحو ثلاثين ميلاً عن سطحها . والفريق الثاني يزعم ان الارض تنقسم الى ثلاثة اقسام القسم الداخلي عند مركزها جامد والقسم الثاني بين مركزها وقشرة سطحها سـائل والقسم الثالث وهو القشرة الخـارجية التي لا يزيد سمكها عن ثلاثين ميلاً متجمد . واما الفريق الثالث فرأيهُ ان الارض متجمدة ما عدا بعض تجاويف صغيرة فيها وهي المحلات التي تتهيأ فيها المواد البركانية

على ان جميع هؤلآء العلمآء لا يتمسكون باقوالهم هذه الا بنـآءً على براهين يسمونها قاطعة وكل فريق منهم يؤيد رأيهُ بالبرهان ونحن ننقل لحضرات القرآء ما يتمسك بهِ كلٌ منهم . اما الفريق الاول وهو القائل بان باطن الارض سائل فيقول ان الحرارة المستبطنة الارض لما كانت ترتفع على نسبة درجة لـكل ستين قدماً نزولاً عن سطح الارض فانها لا تقطع مسافة ثلاثين ميلاً عن السطح حتى ترتفع الحرارة الى درجة تذيب اقسى المواد التي

تتركب منها الارض وعليهِ فباطن الارض ذائب وليس جامداً منها الا القشرة الخارجية فقط

والفريق الثاني وهو القائل بان الارض مركبة من ثلاث طبقات يؤيد رأيهُ بقولهِ ان النواة الداخلية تجمدت بسبب التكاثف الشديد الذي حدث لغازها عند تكوُّن الارض على هيئتها الحالية فان هذه النواة كانت اول ما تكاثف من اجزآء الارض وبسبب زيادة الضغط الخارجي عليها تجمدت الى درجة لم تعد تقوى فيها الحرارة الداخلية على اذابتها واما الطبقة السائلة التي تحيط بهذه النواة فبقيت من الاصل سائلة بسبب الحرارة الشديدة الموجودة في باطن الارض والطبقة الخارجية تجمدت بسبب نفوذ حرارتها الى الهوآء المحيط وهذا جل ما يتمسك به الفريق الثاني

اما الفريق الثالث وهو الذي يزعم ان باطن الارض متجمد الا في بعض التجاويف فيقول اننا نسلم مع اصحاب القول الاول ان الحرارة الداخلية تزداد كلما هبطنا عن السطح وعلى النسبة التي ذكروها ايضاً ولكن اولئك اهملوا امراً مهماً وهو امر الضغط فانهُ من الحقائق الطبيعية المقررة ان الحرارة المذيبة لجسمٍ ما ينبغي ان تكون زيادتها على نسبة زيادة الضغط على ذلك الجسم فانا لو اخذنا مقداراً من المآء في انآء ووضعناهُ على النار حتى اخذ يتبخر ثم ضاعفنا الضغط الهوآئي فوقهُ لانقطع الغليان والتبخر الى ان نزيد الحرارة حتى ترتفع الى درجة هي ضعفا عدد الدرجات التي بلغتها عند تبخرها الاول فاذا بلغت تلك الدرجة يعود الغليان والتبخر . وكذا لو اخذنا ذلك المقدار من المآء واحميناهُ الى ٥٠° سنتغراد ثم فرَّغنا الهوآء من فوقه بحيث ينتصف ضغطهُ

لاخذ ذلك الماء يغلي ويتبخر وعليهِ فمع ان الحرارة تزداد كلما تعمقنا في باطن الارض فان الضغط ايضاً يزداد مع العمق فيبطل فعل الحرارة المذيبة عليهِ وهذا التناسب بين الضغط والحرارة هو ما يحفظ باطن الارض جامداً . اما التجاويف التي يستثنونها من هذا التعميم وهي البحيرات النارية التي تقذف منها المواد البركانية فيقولون انها تكون سائلة بسبب من الاسباب الداخلية او الخارجية يخفف الضغط على محل من المحلات فتتغلب قوة الحرارة على ضعف الضغط وتحوّل المواد الجامدة في ذلك المكان الى حالة السيلان ومتى سالت تلك المواد تمدد وبتمددها تخرق المحلات السهلة الانخراق من القشرة وتصعد الى وجه الارض بهيئة المواد البركانية . هذا جل ما يرتئيهِ العلماء الذين يبحثون في احوال الارض وكيفية تكوينها وامور باطنها والله بالباطن اعلم

﴿ الاسلاك البرقية في البحر ﴾

وُضع اول سلكٍ برقي في البحر سنة ١٨٥٢ على يد السير وُكَر برَيت الانكليزي بين مدينتي كاليس ودوفر ثم اخذوا يمدون السلك بعد السلك بين جهاتٍ شتى حتى خطر للانكليز ان يمدوا الاسلاك بين انكلترا واميركا واول سلك مدَّ في الاتلانتيك كان سنة ١٨٥٨ وتكاثرت من ثم الاسلاك في كل بحر الى ان بلغ الممدود منها في الاتلانتيك وحدهُ ١٣٠٠٠٠ ميل في عشرة اسلاك وهم مشتغلون اليوم بمدّ سلكين آخرين . وقد خُصص لهذه الاسلاك ست وثلاثون سفينة بخارية موقوفة لمدّ الجديد واصلاح القديم

وتؤلف هذه الاسلاك من ثلاث طبقات الاولى الباطنة وهي ستة

اسلاك من النحاس الاحمر ملفوفةً لفاً دقيقاً بالتعاقب على سلكٍ سابع في وسطها وهذه الطبقة هي الحاملة للكهربائية ويبلغ قطر مجموعها ٣ ميليمترات وسدس . والثانية الطبقة المتوسطة وهي اربعة اغشية من المطاط الصفيق مظاهراً بعضها فوق بعض لحصر القوة الكهربائية ووقاية الاسلاك الداخلية من المآء . والطبقة الثالثة الغلاف وهو غشآء مؤلف من اثني عشر سلكاً من اسلاك الحديد الملبسة بالزنك مدمجةً في خيوط القنب المدهونة بالقطران وهذه الطبقة تحيط بالطبقتين الاولين حفظاً لهما من حوادث البحر وآفاتهِ . ويبلغ قطر السلك بطبقاتهِ الثلاث ٢٧ ميليمتراً وثقل الكيلومتر منهُ ٩٧٠ كيلغراماً في الهوآء و ٣٨٠ في مآء البحر فيمكن ان يحمل الى ثقل ٧٨٦٠ كيلغراماً بدون ان ينقطع

اما البواخر التي تمدّ الاسلاك فتسافر اولاً وثانياً في نفس الخط الذي يراد مدّ السلك فيهِ فتقيس مسافة الطريق وعمق البحر ثم تحمل السلك ملفوفاً على دولاب ضخم بعد ان تشدّ احد طرفيهِ في البر ثم تسير وهي تحل ذلك السلك شيئاً فشيئاً وتلقيهِ الى البحر فيغوص تحت المآء الى ان تبلغ الجهة الاخرى من البر المقصود ايصال السلك اليهِ فتشد طرفهُ الآخر هناك ويتخاطب الطرفان في اقل من خمس دقائق بما استغرق اشهراً واعواماً لاتمام عملهِ

ثم ان هذه الاسلاك كثيراً ما تجاذبها التيارات او تسقط عليها الصخور فتنقطع وقد تسطو عليها الحيتان فتقرضها او يعرض لها غير ذلك مما يستوقف عملها ولذلك لا يُستغنى في تدارك هذه العوارض عن بواخر معدّة دائماً

لاصلاح ما يطرأ عليها من الخلل . فاذا انقطع احد الاسلاك سارت سفينتان احداهما من احد جانبي اتصالهِ والثانية من الطرف الآخر والى جانب كلٍّ من السفينتين حلقة متينة يُدخَل فيها طرف السلك ثم تمر السفينة فيرتفع معها السلك شيئاً فشيئاً بحيث لا تزال متابعةً لهُ الى ان تصل الى محل الانقطاع فتقف وتستمرّ الاخرى في مسيرها وهي رافعة القطعة الاخرى حتى تلتقي بالسفينة الاولى فتتعاون كلتاهما على وصلهِ وردّهِ الى ما كان عليهِ

مذهب البعض في السماء والارض

لحضرة الاديب هنري افندي غرزوزي

ان هذا الانسان عاش قرونا   وسيبقى على البسيطة حينا
كان فذًّا واليوم اضحى شعوباً   تملأ السهل كلهُ والحزونا
نحن ندري ان التناسل حكمٌ   كان قبلاً ولم يزل مسنونا
عاش زيدٌ وقتاً وعاش بنوهُ   ثم ولّى زيدٌ وولّى البنونا
فتلاهُ بنو بنيهِ وماتوا   بعد ان اعقبوا وعاشوا سنينا
ولزيدٍ جدٌّ وللجدِّ جدٌّ   وعليهِ فالكلُّ مولودونا
لجميع الورى فروعٌ ولكن   لم يزل سرُّ اصلها مكنونا
فهو سرٌّ اعيا الائمة طرًّا   واضلّت آياتهُ الباحثينا
ولكلٍّ في الأمر رأيٌ ولكن   قال قومٌ وعلهم يصدقونا
انما الكون كان غازاً بسيطاً   قد براهُ من اوجد الروح فينا

وفريقٌ لا يؤمنون بربٍ امرهُ خطَّ فيه كافاً ونونا
ذهبوا انهُ أتى باتفاقٍ لا بحكمٍ قد سنَّهُ بارينا
فلنعد للكلام فالبحث اولى ولندعهم في جهلهم يعمهونا
قلت اصل الكون المركب غازٌ رقَّ جسماً حتى أهام الميونا
فكأنَّ الايامَ لما رأتهُ ذا نحولٍ ادقّ من ان يبينا
حركتهُ بكفها فأزال ال جذب والدفع منهُ تلك الشؤونا
ثم زادت بهِ العناصر والقوة م حتى اضحى يعاف السكونا
فعراهُ تجزؤٌ ومع الايام م امسى عوالماً تسبينا
وهي تجري على نظامٍ وليست تتعداهُ حسبما تعرفونا
وعليهِ فأرضنا لفظتها امها وهي لا تزال جنينا
وهي كانت في البدء غازاً وصارت سائلاً زاد شكلها تحسينا
ثم زالت بعض الحرارة عنها فاكتسى سطحها رداآء متينا
وبدا فوقها الهوآء لطيفاً وهو غازٌ قد كان فيها دفينا
ثم قامت فيها الجبال لضغط ال غاز في الجوف حيث بات كمينا
وعلتها المياه واكتنفتها فكست هاتيك البحورُ البطونا
وتبدت في جوها المزن حتى نزل الوبل من ذراها هتونا
ولقد كان سطحها قبل هذا من صخورٍ قد اضحت اليوم طينا
كان صلداً كما أشرتُ ولكن حطَّمتهُ المياه حتى يلينا
وبدا جوهر الحياة بحالٍ غرويّ وهو الذي ينمينا
وهو جسمٌ مركبٌ حللتهُ علمآءٌ يدعون كيمينا

وزنوهُ قبيل ان عالجوهُ ثم قاموا فحللوا الموزونا
فرأوا ثقلهُ كما كان لكن حين راموا تركيبهُ جاهدينا
وجدوا ان كل ما صنعوهُ غير حيّ وخاب ما يرتجونا
ونما في الثرى النبات فزاد ال ارض حسناً وشأنهُ ان يزينا
ثم لاحت حيونات عليها فغدا سطحها بها مشحونا
ملأتهُ ضروبها فبدا من بعد ان كان بلقعاً مسكونا
وارتقت هذه وذاك فاضحى ال فرق بين الانواع فرقاً مبينا
ومع الوقت دبّت الحيوانا ت وكانت غير الذي تنظرونا
وكذاك الاشجار لاحت فغطت كونَنا حينما كستهُ غصونا
ولقد قال جانبٌ من رجال ال علم قولاً وشاع ما يذهبونا
وهو أن النبات منهُ جميع ال حيوان ارتقى كما يدّعونا
ثم قالوا بان من حيوانٍ يشبه القرد كلنا مرتقونا
ان هذا التعليل عن نشأة الانـ ـسان ما زال يطلب التبيينا
وعلى كل حالةٍ فهو قد جآء م وكان الاخيرَ في العالمينا
كان لما أتى ضليعاً قصيراً أحدباً كالوحوش يأوي العرينا
قويت عندهُ السليقة اذ قد كان في البدء جاهلاً مسكينا
كان يخشى من الضواري فالفى بين بعض الكهوف مأوًى حصينا
فابتغت صدهُ الوحوش فعادت بنصال الصوّان تشكو المنونا
بيد ان الانسان زاد ارتقاء فنما عقلهُ وصار رزينا
ورأى الناس الاتحاد مجناً وبهِ يصبح الملا آمنينا

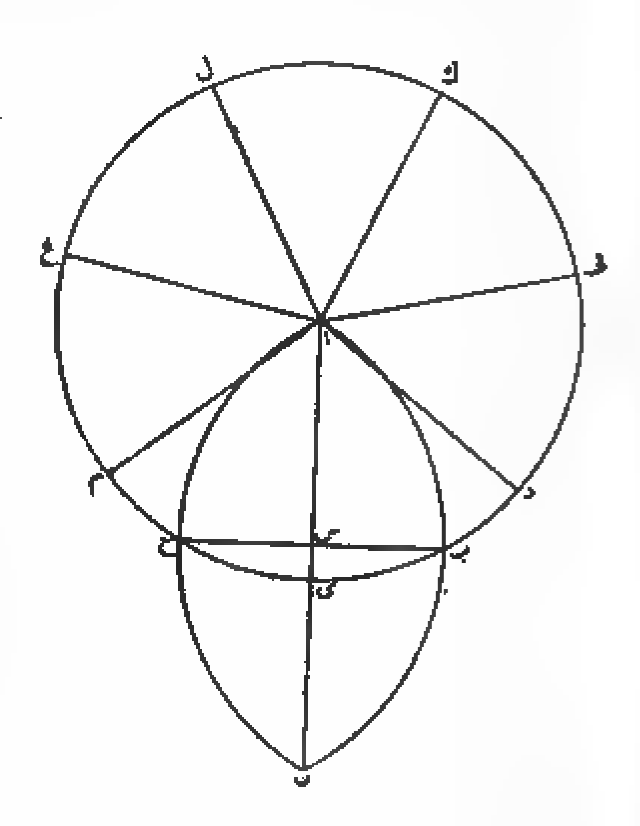
فاقاموا قبـائلاً واستبـدّوا · في الضواري فعلموها اللينـا
وابادوا الكثير منها وكانوا يتغـنّون بالذي يقتـلونا
وغدا نسلهم عديداً فضـاقت حين زاد الكهوف بالقاطنينا
فابتنوا بالاشجـار بعض بيوتٍ جعلوها حمًى بهِ يأوونا
ثم زادوا فهاجر البعض منهم لديار غـير التي يأهلونا
دخلوها وعمروها فصارت جنةً في ظلالهـا يرتعونا
وبتلك الامصار صاروا شعوباً تخذوا السعي بينهم قانونا
ثم أضحوا ممالكاً ذات شـأنٍ واقاموا محاكماً وسجونا
كيّفتهم يد الزمان فساروا في مراقي اطوارهم ناجحينـا
وغدوا بعـد ما استمرّوا مليّاً في دياجي ضلالهـم سارينا
امماً احرزت علوماً وآدا بًا ودينـاً وحكمةً وفنونا
وأتونا بالاختراعات حتى بات يسبي الالباب ما يصنعونا
وسيرقون في ذرى العلم والحقّ م الى ان يبيدنا محيينا
ان هذا سرُّ الوجود اراهُ بيّن الصدق لا ينافي الدينـا
جعل الله ما يكون وما قد كان محلى جلالهِ آمينـا

جآءتنا العلاوة الآتية على ما اوردناهُ في الجزء العاشر صفحة ٣٤٠
وان اسمدت عدت وان اظفرت فرت وان امنّت منت وان اكسبت سبت وان اسبغت بغت وان ايسرت سرت وان اومضت مضت

القاهرة يوسف طبشي

تسبيع الدائرة

لا يخفى ان هذه من المسائل التي استغرقت جهد الرياضيين من عهد اقليدس لم تمطِ قيادها ولم تسمح بسرّها ومنهم من انفق عليها السنين الطوال فاذاب دماغهُ فكراً وافنى عينيهِ سهراً وكلما رآها قد صارت منهُ على حبل



الوريد اذا هي بمناط النجم او أبعد . وانما اثبتناها في هذا الموضع اجابةً لحضرة موقعها ورجآء ان تكون مقدماً لزناد قرائح الرياضيين عندنا لعل ثمَّ شرارةً تعلق باطراف الحجاب المرسل منها على البصائر فينكشف ما ورآءهُ اما باصابة الضالة فيها واما بالاسجال عليها باليأس وفي كليهما راحةٌ لافكار الباحثين وهي هذه قال

علينا ان نرسم شكلاً قياسياً ذا سبعة اضلاع في دائرة مفروضة

لتكن ك ف د ى م غ ل الدائرة المفروضة فعلينا ان نرسم فيها شكلاً قياسياً ذا سبعة اضلاع . استعلم المركز ا واجعل النقطة ب مركزاً و ب ا بعدًا وارسم ا ج ن وبين النقطتين ب وج ارسم الخط ب ج وارسم عليهِ خطاً عمودياً من النقطة ا حتى يقع على س ثم ارسم في محيط الدائرة الخطوط

ى د . د ف . ف ك . ك ل . ل غ . غ م . م ى . وليكن كلٌ منها معادلاً للخط ا س العمودي (اقليدس ق ٢ ك ١) وارسم خطاً مستقيماً من المركز الى كلٍ من النقط ك . ف . د . ى . م . غ . ل فالشكل ذو السبعة الاضلاع قياسي اي ان اضلاعهُ وزواياهُ واقواسهُ متساوية

بما ان النقطة ا هي مركز الدائرة فالخط ا د يعدل ا ى فالمثلث ا د ى متساوي الساقين ولذلك تكون الزاويتان ا د ى . ا ى د متساويتين (اقليدس ق ٥ ك ١) وهما مع الزاوية الثالثة تعدلان قائمتين . وبما ان الخطين ا د . ا ف متساويان وكذلك الخطان ف د . د ى لانهما رسما معادلين للخط العمودي ا س فاضلاع المثلث ا ف د أعني ا ف . ف د . د ا تعدل اضلاع المثلث ا د ى وبما ان ضلعين من المثلث ا ف د يعدلان ضلعين من المثلث ا د ى وهما مرسومان على القاعدتين المتساويتين ف د . د ى فالزاويتان ف ا د . د ا ى متساويتان (ق ٨ ك ١) وكذلك يبرهن ان الزاويتين ا ف د ا د ف متساويتان وانهما تعدلان الزاويتين ا د ى . ا ى د وبموجب ذلك نبرهن ان بقية المثلثات متساوية . وبما ان الزوايا المتساوية في المركز تقابلها اقواس متساوية (ق ٢٦ ك ٣) فالقوس ف د يعدل القوس د ى وكذلك نبرهن ان بقية الاقواس متساوية لانها تقابل زوايا متساوية في المركز . وبما ان المثلث ا ف د يعدل المثلث ا د ى والقوس ف د يعدل القوس د ى فكل الضلع ا ف د يعدل كل الضلع ا د ى وكذلك نبرهن ان بقية الاضلاع السبعة متساوية فالشكل قياسي ذو سبعة اضلاع متساوية مرسومة في الدائرة المفروضة

ثم اذا رسم خطوط مستقيمة مماسة للدائرة في النقط ك ف د ى م غ ل (ق ١٧ كـ ٣) يحدث شكل قياسي ذو سبعة اضلاع متساوية محيطة بالدائرة

كاتبه

الناصرة في ٩ شباط سنة ٩٩ حبيب منصور

قلنا لا يخفى ما في هذا الرسم من الدقة وشبه الصحة الا ان مجرد صحة الرسم غير كافٍ في حل المسئلة وان تضافرت على تصحيحهِ الاقيسة العملية فان مثل هذا انما يفيد الرسام ولا يقنع بهِ الرياضيّ . ولكن الشأن كل الشأن في البرهان على صحة المفروض الاول وهو كون الخط ا س يعدل سبع الدائرة وهذا ما طوى الكاتب عنهُ كشحاً بل هو ما نحسب انهُ لا يقع في استطاعة احد الا ان يُفتح على احد الرياضيين بما هو من وراء المنتظر وفوق كل ذي علمٍ عليم

متفرقات

معرض تحف البريد الاميركاني — من شروط البريد الاميركاني ان لا يقبل في صناديقهِ شيئاً من السوائل والمواد المتفرقعة والاسلحة والحيوانات حية كانت او ميتة ومن قوانينهِ ان تختم الرزم المراد ارسالها بالشمع الاحمر وتشدّ شدًّا محكماً مهما كانت محتوياتها لكن اذا تحقق احد المستخدمين ان في ضمن ذلك الختم شيئاً مما لا يجوز ارسالهُ حق لهُ فتحهُ وارسالهُ الى الادارة العامة ليبقى هناك مضبوطاً فكان يجتمع في كل سنة من هذه

المضبوطات في الادارة المذكورة ما دعا الى اقامة معرض لها مخصوص سمي تحف البريد يُجمع فيهِ كل ما يرسل من دوائر البُرُد في الولايات المتحدة من كل ما خولفت فيهِ القوانين ويعرض للبيع . فمن غريب ما ذكر من تلك المضبوطات وعآء من الزنك ورد الى بريد واشنطون غير واضح العنوان ولا مختوم بالشمع ففُتح فاذا فيهِ ثلاث افاعٍ من ذوات الجلاجل مخدَّرة بفعل البنج فظنها المدير ميتة فتركها الى جانب وعاد لشأنهِ . وفي تلك الساعة دخلت احدى الخواتين تسأل عن رسائل لها فسمعت صوت حركة عرفت انها صوت تلك الافاعي فالتفتت فاذا واحدة منها تستعدّ للوثوب عليها فصاحت ووقعت مغشياً عليها وللحال تجارى الخدم فغطّوا ذلك الوعآء بالاكياس الضخمة ثم ختموهُ وارسلوهُ الى المعرض المذكور . ومما رؤي في ذلك المعرض عدد من الجماجم والثعابين والحيتان والضفادع وغيرها وجميع انواع مخترعات الديناميت كالكرات والقنابل والاسهم وكلها ملفوفة لفّاً متقناً ومعنونة باسمآء المرسلة اليهم بخطٍ جميل . ومن ذلك غدّارة مرسلة الى احدى الخواتين وهي محشوّة بثلاث رصاصات ومفتوحة النابض (الزنبلك) بحيث انها من اول لمسةٍ تنطلق . وقد ذُكر انهُ يرد الى هذا المعرض في كل سنة نحو عشرين الف قطعة من امثال ما ذُكر . اما الرسائل التي تُجهَل اصحابها فبعد ان تحفظ سنتين في الادارة التي ترد اليها ترسل الى المعرض فتلقى في غرفة الخطوط وكذلك الحوالات التي لا تعرف اصحابها ولا تطلب بعد مرور سنة تسلم الى خزينة الدولة وقد ذكروا ان معدل ما تنتفع بهِ الخزينة من ذلك يبلغ خمسين الف ريال في السنة

اسئلة واجوبتها

منفلوط – انكرتم في الجزء الماضي جمع حافة على حفافي ولكن ما نصنع في قول ابراهيم بن هرمة

لهُ نظراتٌ عن حفافي سريرهِ اذا كرَّها فيها عقابٌ ونائل

وقول الآخر

صدعتَ حفافي طرتيهِ بكوكبٍ من الرأي لا يخفى عليهِ المغيَّبُ

مصطفى لطفي

المنفلوطي

الجواب – ان لفظ حفافي في البيتين مثنى حِفاف بالكسر بمعنى جانب حذفت نونهُ للاضافة فهو بكسر الحاء وفتح الفاء الثانية لا بالعكس

القاهرة – اشرتم في احدى مقالاتكم في البيان الاغر (صفحة ١٥٠) الى احراق مكتبتي الاسكندرية وفارس على ايدي العرب . فاما امر مكتبة الاسكندرية فشهور واما احراق مكتبة فارس فلم نجد عليهِ كلاماً فيما وقفنا عليهِ من كتب التاريخ فهل لكم ان تذكروا لنا عن اي تاريخ نقلتم هذا الخبر

ف . و

الجواب – ذكر ذلك ابن خلدون في الفصل السادس من الكتاب الاول من تاريخهِ المشهور وهذا نص كلامهِ هناك « ولما فُتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب

يستأذنهُ في شأنها وتنفيلها للمسلمين فكتب اليهِ عمر أن اطرحوها في المـآء فان يكن ما فيها هدًى فقد هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفاناهُ الله . فطرحوها في المآء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا » . اه

مصابٌ على مصاب

ما كدنا ننشر نعي الفقيد العزيز المرحوم نجيب الحداد في الجزء السابق حتى وافتنا انبـآء لبنان بنعي المرحوم الشيخ الصـالح رجل التقى ونصير العلم الاستاذ فرنسيس شمعون صهر صاحب هذه المجلة ووالد حضرة النطـاسي الفاضل الدكتور سليم شمعون توفاهُ الله في الحادي عشر من هذا الشهر عن تسعة وستين عاماً قضاها في الدرس والتدريس وتقويم السـيرة وتهذيب الاخلاق . وكان رحمهُ الله من ذوي القدم الراسخة في علوم العربية ذا باع طويل في العـلم الرياضي والطبيعي واُصول الهيئة وهو ممن تلقوا العلم في مدرسة عُبيه المشهورة لاول عهدها وفي ابان رونقها وقد تخرَّج على المرحوم الدكتور كرنيليوس ڤانديك الشهير ولهُ مؤلف لطيف في الحساب طبع مرتين في مدينة بيروت ومؤلفـات اخر لم تطبع فكان فقدهُ رزءًا على العلم والادب وخسارةً اسف لها كل من خبر اخلاقهُ واستفاد من معارفهِ رحمهُ الله عداد حسناتهِ والهمنا على فقدهِ صبراً

ترجمة المرحوم نجيب الحداد



بينا هممنا بوضع ترجمةٍ للفقيد العزيز على ما وعدنا بهِ في الجزء السابق اذ وردتنا لهُ الترجمة الآتية من حضرة الكاتب الالمعيّ الصديق الابرّ يوحنا افندي سركيس بالاسكندرية ضمّنها من دقائق وصفه ما لم يبقِ حاجةً في نفس يعقوب وصدّرها بتأبينٍ هو من ارقّ ما ناح بهِ محبّ على محبوب فاثبتناها بمبناها الرائق ومعناها الفائق قال حفظهُ الله

سلامٌ عليكِ يا روح نجيب الشريفة حيثما انتِ الآن مقيمة سوآء كنتِ في ارق فراديس الجنان تنظمين للملائكة تسابيح الرحمن ام كنتِ سابحةً في عالم الفضآء تضيئين بين هذه الدراريّ الزهرآء ام كنتِ طائرةً في الهوآء ام كنتِ في عالم النور او في عالم الظلمآء حيث تلتقي الارواح خالدةً بعد الانتقال من عالم الفنآء * سلامٌ عليك يا نجيب من صديقٍ وفيٍّ ودّع سرور الدنيا يوم ودّعك وشيّع الانس والصفآء يوم شيّعك وكاد يُقضى عليهِ اسًى يوم قضيت وتمضي روحهُ على اثرك يوم مضيت * اترى عرف هذا البين ان كل دوآء مهما عزّ مبذول فيما يصيبك من الادوآء فابتلاك بالدآء الذي لا يرجى منهُ شفآء ام تراهُ كان عالمًا ان من المحبين حولك نطاقًا يردّ كل اقتحام فاختلسك اختلاسًا تحت جنح الظلام * يا للردي الخائن كيف سطا على ذاك الشباب النضر فأذواه واعتدى على ذاك الهيكل الشريف فارداه واستطال على ذاك المقام الرفيع فقوّض اساسه واستحكم من ذلك الصدر الرحيب فاخمد انفاسه * ايعلم القبر ايُّ نورٍ طلع في ظلمتهِ فحوّلها نورا واي كبيرٍ ثوى فيهِ وهو الصغير فصيرهُ كبيرا * أَعلِم المشيعون من الراحل العزيز الذي انشب البين فيهِ ظفرَه أَعلِم الواقفون على القبر من الثاوي الكريم الذي اودعوهُ قبرَه اتعلم العيون التي تبكيهِ من الذي ودّعها ثم لن يمتعها بنظرة * ان الراحل سيدٌ من سادات البلاغة واميرٌ من امرآئها بل امير القلوب الذي كان مستوليًا على اعنة اهوآئها ان الراحل هو الذي كانت الفاظهُ تجري مجرى المآء الزلال وكانت معانيهِ تفعل فعل السحر الحلال ان الراحل هو الذي تبكيهِ الاقلام

لهفةً واسفا ان الراحل هو نجيب الحداد وكفى ٭ فلا بدع اذن اذا بكاك يا نجيب ادباء القطرين بل كل من نطق بلسان العرب ولا بدع اذا اتشحت عليك بالحداد طروس الادب وقد كنت عنوان مجدهِ وفخارهِ وحامل لوآئهِ ورافع منارهِ بل لا بدع اذا عصاني القلم اليوم فيما اخطهُ لك من الرثآء لا لأفيك بعض حقك ولكن لأفي حق قلبي من النوح والبكآء

يا ليت اني ما قنيتك صاحباً　　كم قنيةٍ جلبت اسىً لفؤادِ
بردُ القلوب بمن يُحَبُّ بقآؤهُ　　مما يجرُّ حرارة الاكبادِ

اجل ليت لم يكن بيني وبينك ذاك الولآء اذن لما كنت اليوم كما اراني سائل الجفن دامي الاحشآء ولما تقطعت مهجتي حسراتٍ لما شاهدت من غصن شبابك الذابل ولا سقيت قبرك بالعبرات وقد توارى فيهِ بدر علمك الآفل ٭ ليت عيني لم تكتحل بمرآك فلم ترمد يوم نواك وليت اذني لم تستودع تلك الدرر في حياتك فلم يردّها الدمع يواقيت من عيني يوم مماتك وليت نفسي لم تسرّ بصحبتك فقد احزنتها اضعاف ذلك السرور في غربتك ٭ لا بل هنيئاً لي بما كان بيننا من صفو الذمام وطول الالتزام فقد عرفت بذلك عظمة صنع الخالق بما اراني من المعجزات في افراد الخلائق وعرفت كيف يكون الانسان في عقلهِ كبيراً حتى تخيلهُ الهاً صغيراً يبعث من سمآء ذكائهِ ناراً ونوراً ٭ عرفت فيك كيف يكون البيان سحرا وعرفت كيف تعصر الاقلام خمرا ويُنظَم اللفظ درّا عرفت كيف تعنو جياد الالفاظ لفرسان المعاني والبيان وكيف يكون صرير القلم تغريداً حتى تخالهُ على الطرس طيراً على الافنان عرفت

كيف يكون التصور بعيداً والفكر سديداً والخاطر سريعاً والقلم مطيعاً اجل عرفت كل ذلك فيك ولا ابالغ بل انت فوق ما اصف وفيك أكثر مما اعرف فلقد كنت الشاعر المجيد تقيد الخيال الآبد وتصطاد المعنى الشارد

ولقد رايتك والكلام جواهرٌ تُومٌ فبكرٌ في النظام وثيبُ
فرأيتُ قُساً في عكاظٍ يخطبُ ورأيت ليلى الاخيلية تندبُ
وكثير عزة يوم بينٍ ينسبُ وابن المقفع في اليتيمة يسهبُ

هذه صفتهُ يا قوم وما وصفتهُ الا بما عرفتهُ ولمّا كنت لا احب ان اذكر لهُ الحسنات الا بالبينات ولا انعتهُ بالاجادة والاحسان الا عن برهان فانا اذكر من قولهِ للقرآء ما حضر الذهن الآن وهو قولهُ من قصيدة في القمر

فيا شبه الحبيب حويت منهُ بهاهُ وفاتنا منك الفتونُ
وقاك الله كم تفني قروناً ولا تفني محياك القرونُ
وكم تحيي الظلام وانت ميتٌ وكم تعلو النجوم وانت دونُ
حويت عجائباً فدعاك قومٌ الهاً حبهُ في الناس دينُ
تخبرهم باعداد الليالي ويلزمك السكوت فما تبينُ
كانك في هلالك نصل سيفٍ اجادت صقل صفحتهِ القيونُ
تقطع منك اعناق الليالي وليس سوى الانام لها وتينُ
تُرى فيك البداءة كيف كانت قديماً والفناء متى يكونُ
وهل يبقى الوجود بلا فناء وهل تعفو عن الشهب المنونُ

وهذا الشعر كما يراهُ القرآء يتدفق سلاسةً وطبعاً وهو عدا انهُ وصف جديد لم يسبق اليهِ احد من قبل على كثرة وصف الشعرآء للقمر فانهُ يجري على طريقة هي السهل الممتنع لبلاغة تركيبهِ وعذوبة الفاظهِ . على ان فقيدنا لم ينفرد بنوعٍ خاصّ من الشعر فنقول انهُ قد اجاد فيهِ لتملقهِ عليهِ وحدهُ كما ترى الفارض مثلاً قد اجاد في الغزل فلم ينظم في سواهُ او كما اختص ابو تمام بالرثآء والمديح فكانت كل شهرتهِ بسببهما او كما اختص العباس بن الاحنف وعمر بن ابي ربيعة بطيب المنافثة ووصف مجالس النسآء فلم يسبقهما احد اذ لم يكن لهما من شعرهما غير ذلك بل ان الفقيد قلّ ان نظم في غرض او في بابٍ من ابواب الشعر سوآءٌ كان حقيقةً او تخيلاً الا اجاد فيهِ الى الغاية حتى تعجب منهُ كيف بقيت في فؤادهِ فضلةٌ للاجادة في سواهُ . ثم ان لدينا من الشعرآء جماعةً لم يُجد الواحد منهم في حياتهِ الا في قصيدة او قصيدتين فكانتا سبب اشتهارهِ وأُغفل بسببهما سائر شعرهِ كلامية ابن الوردي ولامية الطغرائي وبردة البوصيري وهمزيتهِ المشهورتين وغيرهم كأن الطبيعة افرغت كل شاعريتهم فيما قالوهُ من هذه القصائد فكانت هي في طبقة وسائر شعرهم في طبقةٍ اخرى ولذلك تُرك سائر ما قالوهُ نسياً منسياً . ولكن لفقيدنا قصائد عديدة متناولة كل معنى وغرض وكل قصيدةٍ منها منفردة في منزلتها لا يكاد يُدانى فيها . ومن ذلك قصيدة لهُ في القمار نشرت في الجزء السابع عشر من « البيان » فليطالعها من اراد مصداق ما ذكرناهُ يجد انها قد تناولت كل حالات القمار ووصف جميع اطوار المقامرين حتى ليخال ان الفقيد كان من اول المقامرين واكثرهم علاقةً بهذا الشأن مع انهُ

رحمهُ الله لم يقامر قط في حياته ولم يشهد مجلساً من مجالس القمار وهذا ما يدلّ على بعد تصوره كما ان القصيدة تدل على تمام شاعريته وطول باعه في صناعة النظم ووضع المعاني في قوالبها الحقيقية . ومن تفقد رواياته وجد لهُ في اثنائها من قصائد الحماسة التي كان ينظمها عن لسان غيره من اشخاص تلك الروايات وغيرها من قصائد العتاب والشكوى والاعتذار وسائر الاغراض ما يضيق هذا المقام عن استيعابه وغالبها من حسنات الشعر وعيونه وذلك فضلاً عن قصائده الخاصة في اغراض المدح والرثاء والنسيب وسائر ما هنالك مما هو مسطور في ديوانه الذي سيظهر قريباً ان شاء الله فيكون فيه غنيةٌ عن اطالة الشرح في هذا المقام

اما نثرهُ فلا حاجة الى الاسهاب في ذكره والاستشهاد به لشهرته واستفاضته لانهُ بقي سبعة عشر عاماً لم يرح قلمهُ من الكتابة اذ ابتدأ وهو في الخامسة عشرة من عمره في كتابة جريدة الاهرام وانتهى قبل وفاته بشهرين بكتابة جريدة السلام . ولهذا فاني لا اعتدهُ قد مات في الثانية والثلاثين بل اني لو جريت على موجب القياس بين عمره وعمله لكان عمرهُ بالقياس الى مبلغ ما كتب يتجاوز الخمسين والستين لأن ما كتبهُ في هذه المدة القصيرة لو جُمع لاجتمع منهُ مجلداتٌ كثيرة . وجل ما انشاهُ كان من الجيد الحسن على حين قل ان يكون في الكثير حسن كثير وما كان احراهُ ان يكون كلهُ حسناً لولا اضطرارهُ الى الاسراع اتباعاً لما تقتضيه حالة الصحائف في بلادنا من تفرُّد الكاتب او الكاتبين بتولي جريدة كبيرة في كل وجوهها وشؤونها وهو النقص الذي يذهب بمحاسن اكثر كتابنا ويبي

قرائحهم دون الوصول الى الكمال والاتقان

ثم ان للفقيد غير ما ذكرت من المآثر الادبية والمواهب العقلية مأثرةً باقية ـ ولا اقول الى الابد ـ لانني في وجلٍ من نجاح الآداب في بلادنا ومعرفة الآتي بفضل الماضي . الا وهي مأثرة فن الروايات وتعريبها عن الافرنج فانهُ وان لم يكن اول من اوجد هذه الطريقة فقد كان اول من اجادها وابدع فيها كثيراً حتى لم يترك لشاعرٍ فرنسوي روايةً حسنة الا نقلها وجارى ذلك الشاعر فيها من حيث ضبط المعنى واستخدام الكلام لارقّ العواطف وادقّ الوجدانات ولو كان ممثلو رواياتهِ بالعربية كممثليها بالافرنجية لرأينا دموع شيماني تتناثر من اجفان كل مشاهد في التمثيل . ولكن ادباءنا وعامتنا قد عرفوا مع ذلك فضلهُ وقيمة رواياتهِ فكنا نشاهد بالحس ان الاقبال يكون حين تمثيلها اكثر جداً منهُ حين تمثيل غيرها . ولما كنت هنا اذكر الحقيقة بتمامها فانني اقول ولا اخشى الرد انهُ لولا رواياتهُ لما كان عندنا جوق تمثيل لانها تكاد تكون ثلاثة ارباع ما يمثل وسائر الروايات الربع . هذا من المعروف من رواياتهِ ولكن لهُ منها ما لم يُعرَف بعدُ ولم يتم كلهُ بل بقي خطأً لم يفسح لهُ اجلهُ باتمامهِ . ثم ان لهُ فضلاً آخر في غير الروايات التمثيلية وهو احسانهُ في الروايات القصصية التي عرَّب اكثرها عن دوماس فكان بتعريبها كانهُ نقل شخص دوماس الفرنسوي وجعلهُ بشخصهِ عربياً لفرط ما ابدع في الترجمة وكثرة ما اجاد في التركيب والانشاء ولذلك ترى رواياتهِ شائعة بين الجميع وهي قد طُبع اكثرها وقل ان يظفر احد بنسخة منها الآن لكثرة ما كان الاقبال عليها عظيماً حتى نفدت كلها مع ما

هو معروف من كساد سوق الآداب عندنا ولو فسح الله في اجلهِ وترقت الآداب في بلادنا لكان يعد ابن الشعب وزعيمهُ لاجماعهِ على احترامهِ ومحبتهِ

اما اخلاقهُ رحمهُ الله فقد كانت من ارقّ الاخلاق واطيبها وارضاها حسن العشرة لطيف المحادثة يأخذ كلامهُ بمجامع القلوب وتتشقهُ الاسماع فلا تملّ لهُ حديثاً مهما طال . وكان محمود الصحبة لين الشكيمة جميل الصنع لم يسؤ احداً قط بلسانهِ ولا قلمهِ ولذلك كان قليل الحساد والمناصبين على اشتهار فضلهِ وعموم مدحهِ . الا انهُ كان قليل الرفق بنفسهِ خشن الجانب على حواسهِ وجوارحهِ لا يرعى لجسمهِ صحةً ولا يطلب لنفسهِ راحةً على شدة احتياجهِ الى ذلك مع ما فُطر عليهِ من ضعف البنية وتسلط الداء فكان جسمهُ هو الصاحب الوحيد الذي يشكو صحبتهُ ويئن من عشرتهِ ولذلك لم تطل بينهما مدة هذا الاصطحاب . وكان لا يهمهُ شيء من اسباب السعادة في الدنيا ولا يبالي بشيء من نوازلها كثير الزهد في المال لا يهتمّ للغد ولا ينقل قدماً لدرهم ولم يكن ينال من اجرتهِ الا اقل من حقهِ مع اني اعرف كثيرين اقل منهُ علماً وخبرةً واضيق حيلةً عن التحصيل وهم ذوو مال ويسار . على اني التمس لهُ في ذلك عذراً بما هو معلوم من ان اموال الادب قلّ ان تكسب في بلادنا من طريق محمود واذا اراد احدٌ تصديق قولي بالبرهان فليخبرني عن الاديب المثري وانا اخبرهُ كيف اثرى .

ولقد قالوا ان العظيم ينبغي ان تنسى سيئاتهُ ولما كنت الآن في مقام المؤرخ فاني لا استطيع ان اذكر لفقيدنا سيئةً ولا غرو في ذلك فاننا اذا عرفنا ان الفقيد لم تكن لهُ صلةٌ دنيوية هان علينا ان نصدق انهُ لم تكن لهُ سيئة لان

السيئات لا تصدر الا حيث المطامع والجهاد في سبيل الحياة والتكسب وحينئذٍ فلم يبقَ لهُ الا الحسنات التي اذكرها وهي لا تحتاج الى برهان لانها بين ايدي الجميع وتحت ابصارهم وحواسهم يشاهدونها كل ساعة ويستثبتون بها ما اقول كلما ارادوا

اما تاريخ حياة الفقيد فهو كتاريخ حياة كل اديب عامل لا يحتمل التطويل فيهِ اذ ليس ثمت وقائع ولا اسفار ولا دخول في حوادث عظيمة من حروب وسياسات او وظائف وخطط واشباه ذلك . وقد كان مولدهُ رحمهُ الله في ٢٥ فبراير سنة ١٨٦٧ في مدينة بيروت وبها نشأ وتلقى مبادئ العلم ثم جاء بعد ذلك الى الاسكندرية وتعلم بها الفرنسوية في مدرسة الفرير نحو السنتين ثم انتقل الى مدرسة الاميركان فازداد بها شيئاً من المعرفة في الفرنسوية والعربية وسائر علوم تلك المدرسة حتى اذا كانت الثورة العرابية هاجر الى بيروت مع اسرتهِ ودخل هناك المدرسة البطريركية حيث كان رصيفهُ بها كاتب هذه السطور فلبث بها سنةً واحدة يتلقى العلوم العربية على خالهِ استاذنا الاكبر صاحب هذه المجلة فاستفاد في هذه السنة فائدة جمة ثم انتقل بعد ذلك مدرساً في مدرسة بعلبك فاقام بها مدة وجيزة حتى استدعتهُ جريدة الاهرام بالاسكندرية ليكون من منشئيها وهو في الخامسة عشرة كما اسلفنا فبقي المنشئ الاول فيها مدة اثنتي عشرة سنة بلا انقطاع . ثم فارقها وانشأ جريدة لسان العرب فاشتهرت اشتهاراً عظيماً لانهُ استقلَّ في انشائها وكان يجري فيها قلمهُ مع وحي خواطرهِ ولذلك كانت مقالاتهُ فيها طنانة وقد اجاد في بعضها اجادة كانت تذكرنا بما كتبهُ الهمذاني وابن

خلدون وامثالها ولا سيما حين كان يكتب في الاخلاق . واظن ان اجل الفصول التي كتبها او كتبت الى الآن كانت في نصرة المظلوم ووجوب اسعاف الفقير ولهُ في هذا الشأن فصول طويلة لا استطيع الاستشهاد بها او ببعضها الآن لضيق المقام لكن اشتهار امرها يغنيني عن ذكرها . وعلى الجملة فان فصولهُ الاخلاقية او التي كان يصور بها عواطف الانسان واميالهُ ورغائبهُ في كل شيء كانت متناهية في الحسن . على انهُ مع شدة تصورهِ الاشيآء وحسن صناعتهِ في ايرادها وصوغها كان قليل الرغبة في المباحث السياسية فكان اشد ما عليهِ ان يكتب فصلاً سياسياً واظن انهُ لولا اضطرارهُ حين كان يكتب الاهرام ولسان العرب والسلام الى ذكر السياسة لما كتب فيها حرفاً واذا شئت استثبات ذلك رددتك الى لسان العرب الاسبوعي الذي اصدرهُ بعد لسان العرب اليومي فانهُ لم يكن فيهِ اثر للسياسة ولكن المقالات الاخلاقية والوصفية التي كتبت فيهِ لا يزال صداها يرن الى الآن ولا ريب ان ذلك منهُ عين الاصابة مع العلم بان السياسة في بلادنا لا قيمة لها ولا اثر ولو لقنهُ اياها بسمارك وغلادستون . وقد كان لهُ من سعة الخاطر في الكتابة وطول الباع في تناول الاغراض المختلفة ما يندر مثلهُ بين اصحاب الانشآء حتى كان لا يعجزهُ وجود غرض يكتب فيهِ بل اني اعلم ان اشرف مواضيعهِ واعلاها كان بسبب ما نراهُ احقر الاشيآء وادناها لانهُ كان يستطيع ان يبني على كل شيء كلاماً حتى لقد رايتهُ مرة كتب فصلاً بديعاً عن فتاةٍ صغيرة فقيرة كانت ترتعد برداً في شوارع الاسكندرية في الشتآء وفصلاً عن فتى مات برداً في قارعة الطريق على حين كانت

بقية الجرائد تكتب امثال هذه الحوادث في سطر او سطرين . بل انه رأى مرة امرأة تنظر وجهها في المرآة وقد جعلت خلفها مرآة اخرى تنظر بها قفاها فكتب فيها مقالة كانت في منتهى الحسن وهو تنبهٌ غريبٌ قلما يخطر لسواهُ

وعلى الجملة فقد كان الفقيد يعد عجيباً في بعض حالاتهِ لان اقتدارهُ على التصور ثم اجادتهُ في الانشاء كانا يهوّنان عليهِ كل عسير في صناعة الكتابة. ولقد كنت اعجب بالكاتب الفرنسوي كزافيه دي مستر اذ قرأت عنهُ انهُ الف كتاباً يصف فيهِ مفردات مخدعه وكان يكتب فصلاً خصوصياً عن كل شيء فيهِ لكنني اعتقد ان الفقيد لو تنبه لمثل هذه الحالة لانتقل عجبي من ذلك الكاتب الفرنسوي الى هذا الكاتب العربي قياساً على ما اعهدهُ فيهِ من حدة التصور وارسال الآراء الى تناول كل شيء.

اما المطبوع من رواياتهِ فهو صلاح الدين فقط وقد كان بودّهِ ان يطبع كل ما كتب فلم تمهلهُ مدتهُ لما اراد . اما رواياتهُ الخطية فهي حمدان وشهداء الغرام والسيد والمهدي والرجاء بعد اليأس والبخيل وثارات العرب. واما الروايات القصصية التي عرّبها فكان اولها رواية الفرسان الثلاثة بجميع اجزائها وقد صارت هذه الرواية مشهورة بتعريبهِ بين ابناء العرب كما هي مشهورة في الفرنسوية بين الفرنسويين وفي سائر الدنيا . ثم رواية غصن البان وقد اجاد فيها الى الغاية حتى فاق باجادتهِ لامارتين ولوكان القراء عندنا يقدرون مبلغ العقل في الوصف مع حسن الاسلوب والديباجة لكانت هذه الرواية سمر كل اديب وقنية كل مترسل . ثم رواية فرسان الليل وغرام

واحتيال وفضيحة المشاق والعاشقة المتنكرة وحديث ليلة وكثير غير ذلك مما تحويه خزانتهُ الملأى باقوالهِ واشعارهِ ومقطعاتهِ ورسائلهِ الخصوصية وهي كلها تقريباً مما يتنافس بهِ ويعد دلالة على توقد ذهنهِ وقوة عارضتهِ وقد تظهر هذه الآثار كلها فتكون تزكيةً لشهادة هذا الضعيف الذي يغنيه اجماع الناس عن البيان ويكون ايثارهم لنفائسهِ وكثرة الثناء عليهِ كفايةً لهُ عن مزيد الافاضة في البرهان

ولقد كنت اود توفية هذا الفقيد حقهُ من النوح والبكاء فاكرر ما بدأت بهِ من التأبين والرثاء وان اقف لهُ على الاسى اجفاني ودموعي واخص باحتمال الحزن فيهِ جوانحي وضلوعي فابى وفاء صديق الفقيد وصديقي خليل افندي المطران الآن يشاركني في الاحتمال وينشد عني وعن كل صديق بلسان الحال فرثى الفقيد بافئدة الجميع حيث قال

اربأ بنفسك ان تكون نجيبا وازجر خليلك ان يكون اريبا
فلقد ارى موت الاديب حياتهُ والعيش موتاً يلتقيهِ ضروبا
واري جوائز فضلهِ وعلومهِ اعسارَهُ والداء والتعذيبا
يا للذكاء ينيرنا بضيائهِ ويكون للجسم المضيء مذيبا
يا للعلوم نظنها نعماً لنا فنصيبها نقماً لنا وخطوبا
ماذا افادك ان تكون محرراً ومحبراً ومفوّهاً ولبيبا
ماذا افادك كل نظم شائقٍ لفظاً ومعنًى فائقٍ اسلوبا
من كل مبتكرٍ اغرّ محجبٍ الا عليك فلم يكن محجوبا
ومجددٍ كالدر يُبدَل صوغهُ فتخالهُ عينُ الخبير قشيبا

نظمٌ تزيد بهِ الحقيقة رونقاً　وتعيد مبتذل الامور عجيبا
كالشمس يسطع نورها في حمأةٍ　فيحيل قاتم لونها تذهيبا
يا خير من خط الرثاء لو أنهُ　يجري لسال محاجراً وقلوبا
هلا رثيت بهِ شبابك قبل ان　ترثي محباً راحلاً وحبيبا
يا ناسجاً برد الروايات التي　يرمي بها الغرض الشريف مصيبا
هلا قصصت حديث اروع فاضل　نال الحمامَ من الكمال نصيبا
غصنٌ نما حتى زكت اثمارهُ　فرماهُ كيد زمانهِ مقضوبا
فضيت مبكياً وما يغنيك لو　انا ملأنا الخافقين نحيبا
هذا جزآؤك باحثاً متسهداً　مستنفداً عرق الجبين صبيبا
هذا جزآؤك فاضلاً في امةٍ　ما زال فيها الالمعيُّ غريبا
يتفكه النفر الافاضل منهمُ　بجنى حياتك شاعراً واديبا
يتفكهون باحرفٍ اودعتها　تلخيص عمرك مشرقاً ومغيبا
مهلاً وداعك للحياة تخطهُ　في مهجةٍ كادت تجف نضوبا
نفثات مصدورٍ علت زفراتهُ　حتى ترى التصعيد والتصويبا
عبرات محتضرٍ يضيء كشمعةٍ　تفنى وترسل دمعها مسكوبا
فلكم لبسنَ من الكآبة صفرةً　فحكينَ انوار الزوال غروبا
فارقد فما احرى الردى وهو الكرى　ان يستطاب على الاسى فيطيبا
القبر افضل للفتى من مضجعٍ　فيهِ يقلّب موجعاً تقليبا
وجلامد الارماس اهون محملاً　من ان يحمّل مثلهنَّ كروبا

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون عرض لهُ كذا فاندهش واندهل ولم يُحكَ مثال انفعل من هذين الحرفين وانما يقال دَهِش من باب تَعِب وذَهَل من باب منع وهي اللغة الفصحى[1]

ويقولون هو يسعى لنوال بغيتهِ وانما النوال بمعنى العطاء اي الشيء الذي يُعطى وليس بمصدرٍ لنال والصواب لنيل بغيتهِ

ويقولون امرهُ ان يصنع كذا فصدع بالامر يعنون انهُ اطاع وامضى ما أُمر بهِ ولم يأتِ صدع في شيء من هذا المعنى ولكن اصل هذا التعبير

---

(١) قال في المصباح دَهِش دَهَشاً فهو دَهِشٌ من باب تعب ذهب عقلهُ حياءً او خوفاً ويتعدى بالهمزة فيقال ادهشهُ غيرهُ وهذه هي اللغة الفصحى . وفي لغةٍ يتعدى بالحركة فيقال دَهَشَهُ خطبٌ دَهشاً من باب منع فهو مدهوش . اه . وقال في (ذ ه ل) ذهلتُ عن الشيء اذهل بفتحتين ذهولاً وقد يتعدى بنفسهِ فيقال ذَهَلهُ والاكثر ان يتعدى بالالف فيقال اذهلني فلانٌ عن الشيء . اه . وقال الزمخشري ذهل عن الامر تناساهُ عمداً او شُغِل عنهُ وفي لغةٍ ذَهِل يذهل من باب تعب . اه . وبقي هنا قول صاحب المصباح والاكثر ان يتعدى بالالف بعد قولهِ وقد يتعدى بنفسهِ وهذا القول عجيبٌ من مثلهِ لان مقتضاهُ ان التعديتين بمعنًى واحد وانك تقول ذهلني فلانٌ عن الشيء كما تقول اذهلني وهو سهوٌ منهُ لان تعدية الفعل بنفسهِ انما تكون الى الشيء المذهول عنهُ تقول ذهلت الشيء مثل ذهلت عنهُ وتعديتهُ بالالف تكون الى الشخص الذاهل كما مثّل فقولهُ والاكثر ان يتعدى بالالف ليس بشيء اذ لا تنظير هنا لان كلاً من التعديتين من وادٍ كما يظهر بادنى تأمل

ما جآء في سورة الحِجر من قولهِ فاصدع بما تؤمَر قال البيضاويّ اي فاجهر بهِ من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً او فافرق بهِ بين الحق والباطل . اه . وقيل غير ذلك وكلهُ بعيدٌ عن المعنى الذي يذهبون اليهِ

ويقولون حرمهُ من الشيء فيعدّونهُ الى المفعول الثاني بمن والمنقول عنهم حرمهُ الشيءَ بنصب المفعولين

ويقولون التفّ بالحِرام بالكسر وهو الملحفة المعروفة وانما هو الإحرام مصدر أحرَم الحاجّ لان المحرِم لا يلبس ثوباً مخيطاً فأُطلق عليهِ لفظ الاحرام من التسمية بالمصدر . والكلمة من مواضعات المولدين وقد جآء ذكرها في رحلة ابن بطوطة باللفظ المذكور وتجمع فيما نقلهُ على احارم

ويقولون هؤلآء اخصامي يريدون جمع الخصم بالفتح وفَعْل الصحيح العين لا يجمع على أفعال الا الفاظاً شذت ليس هذا منها والصواب جمعهُ على خصوم

ويقولون لا يخفاك ان الامر كذا فيعدّون الفعل بنفسهِ والصواب لا يخفى عليك كما صرّح بهِ في الاساس والمصباح ومنهُ في سورة آل عمران ان الله لا يخفى عليهِ شيءٌ في الارض ولا في السمآء . ومن الغريب ان هذا الوهم وقع لقومٍ من اكابر الكتاب كقول صاحب نفح الطيب في المجلد الثاني (صفحة ٣٧٤ من الطبعة المصرية) ولا يخفاك حسن هذه العبارة . وقولهِ في المجلد الرابع (صفحة ٤٤٧) ولا يخفاك انهُ التزم في هذه القطعة ما لا يلزم . ومنهُ قول سراج الدين المدنيّ

ما الحـال قالوا صف لنـا فلعلّ ما بك ان يزاح

فأجبت ما يحكيكمُ حال السراج مع الرياح

وهذا مأخوذ من قول السراج الورّاق يذكر ولدهُ

فما قال لي أُفٍّ في عمرهِ لكوني ابًا ولكوني سراجا

ولا يخفى ما فيهِ مع ذلك من لطف الاقتباس

ويقولون احتاطوا المدينة يحدّونهُ بنفسهِ ايضاً والصواب احتاطوا بها يتعدى بالبآء مثل احاط الرباعي

ومثلهُ قولهم هذا امرٌ يأنفهُ الكريم والصواب يأنف منهُ وقد جآء من هذا قول لسان الدين بن الخطيب

قالوا لخدمتهِ دعاك محمدٌ فأنفتها وزهدت في التنويهِ

ويقولون استأسر العدوّ كذا من الجيش يعنون أسر وانما يقال استأسر الرجل بمعنى استسلم للاسر فالفعل لازمٌ لا متعدٍ . وقد جآء مثل هذا في تاريخ ابي الفدآء ومنهُ قولهُ في حوادث سنة ثمان وخمسين وست مئة وقُتل مقدَّمهم كتبغا واستؤسر ابنهُ . ومثلهُ في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة في الكلام عن الاسكندر اصبح مستأسر الاسرى اسيراً . قال في لسان العرب أُسرتُ الرجل اسراً وإساراً فهو اسيرٌ ومأسور .. وتقول استأسِر لي اي كن اسيراً . اه

ويقولون هذا الامر يمسّ بكرامتي ولا معنى لهذه البآء لان الفعل متعدٍّ بنفسهِ والصواب يمسّ كرامتي

ويقولون فعلت كذا لمساس الحاجة اليهِ والصواب لمسّ الحاجة او لمسيسها واما المساس فهو مصدر ماسّهُ على فاعَل مثل القتال من قاتل

ويقولون هو يؤمّل بالحصول على كذا فيزيدون البآء ايضاً وصوابهُ يؤمّل الحصول

ويقولون رمحت الدابة اي عدَت واحضرت ومنهُ قولهم مرمح الخيل ومرماحها لميدانها ولا اصل لذلك في اللغة انما يقال رمحت الدابة اذا ضربت برجلها مثل رفست وضرحت

ويقولون هو مُعافٌ من كذا اذا أُسقطت عنهُ كلفتهُ ومقتضاهُ انهُ يقال اعافهُ من الامر ولا وجود لهذا الحرف في اللغة انما هو تحريف اعفاهُ من الشيء فهو معفًى . ومن غريب الاتفاق في هذا ما جآء في شرح الشريشي لمقامات الحريري عند قولهِ

ولو تعافيتها لحالت　　حالي ولم احوِ ما حويتُ

قال تعافيتها تكارهتها وهي تفاعلتُ من عفتُ الشيء اعافهُ عيافاً اي كرهتهُ اه . وعجيبٌ من مثل الشريشي ان يجوز عليهِ مثل هذا الوهم وكيف يكون تعافيت من عفت وهو من معتلّ اللام وهذا من الاجوف والاّ لكان اللفظ تعايفت لا تعافيت كما هو ظاهر . والاشبه ان الحريري اراد بقولهِ تعافيتها تجاوزتها وكانهُ اخذ هذا اللفظ من عبارة الحديث تعافَوا الحدود فيما بينكم اي تجاوزوا عنها ولا ترفعوها اليّ كما في النهاية وفي ذلك ما فيهِ

ويقولون انطلت عليهِ الحيلة اي جازت عليهِ وراجت وطلى عليهِ الحال اي موّههُ واجازهُ ولم يُنقل شيء من ذلك عن العرب وان كان لهُ وجهٌ في الاشتقاق　　　　(ستأتي البقية)

ملوحة البحار

ما زالت هذه المسئلة شغلاً شاغلاً لعلمآء طبقات الارض والحوادث الجوّية وقد اختلفوا فيها على مذاهب اشهرها ان ملوحة البحار ناشئةٌ عما تجرّهُ اليها السيول والانهار من الجواهر الملحية التي تحلها من بين طبقات الارض . وذلك ان جميع المياه المنحدرة عن رؤوس الجبال ومن بطون الاودية وخلل الصخور تنصبّ باسرها في البحر وكل ما تجرّهُ معها من املاحٍ وغيرها ينتهي اليهِ ويجمع فيهِ وهو القول الشائع اليوم وعليهِ اكثر العلماء المتأخرين . ودليلهم فيهِ ما يُرَى من ملوحة بعض الابحر الصغيرة المنقطعة عن سائر البحار كالبحر الميت مثلاً فانهُ فيما يرون انما اجتمع مما ينصبّ اليهِ من مياه الأُردنّ ووادي قدرون ومع كون هذه المياه عذبةً في نفسها فان مآء هذا البحر لا يطاق ملوحةً وما ذلك الا لما تجمَّع فيهِ من الاملاح على توالي السنين . وعليهِ فجميع المياه قد كانت في اصلها عذبة ثم طرأت عليها الملوحة بما خالطها من الاملاح التي تحملها اليها المياه الجارية

الا ان هذا المذهب على شهرتهِ ليس بالمذهب المرضيّ عند المحققين لانهُ لا يمكن التسليم بان ملوحة البحار مسببةٌ عن الانهر ما لم تكن مياه الانهر نفسها ملحةً مع اننا اذا حلّلنا هذه المياه لا نجد فيها من الملح الاّ دقائق ليس لها قدرٌ يعتدّ بهِ فضلاً عن ان جميع مناجم الملح المعروفة غير كافية لأن تولّد مثل هذه الملوحة في بحار الارض على كثرتها واتساعها . ولعل الاظهر ما ذهب اليهِ بعض المعاصرين من ان هذا الحلّ الذي زعموا

انهُ فعل مياه الانهر والسيول انما كان من فعل مآء البحر نفسهِ وقد ابتدأ
منذ اخذت الارض تبرد وتسنى لبخار المآء ان ينعقد في جوّها ويسقط
امطاراً وسيولاً غامرة فان هذه السيول كانت تحلّ كل ما تمرّ بهِ من
العناصر القابلة الانحلال فتمتزج بها ولا سيما انها كانت تجري حارةً عند
ملاقاتها لسطح الارض فهي اقدر بحرارتها على التحليل طبعاً. واما ما ذكروهُ
من امر البحر الميت وما اشبههُ من البحيرات الملحة كبحر قزبين وبحر
أرال فان هذه الابحر كانت من اصلها ملحةً لما انها ليست الا بقايا من
البحر الاعظم الذي كان غامراً موضعها من الارض فلما ارتفعت الارض
حولها انحسر المآء عن جوانبها وبقيت هذه الابحر في وسطها . ويؤيد ذلك
انهُ ما خلا هذه الابحر الثلاثة وبحيراتٍ أُخر معدودة فان كل مجامع المياه
التي لا تستمدّ مآءها من البحر عذبة بل من البحار انفسها ما اذا كثر الوارد
عليهِ من مياه الانهار قلّ مقدار الملوحة فيهِ كالبحر الاسود مثلاً فان
ملوحتهُ تكون بمقدار النصف من ملوحة البحر المحيط . وكذلك الحال في
البحيرات التي تمرّ فيها المياه العذبة فان منها ما ذهبت ملوحتهُ جملةً كبحيرة
جنفرا التي يدفع فيها نهر الرون ومنها ما نقصت ملوحتهُ كثيراً كبحيرة
قُسطنس التي يخترقها نهر الرين . وبخلاف ذلك الابحر التي لا منفذ لها
كالبحر الميت فانهُ مع ما ينصبّ اليهِ من المآء العذب لا تزال ملوحتهُ كما
هي بل ربما ازدادت لان ما يتبخر منهُ يزيد على المنصبّ فيهِ والتبخر انما
ينال منهُ المآء الخالص مقطراً والاملاح تبقى ابداً في مكانها محلولةً في
مجموع المياه الباقية فتزداد اشباعاً على توالي الايام . وهذه المياه قد نقصت

بلا ريب بدليل ان سطح هذا البحر يسفل عن سطح البحر الرومي بما يقرب من اربع مئة متر وكذلك بحر قزبين فانهُ مع كثرة ما ينصبّ اليهِ من الانهر ينحطّ عن مساواة البحر الاسود بما يقرب من ثلاثين متراً

اما مبلغ الملح في البحار فقُدّر بعد التحليل الكيماوي بما يزيد قليلاً على ٣ في المئة وقدر بعضهم انهُ لو استُخرج كل ما في البحار من الملح وجُمع في هيئة مكعَّب لتألف منهُ جبلٌ عظيم تغطي قاعدتهُ كل اميركا الشمالية ويكون ارتفاعهُ ١٥٠٠ متر في الاقلّ . ومع أن هذا الجبل العظيم منحلٌّ باسرهِ في مياه البحار البالغة نحواً من ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٧٠ ٢ كيلومتر مكعب من المآء فانهُ لا يزيد في حجمها زيادةً يُشعَر بها لان دقائقهُ متخللة بين دقائق المآء ولكنهُ يزيد في كثافتها زيادةً ذات بال وقد قدّر بعضهم ان كثافة مآء البحر بالقياس الى المآء العذب تكون كنسبة ١ الى ١٠٠٢٧٢

على ان ما في البحار من الملح ليس ملحاً صرفاً ولكن يخالطهُ جواهر اخر من عناصر مختلفة وفيما حققهُ أليزاي ركلوس ان العناصر البسيطة التي امكن اكتشافها بالذرائع العلمية بين فحص السائل بنفسهِ وفحص اصناف النبات التي تستمدّ جميع غذآئها من مآء البحر تبلغ ٢٨ عنصراً اهمها بعد الاكسيجين والهدروجين اللذين يتركب منهما المآء نفسهُ الكلور والازوت والكربون والبروم واليود والفلور والكبريت والفسفور والسيليسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والبور والالومينيوم والمغنيسيوم والكلسيوم والسترنتيوم والباريت . واكتُشف في بعض انبتهِ النحاس والرصاص والزنك والفضة

والكوبلت والنِكل والمغنيسيا . واما الحديد فيوجد في مآء البحر نفسهِ . وقد استخرج بعضهم من فروع صنفٍ من المرجان نحو $\frac{٢}{١٠٠٠}$ من الفضة ممزوجة بستة امثالها من الرصاص ووُجد غير ذلك مما لا موضع لاستيفآئهِ هنا

وجميع هذه الجواهر مختلطة في مآء البحر على مقادير متفاوتة واكثرها مقداراً كلورور الصوديوم الذي هو الملح فانهُ يبلغ من جملتها نحو ٧٦ في المئة ثم يليهِ في الكثرة كلورور المغنيسيوم وكبريتات المغنيسيا وكبريتات الكلس وكلورور البوتاسيوم وبرومور المغنيسيوم وكربونات الكلس

اما مرارة مآء البحر فينبغي ان تكون من قاعدة المغنيسيا وهي اكثر ما توجد في المياه السطحية ثم تقلّ مع العمق الى ان تبلغ ١٥٠ متراً وبعد ذلك تنقطع المرارة ولا يكون في المآء الا الملوحة وحدها

ثم ان درجة الملوحة تتفاوت بحسب العروض والحياض وهي تقلّ مع الاتجاه من المعدّل الى احد القطبين وعلة ذلك زيادة التبخر في المنطقة الحارّة بحيث يزداد تكاثف الملح هناك على الدوام . والبحر في النصف الشمالي من الكرة اشدّ ملوحةً منهُ في النصف الجنوبي لان مقدار المياه في الشمال اقلّ منهُ في الجنوب . ويقلّ الملح ايضاً كلما اتجهنا من اللج الى السواحل لما يخالط المآء هناك من مياه الانهر ولا سيما اذا كان مقدار المآء المنصبّ من البرّ اعظم من المقدار المتبخر من البحر . ومن اوضح الامثلة في ذلك ما يشاهَد في البحر الاحمر والبحر البلطيك فان الاول لا ينصبّ فيهِ شيءٌ من مياه الانهر والتبخر هناك في غاية الشدّة بسبب حرارة الاقليم

ولذلك كان مآء هذا البحر في منتهى درجات الملوحة والرواسب الملحية فيهِ تبلغ ٤٣ في الالف وبعكسهِ البلطيك فانهُ مع قلة عمقهِ يجري اليهِ مقدارٌ غزيرٌ من المآء العذب ولذلك كانت ملوحتهُ لا تتعدى ٥ في الالف وفي بعض اخوارهِ يكون مآؤهُ عذباً خالصاً على التقريب

كلنديك جديدة

ما برحت الديار الاميركية موضع دهشةٍ للعالم ومستثاراً لخواطر الامم وهممهم بما لا تزال تفاجئ الناس بهِ من غرائب احوالها وكنوز تربتها وغناها . ولقد شده الناس منذ عهدٍ قريب ما ورد عليهم من جهة كولمبيا البريطانية من انهُ قد اكتُشف في قضآء كاسياس من ارض ألَسكا معدنٌ جديد للذهب هو اوفر واغنى من معدن كلنديك

وقد كان اول نبإٍ لهذا الاكتشاف في اوائل شهر اوغسطس من سنة ٩٨ ورد الى مدينة سكَنْواي من مدن ألسكا فلم يلبث ان تبادر من فيها من المعدِّنين والمركِّبين (صيادي السمك) زرافاتٍ الى تلك الارض وطار الخبر في ارجآء المدينة فلم يمضِ الا ايامٌ قلائل حتى خلت منازلها من الانيس واصبحت المدينة كلها عند مواقف البريد يلتمسون تحقيق الخبر . وفي اثنآء ذلك اقبل وفدٌ من ناحية فكتوريا فاثبتوا صحة الاكتشاف وشاعت الانبآء في تلك النواحي فهوت الافئدة والركائب الى تلك الارض من جميع السواحل الغربية من شمالي اميركا

اما مكتشف هذه الارض فهو رجلٌ المانيّ الاصل يقال لهُ فرِتز ميلر

عثر على هذا المعدن اتفاقاً وكان قد ظهر لهُ في خورٍ من بحيرة اتلين سامات من الذهب فاخذ مع جماعةٍ من اصحابهِ يبحث في تلك الناحية فاصاب منجماً لا يزيد عمقهُ على مترين عن سطح الارض . وقد عدّل مقدار ما يُستخرَج من هذا المنجم في اليوم بما يساوي ستين دولاراً او ٣٠٠ فرنك لكل عامل

وأرض هذا المعدن الجديد سهلة الطريق ليس في الوصول اليها شيء من المشقة والخطر اللذين يتعرض لهما المسافر الى ارض كلنديك وحالة الجوّ هناك معتدلة فلا يُضطرّ كما هو الحال في داوسون ان يُستخرَج الذهب من ارضٍ قد تجمّدت تربتها بشدّة البرد الى عمق عدة امتار . وفضلاً عن ذلك فان الذهب المستخرج من هذه الارض انقى كثيراً من الذهب الذي يُستخرَج من كلنديك فتباع الاوقية منهُ لمصارف فكتوريا بثمانية عشر دولاراً حال كون الذهب الكلنديكي لا تباع الاوقية منهُ باكثر من اربعة عشر

خواطر مستطرفة

في الموسيق

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تابع لما في الجزء الحادي عشر)

– ٨ –

﴿ السلم العربي ﴾

ويقال لهُ الديوان او المرتبة وهو يؤلف من سبع نغمات يقال لها درجات او ابراج تعلو الواحدة عن الاخرى علوًّا غير متساوٍ كما سيتضح . وقد وضعوا اسماء لديوانين او سلمين تبتدئ من القرار فصاعداً الى الجواب

على التوالي وهي هذه

يكاه . عشيران . عراق . رصد . دوكاه . سيكاه . جهاركاه . نوى . حسيني . اوج . ماهور . محيّر . بُزُرك . ماهوران

واذا اريد تسمية درجات اخرى فوق هذه كررت السبع الدرجات الاخيرة واضيف اليها لفظة جواب فتقول جواب نوى (ويسمى رَمَل توتي) جواب حسيني . جواب اوج الخ ومتى فرغت اسماء هذه الدرجات كررت مرة اخرى واضيفت اليها لفظة جواب مرتين فتقول جواب جواب النوى جواب جواب الحسيني الخ وهكذا تتعدد الدواوين صعوداً بتكرار اضافة لفظة الجواب بقدر عدد الدواوين المضافة . واذا أُريد تسمية درجات تحت القرار كررت اسماء السبع الدرجات الاولى واضيفت اليها لفظة قرار فيقال قرار الجهاركاه قرار السيكاه الخ . وكذا اذا اريد الزيادة ايضاً تكرر لفظة القرار كما تكرر لفظة الجواب وهلم جرًّا الى ما شاء الله صاعداً ونازلاً

وكانوا قبلاً يبتدئون السلم الحقيقي بالسيكاه اما الآن فيبتدئونهُ بالرصد ويختتمونهُ بالاوج وهو اقرب الى السلم الافرنجي كما سيجيء بيانهُ

وقد تقدم ان الدرجات يعلو بعضها عن بعض علوًّا غير متساوٍ وايضاح ذلك ان العرب قسموا ما بين الدرجات الى ارباع فبين الرصد والدوكاه اربعة ارباع وبين الدوكاه والسيكاه ثلاثة ارباع وبين السيكاه والجهاركاه ثلاثة وبين الجهاركاه والنوى اربعة وبين النوى والحسيني اربعة وبين الحسيني والاوج ثلاثة وبين الاوج والماهور ثلاثة وقس عليه القرارات والاجوبة فيكون السلم الموسيقي مؤلفاً من اربعة وعشرين ربعاً كما ترى في الجدول الآتي

قرار	درجه	نغمه	سلم	جواب
رصد	١	٢٤	ماهور	
تك كشت		٢٣	تك نهفت	
كشت		٢٢	نهفت	
عراق	٧	٢١	اوج	
قرار عجم		٢٠	عجم	
قرار نم عجم		١٩	نم عجم	
عشيران	٦	١٨	حسيني	جواب حسيني
قرار تك حصار		١٧	تك حصار	جواب تك حصار
» حصار		١٦	حصار	» حصار
» نم حصار		١٥	نم حصار	» نم حصار
بكاه	٥	١٤	نوى	رمل توتي
قرار تك حجاز		١٣	تك حجاز	جواب تك حجاز
» حجاز		١٢	حجاز	» حجاز
» عربه		١١	عربه	» عربه
قرارجهاركاه	٤	١٠	جهاركاه	ماهوران
		٩	تك بوسليك	جواب تك بوسليك
		٨	بوسليك	» بوسليك
	٣	٧	سيكاه	بزرك
		٦	كردي	جواب كردي
		٥	نم كردي	» نم كردي
	٢	٤	دوكاه	دوكاه
		٣	تك زرجله	جواب تك زرجله
		٢	زرجله	» زرجله
		١	نم زرجله	» نم زرجله
	١	٠	رصد	ماهور

ويمكن ان يبتدأ السلم من اي الارباع شئت بحيث يكون بين الدرجة الاولى والثانية ٤ ارباع وبين الثانية والثالثة ٣ ارباع الخ كما يرى في الجدول الاول بالنظر الى ارقام الدرجات وما بينها من الارباع

- ٩ -

﴿ السلم الافرنجي ﴾

صاعد			نازل
دو	١	١٢	دو
سي	٧	١١	سي
لا مرفوعة		١٠	سي مخفوضة
لا	٦	٩	لا
سول مرفوعة		٨	لا مخفوضة
سول	٥	٧	سول
فا مرفوعة		٦	سول مخفوضة
فا	٤	٥	فا
مي	٣	٤	مي
رى مرفوعة		٣	مي مخفوضة
رى	٢	٢	رى
دو مرفوعة		١	رى مخفوضة
دو	١		دو

يؤلف السلم الافرنجي من سبع درجات كالسلم العربي ويقسم ما بين الدرجات الى انصاف فبين كل درجتين متجاورتين نصفان الا بين الثالثة والرابعة وبين السابعة وجواب الاولى فنصف درجة فقط فيكون مؤلفاً من اثني عشر نصفاً كما يتضح من الجدول الذي تراه

ويمكن ان يبتدأ السلم من اي الانصاف شئت بحيث يكون بين كل درجة واخرى نصفان الا بين الثالثة والرابعة وبين السابعة والجواب فنصف فقط

واذا قابلنا السلم الافرنجي بالعربي رأينا بينهما فرقاً في محلين وهو ان « مي » الافرنجية تعلو ربعاً على السيكاه العربية و« سي » تعلو ربعاً على

افرنجي				عربي	
١	دو	١٢	٢٤	ماهور	١
			٢٣		
٧	سي	١١	٢٢		
			٢١	اوج	٧
		١٠	٢٠		
			١٩		
٦	لا	٩	١٨	حسيني	٦
			١٧		
		٨	١٦		
			١٥		
٥	سول	٧	١٤	نوى	٥
			١٣		
		٦	١٢		
			١١		
٤	فا	٥	١٠	جهاركاه	٤
			٩		
٣	مي	٤	٨		
			٧	سيكاه	٣
		٣	٦		
			٥		
٢	ري	٢	٤	دوكاه	٢
			٣		
		١	٢		
			١		
١	دو			رصد	١

على الاوج كما ترى في هذا الشكل

اما السلم اليوناني فمختلف كثيراً عن السلم العربي وتقسم الفسحات بين درجاته الى دقائق حتى تبلغ دقائق السلم كلها ٦٨ دقيقة . ولا حاجة الى ايضاحه هنا لقلة استعماله الا في الموسيقى الروحانية في الكنائس الشرقية الطقسية

- ١٠ -

بقي البحث في هل السلم طبيعي ام اتفاقي والذي في اعتقاد علماء هذا الفن انهُ طبيعي وحجتهم في ذلك انهُ عند كل الامم مؤلف من سبع درجات لا اكثر ولا اقل فالاجماع عليهِ كذلك يؤيد انهُ طبيعي وفضلاً عن ذلك فانهُ اذا كان مؤلفاً من اكثر من سبع درجات او اقل جاء متنافراً فعافهُ السمع

والذي يلوح لي انهُ اتفـاقي لا طبيعي اي ألفهُ ذووهُ كذلك وكان في الامكان ان يألفوهُ على وجوه أخر . وبرهان ذلك

اولاً ان عدم تناسب التفاوت بين الدرجات ينافي الطبيعة لان الطبيعة تقضي عقلاً ان تعلو الدرجات الواحدة على الاخرى علوًّا متساوياً وقد علمت ان كلا السلمين العربي والافرنجي يخالفان ذلك

ثانياً ان بعض الالحان المطربة ولا سيما العربية تقتضي النشوز عن السلم الموسيقي المعروف كأن تعلو بعض الدرجات او تنخفض قليلاً عن مقامها المعتاد في السلم . وبما ان الالحان التي يخالف فيها السلم المألوف مطربة فليس السلم طبيعياً لامكان استعمال سلم آخر يخالفهُ من غير ان يمجهُ الذوق . ومن هذا القبيل النهاوند من ضروب الالحان العربية فانهُ لا يصح الا بنقل اكثر درجات السلم من مقاماتها المعتادة اي استبدالها بارباع مجاورة لها

ثالثاً لو كان السلم طبيعياً لما اختلف السلم العربي عن الافرنجي ولا اليوناني عن كليهما بل كان الثلاثة واحداً . فاختصاص بعض الشعوب بسلم وغيرهم بآخر يؤيد أن السلم الموسيقي اتفاقي يرجع الى ذوق الشعب وما طرأ عليهِ من المكيفات مع الزمان

رابعاً لو كان طبيعياً لامكن ان يترنم عليه الانسان بدون ان يسمعهُ والحال ان الانسان يتعلمهُ تعلماً ولا يتقنهُ الا بعد المزاولة ولا يميز بين درجاتهِ الا بعد معاناة طويلة

ثم ان الذي يلوح لي انهُ كلما تقدم هذا الفن كثرت درجات السلم لان التفنن في التلحين يقتضي ذلك ليكون اللحن اكثر محاكاةً لمعاني

الوجدان . فالسلم في عرف الافرنج سبع درجات ولكنهم رأوا انهم يستعملون في بعض الالحان او بعض الاعتبارات درجاتٍ اضافية تخلل الدرجات الاصلية فقرروا ان يكون السلم مؤلفاً من اثني عشر نصفاً كما مرَّ

والعرب لم يقتصروا على الانصاف بل اضافوا ارباعاً ايضاً فاذا صح ان كثرة الدرجات دليل على تقدم هذا الفن في الاطراب فالموسيقى العربية تكون ارقى من الافرنجية واليونانية ارقى من كلتيهما (ستأتي البقية)

﴿ آداب الجرائد ﴾

من اغرب ما رأيناً من اختلال آداب الجرائد في هذا القطر ان يموت فيهِ رجلٌ مثل نجيب الحدّاد الذي قضى حياتهُ كلها في خدمة العلم والادب وشاعت كتاباتهُ في كل قطرٍ من الاقطار العربية وسافر نظمهُ ونثرهُ بين خاصة الناس وعامتهم ثم نرى بعض تلك الجرائد تطوي كشحاً عن منعاهُ ولا تجري لموتهِ ذكراً . وهذا لعمر الحق ما لا نتصور ان يكون لهُ ضريبٌ في شيءٍ من جرائد الدنيا ولا نظن انهُ يقع في غير هذه البلاد التي اضحت الآداب فيها فوضى واصبح كل من قبض على يراعةٍ يتصدى لكتابة الجرائد التي هي راس الخطط الادبية وخلاصة المدارك السياسية والتاريخية والتي عليها مدار تهذيب الامة وتثقيف عقولها وتقويم عوائدها واخلاقها الى غير ذلك مما سبق لنا من الكلام فيهِ ما لا نعيدهُ في هذا الموضع وما نعلم انهُ ليس في كتّاب الجرائد عندنا من يحسن الخوض فيهِ الا آحادٌ هم ضائعون بين هذا الجمهور الذي ملأ الجوّ لغطاً على غير معنًى ولا جدوى سوى ما سال

بهِ السيل في البلاد من بث الفتن والتفنن في ضروب الفساد وزيادة القوم على جهلهم جهلاً ومدّهم في غواياتهم واباطيلهم . على انا لسنا نطالب امثال هؤلاء بما اومأنا اليهِ من المدارك البعيدة وما يكلف الله نفساً الاّ وسعها ولكن لا اقلّ من ان يحسنوا ايراد الاخبار على حقها وصدقها ويميزوا بين ما يجوز فيها وما لا يجوز فلا نقرأ الخبر الواحد في جريدتين مروياً على وجهين متناقضين ولا يقع الحادث العظيم ترنّ بهِ صدور الاندية ويذهب في عرض الشوارع وتسير بهِ رسل البريد واسلاك البرق ثم نقرأ الجريدة الصادرة في محلهِ فلا نجد لهُ فيها ذكراً . لاجرم ان كتم الخبر الواقع لا يقلّ شناعةً عن اختلاق الخبر المكذوب لان حاصل كلٍّ منهما تمويه الحقيقة وتبديل صورة الواقع بغيرها ورحم الله القائل

وما كتم قول الحق عند مكاشفٍ به دون قول الزور عند منافقِ

وما ندري ما منع هذه الجرائد من ايراد هذا الخبر وهو الامر الذي أُبهم علينا فهمهُ ولم نعلم كيف نؤوّلهُ ولا ايّ عذرٍ نلتمس لتلك الجرائد على اهمالهِ . افنعتذر عنها بانها لم تعلم بموت هذا الفقيد وهذه جرائد القطر كلها لم يبقَ فيها جريدةٌ الا اذاعت نعيهُ وقدرت المصيبة فيهِ حق قدرها بل كثيرٌ منها لم تقتصر على ذكرهِ المرة والمرتين وهي الى اليوم تكرر منعاهُ وتأبينهُ وقد فرغت نوبة اقلامها فتلتها نوبة اقلام الشعراء

ام لعلها تستصغر الرزء فيهِ وهي تعلم انهُ قد كان قائدها ورافع لوآئها واسبق كتابها عهداً بالكتابة وارسخهم فيها قدماً واثبتهم اثراً وحسبها لو انصفت ان تتذكر ان لفظة الصحافة التي تنتمي اليها وتفتخر بها هي من

وضعهِ ولفظهِ اقتبستها عنهُ ثم هي تضنّ عليهِ بان يذكَر فيها بما يستحق .
ام ضاقت صفحاتها عن نشر هذا الخبر بما يتزاحم عليها من الاخبار المهمة
والمباحث الخطيرة مثل احالة فلان على المعاش وزيادة راتب فلان الى ما
هنالك من سرد المقالات التافهة والمقامات الباردة والاسجاع الركيكة

ام عزّ على تلك الجرائد ان تعطيهُ حقهُ من الوصف وتقدر الرزء فيهِ
حقّ قدرهِ وخافت ان بخستهُ حقهُ وذكرتهُ بدون ما هو اهلٌ لهُ ان تعرّض
نفسها للوم والتفنيد فضربت عن ذكرهِ صفحاً كانما تظن انها اذا تعاضت عن
هذا الخبر اغضى الناس عنها فكان مثلها مثل النعامة المشهور

نقول ذلك ونحن لا نقصد بهِ ان اهمال هذه الجرائد لمنعاهُ اثر شيئاً
على شهرتهِ او وضع من منزلتهِ فان من سمع ذكرهُ في كل نادي ادب
ورأى شعرهُ سائراً على الافواه وقرأ ما لهُ من الكتب والمقالات التي هي
عنوان البلاغة والبيان ورأى رواياتهِ متتابعة التمثيل على مشهد المئات لا يفرَغ
من احداها حتى يُشرَع في اختها ثم رأى جرائد القطرين المصري والشامي
حتى الاعجمية منها تذكرهُ بالترحم والثناء بل رأى كثيراً من مجلات
اوربا الادبية وجرائد اميركا تعلن وفاتهُ بالاسف يعلم ان تقصير تلك الجرائد
في حقهِ انما كان تقصيراً منها في حق انفسها وسبيلاً عليها لألسنة القادحين
والعائبين بل لطخة عارٍ على الامة ان يكون في قادتها ورافعي منار التهذيب
فيها من تكون هذه منزلتهُ من المدنية ومبلغهُ من الانسانية وهذا القدر
كافٍ في هذا المقام والسلام على من اتبع الهدى

مطالعات

لسعة الزنبور - جآء في بعض المجلات الطبية بتوقيع الدكتور لندر ما تعريبهُ

اصابتني رَثيةٌ (روماتزم) ذات المٍ مستمرّ فاستعملت لها ضروباً من العلاج بين ادوية وحمّامات معدنية فلم اجد في شيء منها نفعاً . واتفق بعد ذلك ان لسعني زنبور في زندي الايمن وكنت شاعراً بالمٍ شديد في الذراع فلم يلبث ان ورم موضع اللسعة ولكن زال الالم للحال . فلما رأيت ذلك تعرضت من الغد للسعةٍ في الركبة فزال الالم ايضاً ومذ ذاك كنت كلما عرض لي المٌ او شعرت بخدَر الجأ الى العلاج نفسهِ فاعود بالفائدة عينها

قال وأُصبت بعد ذلك بزكامٍ شُعَبيّ (برُنشيت) شديد فعرّضت نفسي للسع الزنابير في العنق ومقدَّم التجويف الصدريّ فزال لوقتهِ وقد كنت معرَّضاً للنزلة كل سنةٍ طول مدة الشتآء فلم تعاودني مذ ذاك . اه

قلنا وهذا من الامور المعروفة في الديار الشامية ولا سيما في نواحي لبنان فان كثيرين ممن تصيبهم الرثية يتعرضون للسعة الزنبور او النحل فلا تخطئهم الشفآء

وهنا محلٌّ لذكر فائدةٍ جليلة مما اتفق لكاتب هذه المجلة وهي اني معرّضٌ للرثية العضلية تصيبني غالباً في الساقين والفخذين فتقعدني عن المشي والنهوض وقد اصابتني ثلاث مرات في مدة عشر سنوات كانت تلبث في كلٍّ منها سبعين يوماً متوالية لا ابرح فيها مكاني وقد عالجني غير واحدٍ من

حذّاق الاطباء فلم يدعوا صنفاً من اصناف العلاج بين منبهات ومخدرات الا استعملوهُ فلم يُغنِ بل كانت المنبهات تزيد الالم . فلما كنت من نحو سنتين شعرت بابتداء الرثية في المكان نفسهِ ثم اخذت تشتدّ وتتمكن يوماً بعد يوم حتى اتت عليّ عشرة ايام لا استطيع فيها النهوض والحركة الا بمشقة فايقنت هذه المرة بالسبعين ايضاً . وكنت ملازم الفراش والدثار الا اني راقبت انهُ كلما هبّت الشمال اشعر ببردٍ اليم ووخزٍ منتشر في الجلد كانهُ وقع إبَرٍ مع ان نوافذ الموضع مغلقة والفصل صيف فتنبهت من ذلك الى ان الامر لا بد ان يكون مسبباً عن تنبيهٍ مغنطيسي في العضل ناشئٍ عن تغير حالة الجوّ . فخطر لي ان اتلقى هذه المغنطيسية بشيء من الحديد وكان بالقرب مني مفتاح فتناولتهُ ووضعتهُ على مكان الالم فلم اكد اضعهُ حتى شعرت كأن تحتهُ ورماً حارًّا وتصلباً في ظاهر الجسم . فرفعت الحديد ووضعت يدي مكانهُ فلم اجد ورماً ولا صلابةً ثم اعدت الحديد فكنت اشعر كأن ذلك الورم يزول شيئاً فشيئاً ولم يمرّ على ذلك عشر دقائق او دونها حتى عاد الجلد ليناً ولم يبقَ ثمة ادنى الم . فجعلت انقل المفتاح من موضعٍ الى آخر وكلما عاد الالم والوخز اعدتهُ حتى ايقنت بنفعهِ وحينئذٍ اتخذت قطعةً عريضةً من الحديد وشددتها على فخذي وقمت امشي على عادتي ومذ ذاك صرت كلما شعرت باقلّ شيء من الرثية في اي موضعٍ كان التجئ الى الحديد فيزول في الحال

هذه حكاية ما اختبرتهُ في نفسي احببت اثباتها في هذا الموضع رحمةً باصحاب هذا الداء الاليم وانا لا اجزم بصحة ما بنيت عليهِ فلسفة النفع في

هذه الطريقة ولكن النفع فيها صحيحٌ لا ريب فيهِ وقد امتحنّاها في كثير من الناس فحصل عنها النفع نفسهُ الا ان منفعتها مقصورةٌ على الرثية العضلية كما تقدمت الاشارة اليهِ ولا تأثير لها في الرثية المفصلية وانا ارجو ان يخفّف بها كثيرٌ من آلام اصحاب هذا الداء ان شاء الله تعالى والله الشافي

آثار ادبيّة

كتاب العقد النفيس في تشطير وتخميس ديوان الامام عمر بن الفارض — أُهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب لحضرة الشاعر الاديب محمد افندي فرغلي الأنصاري الطهطاوي احد موظفي نظارة الخارجية المصرية وقد عُني فيهِ بتشطير جانب من قصائد هذا الديوان وتخميس الجانب الآخر ما خلا التائية الكبرى وبعض المقطّعات في آخرهِ

ولا يخفى ما في مزاولة هذا العمل الطويل في مثل هذا الديوان ومتابعة قصائدهِ بيتاً بيتاً من المركب الخشن والمؤونة الشاقّة ولا سيما وان كل قصائده منحصرةٌ في غرض واحد من التغزل والتشبيب وهو الامر الذي تكلّ من دونهِ ركائب الفكر وتنضب مادّة القريحة فضلاً عن ان صاحب الديوان قد احاط بمعاني هذا الباب واستنزف معينها فلم يبقَ منها للوارد الا وَشَلٌ ضعيف . على ان نظم ديوان من مثل ديوان ابن الفارض اسهل واقرب منالاً من تشطيرهِ او تخميسهِ لما في ذلك من اعنات الفكر وجهد الروية بالدخول على المعاني المستوفاة والابيات المُقفَلة مما يعزّ السبيل الى الزيادة عليهِ اذ ليس بعد التمام شيء

ولقد رأينا من فحول الشعرآء واكابرهم من زاول تخميس قصيدةٍ واحدة او تشطيرها فلم تتفق لهُ الاجادة الا في بعض ابياتهـا وظهرت على سائرها آثار التكلف والاضطراب وانقطاع اللحمة بين الكلامين حتى لقد ترى كلاً منهما من واد واكثر ما تجد ذلك في التشطير لما يقتضيهِ من دخول كلام المشطر بين شطرَي البيت الاصلي بحيث يحلّ من كلٍّ منهما محل صاحبهِ ويؤلف معهُ بيتاً مستقلاً . وانما يقع الاحسان في مثل هذا في البيتين والابيـات تختار من الشعر الذي يمكن انفكاك بعض اشطرهِ من بعض ويحتمل معناهُ الصرف الى غير الجهة التي ساقهُ اليهـا الشاعر الاصليّ والا فان اقلّ ما هنالك ان يُضطرّ المشطّر الى تكرار معنى الشطر المستبدَل فيُنزِل في مكانهِ شطراً بمعناهُ او قريباً منهُ لتعذُّر المنصرَف عنهُ وحينئذٍ فلا يكون للتشطير معنى الا تطويل اللفظ على غير زيادة في الفائدة

نقول هذا اظهـاراً لصعوبة هذا العمل ووعورة مسلكهِ بحيث ان اطول الشعرآء باعاً واقدرهم على التصرف بازمّة المعاني يعجز عن الاجادة في تشطير او تخميس ديوانٍ برمتهِ . ومع ان هذا الكتاب لا يخلو من مواضع للاخذ والانتقاد فانها مغتفرةٌ في جنب ما ذكرناهُ ولكن الذي نأخذهُ على الناظم اقدامهُ على هذا العمل العقيم واضاعتهُ فيهِ من الزمن والجهد ما لو صرف بعضـهُ الى نظمٍ جديد يتخير فيهِ الاغراض والاسـاليب ولا يتقيد بالتزام معانٍ مخصوصة في صُوَرٍ محدودة فضلاً عما يُدفَع اليهِ تارةً من القوافي المستهجنة لكان ذلك اظهر لفضلهِ واجدر ببيان منزلتهِ من الشعر . على انا لا ننكر مجيء بعض التخميس فيهِ جيّد الالتحام حسَن التوطئة يشهد لهُ

بجودة القريحة وحسن التصرف في النظم كقوله من تخميس خمريتهِ المشهورة

عجبتُ لقومٍ وهي داخل ظرفها   اما لتهمُ سكراً برقة لطفها
فكيف بهم لو ساغ منهل رشفها   يقولون لي صفها فانت بوصفها
خبيرٌ أجل عندي باوصافها علمُ

سألتم خبيراً من مواردها ارتوى   وصاحبكم ما ضلّ فكراً ولا غوى
فهيّا اسمعوا ثم اعجبوا بالذي روى   صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوا
ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ

وفي الكتاب كثيرٌ من هذه الحسنات تبعاً لما تحتملهُ حالة النظم الاصلي مما تقدم بيانهُ فنحن نثني على الناظم لما بذلهُ في هذا السبيل من الجهد والمثابرة ونتمنى لكتابهِ مزيد الشهرة والرواج

كتاب هدية الملوك في آداب السلوك — هو مؤلفٌ لطيف وضعهُ حضرة الاديب يوسف افندي بشتلي جمع فيهِ آداب الحضارة الاوربية التي هي اليوم مقتدى جميع الامم المتمدنة فشرح فيهِ عوائدهم ومصطلحاتهم في آداب التعارف والزيارة والتحية والمجالسة والمحادثة والمكاتبة واحوال الاحتفالات في الافراح والاتراح والالعاب والمتنزهات واحكام الملابس والمطاعم والزينَ وغير ذلك من كل ما يتعلق بالآداب العمومية والخصوصية فجاء كتاباً جامعاً تلذ مطالعتهُ ولا يخلو من تبصرةٍ وفائدة فنثني على مؤلفهِ ثناءً طيباً ونحض المتأدبين من ابناء المصر على اقتنائهِ

فكاهات

رواية

العجب المفاجئ (1)

كان في لمبرديا امير عظيم الشان واسع الثروة يقال لهُ روبرتو لم يرزقهُ الله سوى ابنةٍ وحيدة سماها روزا فكانت تلك الابنة موضع عنايتهِ واهتمامهِ وقد وقف عليها جميع عواطفهِ واتخذها بغيتهُ من دنياهُ. ولما كان احد الايام اخذ الامير ابنتهُ وخرج بها يتمشى على ضفاف النهر فبينما هما هناك وقد جلسا على صخرةٍ تجاه النهر اذا جماعة غلمانٍ يلعبون على الرمال وكان بين هؤلاء الغلمان فتىً في الرابعة عشرة تلوح على وجههِ سمات الفطنة والذكاء ويظهر من ملامحهِ انهُ من ابناء الكرام غير انهُ كان بين اصحابهِ ساكتاً منكسراً ورأى الغلمان منهُ ذلك وقد عرفوا انهُ غريب فكانوا يعبثون بهِ ويتدافعونهُ بينهم وهو صابر على فظاظتهم. ثم سقطت قبعة احدهم في الماء فامروهُ ان ينزل ويأتي بها فأطاع وألقوا لهُ غصناً من شجرةٍ ليجذبوهُ بهِ فلما بلغ الفتى طرف الغصن تركهُ الغلمان وكان الفتى لا يحسن السباحة فجعل يتخبط في الماء وقد اوشك ان يغرق. فلما رأت ابنة الامير ذلك ادركتها الشفقة عليهِ فتوسلت الى ابيها ان يأمر الغلمان بتخليصهِ فصاح الامير بهم ان يسرعوا في انقاذ ذلك المسكين فلم يبالوا بهِ فشقّ ذلك على الامير

(1) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وانتهرهم فتفرّقوا هاربين وهم يضحكون مما فعلوا . ورأى الامير ان الفتى قد خارت قواهُ وكانت ابنتهُ تتوسل اليهِ بالدموع لتخليصهِ فالقى بنفسهِ في الماء وانقذ الغلام سالماً الى البرّ ولما بلغاهُ وقف الفتى بمزيد الاحتشام وشكر الامير على انقاذهِ بأرقّ العبارات . فتأثر الامير لكلامهِ وقال لهُ من انت ايها الفتى وابن من . قال اما انا فاسمي روبرتو واما ابي فلا اعلم عنهُ شيئاً قال وكيف ذلك أوليس لك هنا مكانٌ تأوي اليهِ ولا احدٌ من ذويك . قال مأواي شوارع المدينة وذويَّ ارباب الشفقة والاحسان ولم يكد يتمّ عبارتهُ هذه حتى خنقتهُ العبرات . فازداد الامير تأثراً من حالهِ وقال لهُ لا بأس تأتي الى بيتي وتقيم عندي فاجعل لك خدمةً بين اشغالي فلبي الفتى شاكراً وتبع الامير وابنتهُ حتى وافوا المنزل فكان في جملة اهلهِ

وبقي روبرتو سنتين في بيت الامير مثالاً للطاعة والادب والرصانة فملك قلوب كل من في القصر ولا سيما قلب روزا فانها كانت لا تسرّ الا برؤيتهِ ولا ترتاح الا الى محادثتهِ

وفي ذات يوم استدعى الامير ابنتهُ واعلمها ان احد ابناء الاعيان طلبها زوجةً لهُ وقال لها انهُ يودّ ان يراها سعيدةً قبل ان يفارق هذه الدنيا وقد عين للخطيب يوماً يأتي فيهِ ليرى خطيبتهُ ويلبسها خاتم العهد . فاجفلت روزا لهذا الخبر الغريب وتعجبت من قطع والدها بمثل هذا الامر قبل مشورتها والوقوف على رضاها فقالت لهُ عجباً يا ابتِ وكيف علمت اني اوافق على هذا الامر وانا لا علم لي بشيء منهُ ولا اعرف الرجل الذي جعلتهُ نصيباً لي . نعم لست انكر ان طاعتك واجبةٌ عليَّ لكن لا فيما

يتملق بجياتي واذا كنت كما تقول تحب ان تراني سعيدةً فقد كان الاجدر
ان تترك هذا الاختيار لي لأتولى بنفسي انتقآء من ارى اني اكون سعيدةً
معهُ . فلم يستغرب الامير هذا الجواب من ابنتهِ لما كان يعهد من نجابتها
وذكائها غير انهُ استآء من مقاومتها لهُ فقطب حاجبيهِ وقال لها أوتنقضين
ما وعدتُ بهِ يا روزا وتمّ قضاؤهُ من قِبَلي . قالت معاذ الله يا ابتِ ان
يكون نقضي لهُ استخفافاً او عصياناً ولكنني اعلم اني اذا قُرِنت بمن لا اختارهُ
كان ذلك سبب تنغيص لي ولك وجرّ عليك ندامةً حين لا ينفع الندم .
قال واذا تركت لكِ هذا الخيار فهل انتِ واثقةٌ بان يكون من تختارينهُ
شخصاً يسرّني . قالت نعم بلا ريب . قال ومن هو هذا الشخص . قالت
هو ربيبك روبرتو فقد ملتُ بكلي اليهِ وهو يحبني حبًّا لا مزيد عليهِ
فاذا تزوجت يوماً ما فلن ارضى سواهُ بعلاً لي . قال تبًّا لرأيك ما اسخفهُ
وابعدهُ عن مواقع افكاري فاني بينما افكر في تزويجكِ بالشرفآء والاغنيآء
وذوي الجاه والحسب اراكِ قد تعلقتِ بصعلوكٍ حقير لو لم نجُد عليهِ
بفضلات طعامنا لكان الآن منسيًّا من عالم الوجود . قالت أوتظنّ يا ابي
ان شرف الانسان بمالهِ وحسبهِ ولو لم يكن في نفسهِ شريفاً أوَلا يفضّل
مثل روبرتو بما فيهِ من الادب والصدق وصفآء النفس وطيب السريرة
على كثير من هؤلآء الاغنيآء المتصفين بما تعلمهُ من البذآءة والفجور والتمرغ
في اوحال المعايب والنقائص وهل يغني عن امثال هؤلآء ان يكون في
صندوق احدهم كذا من المال ينفقهُ على مذامّ الامور او ان يقول ابي
فلان او جدّي فلان وهو ليس من ابيهِ او جدهِ ولا قُلامة ظفر . قال

حسبكِ يا روزا من مثل هذه الافكار فلن يكون روبرتو سوى خادمٍ لكِ ولا يكون زوجكِ الا من اخترتهُ انا فاذهبي واستمدّي لما امرت ان يكون. ثم دخل غرفتهُ وذهبت روزا الى الحديقة فجلست على مقعدٍ هناك واخذت تفكر فيما سمعتهُ من ابيها وبينا هي كذلك اذ جآء روبرتو فرآها كاسفة الوجه دامعة الطرف فوقف بازآئها وسألها عن شأنها فاخبرتهُ بما دار بينها وبين ابيها فاخذ روبرتو ينصح لها ان تقلع عن محبتهِ لانهُ لا يملك شروى نقير ولا يدري ما يكون من مستقبلهِ وان تطاوع اباها في الرضى بمن اختارهُ لها وتسلو هذا الشقيّ الحظ الذي طرحهُ القدر في طريق سعادتها. فقالت اوأنت ايضاً تقنط من رحمة الله الا تدري ان لك ربّاً لم يخلقك وهو عاجز عن ان يأخذ بيدك ويمولك. كلاّ اني لن اتخذ سواك ولست بمطيعةٍ لوالدي في هذا الامر ولو افضى الى اراقة دمي ولكن قل لي هل تحبني انت وهل توافقني على ما اريد فعلهُ . قالت هذا وقد شغفتهُ برقّة حديثها وجمال طلعتها فصاح نعم احبكِ يا ملَك سعادتي وانا اطوع لكِ من بنانكِ فانظري ماذا تأمرين . قالت حسبي هذا فكن على اهبةٍ لما اشير بهِ اليك في حينهِ

وقضت روزا بعد ذلك عدة ايام كان همها فيها استمالة والديها الى موافقتها واقناعهما بانهُ لا يجوز لهما ان يُكرِهاها على الاقتران بمن لا تهواهُ فلم يغنِ ذلك عنها شيئاً ولكن والدها زجرها واهانها وانذرها بقرب اليوم الذي ضربهُ موعداً للخطيب . ولما يئست من لين والدها ذهبت في تلك الليلة الى غرفتها فجثت امام سريرها وابتهلت الى مدبر الكائنات ان

يأخذ بيدها ويرشد مسماها ولما رقد كل من في القصر وخيّم السكون على ارجآئهِ نهضت فكتبت بضعة اسطرٍ لوالديها تظهر لهما فيها ما ركبا من الخطآء والقسوة في اصرارهما على اكراهها وختمتها بوداعهما ثم تركت الكتاب على سريرها وحملت كل ما كان في غرفتها من الحلى والحجارة الكريمة والنقود وانسلّت الى غرفة الخدم لتوقظ روبرتو فلم تجدهُ في سريرهِ . فوقفت تفكر هنيهةً ثم خرجت الى الحديقة وقد اضطربت افكارها ولم تدرِ كيف تؤوّل معنى غيابهِ وبينا خطت بعض خطواتٍ شعرت بصوتٍ تحت نافذة غرفتها فاقتربت فاذا روبرتو جاثٍ على التراب وهو يبتهل الى الله ان يلهمهُ ماذا ينبغي ان يفعل . فلم تلبث ان جثت بجانبهِ ولما اتمّ صلاتهُ اسرّت اليهِ ما عزمت ان تفعلهُ ثم قادتهُ بيدهِ الى باب الحديقة السرّي فخرجا من هناك وانطلقا تحت ستر الظلام ولما فصلا عن المنزل استأجرا لهما عربةً فركباها وقصدا بلدةً اخرى على مسافة عدة ساعاتٍ فبلغاها عند طلوع الفجر ثم صرفا العربة وتوجها الى ديرٍ هناك فدخلاهُ وطلبت روزا مواجهة رئيسهِ فلما وافى قصّت عليهِ ما كان من حديثها وحديث والديها ولما وثق بصحة كلامها لم يبطئ ان اتمّ عقد روبرتو عليها ثم ادخلها الى غرفةٍ فاقاما بياض نهارهما في الدير وعند المسآء البسهما ملابس الرهبان واركبهما على دابتين من دوابّ الدير وصرفهما مزوّدين ببركتهِ ودعآئهِ . فخرجا يجدّان السير وقد عزما على مزايلة تلك الولاية باسرها والتقدم الى حدود فرنسا وكانا يسيران في الليل وينزلان في النهار الى ان مضى عليهما اربعة ايام . وفي مسآء اليوم الخامس عاودا المسير وكانت في طريقهما غابةٌ كثيفة فدخلا في تلك الغابة

وبعدما قطعا مسافةً منها لمع في عيني روبرتو شيءٌ في وسط الظلام عرف للحال انهُ حديد بندقية وتلا ذلك صوت صائحٍ مَن القادم. ولما لم يجبهُ اذا بطلق نارٍ قد دوى في الفضآء وتبعتهُ صيحةٌ عظيمة فسقط روبرتو وجوادهُ الى الارض ولما رأت روزا ذلك وثبت عن جوادها الى الارض كأنها اللبؤة الفاقدة اشبالها وصاحت ويلٌ لكم يا ثعالب الليل تعالوا خذوا ما نملك ودَعُوا الارواح لمالكها . وكأنَّ شدّة الرياح اعترضت صوتها فلم يسمعهُ سوى روبرتو وكان الرصاص قد اصاب جوادهُ فقتلهُ ولم يُصَب هو بسوء فوثب على قدميهِ وعطف الى روزا ليسكن روعها . ثم خطر لهُ ان اولئك القوم ربما كانوا مرسلين من قِبَل والدها لامساكهِ ولكي يغالطهم ويموه عليهم معرفتهُ كلمهم بالفرنسوية بلهجتها الفصحى وقال من انتم ايها القوم وما شانكم اقتربوا منا ولا يريبنَّكم من جهتنا خشيةٌ فانا اعزلان من السلاح. وكأنَّ ما فاه بهِ زاد في حنق اولئك الرجال وشراستهم فقذفوهُ بشتائم قبيحة وتقدّموا الى ناحيتهِ وكان مع احدهم مصباحٌ ضيف فادناهُ منهما ثم صاح ويلٌ للرهبان فانهم جرثومة الشرّ . فقال زعيمهم نحن لا يهمنا الرهبان ولا العامّة ولكن يكفي انهما فرنسويّان فلا بد من قتلهما . فقال روبرتو اسمع يا هذا خذوا ما معنا واعفوا عن دمآئنا فانا لم نجنِ في حياتنا ذنباً . فقال الزعيم اخرس يا رجل فكفاك ذنباً انك فرنسويٌ ولا يجوز ان نُبقي على فرنسويّ . ثم امر اتباعهُ فاوثقوهما وقادوهما الى مغارتهم

ورأى روبرتو ان زعيم هذه العصابة لا يهمهُ المال ولا هو من قطّاع السبيل ولكنهُ رجلٌ ايطاليانيّ اقسم ان ينتقم من الفرنسيس لفادحةٍ

اصابتهُ منهم ايام استولى نابليون بونابرت على اواسط ايطاليا واستباح اهلها فكلمهم بالايطاليانية وقال ان كنتم ايها القوم ساخطين على الفرنسيس فدعونا وشأننا لاننا ايطاليانيان . فلما سمعوهُ يتكلم بالايطاليانية وقفوا مبهوتين ثم احاطوا بهما وقالوا من انتما واين تقصدان في هذا الليل . فقالت روزا اما اذا لم يكن بدٌّ من اطلاعكم على حقيقة امرنا فاسمعوا ما القيهِ اليكم ثم اخذت تقص عليهم حديثها حتى اتت على آخرهِ . فقال الزعيم ولمَ لم يقبل والدكِ ان يكون هذا الباسل بعلاً لكِ . قالت لانهُ رجلٌ فقيرٌ لا يُعرَف لهُ اهلٌ ولا والدان . فقال وكيف ذلك ايها الفتى . قال تشتت شمل أُسرتنا حين قدوم نابليون الى هذه الاقطار ولا ادري هل مات والدي ام لا يزال حيًّا يُرزَق وليس في يدي من المال ما يمكنني من البحث عنهُ . فزفر الزعيم زفرةً حارّة ثم قال جبر الله كسرك ايها الفتى وأظفرك بأسرتك وانتقم لنا من ذلك الغاشم العتيّ جزآء ما جنى على الابريآء من الويلات والمظالم . قال فهل يأذن لي المولى ان استفهمهُ عن شأنهِ وما نابهُ من ذلك الوحش الضاري . قال انا احد امرآء الايطاليان من لمبرديا وقد كنت حاكمًا فيها وقضيت ايامي الاولى في العزّ والنعيم وقبل حلول الحوادث الاخيرة بسنة كنت قد تزوجت بفتاةٍ هي مثال الادب والكمال فلما وفد علينا ذلك الظالم بخيلهِ ورجلهِ اضطررت ان اهاجر فيمن هاجر وقد تقوض ركن عزي وسعادتي ونجوت مع زوجتي تحت جنح الظلام وفي اثنآء ذلك ادرك زوجتي المخاض فوضعت لي ابنًا في بيت راعٍ قبلنا عندهُ مدةً من الزمن ثم قضى الله على زوجتي على اثر ذلك الشقآء فقضت نحبها ولبثت اياماً ابكيها واسهر

على ضريحها . ولما لم تعد تمكنني الاقامة تركت ولدي عند ذلك الراعي وارتحلت الى سويسرا فاقمت بها الى ان اذن الله في كشف ظلّ ذلك العاتي واندحاره عن الوطن فعدت الى الراعي فلم اقف لهُ على اثر وها انا اليوم قد تجردت من زوجتي ووحيدي وبقيت ثاكلاً حزيناً لا اجد سلوةً ولا عزاء ولذلك فقد آليت ان لا ارجع الى وطني واملاكي حتى اقتل كل فرنسويّ اصادفهُ ومعي هؤلاء الجماعة وما فيهم الا من اصابتهُ داهيةٌ من مثل ما اصابني وقد صممنا جميعاً على طلب الانتقام . ثم صاح قائلاً لتمحَ فرنسا عن وجه الارض وليمت الفرنسيس . فكرر اصحابهُ تلك العبارة ثلاثاً بصوتٍ واحد فكان لها في تلك الغابة صدًى بعيد وعقبها سكوتٌ عميق

والتفت الزعيم الى روبرتو فرآهُ غائصاً في لجةٍ من الافكار وقد استولت عليهِ الحيرة والجمود فقال ما بالك ايها الفتى وهل تشكو من شيء . قال اشكو من شقآئي ومن غموض حياتي . ذكرت ايها الامير انك تركت ولدك عند الراعي فهل دعوتهُ باسمٍ قبل ان تفارقهُ . قال نعم دعتهُ والدتهُ روبرتو على اسم اخيها الذي كان حاكماً في البندقية . فشهقت روزا ووقف روبرتو وقال وما اسم الراعي الذي تركت ولدك عندهُ . قال اسمهُ برزدو . قال وما اسمك انت . قال الامير تونادو . فصاح روبرتو وقال انا اسمي روبرتو وقد ربيت عند رجلٍ يسمى برزدو رباني عندهُ الى ان ضاقت احوالهُ فصرفني لالتمس قوتي واخبرني اني وُلدت عندهُ وان ابي يسمى تونادو وأمي يقال لها تريزا . فقم يا والدي وقبّل ابنك فقد اعادهُ الله عليك ثم القى نفسهُ في حضن والدهِ فتعانقا وبكيا وبعد ان اشتفيا من غليل

اشواقهما قالت روزا قم يا روبرتو ودَع ابنة خالك بقبّل زوج عمتها فاذا كان ما سمعتهُ حقيقةً كانت والدتك اخت ابي روبرتو حاكم البندقية . فلما سمع تونلدو ذلك ابتهج ونهض اليها فعانقها وقبّلها وقضى الجميع ليلتهم في تلك الغابة على اتم الصفاء والسرور حتى اذا كان الصباح نهضوا جميعاً فعادوا الى لمبرديا

اما والدا روزا فلما اصبحا بعد ليلة انصرافها استبطأا خروج ابنتهما من غرفتها ولما طال انتظارهما لها دخلا الغرفة فاذا هي خالية وافتقدا الخادم روبرتو فلم يجداهُ فوقع هذا الحادث عندهما اشدّ وقعٍ وارسلا يبحثان عن الفتاة فلم يقفا لها على اثر واستولى الغمّ على ذلك المنزل وندم والدها على ما عاملها بهِ من التشديد والغلظة وكان يزيد عليهِ تأنيب والدتها لهُ على ذلك فيقضيان اوقاتهما بالمرارة والاسى

ولما عاد الامير تونلدو بجماعتهِ الى لمبرديا كان اول شيء فعلهُ انهُ انطلق الى بيت ختنهِ روبرتو وفي صحبتهِ ولدهُ روبرتو وروزا فقصّ على والديها ما كان من الحديث المتقدم ذكرهُ وعرّفهما ان روبرتو هو ابنهُ الضائع الذي قضى هذه السنين كلها في البحث عنهُ فانقلبت احزان ذلك البيت الى افراح وقام بعضهم الى بعض فتعانقوا وهم يحمدون الله على اجتماع شملهم وجدّدوا مسرّات العرس ولبثوا بعد ذلك يودّعون يوم فرحٍ ويستقبلون مثلهُ الى ان ادركهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون هو عدوٌّ لدود وهو ألدّ اعدآء فلان يريدون باللدود الشديد المداوة وهو خلاف المعروف في استعمال العرب لان اللدود عندهم بمعنى الذي يغلب في الخصومة يقال لدّهُ يلدّهُ فهو لادٌّ لهُ وهو رجلٌ لدود ويقال خصمٌ ألدّ اذا كان شديد الخصام لا يذعن للحجة ومأخذهُ من اللديد وهو صفحة العنق لان المخاصم ينصب لديدَيهِ عند الخصام

ويقولون مرّت عليهِ كرور الزمان فيؤنثون لفظ الفعل على توهم أن الكرور جمع وانما هو مصدر كرّ

ويقولون هو موشكٌ على الموت يستعملونهُ بمنزلة مشرف ومنهم من يقول اوشك السقوطَ اي قاربهُ فينصبون بعدهُ مفعولاً بهِ وكلاهما غير الصواب لان هذا الفعل لايستعمل بعدهُ الا المضارع منصوباً بأن في الغالب تقول اوشك فلان ان يفعل كذا ولا يُبنَى منهُ اسمٌ للفاعل في المشهور . واما اوشك المتعدي فسُمع بمعنى اسرع يقال اوشك فلانٌ الخروج وليس من الباب الذي نحن فيهِ

ويقولون فعل ذلك في شبوبيتهِ قياساً على الطفولية والرجولية وهو غير منقولٍ عنهم والصواب الشباب والشبيبة

ويقولون هذا امرٌ هامٌّ بصيغة الثلاثي لا يكادون يخرجون عنها في الاستعمال والافصح مهمٌّ بالرباعي وعليهِ اقتصر في الصحاح والاساس

ويقولون جآء بعددٍ ينوف على كذا اي يزيد والصواب ينيف من أناف الرباعي ويقال ايضاً ينيّف بالتشديد

ومن هذه المادّة يقولون نيّف وعشرون ديناراً فيقدمون النيف والمسموع تأخيرهُ يقال عشرون ونيّف ومئة ونيّف

ويقولون رجلٌ مفسود السيرة وقد انفسد وكلاهما خطأٌ لان فسد لازم فلا يصاغ للمجهول ولا يُبنَى منهُ مطاوع . وقد وقع مثل هذا للحريري في مقامتهِ الحجرية حيث يقول أما انك لو ظهرت على عيشي المنكدر لعذرت في دمعي المنهمر . قال الشارح قولهُ المنكدر اي المتغير والكُدرة ضدّ الصفآء . اه . قال في لسان العرب انكدر يعدو أسرع وانكدر عليهم القوم اذا جآءوا أرسالاً حتى ينصبّوا عليهم وانكدرت النجوم تناثرت وجآء في الاساس انكدر الطائر بمعنى انقضّ لم يحكوا فيهِ غير ذلك

ويقولون جآء فلان خلوًّا من المال فيشددون الواو وصوابهُ خِلوٌ بكسر الخآء وسكون اللام وهو بمعنى الخالي

ويقولون بين الرجلين عدوان اي عداوة ولا يأتي العدوان بهذا المعنى وانما هو مصدر عدا عليهِ بمعنى اعتدى

ويقولون هذا الامر يحدو بي الى كذا اي يسوقني اليهِ فيعدّون الفعل الى الشخص بالبآء والى الامر بالى والصواب تعديتهُ الى الاول بنفسهِ لان اصلهُ من حدو الابل وهو سوقها بالغنآء . والمسموع في الثاني ان يعدّى الفعل اليهِ بعلى ذهاباً الى تضمينهِ معنى حمل كما يقال بعثهُ على كذا وان كان المعنى يحتمل الحرفين جميعاً

ويقولون بينهما شراكةٌ في كذا يعنونهُ على فعالة وانما هو من الالفاظ العامية والصواب شَرِكة بفتح فكسر وشِركة بكسرٍ فسكون

ويقولون افرغ المكان والوعآء بصيغة افعل اي اخلاهُ والصواب في هذا المعنى فرَّغهُ بالتشديد واما افرغ فمعناهُ صبَّ يقال افرغ المآء ونحوهُ وافرغ المعدن اي سبكهُ

ويقولون هو مدمنٌ على هذا الامر اي مواظبٌ عليهِ مديمٌ لفعلهِ والصواب ترك الجارّ لان هذا الحرف يتعدى بنفسهِ

ويقولون قد اصبح هذا الامر اصلح من ذي قبل يعنون اصلح مما كان عليهِ من قبل فيحرّفون اللفظ والمعنى جميعاً والذي يؤخذ من نصوص اللغة انك تقول سآتيك من ذي قَبَل بفتحتين وبكسرٍ ففتح اي فيما يُستقبَل من الزمان . على ان كلامهم في هذا الحرف لا يخلو من اضطرابٍ واشكال الا ان ما ذكرنا من معناهُ هو الاظهر والاشبه وهو محصَّل ما اقتصر عليهِ في الاساس والصحاح[1] (ستأتي البقية)

---

(١) قال في القاموس ولا اكلمك الى عشرٍ من ذي قَبَل كعنب وجبل اي فيما استأنف او معنى الحركة الى عشرٍ تستقبلها ومعنى المكسورة القاف الى عشرٍ مما تشاهدهُ من الايام والمطر ما الذي يُفهَم من هذا الكلام . وزاد في تاج العروس بعد قولهِ مما تشاهدهُ من الايام اي فيما تستقبل وعليهِ فحاصل التفسيرين واحد وعاد الكلام ضرباً من الخلط . وقال في لسان العرب : الفرآء : يقال لقيتهُ من ذي قَبَل وقِبَل ومن ذي عَوَض وعِوَض (كذا مضبوطين بالرسم) ومن ذي أُنُف اي فيما يستقبل . اه . وههنا كل الاشكال فكيف يقول لقيتهُ اي بلفظ الماضي ثم يفسر من ذي قبل بقولهِ فيما يستقبل . وجآء فيهِ بعد هذا وأَفعلُ ذلك من ذي قِبَل اي فيما أَستقبل وأَفعلُ ذلك من ذي قِبَل اي فيما تستقبل وضُبط لفظ قبل بعد

فعل المتكلم بفتحتين و بعد فعل المخاطب بكسرٍ ففتح وهو اغرب الا ان يكون هناك غلط في الطبع فيبقى الاشكال في القصد من تكرير المثال · ولا بأْس ان نورد هنا تفسيرهم لذي عوض وذي انف لان هذه الالفاظ الثلاثة مترادفة في الاستعمال كما علمت · قال في لسان العرب في تركيب (ع و ض) وقولهم لا افعلهُ من ذي عوضٍ (كذا في النسخة المطبوعة في بولاق بضادٍ مكسورة و باقيها عارٍ عن الضبط) اي ابدًا كما تقول من ذي قبلُ (كذا بضم اللام) ومن ذي أُنُف اي فيما يستقبل اضاف الدهر الى نفسهِ · اه · ومحصلهُ ان عوض هنا بمعنى الدهر فيكون على هذا بفتح اولهِ وسكون الواو وهو خلاف ماحكاهُ عن الفرآء فيما نقلناهُ قريبًا · وقولهُ اضاف الدهر الى نفسهِ كانهُ يريد ان الاصل من ذي عَوَضي مضافًا الى يآء المتكلم ثم حذفت اليآء على حدّ حذفها في الندآء وبقيت كسرة الضاد دليلاً عليها وهو غريب · ولم يذكر القاموس عوض بهذا التركيب ولا تعرض لهُ صاحب التاج مع انهُ نقل عبارة الفرآء المذكورة في باب اللام · وقال اي صاحب لسان العرب في باب الفآء : الليث : ائتِ فلانًا أُنُفًا كما تقول من ذي قُبُل ويقال آتيك من ذي أُنُف كما تقول من ذي قُبُل (كذا بضبط قبل بضمتين في الموضعين) اي فيما يستقبل وفيهِ ما في كلام الفرآء من جعل أُنُف ظرفًا للفعل الماضي وتفسيرهِ بما يستقبل ونقلهُ في تاج العروس بالحرف · والحاصل ان البحث في هذه الكتب مما يبعث السأْم بل يورث السقم واني وايمُ الله لأعذر كل كاتبٍ ينقبض عن مطالعة اسفار اللغة و يتفادى من الخوض فيها اذا كان هذا حال من يروم ان يستصبح بمشكاتها و يستوضح منها غوامض اسرار اللغة ومشكلاتها ولقد كان هذا مما لقيت منهُ العناء الطويل والعنت الثقيل مما دعاني الى ان اخدم طلاب هذه اللغة بوضع معجمٍ استوفي فيهِ نصوصها على الوجه الواضح الذي لا اشكال فيهِ مع تجريدها من كل ما لا تبيح قوانين البلاغة استعمالهُ من اللفظ المتروك والوحشيّ واستبدالهِ بالكلم المولد مما يتسنى لي العثور عليهِ وقد طالعت لذلك ما يزيد على عشرين الف صفحة من كتب التاريخ والشعر والادب و يشهد الله ما كانت رحلتي الى هذه الديار الا لاتفرغ لاتمام هذا التأْليف وطبعهِ ثقةً بما اشتهر من انها كعبة العلم ومحط رحال العربية ومنبثَق انوارها ولكني صادفت من حال البلاد بل من حال من وُكل اليهم امر العمليات فيها ما قضى عليّ بان اطوي هذا الكتاب الى فتح

جديد واطوي معهُ كتاباً آخر ليس باقلّ فائدةً منهُ في تجديد حياة اللغة واخراج دفائنها وكنت قد عرضتهُ على نظارة المعارف المصرية فلم تزدني على استحسان الكتاب والثنآء على مؤلفهِ ..... وسأُفرد لما دار بيني وبينها في ذلك فصلاً مخصوصاً يعلم منهُ المطالع سبب انحطاط الامم الشرقية وتخلفها والله يهدي من يشآء ويضلّ من يشآء

الطبيعة

من قلم حضرة الاديب الشيخ بولس مسعد

اطلعت في احدى الجرائد الافرنجية على فصل لطيف في اسرار الطبيعة والمخلوقات من قلم احد مشاهير العلمآء فاحببت ان أُطرف بهِ قرّآء الضيآء الاغر لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال

لكل صنفٍ من انواع الخلائق سنةٌ متّبعة تجري عليها وشرائع ثابتة لاتتعداها فان من ارسل رائد البصر والبصيرة في مجال الطبيعة الواسع يرى فيها مما منّ الله بهِ على الانسان والحيوان والنبات والجماد من الهبات وسنّ لها من النظامات ما يستوقف عقلهُ لتأمل عظمة الخالق وسموّ حكمتهِ فانهُ تعالى لم يقتصر على العناية بامر الانسان الذي هو رأس الخلائق الارضية ولكنهُ شمل الحيوان الى ادنى صنوفهِ بمثل تلك العناية ورتّب لهُ اطوار معيشتهِ ووفّر لهُ اسبابها ولنا في ذلك شواهد اثبتتها المراقبة لا تقل اهمية البحث فيها عن غيرها من المباحث العلمية

فللمتأمل ان يرسل فكرتهُ الى عالم الهوام ويقفها هناك قليلاً فيرى ان لكل حشرةٍ منها نظاماً تجري عليهِ بكل دقة منقطعةً الى اتمام عملها طبقاً للقاعدة الطبيعية متجافيةً عن كل ما يُلحق بها ضرراً ويعترض سيرها في

خطة ما وُجدت للعمل بهِ . وانظر الى حالة الفراش الذي تراهُ دائماً يحوم حول الازهار ينتقل من زهرةٍ الى اخرى لاجتناء ما تهيأ لهُ فيها من المواد الصالحة لغذائهِ وقيام وظيفتهِ وكذا عددٌ كثير من ذوات الاجنحة التي لا تقل معيشتها انتظاماً عن معيشة النحلة والنملة وغيرهما من الهوام الراقية . فمن تأمل حالة هذه الهوام تبين لهُ ثبات نظام الطبيعة ودقتهُ ورأى هنالك اسراراً غامضة واغراضاً خفية لا يمكن ادراكها ترجع بجملتها الى سنة الكون والفساد

ولا يخفى ان من هذه الهوام ما هو جزيل الفائدة للمجتمع البشري كدودة القز مثلاً التي ما هي باعتبار ذاتها الاّ دودة حقيرة اوجدها الله في عالم الهوام وسنّ لها نظاماً تتبعهُ كسائر الحشرات الا انها بترتيب معيشتها واتمام شروط مهنتها تهيئ لنا هذا المنسوج الناعم الذي نؤثرهُ على كل منسوج حتى صار مما يتزين بهِ الملوك في قصورهم والكبار في دورهم . ولدودة القز في اثناء صنع هذا النسيج خصائص اهمها سرعة النمو فانها تنمو في مدة ثلاثين يوماً نمواً عجيباً حتى يبلغ طولها من ميليمتر ونصف الى تسعة سنتيمترات اي ان طولها يتضاعف ستين مرة عما يكون عليهِ اولاً ويزداد اذ ذاك وزنها من ثمانية آلاف الى تسعة آلاف ضعف وذلك كما لو فُرض ان جواداً بلغ بالنسبة الى هيكلهِ ٣٧ متراً من العلو و ٥٥ متراً من الطول وتضاعف وزنهُ الى ان بلغ مئة وستين الف كيلوغرام . وتبقى هذه الحشرة دودةً الى ان يأتي عليها عشرة اشهر ثم تهجع في الفيلجة (الشرنقة) مدة ثمانية عشر يوماً فتتحول الى زيز ثم تنسلخ فتصير فراشاً ذا جناحين وتبقى كذلك مدة عشرة

ايام. وهي منذ خروجها من الفيلجة تبقى منقطعة عن الغذآء كما كانت وهي فيها فلا يبقى لها اهتمامٌ بشيء من الطبيعة الا القيام بأهمّ وظيفة بعد اعمالها الشخصية وهي استبقاء خلفٍ يتولى مثل عملها من بعدها

لاشك ان هذا من شأنهِ ان يقف بالمتأمل البصير ويستدعي فكرهُ للبحث في امر هذه الحشرة الغريبة فلقد نراها تخرج من مضجعها بالغةً اشدَّها ناضجة مستكملة شروط الانثى اذا كانت انثى والذكر اذا كانت ذكراً متلهبةً حباً وهياماً يتهالك الجنس الواحد منها على صاحبهِ نابذاً سبب الحياة الذي هو الغذآء واهباً كل حياتهِ لقرينهِ حتى اذا اتمَّا ما ترتَّب عليهما اتمامهُ من خصائص وظيفتهما يموتان طبقاً لقاعدة سامية طبيعية وارادة جليلة عُلوية

وعلى هذا نرى بقية الحشرات تابعةً خطة الدقة في نظام معيشتها وهذا هو العامل الاكبر لحفظ جنسها ونموهِ على اننا نرى اطوار الانسان مختلفة كل الاختلاف عن اطوار هذه الحشرات الحقيرة الجسم الجزيلة الجدوى للجنس البشري فالشاب من البشر يطمح الى المسرَّة ويطلق العنان للملذات وهو في ربيع عمرهِ فاذا ولى هذا الوقت وشاخ تراهُ يلازم السكينة والعزلة ويستولي عليهِ الزهد في ملاذّ الدنيا وطيباتها وما فيها من المسرات والزخارف وربما اعاد نظرهُ الى سالف ايامهِ وتذكر ما مرَّ بهِ اذ ذاك من اسباب الدعة ودواعي اللهو فينغّصهُ تذكرهُ وهكذا يقضي سنيهِ الاخيرة في خمول وذهول وهو بين يأسٍ ورجآء الى ان تفيض روحهُ عجزاً . واذا تأملنا حياة هذه الحشرات وجدناها على العكس من ذلك فانها في الطور الاول من حياتها من اي نوعٍ كانت تبتدئ في السعي ورآء ما يقوم بمعيشتها من الاغذية متنقلةً

من موضع الى آخر وفي الطور الثاني تلازم حالة السكون في مرقدها (اي الفيلجة اذا كانت دودة قز مثلاً) وتنتظر الحياة الجديدة الا انها في الطور الثالث والاخير من حياتها تهبّ من مرقدها الى حيث تجد حياةً زاهرة زاهية وتتعرض لضوء الشمس وحرارتها مندفعةً الى التمتع باللذة التي تحملها على المبام وتنتهك قواها الى ان تسقط ميتةً ضحية النظام الذي وُضع لها

فكيف يتأتى للعاقل اذا تبصر في حالة هذه الهوام ان لا يقضي اشد العجب من نظام الطبيعة ومن غاية وضعهِ وترتيبهِ الذي ولا ريب لم يكن الا عن مشيئةٍ سامية جلّت عما في الطبيعة من المخلوقات والموجودات فكأن الله خلق لهذه الحشرات عقلاً تستنير بهِ وتحسن القيام بمعيشتها وتوفية حقوق خدمتها بهذه الدقة الغريبة

ولقد روى احد الباحثين عن طبائع الحشرات انهُ راقب يوماً ما حركات حشرة من ذوات الجناح كانت على غصن وردةٍ فرآها تشقّ جوف واحدةٍ من الهوام المعروفة بالمنّ كانت تمتصّ عصار الورد ورأى ذلك العصار سائلاً من جرحها والحشرة تمدّ تآشيرها (وهي ما تمصّ بهِ) في بطن المنة وتحاول توسيع جرحها بمقدم قوائمها ليمكنها امتصاص كل ما حوتهُ من ذلك العصار ثم انتقلت الى غيرها ففعلت بها كذلك الى ان اتت منها على نحو الثلاثين . ولما شبعت منها جعلت تلتقط البقايا الصغيرة من تلك الهوام وتعجنها بما بقي فيها من العصار حتى صارت عجينة واحدة واستمرّت تروح وتجيء فوق هذا الخليط وتقلّبهُ الى ان صار صالحاً لغرضها فكانت تفترشهُ وتبذّر عليهِ وانما فعلت ذلك ليكون بذرها بمأمنٍ من الانتثار والسقوط . ولما تم لها ذلك كلهُ

انحدرت من اعلى الوردة الى اسفلها فأتت هناك واما الذكر فات قبل ذلك بليلة بعد ان اتمّ ما عليهِ من مقتضيات نظام حياتهِ . ثم انهُ لم يمرّ على ذلك الا اربعة عشر يوماً حتى تفقت هذه البذور فوجدت الفراخ التي خرجت منها ما أُعِدَّ لها من الغذآء في ذلك المزيج الذي افتُرِش لها من قبل ولم يكد يفرغ هذا الزاد حتى اصبح في امكانها ان تنتقل من موضعها لافتراس ما حولها من المن الذي تركتهُ لها والدتها على فروع الوردة

وهكذا كل حشرة من هذه الحشرات الحقيرة تتمّ جميع وظائفها بنهاية الدقة والاحكام معتنية حتى بمعدّات حياة صغارها المستقبلة مع انها لا يمكنها معرفة تلك الصغار ولا مخالطتها اذ قد قضي عليها ان لا تداني بيضها مذ تضعهُ ولا ان تحضنهُ لينقف بالحرارة التي تتولد منها بل انها تتركهُ معرَّضاً لحرارة الشمس والتأثيرات الجوّية فينقف ويقوم مقامها وينالهُ من نصيب الحياة والمعيشة ما نالها وهكذا تمضي هذه الحشرات خاضعة لشرائع الطبيعة ونواميسها تلد وتموت كما ولد ومات غيرها من جنسها لكن بعد ان تكون قد قامت بعبء الوظيفة المنوطة بها والموكولة اليها حق قيام وخدمت جنسها والجنس البشري بمقدار ما وهبها الخالق من الاستطاعة

مطالعات

تسيير السفن بالبخار في سنة ١٥٤٣ — من المشهور ان اول من سيّر سفينة بالبخار هو روبرت فولتون الاميركاني واول امتحان اجراهُ كان في

نهر السين في مدينة باريز سنة ١٨٠٣ . وجاء قبلهُ كثيرون زاولوا مثل هذا الامتحان لكن على غير جدوى واول من يُذكر منهم دانيس پاپين من اطباء فرنسا من اهل القرن السابع عشر وهو اول من خطر لهُ ان يحرك السفن بالبخار الا ان هذا الخاطر كان لا يزال فطيراً ولم يتمّ نضجهُ واخراجهُ الى العمل الا على يد فولتون في العهد المذكور

لكن جاء في احدى المجلات العلمية الفرنسوية التي صدرت آخراً فصلٌ طويل نقلتهُ عن كتاب للدون مرتين فرنند مطبوع منذ سنة ١٨٢٠ ذُكر فيهِ ان هذا الامتحان قد أُجري قبل ذلك بزمن طويل وان اول مخترع للآلة البخارية هو الربان بلسكو دو غاراي الاسبانيولي وقد اتمّ امتحانهُ المذكور سنة ١٥٤٣ في ميناء برشلونة من ثغور اسبانيا ونحن نسوق ملخص الفصل المشار اليهِ فائدةً للمطالع قال

لما كانت سنة ١٥٤٣ عرض الربان بلسكو دوغاراي في مجلس كارلوس الخامس اختراع آلةٍ يُجري بها السفن العظيمة بدون اشرعة ولا مجاذيف . ولما كان كل نبإٍ جديد لا يخلو من استغراب انكر عليهِ بعض الحضور ذلك ومنهم من قاومهُ مقاومة شديدة ليكفوهُ عن اجراء امتحانهِ بمشهدٍ علنيّ لكن الملك خالفهم في ذلك وامر باجراء الامتحان فأُجري في ميناء برشلونة في السابع عشر من يونيو من تلك السنة

اما صفة هذه الآلة فلم يشرحها المخترع لكن شهود الامتحان ذكروا انها كانت مؤلفةً من مرجلٍ يُغلَى فيهِ مقدارٌ عظيمٌ من الماء ويتصل بهِ عَجَلٌ تقوم مقام المجاذيف وآلةٌ توصل قوة بخار الماء الى تلك العجل

وكان الامتحان في سفينةٍ تسمى ترينيداد (وهو اسم مدينة من جزيرة كوبا) قائدها الربان بطرس دو سكارازا بامر الملك وابنهِ فيليب الثاني وكان ذلك بمشهدهما ومشهد جماعةٍ من كبرآء الدولة واعيان البلاد فسرَّ الملك وابنهُ وسائر المشاهدين من ذلك الامتحان الا ان احدهم ويقال لهُ رافاجو وهو خازن البلاط ما برح يطعن على هذا الاختراع لانهُ كان ممن سبقت لهُ مقاومتهُ وحاول ان يثبت لهُ مساوئ واخطاراً تمنع من الاقدام على استعمالهِ فزعم ان السفينة لا تجري بهذه الآلة زيادة على ثلاث ساعات وانها بوجود المرجل فيها تكون ابداً معرَّضةً لخطر انفجارهِ الى غير ذلك من الحجج وجرت بسبب ذلك مناقضاتٌ طويلة بينهُ وبين سائر الحاضرين من رجال الدولة اسفرت عن ارجاء الامر الى حين آخر . على ان اعتراض رافاجو وحججهُ لم تكن لتؤثر في الملك تأثيراً كبيراً وقد كان الملك يودّ معاودة الامتحان لولا ما عرض لهُ من المشاغل التي صرفتهُ عنهُ وقد انعم على غاراي بجوائز مالية وغيرها وامر ان يعوَّض عليهِ كل ما بذلهُ من النفقات في تجهيز الآلة وامتحانها من خزانة الملك

قال وقد نُقل هذا النبأ بحوادثهِ من التذاكر الاصلية المحفوظة في ساماس ومن سجلاَّت كاتب اسرار الحرب لسنة ١٥٤٣ . انتهى

قرض الاظفار بالاسنان — نشر احد اكابر الاطبآء فصلاً في هذا المعنى في بعض المجلات العلمية فاحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة والتنبيه قال نرى كثيرين من الاولاد بل من الكبار احياناً مولعين بقرض

اظفارهم باسنانهم وهي عادة خبيثة ذات آفاتٍ لا يؤمن شرّها . وذلك ان اطراف الاظفار من المواضع التي تجمع فيها الاوساخ من كل ما تباشرهُ اليد او يكون منتشراً في الهوآء وهذه الاوساخ لا تخلو من السموم والجراثيم المرضية فهي بهذه العادة تُنقل على الدوام الى الفم فتعرّض الجسم لامراض شتى وذلك فضلاً عن ان قُراضة الظفر نفسها تهيج الغشآء المَعدي وقد تفضي الى حدوث تهيجٍ في الامعآء مما يشاهَد وجودهُ دائماً عند اصحاب هذه العادة الرديئة

وهناك امرٌ آخر ليس بادنى اهميةً مما ذُكر وذلك ان صاحب هذه العادة يفقد قوة استعمال الانامل لان اطراف اصابعهِ تتدملك بعد زوال رؤوس الاظافر وبتوالي وقوع الاسنان عليها تتصلب اطرافها التي من ناحية الظفر فينشأ هناك مجلٌ يمنع حسّ الانملة حتى يصير الشخص اذا اراد التقاط ابرةٍ مثلاً او عقد طرف خيط او تناول شيء صغير كقطعةٍ من السكة ونحوها يمتنع عليهِ ذلك الا بصعوبةٍ وعلى الجملة فانهُ لا يعود اهلاً لان يتعاطى شيئاً من الصنائع الدقيقة

اما منشأ هذه العادة وسببها فالغالب انها تنشأ مع الشخص منذ الطفولية لما ان الاطفال مولعون طبعاً بامتصاص او ارتضاع كل ما يصل الى افواههم سوآء كان اصابعهم او غيرها وهو فعلٌ يندفعون اليهِ بالسليقة من غير اختيارٍ ولا ادراك . ولكن الذي يمكّن هذه العادة فيهم غفلة المرضعات او اهمالهنَّ فانهنَّ اذا رأينَ الطفل يفعل ذلك تركنهُ وما يفعل لانهُ يشتغل عنهنَّ باصابعهِ فيستغنينَ عن ارضاعهِ اذا جاع او حملهِ اذا تململ وطلب

الحركة والانتقال بل ربما عوَّدنهُ ذلك عمداً لهذه الغاية عينها

اما علاج هذه العادة فارتأى بعضهم ان تُمرَّك اطراف اصابع الطفل بشيء مرّ كالصبر وساق الحرشوف وكبريتات الكينا وغير ذلك ومنهم من اشار بالباسهِ القفافيز وربط يديهِ وقت النوم الى غير ذلك . وذكر الدكتور باريلون انهُ وجد افضل علاجٍ لمن تجاوز سن الطفولية وثبتت هذه العادة معهُ ان يعالجهُ بالتنويم المغنطيسي ثم يأمرهُ بالاقلاع عنها وبتكرار ذلك كان ينجع فيهِ ويترك عادتهُ . قال وقد تولى منذ مدةٍ فحص طلبة بعض المدارس فوجد من انتشار هذه العادة فيهم ما عجب لهُ واستعظمهُ فانهُ وجد في احدى المدارس في باريز ٦٣ من اصحاب هذه العادة بين ٢٦٥ ممن فحصهم وفي مدرسةٍ اخرى ٦ من ٢٩ و ١١ بنتاً من ٢١ فكان المعدل نحو ٢٧ في المئة . وقد وجد بالاختبار ان هذه العادة لا تكون غالباً الا مع فساد في المزاج والقوى العقلية لانهُ كثيراً ما يصحبها ما يدلّ على ضعف العصب كسلَس البول وسرعة التهيج والزَعَق (بفتحتين الفزع بالليل خاصةً) وضعف المدارك وغير ذلك . وراقب غيرهُ ان هؤلاء القرَّاضين يكونون على الغالب كسالى منهوكي القُوَى البدنية واصحاب بدَوات واضطراباتٍ عصبية . انتهى

مُتَفَرِّقَاتٌ

منزل من الألومينيوم ـ قد تمّ حديثاً في شيكاغو بناء منزلٍ كبير من الالومينيوم وهو المعدن المعروف الذي اكتُشفت مناجمهُ من عهدٍ غير بعيد

حيث استبدلوا الآجرّ الترابيّ بصفائح منهُ يحملها هيكلٌ من الحديد ولخفة هذا المعدن امكنهم ان يرفعوا البنـآء الى ٦٤ متراً قسموها الى سبع عشرة طابقة

وهذا المعدن يُستخرَج اليوم بمقـادير عظيمة فان ما استخرجت منهُ الشركة المعروفة بشركة بتزبرج في الولايات المتحدة كان في سنة ٩٧ الفي وسق (الوسق نحو ٤ قناطير) وقد اكتُشفت لهُ مناجم جديدة في نياغرا سيكون المستخرَج منها عظيماً جدًّا حتى يقدَّر ان سعر الكيلغرام منهُ يهبط الى فرنك ونصف

انفجارٌ هائل للهوآء السائل ـ حدث آخراً انفجارٌ هائل في المعهد الفنّيّ في بروكلين من الولايات المتحدة الاميركانية في اثنـآء امتحان الخصائص الكيماوية للهوآء السـائل اصيب فيهِ الاستاذ فاي وواحدٌ من خرّيجيهِ بحَرَقٍ أليم

وذلك ان الاستاذ المذكوركان قد استعدّ لخطاب يشرح فيهِ الامتحانات الحديثة التي اجراها في الهوآء السائل بعد ان اعدّ منهُ ثمانية ألتار ودعا لحضور ذلك الخطاب جماعةً من اهل هذا الشـأْن . وبعد ان اتمّ خطابهُ شرع في الامتحان وكان ستةٌ من الحاضرين مجتمعين حولهُ ليعاينوا ما يجريهِ فاخذ عدّةً من اصناف السوائل الآلية من نحو التربنتينا وروح الخمر وجمّدها ثم تناول قطعةً من الفسفور الابيض وغمسها في الهوآء السائل فلم يلبث الفسفور ان استحال الى بنـآء بلوري خالص . وبعد ذلك اخذ قطعةً من

الفسفور الاحمر وغمسها في السائل نفسهِ وقد قدّر اما ان تنحلّ او ان تستحيل الا ان الهوآء تجزّ بسرعةٍ غريبة وفيما كان الاستاذ يقلّب تلك القطعة بمحرّكٍ في يدهِ وقد اقترب الحاضرون كلهم ليشاهدوا ما يكون من استحالة لونها او تحولها الى فسفورٍ ابيض اذا بانفجارٍ فجآئي هائل قد اطار زجاج الموضع وكل ما كان فيهِ من الادوات كانما هو عاصفٌ شديد ـ ولا بدع ان يحدث العاصف من الهوآء ـ فتحطّم كل ذلك كسراً واحترق الاستاذ فاي في وجههِ حرقاً شديداً وجُرح في عينيهِ واقتُلع بعض اظفارهِ فحمل ووُضع تحت المعالجة

وقد اتُّخذ هذا الحادث عبرةً ودرساً لكثيرين ممن يتصدون لاجرآء مثل هذه الامتحانات ذات الخطر بين جمهور من الناس بدون سبق اختبار ولا اتخاذ ما يجب من الاحتياط منعاً لما قد ينشأ عن ذلك من الاخطار

السيّار الجديد بين الارض والمرّيخ ـ بعد ما اكتُشف هذا السيار على احدى صفائح التصوير الشمسي خطر لبعض علمآء الهيئة ان يتفقد الصفائح التي أُخذت في السنين الماضية للمواضع التي يقدَّر انهُ كان فيها من السماء فوجد رسمهُ في بعض الصفائح التي اخذت سنة ٩٢ و ٩٤ و ٩٦ في اثني عشر موقعاً فحسب بموجب هذه المواقع ان سنتهُ تكون ٦٤٣ يوماً وهي اقصر من سنة المريخ باربعة واربعين يوماً ومباينة فلكهِ تبلغ ٢٢٥ ، فهي ثلاثة اضعاف مباينة فلك المريخ

ولما كان المسيو وِيت هو المكتشف لهذا السيّار كان لهُ الحق الاول ان

يختار لهُ اسماً يميزهُ بهِ وقد سماهُ آيروس وهو اسم اله الحبّ

جوّ القمر — عمد المسيو كمستوك الى تجديد البحث في تحقيق هذه المسئلة فقاس المسافة بين نجمين واقعين في طريق القمر ثم قاس المسافة بينهما بعد ما صار احدهما مماساً للحدّ المظلم منهُ فوجد بين القياسين فرقاً يعدل $\frac{١}{٢٠٠}$ من الثانية وهذا الفرق ناشئ ولا شك عن انكسار شعاع النجم في اجتيازهِ الهوآء المحيط بالقمر فثبت من ثمّ ان للقمر جوّاً الا ان كثافتهُ لا تزيد على $\frac{١}{٣٠٠٠}$ من كثافة جوّ الارض

على ان هذا نفسهُ كان قد ظهر للمسيو بيكرين في بحثٍ بحثهُ من هذا القبيل فاتفق القولان على مفادٍ واحد وهذا الاكتشاف يُعدّ من مهمّات علم الهيئة

مقدار الماء في جوّ الارض — قدّروا ان جملة بخار الماء المنتشر في هوآء الارض يبلغ ثقلهُ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١٧٣ وسق او ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٦٩٢ قنطار وهذا المقدار على ما يظهر في بادي الرأي من كثرتهِ الهائلة فانهُ لو انصبّ في وقتٍ واحد على سطح الارض لم يزد الواقع منهُ في المكان الواحد على ١٠ الى ١١ سنتيمتراً ولو فرضنا انهُ انحصر في البرّ وحدهُ لكان سمكهُ اربعة اضعاف هذا القدر على التقريب ومثل هذا المقدار من المطر يُعدّ من المطر المتوسط في معتدل الاقاليم

اسئلة واجوبتها

بيروت ـ قرأنا في احدى المجلاّت العلمية ما يستفاد منهُ ان الجيم لم يُلفَظ بها من الشجر الا في القرن الثاني للهجرة وانها كانت الى ذلك التاريخ حلقية وان ما نصّ عليهِ علمآء اللغة من مخرج هذا الحرف انما كان بعد التاريخ المذكور اي بعد ان شاع اللفظ الشجري فلا يتعين ان يكون ما نصّوا عليهِ هو اللفظ الذي كان عليهِ العرب في صدر الاسلام فما الصحيح في ذلك

ج * ن

الجواب ـ اما الزمن الذي تحوّل فيهِ لفظ هذا الحرف الى الشجر فلا سبيل الى تعيينهِ ولم نجد عليهِ كلاماً لاحد (ولا نخشى ان يقال لنا انا غير مصيبين في قولنا لم نجد ...) واما أنهُ لم يحدث الا بعد القرن الثاني للهجرة فلا صحة لهُ بل مما لا ريب فيهِ انهُ كان قبل عهد الاسلام بدليل الفاظٍ وردت في اللغة وقع فيها الابدال بين الجيم والشين وهذا لا يكون الا اذا كان لفظ الجيم شجريّاً . فمن تلك الالفاظ قولهم عنج الشيء وعنشهُ اذا عطفهُ واما لهُ . وكذلك حنجهُ وحنشهُ . وقولهم مكانٌ جاسئٌ وشاسئٌ اي غليظ . وارتمج وارتمش بمعنى ارتمد والاصل في هذه الشين ثم الجيم ثم الدال . ورجلٌ فجفاج وفشفاش اذا كان متشبعاً بما ليس عندهُ . ومحج الشيء ومحشهُ اذا قشرهُ . ومثلهُ جحفهُ وشحفهُ . وجرز الشيء وشرزهُ اذا قطعهُ . وقولهم رماهُ الله بجرَزة وشَرَزة اي بهلكة . وهاج القوم هيجاً وهاشوا هيشاً اذا تحركوا وثاروا . وتجفجف الثوب وغيرهُ اذا جفّ وفيهِ بعض النداوة وتشفشف

النبات اذا اخذ في اليبس ، وهبجهُ وهبشهُ اذا ضربهُ ضرب التلف ، وحدجهُ بنظرهِ اذا احدّ النظر اليهِ وحتش النظر اليهِ اذا ادامهُ وانما أُبدل من الدال تآء لمكان الشين لانها ارقّ من الجيم فقُرن كلٌّ منهما بما يناسبهُ ، وحبلٌ مُدمَج ومدمَش اي محكم الفتل ومنهُ ما انشدهُ في لسان العرب اذ ذاك اذ حبل الوصال مُدمَشُ ، ولعلّ من تفقد كتب اللغة يجد غير ذلك وفيما اوردناهُ كفاية

وبما كون ما نص عليهِ علمآء العربية في مخرج هذا الحرف لا يتعين ان يكون هو اللفظ الذي كان عليهِ العرب في صدر الاسلام مما لا يقولهُ الا جاهلٌ بتاريخ اللغة وكيفية تحملها ونحن لا ننكر ان اللغة قد عرض عليها بعد عهد الاسلام تحريفٌ وخطأٌ كثير ولكن ذلك انما كان في كلام العامة والالفاظ المتداولة في المعاشرات والمعاملات لا في قواعد اللغة واصولها ولفظ ائمتها وشيوخها فعلى تسليم ان تدوين مخارج الحروف كان في القرن الثاني او في الثالث او الخامس فان ذلك لا يقدح في كون ما نصّوا عليهِ هو لفظ العرب بعينهِ لأول عهد الاسلام لانهم انما اخذوا مخارج الحروف وصفاتها عن ألسنة القرآء لا عن اللفظ الجاري على ألسنة العامة اذ ذاك ، وانت خبيرٌ بان تلاوة القرآن لم تنقطع منذ عهد النبي يتناولها الخلف عن السلف بالتلقين والسماع المتسلسل ولهذه التلاوة احكامٌ وضوابط بلغوا فيهما من الدقة في تصوير الأدآء والامعان في صفات الحروف ومخارجها اقصى مبلغ ولهم من الحرص على احكام التجويد والتنطس في اقامة اللفظ وصحة الأدآء ما لا ينحطّ عن الحرص على اقامة احكام الدين نفسهِ فكيف يحتمل مع ذلك انهم

يخنّون بلفظ هذا الحرف ويبدّلون مخرجهُ او يتساهلون بقبول هذا التبديل على فرض صحة وقوعهِ . ومن اراد الوقوف على مصداق ما نقول فليقرأ النوع الرابع والثلاثين من كتاب الاتقان للسيوطي ليعلم مبلغ الشأن عندهم في ذلك ونحن ننقل هنا بعض الشيء مما ورد في الفصل الثاني من النوع المذكور قال

من المهمات تجويد القرآن وقد افردهُ جماعةٌ كثيرون بالتصنيف منهم الداني وغيرهُ وأُخرج عن ابن مسعود انهُ قال جوّدوا القرآن . قال القرّاء التجويد حلية القرآءة وهو اعطاء الحروف حقوقها وترتيبها وردّ الحرف الى مخرجهِ واصلهِ وتلطيف النطق بهِ على كمال هيئتهِ من غير اسرافٍ ولا تعسف ولا افراطٍ ولا تكلف .. ولا شك ان الائمة كما هم مقيّدون بفهم معاني القرآن واقامة حدودهِ هم مقيّدون بتصحيح الفاظهِ واقامة حروفهِ على الصفة المتلقاة عن ائمة القرآءة المتصلة بالحضرة النبوية ... ويلي هذا الكلام احكامٌ وتفاصيل طويلة يضيق من دونها هذا المقام فنجتزئ منها بهذا القدر وفيهِ مقنعٌ عن المزيد

القاهرة ـ لماذا يضطجع الانسان على الجانب الايمن

مستفيد

الجواب ـ الظاهر ان ذلك لا يمكن ان يؤخذ على اطلاقهِ فان الاصحاء ينامون على الجانبين بلا فرق الا ان يكون هناك شيء من قبيل العادة والاّ فليس لذلك من علةٍ طبيعية ولا يظهر لهُ سببٌ في علم منافع الاعضاء .

على انهُ لا يبعد ان يكون من الناس من يؤثر النوم على الجانب الايمن وهؤلآء على الغالب يكونون من اصحاب المزاج العصبي الشديدي الانفعالات او من الضعفآء البنية فان النوم على الجانب الايسر يزيد الضغط على جهة القلب وهو يكون فيهم شديد الانفعال فيشعرون بضرباته فيتضايقون ويضطرون الى التحول

على ان من المتفلسفين في هذه المسئلة من زعم ان الانسان ينام في اول الليل على الجانب الايمن لان المعدة تكون حينئذٍ ملأى بالطعام فاذا نام على الجانب الايسر جآءت الكبد فوق المعدة فعاقتها عن اتمام الهضم فاذا تمّ الهضم وخفّت المعدة انقلب الى الجانب الايسر وهو من المزاعم الضعيفة والله اعلم

آثار ادبيّة

الجامعة العثمانية ـ مجلة سياسية ادبية علمية تهذيبية تصدر في مدينة الاسكندرية لحضرة منشئها فرح افندي انطون ومديرها ميخائيل افندي كرم . وقد وقفنا على الجزء الاول منها الصادر بتاريخ ١٥ من هذا الشهر فوجدنا فيهِ كثيراً من المقالات النافعة والفوائد الرائعة اهمها في الحضّ على التعليم واحسان التربية والتآزر على تعزيز الوطنية وجمع الكلمة ونبذ التعصب في كلامٍ كلهُ مفيدٌ مؤيدٌ بالشواهد من اقوال فلاسفة العصر واحوال الممالك المتمدنة وتواريخ الحضارة مما تشفّ كل فقرةٍ منهُ عن حكمةٍ وصواب . وما

يتقصنا الكلام ولكن يتقصنا اسماعٌ تصغي وقلوبٌ تعي وهممٌ مشمَّرة وايدٍ عاملة وناسٌ اذا ظهر لهم الحقّ عرفوهُ حقًّا واذا عرفوهُ اعترفوا بهِ جهراً الهمنا الله رشد انفسنا وحجز بيننا وبين اهوآئنا حتى لاتصدّنا عن السبيل القويم ولا نقف في طريق غيرنا سدًّا

والمجلة المذكورة تصدر مرتين في الشهر في ست عشرة صفحةً كبيرة وقيمة الاشتراك فيها اربعون غرشاً مصرياً في القطر وثلاثة عشر فرنكاً في الخارج

تاريخ المشرق ـ أُطرفنا بنسخةٍ من هذا الكتاب النفيس معرَّباً عن الفرنسوية بقلم حضرة الفاضل الالمعيّ احمد زكي بك المشهور السكرتير الثاني لمجلس النظار صاحب كتاب السفَر الى المؤتمر . وهو يشتمل على تواريخ الامم المشرقية الاولى مقسومةً على اربعة كتب الاول في تاريخ مصر والثاني في تاريخ الكلدان والاشوريين والثالث في تاريخ الفينيقيين والرابع في تاريخ المادويين والفرس . وقد عرّبهُ تعريباً محكماً واضح العبارة سهل الاسلوب وعلق عليهِ فوائد وتحقيقات وتفاسير شتى في متن الكتاب وحواشيهِ مما يتعلق بالتاريخ والجغرافية وتعريب بعض الالفاظ وردّ بعض اسمآء الاعلام الى لفظها الوارد في كتب العرب . وقد زينهُ بالرسوم التي في الاصل المعرَّب عنهُ والحقهُ بعدّة خرائط متقنة الرسم والطبع فجآء كتاباً جليلاً غزير الفوائد ينطوي في نحو ٢٣٠ صفحة متوسطة فنحثّ طلاَّب العلم على اغتنام فوائدهِ ونثني على معرّبهِ اطيب الثنآء

فكاهات

رواية

الحرّ في البرد[1]

كان في انكلترا فتى من اشرافها يدعى يعقوب سميث واسع الثروة وافر الغنى توفي والداهُ وتركا لهُ الاملاك الفسيحة والاموال الطائلة ولم يكن لهُ من الاقارب سوى عمٍّ شيخ وخالةٍ ارملة فلم يأتِ وقتٌ طويل حتى توفّيا ايضاً وتركا ما كان لهما ليعقوب فتضاعفت ثروتهُ واصبح المالك الوحيد لهذه الاموال العظيمة لا ينازعهُ فيها منازع

الا ان سعة العيش وتوفر معدات النعيم لم تكن لتصل بيعقوب الى ما يُعدّ سعادةً في الدنيا فانهُ لم يكد يتصوّر وحدتهُ في العالم وعدم وجود من يجمعهُ واياهُ نسبٌ واحد حتى اظلمت الدنيا في عينيهِ وسئم الحياة بل تيقن انهُ ان كلّمهُ احدٌ فلمالهِ او صادقهُ صديق فلغناهُ . ولذلك عزم على ركوب جناح السفر والتنقل في بلاد الله الواسعة علهُ يجد في ذلك ما يسليهِ عن تلك الحال ويدفع عنهُ اضطراب افكارهِ. فلم يلبث ان توجه الى محطة السكة الحديدية وسافر حتى وصل الى بريتون وفي اليوم الثاني ركب البحر قاصداً فرنسا فلم يقم بها الا اياماً قلائل متنقلاً بين اشهر مدنها ثم ركب القطار من مدينة باريز قاصداً سويسرا غير انهُ وصل الى المحطة متأخراً فلم

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

يتمكن من النزول الا في الدرجة الثانية فنزل في احدى مركباتها . واتفق ان كان برفقتهِ في تلك المركبة ثلاث سيدات اثنتان منهنَّ امامهُ والثالثة بجانبهِ وكانت السيدتان اللتان بازآئهِ غارقتين في الحديث فلم يكن ليعقوب سبيل الى التكلم معهما واما التي بجانبهِ فكانت تقرأ كتاباً في يدها ولم تكن ترفع عينيها منهُ فاتكأ يعقوب الى نافذة العربة يسرّح طرفهُ في المناظر البديعة التي يمرّ عليها . وعند منتصف النهار وصل القطار الى محطةٍ هنالك فوقف ونزل المسافرون لتناول طعام الظهر ونزل يعقوب معهم. ولما عاد الى العربة وجد السيدة الفتاة لم تزل فيها وقد لاحت على وجهها علامات الاسى والانقباض فرفع قبعتهُ لها مسلّماً وقال هل تعلمين يا سيدتي ان ليس في طريقنا سوى هذا المحل لتناول الطعام واراكِ الى الآن لم تنزلي فهل تأذنين لي ان أُحضر لكِ شيئاً اذا كنتِ غير قادرة على النزول . فتنهدت وقالت انني جائعة ولكني لم اكن اعلم بوجود هذا المحل هنا فان هذه اول مرة سافرت فيها الى هذه الجهات فاشكر لطفك ايها الهمام واني نازلة في الحال . قال هيا اذاً فلم يبقَ للقطار هنا سوى ربع ساعة . فاستندت الفتاة على ذراعهِ الى ان بلغت النزل فدخلت واكلت ثم ادّت ما عليها ورجعت ولما استوت على مقعد العربة حنت رأسها شاكرة ثم عاودت القرآءة فلم يعد يكلمها

وما زال القطار يخترق سهول فرنسا الخصيبة حتى خيم الليل وكان الهوآء بارداً فتدثرت السيدتان ورغبتا الى يعقوب ان يطفئ مصباح العربة لتناما ففعل ولبثت الفتاة جالسةً الى جانبهِ صامتةً . فخطر ليعقوب ان يحادثها لكنهُ خشي ان تنفر منهُ ويكون ذلك مجلبةً لظنون السيدتين

الاخرين فصمت هو ايضاً . وفي اثناء ذلك شعر يعقوب بحركة الفتاة ثم لاحظ ان يدها ترتفع من وقتٍ الى آخر بمنديل ابيض الى عينيها فهاج بلباله واعار اذناً صاغية فاذا بالفتاة تنتحب وتتأوَّه تأوُّهاً خفياً . ولما وقف القطار ثانيةً نزلت السيدتان وبقي يعقوب والفتاة وحدهما وشعر من نفسهِ كأن محركاً يدفعهُ الى مكالمتها وتلطيف بلبالها وقد اخذتهُ عليها شفقةٌ عظيمة ولا سيما انهُ لما اسفر الصباح رأى عينيها محمرّتين من البكاء وعليهما آثار الدموع المحرقة . فبدأ يخاطبها بلطفٍ عظيم وكانت تجيبهُ بكل رزانةٍ واحتشام وهي لا تكاد ترفع بصرها اليهِ واستنبأها عن شأنها فقصّت عليهِ الحديث الآتي قالت

انا ابنة كاهنٍ في غربي لندرا لم يُرزَق ابي من الذكور سوى ولدٍ وحيد بين سبع بنات انا اكبرهنَّ واسمي دينا . وقد كان ابي فيما مضى من حياتهِ موسراً ذا عيشةٍ راضية فلما كثر عيالهُ وزادت نفقاتهُ لم يعد دخلهُ كافياً لسدّ حاجاتهِ فتضايق من هذه الحال وحنت ظهرهُ الهموم لانهُ رأى نفسهُ غير قادرٍ على توفية بنيهِ حقهم من مطالب الرفاهية في العيش والتنشئة على طريقة الأُسر الممتازة في امر التعليم ومتعلقاتهِ ولم يكن لهُ املٌ الا في وحيده اخي المذكور واسمهُ يوسف وكان قد جعلهُ في احدى المدارس واقام ينتظر ان يفرغ من دروسهِ فيكون مساعداً لهُ على الخروج من تلك الضيقة . فلما خرج اخي من المدرسة وقد اخذ البراءة المؤذنة بنجابتهِ شرع يبحث عن شغلٍ يتعاطاهُ فأُغلقت في وجههِ ابواب البخت وسُدَّت في طريقهِ وسائل التعيش ولم يتيسر لهُ الا وجود اشغال كثيرة التعب قليلة الدخل لا تكاد

تدرأ عنا سهماً واحداً من سهام الفاقة والعوز . وفي ذات يومٍ وصل الى ابي رسالة من اخي يوسف يقول فيها انهُ قد يئس من حصول الكسب في لندرا ولم يجد بدًّا من السفر الى حيث تقوده الاقدار ويقسم لهُ البخت فاذا رزقهُ الله عاد الينا بما غنم والاّ فلا اقلّ من ان يكون قد كفانا مؤونة نفسهِ. فوقع ذلك عندنا موقعاً احزننا جميعاً وبكينا غياب اخي اياماً ولم نزل نعلل انفسنا بقرب رجوعهِ والضيق يزداد علينا يوماً بعد يوم حتى مضى على غيابهِ ثلاث سنوات ولم نحصل منهُ على خبر . ففني الصبر وازدادت احوالنا ضيقاً وعزمت ان اجاهد بنفسي سعياً وراء ما يسدّ ولو بعض الحاجة فعرضت نفسي للخدمة في بعض بيوت الاكابر بمنزلة مربية غير اني لجهلي اللغتين الفرنسوية والالمانية لم يتسنَّ لي ذلك في انكلترا ولكن وُفِقت الى وجود اسرةٍ في لوسرن من سويسرا وسيدةٍ تدعى مانسفيلد طلبتني كي اربي اولادها فلم اتأخر عن الحضور ولا سيما اني هناك اتعلم اللغتين اللتين انا في حاجةٍ اليهما بسهولة وها انا الآن مسافرةٌ الى لوسرن . ولما كانت هذه اول مرة سافرت فيها عن اهلي فاني كلما تذكرت والدي الشيخ واسرتنا الفقيرة لا املك النفس عن التأوه وسكب الدموع

ولما فرغت الفتاة من قصتها عادت تخنقها العبرة وتأثر يعقوب من حديثها تأثراً شديداً فمسح من عينيهِ دمعةً محرقة واخذ في ملاطفتها وتسليتها عما بها وكان القطار قد قارب لوسرن فاستاء يعقوب لعلمهِ بقرب موعد الفراق بينهُ وبين رفيقتهِ . ولما وقف القطار وعلمت الفتاة انها قد وصلت الى لوسرن قامت فانزلت صندوقاً من الجلد كان معها وعرض عليها

يعقوب ان يوصلها سالمةً الى البيت الذي تقصدهُ فأبت بعد ان شكرتهُ كثيراً وودَّعتهُ وسارت

اما يعقوب فتوجه الى فندقٍ هناك فبدّل ثيابهُ ثم خرج يسرّح الطرف في تلك المناظر ولم يبرح من فكرهِ حديث الفتاة ولا هيئتها الحزينة . وبينما هو سائرٌ اتفق مرورهُ من امام كنيسة القرية وكان لدى بابها تمثال من الرخام فرأى يقربهِ فتاةً جاثيةً والى جانبها صندوقٌ فعرف للحال انها رفيقتهُ دينا . فتعجب من وجودها في ذلك المحل ودنا اليها وقد دفعهُ الشوق الى ان يراها ثانيةً ولما وصل اليها وجدها غارقةً في البكآء تتضرع همساً بطلباتٍ وصلواتٍ حارة لم يسمع منها شيئاً . ولما شعرت دينا بقدومهِ مسحت دموعها ووقفت امامهُ فقال لها اراكِ مضطربة محزونة فهل في امكاني ان اساعدكِ في امرٍ ما . قالت اظن ان في امكانك ذلك ان كنت تريدهُ . اني انطلقت الى بيت السيدة مانسفيلد فوجدتها قد سافرت من هذا الموضع وتوجهت الى نريتال وقد تركت لي بلاغاً ان اتبعها الى هناك وانا اجهل المحل فهل لك ان تخبرني اين نريتال وكم تبعد من هنا ومن اي طريق يسار اليها . قال حباً وكرامة فهلمّ معي ان شئتِ الى الفندق نشرب كاساً من الشاي وانبئكِ بكل ما تحبين معرفتهُ . فلبّت الفتاة شاكرة وحمل يعقوب صندوقها وسارا صامتين . وكان يعقوب يفكر وهو سائرٌ في حالتهِ وغناهُ وما ترك وطنهُ لاجلهِ وكيف اصبح مهتماً بهذه الفتاة الفقيرة يسير بين يديها كالخادم يحمل صندوقها غير انهُ شعر في داخلهِ بما يدفعهُ الى هذا العمل رغماً وظن ان سيكون لهذه الفتاة شأن في تاريخ حياتهِ . وبعد ما استقرا في

الفندق اخذ خريطة المكان واراها موقع نريتال وهي تبعد عن لوسرن مسافة اربعين ميلاً واراها طريقها حيث ينزل المسافر اولاً في باخرة فيقطع فيها نحواً من عشرين ميلاً ثم يركب عربةً فيما بقي من الطريق . فقالت دينا لكن ارجو من فضلك ان تخبرني كم تبلغ نفقة هذه السفرة الاخرى فاني لم استصحب معي سوى ما يبلّغني لوسرن ولم يكن في حسباني ان سيجدّ عليَّ سفرةٌ اخرى ولا ادري هل الباقي معي يكفيني للوصول الى نريتال . فاخذ يعقوب ورقة وجعل يرقم عليها حتى اذا انتهى اراها المجموع فتنهدت وقالت ان ما معي لا يكفي . فقال يعقوب انني مسافرٌ على نفس الطريق فاذا شئتِ قمت عنك باداء تمة النفقة ثم تفيني ما ادفعهُ متى وصلتِ اذ لا بد ان تؤدي اليك السيدة مانسفيلد نفقة سفركِ . قالت اشكرك على ذلك وارجو ان تعذرني على عدم قبولهِ منك اذ لا يمكنني ان اقبل ديناً من شخص يجهلني ولا ان اجعل عليَّ ديناً لست على يقين من القدرة على وفائهِ غير ان ما معي من المال يكفي لان يبلّغني نصف الطريق ثم اقطع النصف الباقي ماشيةً فهل الطريق ذات خطر قال لا وانا ايضاً اجتازها ماشياً فاذا شئتِ ترافقنا الى ان تبلغي المحل بأمان

وبعد ساعةٍ ركبا الباخرة فسارت بهما وكان يعقوب قد سبق فاعطى الربان اجرة السفر واوصاهُ ان لا يأخذ من دينا الا ربع القيمة . وفي اثناء هذا السفر جلست دينا على كرسيٍ تقرأ كتاباً وجلس يعقوب على بعدٍ يراقب حركاتها ولم يجسر ان يدنو منها ليكلمها . ولحظ ان شاباً ينظر اليها كيفما توجهت ويتبع خطواتها حيثما سارت فقلق لذلك وشعر بنار الغيرة الا

انهُ لعلمهِ بان هذا الشاب لم يرَها قبل ذلك ولم يسبق لهُ بهـا معرفة لم يعرهُ كثير اهتمام لكنهُ بقي محاذراً الى ان انقضى سفر البحر فاسرع يعقوب اليها وساعدهـا في النزول الى البر ثم توجه بهـا الى موقف العربات فاتخذا لهما محلين وفعل هناك كما فعل في البحر . ورأت دينا انهـا في كلتا السفرتين لم تدفع الا شيئاً يسيراً فسرَّت ولم تدرِ ان يعقوب هو الذي كان يدفع عنهـا ولو علمت لما قبلت قطعاً

وفيما هما سائران التفت يعقوب فرأى الشاب الغريب يتبعهما في عربةٍ اخرى وهو يمد عنقهُ ليرى دينا ولا يحوّل نظرهُ عنها فازدادت غيرتهُ عليهـا وامر السائق ان يجدّ السير ففعل . ولما بلغت العربة قمة جبـال الألب نظرا فاذا هي مكسوةٌ بالثلج وقد التحفت بهِ بجملتها فلم يظهر للعين سوى بياضهِ الساطع يكاد يذهب بالبصر . ثم اخذت العربة في النزول من الجانب الآخر واشتد قرس البرد حتى صارت دينـا ترتجف ولم يكن معهـا سوى دثارٍ رقيق فنزع يعقوب جبتهُ عنهُ والقاها عليها فشكرتهُ وكان بودها الرفض غير انها اطاعت اضطراراً . وبعد ما قطعا مسافةً من الطريق رأى يعقوب ان شفقتهُ على تلك الفتـاة قد انقلبت الى حبٍّ صحيح وتعلقٍ شديد فاخذ يفكر في ما عسى ان يكون المانع لو اقترن بها وارجعها الى وطنها بدلاً من ان تقاسي مرارة الغربة وما المانع من امداد والديها بشيء من مالهِ الكثير وكانت هذه الافكار تتردد في مخيلتهِ وتقوى فيهـا الى ان بلغت معظمها فلم يعد يستطيع الكتمان فاقترب من دينا وطوقها بذراعهِ قائلاً هل تأذنين لي ايها الملك الطاهر ان اكلمكِ شيئاً . قالت قل ما بدالك لكن ارجو ان ترفع

ذراعك هذه من هنا . قال اني لم اعرفكِ قبلا ولم أرَكِ قبل امس وكانت هذه الساعات القليلة كافيةً لان اختبركِ حق الاختبار وقد وجدت فيكِ من الصفات والمحاسن ما قلّ ان يوجد في نسآء عصرنا الحالي . وكنت قد عاهدت نفسي على ان اعيش وحيداً شارداً ولا اعاشر او اخالط مخلوقاً ما استطعت غير اني ما كدت امضي على عزمي هذا حتى وضعكِ القدر امامي فدفعتني عواطف داخلية الى التكلم معكِ ثم الى الاهتمام بكِ ثم الى الاقتراب منكِ ثم الى حبكِ وانا انقاد الى هذه العوامل بأتمّ الطاعة والخضوع حتى اصبحتُ كما انا الآن محباً والهاً . أجل يا دينا انني احبكِ حباً لا مزيد عليهِ ولا ارى نفسي سعيداً الا اذا وعدتني ان تقابلي محبتي بمثلها فان فعلتِ وكنتِ عند متمناي عدلتُ عما عزمت عليهِ من الانقطاع عن العالم وحييتُ لكِ والا دفعتُ نفسي الى ما صممتُ عليهِ ودفنتُ ذاتي في الحياة

ولم تكن دينا تنتظر مثل ذلك الحديث فاطرقت هنيهةً وهي غائصة في لجةٍ من الافكار ثم رفعت رأسها وقد احمرّت وجنتاها وقالت انني اشكر عواطفك ايها الشاب فانك لم تقصد بهذا سوى ان تريني شعورك بمصائبي وشفقتك عليّ . اما ان اكون زوجةً لك فهذا امرٌ لا يكون فارجو ان لا تفاتحني بهذا الحديث من بعد . وفي تلك الدقيقة كانت العربة تنحدر بهما مسرعة على شفا وادٍ عميق فتوقفا عن الحديث اذ ارتجّت العربة بهما وسمع صوت السائق ينادي مستغيثاً وفي اسرع من لمح البصر فتح يعقوب باب العربة وحمل دينا فوثب بها الى الخارج واذا احد الخيل قد سقط الى الارض ونفرت بقيتها الى الوادي والسائق يجذب اللجم بيديهِ وقد عجز

عن تداركها . فاسرع الى معونته واخذ يقطع اللجم بيديهِ وهو يسند العربة بمعظم قوّتهِ منعاً لها من السقوط ثم اجتهد كلاهما في رفع الحصان الساقط وكان قد شقّت كرشهُ وسال دمهُ فتلطخت ثياب يعقوب ويداهُ ووجههُ بالدم وهو يعمل بكل نشاط واجتهاد . ولما رأت دينا هول تلك الحال وابصرت الدم على ثياب يعقوب وجسمهِ اصفرّ لونها واُغمي عليها فبادر يعقوب للحال ورفعها على ذراعيهِ وانطلق بها الى مكانٍ بعيد عن محل الحادثة ثم اسندها الى صخرةٍ في الطريق ورجع لاتمام عملهِ اذ لم يكن بدٌّ من رفع الحصان الساقط قبل وصول العربة الثانية لئلا يصيبها ما اصاب الاولى

وبعد ان قضى مدةً في المزاولة والاجتهاد تمكن بمساعدة السائق من اخلاء السكة واصلاح العربة وخيلها حتى صارت معدّةً لاستئناف المسير . وكان بالقرب من المكان جدولٌ فعمد يعقوب اليه وغسل ما كان عليهِ من الدم وعاد الى حيث اودع حبيبتهُ ليرى ما حلّ بها ولما بلغ المكان وجدها واقفةً مستندة الى ذراع الفتى الغريب الذي كان قد رآهُ قبلاً وهي تبتسم لهُ بعينٍ كلها محبة وانعطاف . فلما رأى يعقوب ذلك وقف مبهوتاً ثم تقدم الى الغريب والقى عليهِ نظراً وحشياً وقال ما شأنك والفتاة يا هذا . فقال الفتى وانت ما شأنك وهذا السؤال ومالك وللفتاة حتى تدافع عنها . قال هي رفيقتي في السفر بل هي تحت حمايتي بل ... قال بل ماذا وهل من قرابةٍ بينك وبينها حتى تكون منها بهذه المنزلة . قال لا قرابة بيننا الى الآن ولكن ... فقطعت عليهِ دينا وقالت اشكر فضلك ايها السيد الكريم لما

تحملت لاجلي من الاهتمام والتعب والآن فقد وجدتُ من انضمُّ اليهِ ويكفيك امري فانا استودعك الله وأسأل لك سفراً سعيداً . فلم يفهم يعقوب هذه الغوامض وتعجب من انحياز دينا لهذا الغريب الذي لم ترهُ الا في تلك الدقيقة. ولحظت دينا العوامل المضطربة في داخل يعقوب فقالت لا تعجب ايها الفاضل من عملي فقد اخبرتك بتأريخ حياتي وازيدك الآن انك لما تركتني هنا وصلت العربة الثانية ونزل منها هذا الشاب فاقترب مني وفي دقائق قليلة عرفت انهُ هو اخي يوسف الذي اخبرتك عنهُ فانهُ عاد من غيبتهِ في العالم الجديد وقد رزقهُ الله من اليسر ما يكفي لاعادة بيتنا الى افضل من مجدهِ القديم . وقد اتفق ان ابصرني في الطريق فرأى من ملامحي ما احدث عندهُ الشك في معرفتي ومع انهُ كان مسرعاً للوصول الى بيتنا لم يتمالك عن ان يتتبع خطواتي ليستثبتني عن يقين وقد سألني عن نفسي ولما تحقق اني شقيقتهُ عرفني بنفسهِ فالحمد لله على اجتماعي بهِ وانحلال عقدة العسر بعودهِ الينا سليماً موفقاً . ثم التفتت الى اخيها وقالت لهُ لا بد لي قبل ان يفارقنا هذا الرجل الفاضل ان اقصَّ عليك ما صنع اليّ من الجميل في هذه الارض التي لا اعرف فيها احداً مع ضعفي وانفرادي فانهُ اخذ بيدي وعاملني معاملة الاخ الشفيق ولم يدع وسيلةً لراحتي وتسليتي عما انا فيهِ الا بذلها فانا اذكر جميلهُ وكرمهُ ما حييت . فقال يوسف وانا ايضاً اشاطر شقيقتي الشكر لاحسانك ايها الهمام الكريم واسأل الله ان يجزيك خيراً ولقد كنت اتمنى لو التقيت بك في بلدي حتى افيك حق احسانك واقدّمك الى ابي وسائر اهل بيتنا ليعلموا ان لهم صديقاً وفياً قد سبق فضلهُ

معرفتهُ ولكن لا اقلّ من انّ تتفضل بتعريفي اسمك ليكون عندنا تذكار جميل واحترام . فقال يعقوب وقد زادهُ هذا الكلام تعلقاً بدينا وبكل من ينتمي اليها انا يعقوب سميث بن ادورد سميث المشهور وان ما وددتهُ ايها السيد من التقآئنا في بلدكم ليس من الامور المستبعدة بل هو ما انا قاصدهُ من كل قلبي وقد سألت حضرة السيدة ان تقبلني رفيقاً لها لا مسافة ما اصل بها الى بلدكم فقط بل ان اكون بكليتي معها ولها مسافة العمر فابت ان تعطيني يدها على ذلك ولعل الله ارسلك لتكون عوناً لي على بلوغ هذه الامنية التي اعدُّها سعادة حياتي بل هي حياتي كلها . فالتفت يوسف الى اختهِ وقال لها ولما ذا لم تقبلي هذا الشريف يا دينا . قالت لاني عرفت انهُ لم يظهر لي ذلك الاّ لانهُ تأثر لبلواي لا لاني وقعت من قلبهِ موقعاً محبوباً . فصاح يعقوب كلاّ بل هو عن حبٍّ ملك القلب واستعبد الجوارح وها انذا اعيد عليكِ سؤالي مرةً اخرى هل يكون لهذا القلب حظٌّ عندكِ . قالت لا لزوم للسؤال فانا لك

وعادوا بعد ذلك فركبوا العربة وفي المسآء وصلوا جميعاً الى نريتال فارسلوا يعلمون السيدة مانسفيلد بعدم استطاعة دينا ان تقوم بما وعدت وعاد الثلاثة الى انكلترا حيث اجتمعوا في بيت الكاهن الشيخ فاستقبل ولديهِ بدموع الفرح والشكر لله وما لبث بعد ذلك ان عقد ليعقوب على ابنتهِ دينا وعاشوا جميعاً في دعةٍ ونعيم نسوا بهما ما قاسوهُ من شظف العيش والشقآء

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون خرج في موكب يبلغ خمسة آلافٍ عدًّا وهي عبارةٌ شائعة عند اكثر الكتّاب لا تكاد تفوت واحداً منهم وربما قالوا قُتل في هذه المعركة ما يقارب خمسة آلافٍ عدًّا وهو اغرب . وانما ذلك لعدم تدبُّرهم معنى العدّ هنا والمقصود بهِ عند من نُقل عنهُ هذا التركيب . وبيانهُ انك تقول مثلاً لي على فلانٍ خمسة آلاف درهمٍ عدًّا اي لي عليهِ هذا القدر معدوداً عدًّا لا بطريق التقدير والتقريب ونقدتهُ خمسين ديناراً عدًّا اي عددتها لهُ واحداً واحداً ومفادهُ التحقيق والتوكيد لا الحشو والتزيين كما يتوهمونهُ

ويقرب من هذا قولهم دخلت عليهِ فاذا عندهُ رجلان اثنان والتوكيد غريبٌ في هذا الموضع لان الرجلين لا يكونان الا اثنين فالصيغة مغنية عن التصريح باسم العدد وانما يزاد اسم العدد للتوكيد حيث تدعو اليهِ الحاجة لدفع التوهم او تقوية المعنى تقول شهد بهذا شاهدان اثنان فتوكد لئلا يُتوهم في كلامك غير الحقيقة وقبضت عليهِ بيديَّ الثنتين تريد شدة القبض عليهِ ومنعهُ من الافلات وقس على ذلك

ويقولون فعل هذا لمصلحة اهل جلدتهِ يريدون قومهُ واهل جيلهِ (الجيل الصنف من الناس كالعرب والترك والروس وغير ذلك) وقد أُولع كتّابنا بهذه العبارة وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحثٍ ولا تنقيب عن اصل مغزاها ومراد قائلها . وهي في الاصل من قول جرير وقد مرّ بنُصَيبٍ الشاعر وهو ينشد وكان نُصَيبٌ اسود فقال لهُ اذهب فانت اشعر اهل

جلدتك يعني اشعر السود فقال وجلدتك يا ابا حزرة وهي كنية جرير اي واشعر البيض ايضاً . وحينئذٍ فلا معنى لأن تقول اهل جلدة الانكليزي مثلاً او الفرنسوي او الالماني لان لكل هؤلآء جلدةً واحدةً فهي تتناول الجميع على السوآء

وقريبٌ من هذا قولهم هلَّ شهر يناير مثلاً وجآء في غرّة ابريل وكتبهُ لعشرٍ خلون من شهر دسمبر وانما ذلك كلهُ من الاصطلاح المخصوص بالاشهر القمرية لان قولهم هلَّ الشهر يراد بهِ ظهور هلال ذلك الشهر وكذا غرّة شهر كذا المراد بها غرّة هلالهِ وهي اول ما يبدو منهُ وقولهم لعشرٍ من شهر كذا باسقاط التآء من اسم العدد اي لعشر ليالٍ لان الاشهر القمرية تؤرَّخ بالليالي كما لا يخفى وبخلافها الاشهر الشمسية فكل ذلك من استعمال الشيء في غير محلّهِ

ومن تهافتهم في النقل ما أُولع بهِ اكثرهم من استعمال لفظة هاته في مكان هذه ذهاباً الى انها افصح منها وما هي بالفُصحَى ولا الفصيحة وهذه معلّقات العرب بل قصائدها التسع والاربعون وهذه دواوين شعرآئهم من مثل عنترة والنابغة وحاتم وعروة بن الورد والفرزدق وجرير وغيرهم وهذه خُطَب الامام عليّ والمنقول عن وفود العرب كلهم بل هذا القرآن نفسهُ هل يجدون في ذلك كلهِ لفظة هاته فلو كانت بهذه المنزلة التي يتوهمونها لم تفت اولئك كلهم على مكانهم من اللغة وتحققهم من فصيحها . ولقد قلّبنا كثيراً من صُحُف الكتّاب في كل عصرٍ من اعصار الاسلام فلم نجد هذه اللفظة في شيء من كتب المتقدمين ولا نذكر اننا رأيناها قبل شيوعها بين كتابنا

الا في كلام بعض متأخري التونسيين بل لعلها لم ترد الآ في كتاب خير الدين باشا المسمى باقوم المسالك فانها شائعةٌ في الكتاب كلهِ لا يكاد يستعمل غيرها وهو من غريب الذوق في اختيار الالفاظ

ويقولون خابرهُ في الامر اي فاتحهُ فيهِ وذاكرهُ وفاوضهُ وانما المخابرة في اللغة بمعنى المزارعة وهي ان يزارع الرجل ببعض ما يخرج من الارض

وفي معناهُ يقولون داولهُ في الامر وتداولا فيهِ وانما يقال تداولوا الشيء اذا اخذوهُ بالدُوَل هذا مرةً وهذا مرة

ويقولون تضرَّر لهُ اي شكا اليهِ ضررهُ وهو من الالفاظ التي لم ترد في اللغة اصلاً

ويقولون نقه من علتهِ نقاهةً وانما النقاهة مصدر نَقِه الكلامَ اذا فهمهُ يقال فلانٌ لا يَفقَه ولا يَنقَه واما مصدر نقه من مرضهِ فهو النَقَه بفتحتين والنُقُوه وقد نَقِه بكسر القاف وفتحها

ويقولون قد شاع هذا الخبر في النوادي يريدون جمع النادي وهو مع كونهِ القياس غير مستعمل وانما يقال في جمعهِ الأَندية وهو في الاصل جمع نديّ بمعنى النادي استغنوا بهِ عن جمع النادي كما استغنوا بالاحاديث الذي هو جمع الأُحدوثة عن جمع الحديث

ويقولون فلانٌ من ذوي الأَمجاد يريدون جمع مجد ولم يُسمَع للمجد جمعٌ على امجاد ولا غيرهِ لانهُ مصدرٌ في الاصل وما سُمِع في كلامهم من لفظ امجاد فانما هو جمع مجيد على حد شريف واشراف ويتيم وايتام وقد ذكرنا وجههُ في مقالتنا اللغة والعصر

ويقولون في جمع المنارة مناءر بالهمز وصوابهُ مناور بالواو كما يقال في جمع مفازة مفاوز لان حرف المدّ اذا كان اصلاً لا يُهمَز ومثلهُ قولهم معائب ومشائخ ومكائد بالهمز ايضاً وصوابهنّ بالياء

ويقولون رأيتهُ من منذ خمسة ايام فيدخلون من على منذ كانهم يريدون بها الدلالة على ابتداء الغاية وهو نفس المعنى الذي تدلّ عليهِ منذ فالصواب حذف احداهما

ويقولون صلّح الشيء تصليحاً خلاف افسدهُ فاصطلح وكلاهما خطأٌ لان الاول لم يرد في اللغة اصلاً والثاني من افعال المشاركة يقال اصطلح الخصمان اي تصالحا وليس في شيء من معنى الصلاح الذي هو ضدّ الفساد. والصواب اصلحهُ اصلاحاً فصلَح هو صَلاحاً وصُلوحاً لان الثلاثي اذا كان لازماً استُغنِي بهِ عن مطاوع مزيدهِ. ومنهم من يقول في مطاوعهِ انصلح وكانها لغة من يقول في ضدهِ انفسد مما تقدم الكلام فيهِ قريباً وقد ورد من هذا قول عبد المحسن الصوري من شعراء اليتيمة

أما انصلحتَ للمال منك طويةٌ　　فتُصلِحهُ حتى متى انت حاقدُ

ومثلهُ قول عبد الوهاب بن جعفر الحاجب من شعراء اليتيمة ايضاً

اصلح فساد العيش مجتهداً　　ففساد عمرك غير منصلح

ويقولون احتمى عن ذكر الامر اي تحاماهُ وتفادى منهُ ولم يأتِ احتمى في شيء من كلامهم بهذا المعنى ولا سُمِع في كلام العامة ولكنهُ من الالفاظ التي انفرد بها بعض كتابنا تعمقاً في الحذلقة ولهُ نظائر سنذكرها في ختام هذه المقالة　　(ستأتي البقية)

مصير الارض

تتقلب احوال الكائنات بين عاملي الكون والفساد ويتعاقب التركيب والتحليل على كل موجودٍ من الحيّ والجماد سنّةَ الله في المخلوقات من ارقّ السُدُم الى رِمّة الحيوان ومن ذرّات الاثير الى دقائق الصوّان اطوارٌ تتوالى بين عقدٍ وانحلال ووجودٍ واضمحلال وانما تضمحلّ الصوَر وتتلاشى الاشكال والمادّة باقيةٌ لا تذهب منها ذرّةٌ ولا يعرض لها التلاشي في حال

واعتبر ذلك في الارض وما يؤلّف اديمها من الجواهر ويشتمل عليهِ جوّها من العناصر وما يعيش عليها من النبات القائم في الصحرآء والحيوان السارح على وجه العرآء والسابح في لجّتي المآء والهوآء تجد هناك سلسلةً يتصل اعلاها باسفلها ويتحوّل بعضها الى بعض حتى يرتدّ آخرها على اوّلها بل ترى الارض نفسها عُرضةً للطبيعة تغزوها بالسيول الجوارف والرياح النواسف والامواج التي تهاجم ثغورها والزلازل التي تصدّع صخورها متعاقبةً عليها ما تعاقب الليل والنهار الى ان يأتي يومٌ تنحلّ فيهِ الجبال وترسب في دَرَك البحار ثم لا تزال المياه تسحل وجه الارض حتى لا يبقى فيهِ امتٌ ولا انحنآء وحتى يغمرها المآء من كل ناحيةٍ وقد عاد سطحها مستوياً تحت المآء كاستوآء سطح المآء فعادت كما كانت في اوائل خلقها مآءً غامر وكونٌ بائر قد خلا من عالمي البرّ والهوآء ولم يبقَ فيهِ من ذوات الحياة الّا عالم المآء

*
* *

هذا اذا لم تُصَب الارض قبل ذلك بالهَرَم　وينضب مآؤها بعد خمود ما في باطنها من الضَرَم　ولم تتشرّب هوآءها فلا يتنفسهُ بعد ذلك نباتٌ ولا حيوان　ولا يجد ذو جناحٍ ما يعتمد عليهِ جناحهُ في الطيران　على حدّ ما تمّ من مثل ذلك في القمر حتى لم يبقَ فيهِ وَشَلٌ لمرتاد　وحتى تجرّد من ثوب هوآئهِ او كاد　وحتى اصبح قفراً هامداً لا ينبت عليهِ شجر ولا يتنفس فيهِ دابّةٌ ولا بشر　بل لو بقي هوآء الارض وهو خالٍ من بخار المآء لجمد البرد سطحها تجميداً　وانقبض الاحيآء من وجههِ الى حيث يقع شعاع الشمس عموداً　ثم لا يزال بساطهم يزداد ضيقاً على توالي الحِقَب　الى ان تموت آخر عشيرةٍ منهم بالبرد والسَغَب　فتدفنها الثلوج حيث لا تنكشف رِمَمها الى يوم التلاقي　وتخطّ يد القضآء على اديم الارض سبحان الحيّ الباقي

*
* *

وهذا اذا لم يصدم الارض جرمٌ من الاجرام السابحة في الفضآء فيتطاير ما عليها من الابنية والخلائق وتثب مياه البحر في الهوآء　او تلتهب بجملتها فتعود سديماً منتشراً في جوز السمآء　او يلاقيها احد المذنَّبات فيمطرها من النيازك ما يدمّر ممالكها الغنآء　او يبث عليها من ابخرتهِ ما يصير بهِ هوآؤها سماً قاتلاً للاحيآء(1)　او يحدث فيها زلزالٌ هائلٌ يقلب

(1) اكثرت الجرائد في هذه الايام من الخوض في مسئلة المذنَّب الذي انبأ احد علمآء الالمان المسيو فالب بمصادمتهِ للارض بين ١٣ و ١٤ من شهر نوفمبر المقبل

برّها بحراً ويردّ عمرانها قفراً ويدفن احياَءها تحت انقاض البلدان او في لجج البحار ويفجّر من باطنها ما يُغرِق سطحها في بحرٍ من نار حوادث كلها جائز الوقوع وان جاز ان لايقع شيءٌ منها على الاطلاق والله واقي عبادهِ سبحانهُ لا يقع امرٌ الا باذنهِ واليهِ المساق

***

وهذا اذا لم تهرَم الشمس فتنقلب نارها برداً ولكنهُ بردٌ بغير سلام فتهيم السيّارات والاقار من حولها في فضاَء من الزمهرير والظلام ويومئذٍ لا يبزغ الصباح فيذهّب آفاق المشرق ولا يُقبِل المساَء فيخيّم على ارجائه بجيشهِ المُطبق ولا يكون اذ ذاك كسوفٌ ولا خسوف ولا تبدو القُبّة الزرقاَء بلونها المألوف ولكنها تلتحف السواد حداداً على عالمها بالامس وقد التفّ بكفنٍ من الثلج فآوتهُ منها الى مثل ظلمة الرمس ويومئذٍ تجمد البحار فلا يكون ثمة موجٌ يتنفس ولا سحابٌ يتبجس ولا سيلٌ يتدفق ولا جدولٌ يترقرق وتركد حركة الهواء فلا تهبّ شمالٌ

وهوّل بان هذه المصادمة ستكون سبب انقضاَء العالم · ومع ان هذا الحادث من المحتملات فليس من الحوادث التي يمكن القطع بوقوعها ولا يُخشى منهُ اكثر مما يُخشى من سائر الحوادث الغيبية التي لم يقع بها انباءٌ ولا يدل عليها دليل · بل الانباَء بمثل ذلك لايخرج عن الرجم بالغيب لانهُ ولو صحّ ما انبأ بهِ من مقاطعة هذا المذنّب لفلك الارض فلايمكن الجزم بحدوث هذا التقاطع وكلا الجرمين في العقدة لجواز ان يتأخر النجم في فلكهِ بما يعاوقهُ من جذب الاجرام التي يمرّ بينها مع ما يترجح وجودهُ من المادّة المنبثّة في الفضاَء فانهُ كثيراً ما حسبت مدد هذه الاجرام وقُدِر عودها في يومٍ معين فتخالفت عن موعدها لا اقلّ من يومٍ واحد وهو كافٍ لان تعبر الارض بحيث لا يلحقها منهُ ادنى اذى

ولا صَبا ولا تجري نسمةٌ على الوهاد والرُبى وأنّى والشمس مصدر الحركة في العوالم وقوام الحياة لكل قائم فاذا هبّت الريح فالشمس هي التي تهبّ واذا دبّت النَعَم فالشمس هي التي تدبّ واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر واذا انهمرت الغيوث فهي التي تنهمر ألا والشمس هي التي تجري في الانهار وهي التي تغرّد في الاطيار وهي التي تزهر في الرياض وهي التي يُسمَع حفيفها في الغياض وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وفؤادها واذا ماتت الافئدة فمحالٌ ان تعيش اجسادها

لا جرَم ان الشمس ليست باول جُذوةٍ من نيران السماء ادركها الخمود والانطفاء فكم من نجمٍ نصّ المتقدمون على مكانهِ وموضعهُ اليوم خال بل منها ما دلت الدلائل على وجودهِ وهو غير مرئيٍ في حال وانما الشمس من هذه النجوم فلا بدّ ان يدركها ما ادرك سواها اذا لم يفاجئها مفاجئٌ من مثل ما ذكرنا في الارض يعجّل منتهاها فانهُ لا دوام في الخلق ولكن كل ما لهُ اولٌ لهُ آخرٌ ولو بعد حين وانما البقاء لله تقدّست اسماؤهُ وهو وارث العالمين

ثم على فرض حدوث هذا الملتقى بين الارض والمذنَّب المذكور فان الخطر انما يكون اذا وقعت المصادمة بين الارض ونواة المذنَّب وهذا من الندور والاستبعاد بحيث لا يستحق ان يُبنَى عليهِ حذر وهو من الحوادث التي لم تقع في تاريخ الارض لا بعد وجود الانسان ولا قبلهُ لانهُ لو وقع شيء من مثل ذلك لدلت عليهِ الآثار الجيولوجية . ولكن جل ما يُتوقع حدوثهُ من ذلك ان تخترق الارض ذنب النجم كما حدث في ٣٠ يونيو سنة ١٨٦١ على ما يرجحهُ اكثر العلماء ولكن ذلك لم يشعر بهِ احد ولم يُعلَم مرور الارض فيهِ الا بعد خروجها منهُ

الروايات والروآئيون

لحضرة الكاتب البارع سليم افندي الخوري

لا يخفى ما لأُمم اوربا على العموم من الشغف بأمر الروايات ولا سيما التمثيلية منها لما فيها من الحكمة في تهذيب الاخلاق وتنوير الاذهان وما تنطوي عليهِ من الحقائق تحت ثوب اللهو والفكاهة ولذلك اجمعت عقلآؤهم على اعتبارها من اعظم اركان المدنية وتفرغ اهل الادب والشعر منهم للاشتغال بها والتأليف فيها وربما دخل بعضهم في جملة ممثليها مما يدلك على شرف منزلتها عندهم . وما ذلك الا لما رأوا بالاختبار من حسن نتائجها وما لها من التأثير في اذهان العامة منهم وتنبيه الغافلين من الخاصة وارشاد الملوك والعظمآء الى ما يجب عليهم فعلهُ بان يُروهم العبرة في سواهم ويمثلوا لهم الحالة التي هم فيها بهيئةٍ تُظهر لهم حسنها من قبيحها . وقد اتسع مجال هذا الفن عندهم واصبح مستَبقاً لارباب الذكآء والالباب النيرة يتفننون في اساليبهِ وتصوير الحوادث فيهِ على اوضح صورها واشدّها تأثيراً في العقول حتى اصبح من رؤوس الفنون الادبية واصبح اربابهُ في اعلى درجةٍ من الحرمة والتجلة . وانظر الى ما كان من عهدٍ قريب من اهتمام الامة الانكليزية بمرض الكاتب الشهير المستر كبلنغ حتى كانت كانها باسرها اعضآء جسمٍ واحد يتألم بألم ذلك المريض ويترقب اخبار سلامتهِ ثم ما كان من شيوع امر مرضهِ في جميع اوربا واهتمام عظمآئها بهِ حتى توالت الرسائل البرقية من كل صوب في استطلاع انبآئهِ والوقوف على كنه احوالهِ بحيث كانوا وهم على بعد اميالٍ كثيرة كانهم آذانٌ صاغية الى ضربات قلبهِ المبشرة ببقآء حياتهِ

ولقد يعجب بعض الناس عندنا لسماعهم مثل ذلك ويستغربون هذا الاحتفال العظيم بامر هذا الرجل حالة كونهِ ليس من عظمآء الارض وملوكها ولا من ساسة الممالك او مشاهير القوّاد ولا هو من علمآء العصر وفلاسفتهِ ولا من اصحاب الاختراعات والاكتشافات المهمة ولكن جلّ ما يقال عنهُ انهُ رجلٌ من الكتاب قد اشتهر بتأليف الروايات يتفنن فيها باساليب بلاغتهِ ويزخرفها بطلاوة الفاظهِ ولم يُعرَف بشيء من المباحث الجدّية كالحقائق العلمية او الصناعية او كشف شيء من المنافع الطبية او ما اشبه ذلك من الفوائد العائدة الى مصلحة المجتمع الانساني

نعم لا يُنكَر ان الرجل ليس في شيء من تلك المناصب العالية ولا على شيء من هذه المباحث الخطيرة ولكن قيمة الانسان لا يُنظَر اليها من وجهٍ مخصوص والعلم لا يكون كلهُ صنفاً واحداً ولا تقف الفائدة منهُ على مبحثٍ معلوم . وهذا علم التاريخ مثلاً فانك اذا اعتبرتهُ من حيث هو لم تجدهُ الا اقاصيص واخباراً لا يستفاد منها شيءٌ من الامور المذكورة ولكنهُ مع ذلك معتبرٌ من اجلّ العلوم النافعة بما يعطي من البصيرة في احوال الحياة والعبرة باحوال من مضى لان حوادث هذا الكون تتكرر على الغالب اذ « ليس تحت الشمس شيءٌ جديد » . والروايات اذا نظرت اليها نظر المتبصر وتعقلت كنهها والغرض من وضعها وجدت انها لا تخرج عن غرض التاريخ نفسهِ الا انها تمثل لك الوقائع التاريخية بصورتها الحسية حتى تكون كانك شاهدٌ لها شهود العيان ولا يخفى ما في ذلك من قوة التأثير في مقام العبرة وفضل التمثيل الروآئي على القصص التاريخي الذي كثيراً ما يبعث الملل

في نفس القارئ لما فيهِ من وحدة السياق وتوالي الاخبار مجردةً عن الاشخاص القائمين بها وهيهات ان يقوم الخبر مقام العيان ٠ ومثل ذلك مثل ما اذا اردت ان تشخص هيئة انسانٍ لشخصٍ لم يرَهُ فانك مهما وصفت لهُ من حلاهُ واشكالهِ ولونهِ وملامح اعضآئهِ لا يستطيع ان يتصورهُ ويستحضر هيئتهُ في ذهنهِ كما لو اريتهُ صورة الشخص نفسهِ فان نظرةً واحدة من تلك الصورة تكفي لتصوُّرهِ وتشخيصهِ بما لا يصل اليهِ الوصف ولا تبلغهُ النعوت مهما كانت دقيقة

ولنضرب لذلك مثلاً رواية صلاح الدين الايوبي التي انشأها نابغة عصرهِ وشكسبير الروايات العربية فقيد هذا الفن المرحوم الشيخ نجيب الحداد فانك اذا حضرت حوادثها تتشخص امامك على ساحة التمثيل ظهر امام عينيك الاشخاص الذين دارت تلك الحوادث بينهم فرأيتهم باشباحهم وحركاتهم وسمعت كلام كلٍّ منهم بلهجتهِ الطبيعية وتجلت لك صفاتهم واخلاقهم بما يشعرك من نفسك بالتأثير الذي تشعر بهِ لو كنت حاضراً بينهم حتى كانهم احيآء معك تسمع اقوالهم وتشاهد افعالهم وحتى ينتقل بك التصور الى ان تتوهم تلك الوقائع حقيقية تجري امامك ويبقى عنها في ذهنك خيالٌ لا يمحى ٠ وهذا كلهُ لا يمكن ان تشعر بهِ من مجرد مطالعة التاريخ مهما فصّل لك المؤرخ واطال في الوصف فضلاً عما يعلق في ذهنك من العبر والحكم بما يُمثَّل امامك من الحركات والاقوال التي تصوّر لك الفضيلة والرذيلة والعدل والجور والوفآء والغدر والصدق والكذب الى غير ذلك من الخصال بارزةً كل واحدةٍ منها في ثوبٍ يحببها الى المشاهدين ويرغبهم في

التزامها او يبغضها اليهم وينفرهم من اتيانها . ولهذا المعنى كانت الروايات التمثيلية من انجع الوسائل وافعلها في تثقيف الاخلاق واصلاح العادات وتنوير العقول وحث النفوس على الكمالات الانسانية وهذا ما حدا الغربيين على اعتبار هذا الفن الجليل فرفعوا منارهُ وشرّفوا ذويهِ وكان مؤلف الروايات عندهم لا ينحطّ عن مقام العالم والفيلسوف والمخترع والمكتشف بل قد يكون نفع بعض اهل العلم خاصاً بفريقٍ من الناس حالة كون الروائي ينفع بتآليفهِ جميع الطبقات من خاصة الناس وعامتهم ولا يخفى ان العامة احوج الى من يفيدها ويهذبها فقد تكون الروايات من هذا هذا الوجه اعظم فائدةً من كتب العلم التي لا يتناول فوائدها الا اناسٌ معدودون ممن تمكنهم احوالهم من الانقطاع للدرس والتعلم

ومن الغريب في هذا المقام ان نرى بعض الكتاب عندنا ممن يتوهمون في انفسهم الحكمة وسموّ المدارك والاحاطة باطراف العلم والسياسة يطعنون في الروايات التمثيلية او كما يسمونها « الروايات التياترية » ثم لا يكفيهم ذلك حتى يصفوها « بالسافلة » وهي اول مرةٍ أُطلق فيها هذا الوصف على هذا الفن الشريف مع ان الامم الغربية بالاجمال وفيها ملوكها وعظماؤها وعلماؤها وحكماؤها وسياسيوها تحلها في ارفع مقام من مقامات المدنية والتهذيب ونرى من الذين اشتغلوا بها امثال شكسبير وموليار وكرنيل وفولتير وراسين وهوغو وغيرهم من اهل هذه الطبقة . فما كان احوج اولئك الاقوام الى رجلٍ من « الشرق » يأتيهم في هذه « الفترة من الزمن » فينير ظلمات عقولهم « بمصباح » افكارهِ الثاقبة وآدابهِ الصائبة بل ما احوجنا الى اناسٍ يسمون

بيننا بالخير ويرشدون هذه الامة الى ما يُلحِقها بسائر امم العصر ولا يكونون عقبةً في سبيل الساعين باصلاح شؤونها اصلح الله نياتنا وجمع قلوبنا على الاخلاص وكلمتنا على الصدق والله حسبنا وهو الهادي الى سواء السبيل

خواطر مستطرفة

في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تتمة ما في الاجزاء السابقة)

١١

اما الفرق بين الموسيقى العربية والافرنجية وايهما اشدّ اطراباً فمما يصعب الحكم فيهِ اذ لا يخفى ان كل امةٍ تلتذ بموسيقاها وتؤثرها على سواها وما دام الاستحسان راجعاً الى ذوق المستحسن والناس مختلفون في الاذواق فلا افضلية لواحدة على الاخرى . على انهُ وان لم تكن هناك افضلية باعتبار الاذواق فلكل موسيقى ما تمتاز بهِ وللموسيقى العربية مزيتان لعلهما تجعلانها احسن وقعاً واشد تأثيراً

الاولى ان الالحان الافرنجية موقعة كلها على الدرجات الاصلية في السلم الموسيقي ويندر ان يُعدَل في لحنٍ منها عن درجةٍ اصلية الى اخرى فرعية اي الى شيء من الانصاف المخفوضة او المرفوعة ولا يُحتاج الى الدرجات الفرعية عندهم الا لرفع السلم على الآلة اذا كان اللحن منخفضاً او خفضهِ اذا كان اللحن عالياً بحيث تصبح الفرعية اصلية . والغرض من ذلك

ان ينطبق اللحن على درجة صوت الانسان الطبيعي من حيث العلو والارتفاع فيتغناهُ براحة

اما الالحان العربية فيكثر فيها جدًّا ابدال الدرجات الاصلية بالفرعية التي هي الارباع ولا يخفى ما في ذلك من المجال الفسيح للتفنن في التطريب بحيث تؤلّف الالحان مطابقةً لحالات الانسان المختلفة . ولهذا تعددت ضروب الالحان عند العرب او بالاحرى عند الشرقيين عموماً الى ان بلغت نحو المئة منها احد عشر ضرباً اصلياً يقرّ كلٌّ منها على درجةٍ من الدرجات الأُوَل المسماة في جدول السلم العربي كما مرّ وهي ما عدا المحير والبزرك والماهوران والرمل توتي وباقيها يشترك بين الجميع . وهذه الضروب يختلف بعضها عن بعض بابدال الدرجات بارباع ولو بربع واحد وذلك كما في النهاوند والبياتي مثلاً فاننا اذا قسناهما على السلم الاصلي وجدنا انهُ في النهاوند يستبدل السيكاه بكردي والحسيني بحصار والاوج بنهفت وفي البياتي يستبدل الاوج بعجم وكل ذلك ليس منهُ شيءٌ في الالحان الافرنجية بل هي ملازمة للسلم الاصلي فلا تشذ عنهُ الا نادراً جداً ولعل هذا الندور في الحانٍ مقتبسة عن الشرق

ولا يخفى ان ضروب الالحان لا قيد لها في الايقاع والتطريب بل هي مقيدة بالابدال والقرار المشار اليهما فقط ويمكن تأليف الحان غير متناهية العدد في ضربٍ واحد . فكل اغنية تبدل فيها درجة الاوج بالربع المسمى عجماً وتقرّ على الدوكاه مثلاً تسمى اغنية بياتي وهكذا كل اغاني البياتي تتفق في ذلك الابدال وهذا القرار ولكنها تختلف بالايقاع وتأليف الانغام

اختلافاً ظاهراً جدًا . والموسيقيون البارعون يميزون بين ضروب الالحان من مجرد سماعها لان الابدال المشار اليهِ يُظهِر اللحن في لهجة خصوصية تحاكي حالةً من حالات الانسان . ومن ذلك انهم يعتبرون نغم الحجاز مثلاً شجياً يحاكي النواح ويلذ للحزين ونغم العشاق محزناً يحاكي الانين ويلذ للمفارق والبياتي مطرباً يحاكي السرور ويلذ للفرِح والنهاوند مشوقاً يحاكي التأوه ويلذ للمشتاق ونحو ذلك

ثم ان بعض الاغاني تتألف من لحنين او اكثر اي تكون اجزآؤها من ضروب مختلفة فتبتدئ بالحجاز مثلاً ثم تنتقل الى البياتي وتنتهي اخيراً بالصباء ويغلب ان تكون الالحان المركبة متقاربة الابدال والقرار لكيلا تكون نافرة

ثانياً ان الموسيقيين الشرقيين واخص منهم المصريين لا يقيدون انفسهم بايقاعٍ محدود لا يتعدَّونهُ بزيادة او نقصان او تغيير بل يطلقون الحرية لتطريبهم فيتفننون ما شآءوا في اثنآء الغنآء . والعزف بان يدمجوا في اللحن الذي يغنونهُ جملاً موسيقية شجية يبتكرونها في الحال حسبما يرشدهم وجدانهم وانفعالاتهم من الاحوال المحيطة بهم ومن معنى الاغنية التي يتغنونها بحيث يكون التطريب والترجيع موافقين للمعنى تماماً كأن يكون المعنى مثلاً تشكياً من صد الحبيب فيكون اللحن كانين المضنى الشاكي ونواح المبرَّح الباكي وبذلك يزيدون اللحن حسناً وجمالاً فيزيدهم طرباً ولذة

وكثيراً ما تأخذ المغني او العازف حالٌ كالغرام او التوله او السرور الشديد فيأتي من غرائب التطريب ما يقصر هو نفسهُ عنهُ لو تعمَّدهُ في غير تلك الحال . ويكثر الابتكار والتفنن فيما يسمى بالتقسيم وهو صنفٌ من

الغناء ليس لهُ ايقاعٌ مخصوص او مضبوط بل يتفنن فيهِ المطرب او العازف بحسب ذوقهِ وارشاد وجدانهِ ويكثر ان يُصطلح لكل ضربٍ من الالحان على تقسيمةٍ مألوفة

ولا يخفى انهُ لو تقيدت الالحان العربية بايقاعات مخصوصة مضبوطة ورُبطت بعلامات موسيقية كالحان الافرنج لضعف تأثيرها بتقيُّد حرية المغني او العازف بتلك الضوابط التي لا تفسح لهُ في التفنن المشار اليهِ

ويُستدَلّ من ذلك ان الموسيقيين الشرقيين شديدو الذكاء في الايقاع لانهم يعزفون على الآلات ولا دليل لهم الاَّ الذوق العقلي فقط ولذلك ترى العازف منهم على عودهِ او قانونهِ مثلاً يوافق المغني في غنائهِ مهما تفنن وابتكر ولا يشرد عنهُ الا ما ندر . ومما يحسن ذكرهُ ان الجوقات الشرقية الموسيقية يتفق افرادها في العزف كل الاتفاق بغير الاعتماد على علامات تقودهم الى الوفاق

اما الالحان الافرنجية فتمتاز بالمساوقة (Harmonie) وهي ان يكون اللحن رباعياً اي ذا اربعة الحان مختلفة ولكنها متوافقة يستحسنها الذوق ويُتغنى بها كلها معاً . وهي بحسب ترتيبها بالنظر الى علو الصوت كما يأتي

السُبرانو وهو الاعلى ترنهُ الاصوات العالية من النساء . ويليهِ الألتو للاصوات المنخفضة منهنَّ . ثم التنَر وهو للاصوات العالية من الرجال . ثم الباز للاصوات المنخفضة منهم . والسبرانو هو اللحن الاصلي والبقية فرعية تضم اليهِ لاجل المساوقة . اما الشرقيون فلم يألفوا المساوقة ولهذا قلما يستحسنونها ومرجع ذلك الى العادة كما قلناهُ في غير هذا الموضع

فلنا مما تقدم ان الافرنج اتقنوا الموسيقى من حيث هي صناعة فضبطوها بالعلامات لكي يسهل تعلمها على الجوقات مهما كثر العازفون والعرب تفننوا فيها جدًّا من حيث هي داعٍ للطرب واللهو فاجادوا في محاكاة الوجدانات والانفعالات النفسانية . على انّ للافرنج ايضاً اجادات من هذا القبيل لا تنكر

هذا ما بدا لي في هذا الشأن وانا لا آمن ان اكون قد خالفت في بعضه وجه الاصابة كما لا اتبرأ من السهو في سائر ما قررتهُ في هذه المقالة والله اعلم بالصواب

مُتَفَرِّقَات

قدور بغير نار — تقدم لنا في الجزء السابع في الكلام على الهوآء السائل انهم اذا راموا منعهُ من سرعة التبخر جعلوهُ في قارورةٍ من الزجاج ذات جدارين متظاهرين يفرَّغ ما بينهما من الهوآء بحيث يكون هذا الفراغ مانعاً لوصول الحرارة من الهوآء المحيط الى داخل القارورة فيبقى الهوآء هناك على سيلانهِ مدة خمسين ساعة فما فوق

وقد ترتب على هذا الاختراع امتحانات شتى منها انهُ اذا جُعِل الهوآء السائل في اناء من هذا النوع من الزجاج المفضض لم يتبخر منهُ الا ثلاثة غرامات في الساعة فاذا كان بحيث يكون موسوعهُ لترين من الهوآء السائل امكن ان يبقى على سيلانهِ زيادةً على ١٥ يوماً ولو جُعِل فيهِ مكان الهوآء السائل ماءٌ حارٌ بقي على حرارتهِ عدة ايام محفوظاً في هذه الطبقة من الفراغ وهي

تكون عادةً من سنتيمتر الى سنتيمترين

واستبدل بعضهم الآنية الزجاجية بآنية معدنية فكان لها الخاصيّة نفسها الا ان هذه تفضل تلك بانها غير قَصِمة فتصلح لأَن تتخذ بمنزلة قدور يُطبَخ فيها . وذلك ان اللحم والارزّ والخضراوات بانواعها يكفي لطبخها ان تلبث مدةً على حرارةٍ ذات ٨٠ درجة فتُحمَى القدر على النار بضع دقائق او يُجعَل فيها ماءٌ حارٌّ ثم يوضع فيها ما أُريد طبخهُ فلا يلبث ان ينضج لبقاء الحرارة هناك على درجتها من غير ان تحتاج الى تجديد

وارتأى بعضهم ان ما ذُكر من قطع الصلة بين الهواء المحيط والهواء الداخلي بتوسط الفراغ المذكور يمكن ان يُستخدَم بالصفائح المعدنية ذات الجدارين المفرَّغ ما بينهما لمنع البرد او الحرّ من دخول المنازل وان يُستعمَل في الآنية لحفظ الاطعمة الحارّة والثلج وغير ذلك ولا ريب ان هذا الاستنباط سيكون لهُ موضعٌ مهمٌ في كثيرٍ من الاستخدامات العلمية والعملية

قمرٌ جديد لزُحَل ـ ورد نبأٌ برقي من المكتب الفلكي في كيال يعلن اكتشاف قمرٍ تاسع لزُحَل اكتشفهُ الاستاذ بيكرين وهو يبعد عن السيار نحواً من ٧٫٤٥٠٫٠٠٠ ميل ولعلّ هذا البعد الشاسع هو السبب في عدم تنبُّههم لهُ الى اليوم ومدة دورانهِ حول السيار سبعة عشر شهراً

اما قطر هذا القمر فلم يُقَس الى الآن قياساً مدققاً بسبب صغر حجمهِ ولكن الذي في تقديرهم ان قطرهُ يكون نحواً من ٩٥ ميلاً فهو من الاقمار المتوسطة الحجم لانهُ اصغر كثيراً من قمر الارض او احد اقمار المشتري

المعروفة قديماً ولكنهُ اكبر كثيراً من قري المريخ

الاتجاه الطبيعي في النوم ـ جآء في احدى المجلات العلمية ان من عادة الفرنسيس ان يجعلوا رؤوسهم في النوم الى جهة الشمال قالت وقد فحصت جمعية العلوم الفرنسوية هذه العادة فاثبتت ان لها سبباً طبيعياً وذلك انهُ كان في جملة المجرمين عندهم رجلٌ قد حكم عليهِ بقطع الرأس فلما أُنفِذ الحكم فيهِ عمدوا الى جثتهِ فجعلوها على محورٍ مدملك الرأس بحيث يمكن ان تدور عليهِ الى كل الجهات بلا معاوق فبعد ان رفعوا الجثة عليهِ دارت قليلاً حتى صارت جهة الرأس الى الشمال ثم وقفت فاعادوا الامتحان بان ادار احدهم الجثة نحو ٩٠ درجة فلما تركها عادت فتحركت حتى انتهت الى وضعها الاول وكرروا الامتحان عدة مرات حتى انقطعت الحركة العضوية وكانت تنتهي في كل مرةٍ الى الاتجاه عينهِ وهو سرٌّ غريب

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ قرأنا في ترجمة حياتكم المنشورة في مجلة الاجيال (الجزء الثاني من السنة الثانية) ان اسفار العهد القديم والعهد الجديد المنسوبة الى الآباء اليسوعيين هي من تعريب حضرتكم ثم رأينا ذلك بعينهِ في جريدة الايام التي تطبع في نيويورك في العدد الصادر بتاريخ ١٦ شباط سنة ١٨٩٩ ٠ ولكننا لما تفقدنا في الكتاب نفسهِ لم نجد لحضرتكم اسماً لا في صدر الكتاب ولا في الفصل المعنون بخطبة المترجمين بل رأينا في الخطبة المذكورة

ما يستفاد منهُ ان تحرير الترجمة وتهذيب عبارتها وضبطها بالشكل كل ذلك
من عمل اصحاب الترجمة وظاهرهُ ان المراد بهم الآباء اليسوعيون انفسهم
الذين سعوا بترجمة الكتاب وطبعهِ اذ لم يصرَّح باسم احدٍ مخصوص هناك •
ولا اكتم عن حضرتكم ما اخذني من العجب بل الاسف عند ما رايت
مثل هذا الفضل الكبير يذهب سدًى ولا يكون لصاحبهِ ذكرٌ مع انَّنا راينا
مرسلي الاميركان قد ذكروا اسمآء الذين اشتغلوا في تعريب نسختهم في
فصلٍ مخصوص من كتاب مرشد الطالبين الذي يعلّم في مدارسهم حيث
اوردوا تاريخ هذه الترجمة وصرَّحوا باسم كل من كان لهُ يدٌ فيها من المعرّبين
وغيرهم • وبنآء عليهِ جئت اسال حضرتكم بيان هذه الحقيقة بما يكشف
الستار عن هذا المعمَّى الذي يهمّ حلّهُ كل من طالع هذه الترجمة من ابنآء
الوطن بل يهمّ كل منصفٍ يسرّهُ ان يرى الحق معروفًا لاهلهِ معترفًا بهِ
لذويهِ والسلام على المولى الجليل ورحمة الله نقولا الحداد

الجواب ـ قد علمتم أن هذا الكتاب ليس كسائر الكتب. التي يراد
منها بيان فضل المشتغلين بها وانما القصد منهُ الى ما هو اسمى من ذلك
من القربة الى الله عز وجل والخدمة العائدة الى مصلحة النفوس ولذلك
اعتاد المترجمون لهُ الى كل لغةٍ ان يهملوا اسمآءهم من عنوان الكتاب تجافيًا
عن ادّعاء شيء من الفضل لانفسهم وتورعًا عن ذكر اسمآئهم في جنب
اسمآء الذين كتبوهُ من رجال الوحي المذكورة اسمآؤهم في باطنهِ • واما
اهمال ذلك من خطبة الترجمة فلأنهُ كان الغرض منها بيان الداعي الى ترجمة
الكتاب مع وجود التراجم الاخرى وذكر ما بُذِل فيها من العناية والتحرّي

دون ذكر الاشخاص الذين تمّ هذا العمل على ايديهم مما لم يُغفلوا بيانهُ في هذا الموضع الا ليثبتوهُ مفصلاً في تاريخ اعمال الرسالة اليسوعية في الاقطار الشـامية . على انهم قد نشروا في ذلك فصلاً مطوّلاً في جريدة البشير في العدد الصادر بتاريخ ١٦ حزيران من سنة ١٨٨١ وهي سنة الفراغ من طبع الكتاب ذكروا فيهِ تاريخ العمل ونوّهوا باسم هذا العاجز بما لم يبقَ معهُ مجالٌ للريب . وهذا نصّ الفصل المذكور نوردهُ بالحرف

« قد تيسر لنـا بحول الله وتوفيقهِ الفراغ من تمثيل المجلد الثاني من كتاب الله تعريباً وطبعاً وهو القسم الثاني من اسفار العهد العتيق وبهِ كان الفراغ من هذا العمل الجليل بعد ان اقمنا عليهِ ما ينيف على ثماني سنين متواليـة . والحمد لله انهُ جآء على وفق ما في الآمال وتُلُقّي من لدن الخاصة والعامة بالقبول والاقبال وقد قُلّد بتقاريظ نيـافة الرؤسآء الراشدين على ما اثبتناهُ في صدر المجلد الاول منهُ وما زلنا نرى من زيادة الرغبة فيهِ والاقبال عليهِ ما يؤيد ذلك الثنآء ويبشرنا بوقوعهِ موقع الايثار والاستحسان عند الجميع

« ثم ان في اكثر الاسفار المشتمل عليها هذا المجلد من غموض المعنى وخفآء السريرة ما لا حاجة الى التنبيه عليهِ وذلك لِما أُودِعتهُ من الرموز السرية والاغراض المكنونة مع ما في عبارتها من اتساع مذاهب الاحتمال وتباين وجوه التأويل لِما أنها في اصلها كلامٌ شعريٌّ تكثر فيهِ الاستعارات والكنايات وتتشعب طُرُق المجاز ويُنحَى فيهِ منحى الايجاز والبلاغة على خلاف المألوف في الكلام المنثور . وفي هذا الوجه من التعبير مع ما سبق بيانهُ من خفآء الاشارات وتحجب المضامين ما ترتدُّ دونهُ البصائر حاسرة

ويتوقف الاوهام بين مفصلي القصد والزيغ وما لا يتأتى معهُ اصابة المراد على وجهٍ يؤمن فيهِ ركوب الشطط الاّ بعد سعة التبحر في علمي اللاهوت والتاريخ وفي اللغات القديمة من نحو اللاتينية واليونانية والسريانية والكلدانية واول كل شيء بعد الاحاطة باسرار اللغة المنقول عنها والتضلع من علمي التفسير والنقد الكتابيين . ولذلك نعترف في هذا المقام جهراً ولا نخشى ان ينكر علينا احدٌ ممن لهم اقلّ المام بالعلوم الالهية بان هذا العمل قد اقتضى منا ان نأتي فيهِ على جميع ما وصل اليهِ امكاننا من التجهيزات العلمية والاجتهادات العملية تذرّعاً الى تحقيق تلك المقاصد المكنونة وتجريد تلك المغازي من حجب الرموز وابرازها في مثالٍ من اللفظ يطابق المراد من معانيها ولا يباين الحرف المكتوبة بهِ

« وهذا الذي اشرنا اليهِ من الاشكال في التمير والدقة في المنزى لا تكاد تخلو عنهُ صفحة من صفحات هذا المجلد ولذلك اضطُررنا في بيان تلك الغوامض الى الاكثار من عدد الحواشي وزيادة البسط في ايضاحها على قدر ما يسعهُ اسلوبنا في هذه الترجمة بما لم نتوصل اليهِ في المجلدين الآخرين . وهذا احد الاسباب التي اوجبت زيادة الابطآء في ابراز هذا المجلد على طول انتظار الجمهور لهُ وشدة تقاضيهم اياهُ ولكنا على يقين من انهم سيجدون في مطالعة هذه الحواشي من الفائدة والارتياح ما يذهب بآثار ذلك الملل على حين يرون فيها حلاً لجميع المشاكل الواردة في اثنآء الاسفار المشار اليها لا يكاد يتخلف منها شيء مما تهمّ معرفتهُ وتمس الحاجة اليهِ وهي برمتها مأخوذةٌ عن اصح التقاليد الكاثوليكية ومصادر العلم

الكتابي واجدرها بالثقة والركون

« وههنا نطلق عنان القلم بالثنآء على حضرة الفاضل الالمعي الوارث العلم عن غير كلالة نعني بهِ الشيخ ابرهيم ابن الطيب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي العالم اللغويّ المشهور الذي هو فخر لبنان وحجة النصرانية في هذه الاقطار فانا مذ هممنا بهذا العمل لم نزل نشعر من انفسنا بشدة الحاجة الى من نستعين بهِ في امر العربية لِما لم نَسْهُ عنهُ من ان الاجنبي عن هذه اللغة مهما اخذ نفسهُ بمراجعة قواعدها ووعى من محفوظها لا ينبغي لهُ ان يُقدِم على التأليف فيها ما لم يستظهر على سداد قصدهِ بواحدٍ من علمآئها يقيم من عبارتهِ ما انآد عن وجه الصواب ويبدي من مرادهِ ما خفي تحت ظلال الابهام حتى وفقنا الجدّ الى اختيار الفاضل المشار اليهِ من بين اشهر علمآء العربية في هذه الآفاق فعكف على ممالأتنا في هذا العمل الطويل لم يألُنا في تلك السنين كلها دأْبًا ولم يدّخر جهداً في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها وضبطها وترصيفها بحيث افرغها من بلاغة قلمهِ في قوالب جآءت بها صُوَر المعاني ممثلة تمثيلاً وكساها من ديباجة لفظهِ وطراز اسلوبهِ ما زادها حسناً وقبولاً حتى جآءت ولا نخشى في القول مردًّا افضل ترجمة لهذا الكتاب الالهي في العربية تماثلَ في الصحة لفظها ومعناها وتلاقت محاسنها وجدواها والله َ نحمد على الختام متوسلين اليهِ ببركة هذا الكتاب الكريم ان يجعل عملنا فيهِ خالصاً لمجدهِ العظيم وان ينير بهِ البصائر ويُجزل بهِ فوائد النفوس ويجعلهُ مظهراً لبركات روحهِ القدوس بمنهِ وكرمهِ »

فكاهات

رواية

الساعة الرملية [1]

من طباع موسري الافرنج ومترفيهم الولوع بجمع الطُرَف النادرة والاشياء القديمة من ادوات الزينة واللُعَب والتماثيل وغيرها يزينون بها منازلهم ويفتخرون بمقتناها لعزّة وجودها وغلاء اثمانها ولهذه الطُرَف مخازن مخصوصة يقصدها اهل هذا الشأن فيجدون فيها كل غريب من الاشياء المذكورة . وان رجلاً من اغنياء لندن يقال لهُ برترام استفورد من المولعين بهذه الطُرَف كان يمرّ كل يوم على مخزنٍ من المخازن التي اشتهرت بجمع نفائسها فيختار ما يستحسنهُ منها ويؤدي ثمنهُ بالغًا ما بلغ حتى انفق جانبًا كبيرًا من مالهِ في ذلك المخزن . ومرّ من هناك في احد الايام فاستوقفهُ مرأى ساعةٍ رملية قديمة العهد نقية الزجاج فيها رملٌ احمر يسيل من احدى محجتيها الى الاخرى فاستحسنها ولم يملك نفسهُ ان دخل المخزن وساوم صاحبهُ فيها حتى اتفقا على ثمنها فدفعهُ برترام بنفسٍ طيبة وهو مسرورٌ بهذه التحفة الانيقة . وقبل ان يخرج بها قال لهُ البائع لا تعتمد على دِقّة هذه الساعة في تحرير الوقت فانها تقف في بعض الاحيان لان رملها غير

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

متناسب الحجم فينبغي لك ان تهزّها قليلاً فتعود الى مجراها . فقال برترام اني لم اشترِها لمعرفة الوقت ولكن رغبةً في مقتنى هذا الاثر القديم ثم اخذها وخرج

وبعد ما بلغ برترام منزلهُ وتناول طعامهُ دخل غرفتهُ وجعل يقلّب تلك الساعة وقد جلس ووضعها على ركبتهِ وهو يراقب سيلان الرمل فيها وكلما فرغ الرمل من جانب ردّها على الجانب الآخر وهو يعجب من حالتها. وبينا هو يقلّبها وينظر فيها رأى على طرفيها قطعتين من خشب السنديان قد اسودّتا لطول العهد وقد نُقش على احداهما صورة قابين يربطهما شيء اشبه بالثعبان . ومرّت بهِ الساعات وهو يلهو بتلك الآلة الغريبة ولا يشعر بنفسهِ الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل واذا بباب غرفتهِ يُقرَع ففتح فاذا فتًى بملابس الجندية قد دخل عليهِ خفيف الحركة رشيق القوام فحيّا باحترام ولبث واقفاً . فتعجب برترام من دخول ذلك الغريب عليهِ في تلك الساعة بدون تعريفٍ ولا اشعار واشار اليهِ بالجلوس فابى وقال ائذن لي يا مولاي ان اعرّفك بنفسي . انا ملازم اول في الجيش واسمي سنتور وقد اتيت اطلب ساعتي الرملية هذه . فقال برترام اذنك واهاً ايها الصاحب فان هذه الساعة مشتراة بالثمن وان احببت دللتك على الموضع الذي اشتريتها منهُ . قال قد علمت ذلك ايها السيد غير ان الساعة لي ولها تأريخٌ صغير اذا قصصتهُ عليك فلا اشك انك تردها عليَّ وتأخذ مني ثمنها الذي دفعتهُ مع الربح ان احببت . قال برترام لا اقدر ان اجيبك بشيء قبل ان اقف على حقيقة الامر فتفضل اجلس وقصّ عليَّ ما بدا لك . فتقدم الملازم وجلس

على كرسيّ بازآء برترام ثم القى نظراً طويلاً على تلك الساعة وهي على ركبة برترام وتنفس الصعدآء ثم ابتدأ في حديثهِ فقال

كنت في سنة ١٧٠٦ ملازماً في الجيش البريطاني في فرقة القائد تريلوني من قوّاد البطل ملبروك العظيم . فلما كانت الحرب الاسبانيولية التي دامت اربع سنوات واشتهرت وقائعها كانت فرقتنا في برابنت فصدرت لاوامر بأن ننضمّ الى جيش الدوك ملبروك في الجانب الثاني لحضور المعركة التي ستكون الحد الفاصل بيننا وبين الفرنسيس . فقمنا من برابنت مسرعين وكنا نمرّ على المدن فاذا وجدنا في طريقنا حصوناً دككناها او جيوشاً فرّقناها او قوةً للعدوّ ابدناها عملاً باوامر القائد تريلوني . ولما بلغنا مدينة ألسنكور استولينا عليها بدون اراقة دم لان حامية المدينة كانت قد تركتها وتحصنت في قلعةٍ منيعة جدًّا فقصدنا القلعة وهاجمناها مراراً وكنا كل مرةٍ نرتدّ عنها خاسرين فبلغ الغيظ من القائد وامر ان لا نبرح تلك المدينة حتى نهدم القلعة . وكان العسكر قد اعياهُ المسير فتفرّق حيناً للراحة ريثما يكون القائد قد روأ في امر القلعة واتخاذ الطرق التي تمكننا من الاستيلآء عليها . اما انا فتوجهت الى فندقٍ هناك لتناول الطعام ولما جلست على المائدة كانت بازآئي فتاةٌ انكليزية بديعة الجمال لم تكد تقع عيني عليها حتى اخذت بمجامع لبي وبعد ان فاتحتها الحديث علمت ان اسمها مرغريت وانها سائحة في تلك النواحي وراجعةٌ الى وطنها بعد قليل . فاغتنمت مدة بقآئنا هناك واكتريت لي غرفةً في الفندق وكنت اقضي اكثر اوقات الفراغ معها في الحديث الى ان تمكن الحب بيننا وفي اثنآء ذلك اهدت لي

مرغريت هذه الساعة التي على ركبتك الآن لتكون تذكاراً لها عندي فنقشت عليها رسم قلبين يشبك بينهما الحرفان الاولان من اسمها واسمي

وكنا لما قصدنا تلك الارض لم نستصحب معنا المدافع الضخمة فتعذّر علينا التغلب على القلعة بدونها وارسل القائد تريلوني الى الدوك ملبروك يعلمهُ بما اوجب تأخرهُ ويسألهُ الامداد ففرحت بهذا التأخير فرحاً عظيماً لانهُ كان سبباً في اطالة مدة اجتماعي بمرغريت فلم اكن افارقها الا عند قضاء واجب مهمّ . وبعد يومين من اقامتنا بالبلدة بينا كانت مرغريت في غرفتي ونحن نتحادث سمعت وقع خطواتٍ فعرفت للحال انهُ قائدي آتياً اليَّ في شغل فخرجت مرغريت ثم دخل القائد بوجهٍ منقبض تلوح عليهِ علائم التفكر والاهتمام وبعد ان جلس قال لي اني قد صممت على فتح القلعة في هذه الليلة فهل يمكنني ان اعتمد عليك في امرٍ مهمّ . قلت لبيك فرني بما تشاء . قال أحضِر خمسة وعشرين من رجالك وأبقِهم هنا سرًّا وبعد ساعةٍ توجه بهم الى القلعة واهجم على بابها الغربي حتى تنجذب الحامية كلها الى ناحيتكم وحاولوا ان تشغلوهم هناك ريثما اكون انا قد هجمت من الناحية الشرقية وفتحت القلعة واذا تمكن احدكم من دخول القلعة لم أُغفِل ترقيتهُ ومكافأتهُ . ثم قال الآن الساعة التاسعة فاذا سرتم الساعة العاشرة بلغتم باب القلعة بعدها بنصف ساعة فاكثروا من الجلبة عند وصولكم ليخال القوم ان كل قوتنا هناك فلا يبقى احدٌ في الجهة التي انوي مهاجمتها فهل عندك ساعة . قلت ليس عندي سوى هذه الساعة الرملية . قال حسنٌ فدعها تجري وفي تمام الساعة سِرْ برجالك كما امرتك واياك الخلاف ثم خرج وهو

يحرّضني • فبادرت وجمعت رجالي واقمت انتظر حلول الوقت وانتهاء سقوط الرمل وفيما انا كذلك اذا بمرغريت قد عادت فغصنا في حديث الحب وانا اراقب الساعة حيناً بعد حين فارى الرمل لا يزال كثيراً في قسمها العلوي فاعود الى الحديث ناعم البال • ولما طال الوقت كثيراً ورأيت ان الرمل لا يتناقص دنوت من الساعة وتأملتها فاذا هي واقفة فكأن صاعقةً هبطت عليّ ووقفت لا ادري ما اصنع • وادركت مرغريت ما انا فيهِ من الاضطراب فقالت قد نسيت ان اخبرك ان الساعة تقف احياناً فينبغي ان تهزّ حتى تعود الى جريها • فلما سمعت صوتها تنبهت من ذهولي وطرت كلمح البصر الى حيث الرجال بانتظاري وسرت امامهم وانا كمن فقد الشعور وكان لمعان بارود المدافع ينير طريقنا في ذلك الظلام • غير انا لم نسر الا قليلاً حتى التقيت بالقائد تريلوني وقد صُبغ وجههُ بسواد الدخان وتغطت ثيابهُ بالغبار فلما وقعت عيني عليهِ شعرت بدنوّ الاجل ووقفت كمن لا حراك بهِ • فقابلني بتمام الرزانة وقال ايها الملازم اصرف جنودك الى اماكنهم فامرتهم فانصرفوا ثم قال انك من هذه الدقيقة موقوف فاذهب الى غرفتك وانتظر قدومي

ولما كنت عارفاً باخلاق قائدي لم ابدِ اقلّ معارضة فحنيت رأسي خاضعاً ورجعت الى غرفتي ولما دخلتها نظرت الى الساعة فوجدت الرمل قد عاد يتساقط كالاول • ولم تمضِ دقائق قليلة حتى وفد عليّ القائد وبصحبتهِ ضابط واربعة من الجند وكانت علامات الغضب والهياج مرتسمةً على وجههِ مع انهُ كان يجتهد في تسكين غيظهِ على ما هي عادتهُ

في مثل تلك الحال . ثم حدّق بنظرهِ اليّ وقال ايها الملازم ستتور لما ذا لم تطع الاوامر . قلت يا مولاي اني كنت متكلاً على الساعة الرملية فتوقف جريها ولم انتبه لذلك الا بعد فوات الوقت . فحوّل القائد وجههُ الى الساعة كمن ارتاب في صدق قولي ثم فحصها قليلاً وردّها الى مكانها فاخذت تجري كعادتها . فالتفت اليّ وقال هاتِ سيفك فنزعتهُ وسلمتهُ اليهِ . ثم قال للضابط اني قد حكمت عليهِ بالموت واعطيتهُ مهلة ساعة واحدة يودع فيها دنياهُ ويكتب وصيتهُ فمتى تمت الساعة وسقطت آخر حبةٍ من الرمل فاطلقوا عليهِ النار ليموت موت الخائن الجبان . ثم خرج وبقيت وحدي انتظر لقآء منيتي فجلست في ناحيةٍ من الغرفة اراقب سقوط الرمل الا انهُ قبل انتهآء الساعة توقف كعادتهِ ورأى الضابط ذلك فهمّ بتحريك الزجاجة فصحت بهِ قف مكانك ولا تدنُ من الساعة فانك لم تؤمر بهذا . وكان الضابط معتاداً الطاعة الجندية فوقف لا يبدي حراكاً وشمرت بانتماش في قواي فامرتهُ ان يرسل احد رجالهِ الى القائد يعلمهُ بما حصل وينظر بما ذا يصدر امرهُ . فغاب الجندي نحو نصف ساعةٍ ثم عاد وعاد القائد معهُ ولما دخل توجه توًّا الى الساعة وكانت لا تزال واقفةً فوقف هنيهةً ثم اخذها بيدهِ ينظر فيها ورايت في وجههِ ما جرّأني على الكلام فقلت هذا يا مولاي نفس ما وقع لي اولاً وعاقني عن انفاذ اوامرك . فتبسم ثم نظر اليّ وقال اني قد عفوت عنك وهذا سيفك اعيدهُ اليك فاستعملهُ في خدمة الحكومة حيًّا ثم صرف الضابط وجماعتهُ وخرج

وبعد ما انصرف وخلوت بنفسي اخذت افكّر في فعلٍ اعوّض بهِ

وقف برترام متأثراً متهيجاً وقال اجل اني لا اضنّ عليك بهِ . ولكنهُ عند قيامهِ سقطت الساعة الى الارض فتحطمت كِسَراً ولو أن خنجراً اخترق احشاء ستور لكان اسهل عليهِ من مرأى قطع الزجاج المتكسر والرمل المنتشر على الارض فجثا امام تلك الكسر وتنفس الصعداء ثم تدفقت عبراتهُ . ووقف برترام كالصنم يفكر فيما جرى ثم انهض ستور واجلسهُ على كرسيهِ وقال لا بأس يا ستور فسأعوّض عليك بما هو اثمن من الساعة فانتظرني هنا . ثم دخل الى غرفةٍ ثانية فما غاب الا قليلاً حتى عاد وعلى ذراعهِ فتاةٌ بثياب النوم فلم يكد نظر ستور يقع عليها حتى صاح مرغريت وسقط الى الارض

وكانت مرغريت اخت برترام وكانت بعد ما حدثت تلك الحوادث في السنكور ظنت ان حبيبها قد قُتل فهجرت الدنيا وملذاتها وعادت الى بيت اخيها تقضي بقية حياتها في الزهد والصلاة . وطلب كثيرون الاقتران بها فامتنعت ولما تكرر ذلك منها سألها اخوها عن سبب امتناعها فاخبرتهُ بخبر ستور وانها عزمت ان لا تقبل احداً بعدهُ . فلما سمع برترام حديث ستور لم يشك انهُ هو خطيب اختهِ ولما انكسرت الساعة تذبه فذهب وايقظها من نومها فاجتمع الحبيبان بعد ذلك الفراق الطويل ثم اقترن ستور بمرغريت وعاشا بقية ايامهما سعيدين يتمتعان بصفو الحياة على قدر ما يسمح لهما الدهر بالصفاء

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون دارَكَ الخلل والفساد اي تلافاهُ وانما يقال في هذا المعنى تدارَكَ لا دارَكَ لان المداركة في اللغة بمعنى المتابعة يقال دارك عليهِ الضرب اذا تابعهُ وجعل بعضهُ يلي بعضاً فهو على عكس مقصودهم كما ترى

ويقولون هؤلاء قومٌ أغراب يريدون جمع غريب وهذا الجمع غير مسموع في هذا الحرف والصواب غرباء لان جمع فعيل على افعال من الجموع السماعية فلا يتعدى المنقول عنهم

ويقولون عوَّدتهُ على الامر وتعوَّد عليهِ واعتاد عليهِ والصواب حذف الجارّ في الكل لان هذا الحرف يتعدى بنفسهِ

ويقولون طال المطال على هذا الامر اي طال العهد عليهِ مثلاً ويقرأون المطال بفتح الميم ذهاباً الى انهُ مفعَل من طال على ما يوهم ظاهر اللفظ ولا معنى لهذا التركيب وانما هو عند من نُقلت عنهُ هذه العبارة المِطال بكسر الميم مصدر ماطلهُ مثل القتال من قاتلهُ والمعنى ظاهر

ويقولون فتَّش على الشيء فيعدّونهُ بعلى والصواب تعديتهُ بعن مثل بحث وفحص

ويقولون هذا الامر في غاية الوضاحة والصراحة يعنون بالوضاحة الوضوح وهو غير مسموعٍ في النقل ولا وجه لهُ في القياس لان الفعل من باب ضرب

ويقولون واروا الميت التراب اي واروهُ في التراب فيحذفون الحرف ويبقون التراب مفعولاً فيهِ وهو خطأٌ لان التراب من اسماء المكان المختصة فلا يصلح للظرفية . وقد ورد مثل هذا للحريري في مقامتهِ الكوفية وهو قولهُ وخلّدوها بطون الاوراق وكأن الذي سوّل لهُ صحة هذا التركيب ما جاء في سورة يوسف من قوله اطرحوهُ ارضاً وهذا فضلاً عن كونهِ من التراكيب التي لا يقاس عليها فانما سهّل هذا الاستعمال فيهِ تنكير الارض وتجريدها من الوصف كما قالهُ الزمخشري فنُصبت نصب الظروف المبهمة وقيل انها مفعول ثانٍ لاطرحوهُ على تأويلهِ بمعنى أَنزلوهُ وكلاهما على ما فيهِ لا يصح في عبارة الحريري

ويقولون هو يؤانس من فلان ميلاً اليهِ اي يشعر منهُ بميل فيأتون بالفعل من صيغة فاعَل على ما يوهم لفظ ماضيهِ لانهُ بعد الاعلال يصير آنس بالمدّ وانما هو أفعل لا فاعَل لان اصلهُ أأنس بهمزتين والصواب في مضارعهِ يؤنس مثال يكرم

ويقولون ليس زيدٌ ليفعل كذا فيأتون باللام في خبر ليس على انها لام الجحود مثلها في قولك لم يكن ليفعل كذا وهو خطأٌ لان هذه اللام لا تدخل الا في خبر كان المنفية كما هو مقرر في كتب النحاة

ويقولون تمّ بينهما عقد الزيجة يعنون الزواج ولم يُحكَ وزن فِعلة من هذه المادّة وانما هي من الالفاظ العامية

ويقولون زُفَّ فلانٌ على فلانة — هكذا معدًّى بعلى — فيعكسون الاستعمال لانهُ يقال زفّ العروس الى بعلها اي اهداها اليهِ ولا يقال زفّ

الرجل الى المرأة الا ان يكون هذا من مقتضيات هذا العصر الذي استوقت جمالهُ واصبح ونسآؤهُ رجالهُ حتى رأينا الرجل يأخذ المهر ورأينا المرأة تتطالّ الى النهي والامر والامر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقولون انظر ان كان زيدٌ في دارهِ وسلهُ اذا كان الامر كذا فيأتون بان واذا في هذا الموضع وهو من التعريب الحرفي عن الافرنجية وكأن الذي استدرجهم الى ذلك ما يُرى في الكلام الفصيح من نحو قولنا افعل هذا ان استطعت وشتان ما بين الصيغتين وان تشابهتا في بادي الرأي لان قولنا افعل هذا هو في معنى الجواب لإن فالعبارة على تأويل ان استطعت فافعل وهذا بعيد في نحو المثالين المذكورين لانهما ليسا على معنى ان كان زيدٌ في دارهِ فانظر واذا كان الامر كذا فسلهُ والصواب ان تُبدَل اداة الشرط في مثل هذا بهل تقول انظر هل هو في دارهِ وسلهُ هل الامر كذا وقس على ذلك ما اشبههُ

ويقولون هذا الامر يجملني ان افعل كذا اي يحملني على فعلهِ فيزيدون أن على ثاني مفعولي جمل ولا وجه لزيادتها لتعذّر السبك بالمصدر والصواب يجملني أفعل . وقد ورد من هذا قول ابن عبد الظاهر

ما خلتُ من قبلهِ سبحان خالقهِ　　قُضبَ الزمرُّد ان يحملنَ بلُّورا

ويقولون اصبح الصباح وامسى المسآء . ولا معنى لهذا التركيب لان معنى اصبح دخل في الصباح ومثلهُ امسى اي دخل في المسآء . ولا معنى لدخول الصباح في الصباح او المسآء في المسآء . وانما يقال ذلك بالنسبة الى الانسان مثلاً تقول سهر حتى اصبح ودخل الدار حين امسى ونحو ذلك

ويقولون بعث برسولٍ الى فلان وبعث اليهِ هديةً وكلاهما خلاف الصواب لان ما ينبعث بنفسهِ كالرسول تقول بعثتهُ وما ينبعث بغيرهِ كالهدية والكتاب تقول بعثت بهِ فتعدّي الفعل الى الاول بنفسهِ والى الثاني بالباء

ويقولون هو في رفاهٍ من العيش ولم يُنقل عنهم لفظ الرفاه وانما يقال رفاهة ورفاهية بتخفيف الياء

ويقولون استحسّ بالامر اي شعر بهِ أو استشعرهُ ولم يرد استحسّ في شيء من كلامهم ولكن يقال احسّ الامر واحسّ بهِ وقد يقال حسّ بصيغة المجرد والاولى افصح

ومثلهُ قولهم ذهب يستفحص عن كذا اي يفحص عنهُ وهذا ايضاً غير منقول

ويقولون رضخ لهُ اي اذعن وانقاد ولم يرد رضخ في شيء من هذا المعنى وانما الرضخ كسر الشيء اليابس يقال رضخ الجوزة ورضخ رأس الحية ويقال رضخ لهُ من مالهِ اذا اعطاهُ عطاءً يسيراً

ويقولون رجلٌ جَلُود اي صاحب جَلَد يأتون بهِ على وزن فعُول وكذا رجلٌ شفُوق ورَحوم ونَصوح وكل ذلك خطأ والصواب جليد وشفيق ورحيم ونصيح

ويقولون اسداهُ الشكر على صنيعتهِ — كذا بتعدية الفعل الى اثنين — اي قضاهُ حقّ شكرها ولا يستعمل الاسداء بهذا المعنى وانما يقال اسدى اليهِ معروفاً اي صنعهُ وقد يقال أسدى اليهِ فقط وفي الحديث من اسدى اليكم معروفاً فكافئوهُ　　(ستأتي البقية)

اريج الخليج

او

تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

القسطنطينية وتُسمَّى الآستانة هي مدينة عرش السلطنة العثمانية ودار الخلافة الكبرى الاسلامية وبلد المفاخر والجلال ومحطّ رحال الاماني والآمال ومجمع البحرين وملتقى القارتين بل هي نهاية ما نمقتهُ يد الطبيعة وغاية ما اجادتهُ من المحاسن البديعة

دخلت بنا السفينة اليها في جدول من بحر الروم يسمى بحر مرمرا تحسبهُ قسماً من النيل او الفرات وقد جرت فيهِ نحو عشر ساعات جرياً حثيثاً حتى استقبلنا جبلٌ هو آخر جبال آسيا او اوّلها (وهو خلكيدونيا القديمة المسمى اليوم قاضي كوى) كأنهُ يرحّب بقدومنا وقد قامت عليهِ الدور والقصور الفخيمة والمباني العظيمة والاشجار الباسقة واكثرها شجر السرو . فخرت السفينة نحو الشمال وجرت متقدمة في الخليج (البسفور) وهو الجدول المنحدر من البحر الاسود لينصبّ او ليختلط بحر مرمرا . فمن اليمين كنا نرى جبال آسيا عامرةً بالمنازل والقصور والبساتين والاودية النضرة ومن الشمال جبال اوربا حافلةً قممها واوديتها بالجواسق الفخيمة والمغاني العظيمة والمباني الانيقة والجنّات والرياض والعيون والحياض . ثم عطفت السفينة بالقرب من قصر طولمه بغجه وعادت تقصد مرساها على مَهَلٍ ولم يكن تقدُّمها في الخليج الا حذراً من تيّار الماء المنصبّ عند قرن الذهب من

الخليج نفسه فامست آسيا عن شمالنا واوربا عن يميننا. ثم القت المراسي ونزلنا البرّ بين ضجيج المراكب وعجيج المخلوقات وعناق المسلّمين وجلبة الحمالين حتى دخلنا دار المكس. وعند دخولي اليها وقبل خروجي منها عاين جواز سفري (الباسپورط) مأمورون مخصوصون بغاية الدقة ومسئلة الجواز لها شأن مهمّ في القسطنطينية وسائر بلاد السواحل من المملكة العثمانية

اما ميناء القسطنطينية فأمين وهو اجمل موانى الدنيا يدخلهُ ويخرج منهُ كل يوم من السفن البخارية والشراعية ما ينيف على الخمسين سفينة وبهِ مرصف قد تمّ بنيانهُ منذ سنتين واقع في محلة غلطه من قسم بيك اوغلي الذي سيأتي ذكرهُ ويبلغ طولهُ الفي متر او اكثر

وتجارة القسطنطينية واسعة يصدر عنها الافيون ويُرسل الى لندن والطنافس والبسط العتيقة او المعتّقة والقسم الاكبر منها يرسل الى اميركا والحلوآء المعروفة براحة الحلقوم ويرسل منها الى اكثر عواصم اوربا والسلع الفرنجية من خزفية وبلورية وجلدية ومعدنية وورقية وحريرية وصوفية وقطنية والاطياب ويرسل من هذه كلها الى سائر بلاد الدولة العثمانية. واما الواردات اليها فالدقيق والسمن والبترول وكثير من البقول من روسيا والطنافس والبسط والحرير والافيون والتنباك من ايران والخشبان والقمح من رومانيا واكثر الحديد من بلجيكا والغزل وبعض الحديد والخام من انكلترا والبلور والزجاج والورق والطربوش والسكر من النمسا والبن من موانى فرنسا مع السكر والقرمز وشمع الشحم والجلد وكثير من المصنوعات الحديدية والخزفية وسائر المعادن والمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية

وبعض الجبن والسمن من سويسرا والنيلة من الهند . وتأتيها من المانيا السلع المتنوعة الرخيصة من المنسوجات والمعادن ولها سوق نافقة فيها وفي سائر بلاد السلطنة والمشهور ان اكثرها مطليّ بالمذوّبات الكيماوية من المعادن البرّاقة متقن البرقشة الاّ انهُ ليس على شيء من الثبات والمتانة ومثل ذلك منسوجاتها فان اكثرها قطنية مغشوشة الالوان سريعة العطب . وعندي ان هذا لا يختص بالبضائع الالمانية وحدها بل يشمل سائر المصنوعات التي تصل الينا من اوربا اذ تصنعها معاملها مخصصةً لاسواق المشرقين الاقصى والادنى الاّ النادر الجيّد . وهنا مجال واسع لانهاض الهمم الشرقية وايقاظها من سباتها الطويل الذي هو بالموت اشبه منهُ بالنوم فلا تكفي المسابقة الى استجلاب البضائع من البلاد الاجنبية والتفنن والاحتيال في طرق بيعها والهمة والاسراع في تقديم القيم والاحالة بها فهو عمل خاسر وبينما يربح التاجر الفرد من ذلك درهماً فهو يخسّر البلاد الفاً والصناعات هي الروح التي تحيي جسم البلاد فاذا لم تجرِ هذه الروح في عروق المملكة ساءت العقبى والمعاذ بالله

ويُستجلب اليها من الروملّي وبعض الاناضول الحطب والفحم والدقيق والغنم والماعز والبقر وكثير من البقول والفواكه والافيون ومن حلب السمن والبرغل والفستق وبعض المنسوجات الحريرية والغزلية والغنم ومن الشام بعض المنسوجات الشامية ومن كثير من بلاد الدولة العلية غير ذلك . وفي هذا المقام اقول انهُ مما يستحق التفات وعناية الحكومة عندنا رفع المكوس عن جميع ما يصدر عن بلاد الدولة العلية الى القسطنطينية وعمّا

يصدر عن هذه الى سائر بلاد المملكة من الحاصلات الزراعية والحيوانية وغيرها والتافه من المصنوعات لان غنى الممالك بغنى الاهلين فليس الربح ان ننقل من الجيب الايمن الى الجيب الايسر بل الربح ان نستورد الثروة من معادنها الاجنبية وان نتمكن من تسهيل طرق تجارة المملكة وتيسير امورها واسعاف ارباب الصنائع بكلّ ما هو في الامكان والتنافس في مصنوعات ابنآئها والتضييق بقدر الطاقة على المصنوعات الاجنبية لكيما تزيد دخلها على خرجها وهذا هو الغرض المهمّ من تدريس علم الاقتصاد في جميع مدارس اوربا المالية

اما هوآء القسطنطينية فمعتدل ويكثر تساقط الثلج فيها في الشتآء الاّ انهُ يذوب لرطوبة هوآئها واسباب العيش فيها رخيصة والمآء فيها كثير واكثرهُ يجري في قنواتٍ حديدية من بحيرة يتجمع مآؤها من عيون عذبة وهي تبعد عن بيك اوغلي نحو ست ساعات وتسمى بحيرة تيركوس . اما مآء الشرب فاكثرهُ يستجاب من عيون في ضواحيها ومن اشهرها عيون بيوك دره (قرية الوادي الكبير) وهو عذبٌ خفيف نقيّ ولا يمكن الحصول على هذه المياه الاّ شرآء وذلك في مقابلة اجرة نقلها

وبيوت القسطنطينية كلّها الا القليل من الخشب ولذلك تكثر فيها الحرائق فلا يمرّ يومٌ لا تسمع فيهِ خبر حريق في حارة من حاراتها وقد اخذوا منذ مدة يبنون المنازل الكبيرة وغيرها من قسم بيك اوغلي بالقرميد المصنوع اكثرهُ فيها غير ان هذه المنازل نادرة والاعمّ انهم يبنون جهة المنزل التي على الشارع بالقرميد المذكور ثم يطلونها بالجبس مخلوطاً بدقيق التراب وغيرهِ

ينقشونهُ ويدهنونهُ بلون الحجر او المرمر حتى لا يختلف عنهُ منظراً او ملمساً ثم يتمون بنآء سائر الجهات بالخشب . ومع كثرة وقوع الحريق في هذه المدينة فلا يعدل الاهلون عن البنآء بالخشب لرخص اثمانه وسرعة بنآء البيوت والحوانيت منهُ . ومما يشجعهم على ذلك شركات الاستهاد (السيكورتاه) فانهم يستهدون هذه الشركات من منازلهم ودكاكينهم وسائر املاكهم واموالهم بقيمة تزيد على ثمنها الاصلي وذلك بمبلغ معين يؤدّونهُ اليها سنوياً او اقساطاً وعند احتراق شيء منها يقبضون من الشركة القيمة المتفق بينهم وبينها عليها

والدور في بيك اوغلي لا تتجاوز السبع طبقات ولا تنقص عن الاربع الا في القليل واما في استنبول فلا تتجاوز الاربع وفي سائر اقسام القسطنطينية كذلك . وكرآء المساكن بها ليس بالغالي الاّ ما كان منها على الجوادّ والشوارع الكبيرة من بيك اوغلي فقد يتجاوز كرآء الدار المشتملة على سبعة مخادع مئتي ليرة وما عدا ذلك فلا يتجاوز الخمسين ومثل ذلك الدكاكين والمخازن

والمطاعم في القسطنطينية كثيرة لكثرة السكان من الاهلين والغربآء وبعد المسافات . والعربات فيها كثيرة والاجرة بتحديد الدوائر البلدية فيها سبعة غروش ونصف على كل ساعة غير انّ الحوذيين المشهورين في كل انحآء الدنيا ـ بحسن الاحدوثة والذكر الطيب ... ـ يتعدّون الحدّ كلما سنحت الفرصة واحسّوا بنعومة الملمس . وعربات النقل بها تجرّها الجواميس الطويلة القرون وهي تجر اثقالاً عظيمة

وفي القسطنطينية معملٌ للنور البخاريّ (الغاز) ممتدة قنواتهُ لانارة

اكثر شوارعها وفنادقها ودور القهوة فيها وبعض المنازل والدكاكين . وفيها معمل للجعة (البيرة) ومعمل للطربوش للعساكر السلطانية وفي ضواحيها معمل هركه السلطاني المشهور بصنع النسائج الحريرية الفاخرة والبسط البديعة

(ستأتي البقية)

مسلة كليوبطرا

هي المسلة التي نُقلت من عهدٍ غير بعيد من الاسكندرية الى لندرا وقد وقفنا لها في احدى المجلات الانكليزية على تاريخٍ لطيف لعل اكثر اهل هذا القطر لا يعلمون منهُ الا القليل فاحببنا نقلهُ للقرّاء لما فيهِ من الفكاهة والفائدة التأريخية

اما تاريخ هذا الاثر فهو من عهد الملك تحوتمس الثالث احد مشاهير ملوك مصر في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهما مسلّتان امر هذا الملك بقطعهما من مقطع اصوان لينصبهما بازآء العمودين اللذين اقامهما رعمسيس امام هيكل الشمس في هليوبوليس (المطرية) . وكلٌّ من هاتين المسلتين قطعةٌ واحدة من الحجر المعروف بالغرانيت ولا يزال الى اليوم في المقطع المذكور عمودٌ آخر كان قد شُرع في قطعهِ ثم تُرك لاسبابٍ مجهولة . وقد بقي هناك من ادلة الصناعة والرسوم الاثرية ما يُعلم منهُ كيف كانوا يقطعون امثال هذه الحجارة وينقلونها . وذلك انهم كانوا يخططون في الصخر رسم العمود ثم ينقرون نُقَرًا على طول الرسم ويرزُّون في تلك النُقَر قِطعاً من الخشب ثم يسقون تلك الاخشاب الماء فاذا تشربتهُ انتفشت فانفلق الصخر

وانفصل العمود قطعةً واحدة فيأخذون في نحته وتسويته . ومتى تم نحتهُ ونقشهُ وارادوا نقلهُ يسلكون تحتهُ جذوع النخل حتى تكون بمنزلة عجل يدحرجونها تحتهُ فينتقل عليها حتى ينتهوا بهِ الى ضفة النيل فاذا كان اوان هبوط النيل انزلوهُ الى المآء على رَمَث (خشب يُضم بعضهُ الى بعض ويُركَب في البحر) يبنونهُ لهُ ويتركوهُ هناك حتى اذا ارتفع مآء النيل زمان الفيض حمل الرَمَث وما عليهِ فساقوهُ الى المكان المقصود . وقد نُقل العمودان المشار اليهما على هذا الاسلوب حتى وصلا الى هليوبوليس ومن هناك رفعوهما على عربتين كبيرتين قد صُنعتا من خشب النخل وغيره وصبوا تحت عجلاتهما الزيت تسهيلاً لجريهما وجرّوا العربتين بالحبال الى ان بلغوا بهما المكان المعدّ لنصبهما فرفعوهما على قواعد متينة البنيان محكمة الوضع وقد بقيتا قائمتين في ذلك الموضع ما ينيف على اربعة عشر قرناً

ولما كانت سنة ٢٣ قبل الميلاد امر اوغسطس قيصر بنقل هاتين المسلتين من هليوبوليس الى الاسكندرية ليزين بهما مدخل قصره هناك وسماها الناس مسلتي كليوبطرا تبعاً لنسبة القصر لانهُ كان من بنآئها ولبثتا في الاسكندرية الفاً وخمس مئة سنة حتى انهدم القصر وعفت آثارهُ وهما قائمتان في عنان السمآء صابرتان على مرّ الحدثان الى ان جرفت الامواج ما يليهما من الساحل وانكشفت قاعدة احداهما وهي التي نحن في ذكرها فاستمرّت الامواج تضربها مدة ثلاث مئة سنة حتى خارت قاعدتها فسقطت الى الارض ولكنها لم تُصَب بضرر

وفي سنة ١٨٠١ حدثت موقعة بحرية بين الانكليز والفرنسيس في

ميناء الاسكندرية كان الفوز فيها للانكليز فارتأى عسكرهم ان ينقلوا تلك المسلة الى انكلترا وينصبوها تذكاراً لتلك الموقعة فجمعوا بالاكتتاب مبلغ سبعة آلاف جناي وهمّوا بنقلها على احدى سفن الفرنسيس التي غنموها ولما شرعوا في العمل هاج البحر هياجاً شديداً وجرف البناء الذي كانوا قد وطدوهُ لها فذهبت اتعابهم ادراج الرياح ثم وافتهم الاوامر بالسفر فتركوها وانصرفوا

ولما رقي الملك جرج الرابع سرير انكلترا وكان ذلك لعهد محمد علي باشا في مصر عرض عليهِ محمد علي نقل المسلة الى بلادهِ فامتنع من ذلك لاسباب وقام بعدهُ وليم الرابع فأعاد عليهِ الامر نفسهُ وزاد عليهِ انهُ هو يسيّرها اليهِ على نفقتهِ الخاصة فابى ايضاً . وبعد وفاة محمد علي باشا عاد الانكليز الى حديث المسلة وعُرض امرها في مجلس العموم فنهم من قال بوجوب نقلها ومنهم من خاف ان يدركها عطبٌ في الطريق فخالف وبقي الامر كذلك بين رغبة اقوام في اجتلابها واعتراض آخرين الى ان ابتاع الارض التي هي فيها تاجرٌ يوناني واحبّ التخلص منها فكتب سعيد باشا الى انكلترا يلح عليهم بالتعجيل في نقل المسلة والاّ فاتهم آخر الدهر. واتفق سنة ١٨٦٧ أن كان السير جمس الكسندر في باريز ورأى المسلة التي اهداها محمد علي للفرنسيس[1] وهي المنصوبة في الموضع المسمى بساحة الكنكرد فأعجب

(١) هي من مسالّ الأُقصر وقد كانت احدى مسلتين نصبهما رعمسيس الثالث على مدخل قصرهِ في القرن السادس عشر قبل الميلاد . وهبها محمد علي باشا للحكومة الفرنسوية سنة ١٨٢٨ وكان نقلها الى باريز على مايقرب مما فعلهُ الانكليز في نقل مسلة كليو بطرا

بها ولم يلبث ان ارتحل الى مصر فقابل اسمعيل باشا الخديوي الاسبق واتفق معهُ على اخذها ثم شرع يسعى في جمع مالٍ لنقلها فاستمرَّ على ذلك مدة عشر سنوات

ولما كانت سنة ١٨٧٧ شُرع في العمل وتولى امر نقلها مهندسٌ بارع يقال لهُ دكسن على اجر عشرة آلاف جناي . فعمل لها اطواقاً من حديد طوَّقها بها من الطرف الواحد الى الآخر ثم غلَّفها من جميع نواحيها بغلافٍ من اخشاب متينة حتى صارت اشبه بسفينةٍ تستقلُّ بنفسها على ظهر الماء واستغرق تطويقها وتغليفها بالخشب مدة ثلاثة اشهر ونصف . ولم يكن مرفأ الاسكندرية اذ ذاك صالحاً لان تدنو السفن من البرّ فبقيت المراكب بعيدة ومُدَّت منها سلاسل حديدية جرّوا بها المسلة بقوّة البخار حتى أُنزلت الى البحر فعامت على وجه الماء ثم ركّبوا عليها صارياً وسكّاناً (دفة) وجهزوها بسائر ما تُجهَّز بهِ السفن وشدّوها الى مؤخر سفينةٍ تسمى اولغا فسافرت بها من الاسكندرية في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٧ . واستمرت في سفرها مدة عشرين يوماً تقطع في الساعة خمس عُقَدٍ حتى بلغت بحر بسكاي وهناك ثارت عليها العواصف وجاش البحر جيشاناً عظيماً فانكسر الصاري الذي عليها وخشي ربان الباخرة ان يلحق بباخرته ضرر فقطع الحبال بينهُ وبين المسلة . ولما هدأ البحر استغاث بحارتها بالباخرة فتطوّع خمسةٌ من رجالها

وقد ابتدأت حركة النقل منذ سنة ١٨٣١ فبلغوا بها مدينة رشيد في اواخر سنة ١٨٣٢ ثم سير بها الى فرنسا في اول ابريل من سنة ١٨٣٣ ووصلت الى باريز في اواخر السنة المذكورة . وهي قطعةٌ واحدة يبلغ طولها نحوًا من ٢٤ مترًا وعليها اثر صاعقةٍ لا يزال ظاهرًا على اثنين من اوجهها الى الآن

لاغاثتهم وركبوا قارباً وساروا الى جهة المسلة فما كادوا يقطعون الا مسافةً قليلة حتى جرفتهم الامواج وحاول ربان اولفا ان يسود فيقتاد المسلة فاعياهُ الامر فتركها في مكانها وتوجه الى فلموث . ولبثت المسلة هائمة في عُرض البحر حتى انتهت بعد ستين يوماً الى نواحي اسبانيا على بعد تسعين ميلاً من شمالي فِرّول ومرَّت بها احدى البواخر فاقتادتها الى ميناء فيكو من اسبانيا فلبثت هناك مدة ثلاثة اشهر حتى ارسلت حكومة الانكليز من احضرها فوصلت الى انكلترا في ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ ونُصبت في لندن على احدى ضفَّتي نهر التمس . انتهى ببعض تصرف

مُتَفَرِّقَاتٌ

الدغدغة — هي كما عرّفها بعضهم تجميشٌ في مواضع من البدن كالابط واخمص القدم يهيج لهُ الضحك والعامة تسميها الزكزكة والتجانس بين اللفظين ظاهر . وقد وقفنا على فصل في هذا المعنى لبعض اكابر الاطباء فآثرنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة والتنبيه وهذا محصَّل ما جاء في ذلك الفصل قال

الدغدغة حركةٌ ينشأ عنها انفعالٌ عصبيٌّ يُحدِث في اول الامر لذَّةً الا انهُ اذا أُفرِط فيهِ تضايق صاحبهُ اشدّ التضايق حتى يجد من نفسهِ ما يحملهُ على مدافعتهِ باشدّ قوّتهِ . ولعلّ تتبُّع هذا الانفعال في الانسان يكون من افضل الذرائع للوقوف على مبلغ ما يتحملهُ كل فردٍ من اللذة والألم وتعيين

الحدّ الفاصل الذي ينتهي اليهِ احد هذين الوجدانين ويبتدئ الآخر . وذلك ان الناس مختلفون في احتمال لذّة الدغدغة الى ان تنقلب المًا الا ان هذا الانقلاب من الغايات التي لا بد منها لما يحدث هناك من الاهتزاز الدماغي حتى تتبدَّل طبيعة الامر تبدُّلاً فجآئيًا وتصير اللذة تهيجاً في اقصى مبالغ الشدّة . وقد رُوي عن أُناسٍ من المتقدمين انهم كانوا اذا ارادوا تعذيب المجرمين عذبوهم بالدغدغة المتواصلة في اخامص اقدامهم حتى يموتوا

ولما كان الانفعال بالدغدغة امراً عصبياً كان اشدّ الناس احتمالاً لها ذوي الاجسام السمينة لان العصب فيهم يكون غائصاً في النسيج الشحمي (الدهني) واضعفهم احتمالاً لها الاطفال والنسآء والمهازيل على الاطلاق واصحاب المزاج العصبي حتى ان من هؤلآء من يكاد يأخذهُ الغشي لمجرّد ما تُهوي بيدك الى احد مغابنهِ ولو لم تمسّهُ . الا ان هذا التأثر يضعف كلما تقدم الانسان في السنّ لضعف حسّ العصب مع الكبر اذ قد شوهد كثيرٌ من الشيوخ ممن كانوا شديدي التدغدغ في حدثان ايامهم اصبحوا لا يجدون لهُ اثراً . على ان من الناس من يعتاد هذا الامر عمداً تلذذاً بهِ وارتياحاً اليهِ حتى يروى عن بعض الملوك وغيرهم من ذوي الترف انهم يستخدمون اناساً مخصوصين يدغدغون اخامصهم بريش الطائر فيجدون لذلك لذةً وسروراً

ومن الغريب هنا ان الدغدغة اذا كانت بيد الانسان لنفسهِ لا يشعر منها بما يجدهُ اذا كانت من غيرهِ فالظاهر ان هناك فعلاً كهربآئيًا بين الشخصين فان دورة الكهربآئية تتم على وجوهٍ لم نتوصل الى تمام الوقوف

على سرها حتى الآن

واشدّ مواضع البدن انفعالاً بالدغدغة اكثرها اعصاباً كراحة اليد واخمص الرجل وثغرة النحر والابطين والخاصرتين والمأبضين وهما باطن الركبتين ونواحي السرّة وغير ذلك . والظاهر ان هذا الانفعال يحدث في الجهاز العصبي باسرهِ ولذلك كان صاحبهُ معرَّضاً لعواقب مخيفة لانهُ اذا تواصل مع ما فيهِ من التشنج الدائم لعضل الصدر وما ينشأ عنهُ من شلل الحجاب استوقف الدورة الدموية او ادّى الى الموت اختناقاً اذ الاعراض التي تحدث عنهُ هي نفس ما يحدث عن الضحك المستطيل الذي مات بهِ كريسيفوس على ما في تاريخ اليونان على ان الضحك من ملازمات الدغدغة وكلاهما من الانفعالات العصبية

وقد تقدم ان الدغدغة تؤثر في الطفل ما لا تؤثر في البالغ اذ ليس عندهُ من القوّة في العصب ما يقاوم بهِ هذا الانفعال المنيف ولذلك لابد ان ننبه هنا الى ما يفعلهُ كثيرٌ من الامهات والحواضن من انهنَّ اذا رأينَ في الطفل سكوناً او انقباضاً عمدنَ الى تهييج الضحك فيهِ بالدغدغة وهنَّ يحسبنَ ان هذا الضحك منهُ عن سرور ولا يتنبهنَ لما يصحبهُ من السعال والتشنجات الشديدة كلما اطلنَ عليهِ من ذلك حتى ينقطع ضحكهُ احياناً وتظهر عليهِ علامات الاختناق من زُرقة وجههِ وغيرها فهنَّ بذلك يجهدنَ حسّ اعصابهِ ويعرّضنَ بنيتهُ للضعف والانتهاك ويهيئنهُ لاحوالٍ في مستقبل حياتهِ قد تكون سبباً في تسليط الامراض عليهِ وربما كانت مجلبةً لهلاكهِ

ضوء الشمس — من رأي الأستاذ وُدوار احد علمآء الطبيعة في اميركا ان الذي ترسلهُ الشمس الى الارض ليس ضوء الشمس نفسهُ وانما هو ما في ضوئها من اشعة رتجن يتكيف في هوآء الارض عند اختراقهِ لجوّها لان غير هذه الاشعة لا يمكن ان ينتشر في الخلآء . ولاثبات ذلك عمد الى كرةٍ من الزجاج ففرّغها من الهوآء ثم غلفها بورقٍ اسود وترك في الغلاف ثقبين في جهتين متقابلتين وثقباً ثالثاً بينهما ثم اطلق شعاعاً من النور يمرّ من احد الثقبين الاولين الى الآخر ونظر من الثالث فلم يكد يبصر ذلك الشعاع في وسط الكرة ولما نفذ من الثقب الآخر لم يبقَ الاّ على $\frac{1}{2}$ من قوّتهِ بحيث استنتج انهُ لوكان الفراغ في الكرة تاماً لكان الشعاع انطفأ من اصلهِ . ثم اعاد الامتحان نفسهُ بشعاعٍ من انبوبة من انابيب كروك [1] فنفذ الشعاع كما دخل ولم يفقد من قوّتهِ الا ما لا يكاد يُشعر بهِ

قلنا ولا يخفى ان ثمرة هذه الامتحان اثبات ان الاشعة المادّية اذا وصلت الى الفراغ انطفأت فلم ينفذ منها شيء وبخلافها اشعة رتجن فانها تمرّ في الفراغ وتنفذ منهُ من غير ان تفقد شيئاً من قوّتها . وهذا ما اشكل على اصحاب التقرير الفلكي الذي يصدر من جمعية الهيئة في باريز وقد نُقل فيهِ امر هذا الامتحان ثم عُقّب عليهِ بما تعريبهُ « انا لم نفهم قيمة هذا الامتحان كما ينبغي فانهُ حيث لا يوجد شيء فالضوء لا يمكن ان ينير شيئاً وبالتالي فانهُ يلبث غير منظور » ...

---

(١) راجع صفحة ١٢ وما يليها من البيان

تضاريس القشرة الارضية ـ نشر المسيو وغنر من مشاهير جغرافيي الالمان فصلاً في احدى الجرائد قسم فيهِ القشرة الارضية الى خمسة اقسام. اولها الشواهق ويراد بها الاراضي التي يزيد ارتفاعها على ١٠٠٠ متر فوق مستوى البحر وهي تشغل ٦ ٪ من مساحة سطح الارض ومتوسط ارتفاع هذا القسم (من اعلاهُ الى الحضيض) ٢٢٠٠ متر. والقسم الثاني الهضاب وهي الشواخص البالغة من علو ٢٠٠ الى ١٠٠٠ متر وتشغل ٢٨،٣ ٪ من سطح الارض ومتوسط ارتفاعها ٢٥٠ متراً. والثالث الأسناد وهي من علو ٢٠٠ متر الى عمق ٢٣٠٠ متر تحت مستوى البحر ومساحتها من سطح الارض ٩ ٪ ومتوسط عمقها ١٣٠٠ متر. والرابع أغوار الاوقيانس وهي من عمق ٢٣٠٠ متر الى ٥٠٠٠ وتبلغ مساحتها لا اقل من ٥٣،٧ ٪ من سطح الكرة ومتوسط عمقها ٤١٠٠ متر. والخامس الأدراك وهي التي يزيد عمقها على ٥٠٠٠ متر وهي تشغل ٣ ٪ من سطح الارض ومتوسط عمقها ٦٠٠٠ متر

اما معدَّل ارتفاع القشرة الارضية فهو في تقدير المسيو وغنر على ٢٣٠٠ متر تحت مستوى البحر الحالي. وما فوق هذا الحدّ من الارض يبلغ ٤٣ ٪ من جملة سطحها وجملة سطح البرّ من ذلك لا تتجاوز ٢٨،٣ ٪ والباقي وهو ٧١،٧ ٪ مقرّ البحار ومتوسط ارتفاع البرّ كلهِ ٧٠٠ متر. على ان هذا التقدير كلهُ تقريبي لصعوبة التحرير في مثل هذا ولما يبقى من عدم التحقيق في شكل الجهات القطبية واقيستها عمقاً وارتفاعاً وهي تبلغ ٤ ٪ من مساحة الارض

اتساع اللغات ـ في احصاء بعض المجلات العلمية ان اللغة الانكليزية هي اكثر اللغات مفردات فان كلماتها قد تضاعفت في النصف الثاني من القرن الحالي بسرعة غريبة حتى بلغت على ما في احدث معجماتها كمعجم اكسفرد ما لا يقلّ عن ٢٥٠ الف كلمة . وتليها الالمانية وهي تتألف من ٨٠ الف كلمة . ثم الايطاليانية من ٤٥ الف كلمة . ثم الفرنسوية من ٣٠ الفاً. ثم الاسبانيولية من ٢٠ الفاً

قالت واما اللغات الشرقية فاوسعها العربية (وهي تشتمل على ٨٠ الف كلمة) . ثم الصينية ويستعمل فيها عشرة آلاف علامة يتألف منها ٤٩ الف كلمة مركبة . ثم التركية وهي تشتمل على ٢٢٥٣٠ كلمة . ثم لغة هاواي وفيها ١٥٥٠٠ كلمة . ثم لغة الكفر وذكر كولنسو انهُ ليس فيها الا ثمانية آلاف كلمة . ثم لغة غالا الجديدة وهي تتألف من ألفي كلمة لا غير

فوائد

تطهير الغرف – وصف بعضهم لتطهير غُرَف المرضى ان تؤخذ ملعقةٌ صغيرة من مسحوق البنّ تجعل في صحفةٍ ويوضع فوقها قطعةٌ من الكافور بحجم اللوزة ثم تُشعَل قطعة الكافور فينتشر عن دخان الكافور والبنّ رائحةٌ قوية ليست بالكريهة ينقى بها هوآء الموضع

وفي صفةٍ اخرى تُحمَى صفيحةٌ من الحديد الى درجة عالية ثم يُصبّ عليها شيء من الخلّ قطرةً قطرةً حتى ينتشر بخار الخل في الغرفة فيتطهر هوآؤها وحينئذٍ يلزم فتح النوافذ لخروج الهوآء الفاسد

تنقية الزيوت المطبّية ـ يؤخذ شيء من الحوامض النباتية كحامض الليمون مثلاً ويُمدّ بالماء ثم يجعل في الزيت فلا يلبث ان يرسب وترسب معهُ جميع الاكدار المنتشرة فيهِ . الا انهُ ينبغي التحرز من الافراط في كمية الحامض لانهُ يمكن ان يُتلِف ما في الزيت من الجواهر العطرية وربما بقيت رائحتهُ فيما بقي منهُ منتشراً بين اجزاء الزيت . ولا يمكن ان يعين المقدار اللازم منهُ لان ذلك يختلف باختلاف صنف الزيت ومقدار ما فيهِ من المواد التي يراد تنقيتهُ منها ولذلك فالافضل ان يُمتحن الامر بكمية قليلة منهُ حتى يمكن استعمالهُ فيما بقي عن ثقة

اما تجهيز الحامض فيكفي فيهِ ان يؤخذ لُباب الليمون ويُمرَث في الماء ثم يصفّى . واما مقدارهُ بالنسبة الى الماء الذي يُمرَث فيهِ فيمكن ان يقال على الاجمال انهُ يجهز ٨ أثار الى ١٠ من محلول الليمون بعصر ١٠ الى ١٢ ليمونة متوسطة الحجم . ويُراق المحلول في الزيت شيئاً فشيئاً ويحرك بمكنسة صغيرة من الخيزران ثم يترك ليرسب ويغطّى الاناء . وتتمّ تنقية الزيت على هذه الطريقة في ٢٤ ساعة

اعادة لون الملابس السوداء ـ اذا نقص لون الملابس السوداء يمكن ردهُ بالطريقة الآتية . وهي ان يؤخذ ٦٠ غراماً من خشب البقّم وتكسّر قِطعاً ثم تجعل في كيس من نسيج القطن المتفرّق النسج ويُغلى الكيس في مقدار كافٍ من الماء في اناء من النحاس . ثم يؤخذ النسيج المراد اعادة لونهِ ويُغسل بالماء الحار وبعد ذلك يلقى في الاناء وهو مبلول ويترك يغلي مدة

نصف ساعة وهو مغمورٌ بالمآء ثم يُخرَج وبعد اخراجهِ يلقى في الاناء مقدار ٥ الى ١٠ غرامات من كبريتات الحديد ويحرَّك المزيج حتى يذوب ثم يعاد النسيج ويُغلى مرةً اخرى نصف ساعة ايضاً ثم يُخرَج ويُترك حتى يبرد وبعد ذلك يُغسل بمآء بارد نقي فيكتسي لوناً اسود حالكاً ويعود الى اصلهِ

اختراع شرقي

روت جرائد الاسكندرية الصادرة في اثناء هذا الشهر خبر اختراعٍ جليل عرضهُ حضرة الذكيّ المجتهد يوسف افندي كنعان اللبناني وهو آلةٌ بسيطة التركيب ترفع المآء الى علوّ بضعة امتار باقلّ نفقة وايسر كلفة . وقد امتحنهُ على مشهد جمهور غفير من اهل الثغر في مقدمتهِ سعادة المحافظ وجماعة من الاعيان والمهندسين واصحاب الجرائد فظهر لهم من صحة الاختراع ما اوجب سرور الجميع وثنآءهم على المخترع

وهذا الاختراع مبنيٌّ على قاعدة تفريغ الهوآء المشهورة التي عليها بني اكثر الاختراعات من هذا النوع الا انهُ على طريقة لم يسبق استعمالها في مثلهِ . وقد قرأنا من صفة الآلة التي امتُحن بها انها وعآء اسطواني من حديد كلٌّ من طولهِ وقطرهِ متر وهو مقسوم الى طبقتين يصل بينهما مجرًى للهوآء احداهما عُلوية تُفرَّغ من الهوآء باحراق شيء من الكحل (السبيرتو) والاخرى سفلية يتصل بها انبوب واصلٌ الى المآء فيعيد بدل الهوآء الذي فرغ مكانهُ مآء من الترعة او البحر . وللطبقة العلوية غطآء متحرك يُجذب ويُدفع باليد فاذا جُذب احترق الكحل واذا رُدَّ ارتفع المآء والحركتان تتمان

في ٣ ثوانٍ بحيث انهُ يرفع المآء ٢٠ مرة في الدقيقة

وقد اسهبت تلك الجرائد اسهاباً طويلاً في تعديد المنافع التي يمكن ان تترتب على هذا الاختراع مما نرجئ الكلام فيهِ الى حينه وذُكر فيها ان قد تألفت شركةٌ في ذلك الثغر بعنوان شركة المآء والهوآء نوت ان تستصنع عدداً كبيراً من هذه الآلة في معامل بلجكا او غيرها وقد نالت امتياز هذا الاختراع من جميع دول العالم

فنحن نثني اجمل الثنآء على ذكآء حضرة وطنينا المشار اليهِ وغيرهِ الذين اخذوا بيدهِ في هذا العمل الجليل وفي امنيتنا ان الامتحان الذي اجراهُ في هذا النموذج الصغير منهُ يتحقق في الامثلة الكبرى التي ينوى صنعها بحيث تُتيقن صحتهُ وموافقتهُ للاستعمال ويقع الاجماع على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سبقهُ من نوعهِ وبذلك يكون وطننا قد احرز اشرف خصلٍ في حلبة الاختراعات المصرية وسُجلت لهُ اعظم يدٍ في خدمة الانسانية مما يرفع شأن الشرقيّ في عيون الامم باسرها ويجدّد ما عفا من آثار مجدهِ القديم

آثار ادبية

الجرائد العربية في اميركا ــ ما زالت الجرائد العربية ترد علينا من ذلك الصقع البعيد حاملةً الينا من آثار اقلام مواطنينا هناك ما دلّ على ان اللهجة العربية لم تزدد فيهم الا رسوخاً وثباتاً وان النهضة الادبية عامةٌ لهذه الامة راسخةٌ في نفوسها سوآء كانت في داخل الوطن ام كانت منهُ على مسافة الوفٍ من الاميال

فقد رأينا هذه الجرائد على تشتت قرآئها في تلك الارجآء الواسعة والاطراف المتباعدة وعلى ما باكثرهم من الفاقة وتحمُّل مشاقّ الاغتراب ومزاولة الرزق من اضيق مواردهِ واوعر سبلهِ قد بلغت في اقلّ من عشر سنوات ما يزيد على عشر جرائد بين سياسية وغيرها لاكثرها مطابع خاصة مما دلّ على رواج بضاعة الادب هناك وانصباب القوم على المطالعة واقبالهم على كل ما يرفع منزلتهم في عيون مجاوريهم ويجعلهم امةً عزيزة الشأن محترمة الجانب

ونذكر الآن من تلك الجرائد ثلاثاً من احدثها عهداً احداهنَّ تُنشَر بعنوان « المُناظِر » يكتبها حضرة الاديبين نعوم افندي لبكي وفارس افندي نجم وهي تصدر يوم الخميس من كل اسبوع ومحل صدورها سان باولو

والثانية تنشر بعنوان « الاصلاح » مدبجةً بقلم حضرة الاديب شبل افندي دموس وهي تصدر يوم السبت من كل اسبوع ومحل صدورها مدينة نيويرك

والثالثة تصدر باسم « الصبح » ينشرها حضرة الوجيهين خليل افندي ملُّوك وشكري افندي الخوري مكتوبةً بقلم حضرة الاديب خليل افندي شاوول تصدر يوم الخميس من كل اسبوع في مدينة بوانس ايرس وهي اول جريدةٍ عربية صدرت في الجمهورية الفضية

فنثني على حضرات مواطنينا الالبآء في تلك الاقطار ونتمنى لتلك الجرائد كلها مزيد الانتشار والرواج

فكاهات

رواية

الصُدرة المرصّعة [1]

كان في مدينة لندرا في شارع بلمور دارٌ للعاديّات اقامتها جمعية العلوم والآثار وجمعت فيها من النفائس والعاديّات شيئاً كثيراً لا تقلّ قيمتهُ عن الملايين من الليرات. وعينت الجمعية قيّماً على هذه الآثار رجلاً جليل القدر واسع الخبرة يدعى اندريا فانصرف الى ترتيبها وزاد عليها كل ما وصلت اليهِ يدهُ من النفائس النادرة فلم يكن يسمع بشيء من الاعلاق الكريمة الاّ سعى في احرازهِ واضافهُ الى ما في تلك الدار من الكنوز. وكان اندريا يسكن مع ابنته الوحيدة المسماة اليس منزلاً فسيحاً في نفس دار العاديات ولم يكن يزورهُ في بيتهِ احد سوى فتًى في مقتبل العمر يدعى وِلسُن كان قد علق الفتاة وعزم على الاقتران بها . وكان اندريا قد تقدم في السن وسئم العمل فرأت الجمعية اقالتهُ من منصبهِ بعد ان كافأتهُ بما يستحق ووكلت عملهُ الى قيم آخر يدعى مرتيمر كان قد تلقى العلوم اللازمة في اشهر مدارس انكلترا وحاز قصب السبق على اقرانهِ . فلما كان يوم استلام مرتيمر الوظيفة وفد مع صديقٍ لهُ يقال لهُ جكسن وكان القيم الاول اندريا وابنتهُ اليس والفتى

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولسن في انتظاره فاستقبلوها بالترحاب وسلّم اندريا الى مرتيمر مفاتيح منزلهِ ثم غرَف دار العاديات غرفةً غرفةً بما فيها من متروكات المتقدمين وكنوز المتأخرين . وما زالوا يفحصون تلك الغرف الى ان بلغوا غرفةً في وسط الدار قد صفَّت على محيطها توابيت الموميا وفي وسطها خزائن ملأى بالجواهر النفيسة والمصوغات الذهبية المرصعة فوقف جمهورهم للنظر الى هذه النفائس . وكان بين تلك المصوغات صفيحة من الذهب الاحمر طولها نصف قدم في مثل ذلك عرضاً عليها نقش بديع وقد رُصع فيها اثنا عشر حجراً من نفيس الجواهر مختلفة الاجناس متناسبة الحجم وقد جعلت في وسط الصفيحة على ثلاثة صفوفٍ في كلٍّ منها اربعة احجار وعلى الاحجار كتابة دقيقة اشبه بالهيرغليف

فلما وقفوا امامها اخذ اندريا الصفيحة من صندوقها فلمعت اشعتها وتألق نورها في الغرفة فوضعها على وجه الصندوق ثم اخذ يقصّ عليهم ما علم من امرها فذكر انها قديمة العهد جدًّا وانهُ بعد الفحص المدقق ثبت لهُ انها هي نفس الصدرة التي كان يلبسها رئيس الكهنة عند الامة اليهودية على عهد الملك سليمان عند دخولهِ مرةً في السنة الى قدس الاقداس في الهيكل لمطابقتها المثال الذي اوحاهُ الله الى موسى النبي . وهي من الذهب النقي والحجارة الاثنا عشر المرصعة فيها من نوادر الوجود والكتابة المحفورة عليها هي اسمآء رؤسآء اسباط بني اسرائيل الاثني عشر . فهي اذن من اثمن العاديات الموجودة حالاً والتي تفتخر جمعية العاديات الانكليزية باحرازها

ولما فرغ اندريا من حديثهِ اعاد الصدرة الى محلها واقفل الصندوق فسلم مفتاحهُ الى مرتيمر وعيناهُ شاخصتان الى الصدرة كانهُ يتأسف على

خروجها من تحت عنايتهِ ومحافظتهِ . ولما تم التسليم انصرف كل واحد في سبيلهِ وبقي مرتيمر وقد اصبحت تلك الذخائر كلها في عهدتهِ

وفي اليوم الثاني تواردت الرسائل على مرتيمر من اصدقائهِ يهنئونهُ بما سُلّم الى امانتهِ من تلك الودائع الثمينة وكان بين تلك الرسائل رقعةٌ من اندريا القيم السابق يهنئ خلفهُ بعبارات ملؤها وداد واحترام . وفي المساء وردت على مرتيمر رسالةٌ اخرى بدون توقيع فيها ما صورتهُ

ايها المحترم مرتيمر

اما وقد صرت قيماً لدار العاديات فانتبه لنفسك وضاعف الحرس ولا سيما في الليل فان خطراً عظيماً يترصد الجواهر الثمينة التي سلّمت الى عهدتك والسلام

فلما قرأ مرتيمر الرسالة قلقت افكارهُ وتحير في هذا الانذار الذي لم يكن يتوقعهُ والنصيح الذي اخفى اسمهُ . وبينما هو كذلك اذا بصديقهِ جكسن قد دخل عليهِ فرآهُ على تلك الحالة ولما اعلمهُ بسبب قلقهِ جلس الى جانبهِ واخذ كلاهما يفحصان الرسالة لعلهما يهتديان الى معرفة كاتبها . وبعد البحث المدقق قال مرتيمر يغلب على ظني ان كاتب هذه الرسالة هو سلفي اندريا فان هذا الخط مع ما فيهِ من التغيير القليل اشبه شيء بكتابتهِ ولكني لا اجزم بذلك لاني لا اعلم سبباً يوجب كتمان اسمهِ عني فلا بد اذن لهذا الامر من غاية سرية ولا بد من الوقوف على جليتها . قال جكسن أليس عندك شيء من كتابة اندريا . قال بلى واحضر لهُ رسالة التهنئة وبعد مقابلتها تحقق الاثنان ان الكاتب واحد . فقال جكسن لمرتيمر انك واندريا

صديقان فما المانع من الذهاب اليهِ وسؤالهِ عن الامر ولا اخالهُ لئيماً ينكر كتابتهُ اذا كان هو الفاعل بل ربما افادك ايضاً اشياء لم يكن من الممكن وقوفك عليها . قال مرتيمر اصبت فهلمَّ بنا نذهب اليهِ للحال وانطلقا كلاهما الى بيت اندريا وهما لا يصدّقان ان يصلا اليهِ . فلما بلغا البيت استقبلتهما ابنة اندريا الفتاة فطلبا مقابلة والدها فقالت لهما انهُ غائب . قالا ومتى يرجع قالت ربما لا يرجع قبل عشرة ايام فانهُ ذهب ليزور اختهُ في اسكتلاندا . فزاد اضطراب مرتيمر ورأى منهُ جكسن ذلك فقال لهُ اني اعرف بيت اختهِ فتعالَ نأخذ القطار الآن فنكون عندهُ في الصباح ويهدأ بالك . قال حسنٌ وتوجها لساعتهما فلما بلغا الى موقف القطار وجداهُ قد سافر وكان قد انتصف الليل فافترقا وذهب كلٌّ الى بيتهِ وقلبهُ مشغولٌ بالامر

ولما لاح الفجر في اليوم الثاني هبَّ جكسن من نومهِ مذعوراً وقد سمع بابهُ يُطرَق بعنف ففتح واذا بصديقهِ مرتيمر داخلٌ اليهِ وهو بهيئة المرعوب وقال لهُ اسرع بالله يا جكسن وتعالَ معي الى دار العاديات فقد حدث فيها ما يخيفني . وما امهلهُ الاَّ ريثما ارتدى بثيابهِ وانطلق الاثنان حتى وقفا امام الصندوق الذي فيهِ الصورة فقال مرتيمر قمت في هذا الصباح ولم اكن قد نمت في الليل لاضطراب افكاري واتيت الى هنا فوجدت الاربعة الاحجار الأُول كما تراها . فنظر جكسن فاذا بالذهب مقشور عن جوانب حجارة الصف الاول مما يدل على ان يداً غريبة قد لعبت بها واجتهدت في نزعها ووقف كلاهما مبهوتين لا يدريان ما يظنان ولا ما يفعلان . ثم استدعى مرتيمر احد مشاهير الصاغة لفحص الاحجار الاربعة فوُجد انها الاحجار

الاصلية بدون ريب فكان ذلك مما زادهم حيرةً ولم يدروا ما كان غرض الفاعل من ذلك الا ان مرتيمر اخذ الاحتياطات اللازمة فنبَّه الحرس في الغرف السفلى ومدخل الدار وضاعف عدد الشرط في الشارع ثم طلب الى صديقهِ جكسن ان يبقى عندهُ تلك الليلة ففعل . وفي اليوم الثاني نهضا صباحاً وتوجها توًّا الى غرفة الصدرة فوجدا ان الاربعة الاحجار الثانية قد قُشر ما حولها ايضاً مثلما فُعل بالاربعة الأُول غير انها لم تزل في اماكنها فازدادت حيرة مرتيمر وشعر ان يداً خفية تقصد لهُ كيداً فطار نومهُ وفقد رشدهُ وعدم راحة فكرهِ وبعد استنطاق الخفراء والحرس لم يقف على اثرٍ للسارق ولم يتوفق الى معرفة اقل ما يسهّل عليهِ اكتشاف الفاعل . وبينما هو هائمٌ في ادوية الافكار قال لهُ جكسن ارى ان اتكالنا على الحرس غير مجدينا نفعاً ولكن بما ان السارق اتى في الليلة الاولى فعالج الصف الاول من الحجارة وفي الليلة الثانية عالج الصف الثاني فلا بد ان يأتي هذه الليلة ايضاً لمعالجة الصف الباقي فالذي اراهُ ان نرصد لهُ بانفسنا في هذه الليلة عسى ان نقف على ما يكشف القناع عن هذا السر الخفي . فقال مرتيمر اصبت ايها الصديق وبما ان في سقف الغرفة كوَّةً زجاجية فيمكننا المراقبة منها بدون ان يشعر بنا احد . ولما كانا من الليل صعدا سطح الغرفة وجلسا يراقبان صندوق الصدرة وكانت الغرفة منارة بالنور الكهربائي فلم يخفَ عليهما شيء منها وبقيا منتظرين الى ان انتصف الليل فلم يحدث شيء . وسئم مرتيمر من طول الانتظار غير انهُ ما كاد ينطق بكلمة حتى امسك جكسن بذراعهِ وهمس في اذنهِ ان ينظر الى جهة الجدار فنظر فاذا باحد

توابيت المومياء قد انفتح وانسلَّ منهُ شبحٌ اسود فاقترب الى وسط الغرفة ووقف مصغياً ثم تقدم الى الصندوق ففتحهُ بمزيد الانتباه وتناول الصدرة واخرج من جيبهِ آلة وشرع في عملهِ . ولم يتمكن مرتيمر وجكسن من النظر الى ما يصنع فانتظرا والشبح يشتغل بعظم كدّهِ واجتهادهِ حتى انتهى فردَّ الصدرة الى مكانها ورجع الى التابوت فاغلقهُ على نفسهِ وساد السكوت كأن لم يحدث شيء . فلما رأى مرتيمر ذلك لم يملك نفسهُ فاشار الى جكسن ونزل الاثنان بتحرُّزٍ عظيمٍ وكان للغرفة بابٌ سرّي فوقفا امامهُ ثم خلعا احذيتهما ودخلا من الباب صامتين فتوجها الى التابوت وفتحاهُ فاذا بالشبح امامهما فامسكاهُ بايدٍ من حديد وحاول ان يتخلص منهما فلم يستطع فاستسلم خاضعاً وتنهد من قلبٍ حزين . وتفرَّسهُ مرتيمر فاذا هو اندريا بعينهِ القيّم السابق فوقف متحيراً ولبث جكسن مبهوتاً . اما اندريا فجثا امامهما وقال ابى الله الا ان ينكشف عملي فأسبلا عليَّ ذيل الستر وخذاني الى محل آخر لاخبركم بحقيقة الامر واترك لكما الحكم عليَّ بما تريان

وكان الغيظ قد اخذ من مرتيمر كل مأخذ غير انهُ تمالك الى يقف على خاتمة الامر فقادا اندريا الى بيت مرتيمر ودخلوا احدى الغرف فجلسوا واخذ اندريا يقص عليهما الخبر فقال

تعلمان ان لي ابنةً اسمها اليس وقد تعلقت بشابٍ يقال لهُ ولسن ورضيتُ عن حبها فخطبها الفتى وكان يقضي اكثر اوقاتهِ في بيتي ولما كان مولعاً بالآثار القديمة كان يكثر من التردد الى دار العاديات بدون ادنى معارض ولم اكن اعرف عنهُ شيئاً سوى انهُ فتىً مهذب من اسرةٍ كريمة .

ومرّ الامر على ذلك حتى رأيت من سلوك ولسن وتقلب احواله مانبهني الى الشك فيهِ لاني كنت اراهُ طوراً حسن الاخلاق طلق المحيا مملوء الجيب وتارةً فظ الطباع منقبض السحنة صفر اليدين. ولما زادت فيَّ الريبة جعلت اتجسس احوال الشاب حتى علمت بعد حين انهُ من المقامرين ثم اتصل بي انهُ من مهرة اللصوص . وكان تعلقهُ بأليس وتعلقها بهِ شديداً جداً فلم ادرِ ماذا افعل لاخلصها من مخالبهِ بدون ان يؤثر فراقهُ في بنيتها النحيفة فكنت اترقب الفرص الى ان جاء يوماً كعادتهِ ومرَّ من امام غرفتي قاصداً غرفة أليس فناديتهُ فدخل فقلت لهُ اني قد قطعت نصيبك من أليس فلا آذن لك بعد الآن ان تجتمع بها فانها لن تكون زوجةً لك. واعلم يا هذا انني قد وقفت على جميع احوالك وعلمت ما طالما اجتهدت ان تخفيهُ عنا وانا اصفح عما كان منك حتى الساعة بشرط ان تخرج من بيتي الآن ولا ترينا وجهك بعد . ولما رأى ولسن اصراري على ما قلت وكان لا يصبر على فراق أليس اطرق حيناً ثم قال كلاَّ اني لن اترك أليس ابداً لكن ائذن لي ان استدعيها واكلمك قليلاً بحضرتها وقبل ان اجيبهُ على ما طلب اسرع فنادى أليس ولما حضرت بدأ بحديثهِ فقال

اني اقرّ امام الله وامامكما اني قضيت ماضي عمري حتى الآن متبعاً الشرور والرذائل والمقامرة لا يهمني في العالم شيء سوى ملذاتي التي اطلقت لها العنان حتى قُيِّض لي ان اتعلق بجمال أليس فاحببتها حباً يزيد عن العبادة غير انهُ لم يكن يمنعني عن اتباع خطتي الاولى . والآن فقد ظهر لي ان والدكِ يا أليس قد اطلع على خفيات حياتي فاستدعاني اليهِ وامرني بالاقلاع

عن حبكِ وقطع آمالي من الحصول عليكِ ولو حكم عليَّ بالموت لـكان اسهل عليَّ واخفَّ محملاً . ولست اخفي عنكما ان ضميري كثيراً ما نهاني عن افعالي فهو لا يزال حياً لكني كنت أصمّ اذنيَّ عن سماعهِ واما الآن وقد بلغ الامر الى ما ارى فانني من هـذه الدقيقة تائبٌ نادمٌ اطلب العفو واعد باصلاح سيرتي والاقلاع عن جميع احوالي الماضية . وكان يتكلم بتأثر شديد ودموع فحرت بين ان اصدقهُ او ابقى على اصراري لكنهُ لم يلبث ان أتبع حديثهُ بقولهِ وبرهـاناً على ندامتي ورغبتي في تلافي ماضيَّ القبيح فاني سأخبركما بما فعلت مؤخراً واصلح ما افسدت ان كان لا يزال الى الاصلاح سبيل . ان ترددي الى دار العاديات لم يكن عن معرفةٍ مني بها واعجابٍ بنفائسها ولكن تذرعاً الى الحصول على حجارة تلك الصدرة الثمينة التي تحققت اني بحصولي عليها اصير من اغنيآء العالم . فاخذت رسمها بأقيستها والوانها وسائر صفاتها ثم قصدت احد المعامل فصنعوا لي شبهها تماماً ولكن من الزجاج فكنت كلما خلا لي المـكان انزع حجراً واضع مكانهُ زجاجةً حتى اكملت نزع الجميع فاصبحت الجواهر الثمينـة في قبضة يدي . والآن فاني قد ندمت على ما فعلت ورجعت عنهُ وهذه الحجارة الاصلية اردُّها وانا في موقفي هذا لتعاد الى مكانهـا وارجو تلقي جريمتي هذه بالمسامحة فاصفحي عني يا أليس وانتظريني ريثما اعود اليكِ بهيئـةٍ جديدة . قال ذلك وطرح الحجارة امامنا على المائدة وخرج

وكنت لما اطلعت على قبح فعالهِ خشيت ان يفعل شيئاً بالصدرة وقد كان يزورها يومياً فكتبت اليك ذلك الانذار ولم اذكر اسمي كي لا يُعرَف

الامر فاجرّ على نفسي وعلى ابنتي الاهانة . غير اني لما اعترف بما فعل ورأيت الحجارة الحقيقية المسروقة قد عادت الى يدي احببت ان ارجعها في الحال لئلاّ ينكشف الامر وخفت ان اسلم السرّ الى غيري فيفتضح فلم اجد سبيلاً الا ان اتولى ردّ الحجارة بنفسي . ولما كنت عالماً بمداخل المكان السرّية جئت متستراً تحت جنح الليل فاتخذت تابوت الموميا مختبأً وشرعت انزع الحجارة الزجاجية وأضع الحقيقية في اماكنها غير اني لما لم اكن ماهراً في هذه الصناعة لم استطع ضبط تركيبها كما ينبغي ولذلك ظهر لكما الامر حتى ادركتماني قبل الفراغ منهُ . هذه حقيقة الحال سردتها عليكما فاما ان تصدّقاني وتكتما امري او تشكواني لألاقي الفضيحة والهوان بعد ان كلل المشيب رأسي

وكان مرتيمر وجكسن يسمعان بمزيد الاستغراب وهما لا يكادان يصدقان حتى استدعيا في اليوم الثاني صائغاً خبيراً فتحققا ان الحجارة الحقيقية قد عادت الى اماكنها واخذا الحجارة الزجاجية وهما يعجبان من شدة مماثلتها لتلك . فعاهدا اندريا على كتمان الامر فشكرهما وذهب الى بيتهِ منشرح الصدر بانهُ قد قضى واجب ذمتهِ وبقي امرهُ مستوراً

اما ولسن فعاد بعد مدة سنواتٍ قضاها في اميركا وقد صلحت حالهُ وتحسنت اخلاقهُ فاقترن بأليس وعاش معها عيشة سلامٍ وسرور يكفّر عن ماضيهِ بصلاح حاضرهِ ولم يزل مرتيمر وجكسن على ما كانا عليهِ من الصداقة والالفة وهما لا يمرّان من امام تلك الصدرة الا يقهقهان ضاحكين من التابوت الحيّ

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون جلسوا في صاعة المنزل يعنون اكبر بيتٍ فيهِ او الموضع الذي يُستقبل فيهِ الزائر ولم ترد الصاعة لشيء من المعنيين لكن جاء في المعنى الاول الرَّدْهة وهي كما عرَّفها في لسان العرب البيت العظيم الذي لا يكون اعظم منهُ ويُستعمل في المعنى الثاني البهو وهو البيت المقدَّم امام البيوت واصلهُ البيت من شعر من بيوت الاعراب ثم نقلتهُ الحضر الى البناء ودخل في قصور الملوك وزُين بالرياش والذهب وقد ورد ذكرهُ في نفح الطيب في الكلام على المستنصر بالله وهو في قصر مدينة الزهراء قال وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الاوسط من الابهاء المذهَّبة . وجاء في شعرٍ لابي بكر الخوارزمي من قصيدةٍ يصف فيها دار الصاحب بن عباد

وبهوٍ تباهي الارض منهُ سماءها　　　بأوسع منها آخراً واوائلا

ومن قصيدةٍ للشيخ ابي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمة الصاحب

فالربع بالمجد لا بالصحن متسعٌ　　　والبهو لا بالحلى بل بالعلى باهى

وللمأموني من قصيدةٍ يصف دار ابي نصر بن ابي زيد عند تقلدهِ الوزارة

بهوها يملأُ العيون بهاءً　　　صحنها يملأُ الصدور انشراحا

فالظاهر من هذا الوصف ان المراد بالبهو هو نفس ما يسمى عندنا اليوم بالصالة واما الردهة فلم نعثر عليها في كلام احد من المولدين لكن لا بأس ان تطلق على مواضع الاحتفال الفسيحة المقامة للخطابة والتمثيل وما اشبه ذلك من المجتمعات العمومية

ويقولون تكدَّر من هذا الامر اي استآء منهُ واشتدَّ عليهِ وقد كدَّرهُ الامر واحدث عندهُ كدراً عظيماً ومنهم من يقول كدَّرهُ بمعنى عنَّفهُ وقرَّعهُ وهذه الاخيرة من اصطلاح الاتراك وكل ذلك غريبٌ عن استعمال العرب وان امكن ردُّهُ الى وجهٍ صحيح

ويقولون بين الدولتين عهدةٌ تجارية وجآء ذلك في عهدة برلين مثلاً ولا معنى للعهدة هنا لانها بمعنى تَبِعة الامر ودَرَكهِ والصواب المعاهدة

ويقولون افاض القولَ في هذا المعنى اي توسع فيهِ وتبسَّط وهذا الفعل لا يستعمل متعدياً وانما يقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيهِ وخاضوا واكثروا واصلهُ من قولهم افاضوا من الموضع اذا اندفعوا بكثرة

ويقولون هذا امرٌ مثبوت اي ثابتٌ او مُثْبَت وهو من تعبيرات العامة لانهم لا يكادون يفرقون بين فعَل وأفعل بل الغالب في كلامهم الاقتصار على فعَل المجرَّد يميزون بين اللازم منهُ والمتعدي بالحركة . وهذا من اعظم مزالّ الخاصة لكثرة هذه الافعال واشتهارها حتى لا يكاد يداخلهم ريبٌ في صحتها وقد استُدرج بها اناسٌ من متقدمي الكتاب كما وقع لابي الفدآء حيث يقول في مقدمة تاريخهِ واما التوراة العبرانية فهي ايضاً مفسودة وكما في قولهِ في هذه المقدمة فصار المثبوت في الجدول كذا كذا سنةً مع انهُ يقول في السطر الذي قبلهُ وهو الذي اخترناهُ واثبتناهُ في جدولنا هذا . وفي كلام لسان الدين بن الخطيب عند ذكر الغارة على جيّان فقلنا ثانيةً غربها وجدَّدنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها وانما يقال اخرب المكان او خرَّبهُ بالتثقيل ولا يقال خرَبهُ بالمجرد . ولأبي عبد الله بن الحجاج رواهُ لهُ

صاحب خزانة الادب

خرقت صفوفهم بأقبَّ نهد . مُراح السوط متموب العنانِ

والصواب متْعَب . ومثلهُ قول منذر بن سعيد من شعرآء الاندلس

لاتعجبوا من اني كنّيتهُ . من بعد ما قد سبّنا وأذانا

يريد آذانا بالمدّ . وربما تعدى ذلك الى افعالٍ لم تجرِ على السنة العامة كما في بيت ابن هانئ المشهور

خفرت بسيف الفنج ذمة مغفري . وفرت برمح القدّ درع تصبري

وانما يقال أخفر ذمتهُ او خفر بها ولا يقال خفرها . واغرب منهُ ورود مثل ذلك في كلام اناسٍ من اهل الجاهلية كقول عديّ بن زيد العباديّ

ويلومون فيكِ يا ابنة عبد م . الله والقلب عندكم موثوقُ

يريد مُوثق وانما وقع لهُ ذلك لانهُ كان قرويًا كما ذكر الاصفهاني في ترجمتهِ قال وقد اخذوا عليهِ في اشيآء عيب فيها . اه . وقد تقدم لنا ذكر طائفةٍ من الافعال التي يزيدون الهمزة في اولها خطأً ولا بأس ان نزيد هنا افعالاً أُخر توفيةً للفائدة . فمن ذلك انهم يقولون ارشاهُ اي اعطاهُ الرشوة . وآذن لهُ بكذا اي أذِن لهُ فيهِ ومنهم من يقول آذنهُ بكذا فيمدّونهُ بنفسهِ وانما يقال آذنهُ بالامر بمعنى اعلمهُ بهِ واشعرهُ . ويقولون اعاقهُ عن الامر وهـذا امرٌ مُلِذّ وامرٌ مُشين وامرٌ مُحِطٌّ بالشرف اي حاطٌّ للشرف فيزيدون على المفعول بآء وقد تقدم مثلهُ . وهو مُصان من كذا ومُساق الى كذا وسلعةٌ مُباعة واحنى رأسهُ واذرف دمعهُ واهزل دابّتهُ وافسح لهُ موضعاً وآيس من الامر وأنشد الضالة وأسدل الحجاب . وفي كلام بعضهم

أبصرت بالشيء كذا معدًّى بالباء . وانما يقال بصرتُ بهِ (بضم الصاد وكسرها) وأبصرتهُ فالباء تعاقب الهمزة . ومن هذا القبيل قولهم اغاظهُ واشغلهُ والافصح غاظهُ وشغلهُ بالمجرد

ويقولون اعتدوا على بعضهم البعض وظلموا بعضهم البعض ولا يتحصل لهذا التركيب معنى الا بعناء وتكلف بعيد وربما قالوا تقاسموهُ بين بعضهم البعض وهو اغرب وابعد عن التأويل والوجه اعتدوا بعضهم على بعض وظلموا بعضهم بعضاً وتقاسموهُ بينهم

ويقولون ادّاهُ حقهُ فيعدّون هذا الفعل الى مفعولين وهو تعبيرٌ عاميٌّ والصواب ادّى اليهِ حقهُ

ويقولون ثوبٌ سميك اي صفيق ومصدرهُ عندهم السمك والسماكة وكل ذلك من كلام العامة وانما السَمْك في اللغة بمعنى الارتفاع تقول بنى جداراً سمكهُ كذا ذراعاً وهو من اعلاهُ الى اسفلهِ وشيءٌ سامك اي عالٍ طويل ولم يُسمَع سميك ولا سماكة

ويقولون خرج الى المُتنزَه يعنون المتنزَّه وهو المكان البعيد عن مستنقعات المياه ومجامع الناس ولم يُحكَ وزن افتعل من هذه المادّة . على انهم اذا ذكروا الفعل قالوا خرج يتنزَّه ولم يقولوا يتنزه وكذلك سائر مشتقات هذه الكلمة ولم يسمع لهم وزن افتعل الا في اسم المكان المذكور وهو غريب

ويقولون ادّى اليهِ كذا لقاءَ عملهِ اي في مقابل عملهِ ولم يُنقل استعمال اللقاء بهذا المعنى

ويقولون تأمل منهُ خيراً اي رجاهُ وتوقعهُ وانما التأمل التثبت بالفكر او بالنظر ولا يجيء من الامل في شيء والصواب أمل بحذف التآء وأمل بالتخفيف

ويقولون فعل هذا الامر عن طياشة ولا وجود للطيـاشة في اللغة والصواب عن طيش

ويقولون هل لا يجوز ان يكون الامر كذا وكذا وهل لم تزر زيداً وهل ليس عمرٌو في الدار فيدخلون هل على النفي وهي مخصوصةٌ بالاثبات واكثرهم يكتب هل لا كلمةً واحدة على حد كتابة هلاَّ التحضيضية وقد وقع مثل هذا لابن الجوزي في كتـاب عقلآء المجانين حيث قال هلاَّ يدل هذا على نقصان العلم والصواب استعمال الهمزة في كل ذلك

(ستأتي البقية)

اريج الخليج

او

تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

ودُور التمثيل قليلة بالقسطنطينية والذي بها لا يستحق الذكر وهذا نقص كبير في مدينة بلغت من الحضارة ما بلغتهُ هذه العـاصمة فان دور التمثيل من اكبر عوامل التمدن وافعلها في تهذيب الاخلاق على ما يشهد بهِ اجماع البلاد المتمدنة من اوربا واميركا على ايثار هذا الفن والعناية بهِ

وذلك بشرط ان تُراعى في التمثيل فروض الادب ويُحرَص على الحشمة والعفاف والا فعدم هذه الدور والملاعب خير من وجودها

ومن موفّرات راحة الاهلين التي قلما توجد في غير القسطنطينية ان الساكن فيها يستطيع الوصول الى كلّ ما يحتاج اليهِ من الخبز واللحوم والاسماك والبقول والفواكه واللبن والبيض والفحم والحطب وغير ذلك دون ان يخرج من دارهِ لانّ باعة هذه الاصناف كلها يحملونها ويطوفون بها في جميع الشوارع والازقة من الفجر الكاذب الى نصف الليل او ما بعدهُ وينادون عليها باصوات منكرة يتفننون فيها فبعضهم يحاكي نبيح الكلاب وبعضهم صهيل الخيل وبعضهم اصوات السنانير وغيرهم غير ذلك الاّ ان ذلك كلهُ مما يقلق راحة الغريب عند ما يضطر الى البقاء في مخدعهِ نهاراً فضلاً عن الليل . ثم من عادة قسم من باعة الاقوات المذكورة وغيرها انهم ينتقلون في كل يوم من ايام الاسبوع الى سوق من الاسواق العريضة فيعرضون جميع اموالهم على اطباق او قفف او دكاكين من الخشب ومظالّ ينصبونها سحابة ذلك اليوم واسواقهم هذه معلومة الايام عند السكان فهي اشبه شيء بالموالد في بعض القطر المصري وبسوقي الاحد والجمعة في بعض سوريا . ثم ان الحرّاس هنا من اشهر حرّاس الدنيا فلا تذوق اجفانهم طعم النعض من غروب الشمس حتى شروقها الاّ انّ لهم عادةً لا يألفها الغريب بسهولة تلك انهم يسيرون طول الليل من رأس الزقاق الى آخره متسلحين بعصيٍّ غلاظ تحاكي بصلابتها النحاس الاصمّ وهم يقرعونها على بلاط الشارع في كل دقيقة قرعةً او قرعتين ثم يتبعون ذلك بقرع اشدّ واقوى عند مضيّ كل

ساعة من الليل يدلّون على عددها فيقرعون بترتيب خمسةً ان كانت الساعة الخامسة او عشرة ان كانت العاشرة وهلمَّ جرًّا ثم يكررون القرعتين او الثلاث ببعض الرفق للتمييز بينها و بين عدد الساعات وهكذا الى آخر الليل واني والحقّ اقول لم استقبح عادةً ذقت مرارة طعمها في هذه العاصمة كهذه العادة وقد طالما كررت في ليالي السهاد مشطراً صدر بيت المتنبي

ارقٌ على ارقٍ ومثلي يأرقُ ما دام حارسنا يدقّ ويطرقُ

ثم ان الكلاب هنا كثيرة في الازقة والاسواق فتراها نائمة في المماشي بين ارجل العابرين كانها قطعان الغنم ولا تسل عن نباحها ولا سيما متى اسبل الظلام ستره‌ُ وتجاسر بعضها ان يتمدّى على حدود البعض فيخال السامع في سكون الليل ان هناك عراك ثورة ضارية وقد تستمرّ المعركة ساعة او ساعتين ثم لا يكاد ينقطع عوآء قبيلة منها حتى تسمع نباح اخرى اقرب من هذه او ابعد هذا فضلاً عن هراشها المستمرّ بين ارجل العابرين واخطار كلَبها وغير ذلك مما يخجل القلم من ذكرهِ .. فعسى ان تعطف الدوائر البلدية انظارها الى هذا البلآء المبيب وتسعى في ازالتهِ فالكلاب ليست من لوازم الحضارة بل ربما كانت اكبر دليل على البدواة والخشونة ولعل للبدو في الصحرآء عذراً في اقتناء كلب او كلاب تدفع عنهم طوارق الذئاب واللصوص في البراري المقفرة فما هو عذرنا في تركنا هذه الالوف من الكلاب تنمو نموّها السريع المعلوم في وسط المدن العامرة الحافلة بسائر اسباب المدنيّة واقل مضارّها ما سبق تعداده‌ُ وفوق هذا كلهِ فالكلب نجسٌ شرعاً

ومن عادة الحرّاس هنا انهم متى سمعوا خبر حريق في محلة من محلاّت المدينة ينادون مخبرين بقولهم حريق في المحلّة الفلانية مكررين ذلك من اوّل الشارع الى آخره بصوتٍ اشبه شيء بعوآء كلب متألم وعلى اثر صياح الحارس يبتدئ نباح الكلاب من كلّ جهة ولم اقف على الحكمة من محاكاة الكلاب بهذه المناداة ولعل المقصود منها ان تختلف عن اصوات المنادين من الباعة ليتنبّه الناس فان كان الحريق قريباً منهم فازوا بانفسهم وان كان بعيداً ذهبوا لاغاثة ذوي قرباهم واصحابهم . وشركات الاطفآء كثيرة ومثلها المطافئ فضلاً عن القسم المخصص لذلك من العساكر السلطانية وبالجملة فالعناية بذلك بالغة منتهى الغاية

وليس في القسطنطينية مكاتب عامة عدا مكاتب بعض جوامعها الشهيرة كمكتبة جامع نور عثمانية وجامع السلطان احمد وغيرهما لكنها ليست مباحة لسائر الناس ولا فيها شيء من المؤلّفات العصرية في اكثر العلوم والفنون الاّ انّ فيها كثيراً من الكتب النفيسة العربية وما اجدر نظارة المعارف بطبعها في المطبعة السلطانية العامرة لنشر فوائدها واكتساب عوائدها اذ لم يحيِ مؤلفوها رحمهم الله الليالي ولم يبذلوا على تلك القراطيس دمآء مهجهم وعيونهم الغوالي الاّ لتحيي ذكرهم وهم اموات وتهدي الينا ثمار ماجنوهُ بطول الجهد وتحمل المشقّات لا لتدفن ورآء زجاج المكاتب بعضها فوق بعض كما دفنت اجسادهم في طي هذه الارض فعسى ان تقع كلمتنا هذه في اذنٍ واعية وتنهض ذا همةٍ عالية فتتحقق من هذه البغية الآمال وما ذلك على العزائم الصادقة بمحال

والحرية هنا مطلقة للناس على اختلاف الاجناس بشرط ان لا تتعدى على حقوق الغير كما هو المفهوم والمقصود من الحرية عند جمهور الحكماء • فصحف الاخبار التي تصدر في اكثر عواصم اوربا منتشرة هنا في جميع الاندية ودور القهوة والفنادق والمحادثات مباحة لسائر اصناف الخلق في جميع الابحاث حتى السياسية خلافاً لمزاعم بعض المرجفين من ذوي الاغراض

وفي القسطنطينية صحف اخبار تنشر يومياً بالتركية والفرنسوية والعربية واليونانية والارمنية والانكليزية والالمانية والعبرانية وفيها وكالات لنشر الاخبار البرقية فتنشر كلّ يوم اهمّ حوادث العالم واسعار الاسهم الدولية • اما صحف اخبارها فمقيّدة عن الخوض في بحر السياسة لنقص خبرة الكتّاب عندنا بهذا الفنّ ولانّ اكثر الامة لم تتعود فهم اسرار السياسة فيكون اطلاق الحرية لهم في هذا الفن مضرًّا بالعامة من المطالعين باعثاً على قلق الافكار من غير جدوى

اما المدارس هنا فكثيرة واعظمها وارفعها شأناً المكتب السلطاني وفيهِ من الطلاب نحو الخمسمئة من جميع الملل واكثرهم على نفقة جلالة السلطان ويُعلَّم فيهِ من اللغات التركية والعربية والفرنسوية وجوباً والانكليزية والجرمانية والايطاليانية واليونانية والارمنية اختياراً • ومن العلوم الجغرافية والتاريخ والرسم والهندسة وسائر العلوم العالية • وفيهِ من المعلمين نحو الخمسين ومن ردفاء التدريس مثل هذا العدد وفي كلّ سنةٍ يخرج منهُ نحو الثلاثين طالباً ممن اتموا دروسهم • ومن مدارسها الشهيرة ايضاً المكتب الملكي ومكتب الحقوق وفيها المدارس العسكرية والطبية وكلّها تضارع احسن المدارس العالية في

اوربا واكثرها قد تأسس وتحسن في زمن خلافة امير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان الثاني حفظهُ الله . وفيها مدارس كثيرة للبنات ومدارس للاخوة الملقبين « بالفرير » ولاكثر الطوائف والامم كتاتيب ومدارس تُعلَّم فيها اللغات والعلوم وفيها مرصد فلكيٌّ خاصٌ بالدولة

اما عدد سكان القسطنطينية فغير معلوم على التحقيق لكن يقدَّر عدد سكان استنبول وهو احد اقسام القسطنطينية الاربعة باربع مئة الف وسكان اسكي دار وضواحيها بمئة وخمسين الفاً وسكان الخليج (البوغاز) بمئتي الف وسكان بك اوغلي (بيره) بثلاث مئة وخمسين الفاً . واكثر سكان القسم الاخير من الفرنجة الذين استوطنوها من قديم ومنهم قسم كبير من الالمان الذين انتشروا فيها منذ عهد قريب (ستأتي البقية)

شجر المطاط

المراد بالمطاط هذه المادة المرنة المعروفة بالكاوتشوك وهي لفظةٌ هندية معناها عصير النبات . وليس لفظ المطاط تعريباً لها ولكنها تسميةٌ مرتجلة جرى بها بعض اقلام كتابنا من باب اطلاق الصفة على الموصوف . ولا يخفى ان المطّاط اسم فاعل من مطَّ الشيء اذا مدَّهُ فكان الوجه ان تسمى بالمتمطط مثلاً ولكن كذا جرت التسمية ولهذه الكلمة نظائرُ في اللغة جروا فيها على القلب كتسميتهم ريف البحر بالساحل وحقيقتهُ المسحول لان الماء يسحلهُ اي يقشرهُ وقولهم قارعة الطريق اي وسطهُ وهو الموضع الذي تقرعهُ السابلة وغير ذلك

واول ما عُرف المطاط في اميركا الجنوبية بناحية من عُدوة الامازون يقال لها غويانا فيها غابات كثيرة من شجرهِ وهو قديم الاستعمال هناك من عهد بعيد . وقد عُرِض نموذج منهُ على مجمع العلوم الفرنسوي نحو سنة ١٧٥٠ على يد اثنين من رجال المجمع كان قد ارسلها في ذلك التاريخ الى اميركا الجنوبية ليمسحا قوساً من الهاجرة هناك وانتشر مذ ذاك في فرنسا وسائر اوربا . الا ان استعمالهُ كان مقصوراً على محو كتابة الاقلام الرصاصية ولبث على مثل ذلك الى نحو سنة ١٧٩٠ ثم اخذوا يستخدمونهُ في المصنوعات المختلفة كالقوابض والانابيب وغيرها . وفي سنة ١٨٢٠ شرعوا في انكلترا يصنعون منهُ النُسُج المصلَّدة (اي التي لا ينفذها المآء من قولهم فرسٌ صَلدٌ وصَلود اذا كان لا يعرق) ويقال ان هذه من اختراع الهند . وما زال التفنن فيهِ يزداد وضروب المصنوعات منهُ تتكاثر حتى عمَّ اكثر الصنائع ودخل في آلات الجراحة وغيرها الا انهُ كان لا يزال فيهِ موضع اصلاح وهو انهُ كانت تتغير مرونتهُ بحسب درجة الحرارة المحيطة بهِ فارتأى غوديير الاميركاني ان يزيد عليهِ شيئاً من الكبريت فزجهُ بنحو ٢٠ في المئة فثبتت مرونتهُ على حالٍ واحد ثم زاد الكبريت مقداراً آخر فزالت مرونتهُ وتصلب فصاروا يصنعون منهُ الامشاط والحُقق وغيرها مما هو مشهور

اما الشجر الذي تُستخرَج منهُ هذه المادّة فكان اول ما عُرف منهُ الغوياني وهو يعظم كثيراً فيبلغ ارتفاع ساقهِ من ١٥ الى ٢٠ متراً وقطر الساق نحو متر ويتفرع الى فروعٍ كثيرة ينبت في اطرافها ورقٌ متراصف متقابل ذو ثلاث شُعَب وزهرهُ من المعروف بذي المسكنين . واكثر ما



شجر المطاط الاميركاني

يوجد في جوار المياه العذبة من شطوط البحيرات وعدوات الانهار ولهُ ثمرٌ ذو لبابٍ يشبه طعمهُ طعم البندق ويتخذ منهُ زيتٌ خاثر يصلح للطعام وخشبهُ ابيض هشٌّ يستعمل في الابنية الخفيفة . الا ان افضل ما يُستغَلّ منهُ هو اليَتُوع اي اللبن الذي يُستخرَج منهُ وطريقة استخراجهِ ان يُبضَع بدن الشجرة بضعاً غائراً بفأسٍ ونحوها ويُجعَل تحت البضع اناءٌ من الصلصال وهو تراب الفخار يلصقونهُ بالشجرة بطينةٍ من الصلصال نفسهِ فيرشح السائل اليهِ فاذا كانت الشجرة كبيرةً تُضع فيها اربع او خمس بضعات حول الساق وفي اليوم الثاني يُبضَع غيرها اسفل منها ثم اسفل حتى يُنتهَى الى اصل الشجرة

ويستمرّ ارتشاح اليتوع مدة احدى عشرة ساعة فاذا جفّ نزعوا الآنية وافرغوا ما اجتمع فيها في قرعةٍ . وهو يكون اذ ذاك ابيض اللون اشبه بمنظر اللبن واذا تُرك في الوعآء اسرع اليهِ الاختمار ولذلك يبادرون الى تجميدهِ فيتخذون لهُ قوالب من الطين تكون عادةً بهيئة الكمَّثرى ويغمسونها في ذلك اللبن فتكتسي طبقةً منهُ ثم يرفعونها فوق نارٍ كثيرة الدخان فلا تلبث تلك الطبقة ان تجمد وهذا هو السبب فيما نراهُ من سمرة لون المطاط . ثم ياخذون فوق الطبقة المذكورة طبقةً اخرى فيفعلون بها كذلك ثم يزيدون فوقها مثلها حتى يجتمع هناك كتلة ضخمة فيكسرون ما في جوفها من الطين ويستخرجونهُ من فوّهتها فتكون اشبه بالقارورة

وقد ارشدهم البحث الى اصنافٍ شتى من هذا الشجر منها صنفٌ يكثر في اميركا الوسطى منتشراً في قسطاركا ونكارَغوا وما يلي هذه المواضع الى ارض المكسيك وهو اشجارٌ عالية كثيفة الظل كبيرة الورق تبلغ الورقة

قدماً طولاً وله ثمرٌ اشبه بالكمثرى في وسطه بزرٌ كحجم البن وكثيراً ما يفرخ وهو في ضمن الثمرة ولذلك يصعب نقل هذا الشجر الى بلادٍ اخرى ٠ ومنها الصنف الذي تراهُ في الرسم وصمغهُ مشترك الصفات بين المطاط والطبرخى (التوتابرخا) واصلهُ من شجر غويانا ثم انتشر في اميركا الوسطى ونُقل الى فلوريدا وهو املس البدن عارٍ من الورق الاّ في اطرافهِ وخشبهُ ملززٌ متين كثير الملاءمة للبناء

وهنالك اصنافٌ أُخر بعضها في اميركا وبعضها في الهند وياوا ومدغسكر وغربيّ افريقيا وما برحت طوارئ الافرنج في هذه النواحي وغيرها تجدّ في نقلهِ وتنميتهِ لما آنسوا فيهِ من وفرة الريع وكثرة الاقبال فما كان احرى البلاد المصرية ان تكون من اغنى منابتهِ واشهرها ولا سيما مع قرب مجتلَبهِ منها فانهُ خيرٌ لها من كثيرٍ من المزروعات وخصوصاً هذا القطن الذي شغل البلاد والعاملين فيها وقلما يسلم من آفةٍ يضيع بها ريع الارض وتعب الفلاح

الشمس

لحضرة الشاعر المجيد امين افندي الحداد احد منشئي جريدة السلام حالاً ولسان العرب قبلاً

اعجب من الشمس اصل النور والنارِ	يثور من غير قدحٍ زندها الواري
أمُّ العوالم ينقاد الوجود لها	في جحفلٍ من دراري الافق جرّارِ
تدنو بشعلتها منا فنحسبها	كانما هي منا قِيدَ اشبارِ
هيهات من دونها للبعد مرحلةٌ	يرتدّ فيها خيال الحالم الساري

قالوا لنا انها في الكون ثابتةٌ أنّى الثبوت وإنّا رهن اسفارِ
تسري الى حيث لا تدري وتتبعها الى مصيرٍ من الآزال مختارِ
وقد نعود كما كنا وترجعنا لدارها وهي فينا ربة الدارِ
جرمٌ عظيمٌ من النيران متقدٌ يخبو لدى كنههِ ايقاد افكارِ
فكيف كان وما يمسي وان بهِ مع كل اظهار شيء كل اضمارِ
نورٌ بهِ كل خافٍ لاح وانسدلت انوارهُ فوق خافيهِ كاستارِ
يا أُمَّنا الشمس انت الموت ذا ظُلَمٍ وارضنا منكِ تحيا ذات انوارِ
خلعتِ كل جمالٍ منكِ مصدرهُ على البرية من روضٍ واثمارِ
فمن شعاعكِ ما في فرق غانيةٍ وما تأرّج من حانوت عطارِ
ومن ضيآئكِ ما يهدي نواظرنا في ظلمة الليل من اضوآء اقمارِ
ومن عطآئكِ ما عاش الانامُ بهِ من جري مآء ومن حبٍّ واشجارِ
نارٌ ونورٌ هما اصل الحياة وقد تواصلا منذ ادهارٍ وادهارِ
يا للعجائب بذلٌ لا نفاد لهُ على المدى وحياةٌ دون اعمارِ
كالمسجد المحض لا تفنين من قدمٍ ولو تبدّل منهُ وجه دينارِ
يحيي البرايا كما تحيينها ابداً فقد جريتِ واياهُ بمضمارِ
تبدّلين لنا وجه الدجى بسنًى كما يبدّلُ ايساراً باعسارِ
كنتِ الالهَ كما ظن الورى قدماً وهو الاله باجماعٍ وايثارِ
يبدو بوجهين غدّاراً بنا ابداً وما بدوتِ لنا في وجهِ غدّارِ
وطالما غاب لم نظفر بطلعتهِ وانت صادقةٌ في كل اطوارِ
انتِ الوجودُ وأُولى كل كائنةٍ وانتِ ان تخبرينا ذات إخبارِ

فهل سمعتِ صلاة العابديكِ وهل علمتِ ما رفعوا من ضخم احجارِ

راوكِ معجزةً في جوّهم فبنوا في الارض معجز بنيانٍ وآثارِ

وقد تهدّمَ ما شادوا وما برحت قصور خلدكِ تسمو ذات اسوارِ

لوكنتِ تدرين ما في الارض من بدعٍ شتى وما عندنا من جمّ اوزارِ

وما نباشرهُ دوماً ونضمرهُ من افك قولٍ وافسادٍ واضرارِ

اذن لأبعدتِ حتى لا نهار لنا او لاقتربتِ فلا دارٌ لديّارِ

انتِ الحبيبة للسارين ضل بهم وخد المهاري وقد مالوا باكوارِ

يرون منكِ سبيل الامن واضحةً وقد حماها زئير الضيغم الضاري

انت المدوّة للعشاق مظهرةً مكانهم حيث كانوا ايّ اظهارِ

فكم نممتِ عليهم بالضيا وفشا بسرّ نوركِ من مكنون اسرارِ

يفيضُ منكِ شعاع النور منتشرًا كالبحر يدفع تياراً بتيارِ

تبشر الطيرُ اذ تدنين صادحةً وتلمعين ضحًى في ريش اطيارِ

ويبسم الروضُ اذ يلقاكِ عن دُرَرٍ في ثغر طلّ نضيدٍ فوق ازهارِ

اذا نظرتِ بعينٍ منكِ واحدةٍ لهُ رآكِ باعيانٍ وانظارِ

اذا بدا فجركِ الوضاح منبلجاً تبرقع النجم منهُ خلف أستارِ

يظل سهران طول الليل مرتقباً بزوغهُ بين تسهيدٍ وتذكارِ

حتى اذا لاح اغفت عينهُ تعباً من الناس بلا هدبٍ واشفارِ

كأن شهب الدجى لما بدوتِ لنا شواذنٌ نفرت من وجه زآرِ

حتى اذا ما تقضّى اليومُ لحتِ لنا بعظمٍ جل عن تشبيه اشعارِ

كأن قرصكِ اذ مال الغروب بهِ طودٌ من النار طافٍ فوق ابحارِ

فنحن في كل يومٍ في نوًى ولقـاً   وانتِ تنـأين عن جارٍ الى جارِ
وهكذا دون لبثٍ والوجود لنـا   مجدداً بكِ دوراً إثرَ ادوارِ
هيهات لا بدَّ ان تجري الى قدرٍ   وانما كلنا نجري بمقدارِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ هل من علامةٍ يميز بها الالماس من الزجاج

ا • ح • ع

الجواب ـ ذكر بعض المجربين ان العلامة في ذلك ان تُرسَم نقطة بقلم رصاص على قطعة ورق ابيض ثم يُجعل الحجر فوق النقطة ويُنظر اليها فان ظهرت واحدةً وذات حدٍّ واضح فهو الماس وان تعددت او تشعبت فهو زجاج

الاسكندرية ـ هل ورد في اللغة اسمٌ لهذه البيوت التي يسكنها الفلاحون المسماة بالعشش   احد مشتركي الضياء

الجواب ـ هذه البيوت تسمى بالاكباس واحدها كِبسٌ بالكسر وهو البيت من طين وقد يطلق على كل بيتٍ صغير

حلب ـ نرجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) ما هي الطريقة المثلى التي ينبغي اتباعها لاحكام اللغة العربية وما هي المؤلفات اللازمة لذلك

(٢) ما هي الكتب التي ينبغي للطالب ادمان مطالعتها للاجادة في

انشآء الروايات القَصَصية والتمثيلية والتمكن من ملكة الانشآء التاريخي وانشآء المراسلات والخطب والكتابة في الاغراض العلمية والفلسفية والمنطقية

(٣) ما هي الكتب التي ينبغي مطالعتها لمعرفة تاريخ اللغة العربية واخلاق العرب وعوائدهم واخبار ملوكهم وعلمآئهم

(٤) هل يلزم من اراد الاجادة في فن الانشآء ان يشتغل بالشعر وينبغ فيهِ

(٥) هل تكفي لاتقان معرفة اللغة المعجمات المتداولة بين ايدي اكثر الدارسين من مثل محيط المحيط وقطر المحيط وما هو افضلها

احد المشتركين

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فاول ما يلزم الطالب بعد الاحاطة بما لا بد منهُ من قواعد الصرف والنحو وعلمي البلاغة والبديع ان يتخرج بمطالعة بعض المصنفات العملية ككتاب المثل السائر لابن الاثير وكتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل للشيخ شهاب الدين الحلبي وبعض كتب الادب والشعر المشروحة كمقامات الحريري وديوان المتنبي ثم يأخذ نفسهُ بتصفح كتب البلغآء من متقدمي الكُتَّاب ليكتسب ملكتهم ويحيي من الفاظهم وتراكيبهم ما يخرجهُ الى لهجتهم واسلوبهم وهو مضمون سؤالكم الثاني . واما الكتب التي ينبغي ان يتخيرها لاكتساب ملكة الانشآء في الاغراض التي ذكرتموها فاما في الاسلوب القَصَصيّ فكتاب كليلة ودمنة ونحو كتاب ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي والكتب من هذا النوع كثيرة عندنا وغالبها حسن . واما في الحكاية التاريخية فأحد كتب المؤرخين الاولين

كالمسعوديّ وابن الاثير ومن في طبقتهما . واما في انشآء المراسلات فرسائل الخوارزمي والصابئ ومن شاكلهما . واما في انشآء الخُطَب فكتاب العقد الفريد فان فيهِ من ذلك انموذجاً كافياً . واما في الاغراض العلمية فكتابات اهل كل علم وقد تُغني في بعض ذلك مقدمة ابن خلدون وكتاب سعود المطالع للمرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الابياري . واما في الكتابات الفلسفية والمنطقية ففي الاولى كتاب المواقف للشيخ عضد الدين الايجي مع شرحهِ للسيد الجرجاني وفي الثانية كتاب البصائر النَصيرية لنصير الدين الطوسي

وهذا كلهُ انما هو لمن يبغي طلائع كل واحدٍ من هذه الفنون وانما ذكرنا من الكتب اشهرها وايسرها مثالاً ومن بلغ ان يطالع هذه التصانيف كلها ويستولي على ما فيها فان لم يستغنِ بنفسهِ لم يعجزهُ ان يتوسع في كل فنٍّ باستقراء كتبهِ

واما تاريخ اللغة العربية وتتبع اطوارها في زمنٍ زمن فهذا ما لا تجدونهُ في كتاب ولكن يمكنكم ان تتوصلوا الى شيء من مجملهِ باستقرآء مؤلفات كل عصر وهو من اعزّ المطالب الحالية . واما اخلاق العرب وعوائدهم وغير ذلك مما ذكرتم فتجدون منها بعض الغنآء في كتاب الاغاني وفي العقد الفريد

واما لزوم الاشتغال بالشعر للمنشئ فيكفيهِ منهُ الحفظ والاستظهار والاكثار من قرآءة دواوين المتقدمين ولاسيما من الجاهلية لاقتباس ملكتهم واشيآء من الفاظهم واما أن يعاني الشعر بنفسهِ حتى يكون شاعراً فليس في شيء من لوازم الانشآء

واما المعجمات العربية فان امكنكم مقتنى تاج العروس او لسان العرب

والا فافضلها محيط المحيط وان كان لا يخلو من مواضع يؤخذ عليهِ فيها الا ان في غيرهِ من ذلك ما لا يُذكر في جنبهِ ما في محيط المحيط والله اعلم

متفرقات

تبيض الزنج ـ تختلف الوان البشر باختلاف الاقليم وما تتعرض لهُ من الحرّ والبرد وغيرها فكلما اشتدت حرارة الاقليم كان اللون اشد سوادا الا ان ذلك ليس من فعل الشمس وتسويدها لظاهر الجلد مباشرة كما تزعمهُ العامة ولكن لذلك سبباً آخر وهو ان تحت الجلد مادّةً ملوّنة تتخلل الشبكة المخاطية المستبطنة للجلد على هيئة حُبَيبات سمراء . وهذه المادة في جميع اصناف البشر واحدة الا ان الفرق بين الابيض وغيرهِ انما هو بالقياس الى عدد هذه الحُبيبات وحجمها وهي تنمو وتتكاثر بارتفاع درجة الحرارة وتقل وتضعف في الاقاليم الباردة وبحسب ذلك يكون الجلد ابيض او اسمر او حبشياً او اسود او غير ذلك من الالوان المعروفة في البشر . وعليهِ فالسواد في الزنجيّ يكون بمنزلة ضرب من الوشم الا انهُ من صنع الطبيعة

على ان هذه الحُبيبات قد يعرض لها من فساد المزاج او غيرهِ ما يضعف نموّها ويقلل عددها فيحدث هناك ما يسمى بالبَهَق وهو بياضٌ شبيه بالبرص الا انهُ ليس منهُ وقد رُؤي من الزنج من عمّ البَهَق جميع جسمهِ فانقلب من السواد الى البياض ومن ذلك ما رواهُ الاب دِكمار المؤرخ الشهير من علماء طبائع الحيوان من اهل القرن الثامن عشر فانهُ نشر

في جريدة الطبيعة سنة ١٧٧٧ فصلاً وصف فيهِ زنجيةً بيضاء من ابوين زنجيين في جزيرة دومينيك قال وهي كسائر الزنج مفلطحة الرأس ضيقة الجبهة بارزة الفكين غليظة الشفتين فطساء الانف وعلى الجملة فلها جميع ملامح الزنوج وبياضها امهق (اي لا يخالطهُ حمرة وليس بنير ولكنهُ كلون الجص) وشعرها وحاجباها واهدابها الى الشقرة ولها اخوة كلهم سود لكن يقال ان البكر وُلد ابيض ثم اسودّ . وفي سنة ١٧٨٢ ذكر انهُ رأى زنجيةً اخرى بيضاء وهي ابنة احد الاقيال بشطوط الغابون وذكر غيرهُ في نحو ذلك التاريخ انهُ رأى زنجيةً بلقاء اي مبقعة بالبياض واخذ عنها صورةً هي اليوم في دار الآثار بباريز . وللعلماء في هذه الفلتات الغريبة مباحث طويلة لم ينتهوا منها الى حقيقة ولذلك نضرب عن ذكرها الا ان الذي ظهر لهم ان هذا الانقلاب اكثر ما يتفق وقوعهُ في زنوج افريقيا ولاسيما النساء منهم الا ان اولادهنّ يكونون سوداً او بلقاً واما في هنود اميركا النحاسيين فهو اقلّ جداً واقلّ منهُ في السلائل البيضاء والصفراء

ومن رأي بعض العلماء في هذه الايام ان هذا التبديل في اللون يمكن ان يتمّ بالصناعة باستخدام الكهربائية وتسليطها على المادة الملوّنة التي تحت الجلد . وذلك ان للكهربائية قوةً على التأثير في النسيج الحيويّ وما يتخللهُ من السوائل فانهم قد استعملوها في ازالة السلع والجول والاورام الدموية وغيرها وزعم بعضهم انهُ ازال بها الوشم . اما كيف يتم بها هذا التأثير وهل هو عن فعلٍ كيماويّ مجهول الكيفية او عن تقليصها للاوعية الدموية بحيث ينقطع عنها الغذاء او يتشوش فما لم يتوصلوا الى تحقيقهِ بعد . ومهما يكن من ذلك

فانهُ مع ثبوت هذا التأثير للكهربائية لا يكون من المستبعد ان يُتوصل بها الى تبييض لون الزنجي اذ ليس بين ما ذُكر وهذه الغاية الا خطوةٌ واحدة بل جاَء في بعض المجلات الانكليزية ان احد العلماء قد توصل الى ذلك فعلاً

بقي ان يُنظر هل يرتضي الزنج بتغيير الوان جلودهم واستبدالها باللون الابيض فقد روى ابن بطوطة انهم يعتبرون الابيض غير ناضج والاسود ناضجاً ولذلك فان من ياكل لحم الآدميين منهم لا ياكل لحوم البيض ...

فوائد

تنقية الزيت المستعمل لآلات الساعات وآلات الخياطة ونحو ذلك من الادوات الدقيقة ـ يُصَبّ مقدار من زيت الزيتون من اجود صنف في صحفةٍ من الصيني وتُجعَل هذه الصحفة في وعاَء اوسع منها ليتلقى الزيت اذا انكسرت الصحفة . ثم يؤخذ نحو ثقل الزيت من الرصاص ويذاب حتى يحمرَّ ثم يُصَبّ على الزيت صباً مستديراً وبعد ذلك يُجعَل الزيت في اناَء زجاجي ويعرَّض لاشعة الشمس مدة ثلاثة اشهر ويغطى فم الاناَء بصفيحةٍ من الزجاج منعاً لدخول الغبار وغيرهِ من الموادّ الغريبة وبعد ان يشمَّس المدة المذكورة يصفَّى ويُجعَل في قارورةٍ للاستعمال

والزيت المعالج كذلك ينبغي ان يكون تامّ البياض والشفوف وان لم يكن كذلك وجب اعادة تنقيتهِ مرةً اخرى ولا سيما اذا كان المراد استعمالهُ للساعات

صفة لمنع الصدأ ـ يستعمل لذلك المزيج الآتي وهو ٣ اجزاء من زيت التربنتينا وجزء من القلفونيا وجزء من شمع العسل تُدهَن بها القطع الصقيلة بعد ان تمزَج جيداً

طلاء ذهبي ثابت ـ اعتادوا ان يطلوا النحاس الاصفر بطلاء يعطيهِ لون الذهب يركبونهُ عادةً بالزعفران او بمواد اخر اقلّ ثباتاً منهُ كدم الاخوين ونحوهِ ولكنهم اخيراً اصطلحوا على ان يصنعوهُ من صِبغ القوَّة وثبات هذا النوع معروف وهو يركب على الصفة الآتية

يحلّ ٦٠ غراماً من عرق القوَّة في ١٨٠ غراماً من الكحل الشديد التركيز فيكون السائل المصفى منهُ في لون احمر مشبع الحمرة . ثم يحلّ صمغ اللك النارنجي في الكحل المركَّز ايضاً ويُترَك المحلول يتصعد حتى يصير في قوام الشراب وحينئذٍ يضاف اليهِ الصمغ المذكور شيئاً فشيئاً حتى يصير اذا أُخذت قطرةٌ منهُ ووُضِعت على النحاس الاصفر المصقول تعطيهِ اللون المطلوب

وقاية البصر من الكلال ـ ذكر احد منشئي الجرائد انهُ كان يشكو من كلال بصرهِ لطول الاستعمال حتى لم يكن يستطيع الكتابة الا بصعوبة فاهتدى الى طريقةٍ تقوّى بها بصرهُ وهي انهُ اتخذ قِطعاً من الورق الملوَّن بالوان مختلفة والصقها على مكتبهِ بالقرب من دواتهِ بحيث كان كلما غمس القلم في الدواة تقع عيناهُ على هذه القطع فوجد لذلك راحةً عظيمة في عينيهِ وهو يدّعي ان بصرهُ قد صلح بذلك حتى استغنى عن استعمال الزجاج

فكاهات

رواية

المتهم البريء [1]

كان في احدى مدن انكلترا فتىً يدعى يوسف من اسرة شريفة وكان ابواهُ على سعةٍ من اليسر فربياهُ تربيةً حسنة الا انهُ لم يكد يناهز سن الشباب حتى اخنى الدهر على والدهِ فذهب مالهُ واصبح فقيراً لا يملك القوت ولم يلبث بعد ذلك ان توفي وتوفيت والدتهُ وبقي يوسف يتيماً فقيراً ليس لهُ من يعولهُ ولا ترك لهُ ابواهُ ما يعيش بهِ . فجال يطلب لهُ شغلاً يرتزق منهُ فاغلقت الدنيا في وجههِ ابوابها ولم يقصد احداً من معارفهِ يستعينهُ الا اصمَّ اذنيهِ عنـهُ الى ان سئم العيش وكثيراً ما كانت تحدثهُ نفسـهُ ان يتطاول على بعض بيوت الاغنياء فيسلب منهُ حاجتهُ ثم تمنعهُ الانفة من ذلك فيكفُّ عنهُ

ولما بلغ منهُ الضيق وسدَّت امامهُ جميع سبل المعاش عزم على ان يهاجر بلدتهُ الى حيث لا يعرفهُ احـد فاذا تعذر عليهِ الاستخدام لجأ الى السؤال الى ان يمن الله عليهِ بالفرج . فغادر مسقط رأسهِ وذهب هائماً على وجههِ الى ان بلغ احدى ضواحي لندن وكان قد نهكهُ الكلال والجوع فمال الى

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فندقٍ صغير وجلس ليستريح ثم طلب من صاحب الفندق ان يجود عليهِ بشيء يسدّ بهِ رمقهُ فادركتهُ عليهِ شفقةٌ واتاهُ بطعام وشراب ووضعها لهُ على احدى موائد الفندق فجلس ياكل . وكان على مائدةٍ اخرى بالقرب منهُ اثنان من اهل تلك الناحية يتناولان الطعام وقد خاضا في الحديث ونظر احدها من احدى نوافذ الفندق فرأى قصراً فاخراً تحيط بهِ حديقةٌ غناء فقال لمن هذا القصر والحديقة فاخذ الآخر يقصّ عليه خبر ذلك القصر فقال هو لرجلٍ من الاغنياء يقال لهُ اللرد مانرت وهو رجلٌ قبيح الصورة والاخلاق يبلغ الثمانين من العمر قصير القامة ضخم الجثة كبير الرأس وحشيّ الملامح لهُ عينان صغيرتان يتوسطها انفٌ عظيم وهو على ذلك شرس الطباع سيئ العشرة بالغٌ من البخل اعظم مبلغ مع ان عندهُ من الاموال والعقار ما لا يعلم مقدارهُ الا الله . وقد تزوج منذ عهدٍ غير بعيد فتاةً هي من اجمل خلق الله صورةً فتية السن لا تجاوز الرابعة والعشرين الا انها كانت رقيقة الحال فاكرهها اهلها على الاقتران بهِ طمعاً في مالهِ من بعدهِ واغترّت المسكينة بالآمال فتزوجت اللرد غير انها لم تلبث عندهُ الا قليلاً حتى لعنت اليوم الذي تم فيهِ ذلك الزواج وعلمت انها قد وقعت في شركٍ لا خلاص لها منهُ الا بموتها او موت اللرد . فانهُ لشدة غيرتهِ عليها سجنها في قصرهِ فلم يكن يسمح لها بالخروج منهُ منذ يوم دخلتهُ ولا هو يخرج من القصر ليلاً ولا نهاراً وزاد على ذلك ما هو فيهِ من البخل والشح الشديد مع سائر ما ذكر من صفاته خَلقاً وخُلقاً حتى كرهت المعيشة وجعلت تندب حظها وشبابها

وان لزوجها نسيباً اسمهُ ادورد كان يزورهُ في بعض الاحيان وهو

فتىً جميل الطلعة حسن الخلال فاجتهدت في استمالتهِ حتى علق بمحبتها وجعل يكثر من التردد الى القصر والخلوّ الى الفتاة وشعر اللرد من ذلك بما مضّهُ واستوقد نار غيرتهِ فحظر عليها مجالسة ادورد واجتهد في قطع الصلات بينهما قبل تمكنها فزاد ذلك في كدها وغمها واضحت العيشة بينهما مرارةً يتقابان منهما على مثل عذاب السعير . وقد بلغني ان في قصرهِ هذا غُرفاً قد جمع فيها من الجواهر الثمينة واللآلئ النفيسة ما لو وُضع في كيسٍ واحد لما تمكن رجلان من رفعهِ عن الارض وهذا خلا النقود التي تقدَّر بالملايين ومع ذلك فان نفقاتهِ لا تبلغ نفقة اقل واحدٍ من اواسط الناس

وكان يوسف مصغياً لهذا الحديث يسمع ويعجب من تباين قسمة الله في الارض وهو يقابل حالة اللرد مع حالتهِ الشقية فهام في بيداء الافكار والتأملات . ولبث تلك الليلة في الفندق فتكرم عليهِ صاحب الفندق بسرير ينام عليهِ فاستلقى على سريرهِ وجعلت الافكار تدور في رأسهِ وهو يتمنى لو يحصل على جزء يسير من تلك الالوف المؤلفة التي عند اللرد فلم يأخذهُ غمضٌ وادركتهُ اذ ذاك عوامل خفية امانت ما بقي حياً من عزة نفسهِ وسلامة ضميرهِ واحدثت عندهُ جرأةً على ان يقصد في تلك الليلة قصر اللرد ويحتال في الحصول على شيء من تلك الجواهر . وما زال يتردد بين العزم على ذلك والنكوص عنهُ حتى انتصف الليل وغلب عليهِ الاقدام على الامر فنهض من سريرهِ وحمل كيساً رآهُ في الغرفة وانسلَّ من الفندق فتوجه الى ناحية القصر . ولما بلغ سور الحديقة تسلقهُ ثم اخذ يمشي متحرزاً حتى بلغ البيت وكانت نوافذ الدار السفلى قريبةً من الارض فاحتال على ان فتح

احداها ولم تكن مشبكةً بالحديد فسر بذلك واستبشر بنيل مأربهِ وفي اسرع من طرفة عين وثب الى داخل الغرفة فاستتر تحت ذيل الظلام . وبينا هو يفكّر كيف ينقل خطواتهِ واي جهةٍ يتخذ اذا بنورٍ قد لمع امامهُ بغتةً وقائلٍ يقول لهُ حيّاً الله مقدمك ايها الصاحب . ولا حاجة الى شرح ما ألمّ بيوسف على اثر تلك المفاجأة ولا سيما وهو لم يتعود ركوب مثل هذا المركب المخيف ونظر فابصر امامهُ فتاةً بثيابها البيض وقد سدلت شعرها الاسود على كتفيها وفي يدها شمعة شديدة الضياء فاصطكت ركبتاهُ وامتقع لونهُ وهمَّ بالفرار غير انهُ لم يستطع وشعر كأن قوةً كهربائية قد سمرتهُ في موقفهِ فلم يقوَ على الحراك . ورأت الفتاة عليهِ علائم الخوف فكلمتهُ بصوتٍ لطيف وقالت لا تخف يا صاح فقد لمحتك من غرفتي حين تسلقت جدار الحديقة ورأيتك تحاول فتح النافذة فاتيت للحال لافتحها لك لو لم تسبقني انت الى ذلك . والآن فلمَّ معي بدون ان يشعر بنا احد ولا تخف فاني صديقتك واحب ان اساعدك فيما تنويهِ . فقال يوسف لا شك ان قصدكِ ان تقوديني الى الدار حيث توثق يداي وأُرسل الى السجن وانا حتى الآن لم اجنِ جنايةً فدعيني اذهب ولا تخدعيني بدعوى الصداقة وانكِ تريدين مساعدتي على سلب بيتكم . قالت بل هو ما اقول لك فاني اريد مساعدتك فعلاً لاسباب اهمها علمي بانك محتاج ولولا ذلك لما خاطرت بحياتك واقدمت على هذا العمل . وزوجي اللرد رجل غنيٌّ واسع الثروة وهو مع ذلك لا يساعد احداً وانا على عكسهِ فان لي قلباً يشعر بالمصائب وارى من العار والدناءة بل من مخالفة مشيئة الله ان تكون الجواهر الثمينة والقناطير المقنطرة من

الاموال مدفونةٌ تحت ابنية هذا القصر وامثالكم يتضورون جوعاً ولا يجدون ما يمسكون بهِ رمقهم · اجل اني اودّ ان اؤاسي امثالك ولو افقدت زوجي شيئاً من مالهِ فاني اكرههُ لاني اكره الغنيّ البخيل واحبّ مؤاساة الفقير لاني ذقت طعم الفقر فسر معي ولا تخشَ ولكن اقفل النافذة التي دخلت منها لئلاّ يرى احدٌ النور هنا في مثل هذا الساعة

ورأت السيدة الكيس على كتف يوسف فتبسمت ثم سارت امامهُ الى ان بلغا غرفة فسيحة قد خصصها اللرد لخزن جواهرهِ وزين جدرانها باصناف الاسلحة والآلات القديمة وملأها بصناديق زجاجية قد وضع فيها مجاميع من اوسمة (نياشين) الدول وما استطاع جمعهُ من الحلى والمصوغات ونفائس الجواهر · فكان يوسف ينظر الى هذه الاشياء وهو لا يصدّق ان ربة البيت تقودهُ لتساعدهُ على سلب اموال بعلها · وانتهى الى واحدٍ من تلك الصناديق مملوء بالجواهر فوقف امامهُ واخرج من جيبهِ سكيناً فعالج بهِ قفل الصندوق حتى فتحهُ · فقالت لهُ السيدة لا تعجل يا صاح فانك ستصل الى افضل من هذا فقال اشكركِ يا سيدتي لكن هذا يكفيني اذا سمحتِ لي به · قالت نعم هو يكفي ولكنك ستجد صعوبةً في بيع هذه الجواهر وربما عُرِفت فافتضحتَ بسببها فالافضل لك ان يكون ما تأخذهُ نقوداً · قال هذا هو الصواب · قالت ان زوجي ينام في الغرفة التي فوقنا وتحت سريرهِ اكياسٌ ملأى بالليرات فان استطعت ان تحمل واحداً منها اغناك آخر الدهر · قال اجل لكن اذا استيقظ زوجكِ فماذا يحل بي · قالت انك تستطيع ان تسكتهُ في اقلّ من لحظة · وللحال لمع في عينيها برق الانتقام

فادرك يوسف حينئذٍ انها ما ارادت الا ان تستعين بهِ على الايقاع بزوجها انتقاماً منهُ وتخلصاً من شرهِ ولما لم يسبق لهُ عادةٌ بمثل ذلك قال لا يا سيدتي فانني اسرق لاضطراري الى المال ولكني لا اقتل . قالت انت وما تريد ولقد كنت اظنك فتاكاً جريئاً على الاهوال فخاب ظني فيك واذا كنت قد اقتنعت بالجواهر فخذ من هذا الصندوق الذي فتحتهُ ما تستطيع حملهُ

وبينما همّ ان يمدّ يدهُ الى الصندوق اذ رأى السيدة قد نظرت الى الخارج واعارت اذناً صاغية فتوقف لينظر ما يكون وللحال سمعا كلاهما وقع اقدام ثقيلة في اول الدهليز ورأيا نوراً ضعيفاً فقالت لهُ هذا زوجي قد اقلقتهُ افكارهُ ولعلهُ سمع حركةً فجاء لينظر ما الخبر فاختبئ انت وراء هذا الستار واذا وصل احتلتُ على صرفهِ ثم تأخذ ما تريد وتنصرف . فدخل واختبأ وراء ستار النافذة ولم يلبث قليلاً حتى وصل اللرد فوقف بباب الغرفة وهو بثياب النوم وفي يدهِ شمعة فرأى زوجتهُ واقفةً امام صناديق الجواهر . فالقى عليها نظرةً حادّة وقال ما الداعي لوجودكِ هنا في مثل هذه الساعة . قالت اني ارقتُ في هذه الليلة ولم استطع الرقاد وليس لي ما اتسلى بهِ فجئت اقطع قليلاً من وقتي برؤية هذه الكنوز . قال لا عجب في ذلك فان من يحاربهُ ضميرهُ لا ينام . قالت اذن لذلك انت تنام ملء عينيك ولا تكاد تستيقظ الا في النادر . قال اما انا فان ضميري لا يحاربني الا على امر واحد وهو اتخاذي اياكِ زوجةً لي فياليتني متّ قبل ان انزلت نفسي الى مقامكِ او رفعتكِ الى مقامي . قالت وما يمنعك ان تطلقني . قال خوفي من الفضيحة بألسنة الناس ولذلك آثرت مضّ البلية على احتمال العار وانا اعلم انكِ تودين

الطلاق لتتخذي ادورد زوجاً لكِ ولكن ينبغي ان تعلمي ان هذا من المحال فموتكِ امام عينيَّ ايسر من خلاصكِ من يدي . ثم زفر زفرةً محرقة وقال آه من النسآء يطلب المرء شريكةً لحياتهِ تشاطرهُ السرَّآء والضرَّآء فتكون قذًى في عينهِ وغصةً في حلقهِ ومرارةً يتجرعها كل دقيقة

وكان هياج اللرد شديداً ورأى بجانبهِ كرسياً فجلس عليهِ واخذ يحدق الى الصناديق ليرى هل طرأ عليها شيءٌ . وكان يوسف قد ترك السكين على غطآء الصندوق الذي فتحهُ فلمحتهُ زوجة اللرد قبل ان يراهُ هو فاسرعت وتناولتهُ خلسةً واخفتهُ في يدها بين اثنآء ثوبها ثم اتت ووقفت ورآء كرسيّ زوجها وكان اللرد لا يزال يتمتم بالشتائم ويلعن الساعة التي اتخذ فيها زوجةً . وعند ذلك بلغ الغيظ من زوجتهِ مبلغهُ وفطنت للسكين الذي في يدها فرفعت يدها من ورآء زوجها وطعنتهُ في عنقهِ طعنتين فتدفق الدم من وريدهِ وحاول ان ينهض فلم يقدر فصاح قتلتني ايتها الملعونة وللحال خرَّ الى الارض صريعاً فتلوّى وتشنج وأنَّ الى ان فاضت روحهُ وهي قابضة عليهِ بيديها

ولما سكنت حركة اللرد خرج يوسف من مخبئهِ وتقدم نحوها فنظرت اليه باسمةً وقالت لهُ بقلبٍ ملؤهُ السكينة انك لم تجترئ على هذا العمل فعملتهُ انا وارحت نفسي من شر هذا الظالم العتيّ لا رحم الله روحهُ . قال يوسف لكن ربما قُتلتِ بعدهُ بيد العدل . قالت هو خيرٌ لي من ان يبقى حيًّا واذوق معهُ الموت كل يومٍ اصنافاً . والآن فهلمَّ وساعدني لنجلسهُ على كرسيهِ وخذ ما شئت من هذه الجواهر وعجل خروجك فقد اوشك ان

يتبسم الصباح . فاقترب يوسف وساعدها على رفعهِ حتى اجلساهُ على الكرسيّ وتلوثت يدا يوسف من دمهِ فشعر بقشعريرةٍ ورعدةٍ عظيمة . ولما فرغا من ذلك همّ بالخروج فقالت لهُ والجواهر . قال لم اعد باحتياج الى شيء سوى الخروج من هذا المحل . قالت لا تكن سخيف العقل فلن يكون لك غير هذه الفرصة فخذ ما استطعت من المال قبل ان تتقاسمهُ ايدي الغرباء . ثم فتحت لهُ الكيس واخذ يضع فيهِ من تلك الجواهر حتى بلغ كفايتهُ ثم حل الكيس وانحنى لها شاكراً وخرج من النافذة ولما وطئ الارض تنفس نفساً مديداً وقال الحمد لله فقد نجوت . غير انهُ ما كاد يرفع رجلهُ ليخطو حتى سمع صراخاً دوت لهُ تلك الناحية وصوتاً يصيح واذلاهُ قتلوا زوجي . امسكوا القاتل امسكوا القاتل . فلما سمع يوسف ذلك بادر فطرح الكيس عن كتفهِ واطلق ساقيهِ للريح غير انهُ ما وصل الى سور الحديقة حتى سدت الخدم في وجههِ باب الفرار فامسكوهُ ورجعوا بهِ الى البيت ثم وصلت الشُرَط والجنود فاوثقوهُ وادخلوهُ الى الغرفة حيث القتيل على كرسيهِ والزوجة الخائنة جاثية بجانبهِ تبكي بكاء مرّاً . فسألها الشرطي اهذا هو القاتل يا مولاتي فرفعت منديلها عن عينيها ونظرت اليهِ وقالت نعم هو بعينهِ . ثم قالت لهُ ويلك ايها النادر كيف طاوعتك يدك الاثيمة على قتل هذا الشيخ العاجز . وغلب على يوسف الدهش فلم ينبس ببنت شفة فقال لهُ الشرطي مالك لا تتكلم . فقال يعلم الله يا مولاي اني لست انا القاتل واذا قلت لكم انها هي القاتلة فهل تصدّقون . فلطمهُ احد الخدم على رأسهِ وقال لهُ اخرس يا لئيم . فقالت لهم دعوهُ انتم واتركوا امر معاقبتهِ للقضاء . ثم

نظرت الى يوسف وقالت نعم ايها السفاك الباغي والسارق المعتدي اني رأيتك واقفاً في هذه الغرفة ورايت زوجي المسكين مضرجاً بدمائهِ وبين يديك كيسٌ مملوء بالجواهر التي سرقتها من هذا المحل لحملةٌ وبادرت الفرار فالويل للّصّ القاتل . وفيما هي تتكلم اذ دخل احد الخدم ومعهُ الكيس الذي طرحهُ يوسف عند هربهِ وهكذا تبرأت تلك الخائنة وعبثاً حاول يوسف تبرئة نفسهِ فاخذوهُ وزجّوهُ في السجن المؤبد يقاسي فيهِ الوان العذاب وخلا الجوّ لتلك الاثيمة فاقامت بعد ذلك تتمتع بالسعادة والغنى مع محبوبها ادورد

ومرّت على يوسف بضع سنوات في السجن وهو صابرٌ مستسلمٌ لاحكام القضآء وقد ايقن ان ذلك كان عقاباً لهُ لمطاوعتهِ نفسهُ الأمارة بالسوء . واتفق بعد ذلك ان مفتش السجون طاف عليها يزور المسجونين وينظر في احوالهم ولما بلغ سجن يوسف توسل اليهِ ان يسمع خبرهُ وقصّ عليهِ ما كان من امرهِ وانهُ انما يقاسي الحبس ظلماً ولكن شواهد الحال لا تسمح لهُ بالتبرؤ لانها باسرها تثبت التهمة عليهِ . فرقّ المفتش لحالهِ ودعتهُ نفسهُ لتحقيق الامر فاحتال في التقرب من امرأة اللرد وجعل يتردد عليها المرّة بعد المرّة ويريها من نفسهِ التعلق بجمالها حتى تمكنت بينهما علائق الحبّ واخذ يستدرجها شيئاً فشيئاً الى ان باحت لهُ بالسرّ وكشفت لهُ حقيقة الواقع . واذ ذاك رفع المفتش الامر الى ديوان القضآء وبعد فحص القضية ظهرت لهم جلية الامر واعترفت اللعينة بما فعلت فأُطلق سراح يوسف بعد ان كوفئ عن مدة حبسهِ من مالها واستلم العدل تلك القاتلة لمعاقبتها بما تستحق

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون تعرَّف على فلان اذا احدث بهِ معرفة وهو من التعبير العامي ومن الغريب ان اصحاب اللغة لا يذكرون ما يعبّر بهِ عن هذا المعنى لكن جآء في كتب المولدين تعرَّف بهِ معدًّى بالبآء وهو مبنيٌّ على قولك عرَّفتهُ بهِ اذا جعلتهُ يعرفهُ على ما يؤخذ من عبارة المصباح · وقد ورد مثل هذا في الاغاني في اخبار عبادل ونسبهِ وهو قولهُ فحركتُ بعيري لأتعرَّف بهنَّ وانشدهنَّ · ومثلهُ بعد سطر · وفي نفح الطيب في الكلام عن يوسف الدمشقي وكان من الذين اخفاهم الله لا يتعرَّف بهِ الاَّ من تعرَّف لهُ اي اظهر لهُ معرفة نفسهِ · ومثلهُ في كلام ابن بطوطة وغيرهِ مما لا حاجة الى استقصآئهِ وفي كل ذلك كلامٌ لا محل لهُ في هذا المقام

ويقولون مكانٌ واطئٌ وقد وَطُؤَ المكان اي انخفض واطمأَنَّ ولم يرد من هذا الا قولهم الوطآء بفتح الواو وكسرها والميطآء لما انخفض من الارض بين النشاز والاشراف يقال هذه ارضٌ مستوية لا ربآء فيها ولا وطآء اي لا صعود فيها ولا انخفاض ولم يُسمع من هذا فعل

ويقولون زرع الشجرة اي غرسها وانما الزرع للحبّ والبزر ولا يقال للشجرة وما في معناها

ويقولون سارت بهِ المركب فيؤنثون المركب وهو عجيب وقد ورد مثل هذا في سياقة الف ليلة وليلة ولا يُدرى ما اصلهُ

ومثلهُ قولهم التهبت حشاهُ من الحزن وربما قالوا وجعتهُ رأْسهُ ووجعتهُ

بطنهُ كما تقولهُ عامة اهل مصر يؤنثون هذه الالفاظ كلها وهي مذكرة ·
وقد ورد شيءٌ من هذا في كلام بعض السالفين كقول ابن نباتة المصريّ

وسلبتَ لُبّي والحشا وجبت فبيتُ بالايجاب والسلبِ

ومثلهُ قول ابن الفارض

وما كان يدري ما اجنُّ وما الذي حشايَ من السرّ المصون اكنّتِ

ومن هذا قول البديع الهمذاني

ولي جسدٌ كواحدة المثاني ولي كبدٌ كثالثة الاثافي

وانما المثاني جمع مثنَى وهو الوتر الثاني من اوتار العود فصوابهُ كواحد المثاني ·
وربما ورد لهم عكس هذا فذكروا المؤنث كقول ابي تمام الطآئي

لمذلتهُ في دمنتين تقادما ممحوّتين لزينبٍ وربابِ

يريد تقادمتا وهو من الضرورات التي لا تباح للشاعر · ومثلهُ قول المأموني من شعرآء اليتيمة

من تحتهِ عينان منذ م انفتحا ما انطبقا

اي انفتحتا وانطبقتا · ومن ذلك قول البستيّ

الى حتفي مشى قدمي ارى قدمي اراق دمي

بتذكير الضمير العائد على القدم في قولهِ اراق وانما اوقعهُ في هذا طلب التجنيس بين ارى قدمي واراق دمي · وقد تبعهُ في هـذا ابن حجة الحموي حيث يقول من بديعيتهِ

ورمتُ تلفيق صبري كي ارى قدمي يسعى معي فسعى لكن اراق دمي

ومن هذا القبيل قول صفيّ الدين الحلي

فقلبي باحسانكم فارغٌ وكفي بانعامكم ممتلي

فذكّر الكف ولم تُسمع كذلك الا في بيتٍ تأوّلوهُ . ومثلهُ قول ابن نباتة في المناظرة بين السيف والقلم اين انت من حظي الاسنى وكفي الاغنى .

ومن ذلك قول لسان الدين بن الخطيب

في اشهرٍ عشرةٍ طحنتهُمُ فيا رحى الشؤم والبوار دُرِ

وفيهِ اما تذكير الرحى وهي مؤنثة او حذف الواو من قولهِ دُرِ لان عين الاجوف لا تُحذَف من امر الانثى

واغرب من ذلك اجرآؤهم جمع غير العاقل هذا المجرى كقول ابن هانئ الاندلسي يصف خيلاً

محجلة غرًّا وزُهرًا نواصماً كأنّ قباطيًّا عليها منشّرا

بالتذكير في وصف القباطيّ وهي جمع قبطية بكسر القاف وضمها لثيابٍ بيض رقاق من الكتان كانت تُنسج بمصر وهي منسوبةٌ الى القبط . ومثلهُ قول ابن المفضل البغدادي

خطرت فكاد الوُرق يسجع فوقها ان الحمام لمغرمٌ بالبانِ

وانما الوُرق جمع ورقآء وهي الحمامة لونها لون الرماد . وقول عبد الصمد الصفّار

وشقائقٌ شقّ القلوب كانهُ خدٌّ مابحٌ ضمّ صدغًا اسودا

فذكّر الشقائق وهي جمع شقيقة لواحدة الشقيق وهو النَّور المعروف . ومثلهُ قول النشابي

كما سبحت تبغي الحياة اراقمٌ على روضةٍ فيها الاقاح المنوّرُ

وفيهِ التذكير وحذف اليآء من آخر الكلمة لان اصلها اقاحيّ بتشديد اليآء

وتخفيفها وانما يجوز الحذف مع التخفيف في الوقف كما في الكبير المتعال ونحوهِ . ومن الغريب ان هذه اللفظة شاعت كذلك بين الشعرآء حتى لا تكاد تجد من تفطن لاصلها او تنبه لكونها جمعاً وقد وردت فيما لا يحصى من الشعر كقول ابن عائشة الاندلسي

اذا كنت تهوى خدهُ وهو روضةٌ ... بهِ الورد غضٌّ والاقاح مفلَّجُ

وقول ابن الزقاق

قلنا واين الاقاح قال لنا ... اودعتهُ ثغر من سقى القدحا

وقول ابن قرناص

رأيت نرجسها يغضّ جفونهُ ... عنا وثغر اقاحها يتبسمُ

وقول ابن منجك

ليَ من وجنتيهِ وردٌ جنيٌّ ... ومدامٌ من ثغرهِ وأقاحُ

هكذا بضم الحآء لان القصيدة مضمومة الرويّ واولها

ألديهِ نهب النفوس مباحُ ... رشأٌ سافك الدما سفّاحُ

ومثلهُ قول الآخر

تحيّر في الرياض فليس يدري ... أيجني الورد ام يجني الأقاحا

والامثلة في ذلك كثيرةٌ فنجتزئ منها بهذا القدر

(عوذٌ) ويقولون تناول طعام الغدآء عند فلان يريدون الغدآء بالدال المهملة وهو طعام الغداة وانما الغذآء مطلق القوت لا يراد بهِ طعامٌ مخصوص

ويقولون فلانٌ قبيح الفعائل يريدون جمع فعل او فعال وكلاهما لا يجمع هذا الجمع وقد جآء من هذا قول الحاجبي رواهُ لهُ في خزانة الادب

وحاكت في فمائلها المواضي فيا لكِ مقلةً غزلت وحاكت

ويقولون انشغل عنهُ اي عرض لهُ ما شغلهُ ولم يُحكَ وزن انفعل من من هذا الحرف وانما يقال شُغِلَ عنهُ بصيغة المجهول واشتغل

ويقولون هو شاعرٌ بليغ ناهيك عن شجاعتهِ اي فضلاً عن شجاعتهِ مثلاً ولا يستعمل ناهيك بهذا المعنى انما يقال زيدٌ رجلٌ ناهيك من رجلٍ كما يقال كافيك من رجلٍ وحسبك من رجلٍ اي هو كافٍ لك فكانهُ ينهاك عن طلب غيرهِ (ستأتي البقية)

اريج الخليج
او
تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

وفي القسطنطينية من الروم ما ينيف على الثلاث مئة الفاً واكثرهم من رعية الدولة العلية وكل هؤلاء يتكلمون الفرنسوية ولو بعض كلمات وكبارهم يفتخرون بمعرفة هذه اللغة فلا يتكالمون في اجتماعاتهم ولا يحيي بعضهم البعض الا بها . على ان الذي يحسن لفظها من الروم والارمن قليل ولذا كنت اتعجب حين اسمع روميين او ارمنيتين يتكالمان بهذه اللغة وهما لا يحسنان التعبير بها فضلاً عن ظاهر بعدهما عن اجادة لفظها حتى علمت ان هؤلاء يحسبون ان هذه اللغة تُكسب متكلمها شيئاً من الهيئة الفرنسوية والمسحة الباريسية وتظهرهُ بمظهر الرشاقة واللطف ورقة الشمائل وسلامة

الذوق وادب المباشرة الى ما شاكل ذلك من غايات المدنية وكمالات الحِضارة المصرية . وقد فاتهم أنْ ليس كلّ قدٍ مائل ولا كلّ طرفٍ ذابل ولا كلّ وجهٍ يزينهُ الخمار ولا كلّ لونٍ يليق لكلّ ذات سوار فثمَّ من معاني الحسن ما تستأسر لهُ النفوس وتطأطئ لدولتهِ كبار الرؤوس ومن آيات الجمال ما لا يعبّر عنهُ طويل المقال بل هنالك شيءٌ كثير من محاسن التربية وطيب الاعراق وادب النفس ومكارم الاخلاق وحصة كبيرة من الفضائل الانسانية والكمالات المعنوية ولو اقلّ هؤلاء المتشبّهون من تفرنسهم في المخاطبات وحسنت آدابهم في المحاضرات والمعاملات وتجنّبوا عند مرورهم في الطُرُق اللكز والدفع او رقّت منهم حواشي الطبع فاعتذروا عمّا فرط منهم من الفلاظة والخشونة لكان ذلك اقرب الى المدنية وادلّ على الحِضارة واولى من التكلّم بلغة ربما كانت ادعى الى كشف عوارهم لما هو المشهور عن رقة اهلها . وقد طال بنا الشرح في هذا المعنى حتى كاد يخرجنا عن الموضوع فنعود الى ما كنا فيهِ

ومن مستهجن عادات اولئك القوم انهم لا يستنكفون من استصحاب زوجاتهم الى دور القهوة بل ربما استصحبوا بناتهم واطفالهم ايضاً لشرب شيء من المسكرات قبل الاكل ثم يتغدّون او يتعشّون هناك . وقد يكون بجانب تلك الزوجة المصونة والابنة المخدّرة او قبالتهما بعض ذوات الخلاعة والتهتك مِمّن يستحي طرف الشاب النزيه فضلاً عن ذوات العفاف من النظر اليهنّ والى مَن حولهنّ من اهل الطيش والغواية ولا اعلم عن اي البلاد المتمدنة اخذ هؤلاء المتفرنجون هذه العادة القبيحة

اما اخلاق الاهلين من المسلمين فهي السذاجة والاستقامة والقناعة عند سائر اصناف السوقة واللطف والاناقة والذكاء وحبّ الابهة والترف عند اكثر الاكابر واهل المناصب . ويتبعهم في ذلك الروم واكثرهم يفضلون الترف الظاهر على الرفاهية البيتية فثوبٌ من حرير افضل عندهم من فراشٍ وثير ووقفةٌ في الطريق احبّ اليهم من زيارة صديق والتخطر في اسواق البلد خيرٌ من مجالسة الاهل والولد وبالاجمال فهم في ذلك كاكثر سكان العواصم في سائر الاقطار لا يعرفون شيئاً من ملاذّ العيشة البيتية الراضية التي الفها سكان المدن الداخلية والبلاد الصغيرة

اما القسم الاول من القسطنطينية وهو استنبول فهو بيزنطية القديمة عاصمة قياصرة المشرق ومخلدة آثارهم وهي ملتقى الناس المختلفي الاجناس والاديان واللغات والازياء من سائر نواحي الارض اكثر شوارعها ضيقة قذرة وارضها مفروشة بظرّانٍ من الحجر الاسود

بارزاتٍ كاسهمٍ تثقب الجلد م وتفري العظام بعد الجلودِ

واضف الى ذلك ما بها من صعوبة المسالك فاكثرها منخفضات ومرتفعات وان شئت قلت جبالٌ واودية قد قامت عليها الدور والمنازل واختطّت فوقها الاسواق والشوارع . وقد اعتني منذ عهد قريب بتوسيع طرقاتها ومنها الطريق المؤدية الى جامع ايا صوفيا وشوارع غيرها حول الباب العالي . وفي هذا القسم دار وزارة العدلية ومحاكمها ودار نظارة التجارة والزراعة ومصرف الزراعة ودوائر الباب العالي الشهيرة وهي مركز وزراء الدولة . وبالقرب منها قصور الملوك البيزنطيين وهي اليوم مسكن حرم السلاطين السابقين وفي

قسم منها دار الضرب . وكان ساكن الجنان السلطان محمّد الفاتح قد شيّد في ناحية من بستان هذه القصور قصراً صغيراً وزين جهةِ بابهِ بالنقوش والكتابات الجميلة على الخزف القاشاني البديع فحوّلهُ ساكن الجنان السلطان عبد العزيز الى دار عاديّات سُمّيت « موزه خانه » ولما اسعد الزمان بخلافة امير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان الثاني اعزّهُ الله أمر ان تُبذَل العناية في جمع العاديات من سائر اطراف المملكة فجُمع من ذلك شيءٌ كثير حتى ضاق القصر المتقدم الذكر بمحتوياتهِ فامر ان يُبنى امامهُ قصر آخر جعلهُ داراً ثانية للعاديات وقد ضاق الآخر ايضاً بما ازدحم فيهِ من العاديات المتواردة من سائر اطراف المملكة واكثرها من الزجاج والحجر وبلغني ان سيُبنى قصر ثالث لهذه الغاية . وانفس تلك العاديات النواويس التي اكتُشفت في نواحي صيداء منذ عهد قريب وقد نُقلت منها بعناية صاحب السعادة الهمام حمدي بك مدير دار العاديات وهي بالحقيقة مما لم ارَ لهُ نظيراً في دور العاديات في باريس . ومعلومٌ ان اقدم آثار الحضارة البشرية وجدت في المملكة العثمانية بين مصر وسوريا وما بين النهرين وفلسطين ومنها نُقلت تباعاً الى عواصم اوربا فتزينت بها دور العاديات فيها

وفي هذا القسم ايضاً دار السر عسكرية وهي امارة الجيوش السلطانية المظفرة وهي بناء فخيم كبير جداً قد استغرق بناؤهُ نحو الست مئة الف ليرة عثمانية . وفي القسطنطينية من القلاع والحصون والمصانع عدد كثير وكلها ملآء بالجنود ومن قصورها الفخيمة وجوامعها العظيمة جراغان سراي الذي شادهُ ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان وهو احدى عجائب

القسطنطينية ثم قصر جلجه . وفي هذا القسم ايضاً دار المشيخة الاسلامية وفيهِ محطة المركبات البخارية التي تخترق اكبر قسم من اوروبا . وفيهِ ايضاً الكنيسة الكبرى للروم الارثوذكسيين ودار بطريركيتهم التي هي مقام البطريرك القسطنطيني وكنيسة للبلغار جميلة جديدة مشيّدة من الحديد والفولاذ . وهـذا القسم هو مقر البطريرك القسطنطيني للارمن اليعقوبيين وفيهِ للرّوم والارمن كنائس كثيرة . وفي هـذا القسم دار البريد الكبرى ودار التلغراف وجامع اياصوفيا الذي تقدم ذكرهُ وهو الكنيسة التي أُسست على عهد القيصر يوستنيانوس احد القياصرة البيزنطيين وهي اعظم بناء وابدع مثال للهندسة البيزنطية وامامها ساحة فسيحة جداً . وفي هذا القسم ايضاً جامع السلطان احمد وهو من اشهر جوامع القسطنطينية وجامع نور عثمانية وغيرهما من الجوامع الكبيرة وآثار قديمة اخر تفوق الاحصاء . وفيهِ مطابع كثيرة واكثر الصحف التركية التي تُنشر في الاستانة تصدر في هذا القسم منها

اما القسم الثاني وهو اسكي دار اي الدار القديمة المعروف عند الفرنج باسم (سكوتاري) فهو واقع في قارة آسيا لا يفصلهُ عن استنبول من الجنوب الاّ اللسان الداخل من بحر مرمرا وعن بيك اوغلي او بيرا الاّ الخليج شمالاً . وهذا القسم من القسطنطينية ليس بهِ ما يستحق الذكر الا مقبرة قديمة يقصدها بعض السيّاح من الفرنجة وفيهِ ايضاً محطة المركبات التجارية الاناضولية المعروفة بطريق الاناضول الحديدية وبهِ ميدان تزهو حولهُ كثير من البساتين ورياض الجلجة الانيقة وهي تقصد في الصيف من نواحي استنبول للطف هوآئها وعذوبة مآئها وجمال مطلّها على مرمرا والخليج .

وبيوت اسكي دار من الخشب الا النادر واكثرها حقير واسواقها ضيقة قذرة وغير مستقيمة وليس بها دورٌ للقهوة الاَّ ما ندر . وبالجملة فهذا القسم ببلدة من بلاد الاناضول اشبه منهُ بقسم من القسطنطينية والمسافة من استنبول اليهِ نحو العشرين دقيقة على مسير السفن الخيرية البخارية . وهذه السفن تبلغ نحو الخمسين وهي مختصة بشركة عثمانية تسمى الشركة الخيرية وسفنها هذه صغيرة تحمل نحو الاربع مئة رجل وهي مصنوعة لهذه الغاية فقط اي نقل الركاب بين استنبول وبيك اوغلي وبين اسكي دار وسائر قرى الخليج والجزائر القريبة منها المحسوبة في عدادها . وفي كل نصف ساعة او اقلّ تجيء احدى هذه السفن الى جهة من الجهات المذكورة فقسم يجري في قرن الذهب وهو آخر الخليج وقسم يصل حتى البحر الاسود والاجرة الى ابعد قرية لا تتجاوز خمسة قروش والمسافة تبلغ الساعتين على معدّل سير هذه السفن السريع (ستأتي البقية)

مناظرة السيف والبخار

لحضرة الفتى النجيب جبران افندي النحاس

خطب السيف مستهلَّ الدعاء ... باسم موليهِ نُصرة الانبياء

ثم نادى سبحان مَن جعل السيف ... م لكلٍ مفتاح كل رجاء

بي بلوغ المنى وكيد الاعادي ... واقتحام الاهوال في الهيجاء

ليس غيري في الارض خلٌّ وفيٌّ ... يُرتجى في السرَّاء والضرَّاء

طالما كنت خدن ربِّ المعالي ... ورفيق الملوك والامراء

انا ربُّ الحروب والجند والمو ... تُ رسولي والدهر من أُجرآئي
فاذا ما برقت تحت سحاب ال ... نقع يوماً امطرت سيل الدماء
واذا ما برزت اقبل نصر م ... الله والفتح من اعالي السماء
فالى شفرتيَّ تُنمى المنايا ... وعلى صفحتيَّ خطُّ القضاء

***

واذا بالبخار يقبل عَدْواً ... ناشراً فضل لِمَةٍ شمثاء
ثم نادى قَدْكَ ٱتَّئِبْ قَدْكَ سفاً ... كَ الدما قد اربيتَ في الغُلوآء
آلة الشرّ والبلآء وفيها ... فخرُ من كان آلةً للبلآء
عند ذا استضحك الحسام وقال م ... الله حسبي من ذا المقال الهرآء
كرّمتني الابطال طرّاً فما م ... أنكرَ فضلي الا أنشاز الهبآء
فاجاب البخار والقلب قد أُشعِر م ... مضاً من حرّ هذا الهجآء
ابأصلي يا أبن الحديدةِ تهزا ... ساخراً بي انا أبن ماء السماء
قال دع ذا المقال واذكر فمالي ... تدرِ اني من اشرف الشرفآء
انني منشئ الممالك في الار ... ض واني متوّج الامرآء
فاجاب البخار لكن أما تذ ... كرُ ياذا البصيرةِ الشوآء
كم روى من مؤرّخٍ لك في الا ... نار من الف فلةٍ شنعآء
قال بل لم يذكر لي السوء الا ... كل من لم أنلهُ فضل مضائي
طعن القتلُ في صفاتيَ لكن ... انت ادرى بما يقول الطائي[1]

(۱) السيف اصدق انبآء من الكتب

وتمشى ورام ان يتولّى فدعاهُ البخار باستهزاء
ثم قال اتّئدْ قليلاً فانبئْنا م بصدق « يا صادق الإنباء »
اين ضاعت يوم الفروق[1] سجايا كَ واين اطَّرحت ماء الحياء
كنت حرزاً للانبياء فهل تذ كرُ كم قد غدرت من انبياء
اترى لا يكفي على شرك الطا مي شهيداً عدلاً دمُ الشهداء
فتلظّى الحسام غيظاً وقد ابرقَ واهتزَّ وانبرى للعداء
ثم اهوى على البخار بجدٍّ راح يفري حشا الصفا الصماء
قال خذها من كف أروعَ طلاَّ عِ الثنايا وصفحة ابن جلاء
وغدا لاعباً باحشائهِ كالـ برق في جوف مزنة وطفاء
انما الامر ما استطالَ الى ان ادرك السيفَ شدةُ الاعياء
ورأى جرحَ خصمهِ كان اناًى عنهُ نيلاً من مطلب النقاء

***

قال راوي الحديث ان البخار استأنفَ القول فاخراً بازدهاء
بكلام تقصر البلغا عنهُ م فمن ذا ما قال في الإبتداء
انا ربُّ الارزاقِ والدهرُ دهري والبرايا تعيش من آلائي
واذا ما امتطيتُ متنَ السواقي فسمت بي الى ذرى العلياء
تستظلّ الملوكُ بي وتسير الـ عظما والاعيان تحت لوائي
ولكفّي البيضاء في كل وادٍ اثرٌ ناطقٌ بفضلِ سخائي
ازهرت في ظلي الازاهرُ وازدا نتْ رباها بالدرِّ من اندائي

---

(١) يوم قتل عنترة على احد قولين

كم بلادٍ جديبةٍ حين خيمتُ م عليها تجليت بالبهآء
بعدما كانت مسكن البوم امست مربعاً للهزار والورقآء
لبست من مطارف الوشيِ ما تا هتْ رباها بهِ على صنعاء
وتهادى النسيم فيها بليلاً شافياً لطفُ مرّهِ كل داء
انا ربُّ الندى وفضلي على من فوق وجه الغبرا بلا استثناء
هزمة الرعدِ صوت غيظي والبر قُ ابتسامي والنجم من سمرآئي
تشرق الشمس من جوانب رُدني وبحضني تغيب كل مسآء
لو بنات الملوكِ يوماً رأتني لتمنَّت ان تستعير ردآئي
انا عرش المسيح حين تجلَّى وبساط الديان يوم اللقآء[1]
واقتداري المشهور سائلْ متون ا لبحر عنهُ وغارب البيدآء
كل يومٍ آتي بكل غريب بسناهُ تحار عين الرآئي
قصرت دون همّتي همم الخلق م وكلَّت عزائم العظمآء
كم طويت البلاد طولاً لعرضٍ مستقلاً باعظم الأعبآء
سلْ رياح السمآء هل لحقتْ ذيل م غباري وسل طيور الهوآء
ختم الله الف ختمٍ على قلبك م مشفوعةً بالف غشآء
تدعي قدرة وبأساً وإقدا ماً الى غير هذه الاسمآء
ولو أني تفلت يوماً على وجهك م لارتدَّ مأكلَ الأصدآء
عند ذا قهقه الجميع وقالوا لك خصل السباق دون مرآء

---

(١) متى ٢٤ : ٣٠) يرون ابن البشر آتياً على سحاب السمآء

التطهير بالكهربائية

من جملة ما توصلوا اليهِ من عجائب الكهربائية بل من انفع ما تستخدم بهِ في الاحوال الصحية والمرضية انهم وجدوا فيها ما يغني عن الماء والصابون وسائر انواع الغسولات حتى المواد الواقية من الفساد بحيث انهُ ان صح ما سنذكرهُ من النبأ فان هذه الاشياء كلها ستطرح عما قليل في معارض الآثار مع فؤوس الظرّان وامثالها مما كان يستعمل في الاعصر الاولى

وذلك ان المستر تسلا الاميركاني من مشاهير علماء الكهربائية اتفق لهُ اجراء امتحانٍ كان غريب النتيجة وهو انهُ كان في موضع شغلهِ كرةٌ من النحاس قد طلاها بالسواد فعمد الى تلك الكرة وسلّط عليها مجرًى كهربائياً متناهي القوة فلم تلبث ان اخذ يتطاير عنها شبهُ غمامةٍ من الغبار الاسود ثم ظهرت نقيةً لامعة كانها خارجةٌ من تحت المصقلة

ولما ثبتت لهُ صحة هذا الامتحان خطر لهُ أن لو استُخدمت الكهربائية في تنقية جسم الانسان مما يكون عليهِ من الادران واصناف الغبار المؤذي واهلاك ما يعلق بهِ او يتخلل مسامّ جلدهِ من الجراثيم المرضية التي تتربص الدخول في باطن النسيج العضليّ . فامتحن ذلك اولاً في نفسهِ بأن جلس على كرسيٍّ عازل وتناول مقبض الالة الكهربائية فتطاير عنهُ شررٌ شديد اللمعان ذاهباً من كل نقطةٍ من جسمهِ ومعلومٌ ان خروج مثل هذا الشرر منهُ بعد تخللهِ اجزاء الجسم لا يُبقي على شيءٍ من المواد الغريبة في الجلد مهما كانت طبيعتها وهو مما لا خطر فيهِ على من يباشرهُ وان شعر منهُ بمضضٍ يسير

ثم اعاد الامتحان بأن رسم على ساعدهِ خطوطاً كثيرة متقاطعة بقلم رصاص قد تراكب بعضها فوق بعض حتى صارت تصعب ازالتها بالصابون ثم فحص هذه الخطوط بالمدسية فرآها غائرةً في مسامّ البشرة وما بين خلايا النسيج المخاطي حول منافذ البُصيلات الشعرية. وبعد ان فرغ من وشم نفسهِ على هذه الصورة عرّض نفسهُ للمجرى الكهربآئي مدة دقيقةٍ من الزمن فكان ذلك كافياً لمحو تلك الخطوط كلها بحيث لم يعد يظهر لها اثر حتى بفحص المدسية لا في خلل النسيج ولا حول منافذ البصيلات الشعرية

قالوا ويمكن ان يستعمل هذا النوع من الاستحمام الكهربآئي في اتقآء الامراض المعدية ويُستغنى بهِ عما يستعملهُ الممرّضون في ازمنة الوبآء من الاستحمام بالمحلولات الواقية من الفساد وتبديل الملابس وتبخيرها على ما كان يُصنَع من عهدٍ قريب في ڤينا فانهُ يكفي بعد خروج الطبيب او غيرهِ من عند الموبوء ان يرقى الكرسيّ العازل ويضغط على الزرّ المعدّ لفتح المجرى الكهربآئي فيخرج منهُ الشرر وتتطاير معهُ جميع الذرّات المرضية والجراثيم الحية المعدية

وفي رأي بعضهم ان هذا الجهاز لا تقف منفعتهُ عند هذا الحد ولكن يمكن ان يستخدَم في المعالجات الطبية ايضاً فيُستغنَى بهِ عن استعمال ثاني كلورور الزئبق وسائر مقاومات الفساد المتعارَفة . بل منهم من ذهب الى ما هو ورآء ذلك فزعم ان هذا التكهرب يردّ قوّة الاعضآء الضعيفة الى اصلها ويعيد مرونة الاعضآء المنهوكة على ان المستقبل موكلٌ بتحقيق كل ما يمكن ان يتوصل اليهِ بهذا الاكتشاف

مُتَفَرِّقَاتٌ

غريبة اميركانية ـ لا تزال اميركا ام الغرائب حتى لا يكاد يمرّ بنا يوم الا تأتينا انباؤها بغريبة تدلّ على بعد همم اولئك القوم ومضآء عزائمهم في سرعة انفاذها . وقد كان من جملة اعمالهم التي لم تكن تخطر على بال ان بلدةً في احدى ولاياتهم المتحدة ضاقت باهلها فقام جهورٌ منهم دفعةً واحدة وقرروا ان يبنوا لهم بلدةً جديدة يأوون اليها وذهبوا فتخيروا قطعةً من الارض جيدة الهوآء غزيرة المآء وشرعوا يبنون المنازل فيها بجدٍّ غريب حتى بنوا مئة منزل تؤوي ٨٠٠ نفس من السكان . ثم رأوا انهُ يجب ان تكون بلدتهم تامةً من كل وجه فبنوا مجلساً بلدياً ودُوراً للشُورَى والمحاكم والشرطة والبريد ثم بنوا مدرسةً وكنيسةً وسجناً واجتمعوا فانتخبوا رئيساً للبلدية وعينوا الحكام ورجال الحفظ واحتفلوا على اثر ذلك بنصب ارباب الخطط في خططهم والقوا الخطب وأدبوا المآدب وابتدأ ذلك في اليوم الثامن من الشهر وانتهى كلهُ في الثاني عشر منهُ اي انهُ في اربعة ايام فقط أُسست بلدةٌ تامة بجميع شروطها وحاجاتها وهي الآن قائمةٌ تشهد بعظمة الاميركان ومجاراة ايديهم لسرعة كهربآئيتهم ولا بد ان يكون لهذه البلدة مستقبل عظيم لكثرة من يردها من السيّاح لمشاهدة هذه البدعة الغريبة . وقد سميت هذه البلدة منظر الجبل

الملوك العلمآء ـ لملوك اوروبا وامرآئها عناية كبيرة بامر العلم والاكتشاف

والاكتشاف والمجاراة الى كسب الفخر من طريق الفضائل الذاتية وقد كان من جملة من عُني منهم بامر العلم البرنس لويس ابن اخي الملك همبرت فان هذا الامير المهذب قد عزم على مغادرة ما هو فيهِ من الدعة والنعيم وركوب المشقات والاخطار لارتياد الاكناف المجهولة والاطراف المهجورة والجري على آثار من سبقهُ من العلمآء والباحثين الى القطب الشمالي على ما تقدم لنا من الكلام على عزيمتهِ هذه في آخر اجزآء البيان . وسيسافر في اواسط الشهر القابل فيقضي سنتي ١٨٩٩ و١٩٠٠ في اراضي فرنسيس يوسف ورأس فلورا ثم يزحف بعد ذلك على الجمد بالمزالج التي تجرها الكلاب حتى يبلغ القطب او ادنى مكانٍ منهُ ولكنهُ يرجو ان يصل الى نقطة القطب عينها فينصب هنالك العلم الايطالياني في موضع لم يخفق فوقهُ جناح طائر ولا دبّت فيهِ رجل حيوان . وقد اعانهُ قيصر روسيا على بلوغ امنيتهِ هذه فوهب لهُ ١٢٠ كلباً من كلاب سيبيريا المعتادة الزحف على الجمد وامدّهُ عمهُ ملك ايطاليا باربعين الف جناي ليستعين بها على مهمات السفر . وقد اعدّ لنفسهِ منطادين يطير بهما حين يتعذر السير على الجمد او يبدو لهُ وجه الخطر من انكسار سفينتهِ بحيث جمع في رحلتهِ هذه بين أُهبتي الرحالتين نانسن واندريا ليكون على تمام الثقة من نيل ما يروم

فاين هـذا من اخبار امرآئنا في الشرق المسطرة بين دفاتر الحانات وسجلات المحاكم .....

اسئلة واجوبتها

القدس الشريف ـ نرجو اجابتنا على الاسئلة الآتية

(١) كيف تلفَظ الضمة والكسرة في نحو لا تقُلْ ولا تبِعْ وقام زيدٌ ومررت بزيدٍ فقد سمعت كثيرين يلفظونهما ممالتين الى الفتح بخلاف لفظهما في سائر المواضع فهل هذا اللفظ صحيح

(٢) كيف يميَّز بين خطاب المذكر وخطاب المؤنث اذا وقع كلٌّ من تائهما وكافهما في الوقف

(٣) اين يتعلق حرف الجرّ في هذا الشطر المرء في الدنيا خيالٌ قد سرى وفي نحو قولنا المعربات في العربية قسمان والظرف في قولنا الجملة بعد المعرفة حالٌ وبعد النكرة نعت واشباه ذلك مما كان الخبر فيهِ جامداً

(٤) رأيت في كتب علمآء افاضل الهمزة مكتوبة بصور مختلفة في كلمة واحدة فيكتبونها في نحو المسؤول بالواو او بالالف او باليآء وكذلك المسألة منهم من يكتبها بالالف ومنهم من يكتبها باليآء فما الوجه في ذلك

ا ٭ ص

الجواب ـ اما لفظ الضمة والكسرة في نحو لا تقُل ولا تبِع فيجب ان يكون ضماً وكسراً صريحين مثلهما في قولك لا تقُلْهُ ولا تبِعْهُ من غير فرقٍ وما تسمعونهُ بخلاف ذلك وهو ما لا يكاد يُسمَع غيرهُ اليوم فهو خطأٌ عاميّ

واما التمييز بين خطاب المذكر وخطاب المؤنث اذا وُقِف على ضميريهما

فرجعهُ الى القرينة وهو المتعارَف في لغة جمهور العرب

واما تعلق الحرف والظرف في الامثلة التي ذكرتموها فلا بد فيهِ من المصير الى التأويل وهما على كل حال متعلقان بحالٍ محذوفة وعامل هذه الحال ما في الخبر من معنى الفعل وهو في المثال الاول ما فيهِ من معنى التشبيه اذ المراد ان المرء مشبهٌ بخيال لا انهُ خيالٌ حقيقةً . وفي الثاني معنى الحدث المستفاد من لفظ الخبر لانهُ على معنى ان العربات منقسمةٌ كذلك . وفي الثالث معنى الحدث المتأوَّل من مفهوم الخبر اذ التأويل ان الجملة ممدودةٌ كذلك وهو اقرب ما يقال في امثال هذه التراكيب

واما كتابة الهمزة فقد مات علمآؤنا رحمهم الله ولم يفرغوا من تحرير رسمها لكن نقول هنا ان من رسمها في نحو المسؤول بالواو فبنآء على ان الهمزة بعد الساكن تُرسَم بحرف حركتها كما هو المشهور ومن رسمها بالالف فذهاباً الى تنزيل الساكن قبلها منزلة الموقوف عليهِ وعدّ ما بعدها كانهُ مبدأُ كلمة اخرى فترسَم كالواقعة ابتدآء . واما رسمها باليآء فلا نجد لهُ وجهاً. واما المسألة فحقها ان تُرسَم بالالف على الاصل الا ان من الكتّاب من يحذف هذه الالف تساهلاً او تسهيلاً وحينئذٍ يمطّ ما بين السين واللام ويرسم الهمزة فوق المطّة هكذا « مسـٔلة » وهو ما ترونهُ في اكثر الكتب المخطوطة . واما رسمها باليآء فلا تجدونهُ الا في الكتب المطبوعة لان الصورة التي كان ينبغي ان تُرسَم بها غير موجودةٍ في المطابع فيستعيضون عنها بالصورة التي تكون في نحو سئل فرسمها كذلك عن افتقارٍ لا عن قصد



رُزء وطنيّ

في الرابع عشر من هذا الشهر رُزئ الادب بفقد نابغة زمانهِ وبقية ادبآء اوانهِ المرحوم سليمان افندي الصولة الشاعر المشهور استأثرت بهِ رحمة الله في هذه العاصمة عن خمسٍ وثمانين سنة افناها في صحبة الاقلام والمحابر هائماً في اودية الشعر يتنقل بين الادغال والازاهر ويجري تارةً مع الحَمَل الاليف وطوراً مع الغزال النافر وقدكان رحمهُ الله شاعرًا مطبوعاً متصرفاً في جميع مذاهب الشعر وفنونهِ حادّ الذهن فيّاض القريحة

سلس اللفظ مليح النادرة اتصل باكثر كبرآء عصرهِ من الرؤسآء والوزرآء واكابر اصحاب الخطط ولهُ مطارحاتٌ ومجالس شتى مع اهل العلم وادبآء ارباب المناصب تدلّ على تناهيهِ في الذكآء. والظرف مما حببهُ الى اصحاب المقامات العالية وأنالهُ عندهم اتمّ الحظوة والقبول

وكان رحمهُ الله آيةً من آيات الله في قوّة الحفظ وسرعة الخاطر وكان يرتجل الابيات الكثيرة على اقتراح المقترح لا يتوقف فيها ولا يتلعثم ولهُ ديوان شعر مطبوعٌ يبلغ ما يقرب من ٤٠٠ صفحة ذكر في صدرهِ انهُ بقية ديوانٍ لهُ كبير احترق في فتنة دمشق المشهورة سنة ١٨٦٠ . ومعظم شعرهِ حسنٌ منسجم تغلب عليهِ النكتة وكان لهُ باعٌ طويل في صناعتي التخميس والتشطير ومن محكم تشطيرهِ قولهُ مشطراً بيت المتنبي

تقولين ما في الناس مثلك عاشقٌ   صدقتِ فما بعدي محبٌ ولا قبلي
انا مفردٌ في الناس همتُ بمفردٍ   جدِي مثل من احببتهُ تجدي مثلي

وكان مولدهُ في مدينة صور سنة ١٨١٤ ثم انتقل بهِ ذووهُ الى الديار المصرية وتلقى الادب في مدينة القاهرة واتصل بالازهر الشريف فدرس فيهِ العلوم الفقهية وقال الشعر وهو في الرابعة عشرة من سنيهِ ومن اوائل نظمهِ قولهُ يخاطب المرحوم حنا بك البحري المشهور وقد كثر سماعهُ بهِ واحبَّ ان يسمع شيئاً من شعره فانشدهُ وفي البيت الثاني توريةٌ لا تخفى

أمرتَ لك الامر المطاع بان ترى   فرائد شعري وهي اعزّ من شعري
فوا خجلي من عقد درّ اصوغهُ   لديك وكلّ الدرّ بعض حصى البحرِ

وقضى اكثر ايامهِ متقلباً في الخدم الاميرية بين مصر والشأم وسار في خدمة

المرحوم ابرهيم باشا قائد الجيوش المصرية حين غزا البلاد الشامية وشهد معهُ واقعة نزِب المشهورة واستقرّ بعد ذلك في مدينة دمشق يتعاطى خدمة الحكومة وكان من المقرَّبين الى المرحوم الامير عبد القادر الحسني الجزائري الشهير وقد لزمهُ ما يزيد على ثلاثين سنة ولهُ فيهِ قصائد كثيرة . وفي سنة ١٨٨٣ عاد الى الديار المصرية فأقام بالقاهرة ولبث بها الى ان توفي في التأريخ المذكور مطر الله ضريحهُ بصيّب رضوانهِ وجعلهُ من المقرَّبين في نعيم جنانهِ

آثار ادبيّة

ديوان المرحوم اسعد طراد — انتهت الينا نسخةٌ من هذا الديوان وهو مجموع ما امكن الوصول اليهِ من قصائد هذا الشاعر ومقطعاتهِ وتواريخهِ الشعرية عُني بجمعهِ حضرة الاديب فضل الله افندي خليل طراد ابن اخي الناظم فبلغ نحواً من ثمانين صفحة قد اودعت شيئاً كثيراً من حسنات نظمهِ ولهُ غيرها ولا شك شيءٌ كثير قد ذهبت بهِ ايدي الضياع فانهُ رحمهُ الله كان قليل المناية بحفظ ما تنتجهُ قريحتهُ او يخطهُ قلمهُ وانما جُمع لهُ هذا القدر من ايدي الناس . وقد كان شاعراً غزير القريحة سريع الخاطر واسع التصرف في استنباط المعاني والمراوحة بين الاغراض الشعرية ومن امثلة احسانهِ قولهُ من قصيدةٍ مدح بها المغفور لهُ توفيق باشا الخديوي السابق

وجّه لحاظك للبخار وقل لهُ　　اني ارى ماءً يجرّ حديدا

وانظر لسلك البرق والتلفون كم　　قد قرّبا ما كان منك بعيدا

غنت سليمى بالحجاز فاسمعت　　مع بعدها اهل العراق نشيدا

وفي هذا البيت ايداعٌ لطيف للبيت المشهور . ومن هذه القصيدة قولهُ

نظموا المقود من القريض وبعضنا طلب الجناس فنظّم التعقيدا
ما كان حظ الاكثرين بهِ سوى وزنٍ يكون رويّهُ مسرودا

وقولهُ من قصيدةٍ يرثي بها المرحوم اسبيريدون طراد وكان قد كبا بهِ جوادهُ فمات

واهاً لقلب جوادهِ فكانهُ قد كان ذاك اليوم مثل نعالهِ
والمرء ما حفظ الوداد فما الذي نرجو من الحيوان في افعالهِ

ولهُ غير ذلك حسناتٌ كثيرة اكتفينا منها بما ذكر لضيق المقام . وهنا لا بدَّ لنا ان نصرح بالاسف لما رأينا في هذا الديوان من آفات التحريف والتبديل مما شوه بعض محاسنهِ وعاد بهِ بعض ابياتهِ لغواً كقولهِ في الرد على الشيخ المصمودي

ولا نحتاج منهُ الحفظ الا كما احتاج الطبيب الى العليلِ

وهو بيتٌ لا معنى لهُ والاصل فيما نذكرهُ الوعظ مكان الحفظ . وكقولهِ من هذه القصيدة

وهلاَّ كان في الدنيا مثيلٌ لمفقودٍ نراهُ بلا مثيلِ

وهو بلا معنىً ايضاً والاصل في صدر البيت وهل لك ان تريناً من مثيلٍ . وقولهِ من القصيدة التي اجاب بها محمد عاقل

اصبحت انشرها على كل الملا شرفاً فما القيت جيداً عاطلا

والاصل فما ابقيت . وفي سائر الديوان شيءٌ كثير من مثل هذا فاكتفينا منهُ بهذا القدر للتنبيه

فكاهات

رواية

هدية العيد [1]

كان في مدينة دارتمور فتىً في الخامسة والعشرين من سنه يقال لهُ جيوفري برديل من اسرةٍ متوسطة في الغنى وكان الفتى ذكياً نشيطاً فاخذ يجدّ في الكسب واسعدهُ الحظّ فجمع مالاً طائلاً . ولما كان عليهِ من التعقل والحزم لم يرَ من باب الحكمة ان ينفق ذلك المال الذي حصلهُ بكدّهِ واجتهادهِ في ابواب لا فائدة منها فرأى ان افضل شيء يفعلهُ ان يهتمّ بالبحث عن فتاةٍ عاقلة مهذبة يسعد بالعيش معها ويقاسمها ذلك الحظ وجعل دأبهُ ارتياد مظانّ الفوز لعل التقادير ترشدهُ الى ما يكون بهِ نيل هذه المنية

واتفق انهُ خرج في يوم من ايام الآحاد لترويح نفسهِ من عناء الاشغال فدخل احدى الحدائق العمومية وجعل يتخطر فيها حتى انتهى الى شجرةٍ ذات ظلّ لطيف فجلس تحتها وتناول من جيبهِ كتاباً فجعل يقرأ فيهِ وبعد ان مضت عليهِ عدة ساعات وهو كذلك طوى الكتاب واقبل يتأمل فيما حولهُ من محاسن الطبيعة واذا بفتاةٍ قد اقبلت نحوهُ لم يقع بصرهُ عليها حتى شعر بميلٍ غريب يدعوهُ الى محادثتها والتقرب منها . ورأت الفتاة نظرهُ اليها

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

بذلك الانعطاف فدنت منهُ وكأن الحيآء كان ينازع جرأتها فصُبغت وجنتاها باحمرارٍ وردي فاطرقت برأسها حيناً ثم رفعت الى جيوفري نظراً احدَّ من السهام وحيّتهُ تحيةً لطيفة يمازجها الخشوع ثم قالت هل في امكانك يا سيدي ان تجود على فتاةٍ شقية الحظ بمساعدةٍ اعوّضها عليك ان مكنني الله او يردّ عليك هو اضعافها . وكانت كل كلمةٍ تخرق الى داخل احشآء جيوفري فاشار الى الفتاة ان تجلس بازآئهِ ثم قال لها ما اسمكِ ايتها الفتاة وما المساعدة التي ترومينها . قالت اسمي اميليا واما المساعدة التي ارجوها من فضلك فاني ابنة رجلٍ كان غنياً جداً ثم اخنى الدهر عليهِ فذهبت اموالهُ في احدى تجاراتهِ وعلى أثر ذهاب مالهِ مرض غماً ومات وكان موتهُ بعد ولادتي بايام قلائل. فاخذت والدتي تربيني من تعب يديها وغرست في نفسي احسن الخصال واجمل الآداب وكنت اساعدها في عمل الخياطة الذي كنا نرتزق منهُ الى ان توفاها الله اليهِ ومكثت وحدي اسعى بتحصيل قوتي من العمل نفسهِ الا اني لم اكن احصّل الا النزر اليسير وفي هذا الاسبوع لم يتيسر لي ما اشتغل بهِ ولي الآن ثلاثة ايام وليس في يدي ما امسك بهِ رمقي . وكان جيوفري يسمع لها بتمام الاقبال فلما فرغت من كلامها قال لا أحبَّ اليَّ من مساعدتكِ فهلمّي معي الى منزلي لاعطيكِ كل ما تشآئين . فوقفت اميليا تقلّب نظرها فيهِ وهي تدقق في فحص معنى كلامهِ واذ رأتهُ يبتسم قطّبت حاجبيها وقالت كلاّ يا مولاي اني لا اذهب الى بيت احد فاعذرني فيما طلبتهُ منك وانا اسأل الله ان يرشدني الى احنّ منك قلباً ثم ترقرق الدمع في عينيها وهمت بالانصراف . وادرك جيوفري ما فرط منهُ عن غير قصد

فتأسف وامسك بذراعها وسألها ان تصفح له عما لم يخطر له ببالٍ ثم وضع في كفها مقداراً من النقود فقبلتهُ شاكرة وسألها عن موضع سكناها فاعلمته ثم حيّت وانصرفت

وبات جيوفري تلك الليلة مفكراً في حالة اميليا فلم يذق طعم المنام ومرّ عليهِ ذلك الاسبوع وهو قلق البال الى ان وافى يوم الاحد التالي فذهب الى محل الملتقى لعلهُ يصادفها هناك فخاب مسعاهُ. ولما امسى عزم على الرجوع الى منزلهِ فلم تطاوعهُ قدماهُ ولم يرَ نفسهُ الا وهو على باب منزل اميليا فدخل ولما رأتهُ استقبلتهُ بوجهٍ باش ودعتهُ للجلوس فجلس يحدثها ثم قال لها اني قد فكرتُ طويلاً في امركِ وتمثل لي ما انتِ فيهِ من مضض الحياة بانفرادكِ وفقدكِ من يعاونكِ على حالة المعاش وانا كذلك وحدي لا معين لي وقد وهبني الله من نعمتهِ ما يكفيني شر الحاجة فهل تريدين ان نقضي بقية حياتنا معاً ويسعد كلٌ منا بصاحبهِ . وبعد محادثة طويلة اقتنعت اميليا بصدق ميل جيوفري وطهارة سريرتهِ فاجابتهُ الى ما طلب ولم يلبثا ان اتمّا عقد زواجهما في ذلك الاسبوع

وعاش جيوفري واميليا على اتمّ ما ينبغي من السعادة والسرور يخرج في الصباح الى اعمالهِ ويعود في المساء فيجدها قد فرغت من اشغال المنزل واستعدت للقياهُ فيجلسان معاً يتجاذبان اطراف الحديث ويتمتعان باهنأ ملذات الحبّ والصفاء. ولكن الدهر لا يثبت على حال ولا يذيق احدًا حلاوة صفوهِ حتى يملأ لهُ كؤوساً من المرارة والسمّ الذعاف . وذلك انهُ كان في جوار جيوفري فتىً رأى اميليا فاحبها وجعل يترصد الفرص للاجتماع بها حتى

اذا كان مرةً وزوجها غائبٌ في شغلهِ جآءها زائرًا فاستقبلتهُ بما فُطرت عليهِ من اللطف والرقة فازدادت بذلك جرأة الفتى وتوهم فيها الميل اليهِ ففاتحها حديث الحبّ واخذ يصف لها شغفهُ بمحاسنها . فلما سمعت اميليا ذلك منهُ نظرت اليهِ بازدرآء وزجرتهُ بلطفٍ وادب ولما لم يزدجر امرتهُ بالخروج من البيت وان لا يعود الى زيارتها ابداً . فاجتهد في استمالتها ما استطاع وتزلف اليها بكل ما في وسعهِ فلم تزدهُ الا صدًّا ونفاراً فخرج من عندها آئساً وقد اضمر لها الشرّ والانتقام . وكانت اميليا تودّ ان تطلع جيوفري على امرهِ الا انها خشيت العقبي فسكتت لكنها لم تزل تتوقع شرًّا من جهة الفتى لما رأت عليهِ من الغيظ وما سمعت منهُ من الوعيد فكان ذلك يقلق بالها . وتبين لزوجها ما على وجهها من ملامح الكمد فسألها عما هي فيهِ فاطلعتهُ على جلية الامر فشقّ ذلك على جيوفري وعزم على ترصد الفتى حتى اذا كان ذات ليلةٍ عائداً من شغلهِ متأخراً وقد بلغ باب المنزل اذ رأى شخصاً يتسلل بين اشجار الحديقة فصاح بهِ وقال من انت وما غرضك هنا. فقال اما انا فلا ينبغي لك ان تعرفني واما غرضي فاني اتيت اجابةً لدعوة ربة هذا البيت وقد صرفتني الآن مخافة ان يأتي زوجها ويجدني عندها. ولم يكن جيوفري يحتاج الى اكثر من هذا الكلام ليثير عوامل غيظهِ وانتقامهِ وقبل ان يفكر فيما ينبغي ان يفعل اخرج من جيبهِ غدارةً واطلقها في صدر الفتى فسقط قتيلاً واجتمع الناس على ذلك واقبلت الشرطة فرأوا القتيل على الارض وبجانبهِ جيوفري والغدارة في يدهِ فساقوهُ الى القضآء حيث حُكم عليهِ بالسجن المؤبد والاعمال الشاقة وللحال اخذوهُ الى محل سجنهِ وقد البسوهُ ردآء

مخصوصاً باصحاب الجرائم وهو من الكتان الاسمر منسوجاً عليهِ علامات حرابٍ مثلثة الرؤوس وجعلوا لهُ رقماً يُعرَف بهِ عوض اسمهِ

وانت على جيوفري سبع سنواتٍ في سجنهِ قاسى فيها امرَّ ضروب العذاب وكان يقوم باشغالهِ بتمام السكينة والخضوع فلا يسمع لهُ احدٌ صوتاً ولا يرى المسجونون معهُ سوى دموعهِ الحارّة تترقرق بين مآقيهِ

. . . .

ثم انهُ في مسآء ليلةٍ من ليالي الربيع بينما كان اهل دار تمور لاهين بمسرّاتهم وانسهم على جاري عادتهم وقد خلا السهل الفسيح المحيط بالمدينة وبسط الليل عليهِ اجنحتهُ لم يكن يُرَى احدٌ في ذلك السهل سوى شبحٍ يتسلل بين الصخور الشاخصة وكانت ثيابهُ شبيهةً بلون التراب فتساعدهُ على الاختفآء . وما زال ذلك الشبح يزحف تارةً ويمشي طوراً وهو يتلفت الى كل جهةٍ خوفاً من طارئٍ يفاجئهُ حتى بلغ اكمةً تشرف على المدينة وكان هناك صخرٌ عالٍ قد نبتت على جوانبهِ بعض الاعشاب فالقى بنفسهِ عليها وجعل ينظر الى المدينة ثم قال مخاطباً نفسهُ

نم لقد نجوت ... اني نجوت بطريقةٍ عجيبة لا تكاد تصدَّق . ولكن لماذا وايّ مطمعٍ لي في الحياة بعد والجنود تسعى في طلبي ... فاذا كان لا بد من الموت فطرحي بنفسي الى احدى هذه المهاوي ايسر من العود الى ما كنت فيهِ ... ولكن لا . لا ينبغي ان اقنط من المناية التي سهلت لي هذا الفرار ... اني لا اعدم وسيلةً انجو بها من وجوه مطارديَّ لكن يجب اول كل شيء ان اتخلص من هذا الثوب واذ ذاك اطير الى ...

آه يا اميليا ما فعل بكِ الدهر بعد سجني واين انتِ الآن وعلى اي حال اراكِ اذا التقينا ... ثم غاص في بحرٍ من التأملات الى ان اشتدَّ حلك الظلام فنهض يمشي الهوَينى وكلهُ عيونٌ وآذان حتى وصل الى اول بيتٍ من المدينة وهو قائمٌ في وسط حديقةٍ فسيحة لها بابٌ حديدي قد قامت في داخلهِ عربةٌ خالية وقد دخل الحوذيّ ليأتي بخيلها . فاغتنم جيوفري تلك الفرصة ودخل الحديقة فالقى بنفسهِ تحت العربة بين عجلاتها وهو لا يدري ماذا سيكون . وبعد قليل حضر الحوذيّ فشدَّ الخيل في اماكنها وساقها فخرجت العربة وأُغلق الباب من نفسهِ وبقي جيوفري وراءهُ . فلبث حيناً مصغياً ولما لم يسمع صوتاً نهض واجتاز في الحديقة ورأى نوراً ينبعث من احدى الغرف فقصدهُ حتى وقف امام النافذة واخذ يختلس النظر ليرى من في الغرفة فاذا غلامٌ في نحو السابعة من عمرهِ اشقر الشعر بهيّ الطلعة وقد ارتدى ثوباً من ثياب المساخر وهو واقفٌ بازاء المرآة يبدي حركاتٍ تضحك الثكلى . فراقبهُ جيوفري مدةً ولما تحقق خلوّ الغرفة من غير هذا الغلام ورأى بابها موصداً من الداخل دنا من النافذة واستند عليها وهو يعجب من افعال الغلام ولما لم تكن النافذة مُقفلة دفعها بيدهِ فانفتحت ووثب هو الى داخل الغرفة . وكان يخشى ان الغلام يخاف ويصيح فيجتمع عليهِ اهل المنزل الا ان الغلام التفت اليهِ مبتسماً واخذ يتأمل في ثوبهِ المرسومة عليهِ الحراب وهو يظنهُ من ثياب المساخر . ولما رأى جيوفري ذلك منهُ اطمأنَّ روعهُ فاقفل النافذة ثم عاد الى الغلام وجعل يباشر مثلهُ تلك الحركات المضحكة فسرَّ الغلام جداً وقال لهُ لقد سررتني بقدومك هذه الليلة لانني

كل ليلةٍ امكث وحدي ولا اجد من يسليني. ثم دنا من جيوفري يؤانسهُ فجلس جيوفري على كرسيٍ واخذ الولد في حجرهِ ثم قبلهُ ملاطفاً وقال لهُ قل لي اولاً ما اسمك ايها العزيز ومن ابوك ومن يوجد سواك في هذا البيت . قال اما والدي فلست اعرفهُ وقد اخبرتني والدتي انهُ ارتكب جنايةً عن غير قصد وحكم عليهِ بالسجن المؤبد قبل ولادتي بثلاثة اشهر. فلما سمع جيوفري ذلك ارتعدت فرائصهُ وقال لهُ وما كان اسم والدتك قال اميليا ولكن مالي اراك ترتعد فاسمع تتمة تاريخي . بعد وفاة والدتي اخذني المستر غريفيت صاحب هذا البيت ورباني عندهُ لانهُ ليس لهُ زوجة ولا اولاد وخصص بي هذه الغرفة لالعابي نهاراً وعين لي غيرها لمنامي واخرى لدروسي وعندي من الثياب الوف ومن الالعاب مثلها ومن وسائل السرور ما لا احصيهِ . وهو اكثر الاحيان عابس الوجه فلا يكلمني كثيراً ولهُ اخٌ لطيفٌ في الغاية لا يأتي الى البيت الا يحضر لي معهُ شيئاً من الحلوى واللعب وقد اهدى لي في هذا الصباح محفظةً فيها مبلغٌ من النقود لان هذا النهار عيد مولدي

فقاطعهُ جيوفري قائلاً واين المستر غريفيت واخوهُ الآن . قال هما مدعوّان للعشآء عند احد الاصحاب . قال ومن معك هنا في البيت . قال الخدم في المطبخ ومربيتي التي لا تلبث ان تناديني للعشآء . غير اني قبل ذلك احبّ ان اريك جميع اثوابي لتختار لي واحداً منها البسهُ غداً على الغدآء واحبّ ان يكون غريباً جداً حتى لا يعرفني المستر غريفيت . ثم اخذ بيد جيوفري وقادهُ فصعد بهِ الى الدار العليا وادخلهُ غرفتهُ . وكان جيوفري لم

ينسَ الموقف الذي هو فيهِ فقال للغلام اين يضع اخو المستر غريفيت ثيابهُ فاني احتاج الى واحدٍ منها فاشار الولد الى غرفة عمهِ فلم يلبث جيوفري ان دخلها ورأى خزانة الملابس مفتوحةً فاختار منهـا ثوباً وفي اسرع من لمح البصر خلع ثوب سجنهِ وارتدى بالآخر وعاد الى الغلام وهو بهيئتهِ الجديدة ثم اخذ يحادثهُ ويلاطفهُ ويجتهد في تزيين شعرهِ واختيار الثوب الذي زعم انهُ سيلبسهُ اياهُ في الغد واذ ذاك نادت المربية الولد للعشآء فامرها ان تترك لهُ طعامهُ في غرفة اللعب وانهُ نازلٌ سريعاً

ولما اراد النزول للطعام دعا جيوفري ان يأكل معهُ ففعل وكان منذ المسآء السابق لم يذق طعاماً. ولما فرغ قال لهُ ايها الولد الحبيب اني قد اعددت لك ثياب الغد ولم يبقَ لك حاجةٌ بي الآن وانا مضطرٌ ان اذهب عنك قبل رجوع المستر غريفيت واخيهِ لاني لا احب ان يرياني هنـا وانت اذا حضرا فلا تخبرهما ان احداً كان عندك . قال اذن لا تكون عندنا في الغد . فتجلد جيوفري وقال لا يا ولدي فاني مسافر في هذا الليل سفراً بعيداً والآن فدعني اقبلك وانحنى على ولدهِ فقبَّلهُ بقلب يحترق لهفةً والدموع تسيل من عينيهِ ثم تحول للخروج فاعطاهُ الولد مفتاحاً وقال لهُ هذا مفتاح الباب الخشبيّ الصغير فاخرج منهُ واترك المفتاح فيهِ. فانسلّ جيوفري وهو لا يكاد يصدّق بالنجاة ولما بلغ الحديقة سمع وقع اقدام الغلام يجري ورآءهُ ويناديهِ همساً ان يقف ولما وصل اليهِ قال لهُ ان عمّي قد اهدى لي هذه المحفظة وانا لا احتاج الى المال الذي فيها لان عندي من كل شيء فارجو ان تقبلها تذكاراً مني لانك تراها موسومةً باسمي . ولم يتمكن جيوفري من النطق بكلمةٍ

فالقى على وجنتي ابنهِ قُبلاً حارّة تطفئها دموعهُ المنسكبة ثم خرج فانطلق متستراً تحت ظلام الليل

ولما كان الصباح شاع خبر فرار جيوفري من السجن وكثر تحدث الناس بهِ في كل موضعٍ واجتهد الشُرَط والعيون في تعقبهِ فلم يقفوا لهُ على اثر

. . . .

وكان في كل سنةٍ في يوم عيد جيوفري الصغير تأتيهِ هديةٌ من جنوبي اميركا لم يُعرَف مرسلها مكتوبٌ عليها « هديةٌ من طريد الى سبب سعادتهِ جيوفري في يوم مولدهِ » . وما زالت الهدايا تتوارد على الغلام سنةً بعد اخرى الى ان بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ . وبينا كان ذات يومٍ في غرفتهِ اعلمهُ الخادم بوجود رجلٍ يودّ مقابلتهُ فأذن لهُ فلما دخل عليهِ اذا هو نفس ضيفهِ الذي سبق ذكرهُ فنهض اليهِ مسلّماً وعانقهُ وكان الرجل قد اصبح شيخاً ثم جلسا يتحادثان ويذكران تلك الليلة فيضحكان . واخبرهُ الرجل انهُ كان في ذلك الوقت لا يملك فلساً ولكنهُ استعان بما كان في المحفظة فسافر الى جنوبي اميركا وتعاطى هنالك اشغالاً عادت عليهِ بكسبٍ عظيم حتى صار من ذوي الاموال الطائلة . ثم عرّف ولدهُ بنفسهِ فكانت بينهما ساعةٌ يعجز القلم عن وصفها وتمكن جيوفري بعد ذلك من تحصيل العفو عنهُ من لدن الحكومة وقضى سائر حياتهِ مع ولدهِ في سرورٍ ونعيم لا ينغصهما الا ذكر تلك الزوجة الامينة والوالدة المسكينة ولم يزل جيوفري الى آخر حياتهِ يهب ابنهُ في كل سنةٍ ما يذكّرهُ تلك الهدية التي كانت سبباً في حفظ حياتهِ واعادة غناهُ

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون امكن لهُ ان يفعل كذا يعدّونهُ باللام وهو متعدٍّ بنفسهِ لم يرد في شيء من كلام المتقدمين الا كذلك تقول امكنتهُ من كذا اي جعلتهُ يتمكن منهُ مثل مكّنتهُ بالتشديد ثم تقول امكنني هذا الامر على تقدير امكنني من نفسهِ كما صرّح بهِ في الاساس فاستغنوا عن الصلة والاصل محفوظ . وكأن اول من ادخل هذه اللام ـ ولم نجدها في كلام احد قبل ابن بطوطة ـ سمع قول القائل هذا الامر ممكنٌ لي فتوهم انها لام التعدية فاجراها على الفعل وانما هي لام التقوية مثلها في قولك زيدٌ محبٌّ لي وعجبت من ضربك لعمرو وهذه اللام تزاد بعد الصفة والمصدر لتقوية عملها كما تقرر في كتب النحاة ولا تزاد بعد الفعل لاستغنائهِ عن التقوية فلا يقال احببت لزيد ولا ضربت لعمرو كما يظهر لك بالبديهة فتنبه

على ان من المحدثين من زاد هذه اللام في غير ذلك ولم تُسمَع زيادتها الا في الشعر لضرورة الوزن كقول الحافظ جمال الدين اليمريّ

واستنشقوا لهوا الربيع فانهُ　　نمّ النسيم وعندهُ الطافُ

وانما يقال استنشق الهوآء ولا يقال استنشق لهُ . ومثلهُ قول ابي سعيد الرستميّ

فاعمرُ لدنيا لولاك ما خُلقت　　وأهل دنيا لولاك ما خُلقوا

وقول محمد الحلبي الكوراني من المتأخرين

يسقي وان عزّت عليهِ ورام ان　　يشفي لدآء محبهِ وحريقهِ
فيديرها من مقلتيهِ وتارةً　　من وجنتيهِ وتارةً من ريقهِ

وسيأتي لهذا نظائر من غير ذلك ان شآء الله

ويقولون زيدٌ كاتبٌ كما وانهُ شاعر فيزيدون واواً بين ما المصدرية وصلتها وهو من اغلاط العامة والصواب ترك الواو

ويقولون هو لا يرجع عن غيهِ ولو مهما بذلت لهُ من النصح يريدون ولو بذلت لهُ من النصح مهما بذلت الاّ ان مهما لا تقع هذا الموقع لان لها الصدر فالصواب ان يقال ولو بذلت لهُ من النصح ما بذلت اولا يرجع عن غيهِ مهما بذلت لهُ من النصح

ويقولون ازورهُ رغماً عن هجرهِ لي ولا معنى للرغم هنا انما هو من التعريب الحرفي والذي يقال في هذا المقام ازورهُ مع هجرهِ لي او على هجرهِ لي وهو المعنى المراد من التميير الافرنجي

ويقولون لما يجيئك زيدٌ اكرمهُ فيدخلون لما على المضارع وهي مخصوصةٌ بالماضي والصواب استعمال اذا في مكانها يقال اذا جآءك زيدٌ فاكرمهُ . وقد ورد من هذا قول ابن حجة الحموي

والنبت يضبطها بشكلٍ معرب لماّ يزيد الطير في التلحينِ

ومثل هذا استعمالهم قطُّ للزمان المستقبل يقولون لا افعلهُ قطُّ ومن هذا ايضاً قول النواجي

مصرُ قالت دمشقُ لا تفتخرْ قطُّ باُسمها

وقول الخوارزمي

ويامن لست ارضى قطُّ بالبحر لهُ قطره

وعكسهُ استعمالهم ابداً للزمن الماضي ومنهُ قول عُبيد الله الميكالي

لك في المحاسن معجزاتٌ جمّةٌ　　ابداً لغيرك في الورى لم تُجمَعِ

ويقولون افعل هذا ولئن كلفك بعض المشقة يريدون وان كلفك فيزيدون اللام قبل إن الوصلية وهي انما تزاد قبل الشرطية توطئةً لقسم محذوف تقول لئن لم تفعل هذا لتندمنَّ اي والله لئن لم تفعل مثلاً فالصواب حذف هذه اللام

ويقولون لا يجب ان تفعل كذا اي يجب ان لا تفعل ولا يخفى الفرق بين نفي الوجوب ووجوب النفي فانهُ على الاول يبقى الفعل جائزاً وبخلافهِ على الثاني كما يظهر بادنى تأمل

ويقولون لا آتيك ما زلت حياً يريدون ما دمت حياً فيجعلون ما قبل زال مصدريةً زمانية ولا يخفى ان معنى ما زال ما انقطع فاذا جُعلت ما مصدريةً على فرض صحة استعمال الفعل بدون النفي او شبههِ كان المعنى لا آتيك مدة انقطاعي عن الحياة وهو عكس المراد . ومن الغريب أن ممن سقط في هذا ابن خلدون حيث قال في الفصل الخامس من الكتاب الاول ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصر في التناقص اللهمَّ الا ان يكون هذا من غلط النساخ ولعلهُ الاقرب

ويقولون في مقام الاخبار لا زال زيدٌ يفعل كذا يعنون ما زال يفعل ولا لا تدخل على الماضي الا مع التكرار او العطف على منفيّ نحو لا صدَّق ولا صلَّى وما زرت زيداً ولا زارني والاَّ صار الكلام معها انشآء وانقلب زمان الفعل الى الاستقبال

ويقولون اذا لا سمح الله حدث كذا أو ان لا سمح الله حدث كذا . .

فيفصلون بين اذا وما اضيفت اليهِ وبين إن وشرطها وكلاهما لا يجوز فالصواب تأْخير الجملة المعترضة . وقد وقع مثل هذا لبديع الزمان في احدى رسائلهِ الى الامام ابي الطيب حيث يقول وان والعياذ بالله لم يوافق مرادهُ قَدَراً . ومن اغرب ما جآء من هذا القبيل قول الصاحب بن عبّاد

فان عسى ملتَ الى التباطي　　صفعتُ بالنعل قفا بقراط

ففصل بين ان وفعلها بعسى وهو من التراكيب التي لا تصحّ ولا يمكن تصحيحها بوجه على ان المعنى الذي يريدهُ من عسى مستفادٌ من الشرط نفسهِ فزيادتها خطأٌ في اللفظ لغوٌ في المعنى

ويقولون قلت لهُ أن يفعل كذا وأن لا تقع بعد لفظ القول والصواب قلت لهُ ليفعل بلام الامر وان شئت حذفت اللام وابقيت الفعل مجزوماً او رفعتهُ ومن الاول قول الراجز

قلتُ لبوابٍ لديهِ دارها　　تئذَنْ فاني حَمُها وجارها

ومن الثاني قول المهلهل

قـل لبني بكرٍ يردُّونهُ　　او يصبروا للصيلم الخنفقيق

على ان من المولدين من اتفق لهُ استعمال ذلك في الشعر كقول ابن عبد العزيز

فقولا لطبعي ان يزول فانهُ　　يرى لكما حق الموالي على العبدِ

وربما زاد بعضهم البآء قبل أنْ وانما تزاد البآء في مثل هذا اذا كان القول بمعنى الرأْي والمذهب لا على اصل معناهُ ومن هذا قول ابن العطار

وقل لعليل الطرف عني بانني　　صحيح التصابي والفؤاد عليلُ

وربما زادوا البآء في غير ذلك كقول ابن اسد الفارقي

وللصهبآء اسمآء ولكن　　　نسيتُ بأن في الاسمآء ريقا

ولا جه لزيادتها هنا لانك تقول نسيت الامر ولا تقول نسيت بهِ . ومثلهُ قول ابن بقيّ

ودّعتُ من اهوى وقلت تأسفاً　　　صعبٌ عليَّ بأن اراك مفارقي

فزادها على المبتدأ وهي لم تسمع كذلك الا في قولهم بحسبك درهمٌ . على ان اكثر ما سُمعت هذه الزيادة اذا كان مدخول البآء مفتتحاً بأنْ او أنَّ المصدريتين لكثرة ورود هذه البآء هناك حتى تنوسي المراد منها ولذلك ترى اكثر كتابنا اليوم يقولون لا يخفى بأن الامر كذا ويسرّني بأن يكون زيدٌ كذا وهلمَّ جرًّا مع انهم لو استعملوا المصدر في ذلك كلهِ لم يكن لهذه البآء محلٌّ عندهم . ومن الغريب ان ممن استُدرج بهذا عنترة العبسيّ في معلقتهِ المشهورة حيث يقول

ولقد خشيت بان اموت ولم تدر　　　في الحرب دائرةٌ على ابني ضمضمِ

وقول من قال ان البآء تزاد على مفعول خشي ليس بشيء لانهُ لو استعمل الاسم هنا لم يقل خشيت بالموت . وانكر ما جآء من مواضع زيادتها قول ابن حجة الحموي رواهُ لنفسهِ في خزانة الادب

منعّمةٌ لفّآء مهضومة الحشا　　　تكاد بأن تنقدّ من دقة الخصرِ

فزادها في خبر كاد وهو من المواضع التي لا تدخلها أن الا شذوذاً فضلاً عن اشكال دخولها في هذا الباب من اصلهِ فما عتم ان زاد هذه الطينة بلةً بدخول البآء　　　　　(ستأتي البقية)

اريج الخليج

او

تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

اما القسم الثالث وهو الخليج فالمراد منهُ القرى او البلاد الصغيرة التي على ضفتيهِ ممتدةً على مدى البصر مسافة ساعتين او اكثر على جري البواخر الخيرية . وكلّ هذه القرى مصايف لاغنياء القسطنطينية واكابرها وبها الفنادق الواسعة والمطاعم الكثيرة والدساكر العديدة والخانات الجميلة والدور المزخرفة والمنازل الرحبة والجواسق الانيقة والقصور البديعة وبها لسفراء الدول صروح تكتنفها البساتين والجنان . وبها كثير من الاودية والهضاب وكلّها مكتسية بالاشجار الباسقة المشتبكة والادغال المحتبكة والمروج والغياض والازهار والرياض والعيون تتدفق بماء يروي عن السلسبيل والعروش احكمتها يد الطبيعة للمبيت والمقيل لا يدخلها النسيم حتى يغدو بليلاً ولا تصدح اطيارها الا ترتيلاً وفوق كلّ هذه البدائع منظر الخليج الرائع

بقعةٌ خصها الاله ببعضٍ من مزايا فردوسهِ العلويّ

فهي تجلو لاعين الحسّ شيئاً من كمالات حسنهِ المعنويّ

اما القسم الرابع من هذه العاصمة وهو بيك اوغلي او بيرا فهو محطّ رحال الفرنجة الذين يقصدونها واكثر شوارعهِ مستقيمة غير ان بلاطها لا يختلف عن استنبول وباقي الاقسام فهو من الطرّان التي تفري الاقدام وتثقب

العظام الا الشارع الكبير المعروف بالشارع المستقيم (طوغري يول) وبعض الجواد التي لا تتجاوز عدد الانامل . وفي هذا القسم اشهر الفنادق والمطاعم ودور القهوة والكثيرمنها يحاكي مافي عواصم اوربا اتقاناً وزينة واخصها فندق « بيرا بالاص » لحسن موقعهِ وجمال هندستهِ وثمين اثاثهِ . وفي هذا القسم قصور سفارات الدول كلها واكثرها مغانٍ واسعة في وسط بساتين وحدائق منسوقة احسن نسق . وفيهِ بساتين عامة يستأجرها اناس من الدوائر البلدية يدفع داخلها غرشاً واحداً وهي مرتبة على الطريقة الفرنجية لا تختلف عن بساتين اوربا العامة في شيء واكثرها يطل على البحر وما حولهُ وبها كراسي ومقاعد لمن يرغب في شرب شيء من القهوة او الشراب فيدفع قيمة ذلك . وفي هذا القسم من المدينة كثير من الدكاكين التي تحاكي دكاكين اوربا في كثرة السلع وحسن تنسيقها الاّ ان الباعة بها ليسوا على شيء من رقة وآداب باعة اوربا فاذا سألت احدهم عن قيمة السلعة نظر اليك اولاً من الفرق الى القدم وتفرس فيك لينظر هل انت اهلٌ لمشترى سلعتهِ فان احسن بك الظن اقبل عليك واستام منك اربعة او خمسة اضعاف القيمة فان كنتَ غِرًّا او خجلت من المساومة وسعّرت السلعة بنقص قليل عما استام بها انشب فيك اظفارهُ وقبض منك القيمة كلصّ في رائعة النهار بلا خجل ولا استحيآء وخرجت من دكانهِ بصفقة المغبون وان لم يحسن بك الظن اي رآك ممن لا تنفذ فيهم مخرقة المحتالين اقبل اليك متثاقلاً ثم عند تسعيرك السلعة ينظر اليك باستنكاف كأنهُ يأسف على الكلمة التي اضاعها بالقآئها على مسمعك ثم يولّي وجههُ عنك بمنتهى الخشونة . واكثرهؤلاء م

الارمن ثم الروم فالفرنجة لكنهم على درجات متفاوتة في القحة والاحتيال

وفي هذا القسم محلة غلطة التي هي على ساحل الخليج وهي مركز تجارة الآستانة فيها اكثر دور البُرُد الاجنبية والعثمانية ايضاً والمصارف والبيوت التجارية الكبيرة ويُنزَل اليها من بيك اوغلي بمئة وست درجات وقد يذهَب اليها من طريق اخرى اطول بركوب المركبات الحديدية (الترامواي) ولتقريب المسافة والوصول باتمّ الراحة قد خرقوا نفقاً تحت الارض تجري فيهِ مركبات بخارية مربوطة بحبال من شريط الحديد اذ انها تنزل بكل سهولة لشدة الانحدار الكائن بين بيك اوغلي وغلطة لكنّ اصعادها لا يتيسّر بغير هذه الحبال التي تمنعها من الرجوع القهقرى فيصل الراكب فيها باقلّ من دقيقتين الى احدى المحلتين صعوداً ونزولاً باجرة لا تزيد عن الثلاثين بارة ولا تنقص عن العشرين . ومن محلة غلطة هذه يُذهب الى استنبول ولكن لما كانت المسافة بينهما تزيد على الساعتين لاضطرار الذاهب ان يدور حول اللسان المسمى بقرن الذهب الممتد من الخليج فاصلاً بين القسمين فقد مدّوا منذ عهدٍ قريب جسرين من الخشب على اقواس وقوائم حديدية فوق قرن الذهب المذكور تمرّ عليهما المركبات والخيل والناس فيصل الماشي في اقلّ من عشر دقائق ويُدفَع للعبور على احد الجسرين عشر بارات واما المراكب فيُدفَع لعبورها غرشان ونصف

وفي جميع اقسام الآستانة وبعض قرى الخليج الكبيرة يوجد مجالس اوكما يقال دوائر للبلدة تسمى الدوائر البلدية واكثرها اهتماماً دائرة بيك اوغلي . لكنّ هذه الدوائر بالاجمال لا تختلف في نقص العناية وقلة الهمة

عن سائر بلديات الولايات وهذا مما يستوجب مزيد الاسف فقد سمعت كثيرين من الاجانب يقولون الآستانة في الشتآء بلد الاوحال وفي الصيف مدينة الغبار واكابرها على العموم يشكون من ذلك

ومن منازه الآستانة متزهة الكاغدانة وهي ميدان ذو مروج اريجة واقع عند آخر قرن الذهب يجري فيهِ نهرٌ تنضب مياههُ في الصيف لكنهُ في الربيع ـ وهو الفصل الذي تُقصد فيهِ المتزهة المذكورة ـ كثير المآء الى حدّ ان تجري فيهِ الزوارق الصغيرة آتيةً من الخليج وقد تذكرت بهِ قول البهآء زهير في النيل

حبـذا النيل والمراكب فيهِ　　صاعداتٍ بنا ومنحدراتِ

والمتزهة المذكورة هي في الربيع موعد الهنآء ومجمع الصفآء يختال فيها من ذوات الخدور وربّات القصور كل ظبيةٍ انيسة وفتنةٍ للعقول نفيسة قد لبست من انعم الحرير جلابب وذهبت في انواع الدلال مذاهب تسير بهنَّ المركبات دائرات وتنعطف متمهلات وتجري بهنَّ الزوارق والقلوب خلفهنَّ خوافق فهناك مئات من الفتيان والشبان قد لبسوا آخر زيٍّ من الملابس وأُفرغوا من الحسن في اكمل قالب وليس لهم من كلّ ما ينظرون غير خُلَس الحديث وما يوحيهِ سحر العيون . وبالجملة فالمكان في هذا الفصل مصرع العشاق ومسرح الغزلان

وفي هذا القسم من المدينة منزل ربّ المكارم العربية وعميد السلالة الشريفة الصيادية وكبير مشايخ الطريقة الرفاعية امام الصلاح والتقى حضرة صاحب السماحة سيدي الشيخ ابي الهدى

مباركُ الأسم اغرّ اللقب كريم الجرثي شريف النسب

وجوسقهُ هذا محط رحال الناطقين بالضاد من جميع الامصار والبلاد والشيخ حفظهُ الله قبلة آمالهم ومنتجع نوالهم يستقبلهم بصدرهِ الرَحْب ووجههِ الطَلْق ولسانهِ العَذْب وهو احد صدور دولة آل عثمان وفردٌ من افراد الزمان قطب الآداب والعلوم ومالك ازمّة المنثور والمنظوم وبالجملة فكانهُ من الفضل معروف وبالمزايا الهاشمية موصوف من قوم هم

بيض الوجوه كريمةٌ احسابهم شمّ الانوف من الطراز الاوّلِ

وفي هذا القسم دور الاستشفاء لمرضى الفرنجة وغيرهم شادها بعض السفراء وفيهِ دار المَجزة التي بُنيت بامر امير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني وهي احدى عجائب هذه العاصمة وقد بُذل في سبيل بنيانها ستون الف ليرة عثمانية ونيف وبها كنائس كثيرة وليس بينها ما يستحق الذكر . ومن ابنيتها الجليلة دار المصرف العثماني ودار حصر الدخان وفي هذا القسم دار بطريركية الارمن الكاثوليك ايضاً

وفي هذا القسم قصور عديدة شيّدها السلاطين العظام من آل عثمان كملطه سراي وهو اليوم دار المكتب السلطاني المتقدم الذكر . وطولمه بغجه سراي وهو الذي بناهُ ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان والد مولانا امير المؤمنين . وهذا القصر مبني على ساحل الخليج ممتدٌ على طول الف متر أو اكثر ومعظم حجارتهِ من المرمر الابيض محفور عليها نقوش تحاكي الورود والازهار والعروش والاكاليل والباقات مطلية كلها بماء الذهب وحولهُ جنان وحدائق غناء . وبهذا القصر الردهة الشهيرة التي

يُقال انها تستوعب خمسة آلاف نفس وهي مزينة بالنقوش البديعة ومدهونة بالالوان الزاهية واكثر ذلك مزوّق بماء الذهب . وفي هذه الردهة يتقبل جلالة الخليفة الاعظم تهانئ اركان الدولة في عيدي الفطر والنحر . وفي القسطنطينية قصور عديدة غير هذه واعظمها شأناً وارفعها جلالاً قصر يلديز العامر وهو سلسلة قصور عظيمة بديعة على ارفع جبال هذا القسم منها تحيط بها جنات وحدائق وادغال واحواض ورياض وسواقٍ جارية وعيون دافقة وهضاب واودية قد كُسيت بالمروج الخَضِرة وظللتها الافنان النضرة وازدانت بالازهار البديعة والورود الغريبة الكثيرة الالوان وفيها طرقات تسير عليها المركبات وقد حمتها الاشجار الباسقة من حر الشمس فصح فيها قول الشاعر

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاهُ مضاعف الغيث العميمِ

حللنا دوحهُ فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيمِ

وهذا القصر العامر يطل من اكثر جهاته على الخليج الذي هو من اجمل مناظر الطبيعة وابدعها وهو اليوم مستقرّ العزّ والجلال ومنبع الفيض والنوال ومطلع انوار العظمة والكمالات ومنهُ تتوزع النعم على صنوف المخلوقات وبهيبة سلطانهِ تحدق الابصار من جميع الامصار ولربّهِ امير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد الثاني يخضع كل العثمانيين والمسلمين حرس الله مهجتهُ وادام بالاعزاز والنصر دولتهُ

آمينَ آمينَ لا ارضى بواحدةٍ حتى اضيف اليها الف آمينا

الطاعون

قامت البلاد المصرية وقعدت في هذه الايام لخبرٍ فاجأ القطر من جهة الاسكندرية يحقق ظهور الوبآء في ذلك الثغر منذ اواخر الشهر الغابر . ألا وهو النبأ الذي ارتعدت لهُ المفاصل وهلعت القلوب لقدوم هذا الزائر المشؤوم الذي لم تنسَ مصر ما كان لهُ فيها من الفتك الذريع فيما مضى ولا تزال تقشعرّ الابدان لِما يرد علينا من انبآئهِ في الهند وما بسط على اقطارها من اجنحة الفنآء ودمّر في ارجآئها من المدن الغنآء . وكيف لا وهو المدوّ الذي لا يُعرَف ايّ طريقٍ يسلك ولا بأيّ سلاحٍ يقاوَم والذي اذا وطئ ارضاً قضى فيها الفصل بعد الفصل والعام بعد العام فتجدّد فيها مع الاعقاب ولم يفارقها الا وهي يباب

وقد كان اول ما ظهر من أشراط الدآء على ما جآء في جرائد الثغر في الرابع من الشهر الغابر وقد اصيب رجلٌ يونانيٌّ بما يشبه اعراض الطاعون فعُزل من منزلهِ بالهماميل الى المستشفى اليوناني الا ان الاعراض لم تكن واضحة فبقي الامر مشكوكا فيهِ ولبث تحت حجاب الكتمان الى ان كان اليوم السابع عشر من الشهر فأصيب رجلٌ آخر من اليونان بالاعراض نفسها فعُزل ايضاً من منزلهِ بشارع السبع بنات الى المستشفى المذكور وتواترت الاصابات بعد ذلك والاطبآء بين مثبتٍ للدآء ونافٍ لهُ حتى بلغت في اواخر الشهر عشر اصابات فثبت لهم بتكرار الفحص والمراقبة ان الاعراض اعراض الطاعون بنفسها وايد ذلك ما عاينوهُ من جراثيمهِ الخاصة مما لم يبقِ موضعاً للريب

اما طريق انسلالهِ الى القطر مع ما بُذل في منعهِ من التحوطـات والنفقات فقد اختلفت فيهِ الاقاويل ولا يبعد انهُ كان من الثلمة التي حدثت في محجر عيون موسى بفرار ثلاثة من رجال الانكليز الوافدين من الهند ودخولهم القطر على الجمال وذلك قبل الاصابة الاولى التي حدثت في الاسكندرية بنحو نصف شهر . وقد افاضت الجرائد في ذلك عند حدوثهِ وتوقعت وراءهُ شرًّا كبيراً ثم درجت على اثرهِ الايام الى ان تنوسي الامر او كاد وأمل الكثيرون ان ينقضي على غير تبعةٍ تخشى فلم يفلح الامل ولم يكذب الحذر ومضى القضآء في وجهتهِ وظهر الدآء واصبح القطر كلهُ في قبضة الخطر يتهددهُ كل ساعة واصبحنا في موقفٍ لا واقي منهُ الا رحمة الله والله لطيفٌ بالعباد

وقد بلغت الاصابات في الاسكندرية الى يوم كتابة هذا الفصل (١٢ يونيو) ٢٤ اصابة توفي من اصحابها ٧ وشفي ٦ والباقون تحت المعالجة. والظاهر ان الدآء قد تناول اكثر احيآء الاسكندرية مما يدل على ان الذرائع التي اتخذتها الحكومة لحصرهِ كانت غير كافية وفوق ذلك فان الصلات بين الاسكندرية وسائر جهات القطر لا تزال على عهدها بحيث ان طريق الدآء ممهدٌ الى كل ناحيةٍ من نواحيهِ على حين قد أُعدّ لهُ في كل بلدةٍ يؤمها مرعًى خصيب من الاقذار المنتشرة في الازقة والمنازل بحيث ينزل على الرحب والسعة . وما زالت الجرائد تصدر كل يومٍ وهي غاصةٌ بالتنبيه والتحذير وتحريض اولي الامر ان يتداركوا هذا الخطر العميم بتوجيه العناية الى ازالة تلك الاقذار التي لا تلبث ان تصير باسرها طاعوناً ينتشر في سمآء

القطر وارضهِ ويجتاح ارواح الالوف المؤلفة من سكانهِ ورجال الحكومة لا يزيدون ذلك النداء الاَّ تصاماً واعراضاً حالة كونهم يرون البلاء واقفاً بالمرصاد وقد صار اقرب الى النفوس من حبل الوريد. وقد قلقت حكومات اوربا باسرها خوفاً من تخطي الوباء الاسكندري اليها وتأهبت لصدهِ ومقاومتهِ وحكومتنا متقاعدة عنهُ حتى اعجزها حصرهُ في حيٍ من احياء الاسكندرية فما الظن بحصرهِ في مدينة الاسكندرية نفسها. بل هي قد استسلمت للبلاء واهملت حتى التفتيش الصحي على القادمين من الاسكندرية الى سائر مدن القطر وهو اقل ما تتخذهُ الحكومات من الذرائع في مثل هذه الاحوال واخذت من اليوم تستعدّ لتفشيهِ في البلاد فأعدَّت لهُ في العاصمة مكاناً مخصوصاً في العباسية لنقل المطعونين اليهِ ولعلها قد اعدَّت اناساً مخصوصين لدفن من يموت بهِ ... عظَّم الله اجر حكومتنا في رعاياها وجعل كل من يموت منهم فدًى عنها

***

بقي انهُ اذا كان هذا مبلغ ما عند الحكومة من الاهتمام بوقاية البلاد من شر الوباء فلا اقلّ من ان يحتاط كل فرد لنفسهِ بما تفرضهُ القوانين الطبية والصحية على قدر ما يستطاع اليهِ السبيل . وقد اقترحنا على حضرة النطاسيّ الشهير الدكتور شبلي شميل اجابةً لطلاب كثيرين من قرّاء الضياء كتابة فصل في هذا المعنى يلخص فيهِ وصف الداء وطرق انتشارهِ ووجوه الوقاية منهُ فلبى الى ذلك بما طُبع عليهِ من الغيرة والاريحية وما عُرف بهِ من خدمة الانسانية وهذه صورة ما تفضل علينا بهِ قال حفظهُ الله

﴿ الطاعون ﴾

الطاعون مرضٌ قديمٌ جدًّا من امراض العالم القديم وقد ورد ذكرهُ في كتب ابقراط وفي سياق حكايةٍ طويلة لم يذكر فيها سوى هول المرض وانقضاضهِ على بلاد الفرس واستغاثة ملك الفرس بهِ ورفضهِ اغاثتهُ ولكن لم يُذكَر فيها شيءٌ من اعراضهِ الفارقة. ولعلهُ في الاصل اسمٌ للوبآء على الاطلاق وقد عرَّفهُ ابن سينا انهُ اسمٌ كان يطلق في الاصل على كل ورمٍ غُدّي ثم قيل مع ذلك لما كان منهُ قتّالاً قال «وأسلم الطواعين ما هو احمر ثم الاصفر والذي الى السواد لا يفلت منهُ احد والطواعين تكثر في الوبآء وفي بلاد وبيئة» وهو اليوم اسم لمرضٍ عفنيّ حُمّيّ مستوطن في بعض الجهات ووافدٌ في البعض الآخر

وقد كان الطاعون كثير الانتشار جدًّا في العصور القديمة وانقضَّ على اوربا في العصور الوسطى وعاث فيها كثيراً وكان مستوطناً في مصر حتى عُدَّت مصر منشأً لهُ وبقي كذلك الى سنة ١٨٤٥ وانحصر في الشرق الاقصى حيث يثور ويهجع منقطعاً من جهة ليظهر في غيرها وانتقل منهُ مراراً الى جهات أُخرى كبلاد ما بين النهرين وبلاد العجم وبعض الجهات في روسيا وقد ظهر في الهند في المستعمرات الانكليزية من نحو اكثر من سنتين ولا يزال في بمباي حتى اليوم

وبعد ان غاب خمساً وخمسين سنة عن مصر عاد فظهرت منهُ بعض حوادث في اوائل الشهر الماضي في الاسكندرية وحتى كتابة هذه الاسطر لم يتجاوز عددها حوادث معدودة والارجح انهُ اتاها منتقلاً من الهند ولكن كيفية ذلك

لم تعلم جيدًا . ويظن انهُ انتقل اليها مع البضائع لا مع الناس

وكان القول سابقًا ان الطاعون مرض غير معدٍ وانهُ من الامراض الميازمية وهذا كان مذهب كلوت بك ومن تبعهُ من الاطبآء الفرنساويين في ذلك العهد . والجمهور بعدهُ على انهُ مرضٌ معدٍ شديد العدوى حتى ان العامة في مصر كانوا يعتقدون ذلك ويتقونهُ باجتناب مخالطة المطعونين والعزلة في بيوتهم وحتى ان الدول في كل الجهات اقاموا في الماضي المحاجر لضرب الحجر على جميع الصادرات وعلى الناس الآتين من بلادٍ موبوءة . ولكن سرّ العدوى لم يعلم جيدًا الا من بضع سنين والفضل في ذلك لواحدٍ من المتخرجين في معمل بستور اسمهُ يرسين فانهُ اكتشف في الطاعون الذي فشا في هنكنغ من بلاد الصين في سنة ١٨٩٤ مكروبًا ظاهر من الامتحانات الكثيرة انهُ سبب هذا الداء الوبيل وجاءت ابحاث كيتازاتو في ذلك العهد موافقةً لذلك ايضًا واليوم لم يبقَ شكٌّ في ان مكروب يرسين هو مكروب الطاعون الخاص بهِ

فالعدوى اذًا هي انتقال مكروب هذا الداء من مريضٍ الى صحيح ومن بلادٍ وبيئة الى بلاد سالمة من الوباء فلا بدَّ في العدوى اذًا من مخالطة المريض او ملامسة ما لامسهُ

وكان يُظَنُّ ان العدوى تتم بانتقال سم المرض بالهواء ونفوذهِ الجسم عن طريق المسالك الهوائية وهذا القول وان لم يكن عندنا ما ينقضهُ فليس لنا ما يثبتهُ واذا كان للهواء شأنٌ في نقل العدوى فقد يكون ذلك بما ينقلهُ من الغبار العالق بهِ شيءٌ من مكروب هذا الداء فيلقيهِ على سطح

الجلد والنشآء المخاطي للفم والانف فاذا كان فيها سحج او جرح او اي تفرُّق اتصال اختمر هنالك وتكاثر ونفذ الى باطن الجسم كما يحصل في التلقيح اذ ثبت اليوم من الامتحانات الكثيرة ان هذا الدآء لا ينتقل الى سليم الاَّ بالتلقيح

وهو لا ينتقل عن طريق القناة الهضمية كسائر الامراض المعروفة لانهم امتحنوا ذلك بأن أطعموا بعض الحيوان الذي يفتك بهِ الطاعون فتكاً ذريعاً كالفيران من مستنبتات مكروب الطاعون فلم يُصَب بهِ . وعليهِ فاذا كان للطعام شأن في احداث العدوى فيكون ايضاً من وجود قروح او جروح في الغشآء المخاطي للفم والحلق تلقح بهِ . وكذلك لا ينتقل بالشراب لان هذا المكروب لم يوجد في المآء بل بالضد من ذلك وجدوا ان الذين كانوا مقيمين في السفن والمراكب في الانهر او البحار في وقت الطاعون نجوا منهُ

ومما يساعد على التلقيح قرص الحيوانات الحلمية كالذباب وخصوصا البراغيث فانهم جعلوا اليوم لهذه الحيوانات الصغيرة شأناً كبيراً في نقل العدوى

ومن الحيوانات التي يعرض لها الدآء الفيران حتى لقد يسبق انتشار الطاعون بين الناس موتانٌ كثيرٌ فيها وقد عرفوا ذلك في الشرق الاقصى حتى اذا رأوهُ تركوا مساكنهم وفرُّوا هاربين

وبدرس طبائع هذا المكروب عرفوا انهُ يحبّ الرطوبة القليلة والحرارة اللطيفة ولا يقوى على البرد الشديد ولا على الحرارة الجافة ولو لم تتجاوز ٨٠° ومزيلات الفساد كلها تهلكهُ ولو ضعيفة فهو من هذه الحيثية اضعف من سائر المكروبات المرضية المعروفة مما يجعل الوقاية منهُ أسهل من الوقاية

منها . وهو يحبّ جدًّا القذارة ولذلك كان كثيراً في المدن القذرة والاماكن الفاسدة الهوآء التي يتراكم فيها الناس وبين الفقرآء وقلّما يعرض في الجهات النظيفة المساكن والسكان

واعراض هذا الداء حمّى قد تكون شديدة جدًّا وقد تكون خفيفة للغاية وتتبعها اعراض عمومية نظيرها يعقبها ظهور اورام في غُدَد الأُربيّة او الابط او العنق تسمى دُبيلات وغالباً تكون وحيدة . وقد تظهر جمرات وفلغمونات في اقسام اخرى من البدن اذا طالت مدة الدآء وكان شديداً وغالباً تهبط الحمّى اذا تقيّحت الدُبيلة وقد يدل ذلك على انكسار حدّة المرض ولكن يجوز ان تشتدّ الاعراض العمومية بعد ذلك أيضاً وتنذر بسوء المصير

والعلاج لا تختلف مدلولاتهُ عنها في علاج سائر الامراض الوبيلة اي العفنية ويناط امرهُ بالطبيب المداوي . على انهم بعد اكتشاف مكروب هذا المرض حاولوا ان يوجدوا لهُ علاجاً خاصاً بهِ كما اوجدوا ذلك للدفثيريا فاكتشفوا مصلاً زعموا انهُ يشفي من الدآء وجروا في استحضارهِ على طريقة استحضار مصل الدفثيريا باستنبات المكروب في اجسام الخيل والظاهر ان نفع هذا المصل لم يثبت كما ثبت لمصل الدفثيريا . ومهما يكن فهو العلاج الاصوب في علاج هذا الدآء وسائر الادوآء الخاصّة لانهُ هو الطريقة التي تسير عليها الطبيعة في شفآء العلل وسيكون لهذا العلاج شأنٌ عظيمٌ في المستقبل لكن الصعوبة هي في الاهتدآء الى كيفية استحضار المصل وهذا تتكفل بهِ التجارب في المستقبل وهو اعظم اكتشاف في هذا العصر والعصور السابقة في علم العلاج والفضل فيهِ لبستور الفرنساوي وتلامذتهِ

وقبل ان نختم الكلام في هذا المرض لا بدَّ لنا ان نتكلم عن الوقاية منهُ وهي كالوقاية من سائر الامراض الوبآئية تقوم بالعزلة اي عزلة المكان وعزلة السكان لمنع كل اتصال مع البلاد الموبوءة ومنع مخالطة الاصحآء للمرضى بل هي اسهل منها لضعف مكروب الطاعون عن المقاومة كما علمت مما مضى · ولا ريب ان النظافة الحقيقية اعظم وسائل هذه الوقاية ويراد بها نظافة المدن ونظافة المساكن ونظافة السكان والأرجح انهُ لا خوف الآن على مصر من انتشار هذا الداء لان قلة الحوادث وعدم تفشيها من عهد ظهورها وسلامة المصابين غالباً تدل على ان سم المرض خفيف جدًّا ولان الفصل الحارّ لا يلائمهُ ونحن على ابواب الصيف · ولعلَّ شدَّة تيقُّظ الحكومة والشعب الى وسائل الوقاية مع ذلك تساعد على استئصال شأفتهِ قبل انقضآء فصل الحرّ ودخول فصل البرد وهو الفصل الذي كان الطاعون يشتدُّ فيهِ في هذه البلاد · انتهى

متفرقات

حرارة الشمس ـ حسب علمآء الطبيعة انهُ لو اوقد كل ما في الارض من الفحم دفعةً واحدةً لما زاد على ما تبعثهُ الشمس من الحرارة في عشر ثانية

تقدير عدد الاسماك ـ قدّر الاستاذ هربرت احد مشاهير علمآء الاسماك ان كل ميل مكعب من مآء البحر يشتمل على ١٢٠ مليوناً من السمك

مقدار ما يدخل جسم الانسان من العناصر ـ حسب بعضهم ان ما يدخل جسم الانسان في مدة سنة من طعام وشراب وهوآء يبلغ نحو وسق ونصف (١٢٠٠ اقة)

اعمار بعض الحيوانات ـ ذكروا ان اطول الحيوان عمراً الفيل فانهُ يبلغ اشدَّهُ بين ٢٥ و ٣٠ سنة وقيل ان بعض الفيلة يبلغ من العمر ١٥٠ سنة. والاسد يعيش ٤٠ سنةً وذكروا ان اسداً في برج لندن بلغ ٧٠ سنة . والخيل تعيش في الغالب من ١٨ الى ٢٤ سنة والبقر من ١٨ الى ٢٠ . قالوا واذا اعتُني بالفرس حق العناية وأُكثر من ارساله الى المرعى بحيث يقضي فيه مدداً طويلة فقد يبلغ ٤٠ سنة

فوائد

اطفآء الحريق ـ ذُكر في بعض المجلات العلمية ان اسهل طريقة لاطفآء الحريق ان يؤخذ ٢٠ ليبرة من ملح الطعام و١٠ من ملح الامونياك يحلّ مجموعها في ٣١ ½ لتراً من المآء ويوضع المحلول في زجاجاتٍ رقيقة تسع الواحدة منها ربع المقدار المذكور وتسد بالفلين سدًّا محكماً حتى لا تتبخر . فاذا حدث حريق تطرح هذه الزجاجات في اللهيب او بقربهِ لتتكسر ويخرج ما فيها من الغاز فيطفئ اللهيب في الحال

قرآءة السكة الممحوّة ـ اذا انمحت كتابة السكة حتى تتعذر قرآءتها فافضل طريقةٍ لاظهارها على ما ذكرهُ احد المجربين ان تُحمى على النار شيئاً

فشيئاً فيظهر ما عليها من الكتابة غالباً

عسر الهضم - وصف بعضهم لعسر الهضم الجلوس على كرسيّ هزّاز بحيث يكون وضع الجسم قريباً من الافقيّ ما امكن فان الحركة كذلك من افضل المنبهات للقوة الهاضمة

آثار ادبيّة

خزانة الايام في تاريخ العظام - اهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب وهو سفرٌ نفيس يشتمل على تراجم اشهر رجال العصر الحالي من تأليف حضرة الكاتب الاديب يوسف افندي نعمان المعلوف صاحب جريدة الايام المشهورة التي تُطبع في مدينة نيويرك . وقد قسمهُ الى خمسة ابواب ذكر في اولها الأُسَر المالكة وتراجم ملوكها الحاليين . وفي الثاني تحرير الولايات المتحدة ودستور احكامها . وفي الثالث تراجم شتى لأُناسٍ من مشاهير اهل العصر ونبذةً في تاريخ لبنان وتراجم من تولى احكامهُ من المتصرفين وجماعةٍ ممن اشتهر من رجال لبنان وسوريا . وفي الرابع تراجم عدةٍ من مشاهير ارباب السياسة من الشرقيين والغربيين . وفي الخامس تراجم بعض البطاركة المعاصرين ونبذة في السوريين والمهاجرة وذكر احوال المهاجرين . وبين كل ذلك فصولٌ ومباحث في اغراضٍ شتى من التاريخ والسياسة والعلم والتجارة وغيرها بحيث لا يعدم المطالع فيهِ فائدةً اولذة . فنحن نثني على مؤلفهِ ثناءً جميلاً ونحض المتأدبين من ابناء الوطن على اغتنام فوائدهِ

والكتاب يشتمل على نحو ٣٠٠ صحفة كبيرة جيد الورق متقن الطبع وقد شُفع غالب ما فيهِ من التراجم بصور اصحابها مما لا يُرى مجموعاً في غير هذا الكتاب وهو يطلب من ادارة جريدة الايام وثمنهُ ريالان ونصف

تحرير المرأة — هو سفرٌ جليل وضعهُ حضرة الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة استئناف مصر الاهلية وطُبع بالتزام حضرة الاديب محمد علي افندي كامل صاحب مكتبة الترقي ومطبعتها بالقاهرة . وقد تصفحنا هذا الكتاب فوجدناهُ حسن التنسيق محكم الوضع يشفّ عن علمٍ واسع ومادةٍ غزيرة وذهنٍ صافٍ وقلبٍ متصرف . وقد جعل بحثهُ في المرأة المصرية وما هي فيهِ من التخلف والبعد عن مقتضى الحضارة المصرية فشرح حالها شرحاً بيناً في جميع اطوارها الحسية والمعنوية وحضّ على وجوب تربيتها جسماً وعقلاً مع بيان مكانها من الامة وما يترتب على حالها من التأثير في حال الأُسرة بخصوصها والمجتمع بأسرهِ واردف ذلك بالكلام على احوالٍ خاصةٍ من امر الحجاب وشؤون الزواج والطلاق وتعدد الزوجات الى ما يتصل بهذه المعاني سالكاً في جميع هذه المباحث مسلك الفلسفة تارةً والاجتهاد اخرى وكل ذلك بعبارةٍ سهلة واضحة المفهوم سديدة المنهج حريةٍ بأن يُتلقى مضمونها بالروية والاستبصار . فنثني على المؤلف اطيب الثناء لما عُني بهِ من تأليف هذا الكتاب ونرجو لهُ تحقيق ما يتوخى بهِ من النفع والفوز بجميل الثواب

فكاهات

رواية

الأُستاذ [1]

حدَّث رئيس مدرسةٍ قال

يعجب معارفي واصدقائي من بلوغي الى رئاسة هذه المدرسة الجامعة مع قلة بضاعتي العلمية حتى اكاد أُعدُّ في الاميين ولكن يقال اذا ظهر السبب بطل العجب . اما قصتي فهي ان والدي ووالدتي توفيا وانا في حداثة سني مع شقيقةٍ لي ولم يتركا لنا ثروةً نعيش منها ولا مسكناً نأوي اليهِ فأخذت اسعى في تحصيل قوتنا ولم يكن ذلك سهلاً عليَّ لاني لم اكن اعرف من انواع الصناعة شيئاً ولم اكتسب علماً في المدرسة سوى قواعد اللغة اللاتينية فكنت اقرع ابواب الكرام سعياً في التماس شغلٍ لي فيستقبلوني بالرحب حتى اذا اختبروني فاطلعوا على قصوري وجهلي حتى للغتي الاصلية اقفلوا في وجهي ابوابهم وعدت خائباً . وكنت بعد ان اجري طول النهار اعود الى البيت مساءً فأرى شقيقتي جوليا بانتظاري وهي ترجو ان ارجع اليها بشيء مما جمعت في نهاري ولكنها لا تلبث ان تقرأ في وجهي عدم النجاح فتجتهد

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

في كتم ما بها والتخفيف عني فيزيد ذلك في عذابي ويحرمني راحة الليل

وفي ذات يوم بينما انا سائرٌ كعادتي في شوارع المدينة اذ رأيت مكتوباً على باب احد المحلات العظيمة ما يأتي . من كان طالب خدمةٍ بأية صفةٍ كانت فعليهِ بمفاوضة صاحب هذا المحل . فلما قرأت ذلك كدت اطير من الفرح واندفعت الى الداخل فرأيت رجلاً مهيباً جالساً الى مكتبٍ وامامهُ الصحف والرسائل تلالاً فحييتهُ باحترام فاجاب مختصراً ثم سألني عن حاجتي فقلت اريد الخدمة . قال هل سبق استخدامك في احد المحلات قلت لا . قال وما صناعتك قلت لاصناعة لي ولا اعرف شيئاً سوى اللغة اللاتينية . فتبسم الرجل وقال مازحاً لا اظن استخدامك ممكناً قبل وفاة الملك الحالي لتبينك مكانهُ . فدخل كلامهُ كسهمٍ في قلبي وطأطأت رأسي وهممت بالخروج . وكان بيدهِ ظرفٌ مختوم ففضهُ وحالما القى نظرهُ عليهِ نادى بي وقال قف يافتى فوقفت فقال قد سهّل الله لك شغلاً ان شئت ان تقوم بهِ . فلم اصدق من فرحي ولبثت واقفاً كالمبهوت . ولما قرأ الكتاب قال ان المستر بكسلي رئيس مدرسةٍ عالية خاصةٍ بهِ يطلب مني استاذاً للغة اللاتينية بمرتب عشرة جنيهات مع المسكن والطعام وان كان في صحبتهِ امرأةٌ او معينة فهو يقبلها ايضاً معهُ وتأكل على مائدتهِ بدون نقص في المرتب فهل تحب ان تلبي هذا الطلب . فأجبت بدون تردد نعم اقبل ولي شقيقة كنت حائراً اين اخلفها بعد سفري فاستصحبها معي . قال لكن لا أكتمك ايها الشاب ان الاستاذ بكسلي على ما يبلغني صعب الخلق خشن المراس فان كنت مستعداً لمداراتهِ واحتمالهِ والا فانا انصح لك ان تستعفي من خدمتهِ من الآن .

قلت سأجتهد بان اجاريهُ وعسى ان لا يصدرمني ما يغيظهُ فاني محتاج الى الخدمة وساكون لهُ اطوع من بنانهِ . قال حسنٌ فمتى تسافر . قلت اليوم اذا شئت .فكتب رسالةً ودفعها اليَّ لاقدّمها الى الاستاذ بكسلي وارسل بالبرق يعلمهُ اني قادمٌ اليهِ في الصباح التالي

فاسرعت الى البيت واعلمت شقيقتي بالامر فسرَّت وابتهجت وفي ساعةٍ من الزمن جهزنا الاثاث القليل الذي عندنا وانتظرنا ريثما حان موعد السفر فركبنا القطار وفي صباح اليوم الثاني وصلنا الى مدرسة الاستاذ بكسلي فادخلنا الخادم الى غرفة الاستقبال وبعد هنيهةٍ حضر الاستاذ فناولتهُ الرسالة وبعد ان اتم قرآءتها قال اذاً قد قبلت ان تدرّس اللاتينية عندي على هذه الشروط . قلت نعم . قال بقي لي شرطٌ آخر وهو اني احب الموادعة والسلم في هذه المدرسة ولا سيما بين الاساتذة فانا اكره المناظرة والشقاق ولذلك احب ان تكون سهل القياد لين الطبع بعيداً عن المقاومة فهل تعدني ان تكون كذلك قلت ساكون على ما تحب ان شآء الله . قال حسنٌ فادخل مع شقيقتك هذه الغرفة المعدّة لكما واستريحا من عنآء السفر

وفي المسآء تناولنا الطعام على مائدة الاستاذ وكان معهُ شابٌّ عرّفنا بهِ واسمهُ المستر تيلر وهو استاذ الرياضيات عندهُ . وكان هذا مع صغر سنهِ كبير الجثة قوي البنية لهُ نظرٌ حادٌّ وهيئة وحشية جعلتني اكرههُ واتجنب معاشرتهُ . ولما ابتدأت بالتعليم وجدت مع مزيد جهدي في مسالمة الجميع ان الاستاذ تيلر هو العدو الوحيد بل الآفة الكبرى لتلك المدرسة الجامعة فانهُ كان سيئ الخلق فظ الطباع خشن المعاملة لا يميل الى مؤانسة احد

بل يقضي معظم اوقاتهِ في غرفتهِ وعلمت بعدئذٍ انهُ كان كلما جاءَ استاذٌ الى المدرسة ناصبهُ تيلر المداوة وضايقهُ حتى يضطر ان يستعفي وان تلامذتهُ كانوا يهربون الواحد بعد الآخر تخلصاً من غلظتهِ وشدة عسفهِ وبالجملة فاني رأيت ان تيلر عاملٌ على خراب المدرسة . وكان الاستاذ بكسلي يرى ويسمع كل ذلك لكنهُ لم يبدِ اقل معارضة لاعمال تيلر بل كان يخضع صاغراً منقاداً مطيعاً فلم اشكَّ بعد ذلك ان بين بكسلي وتيلر سرًّا خفياً هو الذي يلجمهُ عن معارضتهِ والا لما تجاسر على هذه الفعال مع رئيسهِ

وكانت شقيقتي جوليا قلما تخرج من الغرفة ففي ذات يوم كانت تمشي في الحديقة فرآها تيلر فاخذهُ بها ولعٌ شديد واخذ يتقرب منها ويظهر لها المحبة والهيام . ورأت من توددهِ وشدة انعطافهِ نحوها ما جعل فيها ميلاً اليهِ وازداد هذا الميل وقوي بينهما حتى تعاهدا على الاقتران . وطلبت منهُ جوليا ان يكلمني في ذلك فابى واصرَّ عليها ان لا تعلمني بشيء من امر حبهما الى ان يأمرها هو فاعلمتني بذلك سرًّا وتظاهرت انا بعدم المعرفة خوفاً على مركزي

وبقينا ستة اشهر على هذه الحالة وانا لا ارى ما يسوءني سوى اعمال تيلر وسكوت بكسلي عن سيئاتهِ . وفي ذات ليلة كنت خارج المدرسة وعدت بعد نصف الليل فلما بلغت الحديقة رأيت امامي شبحاً يتسلل متستراً بالظلام فتتبعتهُ حتى بلغ غرفة تيلر فالقى حبلاً على النافذة فعلق بها ثم تسلق الجدار بمساعدة الحبل حتى بلغ النافذة ووثب الى داخل الغرفة . فاسرعت الى غرفة الرئيس بكسلي واعلمتهُ بما رأيت وقلت لهُ هل تحبّ ان استدعي الشرطة . فقطب حاجبيهِ وقال اذهب الى غرفتك ولا تداخل فيما لا يعنيك

فقد اوصيتك سابقاً ان تقصر كل اهتمامك على امورك الخاصة ولا تلتفت
الى شيء من امور غيرك . فعجبت جداً من هذا الجواب وتأكدت حينئذٍ
وجود السر بين هذين الرجلين الغريبي الاطوار ونويت ان احتال بكل حيلة
لمعرفة ما يخبآنهِ . غير انني رأيت في اليوم الثاني ان تيلر ينظر اليَّ بعين ملؤها
غدرٌ واحتقار وفي المسآء دخلت غرفتي فرأيت على المائدة رسالةً عرفت انها
من بكسلي ففتحتها فاذا بهِ يقول لي فيها « لم يعد لي من حاجةٍ اليك فاستعدَّ
لمفارقة المدرسة في نهاية هذا الشهر »

ولما لم اكن متوقعاً لهذا الخطاب وقعت في حيرةٍ عظيمة ولم ادرِ ماذا
اصنع وابتدأت من ذلك الحين اسعى في البحث عن شغلٍ آخر . وفي الليلة
التالية عدت في منتصف الليل وانا مبلبل الافكار ولما مررت من امام
غرفة الرئيس استوقفني صوت انينٍ ينبعث من الغرفة فوقفت امام الباب
واصغيت فسمعت كلاماً بصوتٍ منخفض لم افهم منهُ شيئاً ثم عقبهُ صوتٌ
خشن ولعنات متقطعة . فاقتربت ايضاً الى الباب ونظرت من ثقب المفتاح
فاذا ببكسلي واقفٌ قرب المائدة وامامهُ تيلر والشرر يتطاير من عينيهِ وهو
يقول لهُ بصوتهِ الخشن لا بد من اخذ الجميع فقد عقدت النية على السفر .
فاجابهُ بكسلي بصوتٍ مرتجف ليس عندي غير ما اعطيتك فاذهب عني ولا
تزد جرائمك . فاثارت هذه الكلمة غيظ تيلر فوثب كالمجنون وقبض على
عنق بكسلي بكلتا يديهِ وقد عزم على قتلهِ بتةً ثم توقف وقال بل لا اقتلك
الآن لانني لو فعلت لم يبقَ لي سبيل ان اهتدي الى مطلوبي فهات ما قلت
لك وفز بحياتك

اما انا فاغتنمت الفرصة وذهبت فايقظت احد الخدم وامرتهُ ان ينادي الشرطة بدون ان ينتبه احد وعدت الى موقفي بجانب الباب فرأيت تيلر قابضاً على عنق بكسلي وهو يلعن ويحلف ويقول لابدَّ لي من الحصول على الجميع . وكان بكسلي المسكين يئن وينتحب من شدة الالم والضيق ولا تساعدهُ بنيتهُ الضعيفة على مقاومة ذلك الوحش الضاري . ولما رأيت دموع بكسلي الشيخ منحدرة على وجنتيهِ لم استطع الصبر فدفعت الباب بقوة ودخلت قائلاً أقصر ايها الوحش واحترم هذا الرأس المشتمل شيباً . فلما رآني بكسلي تهد فرجاً ولكنهُ اظهر الغيظ من مداخلتي اما تيلر فتركهُ وتقدم نحوي وكنت اود ان اقابلهُ في مثل تلك الحالة فهجمت عليهِ ورفعت يدي بعصاي فضربتهُ على رأسهِ ضربتين شديدتين فلم تؤثرا فيهِ بل زادتا حدتهُ واندفع عليَّ فاشتبكنا بضع دقائق غير انهُ كان اقوى مني فتملص من يدي ورأى كرسياً بجانبهِ فرفعهُ وضرب بهِ رأسي فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً . ولما استيقظت وجدت نفسي ملقًى على سرير الاستاذ وهو بجانبي مع رئيس الشرط ينشقاني المنبهات ورأيت تيلر موثق اليدين والرجلين ملقًى على الارض والشرر يتطاير من عينيهِ . ولما اطمأن رئيس الشرط من جهتي نظر الى بكسلي وقال ما القصة وما كان الداعي لهذا الذي حدث . فتنفس الاستاذ الصعداء ومسح عينيهِ بمنديلهِ ثم اخذ يقص علينا حديثهُ فقال

كنت في ماضي حياتي سعيداً وغنياً جدًّا وقد وُفقت الى التزوج ببنت احد الاعيان فعشت معها مدةً لم تطل قضيناها في نعيم ورغد عظيم . وفي السنة الثانية من زواجنا رزقني الله غلاماً ففرحت بهِ وأملت ان يكون سندًا

لي في حياتي وعكازاً لشيخوختي ولكنهُ ماجآء هذه الارض الا لشقآئي وتكدير عيشي وكانت فاتحة وجوده ان مرضت زوجتي على اثر ولادته فلم ادع وسيلةً من وسائل الشفآء الا اتخذتها وبذلت فيها الاموال الطائلة فلم ينجع فيها علاج وفارقت هذه الدنيا تخلصاً من شرها . فاجتهدت في تربية الولد الى ان شب فرأيت فيهِ من شراسة الطباع وشرود الاهوآء ما لم استطع القرار عليهِ ولا امكنني تقويمهُ فارسلتهُ الى مدرسة الحكومة واوصيت اساتذتهُ ان يروضوا طباعهُ كما يجب غير انهُ مع كل ما كان اساتذتهُ يبذلون من الانتباه لهُ والتشديد عليهِ كان يهرب من المدرسة ويقضي ايامهُ في شوارع المدينة مع الرعاع فلم يكن يميل الا الى معاشرتهم ولا يسرّ الا بوجوده معهم . وفي ذات يوم اتاني طالباً ان اسمح لهُ بالاقتران بفتاةٍ احبها ووعدني انهُ بعد اقترانه يصلح سيرتهُ فحملني الامل في صدق مواعيدهِ على ان قبلت وسمحت لهُ فتزوج . وبعد اسبوع طلب من زوجتهِ مبلغاً من المال وكان مالها مودعاً في احد المصارف فلم يمكنها ان تنقدهُ ما طلب في الحال فغضب وهمّ بضربها فصاحت خائفة فزاد غيظهُ واخرج من جيبهِ غدارةً واطلق عليها النار فسقطت امام قدميهِ ميتةً . وبلغ الامر الحكومة وقتئذٍ فالقت عليهِ القبض واودعتهُ السجن الى ان يصدر عليهِ الحكم وبعد مدة حكم عليهِ القضآء بالموت . فلما بلغهُ الحكم تبسم كمن دُعي الى ليلة انس وفي نفس الليلة فرّ هارباً وتخلص بطريقةٍ عجيبة

ومضت على ذلك ايامٌ والحكومة تبحث عنهُ فلم تقف لهُ على اثر الى ان كنت في احدى الليالي المظلمة فسمعت قرعاً عنيفاً على باب غرفتي

ولما فتحتهُ وجدت ولدي المذكور فدخل حزيناً والقى بنفسهِ على قدميَّ وطاب الصفح ووعد ان لا يعود الى ما كان عليهِ وتوسل اليَّ ان اخفيه عندي ولا اسلمهُ الى الشرط . ورأيته جائعاً عارياً منكسراً فتحركت فيَّ العوامل الوالدية فضممته الى صدري ووعدتهُ خيراً وفي الغد البستهُ ثوباً منكراً ودخل في المدرسة بصفة استاذ للرياضيات ولم يزل كذلك حتى الآن. وبحثت الشرطة عنهُ كثيراً فلم ينبئها احدٌ بخبرهِ ولم يزل امر الحكومة مشدداً بالقاءِ القبض عليهِ اينما وُجد وكنا نعلم ذلك من الجرائد اليومية فكنا نزيد في التحرز والانتباه ولم يكن ولدي يفارق غرفتهُ نهاراً ولا يخرج للتنزه الا تحت حجاب الليل. وبعد شهر واحد من تاريخ عودتهِ اليَّ عادت اليهِ اخلاقهُ الأولى فعاد الى اطوارهِ السيئة وحرمني لذة الحياة كما سلب راحة الاساتذة والتلامذة. وكثيراً ما كانت تحدثني نفسي ان اسلمهُ الى الحكومة ثم يعترضني الحنو الوالدي فارجع عن عزمي واكتم مصيبتي صابراً على احرَّ من الجمر آخذاً الامر بالاناة والحلم الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

اما سبب حوادث هذه الليلة فقد علم ولدي ان احد الاساتذة رآهُ عائداً الى غرفتهِ بعد منتصف الليل وخشي ان يفتضح سرُّهُ بعد كتمانهِ سنتين فجاءني في اول هذا الليل يعرض عليَّ سفرهُ الى استراليا حيث لا يعلم بهِ احد فيشتغل هناك ويعيش بطمأنينة. فقبلت واعطيتهُ ما سمحت بهِ حالي من المال فأبى الا ان يأخذ كل ما عندي من النقود والاوراق وتهددني ان لم اعطهِ كل ما املك ان يقتلني لا محالة . فأخذت في ملاطفتهِ ووعدتهُ ان اعطيهُ مبلغاً آخر وانهُ متى بلغ استراليا واحتاج فانا ارسل لهُ حاجتهُ

عند اقل اشارةٍ منهُ . فأبى الا ان يسلبني كل ما في حوزتي ولما تممت عزم على قتلي ولقد كان فعل لولا ان كتب الله خلاصي على يد هذا الاستاذ الذي عرّض حياتهُ للموت وارسل لهُ الله رئيس الشرط فانقذهُ . هذه قصتي وقد تلوتها عليكما فأرياني ماذا اعمل

وكنت انا ورئيس الشرط نسمع الحديث بمزيد الاستغراب فرأينا ان لا نذكر شيئاً عن المستر بكسلي بل امر رئيس الشرط جماعتهُ فاخذوا تيلر الى السجن وذهبت انا في صحبتهم لارى ما يكون ولم نزل في دار الحكومة الى اواسط النهار التالي فصدر الحكم على تيلر بالاعدام العاجل . ولما عدت الى غرفتي رأت شقيقتي تغير لوني وتعبي فقلقت وسألتني عن السبب فاخبرتها ببضع كلمات متقطعة وتوسدت سريري فنمت نوماً ثقيلاً

ولما افقت بعد الظهر ناديت جوليا فلم يكن من مجيب وسألت عنها فقيل لي انها خرجت بعد ان نمت فلم اشك انها ذهبت الى السجن لتودع حبيبها فتوجهت اليهِ ولما بلغتهُ رأيت العسكر يقودون تيلر الى النطع فسألت الحارس هل رأى فتاةً اتت لتزور السجن فقال نعم جآءت وخرجت بعد ربع ساعة . فقلقت افكاري جدًّا وتبعت الموكب فرأيت ان تيلر قد تغير جسمهُ كثيراً في هذه الليلة فبعد ان كان سميناً غليظ العضلات اصبح رقيق الجسم نحيفهُ وكان على رأسهِ قناع اسود قد لفّهُ على وجههِ بحيث لا يظهر منهُ سوى حدقتيهِ

ولما انتهوا بهِ الى الموضع المعدّ لانفاذ الحكم وقد غص المكان بجماهير الناس رفعوا ذلك القناع عن رأسهِ وللحال ارتفع الضوضآء بين الواقفين واختلطت

الاصوات من كل جانب لانهم عوض ان يروا على النطع رجلاً مجرماً رأوا فتاةً من ذوات الجمال والخفر قد انسدل شعرها على كتفها وبرزت في وسط ذلك الجمهور كانها ملك هابط من السماء . فزاحمتُ مَن حولي من الوقوف ودنوت حتى اتحقق من هي فاذا هي اختي جوليا بعينها فوقفت حائراً مبهوتاً وانا لا اجسر ان انبس بكلمةٍ ولا اظهر على نفسي ادنى تأثر مخافة الفضيحة . ورأى اهل القضاء ذلك فامروا بردّ الفتاة الى السجن ليتحققوا جلية الامر وانفضّ الجمع الواقف وكلهم في حديث ما رأوا من ذلك المشهد الغريب

اما انا فعدت الى المدرسة وساررت المستر بكسلي بما تأكدتهُ من الامر وانا على يقين من ان شقيقتي لا بد ان تنجو وهو ما علمتهُ بعد ذلك من الوقوف على اخبار الجرائد فقد ذكر فيها انهم استنطقوا الفتاة عدة مرات فلم يقفوا منها على خبر جليّ واخيراً اوقعوا عقاباً شديداً على السجّان واطلقوا سراحها . وكان في املي ان اراها بعد ذلك فانتظرت سنة كاملة ولم اقف لها على خبر الى ان اتاني منها كتابٌ من استراليا تفيدني انها تبعت تيلر واقترنت بهِ واجتهدت في اصلاح اطوارهِ وتبشرني انهُ قد اقلع عما كان فيهِ وصار رجلاً من افاضل الرجال

اما المستر بكسلي فزهد في الدنيا بعد هذه الحادثة وفوّض اليَّ رئاسة مدرستهِ فقمت بسياسة شؤونها على اتمّ ما ينبغي وقد استفدت بوجودي فيها هذه المدة خبرةً ودربةً ولم انفك عن استشارة المستر بكسلي في كل ما يعرض لي فيها من المشكلات وهي لا تزداد كل يوم الا شهرةً ونجاحاً

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون رأيتهُ أكثر من مرةٍ وجآءني أكثر من واحدٍ ومقتضاهُ اثبات الكثرة للمرة وللواحد لان المفضَّل عليهِ في معنًى من المعاني لا بد ان يشارك المفضَّل في ذلك المعنى فقولك بكرٌ اشرف من خالد يتضمن اثبات الشرف لخالد مع زيادة بكرٍ عليهِ فيهِ والظاهر ان هذا التعبير منقول عن التركيب الافرنجي والعرب يستعملون هنا لفظ غير يقولون رأيتهُ غير مرةٍ وجآءني غيرُ واحد لان غير الواحد لا بد ان يكون اثنين فما فوق

ويقولون هنأ القادم بسلامة الوصول يعنون بوصولهِ سالماً وهي من العبارات الشائعة التي لا تكاد تخلو منها جريدة ولا يخفى ما فيها من فاسد التعبير لان مفادها اثبات السلامة للوصول لا للقادم والوصول لا يوصف بكونهِ سالماً او غير سالم

ويقولون تخرَّج من هذه المدرسة كذا كذا تلميذاً يريدون خرج ولا يأتي تخرَّج بهذا المعنى ولكن يقال خرَّجت التلميذ تخريجاً اذا ادَّبتهُ ودرَّبتهُ فتخرَّج هو اي تأدَّب وقد تخرَّج على فلان وتخرَّج في مدرسة كذا وهو خرّيج فلان

ويقولون تعذَّر عن الامر اي امتنع عليهِ فعلهُ وعجز عنهُ والصواب تعذَّر عليهِ الامر

ويقولون استلف منهُ سُلفةً بالضم اي اقترض قرضاً وهي من الالفاظ الشائعة عند عامة مصر ولم يرد استلف في شيء من اللغة انما يقال استسلف

منهُ مالاً وتسلَّف والاسم السلَف بفتحتين وهو القرض بلا منفعة واما السُلفة فلم تأتِ بهذا المعنى

ويقولون هذا امرٌ ذو خطارة يعنون مصدر الخطير وانما يقال في هذا المعنى الخَطَر والخطورة ولم يُسمع الخطارة

ويقولون رغب الشيء وشيءٌ مرغوب يعدّونهُ بنفسهِ والصواب رغب فيهِ

ويقولون طلب الحظوى بهذه النعمة وسرّتني الحظوى بلقاء فلان والصواب الحُظوة بالهاء . ومن هذا قولهم سرّتني رؤياك بالالف ايضاً وانما الرؤيا في النوم خاصةً واما في اليقظة فيقال الرؤية بالهاء وهي اللغة الفصحى

ويقولون في جمع السيّد اسياد وهي من لفظ العامة لانهم يقولون في المفرد سِيد بالكسر مثال عِيد وانما السِيد الذئب والصواب جمعهُ على سادة مثل عيّل وعالة وكلاهما نادر

ومن هذا الباب قولهم في جمع الكُسوة كساوي ولا وجه لهذه الصيغة في جمع هذه الكلمة والصواب الكُسَى بالقصر كما تقدم في غير هذا الموضع . وقد ورد مثل هذا في مروج الذهب للمسعودي حيث يقول في الكلام عن كسرى ابرويز وامر لجنود موريقش بالاموال والمراكب والكساوي وهو من مثلهِ غريب

ومن ذلك جمعهم السطح على اسطحة واساطح وهذا الثاني جمع الجمع والصواب سطوح . وقولهم في جمع القرية قرايا كانهم جمعوا القريّة بتشديد الياء وقد جاء هذا الجمع في تاريخ ابي الفداء في الكلام على غزوة الدمستق

لحلب حيث يقول ثم ارتحل عائداً الى بلادهِ ولم ينهب قرايا حلب . ومثلهُ قولهُ في الكلام على مقتل الامين وأخذوا رأسهُ ومضوا بهِ الى طاهر فنصبهُ على برجٍ من ابرجة بغداد يريد ابراج . ومن هذا قول نزهون الغرناطية الشاعرة

البدر يطلع من ازرتهِ والغصن يمرح في غلائلهِ

وانما يجمع الزرّ على أزرار

ومن هذا يقولون جآءوا عرايا كانهُ جمع عُريان على حدّ نُدمان وندامى وكذا يقولون في جمع المؤنث لكن نصّ اصحاب اللغة على ان هذا الحرف لا يكسَّر اي لا يجمع جمعاً مكسراً وانما يقال في جمعهِ عُريانون ونسآء عُريانات

ويقولون اصبح القوم يشكون الجوع والعرآء كذا بالمدّ والصواب العُري بالضمّ وسكون الرآء

ويقولون غليت المآء فيستعملون غلى متعدياً وهو لازم يقال غلى المآء يغلي غلياً وغلَيَاناً واغليتهُ انا اغلآء يتعدى بالالف

ويقولون أجّلهُ في الامر الى بعد كذا وبقيت عندهُ الى قبل المغرب والى لا تدخل من الظروف الغير المتمكنة الا على متى واين وحيث وباقيها لا يجرّ الا بمن والصواب الى ما بعد كذا والى ما قبل المغرب

ويقولون والأعجب من ذلك ان الامر كذا وكذا وهذا اخي الأكبر مني ومن هذا قول السيوطي في المقامة الوردية والاشرف من كل ريحانٍ فخراً والمقرر في كتب النحاة ان الى ومن لا تجتمعان مع افعل التفضيل فالصواب ان تُحذَف احداهما فيقال والأعجب ان الامر كذا او وأعجب من

ذلك ان الامر كذا وهذا اخي الاكبر او اخي الذي هو اكبر مني وقس على ذلك

ويقولون رجل ثوروي على مثال فوضوي اي من اصحاب الثورة وهم الثورويون ولا وجه لزيادة هذه الواو قبل ياء النسبة وكأنهم يتجافون عن ان يقولوا ثوري لئلا يلتبس بالمنسوب الى الثور على ان الثور لو فطنوا مشتق من الثوران لانهُ يثور او لانهُ يثير الارض فالشركة حاصلة على كل حال

ويقولون ارتكب في هذا الامر جُنحةً بالضم اي ذنباً يسيراً وقد جنّحهُ تجنيحاً اذا نسب اليهِ الجنحة وكلاهما لم يرد في اللغة انما جاء الجُناح بالضم بمعنى الذنب وكأن الجنحة محرَّفةٌ عنهُ

ويقولون هم خصماء فلان يريدون جمع خصم وانما الخصماء جمع خصيم وهو الشديد الخصومة والصواب خصوم

ويقولون أجّر المنزل تأجيراً اي اكتراهُ وهو عكس المعنى لان التأجير يكون من المالك تقول أجّرتهُ المنزل فاستأجرهُ

ويقولون صادق المجلس على كذا يعنون اقرّهُ ووافق عليهِ وانما يقال صادقتهُ من الصداقة وقد يكون بمعنى صدَقتهُ (بالتخفيف) وصدَقني خلاف كاذبهُ . ومنهم من يقول صدّق عليهِ تصديقاً والتصديق في اللغة خلاف التكذيب فكلاهما غير الصواب

ويقولون صرّح لهُ أن يفعل كذا بمعنى أذِن لهُ واطلق لهُ ان يفعل ولم يأت صرّح في شيء من هذا المعنى

ويقولون أشّر على الصكّ تأشيراً اي رسم عليهِ علامةً تفيد التوقيع

اخذوهُ من الاشارة على توهم أصالة الهمزة في اولها وهو من كلام العامة . على ان الاشارة لا تفيد ما يريدونهُ من ذلك والصواب ان يقال وقّع على الصك او أعلم عليهِ اذا لم يُرِد صريح التوقيع (ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

اذا نظرنا الى الانسان والحيوان بوجهٍ عامّ نرى بينهما بوناً شاسعاً وبعداً سحيقاً ونجد ان احطّ المتوحشين الذين ليس عندهم من الكلمات ما يعبرون بهِ عن الاعداد التي تزيد على اربعة وتكاد لغتهم تكون عطلاً من اسماء المعاني يمتازون كثيراً بقواهم العقلية والادبية على ارقى القِردة التي لها لغة تتفاهم بها وهيئة اجتماعية على جانب من الانتظام كما سيجيء.

بيدَ أنَّا اذا تتبعنا سلسلة الكائنات العضوية حتى منتهاها نرى آثار الاتصال باديةً على كثير من حلقاتها لما أنّ لجميعها نفس الحواس التي للانسان وبالتالي فان بدائتها الاصلية تماثل بدائتهُ بالنظر الى ان مبدأ جميعها واحد . والدلالة الواضحة على ذلك المشابهة في بعض السلائق الاصلية من مثل محبة حفظ الوجود والذود عنهُ بجهد المستطاع والهيام الجنسي ومحبة الوالدة لصغارها وميل الرضيع الى الرضاع الخ مما يشترك فيهِ الانسان وباقي الحيوان . وقد يقوى بعض هذه السلائق وتتسع دائرة نطاقهِ بما يضاف اليهِ من المشاهدات ومكتسبات الاختبار فينتقل بالارث ويزداد في النسل نموًّا كلما توالت عليهِ الاحقاب فزادتهُ اتساعاً ورسوخاً

وكل من استقصى درس الطبيعة يقرأ على برّها وبحرها كثيراً من الشواهد والادلة المعززة لذلك . فالحيوانات الداجنة مثلاً اذا نُقلت الى بلاد اجنبية وأُطلقت في الربيع لاول مرةٍ فانها كثيراً ما ترعى من النباتات السامة ما يضر بها الى ان تتعلم تجنبهُ بالاختبار فتخالف في ذلك الحيوانات البرية التي قد حنكها توالي الاختبار وانتقلت الحنكة الى نسلها بالارث فصارت فيهِ غريزةً

ومن اعظم الادلة على تحوُّل بعض الافعال العقلية الى غرائز ثابتة ما يُرى في طيور جزائر المحيط من الاستئناس بالانسان عند اول مشاهدتهِ فانها لا تفزع منهُ الا بعد ما تختبر ميلهُ الى ايذآئها ومقدرتهُ على الايقاع بها وينتقل اختبارها هذا مع الزمن الى نسلها فيجعلهُ حذراً يفرُّ من وجه الانسان حالما يشعر بدنوّهِ منهُ

وعليهِ فالحيوان كالانسان خاضع لنواميس الارث وقابل لادّخار ما يكتسبهُ بالاختبار عن طريق الحواس وبالتالي للتوسع العقلي والارتقاء الادبي المرتبط هو بهِ بحيث ان بعض القوى العقلية قد يتحوّل الى غرائز وهذه تتدرج على توالي العصور الى ان تبلغ حد التعقل او تعود فتنحط تبعاً للاحوال وتقلبات الزمان والمكان التي تفوق الحصر عدّاً

اذا تقرر ذلك بقي علينا ان ننظر في الظواهر والافعال التي تُعزى في الانسان الى العقل وفي الحيوان الى السليقة وسيتضح للقارئ فيما يلي ان بعض الحيوانات قد يفعل افعالاً يعجز بعض طبقات الانسان السفلى عن الاتيان بمثلها . وسنجمل بحثنا في ثلاثة امور وهي اللغة والافعال العقلية

والقوى الادبية

اما اللغة فلا مشاحة انهـا دليل قاطع على وجود العقل لتوقفها عليهِ وهي من اعظم الفوارق بين الانسان والحيوان ولذلك قيل في تعريف الاول انهُ « حيوان ناطق » . ولا شك ان للُّغة الاهمية الكبرى في اعلآء شأن الانسان وتوسيع نطاق مداركهِ الى حدٍّ اقصاهُ عن باقي الحيوان فانفرد بمزية التفاهم بالالفاظ او بعبارةٍ أُخرى باستعمال الاصوات المقطعية . ومع ذلك فالببغآء يقلدهُ في لفظهِ والحيوانات والطيور على اختلاف انواعها تصوّت باصواتٍ مختلفةٍ فتتفاهم بعض التفاهم في الامور العامة من مثل الدعوة والتحذير واظهار السرور والغيظ وطلب الطعام والضراعة والتهويل والمنازلة والمراودة وغير ذلك كما سيأْتي . فالقرود وهي ارقى ذوات الاربع لها لغةٌ تفي بالتعبير عن ضرورياتها وكثيرٍ من ضروب وجدانها وذلك مما حدا مؤخرًا بعض نصرآء العلم على استقرآئها وتقييد ما تيسر لهُ جمعهُ منها فتمكن بعد المزاولة الطويلة من الالمام بكثيرٍ من معانيها حتى صار يمكنهُ تقليد اصوات القردة مع التأْثير المراد منها من مثل التحذير والارهاب والاستئناس الى غير ذلك غير ان التفاهم باستعمال الفاظٍ معدودة لمعانٍ محدودة خاصٌّ بالانسان

وكذلك الكلب فانهُ بعد ان دجن وطالت مصاحبتهُ للانسان توصل الى استعمال كثيرٍ من الاصوات المختلفة للدلالة على معانٍ مختلفة منها نباح الشوق في الطراد وهرير الغيظ في الغضب وعوآء اليأْس اذا ضُيِّق عليهِ بحبس ونحوهِ ونباح السرور في الخروج بمعية مولاهُ ونباح الطالب او الضراعة في ابتغآء شيء من حوائجهِ كطلب طعام او فتح باب وما شاكل ذلك

اما الطيور فالداجنة تستعمل نحواً من اثني عشر صوتاً تعبر بها عما في اذهانها من الاغراض المختلفة كالدعوة والتحذير وطلب الطعام والغيظ وغير ذلك . ومن اغرب ما يحكى عن الببغاء من قبيل التعقل في استعمال الالفاظ ما رواهُ امير البحر السير سوليفان المشهور بدقة مراقباته عن ببغاء افريقيّ كان في بيت ابيهِ فانهُ كان يدعو اهل المنزل وبعضاً من الزائرين باسمائهم الخاصة ويحيي الجميع نهاراً بتحية الصباح وليلاً بتحية المساء من غير ان يخالف بينهما . واعجب من ذلك انهُ كان معتاداً ان يضيف عبارةً موجزةً الى التحية التي كان يحيي بها رب المنزل فلما مات لم يعد الى ذكرها قط

والصيادون المحنكون يعلمون جيداً كيف تتفاهم اسراب الطير والحيوان باصوات التحذير فتسرع الى الفرار قبلما يداهمها الخطر وكيف تستنزل الطيور المحبوسة في اقفاصها الجماعات السابحة في الهواء فيقع النوع على نوعهِ والشكل على شكلهِ . ولقد اختبرتُ شيئاً من هذا القبيل في حداثتي وقد كنت شديد التعلق بالصيد فكنت اذا سمعت اصوات بعض الطيور في فصل الربيع اعلم وقلما اخطئ هل شرعت في بناء عشاشها ام لا واعرف من لهجاتها هل تقف بيضها عن الفراخ ام لا

ويقال بالاجمال ان الكائنات باجمعها لها من اللغة او ما يقوم مقامها ما يفي بحاجاتها الضرورية ويضمن بقاءها . اما اذا قيل ان الحيوانات عطل من الافكار واللغة لا تتم بدون الافكار التي يعبَّر بها عنها قلنا ولماذا لا يغرد الغراب مثل البلبل مع ان تركيب اعضاء الصوت في كليهما واحد

(ستأتي البقية)

البعوض

لحضرة الاديب اسعد افندي المعلوف
احد متخرجي المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت

قد اكثرت الجرائد العلمية الاجنبية في هذه الايام من الكلام عن البعوض وما لهُ من التأثير في جلب الامراض ونقل المدوى من العليل الى الصحيح كنقل حمّى الوبالة المعروفة بالحمى الملارية والحمى التيفوئيدية وبعض الامراض التي تختلط جراثيمها بالدم فاحببت ان اذكر لقرّآء الضيآء فصلاً موجزاً في تولد هذه الحشرات ونموّها وكيفية معيشتها والوقاية منها فأقول

ليس لكل الحشرات قدرةٌ على نقل الامراض المعدية ولا كلها في ذلك سوآءٌ فالذباب مثلاً ينقل المدوى في امراض العينين واكثر الامراض الجلدية ولكنهُ لا يقدر على نقل الحمّيات لان مقدَّم فمهِ مخلوق على هيئةٍ تمكنهُ من اللحس والولغ ولكن ليس فيهِ ما يمكنهُ من وخز الجسم وامتصاص الدم ونقل ما يكون فيهِ من الجراثيم المرضية . وبخلاف ذلك البعوض فان لهُ في خرطومهِ آلةً تشبه المنشار يتصل بها شفتان تنضمّان عليها فاذا وقع على الجسم ضرب بذلك المنشار فيخرق الجلد ويمتصّ ما يخرج من الدم مفرزاً سيالاً يمنع جمود الدم لئلاّ يسدّ الجرح ويمنعهُ من الامتصاص ومتى اروى غليلهُ يطير من جسم الى آخر فيفرز ما قد امتصهُ من الجراثيم المرضية المختلطة بالدم

ويكثر البعوض في الاراضي التي تكثر فيها المياه الراكدة لانهُ يبيض في تلك المياه والاناث منهُ هي التي تنتشر في البيوت ومجامع الناس واما

الذكور فانها تقصد البراري الكثيرة الازهار او تحوم حول الماء تنتظر اناثها . وتبيض الانثى على وجه الماء . ويكون الذي تضعهُ من البيض نحو ثلاث مئة بيضة تصفها على شكل قارب لتقوى على مقاومة الريح ولا تغرق عند تموّج الماء . وبعد ان يأتي عليها اربعة ايام او اكثر تبعاً لحرارة الجوّ يخرج من هذا البيض الدود المعروف فيلبث على وجه الماء ليتنفس الهواء وهو يتنفس حينئذٍ من انبوبةٍ على طرف مؤخرهِ . وبعد مدةٍ تتحول الدودة منهُ الى زيز فيكبر رأسها حتى يأخذ معظم الجسم وينتقل تنفسها الى انبوبتين تتولدان في مؤخر الرأس . ويكون هذا الزيز مغلقاً بغشاء شفاف فيسبح في الماء دون ان يتناول غذاء ويبقى على هذه الحالة من خمسة الى خمسة عشر يوماً يتحول في خلالها الى بعوضة فتختار ظهر يوم شمسهُ محرقة ونسيمهُ لطيف فتُخرج هذه البعوضة رأسها من الغشاء الملتفة بهِ ثم تُخرج صدرها وقائمتيها المقدمتين الى خارج الماء وتعتمد برجليها على سطح الماء وهي معرّضة جناحيها لحرارة الشمس حتى اذا جفَّ جناحاها وامكنها الطيران تخرج بقية جسمها من الغشاء خروج راكب البحر من السفينة وتطير في الجوّ . ولولا ما يصيب البعوض في تلك الحال من الآفات الجوّية وقوة الريح التي تغرّق الملايين منهُ قبل خروجهِ من الماء لكان يحجب عنا اشعة الشمس ولامتلأَت البيوت من هذه الحشرات المؤذية

وافضل الطرق لمنع تكاثر البعوض ردم المستنقعات وتغيير مياه الحياض والبرك كل خمسة عشر يوماً على الاقلّ . واما في داخل المنازل فان كان هنالك فوّهات مفتوحة دائماً تؤدي الى مجامع اقذار ورطوبات مما يكون

منبعاً مستمرًّا للبعوض فافضل طريقة لها ان لم يمكن سدّها ان يطرح في مجاري تلك الفوَّهات كميات كثيرة من محلول السليماني ثم اذا فُرّغ ما فيها تُطلَى الجدران كذلك بالمحلول نفسهِ فان البعوض على الغالب يذهب ولا يعود

الساعة المآئية

كثيراً ما سئلنا عن صفة الساعة المآئية التي اهداها هرون الرشيد الى الملك شرلمان ولهذه الساعة ذكرٌ شائعٌ على أَلسنة بعض الناس ولكننا لم نجد من تكلم عليها في كتب العرب كما اننا لم نجد من تكلم على شيء من مصنوعات العرب ايام استفحال حضارتهم في بغداد والاندلس ما خلا اشيآء ذُكرت ذكرًا اجماليًّا في كتاب نفح الطيب للمقّري عند الكلام على بنآء بعض دور الملوك والمساجد وما زينت بهِ من المصنوعات النفيسة. وقد عثرنا على ذكر هذه الساعة في بعض تواريخ الافرنج ولكن جل ما وقفنا عليه في الكلام عنها انها كانت متقنة الصنعة في الغاية تقسم الوقت الى اثنتي عشرة ساعة ولها كراتٌ صغيرة من الصفر كلما انتهت ساعةٌ سقط منها بعدد تلك الساعة على صنجٍ قد وُضع تحتها فيرنّ وذكر بعضهم انهُ كان فيها فُرسان بعدد تلك الكرات يخرجون من اثنتي عشرة كوّة وانها لما وصلت الى فرنسا اكبر الفرنسيس امرها وكان لها عندهم موقع إعجابٍ عظيم

اما استنباط هذا النوع من الساعات فالظاهر انهُ قديمٌ جدًّا ولعلها اول اصناف الآلات التي اختُرعت لقياس الوقت. واول ما عُرف منها كان

متخذاً من اناء من الخزف او الزجاج في اسفلهِ ثقبٌ دقيق يخرج منهُ المآء قطرةً قطرةً فيسقط في اناء آخر عليهِ خطوط تدل على الساعات وربما كانت هذه الخطوط على الاناء الأعلى فاذا بلغ المآء احد هذه الخطوط دلّ على الساعة من ساعات النهار او الليل . ومعلومٌ ان هذه الآلة لا تقسم الوقت قسمةً مدققة لان قَطَرَان المآء يسرع او يبطئ بحسب ارتفاع المآء في الاناء الاعلى او انحطاطهِ فلا يخرج منهُ في الاوقات المتساوية مقادير متساوية ومع ذلك فانها كانت شائعة الاستعمال عند جميع الامم المتمدنة في تلك العصور ولا سيما في مصر وفينيقيا وبلاد اليونان والكلدان وكان كهان المصريين يستخدمونها في رصد حركات الكواكب واليونان يستعملونها في المحاكم لتقدير الاوقات التي يتكلم فيها اصحاب الدعاوي

على ان الافكار لم تزل موجهةً الى تصحيح هذه الآلة والبلوغ بها الى تمام الدقّة والضبط واشهر من اشتغل بذلك اكتازيبيوس الرياضي الاسكندري المشهور نحو سنة ١٣٥ قبل الميلاد فغيّر هيئتها وعمل لها دواليب مضرّسة ينصبُّ المآء عليها فيديرها وبدورانها تحرك تمثالاً صغيرًا بيدهِ مخصرةٌ اي عصاً دقيقة وبجانبهِ اسطوانة مرسومٌ عليها عدد الساعات فاذا ارتفع التمثال دلّ طرف العصا على الساعة كما تراهُ في الرسم ويقال ان ساعة الرشيد كانت آلتها من هذا النوع . ثم تفننوا فيها فاستبدلوا التمثال

والمخصرة بابرةٍ تدور على ميناء يشبه الميناء المستعمل لساعاتنا اليوم وهذه الابرة تتصل بطرف محورٍ متحرك قد لُفّت عليهِ سلسلةٌ منوطٌ بأحد طرفيها عوّام وبالآخر ثقل اخفّ قليلاً من العوّام فاذا ارتفع المآء في الانآء الاسفل ارتفع العوّام معهُ وهبط الثقل من الطرف الآخر فدار المحور وادار الابرة المتصلة بطرفهِ فدلّت على عدد الساعة المرقوم على الميناء

واستمرّ استعمال هذا النوع من الساعات الى اواخر القرن العاشر بعد الميلاد وحينئذٍ ظهرت الساعات ذات الدواليب فعدل الناس اليها واهملوا الساعات المآئية ويقال انهُ لا يزال الى اليوم من هذه الساعات في زرمنديا وهي مصنوعةٌ من اساطين من القصدير ذات حواجز باطنة في كلٍّ منها ثقبٌ فاذا مرّ المآء من حاجزٍ الى آخر دارت الاسطوانة

عمدة الصفوة في حِلّ القهوة

عثرنا على نسخةٍ من هذه الرسالة في احدى المكاتب القديمة وهي من الرسائل النادرة الوجود مؤلفها الشيخ عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي من اهل القرن العاشر للهجرة والنسخة مخطوطةٌ من عهدٍ يزيد على مئة وخمسين سنة . ولما كان مضمون هذه الرسالة مما تنوسي اكثرهُ لبعد العهد بهِ مع ما فيهِ من الغرابة على اسماع المعاصرين احببنا ان نطرف بها قرآء الضيآء بعد اسقاط ما لا يهمّ ذكرهُ ميلاً الى الاختصار ما امكن وايثاراً للتخفيف عن المطالع . وهي مقسومة الى بابين احدهما في صفة القهوة وتاريخها والثاني فيما صدر فيها من الاحكام وهذا ملخص ما في البابين

المذكورين نوردهُ بلفظ المؤلف قال

الباب الاول

في معنى القهوة وصفتها وطبعها وفي اي بلدةٍ بدأ انتشارها ولأيّ معنى طُبخت وشُربت وعلا منارها

اعلم ان القهوة هي الشراب المتخذ من قشر البُنّ او منهُ مع حبّهِ المجحَّم بضم الميم وفتح الجيم والحاء المهملة المشددة اي المقلي · وصفتها هي ان يوضع القشر اما وحدهُ وهي القشرية او مع البنّ المجحَّم المدقوق وهي البنّية ثم يُغلى حتى تخرج خاصيّتهُ · · فمن قائلٍ بحلّها يرى انها الشراب الطهور المباركة على اربابها الموجبة للنشاط والاعانة على ذكر الله تعالى وفعل العبادة لطلاّبها ومن قائلٍ بحرمتها مفرطٍ في ذمها والتشنيع على شرّابها وكثر فيها من الجانبين التصانيف والفتاوَى وبالغ القائل بحرمتها فادّعى انها من الخمر وقاسها بهِ وساوَى وبعضهم نسب اليها الاضرار بالعقل والبدن الى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية الى الجدال والفتن وحصول ما ادّى الى منازعاتٍ ومحن بمكة ومصر القاهرة والمنع من بيعها وكسر اوانيها الطاهرة بل الى تعزير باعتها بالضرب وغيرهِ من غير حجةٍ ظاهرة والى تأديبهم بضياع مالهم واحراق القشرة المتخذة منهُ في كرّاتٍ متواترة وبالغ الذامّ بها أن شاربها يُحشر يوم القيامة ووجههُ اسود من قعور اوانيها وكثر التقاطع والتدابر بين الفريقين والذم لمن يعانيها وسيرد عليك ما قيل في حقيقتها من السؤال والجواب مما يكشف عن وجهها لمستعملها النقاب ويوضح اباحتها على الصورة التي لا قدح فيها ولا ارتياب ويمنع من

خلاف ذلك بحجج سالكة في جادّة الصواب

فاما اشتقاق اسم القهوة كما قال العلاّمة الفخر ابو بكر بن ابي يزيد في مؤلفهِ اثارة النخوة بِحلّ القهوة انها من الاقهآء وهو الاجتوآء اي الكراهة او من الاقهآء بمعنى الاقعاد من اقهى الرجل عن الشيء اي قعد عنهُ ومنهُ سميت الخمرة قهوةً لانها تُقهي اي تكرّه الطعام او تُقعِد عنهُ حسبما نُقل عمن يعرف احوالها فكذلك هذا المعنى المذكور فتكرّه او تُقعِد عن النوم الموضوعة في الاصل لإِذهابهِ لما يترتب عليهِ من قيام الليل المطلوب شرعاً . على انها اولى بتسمية ذلك من الخمر لا سيما وقد تلاعبت بلفظها الصوفية وتداولتهُ وعبرت بهِ عن المحبة .. وبعضهم كان يكسر القاف ويقول القِهوة فرقاً بين القهوتين

واما طبعها فذهب كثير من الاطبآء الحذاق انها حارّة يابسة وقال آخرون انها باردة يابسة وهذا مذهب اهل الذم لها . ومن اعظم منافعها اذهاب النوم وان كان للسهر اسبابٌ كثيرة من قلة الاكل وترك التعب في النهار والقيلولة وغير ذلك مما تقرر في كتب السادة الصوفية

واما مبدأها فقال الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار ما لفظهُ . ان الاخبار قد وردت علينا بمصر اوائل هذا القرن (القرن العاشر للهجرة) بانهُ قد شاع في اليمن شرابٌ يقال لهُ القهوة تستعملهُ المشايخ الصوفية وغيرهم للاستعانة بهِ على السهر في الأذكار التي يعملونها على طريقتهم المشهورة ثم بلغنا بعد ذلك بمدّة ان ظهورها وانتشارها فيهِ كان على يد المشهور بالعلم والولاية الشيخ الامام العالم العلامة المفتي المسلك جمال الدين ابي عبد الله

محمد بن سعيد المعروف بالذبحاني بفتح الذال المعجمة وسكون الموحدة وفتح المهملة وبعد الفه نون مكسورة نسبة الى ذبحان بلدة معروفة باليمن وسمعنا انهُ كان متولياً بوظيفة تصحيح الفتاوى في عدن وهي وظيفةٌ كانت بها اذ ذاك تُعرَض على صاحبها الفتاوى فيُقِرّ ما يراهُ صواباً ويكتب تحتها صح بخطهِ وينبه على ما يرى اصلاحهُ . قال وسبب اظهارهِ لها ما سمعناهُ ايضاً انهُ كان عرض لهُ امرٌ اقتضى الخروج من عدن الى برّ العجم فاقام بهِ مدةً فوجد اهلهُ يستعملون القهوة ولا يعلم لها خاصيّة ثم عرض لهُ حين رجع الى عدن مرضٌ فتذكرها فشربها فنفعتهُ فيهِ فوجد فيها من الخواص انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفةً ونشاطاً . فلما سلك طريق التصوف صار هو وغيرهُ من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على ما ذكرناهُ ثم تتابع الناس بعدن والفقهآء والعوامّ على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغيرهِ من الحِرَف والصناعات ولم تزل في انتشار . قال ثم اني كتبت لبعض اخواننا في الله تعالى من اهل الدين والعلم بزبيد وهو الفقيه الاجلّ جمال الدين ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم العلامة عبد الغفار العلوي وهو من بيتٍ كبير بزبيد مشهورٍ اهلهُ بالعلم والدين ان يبحث لي عمن شربها باليمن ممن يُقتدَى بهِ من اهل العلم والدين وعن اول حدوثها فيهِ فكان مما كتبهُ اليّ في الجواب ما صورتهُ . وما ذكرهُ لي سيدي من البحث عن شربها من اهل اليمن فسأل المملوك جماعةً من المعمّرين في بلدنا وأسنُّهم الآن عمرًا الفقيه العالم الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن ابرهيم العلويّ فانهُ الآن قد زاد على التسعين فاخبرني عن مبدأ امر القهوة وذلك انهُ قال كنت بمدينة

عدن فوصل الينا بعض الفقراء السالكين وكان يعمل القهوة ويشربها وانهُ
كان يعملها للشيخ العلامة خاتمة العلماء في ثغر عدن الفقيه محمد المعروف
بأفضل الحضرمي والشيخ العارف بالله محمد الذبحاني ويشربانها بمحضر الناس
وكفى بهما حُجَّةً . قال العلامة ابن عبد الغفار يحتمل ان يكون الذبحاني اول من
ادخلها عدن كما هو المشهور ويحتمل ان يكون غيرهُ ولكنها نُسبت اليهِ لكونهِ
السبب في ظهورها والشيخ شهاب الدين الذبحاني توفي سنة خمس وسبعين
وثمانمائة والآن سنة ست وتسعين وتسعمائة فمدتها تزيد عن مئة عام وذلك من
مبدأ ظهورها باليمن لاغيرهِ لان ظهور القهوة في برّ ابن سعد الدين وبلاد
الحبشة والجبرة وغير ذلك من برّ العجم لا يعلم متى كان اولهُ ولا سببهُ

وقال العلامة فخر الدين بن ابي يزيد المكي ما لفظهُ . قيل اول من
انشأها الشيخ صالح ابو عبد الله محمد بن سعيد الذبحاني والذي بلغنا ان
اول من انشأها واشاعها بأرض اليمن الشيخ العارف بالله علي بن عمر الشاذلي
احد تلاميذ الشيخ ناصر الدين بن ميلق احد السادة المشايخ الشاذلية وانها
كانت قبلاً من الكفتة اي الورق المسمى بالقات لا البُنّ ولا قشرهِ فما
زالت تنتقل من بلدٍ لاخرى حتى وصلت الى عدن فعُدِمت الكفتة من
عدن في زمن الشيخ محمد بن سعيد الذبحاني المذكور وقال لمن يلوذ بهِ
وينتمي اليهِ ان البنّ يُسهِر فامتحنوا بنا قهوتهُ فامتحنوها فوجدوها تعمل
عملهُ مع قلة الثمن والمؤنة ثم استمرّ شربها في منشأها وغيرهِ مما لا نطوّل
بذكرهِ . ولا منافاة بين الكلامين كما لا يخفى اذ من نقل الاول راى الى
القهوة القشرية ومن نقل الثاني رأى الى القهوة القاتية (ستأتي البقية)

الطاعون

لا تزال احوال الوبآء في ثغر الاسكندرية على نحو ما وصفنا في الجزء السابق غير انا لم نكد في هذه المدة نقف على جريدة من جرائد الثغر او على رسالةٍ من مكاتبي سائر الجرائد فيهِ الا نراها مشحونةً بالشكوى من تقصير الحكومة في تدارك امتداد الدآء وشحها بالنفقات اللازمة الى حدٍ لا تجيزهُ الحكمة في مثل هذه الحال ولا مكان فيهِ للعذر لانهُ قد تبين لها فيما يقال مبلغ ثلاثين الف جناي لمقاومة الوبآء وهي لا تنفق منهُ الا النزر اليسير لانها لم تزد في احوال الاحتياطات الصحية وعدد رجالها من الاطبآء وغيرهم ما فيهِ غنآء وزاد على ذلك جهل بعض مستخدميها واطماعهم وعبثهم في معاملة الناس مما يضيق عن استيعابهِ هذا المقام بحيث انهم كانوا طاعوناً آخر على الاهالي وبحيث انهُ لولا حرارة الفصل الذي نحن فيهِ لم يقف شيءٌ في طريق استفحال الوبآء وتفشيهِ الى سائر اطراف البلاد

اما عدد الاصابات فلم يتجاوز الى الآن الاصابة والاصابتين في اليوم على سلامة كثيرين من اصحابها فان جملة من اصيبوا الى هذا اليوم ٢٨ من الشهر الحالي) ٤٢ نفساً توفي منهم ١٧ وشُفي ١٤ والباقون تحت المعالجة . غير أن العدد لا يعتبر في شيء في هذا المقام انما الشأن كل الشأن في تتابع الاصابات واتصالها وامتداد مواقعها في جهات البلدة بحيث انهُ لا يكاد يمرّ يومٌ الا تقع فيهِ اصابةٌ في ناحيةٍ منها فاذا مضى الامر على ذلك الى انقضآء هذا الفصل ودخل فصل البرد وجراثيم الدآء باقية لم نأمن انتشارهُ بما يجعل البلاد بأسرها شعلةً واحدة ويلتهم الهشيم والاخضر والامر يومئذٍ لله

اسئلة واجوبتها

القاهرة — نرى من اسمآء الطيور والحيوانات ما لهُ مذكر وليس لهُ مؤنث كالغراب مثلاً ومالهُ مؤنث وليس لهُ مذكر كالحية فكيف ندل على التأنيث في الاول والتذكير في الثاني احد مشتركي الضيآء

ايوب الشيخاني

الجواب — قلما اعتنت العرب بتمييز الذكر من الانثى الا في الحيوان الداجن والمشهور من غيرهِ وتأنيثهُ بالتآء قليل كالكلب والكلبة والهرّ والهرّة والغزال والغزالة والذئب والذئبة والاكثر ان يضعوا اسماً للانثى من غير لفظ الذكر كما قالوا الحصان والحِجر والبعير والناقة والكبش والنعجة والليث واللبوة . وما جآءت فيهِ التآء من غير ذلك فليست للتأنيث وانما هي غالباً لتمييز الواحد من الجمع كالحمام والحمامة والبط والبطة والنمل والنملة وحينئذٍ فهو للذكر والانثى جميعاً . وربما وُضع الواحد على لفظ التذكير او التأنيث لازماً لهُ كالغراب والخلد والحية والبهيمة والافعى والخنفسآء وغير ذلك وهو كالذي سبقهُ يُطلَق على الذكر والانثى فاذا أُريد التمييز في كل ذلك قُيِّد بالوصف فيقال حمامةٌ ذكر وحمامةٌ انثى وغرابٌ ذكر وغرابٌ انثى وحيةٌ ذكر وحيةٌ انثى وقس على ذلك والكلام في هذا الباب واسعٌ اقتصرنا منهُ على الاشهر

كولس تكساس (اميركا) — هل لكم ان تصفوا لنا طريقة لحفظ البيض من الفساد مع بقآء لون القشرة الطبيعي وكم يمكن ان يبقى

مستفيد

الجواب ـ افضل طريقةٍ لحفظ البيض من الفساد ان يُطلى بما يسدّ مسامّ قشره ويمنع نفوذ الهوآء الى داخله وهذا المنع للهوآء لا يضرّ شيئاً بالجنين ولا يمنعهُ من التفقس بل الامر على العكس فانهُ يحفظهُ زماناً اطول مما يُحفَظ بكل طريقةٍ اخرى وقد شوهد من البيض ما تفقس بعد حفظهِ مدة سنتين في الطلآء

اما صفة هذا الطلآء فيُحلّ مقدارٌ من صمغ اللك في مقدارٍ كافٍ من الكحل (السبيرتو) بحيث يكون منهُ طلآءٌ خفيف ثم يُطلى بهِ البيض ومتى جفّ يُغرَز في النخالة او نشارة الخشب ويُجعَل الطرف الاغلظ منهُ الى الهوآء ثم متى أُريد استعمال البيض يُمسَح الطلآء عنهُ بواسطة الكحل فيوجد في نفس الحالة التي كان عليها في الوقت الذي طُلي فيهِ اي صالحاً للاكل والحضانة وهذه الطريقة افضل الطرائق التي امتُحنت فيهِ واضمنها للنجاح

هذا اذا كان البيض غير معرّض للنقل اما اذا أُريد نقلهُ في المركبات فافضل ما يُحتاط لهُ بهِ ان يُجعَل في اوعيةٍ من صناديق او سلال وينضَّد تنضيدًا متخلخلاً بأن يُجعَل بينهُ حُزَمٌ من العُصافة (القش) او يُنمس في التبن بحيث لا يكون مضغوطاً ولا متماساً ويعلَّق الوعآء الذي هو فيهِ تعليقاً بحيث لا تؤثر فيهِ الصدمات التي تعرض لسائر اجزآء المركبة وعلى كل حالٍ فالأحوَط ان يكون البيض المحفوظ والمنقول من البيض المقيم اي الذي لا يفرخ لان الجرثومة التي تكون فيهِ اذا عرض لها فسادٌ ماتت وافسدت ما حولها

آثار ادبيّة

سرّ تقدم الانكليز السكسونيين ـ أهديت لنا نسخةٌ من كتابٍ بهذا العنوان موشًّى بقلم حضرة الاصولي الفاضل الكاتب البليغ احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية وهو معرّب عن كتابٍ فرنسويّ العبارة ظهر من عهدٍ قريب من تأليف الكاتب الشهير ادمون ديمولان بحث فيهِ عن احوال الامة الفرنسوية وعاداتها واخلاقها وما جرت عليهِ من طرق التربية والتعليم في ابنآئها وقارن في ذلك كلهِ بينها وبين الامة الانكليزية فاستدل منهُ على مواضع النقص في امتهِ واسباب ضعفها وتخلف رجالها عن رجال الانكليز . وقد كسر الكتاب على ثلاثة ابواب وصف في اولها نظام التدريس عند الامة الانكليزية وكلٍّ من الامتين الفرنسوية والالمانية وما ترتب عليهِ من النتائج في كل واحدةٍ منها وقارن في الثاني والثالث بين الفرنسوي والانكليزي في معيشتهما الخصوصية وحياتهما العمومية فبحث عن حال المواليد والوفيات واحوال الاحتراف والعيشة المنزلية وما ينشأ عن ذلك كله من احوال الثروة العمومية وقارن بين ارباب السياسة ورجال القضآء في البلادين وسائر من يرجع اليهِ حالٌ من احوال جمهور الامة كالاطبآء والكتاب واصحاب الجرائد وغيرهم بحيث احاط بجملة اطوار الامتين وقابل بين كلٍّ منها وما يقارنهُ . وقد كان لهذا الكتاب وقعٌ جليل بين مواطنيهِ وتلقاهُ عقلآء قومهِ بالتدبر والاستبصار وكانت عنهُ حركةٌ عظيمة في الجرائد والمحافل ونُقل الى اكثر لغات اوربا حتى صار في

اقل من سنةٍ اشهر من الصبح

وقد عُني حضرة الفاضل المشار اليهِ بنقلهِ الى اللسان العربي لمـا رأى من ان اكثر ما جاء فيهِ من وصف حال الامة الفرنسوية ينطبق على حال الامة العربية ولا سيما المصريين منها مع اتفاق الامتين في كثيرٍ من العادات والاخلاق والافكار فزفَّهُ اليها في عبارةٍ واضحة المغزى سهلة المفهوم حريةٍ بان يستفيد منها كل ناطق بهذا اللسان وصدَّرهُ بمقدمةٍ جليلة لا تنزل عن رتبة كلام المؤلف في الاصابة والاحاطة اودعها ما شآء من الحكمة والسداد وقوارع التنبيه والارشاد وشرح الحالة التي عليهـا الامة العربية لهذا العهد فأفاض في ذلك بما لم يدع كبيرةً ولا صغيرةً من نقـائص التربية وغيرها الا اماط عنها النقاب وذكر ما ترتبط بهِ من الاسباب وما تجرُّ اليهِ من الوبال والخراب

والمقدمة المذكورة طويلةٌ جدًّا نشير منهـا الى ما بدأ بهِ تمداد تلك النقائص وهو رأس عيوب الامة واصعبها علاجاً واصلاحاً ونعني بهِ ما تمَّ اكثر افرادها من الإعراض عن مطالعة الكتب النافعة والتجافي عن المباحث الجدّية وانصرافهم الى كتب السفاسف والخرافات والتملق بأقاصيص اللهو والحكايات المضحكة . وذكر من اسباب ذلك ما استولى على افكار الامة من الفتور والخمود وترك الاكتراث باحوالها ومصايرها لما توالى عليهـا من الازمنة الطوال وازمَّة امورها في ايدي سواها لا تعرف نفسهـا في هذه المدد كلها الا طوعاً لما يراد بها حتى ماتت فيها ملكة البحث والنظر واصبحت تتفادى من كل ما فيهِ إعمالٌ للفكر اوكلفةٌ على القوى المدركة . وهـذا

ولا جرم اول الجهات التي تفترق فيها الامة العربية عن الامة الفرنسوية بل هو الدآء الذي ان لم يُشفَ سدّ على سائر الادوآء مناهج الشفآء

غير انه مع ما ذكر من هذه الحال وما يُستشفّ ورآء كلامهِ من ضعف الامل ان يحصل عندنا من هذا الكتاب الفائدة التي يتوقع المؤلف حصولها عند امتهِ فلا شك ان انتداب مثل حضرتهِ للاهتمام بتعريبهِ ونشرهِ وما ابانهُ من صدق الميل الى حمل الامة على مضمونهِ دليلٌ على حدوث نهضةٍ حقيقية للاخذ باسباب الفلاح العصري وحسبنا من هذه النهضة أنَّا قد وجدنا في كبرآء هذه الامة وذوي المكانة المرعية فيها والكلمة المسموعة من تنبه للمقارنة بينها وبين غيرها من امم هذا العصر ودلّ على ما بها من مواضع النقص واسباب الضعف بتلك المقارنة عينها غير متحرجٍ من دعوتها الى الاقتدآء بأناسٍ على غير طريقتها ومن غير طينتها وإشرابها حب الجري في سبيلهم والاستنان بسنتهم . وذلك ولا شك مما يبعث الامل في انا لا نلبث ان نرى سوى هذا الهمام من سراة الامة وقادة افكارها يقتفي اثرهُ ان لم يكن بالتأليف والكتابة فباللسان والهوى مما يُقنع الجاهل والمقلد بان اتباع حكمة غير الشرقي لا يضع شيئاً من قدر الشرقي وأن ذلك متى رسخ في صدور الخاصة ولهجت بهِ السنتهم في المجالس وخطبوا بهِ في المحافل وتحرّوا الجري عليه بالعمل لا تلبث العامة ان تطمئنّ اليهِ وترغب فيهِ فلا يبقى ما عند الاجنبيّ ممقوتاً عندها ولو كان الخير بحذهِ ومتى بلغت الى ذلك فهي المنزلة التي تُقبِل الامة فيها على مثل هذا الكتاب وتجهد في تفهُّم فحواهُ واتباع ما يرشد اليهِ من سبل الفلاح

فنحن نثني على حضرة المعرّب اجمل الثنآء ونسأل لهُ تحقيق امانيهِ فيما يسمى اليهِ من النفع في البلاد ونحضّ كل متأدب من ابنآء هذه اللغة على مطالعة هذا السفر الجليل والانتفاع بما فيهِ من الحكمة والرشاد

رُزْءٌ وطني

رُزِئَ القطر بفقد من كان للفضل منهلاً غزيراً وللعلم كوكباً منيراً المرحوم احمد بك حمدي الطبيب الجرّاح المشهور صاحب المآثر العديدة والتآليف المفيدة قبضهُ الله اليهِ في اوائل الشهر الحالي عن ستٍ وخمسين سنة قضاها في خدمة العلم والانسانية متقلباً بين المناصب المهمّة والاعمال الخيرية الى ان وافتهُ دعوة ربهِ فقضى مأسوفاً عليهِ مزوَّداً بصالح الاعمال تاركاً من جميل الذكر ما يستدرّ عليهِ المراحم مدى الايام والليال

اما ترجمتهُ فهو على ما يؤخذ من خطط المرحوم علي باشا مبارك السيد احمد بك حمدي ابن السيد محمد علي باشا الحكيم ابن السيد علي الفقيه البقلي وينتهي نسبهُ الى السيد سليمان البقلي الشريف الحسيني صاحب قرية زاوية البقلي بالمنوفية . وُلد بالقاهرة سنة ١٨٤٣ ميلادية وتلقى مبادئ العلوم في احدى المدارس الفرنسوية بها ثم درس العلوم الشرعية على أُناسٍ من جلة علمآء القطر منهم العلامة المشهور الشيخ السيد علي ابو خليل الاسيوطي وانتظم بعد ذلك في حلقة طلبة الطب بالقصر العيني ولما ظهرت نجابتهُ ارسلتهُ الحكومة المصرية الى باريز ثم الى لندرا للتخرج في صناعة الطب فنال

شهادة الدكتورية من مدرسة باريز وامتاز في فن الجراحة . ولما عاد الى مصر عُيّن مدرّساً للجراحة وطبيباً للمستشفى الاميري بالقصر العيني ثم عيّن مفتشاً اول للصحة في مدينة القاهرة واستمرّ في هذه الخطة الى زمن ظهور الكوليرة سنة ١٨٨٣ فكان لهُ فيها اثرٌ يُحمَد . ولم يزل يتقلب بين الخطط الطبية مواظباً على تعاطي اعمال الجراحة الى ان ابتُلي في شهر مارس من هذه السنة بدآء اقعدهُ عن العمل فلزم منزلهُ الى اوائل هذا الشهر حين استأثرت بهِ رحمة الله اجزل الله في النعيم ثوابهُ وسقى بشآبيب الرضوان ترابهُ

وقد كان رحمهُ الله كاتباً مجيداً في اللغتين العربية والفرنسوية ولهُ عدّة تآليف منها كتابٌ في الجراحة العملية وما يتصل بها من ضروب المعالجات سماهُ تحفة الحبيب وقسمهُ الى ثلاثة اقسام الاول في العمليات الجراحية الصغرى والثاني في التضميد والثالث في الاربطة والتعصيب وقد طُبع هذا الكتاب سنة ١٢٩٦ . ومنها رسالة وضعها باللغة الفرنسوية ضمنها تقريرًا مطوّلاً في الكوليرة سنة انتشارها في القاهرة واودعها فوائد كثيرة علمية واحصآئية والرسالة المذكورة طبعت سنة ١٨٨٣ . ومن مهمّ ما اشتغل بهِ تميم المؤلف الجليل الذي كان قد شرع فيهِ المرحوم والدهُ الشهير وهو معجمٌ في المصطلح الطبي والعلمي الا انهُ لم يتمهُ ايضاً وهو ولا شك من التآليف الجزيلة النفع فضلاً عن ندرة مثلهِ في البلاد وفي مأمولنا ان يندب لهُ من من ثقات اهل العلم من يُتمّ تأليفهُ ويجمع شتاتهُ حرصاً على ما فيهِ من الفوائد الجديرة بالأحياء واستدراراً للرحمة على واضعيهِ جزاهما الله على ما عانيا فيهِ خير الجزاء

فكاهات

حسنات الحب

بقلم حضرة الكاتبة السيدة لبيبة هاشم

يأذن لي القارئ الكريم ان اقص على مسامعهِ حادثةً جرت حقيقةً وهي مع ما فيها من غرابة الواقعة وفكاهة الحديث لا تخلو من فائدة للمطالع اذ تنبهُ الى التحذر من مثلها مما يمكن حدوثهُ في كل زمانٍ ومكان

رُوي ان في مدينة القسطنطينية قصراً شاهق البنيان متسع الاركان تقطنهُ أُسرةٌ شريفة مؤلفة من ارملة طاعنة في السن وخمسة بنين متزوجين ولهم اولاد بحيث كان عدد اعضاء تلك الاسرة ما يزيد عن العشرين وكان القصر مفروشاً باحسن الرياش ومزداناً بأثمن التحف

في مساء ١٥ يونيو من سنة ١٨٨٩ قُرع الباب قرعاً خفيفاً فأطلّ الحاجب من كوّةٍ صغيرة فرأى فتاةً ذات جمال باهر يدهش الابصار وعينين سوداوين ترميان الفؤاد بنبال ويتبين من هيئتها انها في الرابعة والعشرين من العمر متدثرة برداء اسود بسيط الهيئة واسع الاكمام وعلى رأسها قبعةٌ بيضاء مفضَّنة (مكشكشة) الاطراف مما يدل على انها راهبة من خدمة الدين . فبُهت الرجل لذاك الجمال وجعل لا يرفع طرفهُ من النظر اليها وقد شعر في فؤادهِ بخفقانٍ شديد وكأَن لسان حالهِ ينشد قول الشاعر المصري

ارى لوعةً بين الجوانح لا تهدا　　اهذا الذي سماهُ اهل الهوى وجدا

ثم فتح لها الباب فدخلت ونظرت اليهِ بلطفٍ واحتشام وقالت بصوتٍ يأخذ بمجامع الفؤاد رقةً وحلاوةً أليس هذا منزل يعقوب بك . فقال بلى يا سيدتي . قالت وهل السيدة صاحبة القصر هنا . قال نعم . فتناولت بطاقة زيارة قد كُتِب عليها باللغة الفرنسوية « الاخت اوغستين ماريا » واعطتهُ اياها قائلةً تكرم بتسليم هذه الى حضرة السيدة واخبرها اني بحاجةٍ الى مقابلتها . فأخذ بطاقتها وانطلق بها ثم عاد بما امكنهُ من السرعة قائلاً بتأدب لتتفضل السيدة بالدخول فان مولاتي بانتظارها . قال ذلك وسار امامها حتى اوصلها الى ردهة الاستقبال ثم انحنى امامها باحترام وانصرف

فلبثت واقفة هنيهةً تتفرس في عظمة القصر وزخرفهِ وتنعم النظر في مداخلهِ ومخارجهِ ثم دخلت الردهة وجلست في احدى جوانبها وكانت تبدو على محياها الصبيح مظاهر القلق والارتباك فأخذت تتلاهى بالنظر الى موجودات الردهة وزينتها معجبةً بما فيها من جمال الرياش وحسن الترتيب وكمال الذوق . ولم يكن الاَّ القليل حتى اقبلت ربة المنزل وكانت سيدةً جليلة المنظر عظيمة الشأن يكللها المشيب ويزينها الوقار فنهضت الراهبة وحيتها باحترام فأجابت السيدة تحيتها بابتسام ثم جلست بازآئها

فابتدرت الراهبة مضيفتها بحديثٍ اوضحت لها فيهِ اسباب زيارتها قالت اني راهبة من اخوات المحبة في بلاد مصر ارسلتني رئيسة الدير الى هذه الديار في بعض المهام فاتفق وصولي مسآء بحيث تعذر عليَّ استئناف المسير وحدي لبلوغ الدير الذي اقصدهُ . وانا كما تريني فتاةٌ غريبة اجهل الطريق المؤدي اليهِ واخشى خطر الالتجآء الى مكانٍ لا اعرف صفات اهلهِ فحرت في امري

واخيراً نصح لي بعض المارّة ممن سألتهم بأن اقصد هذا المنزل لما امتاز بهِ اهلهُ من طيب العنصر ومكارم الاخلاق وحسن السمعة وعليهِ تجرأت على طرق منزلكِ آملةً ان اجد فيهِ من كرم الضيافة ما يجعلني ابيت هذه الليلة قريرة العين آمنةً من كل خطر . فان شئتِ تحقيق آمالي وتكرمتِ بقبولي في منزلكِ اوليتِني نعمةً وطوقتِ جيدي بفضلكِ والاّ فارجو ان تأمري احد خدمكِ بمرافقتي ليرشدني الى الدير ولكِ مني الشكر الجزيل في كل حال

فقالت ربة المنزل بل مرحباً بكِ واهلاً بمقدمكِ ايتها الاخت المباركة ومهما طال زمن اقامتكِ عندنا فانكِ مقبولة على الرحب والسعة

فاشرق وجه الفتاة فرحاً واستبشاراً وشكرتها بأعذب الالفاظ . وبعد ذلك انتقلتا في الحديث الى امور شتى كانت تُظهر ما للراهبة من طول الباع في حسن المعاشرة ولطف المحاضرة فوق ما وهبها الله من الجمال النادر واللطف الساحر بحيث اخذت بمجامع قلب المضيفة التي جعلت تمجد الخالق العظيم . ثم سارت بها بعد ذلك الى احسن غرفةٍ من القصر فأنزلتها بها بعد ان عرّفتها بسائر اعضاء اسرتها فلم يكن اعجابهم ببديع طلعتها اعظم منهُ بباهر آدابها

اما البوّاب فلبث مدةً طويلة قلق البال مشتت الافكار وهو ينتظر خروج الراهبة بقلبٍ قد فارقهُ الصبر ليتمتع بنظرةٍ اخرى من محياها الفتان ولما طال انتظارهُ وهو يحسب الدقائق اياماً طوالاً ذهب فاستخبر عنها بعض الخدم فعلم انها ستقيم تلك الليلة في القصر وقد انزلتها ربة المنزل بالغرفة الشمالية من الطبقة العلوية . فعاد أدراجهُ معللاً النفس بمشاهدتها عند انتهاء

مدة الضيافة

وقضى اهل المنزل تلك الليلة مع الراهبة وهم في اتمّ السرور والاعجاب بمحاسنها ولطف حديثها وقد اجتمعوا حولها وجلسوا يؤانسونها ويحادثونها وهم يرون من كمال آدابها ورقة اخلاقها ما سحرهم جملةً . وما زالوا على ذلك الى ان انتصف الليل او كاد فنهض كلٌّ منهم الى مضجعهِ ودخلت الراهبة غرفتها وساد السكوت في المنزل فلم تُسمع رنة الساعة الاولى بعد نصف الليل حتى كان السكون مخيماً حول القصر لا يُسمع هناك سوى حفيف الاشجار التي تكتنفهُ من كل جهاتهِ والرياح تهب متخللةً اغصانها فتحدث في المكان رهبةً يزيدها ظلام الليل استيحاشاً

وكان يحيط بالقصر حديقةٌ غنآء واسعة الارجآء ممتدة الاطراف قد كسيت ارضها بالنباتات والازهار وخيمت فوقها الاشجار وامتدّ حولها سورٌ مرتفع ينتهي طرفاهُ بباب كبير مصفح بالحديد وعلى مقربةٍ منهُ غرفةٌ صغيرة فيها من الاثاث كرسيّان ومائدة وفي احدى زواياها سريرٌ ملقى عليهِ رجلٌ هو الحاجب بعينهِ الذي هام بجمال زائرة القصر وكان حتى تلك الساعة يتململ على سريرهِ وقد هجرهُ الرقاد وناب مكانهُ خيال الراهبة فلم يبرح من امام ذهنهِ منذ وقع نظرهُ عليها

واخيراً نهض متثاقلاً وخرج يتنقل في الحديقة ونظرهُ متجهٌ دائماً نحو مخدع فاتنتهِ التي سلبت لبهُ واسهرت جفنيهِ . وانهُ لكذلك اذ لمح من نافذتها نوراً يظهر تارةً ويحتجب اخرى كما لو كان شخصٌ يمشي بازآئهِ ذهاباً واياباً فخفق فؤادهُ لتحققهِ انها لا تزال مستيقظة واخذت عواطفهُ تجذبهُ

لصعود السلم واستراق النظر اليها من خرق الباب ولكن آدابهُ كانت تحول دون اتمام قصدهِ ولا سيما وانهُ قد ربي في ذلك المنزل منذ حداثتهِ فشب على الامانة وحسن الخدمة بحيث كانوا يأتمنونهُ على اموالهم وخزائنهم وكل ما في منزلهم · ولكن الحب ابو العجائب يلعب بالافكار وليس من قضائهِ فرار فصمم على اتباع هواهُ ولوكان في ذلك تلفهُ فاجتاز السلم ثم عطف في رواقٍ طويل انتهى بهِ الى باب غرفتها وكان في اثناء ذلك يتصور مقدار جمال فاتنتهِ وهي بلباس النوم بدلاً من ذلك الثوب القاتم الذي كان يحجب غصن قوامها عن النظر· فيتجلى لهُ منظرها بما يفضح قدّ البان ويزري بجمال القمر · ثم اقترب من الباب بقلب خافق ولكنهُ توقف لحظةً يمسح العرق البارد المتحلب من جبينهِ وعاد فاستجمع ما بقي لديهِ من القوة وانحنى بكل تأنٍ وحذر خوف ان تُسمع لهُ حركةٌ ترتاع لها تلك الظبية الانسية ونظر الى الداخل من ثقب الباب · · · · · · ·

وهنا يصعب وصف ما فاجأهُ من الدهشة والانقلاب فانهُ لو انقضت عليهِ صاعقةٌ حينئذٍ لم يكن تأثيرها باعظم مما نالهُ من ذلك المشهد · فانهُ رأى تلك المخلوقة الجميلة والراهبة الورعة بل اخت الملائكة وخادمة الدير منتصبة على قدميها في وسط الغرفة وقد خلعت عنها الرداء الخارجي والقتهُ جانباً فظهر من تحتهِ جسمها مدججاً بالسلاح ومنطقاً بحزام من الجلد والى الجهة اليسرى من خصرها حلقةٌ من حديد تضم عدداً وافراً من المفاتيح المختلفة الحجم والشكل · وقد تبدلت منها تلك النظرات اللطيفة بشرر كان يتطاير من مقلتيها كانها بعض الائمة الاشرار ويزيد في انقلاب سحنتها ما

كانت تمتصهُ بشرَهٍ من التبغ في ذلك الحين فيخرج دخانهُ من فيها كغيوم تتكاثف من حولها فيبددها النسيم . ثم اقتربت من المصباح فاخذتهُ بيدها وادنتهُ من النافذة وجعلت تحركهُ باشارةٍ تدل على وجود رفاقٍ لها متربصين بالخارج فتكلمهم برموز واشارات متفقٍ عليها قبلاً

اما الرجل فجمد الدم في عروقهِ وجحظت مقلتاهُ فلبث هنيهةً لا يبدي حراكاً واخيراً تنبه من غفلتهِ فعلم ان الحال لا تسمح لهُ بضياع دقيقةٍ واحدة ربما كانت سبباً لفقدان حياتهِ وخراب المنزل . فهرول مسرعاً نحو مخدع مولاتهِ وقرع الباب بالحاح فاستيقظت تلك مذعورةً وقالت من الطارق . فقال خادمكِ بطرس يا سيدتي فعجلي بالنهوض . فقامت وفتحت واذا بالبواب قد ترامى على قدميها هاتفاً بصوتٍ قد ارجفهُ الخوف « لصوص لصوص »

ولم يأتِ على هذه الكلمة حتى انتفضت مولاتهُ كعصفورٍ بللهُ القطر وصاحت به اين اللصوص وكيف عرفت ذلك . فقال الصفح يا مولاتي عن جرأتي فقد نفذ في فؤادي سهم حب تلك الشيطانة التي دخلت المنزل بهيئة راهبة فأتيت لاراها وكان من ذلك اني اطلعت على سرائرها والحمد لله وللحب كم لهُ من حسنات . قالت ويحك لم افهم مغزى كلامك اخبرني حالاً اين اللصوص . فأخذها بيدها واراد المسير فتوقفت جزعاً وصاحت مكررةً اين اللصوص . فقال ياسيدتي لا تضيعي الوقت واعلمي ان التي اضفتها في منزلكِ ليست براهبة كما تدلّ ظواهرها بل هي شريكة لصوص ينتظرونها خارجاً وقد استمانت بذلك الثوب على دخول منزلكِ خدعةً لاختلاس ما فيهِ من المال والمتاع فاقتربي من باب غرفتها يتضح لكِ الامر . فاقتربت

ولما نظرت كاد يغشى عليها من شدة الهلع فبادر الخادم لمساعدتها وارجاعها الى غرفتها وللحال قرعت الجرس فانتبه الخدم واخذوا يفدون الواحد بعد الآخر فتمارضت امامهم وجعلت تصرخ متألمة ثم اشارت اليهم بأن يوقظوا اولادهـا فلم يكن الأكطرفة عين حتى كان افراد الأسرة كلهم مجتمعين في غرفتها فبلغتهم الامر سرًّا فأخذوا يتشاورون فيما يفعلون

وعند ذلك اقبلت الراهبة لترى ما الخبر لانهـا سمعت جلبة القوم وكانت مرتدية بثوبها الخارجي وبيدها سبحة فنظرت اليهم ببشاشتهـا المعهودة وتلطفت بالسؤال عن سبب انزعاجهم فأخبروها انـ والدتهم مريضة وقد تنتابها الآلام من حين الى آخر . فأخذت تهون عليهم الامر وتخفف عنهم بعض الارتباك بحديثهـا العذب ثم جلست ازآء سرير المتمارضة وكانت لا تزال تستغيث متظاهرةً بشدة الألم فركعت بجانبها وجعلت تصلي صلاةً حارّة

وفي تلك الفترة كان بعض الخدم ممن عرفوا سرّ الحادثة قـد توجه بأمر مولاهُ لاستدعآء الطبيب والحقيقة انهُ ذهب توًّا الى مركز رئيس الشحنة (البوليس) واطلعهُ على حقيقة الامر فلم تمضِ على ذلك الا دقائق قليلة حتى كانـ القصر محاطًا بحلقةٍ من الجنود وأُلقي القبض بغتةً على اللصوص الذين في الخارج وكانوا عديدين وأُنزلت الراهبة مكتوفة اليدين لينالوا جميعهم مرّ العقاب

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

وهناك الفاظٌ وصيغٌ غريبة انفرد بها بعض كتّابنا منها عن زيادة تأنقٍ ومغالاةٍ في طلب الإغراب فيخبطون في استعمال الفاظ اللغة الى ما يخرجها عن وضعها ويكسوها ثوباً من القلق والابهام ومنها عن قلةٍ في المادة وجهلٍ بمفرادت اللغة ووجوه استعمالها فيأتي بها الكلام في منتهى الركاكة والسقم . والامثلة من الطرفين كثيرةٌ نجتزئ بايراد بعضها عبرةً للمنتقد وتنبيهاً للمقلد

فمن امثلة الاولى قول القائل « ان تلك السجون كانت منبت الاوبآء ومبترَك الامراض » ولفظ المبترك كما تراهُ غريبٌ في هذا الموضع لا يكاد يُستخرَج لهُ معنًى الا بعد اطالة البحث وتقليب النظر فيما يوافقهُ من التفسير اللغويّ ولعلّ اقرب ما يأوَّل بهِ ان يُجعَل من قولهم ابترك السحاب اذا الحّ بالمطر فكأن المعنى ان الامراض تلحّ فيها على المسجونين . ولا يخفى ما في هذا التفسير من التكلف والبعد فضلاً عن ايراد مثل هذه اللفظة في جريدةٍ يقرأها التاجر والصانع والفلاح فما ضرّهُ لو قال ومستقرّ الامراض او مستوطَن الامراض وكفى نفسهُ وقرّاءهُ هذا العنت الوبيل

ومن ذلك قولهُ « اثبتت حقوقها بما لم يعد معهُ للريب بال » . قال في القاموس البال الحال والخاطر والقلب والحوت العظيم والمَرّ الذي يُعتَمل بهِ في ارض الزرع ورخآء العيش وانظر ايها يناسب هذا الموضع

وقولهُ « دخان المعامل وعِثيَر ايدي الصناع » اي ما يثيرونهُ من الغبار

بايديهم والعِثير مخصوصٌ بالغبار الذي تثيرهُ الارجل في المشي الا اذا اراد ان اولئك الصناع كانوا يمشون على ايديهم

ومن تلك الامثلة قول الآخر « نشبت الحرب وألقت اوزارها » يريد بقولهِ القت اوزارها تقوية الجملة الاولى التي هي قولهُ نشبت الحرب لظنهِ ان الجملتين بمعنى واحد وهو وهمٌ بيّن فان الاوزار جمع وِزر بالكسر بمعنى الثقل ويراد باوزار الحرب العُدَد والاسلحة التي تباشَر بها وظاهرٌ أن القاء الاسلحة مفهومهُ ترك الحرب ومنهُ في سورة محمد « حتى تَضَع الحرب اوزارها » قال البيضاوي اي آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكُراع اي تنقضي الحرب . اه

ومن هذا القبيل قول الآخر اخنى عليهم الدهر بكلكلهِ وهو من مضحكات الكلام فانهُ يقال اخنى عليهم الدهر اي اهلكهم وأتى عليهم والكلكل الصدر ولا معنى لان يقال اهلكهم الدهر بصدرهِ وكأن هذه العبارة تحرفت على الكاتب لانهُ يقال اناخ عليهم الدهر بكلكلهِ على تشبيه الدهر بالبعير اذا برك بصدرهِ على الشيء ويقال ايضاً طحنهم الدهر بكلكلهِ وجرّ عليهم كلاكلهُ قال

اذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاكلهُ اناخ بآخرينا

ومن ذلك قول الآخر « بسطت اسباب العمران رواقها » وهو من التراكيب التي لا معنى لها لان الاسباب بمعنى الحبال استعارها للعمران على جعلها بمعنى الوسائل وهو استعمالٌ سائغ ولكنهُ جعل لتلك الاسباب رواقاً فافسد لان ذلك مما لا يُتصور في حقيقةٍ ولا مجاز ولا يمكن ردّهُ الى

تفسيرٍ صحيح

وقولهُ « شيّد معالم الحضارة » وهو يحسب ان المعالم شيء من البنيان فجعلها مما يشيَّد . قال في لسان العرب المَعلَم الاثر يُستدَلّ بهِ على الطريق اه . فوجه الكلام ان يقال اوضح معالم الحضارة مثلاً اي اظهر ما طمس من آثارها وهو التعبير الذي تراهُ في كلام الفصحآء .

وقولهُ « النسآء اللواتي أُدليت الاحكام اليهنّ » يعني أُسنِدت ولم يُسمع استعمال ادلى بهذا المعنى ولا جآء في نصوص اللغة ما يحتمل ذلك فيهِ

ومن ذلك قول الآخر « الطاعنات بالاحداق » يصف نسآء بفتنة النظر فما زاد على ان جعل احداقهنَّ رماحاً وهو اغرب ما سُمع من ضروب التشبيه

وقولهُ « لم يوشك ان حلّ هذا المحل حتى سعى لينال هذه الزيادة » يريد لم يلبث بعد ان حلّ اولم يوشك ان يحلّ لان خبر اوشك لا يكون الا فعلاً مضارعاً فعدل عن وجه الكلام الى هذا التركيب الغريب

وقولهُ « عقدوا خناصرهم على هذا الامر » اي عقدوا عزائمهم عليهِ وليس هذا التعبير في شيء من هذا المعنى انما يقال عقد خنصرهُ على كذا اي اشار الى تفرُّدهِ في نوعهِ او الى انهُ الاول بين امثالهِ وهو مأْخوذ من العقد بالاصابع للدلالة على العدد وقد تقدم لنا شرح ذلك مفصلاً في الجزء الثاني من مجلة البيان (صفحة ٨٨ وما يليها)

وآية الغرابة في ذلك كلهِ قول القائل « فقد يحصل ان يكون ذيل المحصول في هذا العام غليظاً » اي ان تكون الغلال وافرة فلينظر المطالع هل رأى في زمانهِ اغلظ من هذا الذيل . . . . .

ومن امثلة الضرب الثاني قول القائل « سأل شورهُ في هذا الامر » اي مشورتهُ وهو من الفاظ العامة لانهم يقولون شار عليهِ بكذا وانا لا اشور عليك بهذا الامر

وقول الآخر « سهي الشيء عن بالهِ » وهو من التعبيرات العامية ايضاً وفيهِ غلطتان احداهما اخراج سها الى باب علم وصوابهُ من باب نصر والثانية اسنادهُ الى الشيء وانما يقال سهوت عن الشيء ولا يقال سها الشيء عني

وقول الآخر « ارجو اليهِ ان يفعل كذا » اي ارغب اليهِ والصواب ارجو منهُ . على ان الرجآء بمعنى الامل واستعمالهُ بمعنى الرغبة عاميّ

ومن ذلك قول الآخر « الذين لا ذمة لهم ولا ذمام » فظنّ الذمة شيئاً والذمام شيئاً آخر وهما على الحقيقة شيءٌ واحد . قال في لسان العرب وفي الحديث ذكرُ الذِمّة والذِمام وهما بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق . اه

وقولهُ « هوَّم عليهِ بالحسام » يريد هوَّل عليهِ بهِ اي خوَّفهُ وشتان بين التهويم والتهويل

وقول الآخر « يحمو ويحترق » اي يحمى وكانهُ بناهُ على الحموّ مصدر حَمِي وهو من المصادر النادرة

وقولهُ « قريةٌ قفرى » هكذا بالقصر كانها مؤنث قفران على حدّ سكرى وسكران وفي كلام غيرهِ قفرآء بالمدّ مثال حمرآء وكلاهما غلط وانما يقال بلدةٌ قفرٌ بترك التأنيث وان شئت قلت قفرةٌ بالتآء

وقولهُ « صفار البيض » اي ما في باطنهِ من المُحّ الاصفر وكأنهُ من

التسمية بالمصدر على ما هو في لغة العامَّة فانهم يقولون الصفار والخضار وغير ذلك قياساً على السواد والبياض ومن الغريب ان مثل هذا وقع في شعر مجير الدين بن تميم وهو قولهُ

حبيبي وعدتَ الكاس منك بقبلةٍ　　　وأعقب ذاك الوعدَ منك نفارُ
وما كان هذا لونها غير انها　　　علاها لطول الانتظار صفارُ

وقول الآخر « رضوا بتوزيع النفقات بما فيهِ المضوان القبطيَّان » ولينُظَر ما معنى هذه الكلمات الاخيرة

وقولهُ « حصل التنبيه على الموظفين بعدم اعطآء الاخبار » اي أُمِروا بذلك ولم يُنقل استعمال التنبيه بهذا المعنى وانما هو من كلام العامَّة

وقول الآخر « لا يصلح ان يؤخذ حجةً طالما ان كتب اللغة لم تحط بكل الالفاظ » يريد ما دامت كتب اللغة لم تحط فجعل طالما ظرفاً وهي من قبيح اغلاط العامة

وقول الآخر « احتُفلت هذه الاعياد » فجعل احتفل متعدياً وهو لا يكون الاَّ لازماً

وقولهُ « لا يحقّ سوى للاله » ففصل بين سوى وما اضيفت اليهِ باللام والصواب لسوى الاله او الاَّ للاله وهي من الاغلاط القديمة التي سبق لنا التنبيه عليها في غير هذا الموضع

واغرب ما جآء من هذا قول القائل « سيشرع المجلس البلدي بعمل مناقصة عن توريد اولاً الرمل وثانياً العربات » الى آخرهِ وهذا مما قصَّرت عنهُ لغة الدواوين

(ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الافعال العقلية فلا يتأتى لنا الحكم بوجود مصدرها في الحيوان الا بمقدار ما يبدو لنا من ظواهرها . فالشِّبَنْزَى (الشمبانزي) في افريقيا والاوران في الهند الشرقية على تباين محتدهما يبنيان مساطب يتوسدانها ليلاً والاول قد يتدثر بما تصل يدهُ اليهِ من الاكياس وما ماثلها اتقاء للبرد وبذلك يماثلان الانسان في اتخاذ البناء والكسوة . ويؤثر عن قردٍ في رأس الرجاء الصالح انهُ كان قد غاظهُ احد ضباط العسكرية تكراراً فاغتنم ذات يوم فرصة مرور ذلك الضابط بلباس الاستعراض وحالما رآهُ مقبلاً عليهِ عمد الى ماء على مقربةٍ منهُ فصبَّ شيئاً منهُ في حفرةٍ وعجن كتلةً من الطين ثم رمى بها عليهِ فجعلهُ عبرةً للناظرين . وقد شوهد فيل ينفخ وراء غرض على بعدٍ منهُ فادناهُ اليهِ مقذوفاً بمجرى الهواء . ورؤي دبٌّ محبوس في قفصٍ في مدينة فينا يحدث مجرًى مائياً في ساقيةٍ كان قفصهُ موضوعاً على شاطئها فاخذ يضرب الماء بيدهِ ويحولهُ الى جهتهِ ليحمل اليهِ مجرى الماء كسرةً من الخبز كانت طافيةً على بعدٍ منهُ . وافيال الهند تتناول اغصاناً من الشجر تطرد بها الذباب وتستعملها بمثابة المروحة عندنا وكثيراً ما تتلذذ باستعمالها حتى يصعب نزعها منها . وللكلاب نوادر غريبة وقصص عجيبة تدل على ما لها من النباهة والحذق والركن ومن غريب ما يروى عن احد كلاب الصيد انهُ حاول مرةً حمل بطتين كبيرتين كان قد رماهما صاحبهُ

بطلقٍ ناري وكانت احداهما لا تزال حيّة فلما لم يمكنهُ حملها معاً اجهز على البطة الحيةَ وتركها في الارض ثم عاد فاخذها بعد ما اوصل الاولى الى صاحبهِ

واذا نظرنا الى جوارح الطير نرى ان النسر يعلم فراخهُ الطيران والصقر يمرّن صغارهُ على تقدير المسافات باطلاقها ورآء جرذانٍ ميتة يقذفها لها من حالقٍ حتى اذا مهرت في ذلك درّبها على صيد العصافير الحية . ولو قصدنا ايراد كل ما يؤثر عن الحيوانات الدنيا من الافعال الدالة على ادراكها ونباهتها لملأنا المجلدات الضخمة . وحسبنا من ذلك ان النمل على صغر جثتهِ نجد عندهُ من النباهة وقوة الفهم ما يجعلهُ من اسمى الكائنات ادراكاً اذا اعتُبر في ذلك نسبة ثقل الدماغ الى سعة العقل . فالنمل يتفاهم ويتعاضد على العمل ويتعارف بعد اشهر ويتعاطف ويبني قرًى حسنة الوضع محكمة الصنع يحفظها دائماً نظيفةً ويسد ابوابها في المسآء بعد ما يضع عليها الحراس ويفتح الاسراب ويعهد الطرق تحت الانهر ويكوّن جسوراً وقتية فوقها باصطفاف افرادهِ بعضها بجانب بعض طافيةً على وجه المآء ويدّخر مؤونةً لمجتمعهِ ويوسع ابواب قراهُ لادخال الذخائر الضخمة الحجم ثم يبنيها ثانيةً فيعيدها الى سعتها الاصلية ويخزن الحبوب الى حين الحاجة بعد ان يقضم اطرافها ليمنع تفريخها واذا ترطبت يخرجها وينشرها الى ان تجف ويستخدم نوعاً من الحشرات بمثابة البقر الحلوبة عند الانسان ويشن الغارة بتمام الانتظام ويبذل حياتهُ لخير مجتمعهِ ويأسر العبيد وينقل بيضهُ الى ادفأ مكانٍ في القرية ليسرع تفقههُ الى آخر ما يأتيهِ من غرائب الافعال وعجائب الاعمال

هذا واني اراني مضطرًّا لضيق المقام الى ترك الكلام على مظاهر التعقل

في النحل وكلب الماء والفيل والفرس وغيرها وسرد ما يؤثر عنها من التحوط والنجابة والفهم والامانة وغير ذلك مما يقضي بالعجب العجاب فاكتفي من هذا البحث بالقدر الذي اوردتهُ وهو كافٍ للحكم

واما القوى الادبية فلما كانت مرتبطة كل الارتباط بالقوى العقلية وكانت من اهمّ المميزات بين الانسان والحيوان لم يكن لنا بدٌّ من البحث فيها وايراد ظواهرها وسيتضح للقارئ ان آثار الارتقاء الادبي جلية الظهور في اخلاق الحيوانات الدنيا مما يدلنا على تدرج الارتقاء العقلي والادبي معاً. فالحاسة الادبية — او الضمير — من اعظم الفوارق بين الانسان والحيوان وهي تنمو بنمو القوى العقلية فكلما ارتقى الانسان عقلاً ارتقت معهُ الحاسة الادبية لاتصالها بالروابط الاجتماعية من مثل الغريزة الاجتماعية (او الميل الى الاجتماع) والمحبة الوالدية وما شاكلها . فالغريزة الاجتماعية من شأنها ان تبعث المجتمع على السرور بالاجتماع وبالتالي على التعاطف . وليس بخافٍ ان الآداب اعتبارية او نسبيّة وهي عبارة عن عمل « الواجب » ولذلك تختلف باختلاف اعتبار عمل الواجب . فإناث النحل العامل مثلاً تقتل الذكور لانها لا تجني عسلاً مثلها وتستحي الاناث لانها هي التي تقوم بمقتضيات هيئتها الاجتماعية فلو كانت احوالنا مماثلة بكليتها لاحوال النحل ربما كنا نعتبر القتل من واجباتنا مثلها . ولما كان المجتمع الحيواني كالمجتمع الانساني لا يقوم الا بالتعاون والتعاضد كان الميل في الحيوان الى التعاضد غريزياً مثلهُ في الانسان لرسوخهِ فيهِ جرياً على قاعدة الارث . فالقرود والذئاب والزيغان والقطا وغيرها تعيش اسراباً وتتعاون في تحصيل رزقها .

وقد يتألف بعض افراد المجتمع الواحد من الحيوان تألفاً يكون من وراء تفرقهِ وحشة اليمة تفضي الى الشقآء . وكل من عني بملاحظة الحيوانات الاليفة يعلم ما تظهرهُ الخيل والكلاب من الكآبة والانكسار عند فصل بعضها عن بعض ومن الأُنس والابتهاج عند عودها الى الاجتماع حتى لقد يعاف بعض الحيوانات الطعام حزناً على فراق أليفهِ فيقضي شهيد امانتهِ وحسرتهِ - فهل يوجد كثيرون من الحيوانات الناطقة يموتون شهدآء الامانة - . وجميع قطعان الحيوان واسراب الطير تبدي من التحوط واليقظة ما هو جدير بالاستغراب . فالارانب والاراوي تضرب الارض بقوائمها تنبيهاً للقطيع عند دنو الخطر . وبعض ذوات الاثدي وكثير من الطير تقيم حراساً تتكفل بوقاية السرب من الغيلة . وقواد القرود تفوه بعلامات الخطر والسلم في حينها فتقي جماعاتها من مفاجأة العدو . وغالب الطير يصوت عند نهوضهِ من مجثمهِ اذا فاجأهُ خطر فينبه بعضهُ بعضاً للفرار من وجههِ

(ستأتي البقية)

عمدة الصفوة في حِلّ القهوة

(تابع لما في الجزء السابق)

واما اول ظهورها بمصر فقال العلامة ابن عبد الغفار انها ظهرت في حارة الجامع الازهر في العشر الاول من هذا القرن وكانت تُشرَب في نفس الجامع برواق اليمن يشربها فيهِ اليمانيون ومن يسكن في رواقهم من اهل الحرمين وكان المستعمل لها الفقرآء المشتغلون في الرواتب من الأذكار والمديح

على طريقتهم المذكورة وكانوا يشربونها كل ليلة اثنين وجمعة يضعونهـا في ماجور كبير من الفخار الاحمر ويأخذ منها النقيب بسكرجة صغيرة ويسقيهم الأيمن فالأيمن مع ذكرهم المعتاد عليه غالباً وهو لا اله الا الله الملك الحق المبين وكان يشربها معهم موافقةً لهم من يحضر الرواتب من العوام وغيرهم . قال وكنا ممن يحضر معهم وشربناها فوجدناها تذهب الكسل والنعاس كما قالوا بحيث انها كانت تسهرنا معهم ليالي لا نحصيها الى ان نصلي الصبح مع الجماعة من غير تكلف وكان يشربها معهم من اهل الجامع وغيرهم خلقٌ لا يُحصى . ولم يزل الحال على ذلك وشربت كثيراً في حارة الجامع الازهر وبيعت بها جهراً في عدة مواضع ولم يتعرض احدٌ ولا انكر شربها لا لذاتها ولا لوصفٍ خارجٍ عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها بمكة وشربها في نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا يعمل ذكرٌ او مولد الا بحضورها . وفشت بالمدينة الشريفة دون فشوّها بمكة حيث ان الناس يطبخونها في بيوتهم كثيرًا

ثم حدث الانكار عليها بمكة الشريفة في سنة سبعة عشر وتسعمائة وكان القـائم في ذلك رجلين اعجميين اخوين كانا مشهورين بالحكمة وكان لهما فضيلةٌ في المنطق والكلام والطبّ ويدّعيان مرتبةً في الفقه لم تسلَّم لهما وهما الرجلان اللذان رحلا الى مصر في اواخر دولة الغوري واقاما بهـا حتى قدم اليها السلطان الملك المظفر سليم شاه فقتلهما توسيطاً لِما كانا يُرميان به مما الله اعلم بحقيقته . واعانهما على القيـام في امرها الشيخ شمس الدين محمد الحنفي الخطيب نقيب قاضي القضاة سريّ الدين بن الشحنة وأناسٌ آخرون فأغرى الشيخ شمس الدين الخطيب الامير خاير بك المهار باش مكة

ومحتسبها اذ ذاك على إبطالها من الاسواق ومنع الناس من شربها وقرر عندهُ انها موصوفة بتلك الصفات القبيحة ورغبهُ بذلك جدًا وحملهُ ان يعقد لهُ مجلساً عندهُ وانفصلوا منهُ على القول بحرمتها وكتبوا بذلك محضراً انشأهُ لهم الشمس الخطيب وارسلوهُ الى مصر وارسلوا معهُ سؤالاً انشآء الحكيمين والخطيب وطلبوا مرسوماً سلطانياً لمنعها بمكة المشرفة . ولما انصرفوا من عقد المجلس اشهر الامير خاير بك النداآء بمنع شربها وشدد في ذلك حتى انهُ عزّر جماعةً من باعتها وكبس مواضعهم واخرج ما وجدهُ فيها من قشر البنّ واحرقهُ في وسط المبيع فبطلت حينئذٍ من السوق وكان الناس يشربونها في بيوتهم اتقآء شرهِ لانهُ بلغهُ عن شخصٍ انهُ شربها فعزّرهُ وطاف بهِ في الاسواق

ثم بعد ذلك ورد المرسوم السلطاني ولكن لا على وفق غرضهم كما ستقف عليهِ فتجاسر الناس على شربها لا سيما وقد بلغهم انها لا تُمنَع في مصر التي هي بلدة السلطان ولم ينكرها احدٌ من علمآئها وفتر خاير بك عن التسلط على الناس بسببها واستمرّ الحال على ذلك . ثم قدم ناظر الخواص الشريفة العلآء ابن الامام الى مكة المشرفة سنة ثمانية عشر وتسعمائة لمهمٍ سلطاني فنع الشمس الخطيب من تحمُّل الشهادة وأدآئها واراد حملهُ الى مصر ثم اعفاهُ من ذلك فانقطع الخطيب في بيتهِ للموسم فازداد الامر فتورًا والقهوة ظهوراً وتوجه الخطيب صحبة الركب الى مصر وتوفي بالينبوع وقال بهذا المعنى بعض اهل المجون ونُسِب ذلك الى الشيخ ابي الفتح المالكي في الشام شعراً

قهوة البنّ حرِّمت فأحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا وازلوا في قفا الخطيب

وقال غيرهُ

قهوة البنّ حرِّمت فاشربوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا والعنوا من هو السبب

واتفق في عام الثمانية عشر المذكور ان الامير قطلباي قدم الى مكة صحبة الركب الشريف باشاً عوضاً عن خاير بك واكثر شربها فاشتهرت اضعافاً عن اشتهارها الاول ولم يزل امرها يتزايد في الحرمين وغيرهما ولم يتعرض احد

وبلغ الشيخ العارف بالله محمد بن عراق لما قدم الى مكة في ذي القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين انهُ كان يُفعل في بيوت القهوة اشياء من المنكرات فاشار على الحكام بابطال بيوتها مع تصريحهِ بحلّها في حدّ ذاتها غير مرةٍ لغير واحد بحيث بلغ ذلك منهُ مبلغ التواتر المفيد للقطع وكذلك لم يتعرض لابطالها من المدينة طول اقامتهِ فيها . وبلغهُ ان امرأةً شابةً تبيع القهوة بالمدينة مكشوفة الوجه فمنعها من البيع فشكت اليهِ حالها والحاجة فأذِن لها بالبيع بشرط الستر ففعلت . ولما توفي الشيخ بمكة في خامس صفر سنة ثلاثة وثلاثين رجع الحال لما كان عليهِ ولم يزل يزداد لوقتنا هذا ولم تزل اولياء الشيخ بعدهُ على القول بحِلّ القهوة والمواظبة عليها حتى ان اجلّهم قطب دائرة اهل الحرمين في الظهور علماً وصلاحاً وافتاءً وتدريساً وتأليفاً كان اجلّ ما يُحضِرهُ لمن يرد عليهِ من الاكابر ومَن دونهم القهوة ويتكرر

فعلهُ لذلك في اليوم والليلة مرات خصوصاً في زمن الموسم وهي كانت مكرمتي عندهُ اذا قدمتُ عليهِ بمكة والمدينة او بالقاهرة في اوقات سفرهِ اليها وكذلك كان يشربها بمنزلي ايام اقامتهِ بالقاهرة

وفي سنة تسع وثلاثين رُفع للشيخ العلامة واعظ العصر شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي سؤالٌ هذه صورتهُ ما قولكم رضي الله عنكم في شرابٍ يسمونهُ القهوة يجتمع عليهِ الجماعة ليشربوهُ ويزعمون انهُ مباح مع انهُ يترتب عليهِ مفاسد كثيرة فهل ذلك جائزٌ ام حرام. فاجاب بحرمتها وأنها مسكرة وكتب على هذا السؤال جواباً واسع العبارة لا يحتملهُ هذا المختصر احال فيهِ على إخبار من شربها وتاب عنها وعلى ما يوصف بهِ الجمع في بيوتها من الاوصاف المانعة لشربها وسيأتي ذكر ذلك ملخصاً في الباب الثاني

وفي سنة واحد واربعين تعرضوا الشيخ في مجلس وعظه بذكر القهوة فافتى بحرمتها وصمم على ذلك في مجالسهِ بالجامع الازهر فتعصب جماعةٌ من القوم لما سمعوا منهُ ذلك وخرجوا الى بيوتها من تلقآء انفسهم بغير امر حاكم بل لمجرد الحفلات العاميّة وكسروا اوانيها وضربوا جماعةً ممن كان هناك فقام بسبب ذلك فتنةٌ وتصيب ممن يقول بالحلّ والحرمة شهيرة واحتاج الامر الى الاستفتآء ايضاً واتصل بقاضي مصر وهو الشيخ محمد بن الياس الحنفي فسأل عن حكمها جماعةً من علمآء القاهرة المفتين بهـا واعتمد على افتآء من قال بحلّها من العلمآء المعتبرين ثم استظهر بعد ذلك فأمر بطبخها في منزلهِ وسقى منها جماعاتٍ بحضرتهِ وجلس يتحدث معهم ليختبر حالهم فلم يرَ فيهم تغييراً

ولا شيئاً منكرًا فأقرّها على حالها . وفي منع الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي لبيع القهوة وافتائهِ بحرمتها وقيام العامة معهُ يقول بعضهم واظنهُ الفقيه المجبون بجدة شعراً

ان اقواماً تعدّوا والبلا منهم تأتى
حرّموا القهوة عمداً قد رووا افكاً وبهتا
ان سألت النصّ قالوا ابن عبد الحق افتى
يا أُولي الفضل اشربوها واتركوا ما قال بهتا
ودَعُوا المذّال فيها يضربون الماءَ حتى

(ستأتي البقية)

العادة والطبيعة

ذُكر مرةً امام فونتنال قولهم في المثل العادة طبيعةٌ ثانية فقال لكن احبّ ان اعلم ما الطبيعة الأُولى يريد ان كل ما في طبيعة الانسان مرجعهُ العادة اما مباشرةً من افعال الشخص او اكتساباً من طريق الإرث . وقد بالغ بعضهم في هذا الموضع فقال ان المشي عادة والاكل عادة والنوم عادة حتى ان الصحة يمكن ان تُعدّ مع التوسع عادة ولا يخفى ان كل ذلك موجهٌ عند هذا القائل الى الطبائع الموروثة

ولا ينبغي ان يؤخذ مما ذُكر أن الانسان آلةٌ صمّاء يتلقى العادة من غير ان يكون للارادة شركةٌ في ثبوتها اذ ليس من عادةٍ تُنتَحل او تُهجَر الا وللارادة فيها الخطوة الاولى وهي تنشأ تحت عاملين احدهما تمرين الفطرة على

قبولها حتى تنطبع عليها وتصير سجيةً فيها والآخر تعريض البنية لألفة ما بينها وبينهُ منافرةٌ كالسموم واختلاف الاقاليم وسائر الاعراض المفسدة. وبالاول تكتسب الاعضآء ما نجد فيها من السهولة والطوع في ضروب الاعمال والحركات المختلفة وبالثاني تألف البنية بما فيها من الاستعداد التركيبي فعل السموم واختلاف حرّ الاقليم وبردهِ الى اقصى درجاتهما بحيث ترى الجسم اشبه بقطعةٍ من المطّاط قابلةٍ لأن تتشكل بجميع الاشكال وتوافق جميع البيئات. ومما يؤثر عن بقراط ان مباشرة ما اعتدتهُ ولو كان مضرًّا في نفسهِ اقلُّ ضرراً مما لم تعتدهُ ولو كان نافعاً

ومعلومٌ ان اكثر انواع السموم حتى اشدّها فعلاً يمكن ان تُتناول الى مقادير كبيرة بشرط ان تؤخذ على التدريج حتى يعتادها الجسم ويألفها شيئاً فشيئاً. فان المنّ مثلاً الذي يكون من ٥٠ الى ١٠٠ غرام مسهلاً اذا أُخذ بمقادير قليلة كان غذآء يتمثل في الجسم وكذلك الزرنيخ والايثير والمرفين والتبغ بل ملح الطعام نفسهُ كل هذه تعدّ من السموم ونحن نتناولها كل يوم فنتداوى ببعضها ونغتذي بالبعض الآخر ولا يلحقنا منها أذًى

ولما كان اتخاذ العادة لا يصلح الاّ تدريجياً فكذلك الاقلاع عنها لا يصلح الا تدريجياً حتى تألف الطبيعة تركها كما ألفت استعمالها ولا يجوز ان تُقطع دفعةً واحدة ولو كانت من العوائد المضرّة. فان معتاد السمّ مثلاً اذا تركهُ دفعةً كان ذلك هو السمّ القاتل لهُ لان اكثر السموم كما ذكرهُ الاطباء تعمل في المراكز العصبية فتؤثر فيها تهييجاً عنيفاً بالغاً آخر حدودهِ فاذا تُرك تناولها فجأةً حدث اختلالٌ في حالة العصب بالانتقال دفعةً

من حالة التهيج الاقصى الى حالة السكون التام فتختلّ الموازنة الحيوية على غير استعدادٍ في الجسم لهذا الاختلال ولذلك لم يكن بدٌّ في الانتقال من عادة الى تركها ان يكون على نفس الطريق الذي اتُّخذت بهِ تلك العادة

وكذا القول في الانتقال من اقليم الى آخر والمراد بالاقليم هنا ما يكون عليهِ جوّ ذلك الاقليم من حالة الهوآء ودرجة الحرّ والبرد وهو لا يختصّ بما يقع من التفاوت في ذلك بين بلدٍ وآخر ولكنهُ قد يكون في البلد الواحد باعتبار حال المسكن وما يكون عليهِ الهوآء الذي يتخللهُ ويحيط بهِ . وذلك ان من أَلف مسكناً فاسد الهوآء تتادهُ رئتاهُ ويحدث فيهما نوع من التلقيح بهوآئهِ يمنع تأثير ذلك الفساد وهذا هو العلة في سلامة الاطباء والممرّضين من المدوى بمخالطة الاعلاّء في زمن الاوبئة . ومما يُروَى في ذلك ان سجيناً أُخرج من مُطبَق (سجن مظلم) على حين فجأةٍ فلم يطق تنفس الهوآء المطلق ولا النظر فيهِ ويقال ان الذين يعملون في المناجم حيث تكون الحرارة اشبه بحرارة الاقاليم الاستوآئية اذا خرجوا الى الهوآء السطحي لم يكادوا يألفون درجتهُ ولو كانوا في معمعان الصيف

وما يقال في حالة الجسم على العموم يقال في الحواسّ على انفرادها فان للعادة اعظم تأثيرٍ فيها ولا سيما حواسّ اللمس والبصر والسمع فان الاعمى مثلاً يميز بلمسهِ ادقّ الآثار واخفاها لاعتمادهِ عليهِ في تأدية اشكال المحسوسات ومن رأى الاعمى يقرأ الحروف الناتئة بامرار انملتهِ عليها قضى العجب العجاب من سرعة مرّهِ في القرآءة حتى لا يكاد البصير يكون اسرع تناولاً منهُ للحروف المرسومة بالحبر . وكذا المصوّر فانهُ يميز ضروباً من الالوان لا يرى

غيرهُ فيها الا لوناً واحداً ومثلهُ الموسيقي في تمييز الاصوات حتى انهُ اذا اختلَّ ايقاع آلةٍ واحدة بين مجموعٍ من الآلات ادرك ما اختلَّ منها للحال

ولما كانت العادة بهذه المنزلة من التأثير في البنية كانت ولا ريب مما يترتب عليهِ كثيرٌ من حالات الصحة والمرض وقوة الاعضاء وضعفها وبالتالي طول الحياة وقصرها فكان من الواجب ان يُلتفت اليها اول كل شيء وتُجعَل اساساً لتربية الجسم بأن يعوَّد احتمال الآفات الخارجية من الحرّ والبرد والتعب وخشونة المعاش بحيث يكون متأهباً لمباشرة كل ذلك من غير ان يضرّ بمزاجهِ ويزيلهُ عن اعتدالهِ . وقد تقرر عند علمآء الصحة ان العادة اضمن للسلامة من التوقي لانها تكسب الجسم صلابةً يقوى بها على ملاقاة العوارض بل من المحقق ان الافراط في التوقي يفضي غالباً الى عكس ما يُتوخى به لانهُ يعرّض الجسم لآفاتٍ هو في مأمنٍ منها بدونهِ ومن تفقد طبقات الناس وضروب معايشهم تبينت لهُ صحة هذا القول بما يُغني عن الاطناب

اقتراح

سألنا احد مهذَّبي الشبّان المصريين ان ننشر على صفحات الضيآء السؤال الآتي نوجههُ الى عامة القرّآء ونقترح الجواب عليهِ بما يحسم الدآء وهو ولا ريب مما يهمّ كل مطّلعٍ عليهِ من اهل هذه الديار وما كان بمنزلتها من سائر البلاد الشرقية وسننشر ما يرد علينا في ذلك مما تجود بهِ اقلام العقلآء لما فيهِ من عموم الفائدة وهذا نصّ السؤال المذكور

انا فتى اناهز الآن الثامنة عشرة من سنيَّ وقد قضيت في مدارس القطر العالية ما ينيف على ثماني سنين وصلت فيها ليلي بنهاري في المطالعة والحفظ واتقنت اللغتين العربية والفرنسوية بفروعها وحصلت على حظٍ صالح من اللغة الانكليزية ودرست الرياضيات بفروعها والطبيعيات وقد خرجت الآن من المدرسة وبيدي الشهادات المؤذنة بختمي دروسها . وانا من الذين لا موردَ لهم من العيش الا كدّهم وعرقهم وقد قرعت جميع ابواب الاستخدام فلم اجد فيها ما يلائم حالتي واكتسب منهُ ما يكفيني من المعاش واعرف كثيرين من امثالي اعدهم بالمئات لم يكد يظفر برزقهِ منهم الا افرادٌ معدودون . فارجو من عقلاء قومنا ومن يهمهم امر مستقبل البلاد ان يشيروا عليَّ وعلى من ذكرت من رصفائي بما يضمن لنا مستقبل حياتنا ولهم الفضل والجميل

آثار ادبيّة

العلم والتربية — هو عنوان كتابٍ عني بتأليفهِ حضرة الكاتب الاريب خليل افندي زينية رئيس تحرير جريدة الاهرام وجعلهُ هديةً الى حضرة الوزير الخطير صاحب الدولة مصطفى رياض باشا الشهير تكلم فيهِ على اصول التربية واحكامها والآداب البيتية والمدرسية وطرق التعليم وتهذيب الاخلاق فيما يقرب من ثلاث مئة صفحة فاحاط بهذه الشؤون كلها ووفى كل مبحثٍ منها حقهُ وضمنهُ فوائد شتى في الاحوال الصحية والاخلاق والعوائد والدين والوطن واللغة وغير ذلك بحيث جاء كتاباً عميم الفائدة كبير العائدة تلقى

البلاد بحاجاتها في هذا الاوان الذي هو اوان يقظة الامة وانتعاشها من كبوتها . فنحن نثني على المؤلف بما يستحقهُ عناؤهُ في هذا الكتاب وتتمنى لهُ ان يُرزَق من القرآء من يقدرهُ حق قدرهِ ويعمل بما فيهِ من النصائح والآداب

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ نرجو ان تجيبونا على السؤالين الآتيين

(١) عثرنا في بعض الكتب على ذكر يوم من ايام العرب يسمى يوم الصعاب الا انهُ لم يُذكر في اي موضع كان ذلك اليوم ولا بين اي القبائل فهل لكم ان تفيدونا عن ذلك

(٢) نرى في كتابات العامة كلمة محسوب بمعنى مخصوص ونحوهِ فهل يوجد في اللغة فعلٌ بهذا المعنى تُشتقّ منهُ الكلمة المذكورة

ا ٭ ب

الجواب ـ اما يوم الصعاب فلم نعثر عليهِ في شيء من كتبهم فلعلهُ مصحفٌ عليكم . واما كلمة المحسوب فمولدة ولا نذكر أنَّا رأيناها في شيء من الكتب قبل تاريخ السخاوي المسمى بتحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات وقد جآء فيهِ عند الكلام على مزار السيدة نفيسة بنت الحسن ذكر دعآء للخليعيّ سردهُ المؤلف ثم عقَّب عليهِ بقولهِ وزاد بعضهم على هذا الدعآء الفاظاً أُخر .. وجآء في تلك الزيادة ما نصهُ « يا آل بيت المصطفى جئتكم قاصداً فبالله اقبلوني فقد حُسبتُ عليكم . ولم يذكر اسم هذا القائل ولا يعلم لذلك تاريخ وكأن اصل المعنى من قول بعضهم في احدى

القصائد النبوية

يا آل طه عليكم حملتي حُسِبت ان الضعيف على الاجواد محمولُ

والحملة هنا من قولهم استحملهُ نفسهُ اي حمَّلهُ حوائجهُ واموره فقيل حملتي محسوبة على فلان ثم قيل انا محسوبٌ عليهِ على حذف المضاف واقامة المضاف اليهِ مقامهُ والله اعلم

القاهرة — هل تقول هذا المبلغ يزيد على كذا او يزيد عن كذا وايهما الافصح مستفيد

الجواب — قال في الكليات والزيادة تلزم وقد تتعدى بعن كما تتعدى بعلى لان نقص يتعدى بهِ وهو نظيرهُ . اه . ولعل الاولى ان تقول ان لكلٍّ من هذين التعبيرين وجهاً لان على تفيد الاستعلاء وعن تفيد المجاوزة وكلاهما محتملٌ هنا فتقول هذا المبلغ يزيد على المئة على معنى يُربي عليها او يزيد عن المئة على معنى يتجاوزها وحاصل المعنيين واحد كما ترى

القاهرة — ارجو ان ترشدوني الى الكتب المؤلفة باللغة العربية (لا المترجمة) المختصة بالبحث في المواضيع التي هي الآن من غرض الاقتصاد السياسي كالاموال وجباياتها والثروة ومصادرها والتجارة وطرقها ولكم الفضل

علي ابو الفتوح

الجواب — لم نعثر في ذلك على كتابٍ عربي الاصل ولكن وقعت الينا منذ سنواتٍ نسخةٌ من رسالةٍ قديمة في هذا المعنى معرَّبة عن اليونانية

ونظنها مما عُرِّب على عهد الخلفآء العباسيين الا ان الرسالة ناقصة من آخرها والذي لدينا منها نحوٌ من خمس وعشرين صفحةً متوسطة . وسننشر شيئاً منها في بعض اجزآء الضيآء المستقبلة ان شآء الله ليكون بمنزلة انموذج لما كان عليهِ هذا الفن عند المتقدمين

كلٌّ من عليها فان

ان الرزيئة لا رزيئة مثلها　　فقدانُ مثل محمَّدٍ ومحمَّدِ

رُزئت الامة المصرية بفقد اثنين من صدور علمآئها بل بدور ظلمآئها واساطين فخرها وعلآئها المرحومَين الطيبيَ الاثر الشيخ حسن الطويل العالم العلاَّمة المحقق الشهير والشيخ عبد الرحمن القطب النواوي قطب اهل القضآء والفتيا وشيخ الازهر الشريف . اجاب الاول داعي ربهِ في اليوم الاول من هذا الشهر عن احدى وستين سنةً قضاها في الاشتغال والتدريس في العلوم الشرعية والعقلية والرياضية وتخرَّج على يديهِ كثيرون من جلة علمآء القطر ومشاهيرهم . واستأثرت رحمة الله بالثاني في اليوم الرابع منهُ بعد ان تولى مشيخة الجامع شهراً واحداً فكان لخطبهما رنَّة اسفٍ تجاوب صداها في البلاد ولهفة جزعٍ ترددت رسلها بين العيون والاكباد وقد شُيِّعت جنازتاهما في جمهورٍ كبيرٍ من العلمآء والاعيان وأبَّنهما كثيرٌ من ذوي الفضل والعرفان عوض الله الامة فيهما خيراً ومطر ضريحيهما بوابل الرحمة والرضوان وسنُثبت ما ينتهي الينا من ترجمة الفقيدين في الجزء التالي ان شآء الله

قال جورج امهلني الى ما بعد العشآء فاطلعك على قصة ٍ هي اغرب ما سمعتهُ من حوادث الفتك والغدر

ولما حان وقت العشآء جلس الثلاثة الى المائدة فاكلوا وشربوا ووليم وزوجتهُ لا يصدقان ان يفرغوا من الطعام حتى يسمعا حديث جورج. وبعد ما فرغوا واخذوا مجالسهم تنفس جورج طويلاً كمن افاق من نوم مزعج ثم بدأ بحديثهِ فقال

قد علمتَ من كتبي اليك اني انحزت في بلدي الى صناعة التصوير فاتقنت معرفتها ونلت فيها شهرةً عظيمة . وكان يجاورني في محل شغلي فتى اسمهُ هنري عالي الهمة شريف النسب عظيم الثروة كان قد ولع بصناعة الحفر وسكب التماثيل لا بقصد الكسب لانهُ في غنًى عنهُ بل بقصد التسلي وقطع الاوقات . ولما كنا متجاورَين وصناعتنا تكاد تكون واحدة لم يكن لاحدنا غنًى عن مشورة الآخر والانتفاع برأيهِ وانتقادهِ . وكنت اعجب ببراعة هنري وسرعتهِ في العمل فانهُ كان اذا رأى شخصاً اعجبهُ دخل الى محل شغلهِ وفي بضع ساعات يكمل تمثالاً يشابه ذلك الشخص بحيث ان ادقَّ منتقد لا يرى بين التمثال والاصل فرقاً سوى النطق . وكنت يوماً عندهُ ودار بيننا حديث صنعتهِ فأحببت ان ارى كيف يصنع تلك التماثيل فاخذ لوقتهِ قطعةً من الجبس وبينا هو يكلمني عجنها بالمآء فجعلها كتلةً ثم اخذ ازميلهُ وجعل ينحتها امامي وانا اعجب من تقلب الهيئة بين يديهِ ثم رأيت فاذا التمثال تمثالي بعينهِ فتوهمت انني ارى صورتي في المرآة ولكنها بيضآء . ثم اهدى لي التمثال فاخذتهُ وحفظتهُ في غرفتي . وتأكدت بعد ذلك بيني وبين هنري

وُثُق الصداقة والاخآء فكان احدنا لا يفارق الآخر

وفي ذات يوم دعينا لتناول الطعام عند صديقٍ اسمهُ المستر سميث وكان لهذا ابنةٌ جميلة الصورة تدعى لوسيا لم أرَ في حياتي ابدع منها منظرًا ولا اكمل آدابًا فلم تنقضِ تلك الزيارة حتى تمكن حبها مني وشعرت ان كل اماني وعواطفي قد تعلقت بها وقرأت في وجهها انها قد أُصيبت بمثل ما أُصيبت بهِ . ولما خرجنا من البيت سألت هنري عن رأيهِ في الفتاة فوجدت انهُ قد أُعجب بصفاتها وحسنها ولكنهُ وا اسفا قد علق بحبها ايضاً . ثم تكررت زياراتنا لبيت المستر سميث وساعدني الحظ ان خلوت يوماً بلوسيا واعترفت لها بحبي فقابلتني بالمثل وعاهدتني انها لن تميل الى سواي وافترقنا على امل الزواج حالما تمكن الحال

واخفيت ذلك عن هنري وكان هو ايضاً يترقب الفرص للاعتراف لها بحبهِ فلم يسمدهُ الوقت بل لم تكن لوسيا تمكنهُ من ذلك لانها كانت قد وهبت كل قلبها لي ولم تشعر بأدنى ميل اليهِ . وما زلنا على هذه الحالة الى ان بلغ الهيام من هنري مبلغاً لم يستطع معهُ الكتمان فترك شغلهُ يوماً وذهب توًا الى بيت المستر سميث فطلب مقابلة لوسيا واطلعها على ما في نفسهِ وطلب اليها ان تعدهُ بالاقتران بهِ . فكلمتهُ بلطفها المعتاد وابانت لهُ تعذر اجابتهِ لانها قد اعطت قلبها لسواهُ وقُضي الامر . فصعق هنري لهذا النبأ وبعد ان راجعها مراراً تحقق خيبتهُ فرجع على اعقابهِ حزيناً آسفاً يتميز غيظاً وتتقد عيناهُ بنار الغيرة . وبينما انا في غرفتي اذا بهِ داخلٌ عليَّ في تلك الحالة فهالني منظرهُ وقبل ان اسألهُ عما بهِ ابتدرني بالحديث فقال لقد

ضاقت بي الدنيا يا جورج فأمددني برأيك ماذا اصنع . قلت ما الذي طرأ عليك . قال قد علمت اني أُسرت بحب لوسيا حتى مُنِعت القرار وحُرِمت الرقاد وقد ذهبت اليها هذا النهار اسأل يدها فوجدت لشقائي انها قد وهبت قلبها لسواي . اواه يا جورج اني سأموت لا محالة بعد هذه الخيبة . ألوسيا ياخذها سواي . أَجل اني سأموت ولكن لا بد قبل ذلك ان اميت مزاحمي ولو قبل موتي بدقيقة

وكنت ارى في عينيهِ نار الانتقام وفي حركاتهِ حدة الجنون فعزمت ان اسليهُ ما امكن واطلعهُ اني انا خطيب لوسيا لعلهُ يخفف ما بهِ من الالم متى علم اني انا غريمهُ ووثقت ان صداقتنا الشديدة وحبنا الاخوي لا ينقطع عند حالةٍ كهذه . فاطلعتهُ على الحقيقة واخبرتهُ كيف تعاهدت مع لوسيا على الاقتران فكان يسمع صامتاً شاخصاً الى ان فرغت من كلامي فوثب كالمجنون واندفع يشتمني ويعنفني ويمطر عليَّ سحباً من اللعنات ثم اخذ تمثال الجبس الذي كان قد اهداهُ لي عن المائدة فرمى بهِ الى الارض فتكسر قطعاً ثم عمد اليهِ برجليهِ فتركهُ كالدقيق . ولما فرغ من ذلك القى عليَّ نظرةً وحشية وقال سيصيبك ما اصاب تمثالك عن قريب فاستعدَّ للموت . ثم خرج من الغرفة ودفع الباب دفعةً عنيفة ارتجَّ لها البيت

اما انا فكنت كحالمٍ او كمن اصيب بداء الجمود فاني لم اكن انتظر قط مثل ذلك من صديقٍ اعدهُ اقرب اليَّ من اخي . ولم اعد ارى هنري في ذلك اليوم بل اجتهدت ان لا اراهُ قبل يومين رجاءً ان تكون قد خمدت شعلة غضبهِ ويمكنني ان اكلمهُ بلطف لاني ايقنت انهُ ولا بدَّ سيندم على ما

فمل . وفي صباح اليوم الثالث ذهبت الى محلهِ فوجدت الباب مفتوحاً فدخلت فاذا بالبيت فارغٌ لا انيس بهِ وتحققت بعد ذلك ان هنري هجر البلدة واجتهدت كثيراً في الوقوف على شيء من خبرهِ فلم أتمكن ولبثت ابحث عنهُ مدة شهرين واكاتب اصدقآئي في كل ناحيةٍ فلم احصل على طائل . وكانت محبتي للوسيا تشغلني عن الاهتمام بهنري والسعي لاجلهِ زيادةً على ذلك فتركت البحث عنهُ ولم اتمكن حينئذٍ من الاقتران بلوسيا لحدادٍ كان في الأُسرة . وبعد مضي سنةٍ من هذه الحادثة اي منذ نحو عشرين يوماً قدمت الى باريز لآخذ منها بعض الرسوم التي تلزمني في شغلي وبينما انا سائرٌ يوماً في شارع سان كلو شعرت بخطوات تجدُّ في اثري ثم بيدٍ أُلقيت على كتفي فنظرت فاذا بصديقي هنري فصافحتهُ وصافحني وهو خاشع الطرف حيآء ثم قال اتيت يا عزيزي جورج اسأَلك صفحاً عما فرط مني منذ سنة مما قادني اليهِ الطبع الحادّ والموقف الذي كنت فيهِ فاني قد ندمت على ذلك كثيراً لعلمي بان ما فعلتهُ لم يكن منك عن قصد المزاحمة لي وما زالت الايام تزيدني ندماً على ما فعلت وتزيد رغبتي في مقابلتك وطلب الصفح عما فعلت غير ان اشغالي كانت تعوقني عن اتمام هذه الامنية وانا شاكرٌ للاتفاق الذي جمعني بك الآن فارجو منك ان لا تبخل عليَّ بيدك متجاوزًا عن اسآءتي ولا أشك ان قلبك الصادق لا يعصيك في ذلك . فعانقتهُ ملياً وسررت بتجديد صداقتنا ثم دعوتهُ لتناول العشآء معي في النزل الذي انا فيهِ فلبي شاكراً . وبينما نحن على المائدة اخبرني انهُ سافر على اثر تلك الحادثة الى باريز واقام في بيتٍ منفردٍ يسلي نفسهُ بعمل التماثيل التي كان يجد

بها لذةً عظيمة وقال لي اني صنعت في هذه الايام تمثالاً لا يبارَى وهو آيةً في الاتقان فلا بد من مجيئك الى بيتي لأُريكهُ غير انهُ لا يزال فيهِ شيءٌ من النقص وسينتهي بعد اسبوع فهل تعدني ان تأْتي لتراهُ . قلت نعم ولكنك لم تدلني على منزلك، قال لو وصفتهُ لك لما امكنك ان تهتدي اليهِ بنفسك ولكني ساوافيك الاحد القادم مسآءً الى هنا فنذهب معاً . ولما كان اليوم المعين وافى الصديق هنري فصحبتهُ الى بيتهِ وكان خارج باريز وبمعزل عن مساكن الناحية تحيط بهِ حديقةٌ واسعة الارجآء . فدخلنا ردهةً جميلة مزينة بالرسوم والمناظر البديعة والرياش الفاخر وبعد ان جلسنا حيناً وهو يقص عليَّ اخبارهُ في مدة غيابهِ عني قال تعال اريك التمثال حسب الوعد ثم سار امامي وانا اقتفي اثرهُ فرقي سلماً انتهى بنا الى الطبقة العلوية من البيت فدخلنا غرفةً فسيحة جدًّا مسقوفة بالزجاج هي محل شغل هنري وفيها تماثيل عديدة من الجبس بعضها تام وبعضها في اول صنعهِ . ورأيت في وسط الغرفة ستارًا تحيط بتمثالٍ مرتفع فعلمت ان هذا هو التمثال الذي دعاني لمرآهُ وكان الى جانبٍ من الغرفة اناءٌ كبير ملآن بالجبس المائع واناءٌ آخر فيهِ مآء واسطوانة حديدية فارغة طولها كطول قامة انسان فعلمت ان هنري يستعد لسكب تمثالٍ جديد

ثم ان هنري استأْذنني في غيبة خمس دقائق قائلاً اعذرني يا جورج فاني ذاهب لاحضر شيئاً من الشراب اذ ليس عندي احد من الخدم هنا. ولما خرج من الغرفة لاحظت في هيئتهِ وكلامهِ ما يدل على قلقٍ عظيم وخشيت للمرة الاولى من البقآء عندهُ لكني لم اكد اطلق لافكاري العنان حتى

عاد ضاحكاً ومعهُ زجاجتا شراب وكأسان فجلسنا الى مائدة وشربنا اولاً وثانياً وثالثاً على ذكر صداقتنا القديمة واجتماعنا الاخير . ثم سكب الكاس الرابعة وقال اشرب هذا بسرّ التمثال الذي ستراهُ فشربنا ونهض للحال فكشف الستار عن التمثال ولا اقدر أن اصف ما ألمّ بي حين رأيتهُ فانهُ كان تمثال خطيبتي لوسيا ومع علمي انهُ تمثالٌ كدت اظن انهُ هو نفس لوسيا لشدة مطابقتهِ لها . ثم التفت اليّ فقال قد صنعت هذا التمثال لاهديهُ لك فانك احق الناس باحرازهِ ولعلهُ يبرهن لك على صفآء ضميري من جهتك وتاكد سلامة قلبي . ثم سكب كأساً اخرى وقال اشرب فأخذت الكأس وشربتها قائلاً هذه الكاس اشربها نخب صداقتك ونخب لوسيا التي ستكون زوجتي بعد قليل . وبعد ما شربتها شعرت بألم خفيف في معدتي فقعدت على الكرسي ونظرت فاذا بهنري قد جحظت مقلتـاهُ واتقدت حدقتاهُ وطار من عينيهِ الشرر ونظر اليّ نظرة الوحش المفترس وصاح خسئت ايها الوغد فلن تدرك من لوسيا قلامة ظفر . لقد رماك القدر في يدي فسأسحقك بنعلي كما سحقت تمثالك من قبلك . فنهضت مسرعاً لامسكهُ قبل ان يخرج عياراً ناريًا او آلةً اخرى قتالة ولكن وا اسفا كان قد استعمل سلاحهُ قبل ان انتبه وجرَّعني في الكاس الاخيرة دوآء منوّماً لاني لم اقف حتى شعرت بضبابة سودآء قد غطت عينيّ وعقبها انحلالٌ عام في جميع اعضآئي فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً . . . .

ولم اشعر بعد ذلك الا بقوة تضغط على صدري فاستيقظت وكان قد لاح الصباح فوجدت نفسي واقفاً في وسط الاسطوانة المذكورة آنفاً وهي

ملأى الى عنقي بالجبس الرطب وكان قد اخذ يتحجرُ وهو يضغط على جوانبي وصدري ويديَّ ضغطاً مؤلماً ولم يبقَ مني خارجاً عن الجبس سوى رأسي من العنق فما فوق. وكنت في وقوفي هذا بازآء تمثال لوسيا المذكور فصحت بهِ اواه اين عيناكِ يا لوسيا تريان حبيبكِ جورج . واذا بهنري قد جاء ضاحكاً مقهقهاً ثم وقف امامي فقال ها قد جمد الجبس عليك يا جورج واصبحت انت والاسطوانة قطعةً واحدة فسأتركك هنا امام تمثال لوسيا تمتع نظرك بمحاسنها الى ان تموت. ولا يخطرنَّ ببالك الخلاص من هذا القالب او المدفن فاني قد ارسلت كل خدمي منذ اول امس ولن يكون احدٌ منهم هنا قبل شهرين وسأسافر انا ايضاً في هذه المدة فستموت على تمام التأني والراحة في محلك هذا الذي لن تتخلص منهُ ما لم يأتِك ملكٌ من السمآء . وادركت قوة كلامهِ وعرفت موقفي وايقنت بالهلاك فاخذت ابتهل اليهِ واستعطفهُ واستحلفهُ بالشرف والصداقة فلم يجب بكلمة بل ضحك ساخراً ثم خرج وانا اسمع وقع قدميهِ الى ان بلغ الباب الخارجي فاقفلهُ وراءهُ وبقيت مكاني انتظر حلول اجلي

وكان السكوت سائدًا حولي وانا في تلك الحال فهلع قلبي ورأيت تمثال لوسيا ينظر اليَّ صامتاً فكدت أُجن ثم اعملت الفكرة لأجد لي مناصاً فلم ارَ وخطر لي ان اجتهد بأن أُسقط نفسي على الارض عسى ان يتكسر الجبس عني واتمكن من اخراج يديَّ فوجدت ان الاسطوانة مثبتة في الارض لا تتقلقل . وحينئذٍ يئست من النجاة وتأهبت لمقابلة الموت فشخصت الى تمثال لوسيا لأتزود من منظرها. وكان قد مال النهار واخذ الجوع مني مأخذاً

عظيماً وتضايقت من اشتداد الضغط على جسمي وكانت الضبابة السودآء تتكاثف امام وجهي وشعرت باقترابي شيئاً فشيئاً الى نهاية الحياة. وهناك تبادر الى مخيلتي تذاكارات كثيرة غبتُ بها عن عالم الحقيقة ودخلت ببطء في باب الموت . . . .

واني لكذلك واذا بصكَّةٍ شديدة فوق رأسي عقبها تكسر الزجاج وسقوط بعض كسرهِ امامي فنظرت الى السقف فاذا برِجل انسان متدلية الى داخل الغرفة فصحت بالنفس الاخير من هذا. ثم سمعت قائلاً يقول ارجو منك المعذرة يا سيدي واسألك ان لا تؤاخذني على ما جرى فلم يكن عن تعمدٍ واذا شئت فاني اعدك بالشرف اني اعود الى هنا غداً او بعدهُ فاعوض ثمن الزجاج الذي كسرتهُ . ورأيت ان القائل يجتهد في تخليص رجلهِ من الزجاج ليذهب من حيث اتى وتذكرت كلمات هنري انهُ يستحيل خلاصي ما لم ياتي ملك من السمآء. وشعرت بقوةٍ تجددت فيَّ فصحت بالرجل ان لا تذهب يا هذا وتعالَ انقذني فاني في خطر . فلم يصدق الرجل بل ظنني استدعيهِ لاقتصَّ منهُ على كسرهِ الزجاج فاخذت استغيث بهِ بصوتٍ يليّن الجماد حتى اقتنع فقال افتح لي الباب اذاً لادخل عليك. قلت لا يمكنني ذلك فاكسر الزجاج الباقي وهلمَّ اليَّ باسرع ما يمكنك فانا في الدرجة الاخيرة . ولما رأى شدة الحاحي كسر من الزجاج ما يمكنهُ من المرور ووثب الى داخل الغرفة ولما رآني على تلك الحالة تعجب شديداً وسألني عن شأني فقلت سأُخبرك بكل شيء فاجتهد ما استطعت بتكسير هذا القالب وتخليصي فانهُ لم يعد يمكنني التنفس . فشمَّر الرجل عن ساعد الهمة

وبعد تعب ليس بقليل تمكن من تخليصي فكسر الجبس عني حتى خرجت من الاسطوانة ثم نزعت ثيابي ودخلت حمّام البيت فاغتسلت وبعد ان استرحنا قليلاً جلسنا فسردت عليهِ قصتي بتمامها فتعجب غاية العجب وقال لا شك ان الله ارسلني اليك لانقاذك . وعلمت منهُ انهُ استاذٌ فلكيٌّ يزاول الاكتشافات الجوية في منطاد يركبهُ من محلٍ مخصوص بقرب باريز وانهُ في ذلك اليوم عصفت عليهِ ريح شديدة فعطّلت بعض ادوات المنطاد فلم يتمكن من قيادتهِ الى حيث شاء بل ساقتهُ الرياح رغماً عنهُ والقتهُ على سطح البيت فكان ما ذكرناهُ . فحمدنا كلانا الله على تدبيرهِ وخرجنا من ذلك الجحيم ثم ودعت الاستاذ شاكراً وعدت الى النزل الذي كنت فيهِ وكان هذا الامر قد اضرّ بصحتي فانا لم ازل تحت المعالجة وانتظر نهاية هذا الشهر لأعود الى انكلترا فأقترن بلوسيا حسب الوعد

وكان وليم وزوجتهُ يعجبان من رواية جورج فهنآهُ بسلامتهِ واقام عندهما اياماً وفي نهاية الشهر رجع الى انكلترا فاقترن بلوسيا وعاد فقضى عند صديقيهِ شهر العسل

اما هنري فكان قد تغيب مدةً ولما عاد علم بما جرى من خلاص جورج واقترانهِ وكان الامر قد وُضع في يد الحكومة وشددت المراقبة لالقاء القبض عليهِ فلما بلغهُ ذلك عزم على السفر سرّاً غير ان مراقبي الحكومة لم يدعوا لهُ سبيلاً للهرب فقبضوا عليهِ وساقوهُ للمحاكمة فحكم عليهِ بالسجن المؤبد وبالاعمال الشاقة

لغة الجرائد

(تتمة ما في الاجزاء السابقة)

ولقد اطلنا في هذا الفصل الى حدٍّ لم يكن في النية بلوغهُ ولعلهُ ادّى الى سأم بعض القرّاء وان آنسنا من جمهورهم تلقيهُ بالهشاشة والارتياح . على انهُ قد بقي من مثل ما اوردناهُ شيءٌ كثير حتى اننا لا نكاد نتصفح مقالةً من جريدةٍ او مجلة او فصلاً من كتابٍ عربيّ او معرَّب الا نجد فيهِ مواضع حريةً بالتنبيه بحيث لو اردنا تتبُّع كل ما نراهُ مخالفاً للصحة لزم ان لا نختم هذه المقالة . ولذلك فانّا نأمل ان يكون ما ذكرناهُ في هذه النبذة كافياً لان يدعو اذكياء كتابنا ومن يهمهُ منهم تصحيح لغتهِ وتنزيهها عن شوائب الاوهام ان يتنبهوا لتولي ذلك بانفسهم ومراجعة نصوص اللغة فيما يشتبه عليهم من الالفاظ فان ذلك اجدى عليهم واوسع فائدةً من تنبيههم على كلمةٍ كلمة وكثيراً ما تتفق لهم الفائدة يتناولونها عن غير قصدٍ فضلاً عما يرتسم في ملكاتهم من فصيح الاساليب التي تتكرر عليهم في تلك الاسفار . ولا يتوهمنَّ ان الوصول الى اصلاح تلك الهفوات يقضي عليهم باستيعاب موادّ اللغة حتى يكونوا جميعهم لغويين كما لا يلزمهم ان يدركوا الغاية منهُ في يومٍ واحد ولا في شهرٍ واحد ولكن لو استثبت احدهم صحة كلمةٍ واحدة في اليوم لم يأتِ عليهِ الا زمنٌ قليل حتى يخلص كلامهُ من اكثر تلك العيوب

وهنا نرفع كلمات شكرنا الى حضرات رصفآئنا الادباء لما آنسنا فيهم من الاقبال على ما كتبناهُ في هذا الفصل والحرص على تتبعهِ والعمل بهِ وما قلدنا بهِ جميل رأيهم من احماد صنعنا وتقريظهِ مع تفضل بعضهم بنقل

تلك المآخذ على صفحات جرائدهم سعياً في زيادة انتشارها وتعميم نفعها .
بيد أنا لا بدّ لنا ان نشير في هذا الموضع الى اناسٍ منهم لم نبرح الى يوم
كتابة هذه السطور نرى تلك الاغلاط تتكرر في كلامهم فنجد في الفاظهم
امثال المائلة ولا يخفاك وصادق المجلس على كذا والقوم الأغراب وامعن
النظر وأسدل الستار والاعيان المباعة والمداولات في القضايا ورضخ الى
النصيحة والوحوش الكاسرة وامكن لي نوال الشيء وشاع الامر في النوادي
الى غير ذلك مما سبق لنا التنبيه عليهِ وهذه كلها مما نقلناهُ من عددٍ واحد
من احدى الجرائد . وما كان اصلاح هذه الكلمات بالامر البعيد على هذا
الكاتب لو شاء الاصلاح اذ لم يكن عليهِ الا ان يعير انتباههُ لما مرّ بهِ
من المآخذ المذكورة وهي لا تتعدى العشر الى الخمس عشرة كلمة في كل مرة
ولكن الظاهر ان بعض كتابنا يعز عليهم الاقلاع عما تعوّدوهُ من الركاكة
والخطاء شأن البلاد في سائر ما ألفتهُ حتى في صناعتها وزراعتها وتربية ابنائها
ومعالجة ادوائها وشديدٌ على الانسان ما لم يعوّد . ولعلّ هناك مَن جذب
بعنانهِ الكبر والدعوى فتمثل لهُ ان في التصحيح اعترافاً بالغلط فآثر ان
يمضي على غلطهِ ايهاماً وتغريراً ومكابرةً في الحقائق مع ان كل من تصفح
كلامنا في هذه المقالة يرى اننا قد تحامينا كل ما يبعث على الأنفة ويدعو
الى الإباء . لانا لم نومئ الى واحدةٍ من تلك الجرائد بعينها ولم نكد ننقل من
احداها عبارةً بحرفها مخافة ان يُتنبَّه الى موضع النقل فيفوتنا ما قصدناهُ من
اقبال الكتّاب على تصحيح كتاباتهم وما ننويهِ من صدق الخدمة واخلاص
القصد في تقويم أوَد اللغة وهو الغرض الذي طالما توخيناهُ وسعينا لهُ منذ

القينا العصا في هذه الديار وآنسنا فيها من حركة الاقلام وانتشار المطبوعات ما آذن بتجدد حياة اللغة ورأينا من تفشي التحريف واللحن والصيغ العامية والاعجمية ما خشينا معهُ ان يكون ذلك الانتماش في اللغة مدرجةً الى تأصل الفساد فيها بما يتعذر اقتلاعهُ . وكان اول ما توجهنا لهُ أن عزمنا على استئناف طبع كتابنا في المترادف الذي سبق الالماع اليهِ في احد اجزاء الضياء ووضعهِ بين ايدي الكتاب والدارسين ايثاراً لهم بما يتضمنهُ من وجوه التمييز الصحيح في اكثر ضروب المعاني المتداوَلة واحياء لكثير من ميّت الفاظ اللغة وتراكيبها التي انقطع عهد الاقلام بها منذ قرون . فلما اخفق السعي فيهِ وجّهنا القصد صوب المجمع اللغويّ الذي كان قد شُرع في تأليفهِ في هذه العاصمة رجاء ان نستنهض الهمم الى استئناف العمل فيهِ وشرعنا في مقالتنا اللغة والعصر نبين فيها ما وسعهُ علمنا القاصر من طريقة العرب في وضع الفاظ اللغة واشتقاق بعضها من بعض تذرُّعاً بذلك الى وضع الفاظٍ للمعاني المستحدثة مما كان غرض المجمع المشار اليهِ فكان كل ما سطّرناهُ في هذا السبيل صرخةً في واد او نفخةً في رماد . ورأينا ان البحث الذي خضنا فيهِ هناك اذا لم يترتب عليهِ بحثٌ عمليٌّ مما تقدم الايماء اليهِ اقتصرت فائدتهُ على بعض الخاصة والمتبحرين في اللغة وقليلٌ ما هم فاهملنا تتمة الكلام فيهِ وعدلنا الى انتقاد لغة الجرائد وبيان ما انتشر فيها من الاغلاط الشائعة مع الاشارة الى وجوه تصحيحها علماً بان هذا من اسهل سبل الاصلاح واقربها لأَنا لم ننحُ فيهِ منحى القواعد الكلية كما فعلنا في مبحث اللغة والعصر ولعلّ هذا وقد آنسنا فيهِ مخايل النجح يكون تمهيداً لما هو اهمّ منهُ مكاناً واعمّ

منفعةً ان شآء الله تعالى والامور مرهونةٌ باوقاتها

وقبل ان نمسح القلم من هذا الفصل لا بد لنا من ذكر امرٍ فاجأتنا بهِ احدى المجلات الادبية بما لم نتوقعهُ ولعل ذكرهُ لا يخلو من فائدةٍ وتبصرة . وذلك ان بعض رصفآئنا الالبآء توهم اننا نريد من هذا البحث مناقشة اصحاب الجرائد فقام يردّ علينا ويتمحل الحجج والاعذار تصحيحاً لبعض ما نبهنا عليهِ من الاغلاط - ولعلهُ توخى منها ما كان قد اتفق لهُ السقوط فيهِ - فكدّ ذهنهُ واسهر جفنهُ في البحث وتقليب الصحف ثم جآءنا بامورٍ كانت ابلغ في الدلالة على ما اجتهد في التبرُّؤ منهُ وحاصلها تخريج بعض تلك الاوهام على بعض المذاهب الساقطة واحالة بعضها على بعض اللغات المتروكة وتوجيه بعضها على وجوهٍ من التأويل والمجاز مما نحن اعلم بهِ ومما هو بعيدٌ عن غرضنا بمراحل . وقد علم كل من اطلع على كلامنا من ذوي البصائر أنا اوردنا ما اوردناهُ من المآخذ بقصد التنبيه الى ما ينبغي اجتنابهُ فيما يُكتَب لا بقصد التخطئة لما قد كُتب ولو ذهبنا الى التخريج والاعتذار كما يريد هذا الاديب لما كتبنا في هذا المعنى حرفاً اذ قلما تجد تركيباً مخالفاً للصحة الا ولهُ وجهٌ يُردّ اليهِ ولو حملاً على بعض شواذ الكلام وحينئذٍ فعلى اللغة السلام . على ان التخريج انما يُنحى فيما يصدر عن قائلهِ سهواً او لضرورةٍ لا فيما يُرتكَب عن جهلٍ او في سعةٍ من اجتنابهِ ولا على ان يُجعَل قاعدةً يسوّغ بها ركوب الشطط ثم تُتكلَّف لهُ الاعذار الباردة والحجج الواهنة وهذا القدر كافٍ في هذا المقام والسلام على من اتّبع الهدى

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

(تابع لما في الجزء السابق)

ومن قبيل التعاضد تكادُم الخيل وتلاحُس البقر المصابة بالاكلان او الحكّة واشتراك القرود في نزع الحلميات من اجسامها واقتلاع الشوك من ارجلها . وذكر بَرَهْم انهُ عقيب مرور سرب من القرود في محل شائك يتمدد كل فردٍ منهُ على غصن ويأتي آخر فينزع الشوك منهُ . وبعض القرود اذا آنست غنيمةً تحت صخرٍ تحيط بهِ وتقلبهُ متعاضدةً وتشترك جميع افرادها بعدئذٍ في اقتسام ما تجدهُ من الحشرات . والجاموس الاميركي عند ما يشعر بالخطر يسوق اناثهُ وصغارهُ الى وسط القطيع وتدافع الذكور منهُ عن الجوانب . وروى ايضاً انهُ التقى في الحبشة بقطيع من القِرَدة فهرعت جميعها امام كلابهِ وتسورت اكمةً كانت امامها الا صغيراً منها كاد يذهب فريسةً للكلاب فاستنجد برفاقهِ فعادت شرذمةٌ منها فاغرةً افواهها وهاجت الكلاب فدحرتها واستاقت مستغيثها الى الاكمة سالماً .

فيرى مما تقدم انهُ لا ريب في تحابّ الحيوان وتعاضدهِ جرياً على مقتضى المرشد الادبي او الضمير . اما كونهُ يشترك في الاحزان فمسألة لم يقم عليها الى الآن دليل على انهُ قد رؤي ان البقر اذا مرت بميتٍ او محتضَرٍ من نوعها وقفت من حولهِ تحلق اليهِ وتتأمل فيهِ ولكن ما من احدٍ يعلم ما يدور في خلدها اذ ذاك

والحيوانات تشفق بعضها على بعض مثل الانسان وكثيراً ما شوهد

بعض الغربان يطعم زاغاً اعمى ورأى بعضهم ابا حوصل على جزيرة ملح مقفرة وكان عاجزاً وسميناً مما يدل على انهُ كان عائشاً على الاحسان . بلى لا ينكر ان الحيوانات قد تطرد جرحاها من القطيع او توردها حتفها ولكن ذلك قد يكون تحوُّطاً كي لا تهتدي اليها الضواري فتطاردها وعلى فرض غير ذلك فعملها هذا ليس بافظع من المنكرات التي يقترفها هنود اميركا الشمالية الذين يتركون رفاقهم يهلكون في القفار او الفوجيون الذين يئدون والديهم اذا داهمهم المرض او ادركهم الهرم

وفضلاً عن المحبة والشفقة والميل الى التعاون والامانة الجلية الظهور في الكلاب فللحيوانات ادبياتٌ اخرى كثيرة ولبعضها مسيس بالضمير كأنفة بعض الكلاب من سرقة الطعام في غياب مواليها . ولما كانت الحيوانات في جهادٍ مستمرّ وحرب دائمة كانت الطاعة والامانة وبذل الرغائب الشخصية من لزوميات كل مجتمع منها للغلبة في الجهاد في سبيل الحياة او تنازع البقاء . والا انتثر عقد شملها وآل تشتيتها الى الدمار . فالقرود في الحبشة عند ما تخرج للسطو على بستان تتبع قائدها بكل هدوٍ وسكينة واذا زقا احد صغارها لطمهُ الذي بجانبهِ ليعلّمهُ السكوت عند الحاجة ويدرّبهُ على الطاعة . والحيوانات كالانسان تكتسب ملكاتٍ او غرائز بالعادة المستمرّة او بالارث او بانضمام سلائق وقوى اخرى من مثل الاختبار والتعاطف والميل الى المهاجرة وغير ذلك . وقد تتضارب هذه الغرائز فيتغلب بعضها على البعض الآخر كتغلب الميل الى المهاجرة على المحبة الوالدية كما يشاهد في السنونو التي اذا حان اوان المهاجرة تركت فراخها في العش وهاجرت

فيتضح مما تقدم ان الحيوانات تشترك مع الانسان في الحاسة الادبية التي ينكر بعضهم كونها فطريةً فيهِ بدليل ان بعض المتوحشين في استراليا لا توبخهم ضمائرهم على القتل فاذا ماتت زوجة احدهم لا يهدأ لهُ بال حتى يقتل امرأة من قبيلةٍ اخرى فديةً عن نفسها وكذلك هنود اميركا يفضلون قتل الغريب على الزواج بابنةٍ من ذوي قرباهم ويمدحون السارق على فعلهِ . وامثال ذلك كثيرة مما يدل على ان الضمير خاضع لناموس النشوء والارتقآء بطريق الارث والكسب كما يشاهد في كثيرٍ من الأُسَر المتمدنة التي تتوارث الميل الى السرقة أو الكذب فيصير هذا الميل شمار غالب افرادها ولو كانت من ذوي الثروة والتأدب

وخلاصة ما يستنتج مما تقدم ان المبدأ العقلي عامٌ في جميع انواع الحيوان وان العجماوات منهُ تشترك في كل ما يفتخر بهِ الانسان من الحواس والبداءه والقوى المختلفة كالمحبة والذاكرة والانتباه وعزة النفس والتقليد والشفقة والانعطاف والتعاضد اما بالسليقة او بطريقة الكسب فسبحان من اعطى كل شيءٍ خلقهُ ثم هدى

عمدة الصفوة في حلّ القهوة

(تابع لما في الجزء السابق)

وفي سنة خمس واربعين بينما جماعةٌ في بيوت القهوة يستعملونها في شهر رمضان بعد العشآء وافاهم صاحب العسس اما من تلقآء نفسهِ او بامرٍ أُوحي اليهِ واخرجهم منها على هيئةٍ شنيعة بعضهم بالحديد وبعضهم مربوط

بالحبال فباتوا في منزل السو باشاه ثم أُطلقوا صباحاً بعد ان ضُرب كل واحد منهم سبع عشرة ضربة ثم لم يلبثوا ان ظهر الحق وعاد الحال لما كان عليهِ اولاً بعد يومين او نحوهما

وورد في سنة الخمسين وتسعمائة في موسم الحاج صحبة الركب الشامي الى مكة حكمٌ سلطاني بمنع القهوة وابطالها والزام باعتها بمنع التسبب بها وابطال محالها وذكر ان السبب في ذلك شكوى امرأةٍ رومية كانت مجاورة بمكة قبل ذلك فأُشهر النداء بابطالها والتحذير من السلوك بهذه الطرق وامتُثل جيعهُ يوم النداء . ثم تعددت بيوتها على غير مبالاةٍ من الولاة وشُربت في تلك السنة جهاراً ودام استمرارها وكذلك مُنعت بالقاهرة مراراً فلم تطل المدة وعلا منارها ولم يزل امرها ظاهراً وتمداد بيوتها وافياً مشتهراً ويشربها العلماء والصلحاء واماثل الفقهاء ويقرّ عليها اهل الافتاء والتدريس ويواظب على شربها من وُصف بالفضل وكل رئيس بالجامع الازهر والبقاع وفي سائر الايام والاوقات على الحالات الصالحة والاجتماعات للأذكار في الليالي وانتظام سلك البركات وطالما شربتها مع اجلاء اهل الحرمين في يوم عرفات المعظم واجتماع الموقف المكرم التماساً لاذهاب الكسل وقوّة النشاط والاعانة على الدعاء والوقف والرفع وغير ذلك مما يرتبط بصالح العمل . والذي اقولهُ ان الحق الذي لا مراء فيهِ ولا شبهة تعارضهُ وتنافيهِ انها في حدّ ذاتها حلال وبها نشاطٌ على العبادة لا يشوبهُ نقصٌ ولا اختلال واما الامور المستجدّة من هيئة بيوت باعتها واجتماع اهل المحظور فيها مع ذويها وجماعتها واضافة ما لا يباح الى ذاتها بالاوصاف

التي اشتهرت بين البريّة فلا يبيحها من لهُ ادنى المام بمعرفة الاحكام الشرعية . والخمر فانما حرُم بعد حل قطافهِ لاشتمالهِ بعد ذلك على قبيح الاوصاف التي يحدث منها ايقاع العداوة والبغض والصدّ عن ذكر الله والصلوة والتساهل فيها والاغضآء . فقبح الاوصاف يحرّم ما كان مباحاً بلا خلاف

الباب الثاني

في سياق المحضر الذي كُتب في شأن القهوة بمكة وشرح المرسوم السلطاني الوارد جواباً عما نُعِت بهِ من الصفة وذكر فتاوى العلمآء بالحِلّ والحرمة واقوال ذوي المعرفة

واما المحضر فنصّ المقصود منهُ هذه صورة واقعةٍ شرعية مضمونها ان مولانا المقام الشريف ابا النصر قانصوه الغوري لما اقامهُ الله خادماً للحرمين جعل الجناب العالي خاير بك المعمار ناظار الحسبة بمكة وباشاً على المماليك السلطانية فكان مما اتفق لهُ انهُ في يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة سبعة عشر وتسعمائة صلى العِشآء الآخرة بالمسجد الحرام مع الجماعة على عادتهِ ثم طاف بالكعبة ما بدا لهُ وابتدأ بتقبيل الحجر الاسود وختم بهِ والتزم بالملتزَم ودعا بما بدا لهُ ثم صلى خلف المقام ركعات الطواف ودعا بما بدا لهُ ثم شرب من مآء زمزم ودعا كذلك ثم توجه من المطاف الى بيتهِ فرأى في طريقهِ اناساً مجتمعين بالمسجد الحرام في ناحيةٍ قد جمعهم السيفيّ قرقماس الناصري بزعمهِ انهُ قد عمل مولداً للنبي صلم فقبل وصولهِ اليهم طفوا الفوانيس التي كانت موقودةً فارسل اليهم وكشف امرهم فوجد بينهم شيئاً يتعاطونهُ على هيئة الشَرْب الذين يتعاطون المسكر ومعهم كأسٌ يديرونهُ ويتداولونهُ بينهم وقرقماس هو الساقي لهم بالقدح . فلما علم الامير

ذلك انكرهُ خصوصاً ووظيفتهُ الحسبة التي موضوعها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فسأل عن الشراب المذكور فقيل لهُ انهُ شرابٌ اتُّخذ في هذا الزمان وسُمّي القهوة ويُطبخ من قشر حبّ يأتي من اليمن يقال لهُ البن وقد فشا امرهُ بمكة وكثر وصار يباع في مكة على هيئة الخمارات ويجتمع عليهِ بعض الناس من رجالٍ ونسآء بدفٍّ ورباب وغير ذلك من الملاهي ويجتمع عليهِ في الاماكن التي يباع بها من يلعب بالشطرنج والمنقلة وغير ذلك مما هو ممنوع بالشريعة . فلما سمع الامير ذلك انكرهُ وتذكر قولهُ تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشآء والمنكر وقولهُ صلعم من رأى منكم منكراً فليغيرهُ بيدهِ فان لم يستطع فبلسانهِ فان لم يستطع فبقلبهِ فانكر على الجماعة المجتمعين وفرّق شملهم ولما اصبح جمع قضاة الاسلام وعلمآء الانام ممن يُقتدى بقولهم من السادة الشافعية والمالكية والحنفية فحضر مولانا قاضي القضاة النجميّ المالكيّ وتعذر حضور قاضي القضاة نسيم الدين المرشديّ الحنفيّ لضعفٍ اوجب انقطاعهُ وحضر الشيخ شهاب الدين فاتح البيت الحرام والشيخ عفيف الدين عبد الله اليماني الحضريّ الشافعيّ المعروف بأبي كثير والشيخ الامام عبد النبيّ المغربيّ المالكيّ وجماعاتٌ كثيرة واحضر القهوة في مركنٍ كبير والكاس معهُ وفاوضهم الامير خاير بك المشار اليهِ في امر القهوة واجتماع الناس عليها على هذه الهيئة المشروحة فاجابوا اجمعين بان اجتماع الناس عليها على هذه الهيئة حرامٌ اتفاقاً يجب انكارهُ على كل قادرٍ عليهِ واما الحبّ المسمى بالبنّ المذكور فحكمهُ حكم النباتات والاصل فيهِ الاباحة لقولهِ تعالى خلق لكم ما في الارض جميعاً

فان كان يحصل من مطبوخ قشرهِ ضررٌ في البدن او العقل او يحصل بهِ نشأة او لذة او طرب فانهُ حرام ولو استعملهُ الانسان بمفردهِ داخل بيتهِ والمرجع في ذلك الى الاطباآء . فاحضر الامير خاير بك الشيخين الامامين الملامتين الشيخ نور الدين احمد العجميّ الكازرونيّ واخاهُ علآء الدين علي وهما من اعيان الاطبآء في مكة وسألهما عن هذا البنّ المتخذ من قشرهِ هذا الشراب فذكرا انهُ باردٌ يابس مفسد للبدن المعتدل فاعترضهما شخصٌ من الحاضرين ممن ليس لهُ المامٌ بالطب وقال ان البن مذكور في منهاج البيان وانهُ محرقٌ للبلغم فقال الطبيبان ان البن المذكور في المنهاج ليس هو هذا فان هذا جزء مفردٌ بسيط وذاك مركب من ابازير وهذا ولو كان مباحاً فقد جرّ الى معصيةٍ وكل طاعةٍ جرّت الى معصيةٍ سقطت فاذا دار الامر بين المحرّم والمبيح قُدّم المحرّم واباما شهادتهما بصيغة اشهد المعتبرة لدى مولانا شيخ الاسلام الصلاحيّ الشافعيّ ومولانا شيخ الاسلام النجميّ المالكيّ . ثم ذكر جماعةٌ من الحاضرين بالمجلس ان القهوة المذكورة ذُكر لهم انها حلال فاستعملوها بنآء على الاباحة الاصلية فتغيرت حواسهم وعقلهم فحصل لذلك ضرر في ابدانهم واقاموا شهاداتهم بذلك عند من أُشير عليهم بحضرة الجماعة الحاضرين . ثم رُوجع ذلك في دار قاضي القضاة نسيم الدين الحنفي لتعذر حضورهِ فقال انهُ اقيم عندهُ البينة بمثل ذلك وحصل منهُ التصريح بحرمتها ثم صرّح شيخ الاسلام النجميّ المالكيّ والجماعة الحاضرون بحرمتها وحصل اجتماعهم على ذلك . ولما تم الامر وتحققهُ الامير خاير بك المحتسب اشهر الندآء بمكة ونواحيها وطرقها بمنع القهوة المذكورة ومن يتعاطاها

وانفصل الامر على ذلك وجُمل كلهُ في الصحائف ضحوة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة سبعة عشر وتسعمائة

(ستأتي البقية)

العاج

لا يخفى ان العاج من اثمن المواد المستعملة في الصناعة وهو قديم الاستعمال من عهدٍ بعيد وكان الاولون ينحتون منهُ تماثيل آلهتهم ويتخذون منهُ ضروباً من الحلي كالخواتم والدمالج مما لا يزال يُرى الى يومنا هذا عند سكان الشواطئ الشرقية من افريقيا • وقد وُجد منهُ في مدافن المصريين والهنود أدوات محكمة الصنعة من اقدم عهد وكان الاسرائيليون يزينون بهِ اثاثهم وابنيتهم كما ورد ذكر ذلك غير مرةٍ في التوراة ولا يزال استعمالهُ جارياً الى اليوم في المصنوعات النفيسة في اكثر انحاء الارض

والعاج يُتخَذ من انياب الفِيَلة وافضلهُ العاج الافريقي وهو اصلب اصنافهِ واوزنها وانسبها مكسراً الا ان العاج السيامي يمتاز عليهِ وعلى سائر اصناف العاج بانهُ لا يصفرّ على تقادم العهد واما العاج الهندي فافضلهُ السيلاني ولونهُ ابيض الى الحمرة وهو ألين من العاج الافريقي • ثم ان العاج انواع منها الابيض وهو اشهرهُ واعرفهُ ومنها الاخضر وهو يؤخذ من بعض الانياب الحديثة اذا نُشرت طولاً فانهُ يوجد فيها اجزاء شفافة تضرب الى اللون الزيتوني ولذلك تسمى بالعاج الاخضر وهو يؤثر كثيراً في عمل المصنوعات الدقيقة لما فيهِ من اللين وسهولة النحت والحفر وهو يبقى كذلك

الى حين ثم يتصلب ويتغير لونهُ فيصير ناصع البياض ولا يصفرّ بملامسة الهوآء . ومنها العاج الازرق وهو المتخذ من الانياب المتحجرة ويكون على الغالب من انياب الماموث واكثر ما يوجد في اراضي الروسية وما فيهِ من الزرقة مكتسبٌ من بعض الاملاح المعدنية في جوف الارض

واعظم الانياب حجماً ناب الفيل الافريقي ولذلك يؤثر على غيرهِ في الصناعة وثقلهُ يبلغ احياناً من ٨٠ الى ١٠٠ كيلغرام الا ان هذا الصنف من الفِيَلة آخذ في الاضمحلال لان ما يُقتَل منهُ في السنة يبلغ نحوًا من خمسين الف فيل بحيث يقدّرانهُ لا يمرّ زمنٌ طويل حتى ينقرض من اصلهِ . ويقدَّران ما يُجلَب الى اوربا من العاج يبلغ ٢٥٠٠ وسق في السنة تباع في اسواق لندرا وليفربول وانفرس ويباع مثل هذا المقدار في آسيا والناب الذي تبلغ زنتهُ ٥٠ كيلغراماً يساوي من ١٥٠٠ الى ١٨٠٠ فرنك

وخلا العاج الطبيعي فانهم قد توصلوا الى تركيب عاج صناعيّ منهُ حيوانيٌّ يتخذ من طواحن الفيل واسنان فرس البحر ومنهُ نباتيٌّ يتخذ من لباب ثمرٍ يشبه الجوز يكون في اراضي البيرو من اميركا الشمالية يقال لهُ جوز النخيل او جوز الكوكو وهو سهل النحت قابلٌ لضروب التلوين تُصنع منهُ ادواتٌ شتى لطيفة ومنظرهُ لا يُفرَق عن منظر العاج الطبيعي ولذلك فقد يباع بمثل ثمنه . وقد اكتشف بعضهم طريقةً للتمييز بينهُ وبين الطبيعي وهي ان تُغمس القطعة التي يراد اختبارها في الحامض الكبريتيك المركَّز او يوضع عليها قطرةٌ منهُ ثم يُنظر بعد دقائق قليلة فان لم يتغير لونها فهي عاجٌ طبيعي وان تلون موضع الحامض بحمرة خفيفة فهي

من النباتي وهذه الحمرة تذهب بالغسل بالمآء .

اما صفرة العاج التي تعرض لهُ من طول مباشرة الهوآء فيمكن اذهابها بان يُفرَك بمسحوق مكلَّس الخفان مع المآء ثم يُجعَل وهو رطبٌ تحت قابلة من الزجاج ويعرَّض لاشعَّة الشمس . واذا أُريد بقآء العاج على بياضهِ يوضع في وعآء من الزجاج محكم السدّ بحيث لا يدخلهُ الهوآء فانهُ يبقى كذلك على لونهِ الى ما شآء الله

التبغ والمكروب

الظاهر انهُ لاشيء في عالم الحسّ مما يؤثر في المشاعر والامزجة ويترتب عليهِ لذةٌ او ألم او صحةٌ اومرض الا وفيهِ يدٌ لهذه المخلوقات الخفية المعروفة بالمكروب . فقد جآء في احدى المجلات العلمية الانكليزية ان هذه الجُسيمات هي العلة في جودة طعم التبغ وطيب رائحتهِ وهي انما تتولد فيهِ عند الاختمار الذي هو اهمّ شيءٍ في معالجة التبغ وبدونهِ لا يجود ولا يحسن طعمهُ وريحهُ ولو كان من افضل اصنافهِ . وذلك انهُ عند ما ينضج ورق هذا النبات يُجنى ويُسطَح الى ان يذبل ثم يُجمَع حزَماً وينضَّد بعضهُ فوق بعض حتى يعرق وبعد ذلك يجفَّف ثم يُنضَح بالمآء ويعرَّض للاختمار وحينئذٍ تكون تلك الحزم محلاًّ لتولد ربواتٍ لا تُحصى من المكروب

والذي اكتشف هذا السرّ فيهِ رجلٌ من علمآء الالمان يقال لهُ سكلند ولتحقيق اكتشافهِ عمد الى بعض حزم مختمرة من اجود التبغ الاميركاني المشهور بطيب طعمهِ ورائحتهِ فعزل بعض ما فيها من المكروب

واستنبتهُ ثم ادخلهُ بينهِ في بعض الاصناف الدنيئة من التبغ الالماني فلم يلبث ذلك التبغ بعد انتشار المكروب فيهِ ان اكتسب الخواص المعروفة في التبغ الاميركاني المذكور حتى لم يعد ممكناً لأشد الناس خبرةً باصناف التبغ ان يميزهُ من التبغ الاميركاني ولايجد فيهِ شيئاً من مشابه التبغ الالماني. فان صحَّ هذا كان فيهِ اعظم منفعةٍ ويسرٍ للمدخنين وكان ضربةً فادحة على محتكري التبغ الجيد ولم يبقَ للحكومات الا ان تستعيض عما يفوتها منهُ بوضع ضريبةٍ على المكروب ...

بقي النظر في هل هذا الصنف من المكروب خاصٌّ بأُلفة اوراق التبغ ام ينمو على غيرهِ من سائر اصناف النبات وهذا مما لم يختبروهُ بعد ويقال انهم سيمتحنونهُ في ورق الكرنب فان وفقوا الى النجاح كان لهذا العلم شأنٌ جديد في الزراعة . وقد انشأت حكومة فلوريدا بمساعدة بعض اهل الخبرة من جالية كوبا معملاً لامتحان مكروب التبغ ولا يبعد ان يأتي يومٌ يُتمكن فيهِ من الاستيلآء على هذا الصنف من المكروب واستنباتهِ كما يفعَل ليومنا هذا في استنبات المكروبات التي تتأتى عنها لذة الزبد والجبن

فوائد

طرد الذباب — جآء في احدى مجلاَّت البيطرة ان افضل ما يُطرَد بهِ الذباب عن الدوابّ ان يذاب شحم الخنزير ويُغلى فيهِ شيءٌ من ورق الغار مدة خمس دقائق ثم يؤخذ منهُ بقطعة جوخ ويُدهن جسم الحيوان قبل ان يؤخذ للعمل دهناً مشايعاً للشعر فلا يقربهُ الذباب . قالت وقد امتحن

ذلك الجزّارون في استراسبور بأن طلوا بهِ جدران حوانيتهم فلم يقربها الذباب فيما يقال على الاطلاق

اما لمنع وقوع الذباب على الاثاث الخشبي والمعدني فذكر بعضهم ان افضل ما يستعمل لذلك الدهن بزيت اللاونضة او زيت الغار

تطرئة الجوز — اذا اشتهيت الجوز الطريء في اي وقتٍ اردت من السنة فخذ ما شئت منهُ بقشرهِ واغمسهُ في ماء مملوح ملحاً خفيفاً مدة خمسة او ستة ايام فان الملح فضلاً عن انهُ يمنع الماء من الفساد يزيل ما في الجوز من طعم العفوصة وفي هذه المدة ينفذ الماء شيئاً فشيئاً الى داخل القشرة حتى يبلغ اللباب فينتفش بهِ ويكتسب طراءةً . وعند كسر الجوزة تنزع القشرة الرقيقة عن اللباب كما يُفعَل بالجوز الطريء او الاخضر ولهذه القشرة كما هو معلوم طعم مرارةٍ فبنزعها يخلص طعم اللباب ويكون لذيذاً في الغاية

مرمّة الادوات المصنوعة من المطّاط — تُجمع الاطراف المراد وصلها من هذه الادوات وتُطلى عدة طبقات من المركب الآتي

كبريتور الكربون	١٦
طبَرْخَي (غوتابرخا)	٢
مطاط	٤
غراء السمك	١

وبعد مدّ الطبقة الاخيرة يقارَب الطرفان المراد التحامهما ويُضبطان وهما متلاصقان بان يُعصبا بخيطٍ ونحوهِ وتُترَك الاداة مدة يوم او اثنين ثم يُحَلّ المصاب وان وُجد شيء من اللحام زائداً عن اللزوم يُقشَر بسكين حتى تعود الاداة الى منظرها الاصلي

آثار ادبية

ارجوزة الحِكَم ـ أُهديت لنا نسخةٌ من ارجوزةٍ طويلة تحت هذا العنوان من نظم حضرة الشاعر الاديب الرياضيّ المشهور المعلم اسعد الشدودي جمع فيها امثال سليمان الحكيم فيما ينيف على الف ومئة بيت من الرجز وطبعها محلاَّةً بالشكل الكامل . وذكر في خطبتها انهُ نظمها باشارة بعض الاصدقاء بقصد ان تُرفع الى جلالة امبراطور المانيا عند زيارتهِ لبيروت في اواخر سنة ١٨٩٨ فشرع في نظمها منذ اوائل السنة المذكورة ولما أتمها عرضها على اصحابهِ الشعراء كما كان يفعل زُهير بن ابي سلمى في حولياتهِ المشهورة ولما اطبقوا على استحسانها نسخها بخطّ يدهِ ورفعها الى جلالة الامبراطور فأجازهُ عليها بان أمر لهُ بطبعها على نفقة الجيب الامبراطوري . . .

فنحن نشكر الناظم على ما اطرف بهِ الادباء من هذه التحفة السنية ونحث ارباب المدارس على مقتناها وتلقينها للتلامذة تحقيقاً لهم بما تتضمنهُ من الفوائد الادبية واللسانية

احاديث بسمرك ـ هو عنوان كتابٍ وضعهُ احد نوابغ الكتّاب الالمانيين ممن لازموا البرنس بسمرك عدة سنوات قبل حرب السبعين وفي مدة هذه الحرب وبعدها وقد اودعهُ كل ما دار بينهما من الاحاديث والفكاهات وما سمعهُ من البرنس من الخواطر والآراء السياسية وغيرها فجاء كتاباً لطيف المباحث غزير الفوائد مشتملاً على كثيرٍ من المطالب التاريخية والسياسية حرياً بان يطالعهُ الادباء والكتّاب من جميع الطبقات . وقد عرّبهُ حضرة الاديب الكاتب اللوذعيّ يوسف افندي البستاني منشئ جريدة المحروسة الغرّاء وزاد عليهِ بعض مقابلات بين داهية المانيا واعاظم القرن التاسع عشر فجاء كتاباً كبير الحجم يبلغ نحواً من ٣٠٠ صفحة . وقد شرع في تمثيلهِ بالطبع وتسهيلاً لمقتناهُ عرَضهُ للاشتراك وجعل قيمة النسخة منهُ اثني عشر غرشاً اميرياً . فنثني على حضرة المعرّب ثناء طيباً لما اتحف بهِ المكاتب العربية من هذا المؤلف النفيس ونحث الادباء ومحبي المطالعة على الاشتراك فيهِ واغتنام ما يشتمل عليهِ من الفكاهة والتبصرة

ترجمة المرحوم الشيخ حسن الطويل

تلقينا الترجمة الآتية لفقيد العلم والوطن المرحوم المشار اليهِ من لدن حضرة العلامة المحقق السيّد ميرزا ابي الفضل الايراني نزيل القاهرة فاثبتناها بنصها الفائق قال اعزّهُ الله

وُلد الشيخ المرحوم سنة ست وخمسين بعد المائتين والالف من الهجرة

النبوية في منية شهالة من قرى المنوفية فلما ترعرع شرع في القرآءة وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنوات ودخل الازهر سنة ١٢٦٩ وكان نشيطاً مجتهداً في التعلّم والاخذ فتقدم على اقرانهِ في اقرب وقت . وقرأ الاشموني والسعد على الشيخ احمد شرف الدين المرصفي وغيرهِ من اساتذة الازهر وعلى شيخ الحضاوي في طنطا واتقن فن تجويد القرآن ايضاً فيها . واخذ المعقول عن الشيخ السقآء والشيخ الانبابي رحمهما الله واهل مصر يعبرون عن المنطق والتوحيد والكلام وما يقارب هذه المعارف بعلم المعقول . الا ان الشيخ الطويل رحمهُ الله كان بطبيعتهِ ميالاً الى الفلسفة العقلية فاخذ في مطالعة كتبها وخصوصاً مصنفات الاقدمين كالفارابي وابن سينا وابي علي بن مسكويه وقرأ من كتب المتأخرين مصنفات ابن رشد وامثالهِ فاكمل الفلسفة بالمطالعة ومراجعة الكتب اكثر مما قرأهُ واخذهُ عن الاساتذة بالدرس . وقرأ الفقه والاصول على الشيخ الاكبر الشيخ عليش الشهير رحمهُ الله تعالى . ودخل في الجهادية ايام سعيد باشا خديو مصر فصار عسكرياً بعد ما كان لائقاً للتدريس في الازهر وكان في ايام خدمتهِ في العسكرية متلهفاً على ايام التحصيل والتكميل مظهراً مزيد اشتياقهِ الى الرجوع الى الدرس والبحث مواظباً على الصلوات والاذكار المفروضة والمندوبة حتى في اوقات الخدمات المخصوصة التي لايجوز للعسكري بمقتضى القانون ان يشتغل بغيرها حتى عدُّوها عليهِ من قبيل المخالفة والخروج عن الطاعة خصوصاً حينما رأوا عندهُ خطاً من استاذهِ يأمرهُ فيهِ بالمواظبة على قرآءة آية من آيات القرآن الكريم ليفرّج الله عنهُ ويوفقهُ للرجوع الى تحصيل المعارف والعلوم

فاتهموهُ بالسحر وامر ناظر الحربية بحبسهِ فحُبس في سجن الاسكندرية مقدار شهر او شهرين ثم ارسلوهُ ماشياً الى اسيوط . وبالجملة فانهُ بعد ما تكبد مشقاتٍ في الجهادية وقضى ما عليهِ من الخدمة في العسكرية عاد الى الاشتغال بالمعارف وشرع في التدريس واجتمع لديهِ نبهآء طلبة العلم فأفادهم افادةً مشكورة في العلوم الدينية ومهد لهم الدخول في الفلسفة العقلية . ومما لا يشك فيهِ ان الشيخ رحمهُ الله هو اول من وضع اساس الفلسفة في مصر بعد ما درست معالمها واطفئ نبراسها وقلّت طلابها من زمان بعيد اي من ايام انقضآء الخلافة الفاطمية وتبديل دار الحكمة بامر الملك الكبير صلاح الدين الايوبي بالمدرسة الشافعية فجدد الشيخ ذكرها حتى رغب الطلبة في تلقيها واهتم اهل الاستعداد منهم بتكميلها وازدادت الاشواق كل يوم الى تحصيلها . فلما جآء السيد الشهير جمال الدين الافغاني وجد طرقاً ممهدة ونفوساً مستعدة وقلوباً تائقة وآذاناً صاغية فظن ان هذه الاشواق عامةٌ في قطر مصر فأطلق العنان وتهور في البيان وافرط في الكلام وحدث ما ذكرهُ باقٍ في دفاتر الايام واخيراً اعترف جمال الدين انهُ لم يجد في المصريين اهل استعدادٍ لتلقي العلوم الفلسفية الاَّ تلامذة الشيخ حسن الطويل رحمهُ الله

وكان الشيخ المرحوم مشتغلاً بالتدريس حتى حدثت حادثة العرابي فلما انطفأت هذه الجمرة اتهموا الشيخ بان لهُ يداً في هذه الحادثة فترك التدريس وانزوى الى المبادات التي كان مغرماً بها مدة سبع سنوات . فلما انقضت المدة طلبت نظارة المعارف من الشيخ ان يستأنف التدريس فعاد الى الاشتغال بهِ في

مدرسة دار العلوم وقام بهِ احسن قيام وادّى مهمتهُ هذه اكمل تأدية حتى لهجت بذكرهِ الالسنة وترطبت بمدحهِ الافواه وقد نبغ عندهُ كثيرٌ من تلامذتهِ وتقدموا بسببهِ في فنون المعارف مثل حضرة الاستاذ الشيخ عليّ البولاقي وحضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي البلاد المصرية وحضرة الشيخ راضي الملقب بالكبير وحضرة الشيخ راضي الملقب بالصغير وحضرات الشيخ احمد ابي حطوة والشيخ محمد بخيت وغيرهم من اساطين العلم وكبار اهل الفضل

ولم يُعرَف لهُ رحمهُ الله مصنفات وكان قد شرع ايام تدريسهِ في دار العلوم في تصنيف كتابٍ سمّاهُ « عنوان البيان » فلما كتب جملةً منهُ وقدمهُ الى المرحوم علي باشا مبارك رجل العلم والفضل وموئل ارباب الجدّ والجهد طلب منهُ ان يغير اسلوب التصنيف على وجهٍ رسمهُ لهُ فجاراهُ الشيخ المرحوم في التصنيف وطبع من مصنفهِ هذا بعض كراريس فلما تغيرت اوضاع نظارة المعارف ترك التصنيف والتأليف واكتفى بالتهذيب والتدريس

اما صفاتهُ رحمهُ الله فكان آيةً في حسن الاخلاق ونزاهة الاعمال خافض الجناح على رفعة مقامهِ سهل العريكة على صعوبة مرامهِ وقد عرفناهُ منذ القينا العصا في هذه الديار فالفيناهُ ركناً وثيقاً من اركان العلم والفضل وطوداً باذخاً من اطواد الحكمة والفقه ونوراً مبيناً من انوار الانقطاع والزهد فسررنا بمقابلتهِ واغتنمنا فرص مجالستهِ فما انقضت مدّة من ملاقاتهِ حتى فاجأتهُ المنون ونعاهُ لنا الناعون وفرّق الدهر بيننا وبينهُ الى يوم يبعثون فبكاهُ اهل العلم والفضل وابّنهُ ارباب النظم والنثر

ورأينا من حقهِ علينا ان ندرج في صفحات الضيآء الغرآء طرفاً من تاريخ حيوتهِ وما دار عليهِ من يوم ولاتهِ الى يوم وفاتهِ خصوصاً وان الضيآء التي عبقت بانفاسها الاقطار واستضآء بنبراسها الاخيار مجلة علمية خُصت لنشر آثار فرسان مضمار العلم وتخليد اذكار ارباب الفضل لتكون قدوةً حسنة للمجتهدين ونوراً هادياً للطالبين

وكان رحمهُ الله لطيف المحاضرة حلو المفاكهة حسن البيان طلق اللسان واسع العلم بتفاسير القرآن قلما يتكلم في مسألة عقلية الا ويستشهد فيها بآية قرآنية او حديث من الاحاديث النبوية او اثر من آثار الصحابة من جميل كلماتهم وفصيح عباراتهم وبليغ بياناتهم

ومن صفاتهِ انهُ كان قليل الاعتناء بالماكول والملبوس لا يتأنق ولا يتزين بشيء مع كمال المواظبة على النظافة. ويقال انهُ كان في نفسهِ امل من محمد احمد الخارج في السودان لكثرة ما سمع من اخبار زهدهِ وانقطاعه وتقواهُ مما افسدهُ عليهِ اخيراً خليفتهُ التعايشي ونحن ننزههُ عن هذه النزعة لما رأينا فيهِ من النباهة . وكان لهُ شعرٌ لا يخلو غالباً عن البلاغة والاتقان ولكنهُ لم يكن يبالي بجمعهِ وحفظهِ. وخلاصة القول انهُ رحمهُ الله كان شيخاً عالماً وديعاً وقوراً محترماً محبوباً لدى الجميع ممدوحاً بكل لسان صرف عمرهُ في نشر المعارف وتهذيب نفوس الطلبة الى ان توفاهُ الله تعالى في الثالث والعشرين من شهر صفر القائت امطر الله تعالى على تربتهِ وابل الرحمة وسدل على جدثهِ ستائر المغفرة انهُ قريب مجيب

فكاهات

رواية

الولد الموسيقي [1]

كان في مدينة البندقية من ايطاليا قصرٌ شاهقٌ في بقعةٍ من الارض مكتسية بالعشب الاخضر وفيها حديقةٌ غنآء تحيط بالقصر قد جمعت من اجمل اصناف الازهار وانواع الرياحين وفي وسطها بركةٌ تسبح فيها الاسماك الملوَّنة قد ارتفعت فوقها قبةٌ من الخشب وعلى محيطها مقاعد وثيرة وفي الحديقة تماثيل عديدة من الجبس تمثل اكابر الرجال ومشاهير العلمآء . اما القصر فكان جميل المنظر مبنياً على الهندسة الشرقية وهو مزخرف بالنقوش الباهرة والالوان البهية ولم يكن فيهِ من الاهل سوى شابٍ في الخامسة والعشرين من عمرهِ قد توفي والداهُ وورث هذا القصر الانيق بارجآئهِ الواسعة عن عمهِ الذي توفي ايضاً غريباً ولم يترك لهُ وارثاً يُعرف سوى ابن اخيه هذا المسمَّى اتيليو . وكان جلُّ ما يعلم اتيليو عن اسرتهِ ان عمَّهُ صاحب القصر سافر بغتةً منذ ثماني سنوات ولم يُسمَع عنهُ شيءٌ بعد ذلك سوى ان جرائد البلدة نشرت خبر وفاتهِ فاستولى والد اتيليو على املاك اخيهِ واصبح وارثهُ الشرعي . ثم مرض الاب ومات وتبعتهُ الام فاصبح اتيليو وحدهُ السائد

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

المطلق التصرف في تلك المملكة الصغيرة وهو في السن التي ذكرناها قبلاً

وكان اتيليو يقضي معظم اوقاتهِ في قصرهِ او الحديقة يطالع الكتب التاريخية وكان شديد الميل الى الموسيقى فبرع فيها الى غاية بعيدة واكبَّ على درسها درساً قانونياً فلم يمضِ عليهِ طويل زمن حتى اصبح من اساتذتها الممتازين

وفي ذات يوم جلس اتيليو في حديقتهِ تحت ظلال الاشجار واخذ يضرب على الكمنجة الحاناً شجية فاستمرَّ الى ان غربت الشمس ورآها كانما قد اصفرَّت من ألم الفراق فتذكر قصيدة من نظم فكتور هيكو في وداع الشمس كان قد ألَّف لها لحناً شجياً فاندفع يعزف في ذلك اللحن بمنتهى الدقة وشديد التأثر . فلم يأتِ على نهاية الدور الاول حتى سمع شهقةً مرتفعة بالقرب منهُ فانقبضت يدهُ وتوقف ليرى من اين اتى الصوت وأجال نظرهُ في الحديقة واشجارها فلم يرَ احداً . ثم اطلَّ من باب الحديقة الذي بجانبهِ فرأى عند اسفل الجدار ولداً صغيراً لم يكترث بهِ لاول وهلة غير انهُ لما لم يرَ سواهُ اقترب فاذا هو غلامٌ في السابعة من عمرهِ اسود الشعر بهي الطلعة جميل المنظر ولكنهُ رثُّ الثياب لا قُبَّعة على رأسهِ ولا حذاء في قدميه وهو ملتفٌّ بأطمارٍ بالية وقد تأبَّط كمنجةً صغيرة . فسألهُ ماذا تفعل هنا ايها الصغير . فانتصب الولد واجاب بصوتٍ ضعيف انني اكتسب منك الالحان التي كنت تضربها وقد اثر فيَّ اللحن الاخير جدًّا حتى اوشك ان يُغمَى عليَّ وانا ابتهل اليك ان تعيدهُ عليَّ ايضاً مرة واحدة لاتعلمهُ . قال اتيليو وهل لك إلمامٌ بالموسيقى ايها الصغير . قال ليس لي ادنى المام بغيرها اما اسمي فألبرتو لا الصغير . فتبسم اتيليو وقال تعالَ معي اذاً الى داخل القصر لارى

معرفتك في هذا الفن . ثم قاد الولد الى داخل قصرهِ حتى بلغا غرفةً فجلسا وقال اتيليو هات يا البرتو فأسمعني شيئاً . فاخذ الولد كنجتهُ وبعد ان اصلح اوتارها اندفع يوقّع عليها بعض الالحان بمهارة لم تكن تنتظر من مثلهِ فأُعجب اتيليو بذكاء الولد ثم امرهُ ان يستعدّ لسماع اللحن الذي طلبهُ فاصاخ الولد بسمعهِ واخذ اتيليو في الضرب فكان الولد ينتفض تارةً ويجمد اخرى بحسب التأثير الذي يوقعهُ عليهِ النغم حتى اذا انتهى اتيليو عمد البرتو فاعاد نفس النغم بتمام الدقة والضبط . فاستغرب اتيليو مثل هذه النباهة منهُ واحبهُ حباً شديداً وما زالا يشتغلان بالعزف حتى ظن اتيليو ان الولد ربما يكون قد جاع فامر احد خدمهِ فاحضر لهُ بعض المآكل فلما وقع نظر الولد عليها نهض مسرعاً كمن تذكر شيئاً وقال كلاّ اني لا استطيع ان آكل الآن لان والدتي مريضة ولا بدّ ان تكون في قلق شديد لغيابي فلا بد من الرجوع اليها حالاً لتسكين بالها . قال اتيليو انها الساعة التاسعة الآن وقد هجم الظلام ولا يحسن ان تذهب ايها الصغير وتعرّض نفسك لخطر الليل فابقَ عندي الى الصباح . قال لا فاني لا استطيع ان اترك والدتي في الخطر والقلق الا اذا امكن ان ارسل فاعلمها بمحل وجودي . وادركت اتيليو الشفقة على الغلام وزاد حبهُ لهُ فسألهُ عن محل سكن والدتهِ فاعلمهُ فقال اتيليو اذاً فابقَ هنا وكل واسترح وسأذهب انا بنفسي لاريح افكار والدتك . قال البرتو أتعدني انك تذهب حقيقةً . قال نعم . فتقدم الى مائدة الطعام وشرع يأكل وامر اتيليو بتجهيز عربتهِ وتوجه تواً الى المحل الذي ارشدهُ اليهِ الغلام وكان في بقعة زريةٍ من المدينة قد تراكمت في طريقهِ الاقذار وانتشرت

منها الروائح الكريهة حتى همَّ بالرجوع لولا ان تذكر وعدهُ للغلام فتقدم الى ان بلغ غرفةً حقيرةً عند منعطف الطريق ورأى بابها مفتوحاً ينبعث منهُ نورٌ ضعيف فترجَّل من عربتهِ ودخل الغرفة فرأى سريراً على الارض ليس في الغرفة شيءٌ غيرهُ قد انطرحت عليهِ امرأةٌ في غاية الضعف والشقآء فلم تكد تسمع وقع اقدام اتيليو حتى جاهدت ببقية قوتها فرفعت رأسها وقالت هل اتيت يا البرتو . ولما رأت امامها رجلاً أنَّت تحسراً وسقط رأسها على الوسادة . فاقترب اتيليو منها وقال البرتو عندي فكوني مطمئنة البال عليهِ فقد ساقهُ القدر الى بيتي واعجبتني مهارتهُ في الموسيقى فأخرتهُ عندي الى الآن وخفت ان يضطرب بالكِ عليهِ فجئت بنفسي لاطمئنكِ . والآن فاذ قد رأيت ما انتِ فيهِ من الفاقة الشديدة فهل تسمحين لي بالولد ليبقى عندي فاعاملهُ كولدٍ لي . وكانت الوالدة المسكينة تعي كلام اتيليو وهي في اضطراب شديد ففتحت فاها وقالت بصوت لا يكاد يُسمع ان الله قد ارسل ابني اليك لتعتني بهِ فاتوسل اليك ان تحافظ عليهِ والله يجزيك عني خيراً. اما انا فقد اقتربت ساعتي الاخيرة وكنت اودُّ ان اقبّل البرتو قبلة الوداع فما اتمس حياتي . ثم اخرجت من تحت وسادتها رزمةً من الاوراق ودفعتها الى اتيليو قائلةً خذ هذه فاذا بلغ ولدي سن الرشد فادفعها اليهِ ليعلم منها تاريخ حياتهِ لكن هل تمنُّ عليَّ بتعريفي اسم الذي سأترك ولدي لعنايتهِ . قال اتيليو دي ماركو . فاختلجت جثة الوالدة وسقطت ثانيةً على السرير واقترب اتيليو اليها فاذا هي قد فارقت الحياة فتأثر شديداً لهذا المشهد ثم رجع بعربتهِ الى البيت وارسل من خدمهِ من يعتني بدفنها . وسأل عن

الغلام فوجدهُ نائماً براحةٍ فطرح رزمة الاوراق في احدى خزائنهِ وذهب الى رقادهِ مفكراً في ما عساهُ ان يعقب ذلك الاتفاق

ولما كان الصباح التالي امر اتيليو فألبسوا البرتو ثوباً جديداً ثم احضرهُ اليهِ فاخبرهُ انهُ سيجعلهُ كابنهِ ويبقيهِ عندهُ . فقال الولد وهل ترضى والدتي بذلك . قال نعم وهي التي سألتني ان اعتني بك لانها سافرت الى بلادٍ اخرى . فلم يظهر البرتو ادنى قلقٍ لهذا الخبر وابتدأ يدور في غرف القصر يسرح النظر في الصور البديعة والمحتويات الثمينة وكان اذا جآء المسآء يدعوهُ اتيليو ويعلمهُ الحاناً جديدة فكان البرتو في نعيمٍ وسرورٍ مستمرّ

وبعد مضي سنةٍ من ذلك التاريخ ارسل اتيليو البرتو الى المدرسة ليتلقى العلوم فأحرز منها حظاً وافياً وعاد بعد مدةٍ على احسن ما يرام وكان اتيليو لا يلذ لهُ سوى محادثة البرتو واستصحابهِ وعلى الخصوص في الحفلات الموسيقية

وكان البرتو بعد رجوعهِ من المدرسة قد استكمل رشدهُ فكان يتذكر ماضي حياته اذ كان عند والدتهِ المسكينة لا يملأ جوفهُ من كسر الخبز وكانت تتمثل لهُ تلك الوالدة المريضة وهي ملقاة على سرير الاوجاع تئن وتستغيث ولا مجير وكيف خرج من بيتهِ واوصلهُ القدر الى بيت اتيليو الذي انعطف عليهِ كأبٍ شفيق وربَّاهُ وانفق على تهذيبهِ ومعيشتهِ .وكان قد اعلمهُ اتيليو بوفاة والدتهِ فحزن عليها حزناً شديداً غير انهُ رأى في انعطاف اتيليو وحنانهِ ما انساهُ فقد والدتهِ وتجدد شعورهُ بجميل اتيليو وما لهُ عليهِ من الفضل

وكان بالقرب من قصر اتيليو قصرٌ آخر لرجلٍ من اغنيآء الطليان يقال

لهُ الكونت دي مونتفيوري وكان لهُ ابنةٌ بارعة الجمال كاملة الاوصاف في الرابعة عشرة من عمرها تدعى مرغريتا. وكانت مرغريتا مولعة منذ حداثتها بحديقة قصر اتيليو فكانت تأتيها كل يوم فتقضي نهارها عند اقفاص الطيور او بجانب البركة ترمي فتات الخبز للاسماك او تدخل احياناً القصر وتسرح الطرف في رياشهِ الثمين وتماثيلهِ البيضاء وصورهِ الجميلة . وكانت اذا دخلت غرفة اتيليو ورأتهُ يعزف على بعض آلات الطرب تجلس بالقرب منهُ مصغيةً اليهِ فيسر بمنظرها ثم ينهض فيحضر لها بعض الحلويات او الالعاب التي تزيدها حباً لهُ وتحبب اليها العود الدائم الى القصر . ولما بلغت سن المدرسة انقطعت عن زيارة القصر مدة ثماني سنوات ولما عادت وقد برز صدرها واعتدل قوامها رآها اتيليو فاعجبهُ جمالها وزاد حبهُ لها فكان يكثر من زيارتهِ لوالديها ويلح عليهما بالمجيء الى قصرهِ يومياً . ولم تكن مرغريت تحتاج الى مثل هذه الدعوة وهي لا تجد لذةً الا في القصر او الحديقة فكانت تأتي كل يوم وتصحب معها شغلها او كتبها . وكان رجوعها من مدرستها قبل رجوع البرتو بقليل فلما عاد ووجد هذا الملك الجديد حار في امرهِ وسأل عنها الخدم فاعلموهُ بامرها ولما جاء اتيليو عرَّف البرتو بمرغريت فجلس بقربها يلاطفها ويحادثها . وكان اتيليو قد عزم على استمالة قلب مرغريت والاقتران بها وكانت هي تودّ ذلك غير انها لما ابصرت البرتو تغيرت افكارها وانقلبت محبتها اليهِ . ولم يخطر في بال اتيليو ان البرتو سيزاحمهُ عليها فلم يسعَ في قطع العلائق بينهما وعقد العزم على الاقتران بمرغريت في وقتٍ قريب . غير ان اجتماعات البرتو بها وان كانت احدث عهداً فان

تأثيرها كان اعظم وتعلق القلبان بعضهما ببعض تعلقاً شديداً حتى لم يعد في وسعهما الكتمان فتكاشفا امر الحبّ وقصت مرغريت على البرتو هيام اتيليو بها وحبهُ الشديد لها ورغبتهُ في التزوج منها غير انها هي لا تهواهُ وتؤثر ان تكون زوجةً لالبرتو

فلما سمع البرتو ذلك اختصر المقابلة ما امكن وعاد الى غرفتهِ في يأس عظيم وقلقٍ زائد وعسر عليهِ ان يكافئ فضل اتيليو بان يزاحمهُ على اعظم منيةٍ عندهُ ويكون سبباً في تنغيص حياتهِ وعزم على ان يخمد نيران هذا الحب ولو كان في ذلك بذل حياتهِ ولا يقدم على هذه الفعلة الآئلة الى تكدير صفآء مربيهِ . وذلك فضلاً عما هو فيه من خلوّ ذات اليد بحيث لو اقدم على التزوج من مرغريت وذلك لا بدّ ان يسوء اتيليو لم يأمن ان يطردهُ من بيتهِ . وكانت تلك الليلة من اصعب الليالي على البرتو فلم يغمض لهُ جفن وهو يتقلب في اودية الافكار بين ان يطيع هواهُ ويتعرض للخيانة والذلّ او يقوم بما تفرضهُ المروءة والوفآء ويُحرَم زهرة حبهِ الاولى

اما اتيليو فذهب في المسآء الى بيت مرغريت واجتمع بها وصرّح لها بعزمهِ على الاقتران بها عن قريب وسألها الموافقة على ذلك فرفضت مرغريت طلبهُ وقالت انني احبك يا اتيليو كوالدي واما زوجي فلا يكون سوى البرتو الذي اتفقت واياهُ على الحب ووعدني الاقتران بي . فصاح اتيليو وهل وعدك البرتو بذلك . قالت نعم . فقال يا لهُ من خائن جاحد للجميل ثم خرج من البيت لا يلوي على شيء . فدخل غرفتهُ تتجاذبهُ الافكار ويتأمل في تربيتهِ لالبرتو نادماً على ما فعل . ثم صمم على ان يقابل البرتو فاذا أصرّ

على مناظرته في الحب طردهُ من بيته فقيراً حقيراً كما دخل اليه . ولما اصبح توجه الى غرفة البرتو فدخلها بغضب شديد ولكنهُ حالما دخل وقف مبهوتاً لانهُ رأى الغرفة خالية من البرتو وسريرهُ لم يزل مرتباً مما يدل على انهُ لم ينم تلك الليلة هناك . وحانت منهُ التفاتة الى المائدة فرأى عليها رسالة باسمهِ فاسرع الى فض الرسالة فاذا فيها ما يأتي

سيدي وملاذي اتيليو

اني لولا نعمتك ما حييت الى الآن فكل نقطةٍ من دمي انما تجري بفضل احسانك فانت وليُّ نعمتي وانت المتفضل عليَّ بالحياة

ان الانسان لا يعيش بدون قلب والقلب لا يعيش ان لم يحبّ فقد رأيت مرغريت واحببتها واحبتني مدفوعاً الى ذلك بعواطف النفس التي تغمض الجفون وتحجب النظر فلا يرى المحب سوى الوهدة التي سيسقط فيها . اما انا فقسماً بتربة والدتي انني كنت اجهل تمام الجهل محبتك لها حتى اعلمتني هي بذلك منذ بضع ساعات ويا ليتني مت قبل هذا النبأ الشديد او قبل ان تولدت في احشائي جراثيم الحب . ولكن لا فان في عروقي دماً وان في وجهي قطراتٍ من ماء الحياء فلن اكافئك بهذا الجزاء ولكني قد صممت على ان اغادر هذه الناحية فلا تسعَ في البحث عني فاني لن أُوجد ولتهنأ بمرغريت التي ستكون لك بعد ذهابي فعش معها بالسعادة والمسرَّة

انك قد ربيتني فانت اعلم الناس بما اضمرهُ وما طُبعت عليهِ فلا حاجة الى كتابة اكثر من هذا ولا سيما ان قلبي المتقطع يستوقف يدي والسلام عليك من اسير فضلك

البرتو

وكان اتيليو يقرأ وهو بين ارتعاش وهدوء وغيظٍ وسرور حتى اذا انتهى من القرآءة وقف يتأمل طويلاً وهو يعجب من كرم طباع البرتو وطيب فطرتهِ وما تحلى بهِ من كمال المروءة والشرف . وفي تلك الساعة خطر في بالهِ لاول مرة رزمة الاوراق التي سلمتها اليهِ والدة البرتو فاسرع الى مكتبتهِ واخذها منها ثم فضها وقرأها وبعد بضع دقائق دعا اتيليو جميع خدم قصرهِ وامرهم بالتفتيش عن البرتو واحضارهِ فتفرقوا في طلبهِ ولم يمضِ على ذلك الا حينٌ قصير حتى عاد وكيل القصر وبصحبتهِ البرتو وكان قد وجدهُ بالقرب من قصر مرغريت حيث عزم ان يتزود آخر نظرةٍ من جمالها قبل الرحيل

ولما عاد ادخلهُ اتيليو الى غرفتهِ ولما جلسا قال لهُ ما الذي يحملك على ان تهاجر البلاد يا البرتو . قال اني لم اكن اعلم انك تحب مرغريت فلما وضح لي الامر لم اشأ ان اكون عقبةً في سبيل حبك واكافئك على ما صنعت اليَّ من الخير بالشرّ فرأيت ان رحيلي يكون خيراً . قال أليس لكلٍّ منا قلبٌ فلك ان تحب كما لي ان احبَّ وبعدُ فانها هي أميَل اليك مني . قال وهب ان الامر كذلك فمن اين لي المال الذي يمكنني من الاقتران بها افلا تكون انت اولى بذلك مني . فقال اتيليو بل الامر بالعكس فانا ليس لي من المال درهمٌ واحد وانما المال كلهُ لك . أفتدري ابن من انت وما كان اسم ابيك . قال اسم والدتي المتوفاة لوسيل واما والدي فلا اعرفهُ ولم اهتمّ بالبحث عن اسمهِ لأني قد رُزقتك ابآ لي وانا أُدعى باسمك . فقال اتيليو وقد طفحت عيناهُ بالدموع ان والدك اسمهُ الكونت سزار دي ماركو وهو عمي واخو ابي وقد كان الكونت دي ماركو احب فتاةً فقيرة من بنات

الملاهي واقترن بها اقتراناً شرعياً غير انهُ خشي من اهلهِ ان يسقطوهُ من شرفهِ لهذا الامر فسافر عنهم بغتةً ولم يُعلم عنهُ بعد ذلك شيءٌ . ولما تقرر خبر وفاتهِ سلمت الحكومة املاكهُ الى ابي ثم بعد وفاة والديَّ استوليت انا عليها وبقيت والدتك المسكينة في الحالة التي عرفتها من الفقر لانها لم تجد سبيلاً للمطالبة بحقوقها وقد اعتنت بك مدة سبع سنوات الى ان اتيت اليَّ وكان ما كان . وكانت لما ذهبتُ اليها يوم وصولك اليَّ قد سلمتني رزمة اوراقٍ تتضمن تاريخ وجودك لم يخطر لي النظر اليها الا اليوم ومن مطالعتها علمت ما اخبرتك اياهُ فانت يا البرتو ابن عمي وانت صاحب هذا القصر واملاكهِ الفسيحة لا انا فهل تقبلني في ضيافتك . وكان البرتو يدقق في فحص الاوراق وهو دامع الجفن ضيق الصدر فوثب على عنق ابن عمهِ يقبلهُ وتعانق الاثنان ملياً . ثم قال اتيليو اما الآن وقد اصبحتَ مثرياً فلا بدَّ من اقترانك بمرغريت لانها هي قالت لي انكما تعاهدتما على الزواج وفضلاً عن ذلك فانها لا تحبني كما ذكرت لك فلم يبقَ وجهٌ لطالبي الاقتران بها وقد طبتُ نفساً لك عنها وانا اسأل الله لكما قراناً مباركاً وعيشاً سعيداً . واما انا فسأجتهد ان اسلوها الى ان يوفقني الله الى غيرها. قال البرتو قد رضيت بذلك لكن بشرطٍ واحد لا بد من اتمامهِ وهو ان تبقى انت في القصر يُعرف باسمك فتكون لنا اباً ونكون لك ابنين . فنهض اتيليو ثانيةً وعانق البرتو ثم اقترن البرتو بمرغريت ولم يزل اتيليو معهما اباً ومرشداً ومدبراً لاشغالهما وقضوا ما شآء الله من الدهر وهم على تمام السعادة والسرور

اليزيدية

هم الطائفة المشهورة وقد اختلف الناس في امرهم اختلافهم في كل جماعةٍ امرها مكتوم والمتعارف أنهم فرقةٌ من الأباضية أتباع يزيد بن ابي انيسة ومن مذهبهم ان الله سيبعث رسولاً من العجم ويُنزِل عليهِ كتاباً جملةً واحدة ينسخ بهِ شريعة القرآن

وجاء في معجم بولياي انهم طائفة من الاكراد منتشرون بين الموصل والخابور وجبال سنجار وفي نواحي بغداد وحلب وديار بكر وولاية أروان الروسية وعددهم نحو مئتي الف نفس بعضهم رحّالة لا يدينون لحاكم وبعضهم مقيمون تجري عليهم احكام البلاد التي استوطنوها . وهم يقولون بمبدأين احدهما للخير وهو الله والآخر للشر وهو الشيطان الا انهم يقولون ان الشيطان سيعود الى السماء . وصاحب مذهبهم هو يزيد ولهم بعدهُ مصلحٌ هو الشيخ هادي وهم يعظمونهما كثيراً . وقد اوقع بهم رشيد باشا سنة ١٨٣٤ بامر السلطان فأهلك منهم خلقاً لا يُحصَى . اه ببعض اختصار

وقال غيرهُم طائفةٌ بالجزيرة وكردستان يُعرَفون بطفئي المصابيح وبعَبدة الشيطان ودينهم خليطٌ من جميع المذاهب . وجاء في رسالةٍ لبعض السُيّاح ممن طافوا في تلك النواحي ما يُثبِت مضمون هذا القول فذكر انهم يعبدون الشيطان ويتعصبون لهُ ويحنقون على من يسبهُ من سائر الطوائف حتى ان من سبهُ لا يأمن ان يقتلوهُ اذا مكنتهم الفرص . قال وهم يحتفلون لهُ كل سنةٍ بعيدٍ عظيمٍ يحتشد اليهِ رجالهم ونساؤهم وكبارهم وصغارهم فيجتمعون

ليلاً حول بئرٍ عميقة ينصبون عليها المشاعل العظيمة ويأخذون في قرع الطبول والصنوج والرقص والغناء وسائر ضروب اللهو والخلاعة ويوقدون عند فم البئر اجذالاً ضخمة من الحطب فاذا اشتعلت قذفوها في وسط البئر اكراماً للشيطان . ولا يزالون على مثل ذلك الى ان يطفأ آخر لهبٍ من المشاعل التي حول البئر وحينئذٍ يأتون من الافعال المنكرة مالا يفعلهُ الا الشيطان او من كان ملقنهُ الشيطان . اه

اما تفاصيل معتقدهم فقد وقفنا فيها على رسالةٍ في احدى المجلات الفرنسوية منقولة عن السريانية ومعها الاصل السرياني ايضاً وفي رأي مترجمها ان اصل وضعها بالعربية . والكلام فيها حكايةٌ عن لسان واحدٍ من هذه الفرقة ولعلهُ ممن صبأوا عنها الا ان الحديث فيها غير متتابع ولامتناسق وفي بعضهِ ما لا يجمل ذكرهُ ولذلك رأينا ان نأخذ زبدتها نطرف بها القرّاء لما فيها من الغرابة قال

يقول اليزيديون بوجود سبعة آلهة هبط احدهم الى الارض فخلق جهنم والفردوس ثم خلق آدم وحواء وجميع انواع الحيوان . ثم ان آدم ولد توأمين ذكراً وانثى في حديثٍ لا نذكرهُ وأنبت الله لهُ ثديين فارضعهما مدة سنتين ومذ ذاك كان للرجل ثندوتان وهذان التوأمان هما اصل اليزيدية . وبعد ذلك تزوج آدم حواء فوُلد لهما توأمان آخران كان منهما سائر طوائف البشر وكان شيث واخنوخ ونوح وسائر الصلحاء من نسل آدم وحدهُ

ويقولون انهُ بعد طوفان نوح كان في الارض طوفانٌ آخر وانهُ لما ارتفع الفلك بنوح ومن معهُ ساقتهُ المياه حتى صار فوق جبل سنجار

فاصطدم هناك بصخرٍ ناتئٍ فانثقب فترحّت الحيّة من داخل الفلك وسدّت الثقب بنفسها واستمرّ الفلك سائراً حتى استقرّ على جبل الجودي . ثم لما كثر نسل الحية وجعل يؤذي البشر امسكها نوح واحرقها بالنار فكانت من رمادها البراغيث وانتشرت في الارض . وقد مضى منذ الطوفان الى اليوم سبعة آلاف سنة وفي كل سنة كان ينزل واحدٌ من الآلهة السبعة المذكورين الى الارض فيضع احكاماً وشرائع ثم يعود الى مكانهِ . وكان آخر من نزل منهم يزيد الذي هو اله اليزيدية فجعل لهم رموزاً وسناجق[1] ثم ارتفع الى السمآء . وهو فيما روى هذا القائل يزيد بن معاوية وهو خلاف المتعارف على ما تقدم الايمآء اليهِ وذكر لهُ قصةً غريبة محصلها ان معاوية كان رجلاً بربرياً وكان خادماً لمحمد نبي الاسمعيليين (عم) وان محمداً قال يوماً لمعاوية ان ذرّيتك سيكونون اعدآء لذرّيتي فقال وكيف يكون ذلك وانا لم اتزوج قط ولن اتزوج . ثم كان بعد ذلك ان الله سلّط على معاوية عقارب فلدغتهُ في وجههِ فقال لهُ الاطبآء انهُ لن يُشفَى الا بأن يتزوج فزوجوهُ بامرأةٍ ذات ثمانين سنة فلما اصبحت اذا هي بنت خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد

قال وقد كان خلق جهنم على عهد آدم الاول وفي نحو ذلك الزمن وُلد ابنهُ المسمى ابريق شموتا فانتابتهُ الدمامل مدة ست سنين وكان في هذه المدة كلها يتوجع من عينهِ وانفهِ ويدهِ ورجلهِ وكان لديهِ ابريق فكان اذا

---

[1] جآء في الهامش الفرنسوي ما تعريبهُ . السنجق كلمة تركية معناها الراية ويطلقهُ اليزيدية على تمثال من الشبه بصورة الطاوس يرمزون بهِ الى الاله وقد يريدون بهِ المكان الذي يطوفون فيهِ بذلك التمثال

طفق يبكي من الالم تتساقط دموعهُ في ذلك الابريق حتى اتت على ذلك سبع سنواتٍ وامتلأ الابريق فصبَّهُ على نار جهنم فطفئت وأمن الناس حرَّها

وان كل واحدٍ من الآلهة السبعة عمل سنجقاً ولبثت هذه السناجق عند سليمان الحكيم فلما حضرتهُ الوفاة سلَّمها الى واحدٍ من ملوك اليزيدية ولما وُلد بربرايا وهو احد آلهتهم جآءهم بها في ابهةٍ عظيمة ونظم لهم نشيدين ينشدونهما امامها باللسان الكردي مع قرع الطبول والصنوج والعزف بالمزامير والتراطن بينهم بكلماتٍ لا تُفهم فيقولون هالّم هلّو الله الحفيظ . وهذه السناجق مودَعة اليوم عند امير شيكان المستوي على كرسيّ يزيد

وعندهم طبقة يُقال لهم القوّالون وهم مرتّبو الاحتفال وهؤلاء يجتمعون عند الشيخ الاكبر المسمى بالامير نائب الشيخ ناصر الدين الذي هو نسروخ اله الاشوريين الاولين ويحجّون الى السنجق ولهم اربعة سناجق يزورونها احدها في كلتنيا والثاني في نواحي حلب والثالث في مسقوف والرابع في سنجار فاذا حجّوا الى احد هذه السناجق يحملونهُ ويطوفون بهِ لجباية الصدقات ثم ينقلبون بهِ الى الشيخ هادي [1] فيغسلونهُ هناك وهم ينشدون ويرقصون ثم يتناول كلٌّ منهم قبضةً من تراب الشيخ هادي فيدوفها بالمآء ويجعلها كتلةً بقدر جوزة العفص يحملها معهُ للتبرك ويتكسب بها . ومتى اقترب احد السناجق من احد البلدان بعثوا من يُشعر القوم بقدومهِ فيتأهبون

(١) الذي في الاصل السرياني الشيخ ادي وكذلك هو في النقل الفرنسوي ولعل لفظهُ الصحيح الشيخ عديّ الا انا رأينا بولياي رواهُ بزيادة هآء في اوله كما ابتناهُ فيما نقلنا عنهُ قريباً وهو الذي اعتمدناهُ في سائر المقالة توحيداً للتسمية

لاستقبالهِ والاحتفال بهِ ويخرجون بأسرهم فيسعون بين يديهِ وقد تزينوا بافضل ملابسهم وتطيبوا واقبلت النسآء تزغرد حتى ينتهوا الى بيتٍ يستقرّون فيهِ فتنهال عليهم العطايا من كل واحدٍ من السكان على قدر ما تسع ذات يدهِ

اما السناجق الثلاثة الاخرى فاثنان منهـا في الشيخ هادي والثالث في بلد الحسنية [1] وهم في كل اربعة اشهر يطوفون بواحدٍ منها على التعاقب وعند احتشادهم لاخذهِ يستصحبون قبضةً من السمّاق لغسلهِ وشيئاً من زيت الزيتون والفتائل للايقاد لان لكلّ واحدٍ من هـذه التماثيل حجراً يوضع عليهِ وخادماً يُدخِل تحت كل حجرٍ فتيلةً يوقدها

ثم ان السنة عندهم تبتدئ في شهر نيسان فيتعين عليهم انهُ في آخر يوم اربعآء من السنة يكون في كل بيت لحم فالاغنيآء يذبحون الغنم والبقر والفقرآء يذبحون الدجاج ونحوها ويطبخونها في ليلة الاربعآء وفي الصباح يقدّسون اطعمتهم ويتصدقون عن انفس موتاهم وتخرج النسآء والبنات فيطفنَ في الجبال يجنينَ الورد وسائر انواع الزهر الاحمر ويجعلنهُ ضمائم يضعنها في مكانٍ رطب من البيت وفي صباح العيد تكون جميع ابواب المنازل مزينةً بالنَوْر الاحمر وتحمل النسآء الطعام فيضعنهُ على القبور ويأتي القوّالون فيقرعون الصنوج وينشدون على القبور باللسان الكردي ويطوف المؤذنون حول القبور يتلون العزائم لطرد الارواح الخبيثة . وفي ذلك اليوم يجلس الله على كرسيهِ ويجمع اليهِ الانبيآء والمقرَّبين ويقول لهم اني نازلٌ الى الارض بين الهتاف والنشيد ثم ينزل هو والذين معهُ فيقررون

(١) كذا فيا ظنهُ المترجم صحة هذا اللفظ والذي في الاصل السرياني حزانه

حوادث تلك السنة بعد ان يؤيدهُ الاله الاعظم ويبسط يدهُ لعمل كل ما يشآء

ومن طبقات اهل الدين عندهم طبقة الكوجاك وهم وَهَفَة مقام الشيخ هادي وللكوجاك صلةٌ مع الارواح السماوية فهم يصرفون عنهم غضب الله . وهم في كل يوم جمعة يجبون صدقاتٍ لرمزهم فيقف مناديهم على سطح منزل الكوجاك وينادي ثلاثاً اليوم مائدة الرمز الفلاني فيصيخون باجمعهم لندآئهِ ثم يقبّل كلٌّ منهم الارض او الحجر الذي يكون بجانبهِ وكذلك يفعلون عند كل شروق شمسٍ او غروبها وعند طلوع القمر ومغيبهِ . وعند الكوجاك كتبٌ يزعمون انها تنبئهم بكل ما كان منذ وجود الانسان وقبلهُ الى اليوم الحاضر الا انهم قلما يتفقون على الاحوال المستقبلة فكلُّ فريقٍ منهم يفند زعم الآخر وهم يعتقدون بالرؤى وينبئون بالمغيبات

ويزعم اليزيديون ان الشيخ شمس الدين احد اوليآئهم هو المسيح ويقولون انهم لم يخلوا قطُّ من الانبيآء يعنون بهم الكوجاك وان احد اولئك الانبيآء اخبر عن نفسهِ بانهُ كان في فلك يونان عند ما أُلقي في البحر وان آخر كان يتمشى مع الله فاستشارهُ في ارسال المسيح فاشار عليهِ ان يفعل فنزل المسيح الى الارض بعد ما اجرى آيةً في الشمس وارشد جماعة اليزيديين الى سبعة كنوز هي اليوم مودَعة في مقام الشيخ هادي

اما سائر عوائدهم الدينية فانهم عند عقد الزواج يأتون برغيف من بيت المعوّذ فيقسمونهُ شطرين يدفعون الى كلٍ من العروسين شطراً منهما فيا كلانهِ وان لم يكن ثمَّ معوّذ اعتاضوا عن الرغيف باسفافهما شيئاً من تراب الشيخ هادي . والزواج محرَّمٌ عندهم في شهر نيسان لانهُ راس

السنة الأعلى الكوجاك فانهم يتزوجون اي حين شآءوا . ولا يتزوج احدٌ منهم من غير طبقتهِ ما خلا الامرآء فانهم يتزوجون من تعجبهم من النسآء من اي طبقةٍ كانت . والزواج عندهم من سن العشرين الى الثمانين ولهم ان يجمعوا بين ست نسوة والبنت لا ترث من ابيها وهو يبيعها ويأكل ثمنها وان كانت لا تريد الزواج تعيَّن عليها ان ترضيهُ من تعب يديها . وهم يشربون في العرس الجعة والخمر ما خلا الكوجاك ولهم رقصٌ قبيح يشترك فيهِ الرجال والنسآء . وقبل ان يذهبوا بالخطيبة الى بيت الخطيب عليها ان تزور جميع مقامات الرموز حتى كنيسة النصارى اذا اتفق ان تكون في طريقها ومتى دخلت بيت الخطيب ضربها بشلالة اي بمجرصغير اشماراً لها بسلطتهِ عليها ثم يكسرون رغيفاً من الخبز على رأسها رمزاً الى ما يجب ان تفعلهُ من مؤاساة الفقرآء . ويحرُم الزواج في ليلتي الاربعآء والجمعة

وعند موت احدهم يجب ان يكون الكوجاك بجانبهِ وان لم يكن وضعوا في فيهِ شيئاً من تراب الشيخ هادي وقبل ان يدفنوهُ يدهنون وجههُ بزيت ويضعون على قبرهِ شيئاً من بعر الغنم . وهم يحملون طعاماً الى موتاهم ويزين جماعة الكوجاك القبور ويقرأون عليها ويسهرون ويحجمون باحلامٍ ورُؤًى ثم ينبئون اهل الميت بما حدث لهُ بعد الموت وعلى اي حالٍ وفي اي شكلٍ سيعود الى هذا العالم . وذلك انهم يذهبون الى التناسخ فمن مات شريراً انتقلت نفسهُ الى جسم كلبٍ او خنزير او حمار او غير ذلك فتلبث فيهِ الى ان تستوفي عقابها ثم تعود فتحلّ في جسم انسان ولذلك فنهم من يخبأ المال تحت الارض ليأخذهُ عند عودتهِ في المرّة الثانية او الثالثة .

واما انفس الصلحآء فتسكن في الهوآء وتنبئ باسرار الكون ومغيبات القضآء

هذا ما اخترنا اثباتهُ من هذه الرسالة بعد نبذ التافه منهـا وما لادخل لهُ في غرضها مع جمع ما تشتت من معانيها وضم الشبيه الى شبيهِ طرداً لنسقها وتسهيلاً لتناول جملتهـا فسبحان من حارت في ادراك كنههِ عقول عبادهِ وهو الهادي من يشآء الى سوآء السبيل

عمدة الصفوة في حِلّ القهوة

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

والى هنا كانت عبارة المحضر بحروفهِ عدا الذي حُذِف منهُ اختصاراً من تراجم الامير والقضاة وغيرهم ومن ذكر جماعةٍ ممن حضر المجلس . واما نقل صورة كتابتهم فكتب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهير الشافعيّ الحمد لله وتوكلت عليهِ الامر كما شرح وبيّن ونقح . وكتب القاضي عبد الغني بن ابي بكر المرشديّ الحنفيّ احمد الله وافوّض امري الى الله الامر كما شُرِح من مراجعتي في داري بسبب عذرٍ شرعي وقد قامت البينة عندي بما ثبت من امر القهوة وحرمتهـا المشروحة فيهِ اللهمَّ اهدنا الصواب . وكتب القاضي نجم الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكيّ الحمد لله العادل في قضآئه ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون والطف بنا في كل حركةٍ وسكون ونعوذ بالله من قبول الزور والتعاطي بحُرَم الله واسباب الفجور وقد شهد عندي جماعةٌ من الاعيان ذوي المعرفة والاتقـان بافسادها للابدان وبين ذلك غاية البيان والامر كما شرح فيهِ من غير

شيء ينافيهِ . ولا حاجة الى نقل صورة كتابة الباقين لما في ذلك من التطويل من غير فائدة اذ ليس فيها غير الموافقة على مضمونهِ بنآء على الصفات المشروحة فيهِ التي لا حقيقة لها . على أن اكثرهم كانوا عارفين بحقيقة الحال بل من شرّاب القهوة المواظبين عليها ولم يكن لهم غرضٌ في الكتابة وانما كتبوا اتقآء لخش الامير لانهُ كان متعصباً في المسئلة جدًّا لاغرآئهم لهُ على ذلك وتقريرهم عندهُ ان لهُ في منعها فخراً عظيماً وثواباً جزيلاً وكان مع ذلك سفيه اللسان جريئاً على القضاة وغيرهم من الاعيان. وقويت بسبب ذلك شوكة المتعصبين في الباطل ولم يستطع احدٌ ان يثبت للبحث منهم غير الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعيّ مفتي مكة ومدرّسها وواعظها فانهُ تصدَّى لهم ولكنهُ سمع ما لا يحبّ بل كفّرهُ بعض اهل المجلس من اجل كلامٍ صدر منهُ في أثنآء البحث ثم لم يقنعوا بذلك حتى عرّضوا بهِ في السؤال الذي كتبوهُ الى مصر ووصفوهُ ظلماً باقبح الصفات

واما السؤال المجهز صحبة المحضر للديار المصرية فهذه صورتهُ . ما قولكم رضي الله عنكم في مشروبٍ يقال لهُ القهوة قد شاع شربهُ بمكة وغيرها وصاروا يتعاطونهُ بالمسجد الحرام وغيرهِ ويدار بينهم بكأسٍ من انآء آخر وقد اخبر من تاب عنهُ بان كثيرهُ يؤدي الى السكر واخبر عدول الاطبآء بانهُ مضرٌّ للابدان وقد منع من شربهِ من يقتدّ بهِ من العلمآء والزهّاد بمكة. وهناك جاهلٌ جعل نفسهُ واعظاً وافتى الفسّاق بحلّ شربهِ فقيل لهُ ما تقول في هذه الادارة على هذه الصفة فقال الشارع ادارة اللبن (كذا) فقيل لهُ اخطأت لم تكن ادارة اللبن على هذه الصورة. فهل يحلّ شربهُ على

الوجه المذكور ام يحرم مطلقاً لكونهِ مسكراً ومضراً للابدان وماذا على الجاهل المبيح شربهُ وهل يجب على وليّ الامر ازالة هذا المنكر والمنع منهُ وردع هذا الجاهل ومن يقول بقولهِ ام لا وما الحكم في ذلك . أفتونا مأجورين وابسطوا الجواب أيدكم الله آمين . فبرز امر السلطان قانصوه الغوري بكتابة مرسوم وتجهيزه الى مكة فجهّز ونصّ المقصود منهُ . واما القهوة فقد بلغنا ان اناساً يشربونها على هيئة شرب الخمر ويخلطون بها المسكر ويغنّون بآلةٍ ويرقصون ويسكرون ومعلوم ان ماء زمزم اذا شُرب على هذه الهيئة كان حراماً فليُمنع شربها والتظاهر بها في الاسواق . اه

وهذه الابيات مما قيل في حق القهوة وهي لبعض الاولياء

يا قهوةً تُذهب همَّ الفتى	انتِ لحاوي العلم نعم المراد
شراب اهل الله فيها الشفا	لطالب الحكمة بين العباد
نطبخها قشراً فتأتي لنا	في نكهة المسك ولون المداد
ما عرف الحقَّ سوى عاقلٍ	يشربُ من وسط الزبادي زباد
حرّمها الله على جاهلٍ	يقول في حرمتها بالعناد
فيها لنا بِرٌّ وفي حانها	صحبةُ ابناء الكرام الجياد
كاللبن الخالص في حلهِ	ما خرجت عنهُ بغير السواد

وقال آخر

عرّج على القهوة في حانها	فاللطف قد حفَّ بندمانها
حانٌ حكى الجنة في بسطها	ورقة العيش واخوانها
وقهوةٌ لا غمَّ تُبقي اذا	قابلك الساقي بفنجانها

قريبة العهد بعدنٍ فان	شككتَ فانظر حسن ولدانها
لا يوجد الغمُّ بحاناتها	قد خضع الغمُّ لسلطانها
شراب اهل الله فيها الشفا	جوابُ من يسألُ عن شانها
بمآئها تغسل اكدارنا	ونحرق الهمَّ بنيرانها
يقول من ابصر كانونها	أُفٍّ على الخمر وولدانها
فهيَ رحيقٌ لونها ختمها	قد شهد العقل ببرهانها
فاشرب ولا تسمع كلام الذي	بجهلهِ يفتي ببطلانها

صنع الالماس

من المشهور اليوم ان الالماس متكوّن من مادّة الفحم بل هو الفحم نفسهُ تصرفت فيهِ الطبيعة حتى حولتهُ الى الهيئة التي نراهُ عليها وقد ثبت لهم ذلك فيهِ بعد امتحاناتٍ شتى وكان اول من حققهُ لافوازياي العالم الفرنسوي سنة ١٧٩٤ ومذ ذاك اخذ الكيماويون يزاولون تحويل الفحم الى الماس بطرق مختلفة من الكيمياء. ولكنهم لم يفوزوا منهُ بطائل الى ان وُفّق الى ذلك الموسيو مواسان احد كيماويي الفرنسيس سنة ١٨٩٣ بعد ما تفقد معادن الالماس في جنوبي افريقيا وبحث عن هيئتها ومحل تكوُّنهِ فيها على قصد ان يتحدى الطبيعة في صنعهِ وقد تمّ لهُ ذلك بعد طول المراقبة والمزاولة بما سوّل للآمال الوصول منهُ الى تمام ما في الامنيّة

اما هيئة المعادن المذكورة فانها رضامٌ هائلة من الصخر يبلغ قُطر الواحدة منها من ٢٠٠ الى ٥٠٠ قدم قائمة في جوف الارض على طبقة من

المجبَّب (الغرانيت) وتعلوها صفائح طباشيرية ورملية وفي خلالها صخورٌ زرقاء من المقذوفات النارية تسمى بالكمبرليت وهذه الصخور هي محل تكوُّن الالماس وهو يكثر فيها مع ازدياد العمق

والالماس كما قدّمنا صنفٌ من الفحم وفي عُرف اهل الكيمياء كربون نقيّ متبلور ويمتاز عن سائر الجواهر بانهُ الجوهر الوحيد الذي تنفذهُ اشعة رنتجن وهي العلامة الفارقة بين الصحيح منهُ وغيرهِ وهو قابل الاشتعال على ٧٥٠° من المقياس المئوي (السنتغراد)

والكربون يوجد على سطح الارض تحت ثلاث هيئات احداها الهيئة الاصلية كما في الفحم النباتي والثانية البلورية كما في الالماس والثالثة ذات الصفائح كما في الأُسرُب (البِلُمباجين) الذي تتخذ منهُ اقلام الرصاص. فالفحم النباتي هو الكربون الطبيعي وهو يتخذ من الاجسام العضوية بعد احراقها على وجه مخصوص والأُسرُب هو المادّة نفسها بعد تكيُّفها بالحرارة الشديدة من غير ضغطٍ مفرط والالماس هو ما تكوَّن منهُ بعد ان تفعل فيهِ حرارةٌ عالية مع الضغط الشديد. ومعلومٌ ان التبلور في الاجسام لا يتمّ الا بعد سيلانها الا أن من طبيعة الكربون انهُ اذا عُرّض لدرجة عالية من الحرارة ينتقل دفعةً من حالة الجمود الى حالة البخارية دون ان تتوسط بينهما حالة السيلان وهذا احدى العقبات التي طالما اعترضت في سبيل المزاولين لصنع الالماس

فتحصَّل من ذلك ان تبلور الكربون لا يتمّ الا بثلاثة امور وهي الحرارة الكافية لحلّهِ والتمكن من جعلهِ سائلاً والقوة الكافية من الضغط

لتبلورهِ . فاما الحرارة فقد توصلوا اليها باختراع ما يسمى بالتنُّور الكهربآني فان الحرارة يمكن ان تصل فيهِ الى ٣٦٠٠° من المئوي . واما طريقة تسييلهِ فمما عُلِم بالاختبار ان الحديد المصهور يذيب الكربون وقد وجد مواسان انهُ يذوب ايضاً في الالومينيوم والكروميوم والمنغنيس والنكل والاورانيوم والفضة الا ان اقوى هذه العناصر على اذابتهِ الفضة والحديد وهما في درجة الغليان . لكن وُجد انهُ مع ايٍّ كان من هذه المذكورات اذا برد بعد السيلان يرسب لا بهيئة بلُّورات بل بهيئة قشور رقيقة من الأُسرُب لنقص الضغط الذي لا بدّ منهُ لحدوث التبلور كما تقدم . وذلك انهُ اذا حدث ادنى تباعد بين المراكز التي تتألف منها البلورات المطلوبة بطل التبلور وحينئذٍ فلا بدّ من تقريب تلك المراكز بعضها من بعض بالذرائع الحِيَلية (الميكانيكية) وهي المطلب الذي طالما اشتغل اهل العلم للتوصل اليهِ . واول من لمعت لهُ فيهِ بارقة الفوز هو الموسيو مواسان المذكور وذلك انهُ راقب ان الحديد اذا كان خالصاً كان كغيرهِ من الاجسام يتمدد بالحرارة ويتقلص عند الجمود ولكنهُ اذا أُشبع بالكربون فانهُ عند الجمود يتمدد على حدّ ما يكون من المآء عند انقلابهِ الى جمد . ومثلهُ في ذلك الفضة . فبدا لهُ انهُ اذا برّد الحديد المكربن تبريداً فجائياً بحيث يجمد ظاهرهُ قبل باطنهِ تكونت عليهِ قشرةٌ صلبة تقلقهُ من جميع جهاتهِ فاذا برد باطنهُ بعد ذلك منعتهُ تلك القشرة من التمدّد فحدث بين دقائقهِ من الضغط ما لا يمكن حدوثهُ بأي قوّةٍ اخرى من القوى الصناعية . وقوّة هذا الضغط تُعلم من انابيب المآء التي كثيراً ما تنفجر عند تجمد المآء في باطنها وهذه

القوة كافية لان تحدث التبلور في الكربون السائل بين دقائق الحديد

اما تبريد الحديد على الوجه المذكور فقد امتحنهُ بالماء فوجدهُ غير صالح لذلك لما ينشأ عنهُ من البخار بحيث يكون هناك طبقة بخارية تعترض بين الماء ودقائق ظاهر الحديد فاستبدلهُ بالرصاص المصهور . وذلك ان الحديد يُصهر على ٣٥٠٠° من الحرارة والرصاص يُصهر على ٣٢٥° ولكي يجمد الحديد ينبغي ان يهبط الى ١١٠٠° فاذا أُفرغ في الرصاص المصهور جمد لا محالة لان درجتهُ تكون اسفل من الدرجة التي يجمد فيها الحديد بمئات من الدرجات . وبهذه الذريعة توصل الى صنع الالماس الحقيقي الا ان البلورات التي امكن تكوُّنها كانت صغيرة جدًّا بحيث ان اكبر بلورة منها لم يتجاوز قطرها ١/٥ من العقدة او نحو نصف ميليمتر لكن يؤمَّل انهُ مع ادمان المزاولة وتكرار التجارب يمكن التوصل الى الالماس الطبيعي بكل صفاته

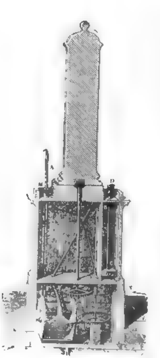
الساعة المآئية

وردتنا هذه الرسالة فاثبتناها بحروفها

اطلعت في الجزء العشرين من ضيائكم الزاهر (صفحة ٦٢٠) على ذكر ساعة اكتازيبوس ورسمها الخارجي وكنت قد عثرت في بعض كتابات اراغو الشهير على رسمين لهذه الساعة رسمها المهندس كلود پرّو وفاقاً لما وصفها به فتروف المهندس الروماني احدهما يمثلها من الخارج وهو كالذي نشرتموهُ هناك والآخر يمثلها من الداخل مع بعض تفصيل لكيفية حركتها ارفعهُ الى ناديكم في هذه المجالة وهي خدمةٌ اتفاقية لم اقصد منها الا تتمة ما توخيتم

من الفائدة راجياً تلقيها مني بالقبول ولكم في نشرها رأيكم الموفق ان شاء الله

اما الطفلان الواقفان الى جانبي الاسطوانة فاحدهما يبكي بدموعٍ متواصلة تتساقط في داخل الآلة فترفع الطفل الثاني شيئاً فشيئاً حتى اذا بلغت بهِ اعلى الاسطوانة بعد ١٢ ساعة انحدرت بهِ الى اسفل دفعةً واحدة ٠ وفي يد الطفل الثاني مخصرة يشير بها الى ساعات اليوم واسم الشهر والبرج الذي تحلهُ الشمس في ذلك الشهر



وبيان ذلك ان الانبوب A يصل بين عين الطفل الاول وحوض ماء خارج الساعة هو الذي يجري منهُ الماء الى الانبوب فاذا سقطت عبراتهُ عند قدميهِ مرت في الانبوب M واجتمعت في الصندوق C فكلما ارتفع الماء في الصندوق ارتفع الطفل القائم فوقهُ عند D كما يُرى في الرسم حتى اذا طفح الماء في الصندوق خرج من الانبوب الماصّ F فانهال كل ما هناك من الماء كما هو معلوم من امر هذا الانبوب وحينئذٍ يهبط الطفل القائم عليهِ فيعود الى مكانهِ ٠ اما الماء فيُحال من هناك على الدولاب K فيحركهُ وهذا يحرك الدولاب G بحيث ان الاسطوانة القائمة على محورهِ

تدور على نفسها دورةً واحدة في كل ٣٦٠ يوماً. وقد رُسم بطول الاسطوانة خطوط متآزية تقسمها الى ١٢ قسماً عند اسفل كلٍّ منها اسم الشهر وسمة البرج الذي تحلهُ الشمس فبدوران الاسطوانة مرةً في السنة تقع تلك الاشهر على التوالي عند طرف المخصرة وبارتفاع الطفل تُعرَف الساعات . انتهى المقصود منهُ

وهنا يأذن لي الاستاذ ان أَصِل هذا البحث ببحثٍ آخر وذلك اني بعد ان كتبت هذه الاسطر عثرت في احدى مجلاتنا العلمية — ولا اسميها احتراماً — على تعريض وجهتهُ الى الضيآء. فقالت سُئلت مجلة الضيآء المنيرة عن الساعة المآئية التي اهداها هرون الرشيد الى الملك شرلمان فاجابت انها لم تعرف وصفاً لهذه الساعة او اشباهها في كتب العرب واشارت على الضيآء بمطالعة ما كتبهُ ابن جبير عن ساعةٍ مآئية كانت في دمشق فوق باب جيرون قالت وقد نقلنا هذا الوصف في الجزء الرابع من مجاني الادب (ص ٢٢٧) واثبتهُ الشريشي في شرح مقامات الحريري . اه

وفي هذا الكلام امور تستميح كاتب هذه المجلة الفاضل في ايرادها. اولها انهُ حرَّف كلام الضيآء وزاد عليهِ ما ليس منهُ وذلك في قولهِ « لهذه الساعة او اشباهها » فان قولهُ « او اشباهها » زيادةٌ من عندهِ زادها افتئاتاً ليبني عليها تبجحهُ بانهُ قد قرأ رحلة ابن جبير وشرح مقامات الحريري — وقلَّ من توصل الى ذلك غيرهُ — واطَّلع على ذكر الساعة التي كانت « فوق » باب جيرون

الامر الثاني ان السائل انما سأل الضيآء عن صفة الساعة التي اهداها

الرشيد الى الملك شرلمان وهذه الساعة نُقلت الى فرنسا من ذلك التاريخ واحسبها بقيت هناك ولم يؤتَ بها الى دمشق لتوضع « فوق » باب جيرون وليس عندنا دليـل ان هذه كانت من « اشباه » تلك كما اومأت الى ذلك عبارة المجلة المشار اليها فيما زوّرتهُ على الضيآء . ولكن الضيآء لما لم يعثر على وصف تلك الساعة بعينها في كتب العرب وهو ما لا نظنهُ موجوداً عدل الى ما ذُكر عنها في كتب الافرنج من الوصف المختصر ثم استطرد الى تاريخ صنع هذه الساعات حتى انتهى الى ساعة اكتازيبيوس وهي التي قيـل ان ساعة الرشيد كانت من نوع صنعتها كما صرح بهِ الضيآء هناك

والثالث اننا قد طالعنا ما ذُكر عن ساعة باب جيرون في مجاني الادب نقلاً عن الشريشي عن ابن جبير لا عن ابن جبير كما يقول وقد راجعنا هذا الوصف مراراً وقلّبنا النظر فيهِ ملياً فلم يمكنّـا ان نتصوّر كيف كانت تلك الساعة بل لم نستطع ان نتمثل هيئتها الظاهرة فضلاً عن كيفية حركتها وتركيبها وهذا نص ما جآء هناك بالحرف

« وعن يمين الخارج من باب جيرون جدار البلاط الذي امامهُ (لا فوق الباب) شبه غرفةٍ بها هيئة طاقٍ كبير مستدير فيهِ طيقان من صُفر وقد فتحت ابواباً صغاراً على عدد ساعات النهـار ودُبّرت تدابير هندسية فعند انقضآء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدّان اعناقهما للصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيلهُ الاوهام سحراً فعند وقوعهما يسمع لهما دويٌّ فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى

الغرفة وينغلق الباب تلك الساعة بلوح اصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور بهِ المآء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة محمرّة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وقد وُكل بها من يدبر شأنها فيعيد الابواب ويسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تسمى الميقاتة » . انتهى بحروفهِ ونقطهِ

فليتأمل المطالع اللبيب في هذا الوصف ثم ليشرح لنا ماذا انطبع في مخيلتهِ منهُ ثم اذا كان هو السائل عن صفة ساعة الرشيد او ساعة اخرى من « اشباهها » بل عن ساعة جيرون نفسها وأُورد لهُ في الجواب هذا الشرح هل كان يقنع بهِ ويرى انهُ قد أُجيب عن سؤالهِ والسلام

بيروت في ٢٧ تموز سنة ١٨٩٩ جبران النحاس

مُتَفَرِّقَات

انقراض اللون الاشقر — قرر احد علمآء منافع الاعضآء من الانكليز ان الشُقر من البشر سينقرضون من الدنيا عن قريب وذلك على ما ظهر لهُ مسببٌ عن قلة الرغبة في تزوج الشقر من النسآء والعدول عنهنَّ الى السمر فقد جآء في بعض الاحصآءات الانكليزية انهُ من كل مئة شقرآء يتزوج

٥٥ فقط حالة كون السمر يتزوج منهنّ ٧٩ في المئة . وبمراجعة التاريخ وجد ما يؤذن بتحقيق هذا القول وان عدد السمر قد ازداد كثيراً على عدد الشقر وذلك ان اوميروس في احدى قصائدهِ المعروفة بالالياذا يصف الجيش والنسآء بشقرة الشعر ولكن اذا نظرنا اليوم الى سكان شواطئ الارخبيل نجد شعورهم سودآء . وكذلك على عهد الرومان كان الغلوا شقر الالوان الا ان ذريتهم اليوم ليست كذلك . ومثلهم الجرمانيون والسكنديناويون والانكليز السكسونيون فان هؤلآء كلهم كانوا يعدّون من ذوي الالوان الشقرآء ولكن عدد السمر ما زال يزداد كل يوم في المانيا واسوج وانكلترا

صفة دوآء منذ نحو ستة آلاف سنة ـ عثر احد علمآء الانكليز على صفة دوآء اكتُشفت في مصر تاريخ كتابتها منذ القرن الاربعين قبل التاريخ الميلادي وهي لعلاج الصلع وهذه صورتها

يؤخذ من شحم قوائم الكلب جزء ١ ومن تمر النخيل جزآن ومن حُكاكة حافر الحمار جزء ١ ويُصنع من هذه الموادّ الثلاث مرهم ويفرَك بهِ الرأس فركاً شديداً

فوائد

معرفة الشاي الجيد ـ تؤخذ قبصةٌ (مقدار ما يؤخذ بين اطراف الاصابع) من الشاي المراد اختبارهُ وتُجعَل في كاس ثم يُصَبّ فوقها ما يغمرها من المآء البارد فان كان الشاي جيداً لم يتلوّن المآء الا لوناً خفيفاً واما اذا

كان مغشوشاً فيتلون الماء لوناً ثقيلاً . ولتمام الامتحان يؤخذ كميتان من الشاي الجيد والمغشوش وتجعل كلٌّ منهما في كاسٍ على حدة وتُنقع كذلك ثم تُغلى كلٌّ منهما على حدة فيظهر الفرق باجلى وضوح وذلك ان ماء الشاي المغشوش مهما ثقل لونهُ يبقى شفافاً وبخلافهِ الشاي الجيد فان لون مآئهِ يكون كدراً او بلون اللبن وسببهُ وجود الحامض التنيك الذي هو خاصةٌ طبيعية في الشاي النقي ولا وجود لهُ في الشاي المغشوش

ازالة الحبر عن الثياب — يغمس موضع الحبر من الثوب في اللبن الحار واذا كان موضعهُ صغيراً يكفي ان يرطَّب باللبن ثم يُفرك بقطعةٍ مدمجة من النسيج الابيض وذلك ان يُبسط الثوب على فوطةٍ قد طويت عدة اضعاف ويكرر العمل الى ان يزول الحبر بتمامهِ ثم يُغسل اللبن بالماء الفاتر ثم بالماء البارد حتى يذهب اثرهُ بكليتهِ وهذا لا يضرّ شيئاً بلون الثوب الاصلي

اسئلة واجوبتها

المنصورة — اجد في كتب اللغة كلماتٍ شتى مثل صيغ مبالغة وغيرها مما هو بديهيٌّ انها مشتقة ولكن لا اجد لها فعلاً مذكوراً في هذه الكتب وذلك كالقوّاع كشدّاد بمعنى الذئب الصيَّاح فقد اوردهُ صاحبا لسان العرب والقاموس ولم يورد لهُ احدهما فعلاً وكذا القيّاع بالياء المثناة كشدّاد ايضاً بمعنى الخنزير الجبان فانهُ ورد في لسان العرب ولم يرد لهُ فيهِ فعل . فهل نعتبر صوغ فعلٍ لكليهما قياسياً لان المشتقات لا بدّ لها من مشتقٍّ منهُ

او نقتصر على الاسم مثلاً ولا نصوغ لهُ فعلاً محمود نجم الدين

الجواب ـ لا شك ان في كتب اللغة نقصاً كثيراً منهُ عن تخلف السماع لانهم لم يكادوا يدوّنون الا ما سمعوهُ ومنهُ عن اهمال الترتيب في مصنفاتهم بحيث لم يتتبعوا نسقاً مطرداً في سرد المشتقات فربما ذهبت عنهم بعض الكلمات من غير ان يتنبهوا لها ولذلك فكثيراً ما تجدون في تلك المصنفات انفسها الفاظاً لا يجرون لها ذكراً في مواضعها وعندنا من ذلك من القاموس وحدهُ ما ينيف على ست مئة لفظة . على ان الاظهر ان كل ما يؤخذ بالقياس ينبغي اثباتهُ في اللغة وان لم ينقلوهُ ولاسيما في مثل اللفظين اللذين ذكرتموهما اذ لا يُعقَل وجود المشتقّ بدون المشتقّ منهُ كما ذكرتم اللهمَّ الا فيما نصّوا على انهُ لا يُستعمَل منهُ فعل او أنّ فعلهُ قد أُميت وفي هذا البحث كلامٌ طويل يقتضي مقالةً برأسها وقد سبق لنا شيء من ذلك في مقالة اللغة والعصر المنشورة في البيان فراجعوها ان احببتم

القاهرة ـ نرجو اجابتنا على السؤالين الآتيين

(١) اذا اصيب احدٌ بدآء الطاعون فهل يمكن ان يصاب بهِ مرةً اخرى

(٢) ما هي الحبة الاكالة وكيف تُعالج وهل هي من الامراض المعدية

ا • ح • ع

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فالمشهور بين الاطبآء ان من اصيب بالطاعون مرةً لا يصاب بهِ مرةً اخرى لان الاصابة الاولى تكون بمنزلة لقاح لجسمهِ يمنع قبولهُ للدآء على حد التلقيح بسمّ الجُدَريّ مثلاً غير انهُ من

الممكن اذا طالت الفترة بين وبآء ووبآء ان يعود جسمهُ قابلاً للمدوى بهِ لان اللقاح يكون قد زال وبطل فعلهُ

واما السؤال الثاني فالظاهر منهُ انكم تريدون النوع المسمى بالذئب الآكال وهو قرحٌ درنيّ يتكون حوالي الفم ويمتدّ على سائر الوجه فيُحدث فيهِ تأكلاً وتشويهاً وافضل ما يعالج بهِ الكيّ بالكهربائية . واما ما ذكرتم من امر عدواهُ فمع انهُ من الامراض الجرثومية اي ذات المكروب فانهم يحققون ان العدوى بهِ من الامور المستبعدة

القاهرة — لماذا يجد الانسان الهوآء الذي يأتيهِ عن المروحة بارداً مع انهُ من نفس الهوآء المحيط بهِ　　مستفيد

الجواب — لان الهوآء المباشر للجلد يمتصّ البخار المنبعث من الجسم فاذا أُشبع منهُ قلّ التبخر الذي هو سبب البرودة طبعاً وبتحريك المروحة حول الجسم ينتقل ذلك الهوآء من مكانهِ ويحلّ محلهُ هوآء آخر مما يليهِ فيعود التبخر . ولهذا السبب عينهِ يشعر الانسان بزيادة الحرّ عند ترطُّب الهوآء صيفاً وينتعش اذا كان الهوآء جافاً

القاهرة — الذي في كتب النحو ان لفظتي كل وغير من الالفاظ الملازمة للاضافة ولكننا كثيراً ما نراهما مقرونتين بأل فكيف ذلك　　ا * ع

الجواب — ورد كلامٌ في هذه المسئلة في الجزء الاخير من البيان صفحة ٦٦١ فراجعوهُ

فكاهات

رواية

الوارث (١)

لما كانت سنة ١٨٧٠ اشتد الحرّ في لندن كثيراً فغادرها سراتها ورحل عنها كل من مكنتهُ ذات يدهِ الى القرى المجاورة فراراً من وقدة القيظ وجفاف الهوآء. وكان في احد القُطُر الخارجة من لندن قاصدةً بليموث رجلٌ يقال لهُ المستر بلاك وزوجتهُ ومعهما ولدٌ صغير اسمهُ جورج لهُ من العمر ثماني سنوات . ولم تكن هذه الأُسرة غنيةً وانما كان في ملك الاب قطعةٌ من العقار فباعها وتمكن بالقيمة التي حصَّلها ان يخرج مع الخارجين لقضاء فصل الصيف خارج لندن

فبينما القطار سائرٌ وقد اوشك ان يصل الى المحطة الاخيرة قبل بليموث اذ اصطدم بقطار آخر فتحطمت عرباتهُ وقُتل كثيرون من المسافرين فضلاً عمن ترضض وتكسَّر وشآء القدر ان يكون المستر بلاك وزوجتهُ من جملة القتلى فماتا وتركا ولدهما الصغير في تلك الحالة من الاغتراب والانقطاع . ولما انجلت الحادثة واجتمع الباقون من المسافرين اخذ كلٌّ يفحص عن معارفهِ ليتأكدوا من الباقي وكان جورج جالساً الى جانبٍ يبكي وهو لا يدري

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ماذا يفعل . وكان في جملة المسافرين رجلٌ من اشراف الانكليز اسمه المستر هرمن وهو شيخ واسع الثروة جدًّا ولكنهُ في عزلةٍ عن الناس لا يميل الى معاشرتهم ويقضي اكثر اوقاته في املاكهِ البعيدة عن المدن الآهلة وكان مسافراً الى بليموث ليقضي فيها بضعة ايام في قصرٍ لهُ في ضواحيها . ورأى المستر هرمن جورج يبكي على اثر الاصطدام المذكور فاقترب منهُ وسألهُ هل اصابك ضررٌ يا فتى . قال لا ولكن قُتل ابي وامي وبقيت وحيداً لا اعرف احداً ولا ادري اين اذهب. ثم استغرق في البكاء والنوح فرقَّ لهُ قلب المستر هرمن واخذ يلاطفهُ ويعزّيهِ ثم حملهُ معهُ في عربةٍ حتى بلغ بليموث فاستصحبهُ الى قصرهِ وجعلهُ عندهُ كولدهِ . ورأى جورج من انعطاف المستر هرمن عليهِ وجمال القصر وتوفر اسباب السرور ما انساهُ مصابهُ فعاد الى سرورهِ وحبورهِ وهو يطفر في غرف القصر ويمرح لاعباً . وكان الغلام بهيَّ الطلعة ذكيَّ الفؤاد فاحبهُ هرمن ووجد بهِ تعزيةً لهُ في شيخوختهِ فعاملهُ معاملة الاب لابنهِ الوحيد . وكان اصطدام القطار قد اضرَّ بصحة المستر هرمن فلزم قصرهُ في بليموث ولم يعد يفكر في تركها فاستحضر اساتذة لتعليم جورج وبقي واياهُ في تلك البلدة الى ان شبَّ. ولما كان المستر هرمن لا تمكنهُ مفارقة البيت كان جورج يقضي اكثر اوقاتهِ معهُ يقرأ لهُ او يقصُّ عليهِ الحكايات التي قرأها ولم يكن يخرج من البيت الاَّ نحو ساعة كل يوم يقضيها في بيت سيدةٍ تعرَّف بها في تلك البلدة وهي ارملةٌ ولها ابنة تسمى اميليا . فأحب جورج الفتاة واحبتهُ هي ايضاً محبة شديدة وكانت والدة اميليا تعرف غنى هرمن ومحبتهُ لجورج فتاكدت انهُ لعدم وجود

وارث لهُ لا بد ان يوصي بجميع املاكهِ لجورج ففرحت جدًّا بتعلقهِ بابنتها وكانت تجتهد في تمكين المحبة بينهما

ودامت الحالة على ما ذكر الى ان بلغ جورج الثامنة عشرة من عمرهِ وازدادت صحة المستر هرمن سوءًا وجعل مرضهُ يشتدُّ يوماً بعد يوم حتى يئس الاطبآء من شفآئهِ . ولما شعر بدنوّ اجلهِ دعا جورج اليهِ واخذ يكلمهُ فقال

قد فقدتَ يا جورج والديك وجميع مالك فأخذتك وربيتك كابني وقد اطلعتك على جميع مقتنياتي واملاكي وحساباتي فأنت في معرفة احوالي مثلي . والآن فاني اشعر بدنو اجلي وقد كتبت امس وصاتي الاخيرة وسجّلتها وعهدت اليك في انفاذها وقد استدعيتك الآن لابلغك ارادتي الاخيرة

فأصغى جورج بمزيد الانتباه ومرّت امام عينيهِ آمال المستقبل وظن ان المستر هرمن سيوصي لهُ بجميع املاكهِ واموالهِ فيسرع الى حبيبتهِ اميليا ويتزوج بها ويعيش سعيداً . ثم اتمّ الشيخ حديثهُ فقال اني قد خصصتك يا جورج بمبلغ الف جناي . فاضطرب جورج عند سماعهِ هذا المبلغ فقط ولكنهُ اخفى ما بهِ فقال الشيخ واما باقي مالي واملاكي فقد جعلتهُ لوارثٍ لي اجهلهُ فعليك انت ان تتوصل الى معرفتهِ وتوصلهُ اليهِ فاسمع ما اقول . كان لي شقيقةٌ تدعى ماري تزوجت بغير رضاي من رجلٍ يقال لهُ ليوبلد غراي وعلمت انني غير راضٍ عن هذا الزواج فغادرت بيتي وذهبت مع زوجها الى ليدس وهو هناك صاحب نزل حقير يدعى نزل الغزال . ومذ ذاك انقطعت اخبارها عني سوى اني علمت بعد ثلاث سنوات ان زوجها توفي ثم توفيت هي تاركةً ولدًا لها في الشهر التاسع من العمر ولم اعلم اذكرٌ ذلك

الولد ام انثى ولكنهُ مهما يكن فقيهِ من دم أُسرتي ولا اسمح ان يُهان او يشقى ما دام في الوسع اغاثتهُ ولذلك فقد خصصتهُ بجميع مقتنياتي . فعليك اذاً بعد موتي ان تسعى في اقتفاء اثرهِ وتبحث عنهُ فاذا وجدتهُ فسلّم اليهِ كل شيء واذا لم تجدهُ فيجب ان تبحث عن صك وفاتهِ فاذا حصلت عليهِ ولم تبقَ في موتهِ شبهة فجميع مقتنياتي تكون لك اذ ليس لي بعد هذا الوارث سواك فهل تقسم لي انك تفعل كما قلت لك . فجثا جورج امام الشيخ واقسم لهُ ان يفعل حسب ارادتهِ تماماً . فتنهد الشيخ ثم ضم جورج الى صدرهِ وقال قد اتممت الآن ما عليَّ فأموت مطمئنّ البال ثم اسلم الروح

فاهتمّ جورج بتجهيزهِ ودفنهِ على ما يليق بمكانهِ ثم انصرف لترتيب حساباتهِ وانهاء اشغالهِ والاهتمام بالبحث عن الوارث المذكور . وفي ذلك المساء ذهب الى بيت حبيبتهِ اميليا فاخبرها بما جرى فلم يهمها شيء من ذلك لانها لم تكن تسأل عن شيء سوى جورج . اما والدتها فاستاءت من وصية المسترهرمن وغاظها هذا الوارث الجديد ولكنها عللت النفس بأمل عدم الاهتداء اليهِ حياً بل غلب على ظنها ان يكون قد مات من زمان وان تلك الثروة الطائلة ستعود الى جورج فيصير صهرها وهكذا ضمنت لابنتها المستقبل السعيد

اما جورج فعزم على السفر الى ليدس وفي اليوم الثالث ودّع اميليا ووالدتها وسافر ولما بلغ ليدس سأل عن نزل النزال فارشدوهُ اليهِ فتوجهَ توّاً . وكان صاحب هذا النزل اذ ذاك رجلاً في منتصف العمر وكانت اول مرةٍ رأى فيها رجلاً شريفاً يقصد نزلهُ فجعل يدور في خدمتهِ ويجدّ في

سبيل سروره وراحته . وكان جورج قد اعياهُ تعب السفر والجوع فطلب طعاماً واكل ثم تمدَّد على كرسيٍ واستدعى اليهِ صاحب النزل وجعل يسأله عن مدة خدمته في النزل وعن سلفه الى غير ذلك من الاسئلة علهُ يهتدي بشيء من القرائن الى معرفة الولد . ففهم من مجمل حديثهِ ان صاحب النزل الحالي استولى عليهِ منذ تسع عشرة سنة اي منذ وفاة صاحبهِ السابق وكان اسمهُ ليوبلد غراي وان ليوبلد ترك زوجتهُ حُبلى فلم يمكنها متابعة الشغل فيهِ وخشيت ان تلد في ارضٍ غريبة لا انسبآء لها فيها ولا معارف فباعت النزل للصاحب الحالي وسافرت قاصدةً يورك. ولم يتمكن جورج من معرفة اكثر من ذلك فنام ليلتهُ وفي الصباح التالي انطلق الى يورك وجعل يبحث عن امرأةٍ قدمت اليها في التاريخ الذي علمهُ من صاحب الفندق. وبعد ان بحث يومين بحثاً مواظباً توصل الى معرفة الغرفة التي اكترتها ماري غراي فقصدها ولما بلغها طلب مواجهة صاحبة البيت فظنتهُ يريد اكتراء احدى غرفها فاستقبلتهُ باسمةً فقال لها هل تذكرين يا سيدتي امرأةً جاءتكِ منذ تسع عشرة سنة وهي حاملٌ فاكترت منكِ هذه الغرفة . قالت نعم اذكرها لانها بقيت عندي مدة. قال وما تعلمين عنها قالت انها بعد ان نزلت عندي ببضعة اسابيع رزقها الله ولداً لست ادري هل كان ذكراً او انثى وبعد ما تماثلت من نفاسها اكترت لها فندقاً في ضواحي المدينة وكانت تشتغل فيهِ مدة ستة اشهر ثم بلغنا انها توفيت الى الله وان رجلاً كان خادماً عندها صفّى حساب الفندق وسافر بالطفل الى حيث لم نعلم ولعلَّ سفرهُ كان الى لندن

ورأى جورج في طريقهِ عقبات ونازعتهُ نفسهُ الى لقاء اميليا فأرجأ

البحث ورجع الى بليموث وقصّ على اميليا ووالدتها ما كان من بحثهِ . وكان في بليموث فتًى يدعى اميل كان يرافق جورج في الصيد وبلغتهُ القصة فقال لجورج اراك قد مللت من البحث وهذا امرٌ يقتضي صبراً طويلا وتنقيباً مدققاً وربما استغرق اشهراً فمن رأيي ان تكل هذا البحث الى من يكون اجلد منك على مشاقّ السفر ومعاناة الاتعاب فاختر لك رجلاً تعتمدهُ وتنقدهُ نفقات سفرهِ وبضعة دنانير فيعود اليك بالخبر اليقين بدون ان تكلف نفسك هذا السعي الشاق . قال جورج ومن اين لي من يقوم بهذه المهمة . قال اميل انا لها اذا فوَّضتها اليَّ . ففرح جورج واثنى على اميل ثم اطلعهُ على وصية المستر هرمن وعما عرفهُ في سياحتهِ ونقدهُ مبلغاً من المال وسافر على بركات الله

وبعد ان اتى على ذلك مدة خمسة عشر يوماً عاد اميل من سفرتهِ فاستقبلهُ جورج بكل احتفاء وسألهُ عن مسعاهُ فقال اظنني ادركت الغاية فانني سافرت توًّا الى يورك ودققت البحث في الفندق الذي يئست انت عندهُ فعلمت ان الخادم الذي اخذ الطفل اسمهُ رابول وان الطفل ابنةٌ سافر بها الى لندن حيث اقام يعمل في صناعتهِ ويربيها ولا تزال عندهُ الى اليوم وهو مقيم في العطفة الاولى من شارع استرَند في لندن . فاذا شئت ان تواجههُ فما عليك الا ان تسافر الى حيث اعلمتك وتسأل عن رابول فتراهُ وترى الفتاة واسمها على اسم والدتها ماري وهي صبيحة الوجه بهية الطلعة شقرآء الشعر . فما صدق جورج ان سمع منهُ ذلك حتى ذهب توًّا الى محطة القطار فسافر الى لندن وتوجه الى شارع استرَند وسأل عن بيت رابول

فوجدهُ مقفلاً فسأل الجيرة فأخبروهُ ان رابول سافر فاستآء جورج لاخفاق مسعاهُ ورجع الى المحطة وهو في غمٍّ عظيم . ولما دنا مسير القطار رأى بين المسافرين رجلاً يناهز الخامسة والثلاثين من عمرهِ وبصحبتهِ فتاةٌ في مقتبل الشباب بهية الطلعة شقرآء الشعر فخفق قلبهُ ولزمهما عن قربٍ علهُ يتحقق شيئاً قبل ان يبادئهما بحديث وعلم انهما يقصدان بليموث فازداد سرورهُ . ولما دخلا المربة دخل على اثرهما وجلس يتفقدهما بتأمل ثم اصغى الى حديثهما فسمع الرجل ينادي الفتاة باسم ماري او السيدة غراي وهي تناديهِ باسم رابول فلم يبق عندهُ ادنى شك في انها وارثة المستر هرمن وسُرَّ باهتدائهِ اليها لانفاذ وصية مربيهِ وان لم يخلُ من الاغتمام لوجودها حيةً وحرمانهِ تلك الثروة الطائلة . ثم انهُ لما رأى جمال ماري البارع خطر لهُ فكرٌ آخر ان يتزوج بها فتبقى الثروة لهُ ولكنهُ للحال تذكر اميليا فارتعشت فرائصهُ واستنكر هذا الفكر الطارئ . وبعد قليل دخل جورج معهما في الحديث فتبين لهُ ان الفتاة لا تعلم شيئاً من امر خالها هرمن وانها آتية مع رابول لقضآء بضعة ايام في بليموث تبديلاً للهوآء . ولما بلغ الثلاثة المدينة اخذهما جورج الى نزلٍ يقيمان فيهِ وعاملهما بمزيد الاحتفآء والعناية وفي اليوم الثاني اجتمع بالفتاة واطلعها على حقيقة الامر فسرَّت جداً وسألتهُ متى يمكنها ان تستولي على تلك الاملاك فقال حالما يفرغ المحامي من مطالعة اوراق التركة وسآمرهُ بذلك اليوم وربما انهي الامر في هذا الاسبوع . وتوجه جورج الى بيت اميليا فاطلعها على جلية الخبر غير ان والدتها لم تعتقد اعتقاد جورج وحدثتها نفسها ان في الامر نوعاً من الدسيسة . واشتغل

المحامي بالاوراق حسب امر جورج ولكنهُ كان يحب جورج حباً صحيحاً ويود ان لا يحرمهُ ذلك الارث العظيم وظن كوالدة اميليا ان في ظهور الوارثة سرًّا فأجَّل الامر الى اسبوع واخذ يفحص عن حقيقة المسألة .
وقلَّت زيارات جورج لاميليا لاشتغالهِ بماري وادرك الجميع ذلك منهُ فكانت اميليا في كمدٍ داخلي عظيم . اما ماري فكانت تلحُّ على جورج بوجوب انهآء الامر وحصولها على حقها الشرعي في اسرع ما يمكن . ولما كان اليوم السادس من وصولها الى بليموث استدعت جورج وقالت لهُ انت تعلم ان المستر رابول هو الذي رباني ولهُ عليَّ حقُّ الوالد على الولد وقد بلغنا اليوم خبر سيّئ في الغاية وهو انهُ خسر في اشغالهِ ثلاثة آلاف ليرة وهو يكاد يموت غماً ولما كان من المفروض عليَّ مؤاساتهُ واعانتهُ فاحب ان اعوض عليهِ هذا المبلغ بجزء يسير من إرثي فاذا كان امر التركة لم ينتهِ بعدُ فارجو ان تنقدني الآن هذه الدفعة من اصل حقي تداركاً لحال هذا الرجل والحَّت عليهِ في ذلك حتى خرج جورج ووعدها انهُ يواجه المحامي في المسآء ويحضر منهُ المبلغ . وبعد ان تناول جورج العشآء توجه الى بيت المحامي فقيل لهُ انهُ ذهب الى بيت اميليا فتعجب جورج من هذه الزيارة وتذكر انهُ لم يزرها من مدة فتبعهُ الى هناك . وبعد ان جلس هنيهةً قال للمحامي اتيتك في طلب ثلاثة آلاف ليرة لصاحبة الارث دفعةً من اصل ارثها لداعٍ موجب . قال المحامي ولكنني لا يمكنني ان اعطيك درهماً واحداً قبل نهاية تحقيقي . فاغتاظ جورج من هذا الجواب وصاح بهِ ويحك الا تدري اني انا الوصي المطلق وليس لاحد ان يعارضني فيما افعل فانا آمرك ان تجهز لي المبلغ غداً صباحاً . وقبل ان

يتم جورج كلامهُ فُتح الباب ودخل فتى قصير القامة حادّ النظر فحيّا باحترام. فتعجب الجميع من دخول هذا الغريب الأَّ المحامي فتبسم لهُ وقال ما ورآءك يا وليم . ثم نظر الى الجالسين وقال انني خامرني شكٌّ في امر السيدة ماري ورفيقها رابول ولم اعتقد انها الوارثة الشرعية فأجلت الامر واستدعيت من لندن المستر وليم وهو من ادهى رجال الشحنة فكلفتهُ ان يتحقق ذلك وقد وصل الآن وفي ظني ان كل واحد منا يودّ سماع ما سيقولهُ . فتوجهت ابصار الجميع الى وليم واصغوا لهُ اسماعهم فقال لقد ثبت لي ان رابول وماري ليسا الأَّ اثنين من المتطوّحين اصحاب الجرائم استأجرهما احد اللصوص لسلب إرث المستر هرمن . فلم يكد جورج يسمع ذلك حتى ارتعد جسمهُ وجحظت عيناهُ وصاح بهِ ماذا تقول . فتبسم وليم وقال اسمع يا مولاي . ان صديقك بل عدوك اميل لما اطلع على وصية المستر هرمن وسوس اليهِ الشيطان باختلاس الثروة ولما اخبرتهُ بما اسفر عنهُ بحثك الاول سافر الى لندن واستأجر هذه العاهرة ورفيقها اللص بمبلغ جسيم ليأتيا على الصورة التي رأيتهما حتى اذا حصل الإرث في يدها صرفتهُ الى اميل واستوفت اجرتها منهُ ولكن سآء فألهما فلن يدركا منهُ ولا قدر قلامة . فتبسم المحامي لفوزهِ وبرقت اسرة والدة اميليا لتحقق زعمها . اما جورج فلبث مبهوتاً ونظر الى اميليا فرآها مطرقةً الى الارض وكان ذلك اعظم توبيخٍ لهُ على اهمالهِ اياها . ثم قال المحامي لوليم أوَلم تعرف لنا شيئاً عن الوارث الحقيقي للمستر هرمن . قال وليم بلى فان ما ذكرتهُ الآن لم يشغلني سوى بضع ساعات اما معظم وقتي فقد صرفتهُ في اقتفاء اثر الوارث الحقيقي وقد وجدتهُ والحمد لله . فصاح الجميع

وجدتهُ فمن هو واين هو . قال وليم هو قريبٌ منا وفي بليموث فان ماري شقيقة المستر هرمن لما كانت في يورك ولدت غلاماً لابنتاً ثم اتخذت لها فندقاً ترتزق منهُ ولبثت فيهِ مدة ستة اشهر قبل وفاتها واتفق في يوم موتها ان مرَّ من هناك رجلٌ يدعى المستر بلاك ومعهُ زوجتهُ فقصدا الفندق ودخلاهُ فلم يجدا فيهِ احداً سوى جثة الام والولد الباكي ولم يكن لهما اولاد فحملا الغلام معهما الى لندن بعد ان كتبا في دفتر الفندق عملها هذا حتى اذا وُجد للغلام من يسأل عنهُ يمكنهُ الاهتداء اليهِ . ولكن لم يكن من يهمهُ امرهُ فبقي عند المستر بلاك ودعاهُ جورج ورباهُ كولدهِ مدة ثماني سنوات وبعد ذلك سافر المستر بلاك بأهل بيتهِ لقضاء فصل الصيف في بليموث فاصطدم القطار في الطريق قرب بليموث وقُضي على المستر بلاك وزوجتهِ وبقي جورج وحيداً للمرة الثانية فعطف الله عليهِ قلب المستر هرمن وهو في الحقيقة خالهُ فاخذهُ اليهِ وها هو انت ايها المستر جورج الوارث الوحيد لاملاك خالك ومقتنياتهِ . وان شكَّ احدٌ فيما اقول فلينظر الى هذه الاوراق ثم بسط اوراقاً وشهاداتٍ عديدة تؤيد قولهُ بالحجج والبراهين الساطعة . فتعجب الجميع واقبلوا يهنئون جورج ويتمنون لهُ الخير . وفي اليوم الثاني رفع المحامي القضية الى الحكومة فألقي القبض على اميل وماري ورابول وبعد التحقيق حكم على الاول بالاشغال الشاقة وعلى الاثنين الآخرين بعقابٍ اخفَّ منهُ قليلاً . اما جورج فتزوج باميليا وكافأ محاميهُ ووليم مكافأةً سنية وعاش مع زوجتهِ بتمام السعادة والغبطة متمتعاً باملاك خالهِ واموالهِ

اسرار العين

لا شك ان العين هي اشرف الحواس واوسعها ادراكاً وابعدها تناولاً واجلها منفعةً لانهُ بها تُدرَك صوَر الاشياء بالوانها واشكالها ومقاديرها ومسافاتها وهي رسول الانسان الى ما يحيط بهِ من عالم المنظور وكتابهُ الذي يتصفحهُ على مرّ الاوقات فيستنبط منهُ بدائع العلوم والآلة التي يستعين بها على مزاولة الاعمال ولهُ فيها من اللذة بما تورد عليهِ من المناظر المتنوعة والمشاهد المتتابعة ما لا تمدها فيهِ حاسةٌ اخرى فهو ابداً منها في معرض حافل لا يعدم فيهِ شاغلاً لذهنهِ او فؤادهِ ولولاها لكان كالسجين لا يخرج من مكانهِ ولا تتعدى حواسهُ جدران سجنهِ وكان بينهُ وبين سائر الموجودات حجابٌ لا يُخرَق

والعين على ذلك من اعجب الاعضاء خلقةً وادقها تركيباً واصفاها جوهراً والطفها حساً لان مدرَكها هو امواج النور الذي هو الطف شيء في المحسوسات وهي مكوَّنةٌ على هيئةٍ بها تخترقها تلك الامواج وتحمل اليها صوَر الاشياء فترتسم فيها بادق مميزاتها واخفى مشخصاتها . وليس غرضنا في هذا الموضع تفصيل اجزاء العين وبيان ما في خلقها من الحكمة البالغة فذلك مما تكرر الكلام فيهِ حتى صار اشهر من ان يذكر وانما القصد هنا بيان بعض ما خُصَّ بهِ هذا العضو العجيب من غوامض الاسرار التي حُجبت عن ادراك كنهها عقول الحكماء وكُفت عن حل رموزها بصائر العلماء

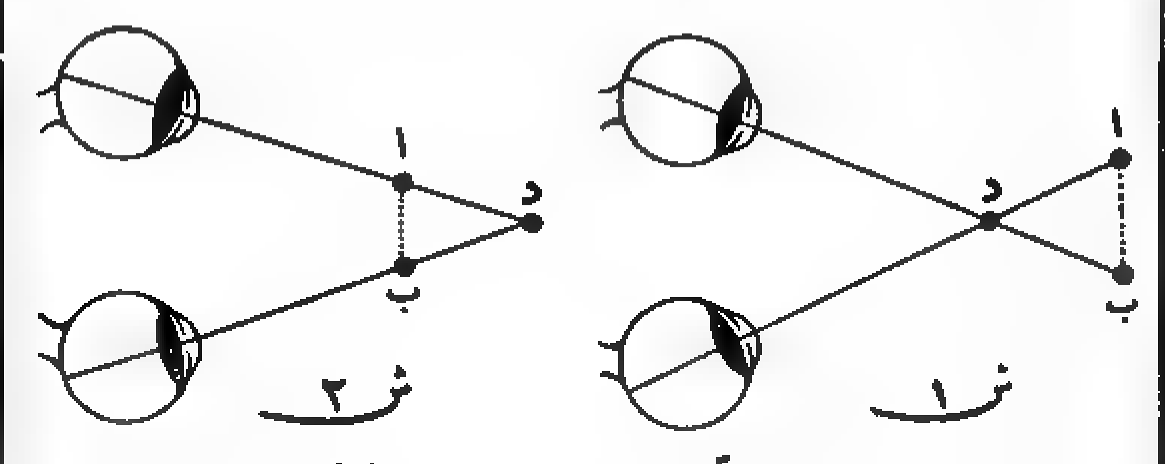
فمن اخفى تلك الاسرار واعظمها اشكالاً ما يعلمهُ كل احدٍ من أن صُوَر الاشباح في نفوذها بلورية العين تتقاطع اشعتها وترتسم على الشبكية مقلوبةً على حدّ ما نرى الاشباح على الزجاجة الخشنة في الخزانة المظلمة التي تستعمل في التصوير الشمسي مثلاً لان مبدأ التركيب فيهما واحد ولكنا مع ذلك لا نراها مقلوبةً لاتفاق الصورة المدركة بالبصر والشبح الخارجيّ على وضعٍ واحد مما نعلمهُ كل يومٍ بالاختبار. وقد اوغل اهل العلم في البحث عن هذه القضية والوقوف على علة رؤيتنا للاشباح مستقيمةً ولهم في ذلك اقوالٌ اشهرها ان ذلك ناشئٌ عن تعقل المرئيات بعد وصول صورها الى الدماغ بحيث ان العقل لا ينظر الى الصورة نفسها ولكن ينظر الى الشبح بواسطة الصورة وبعبارةٍ اخرى ان العقل يردّ تلك الاشباح الى استقامتها اعتماداً على ما اختبرهُ من وضعها الحقيقي بواسطة اللمس ثم صار ذلك بالعادة امراً بديهياً للعقل في كل مرئيّ ولو لم ينلهُ اللمس . وعلى ذلك فالعقل انما يتناول من البصر الالوان والاوضاع النسبية دون مطلق الاوضاع ثم يرتب الصور على ما ينبغي ان تكون عليه في الخارج قياساً على ما عهد منها او من امثالها فيرد كل واحدٍ من المنظورات الى كيانهِ الطبيعي

ثم ان الشبح يرتسم على كلتا الشبكيتين فكان ينبغي ان نراهُ شبحين ولكنا مع ذلك لا نرى الا شبحاً واحداً . ثم ان هذا الشبح لو نظرت اليهِ بكل عينٍ وحدها مع تغميض الاخرى لم تتطابق الصورتان الحاصلتان عنهُ كذلك ويتضح لك ذلك مما اذا نظرت الى جسمٍ مكعبٍ بين يديك بحيث

تكون احدى زواياهُ موجهةً اليك وراقبت صفحيهِ المكتنفين للزاوية فانك اذا نظرت اليهِ باليمنى وحدها رأيت الصفح الايمن اعرض من الايسر واذا نظرت اليهِ باليسرى رأيتهُ على الضدّ من ذلك وهذا ولا بدّ يقتضي تغير مكانهِ بالاضافة الى كلٍّ من العينين وهو ما تراهُ فعلاً اذا نظرت الى شبحٍ على مسافةٍ ما ووسّطت بينك وبينهُ شبحاً آخر دقيقاً كقلمٍ مثلاً فانك تراهُ تارةً الى يمين القلم وتارةً الى يسارهِ ولكن اذا نظرت اليهِ بالعينين جميعاً ظهرت لك عنهُ صورةٌ واحدة معتدلة بين المنظرين او موافقة لاحدهما دون الآخر . وذكروا من علة ذلك ان الذي يُرَى حقيقةً هو احدى الصورتين وهو قول غاسندي والظاهر ان هذا القول ينطبق على المنظر الثاني الذي فيهِ توافق احدى العينين الاخرى فانهُ اذا اختلفت العينان قوةً وضعفاً كان المنظر تابعاً لاقواهما . وذهب تيلر وولستون الى ان كل نقطتين متقابلتين يميناً او شمالاً على كلتا الشبكيتين توافقان عصباً واحدًا من العصب الدماغي تتحدان فيهِ بتعارض العصبين البصريين . وردَّ برُستَر اتحاد الصورتين الى العقل والعادة بنآء على انهما تنتهيان الى العقل كذلك ثم يتصرف فيهما على حدّ ما ذكر في امر الرسم المقلوب . وايّ هذه المذاهب كان اصحّ فلا ريب ان النظر الى الشيء بالعينين مما يجعلهُ اوضح مما يُرَى بعين واحدة كما يُعلم ذلك بالاختبار

ومن غريب ما هناك انهُ اذا نُظر الى شيئين متشابهين بحيث ان محورَي البصر يلتقيان في احدى نقطهما رُؤي الشيئان شيئاً واحداً . والمراد بمحور البصر الخط المتجه من الشبح الى مركز البؤبؤ ومركز البلورية كاحد

الخطوط التي تراها في الشكلين امامك . وذلك كما اذا نُظِر الى هذين الشيئين من خلال انبوبين يوجَّه كلٌّ منهما الى احد الشيئين بحيث يتجه محورا العينين في جهتين مختلفتين تتلاقيان في نقطةٍ تجمعهما فانهُ يُرَى هناك شيءٌ واحد إمّا امام الشبحين كما في الشكل الاول او وراءهما كما في الشكل الثاني . واذا كان هذان الشيئان قرصين مثلاً احدهما اخضر والآخر احمر رُؤي



هناك قرصٌ ابيض لان كلاًّ من هذين اللونين متمٌّ للآخر وهذا يدلّ على ان التأثير قد حصل على كلٍّ من العينين وان الرسمين يتطابقان حتى ينشأ عنهما رسمٌ واحد

ثم ان الذي يرتسم في العين انما هو لون الشبح وشكلهُ وهما انما يرتسمان على الشبكية رسماً مسطحاً على حد الصورة التي يرسمها المصور على الالواح ولكن العين ترى ذلك الشبح مجسماً اي ذا اقطارٍ ثلاثة من الطول والعرض والعمق على حدّ ما هو عليهِ في الخارج . ثم هو مع كونهِ مرسوماً في داخل العين فانا نبصرهُ في خارجها لا في داخلها وندرك مع ذلك مقدار حجمهِ وما هو عليهِ من المسافة وما بين شبحٍ وآخر من التفاوت في ذلك حتى لقد يسبق الى الذهن ان القوّة الباصرة هي التي تنتقل الى الاشباح وتميز

اشكالها واوضاعها وهو مقتضى اكثر الالفاظ المستعملة في اللغة للتعبير عن النظر كقولهم وقع عليهِ بصري وحدجتهُ ببصري ورميتهُ ببصري ورشقتهُ بنظري وسرَّحت فيهِ نظري وغير ذلك ولعلَّ هذا ما حدا بعض المتقدمين على القول بان الإبصار يتم بخروج جسمٍ شعاعي من العين الى الشبح المرئيّ فيُبصَر حيث هو لا في داخل العين . والمحققون يردّون كل ذلك الى تصرف العقل في هذه الصور وردّها الى حقائقها اعتماداً على ما سبق اليهِ من الاختبار من غير طريق البصر . وبيانهُ ان تجسيم الشبح عند العقل لم يتأتَّ الا بعد معرفتهِ بواسطة اللمس ان ذلك الشبح جسمٌ لا رسم ومراقبتهِ ان مواقع النور والظل على الاشباح تختلف باختلاف ما يمثل شكلها من السطوح على ما هو المبدأ في التصوير فانهُ كلما كان وضع النور والظل محكماً موافقاً للمنظر الطبيعي كانت الصورة اشدَّ شخوصاً حتى لقد تتوهم في بعض الصور المتقنة انك ترى اشباحاً لا رسوماً . وذلك ان الذي يدركهُ البصر من الاشياء انما هو النور المنعكس عنها او المنبعث منها الى العين لا ذوات الاشياء باعيانها ومعلومٌ ان النور ينعكس على زوايا قانونية لا تتغير وهو مفاد قولهم ان زاوية الانعكاس تعدل زاوية الوقوع فاذا وقعت الاشعة على سطحٍ ما انعكست عنهُ اما الى جهة واحدة وذلك اذا كان مستوياً كسطح المرآة مثلاً او الى جهات شتى اذا كان سطحهُ مختلفاً والرؤية انما تحصل عند انعكاس الاشعة على الخط الموافق للبصر ولذلك فكلما كثرت هذه الاشعة كان السطح المنعكسة عنهُ اوضح فاذا نظرت الى الكرة مثلاً رأيت منها نقطةً مضيئة هي التي يوافق انعكاس الشعاع عنها اتجاه البصر ثم

يضعف النور المنعكس عن سائر اجزآئها بالتدريج حتى يكون على محيطها مثل الظل وهذا المنظر هو الذي تدرك بهِ انها كرةٌ ولولا ذلك لرأيتها سطحاً مستوياً. وكذا يقال في الاجسام المتعددة السطوح قياسيةً كانت كالمكعَّب مثلاً او غير قياسية كقطعةٍ من صخرٍ غير منحوت فان قوة الانعكاس عن بعضها وضعفهُ عن البعض الآخر يدلّ على اتجاه كل سطح منها بحيث انهُ اذا كان بعض تلك السطوح نيراً وبعضها مظلماً يسبق الى البديهة ان اتجاههما مختلف وهذا الاختلاف يكثر او يقل بحسب كثافة الظل او خفتهِ ولذلك ترى النور على السطح الكروي يضعف تدريجاً وبين سطحين يتصلان بزاوية يضعف دفعةً وقس على ذلك وبالعادة اصبح ذلك بديهياً عند العقل بحيث صار يشخص الاشباح ويمثل اشكالها من مجرد هيئة انعكاس النور عنها

وعلى مثل هذا يوجَّه ما ذُكر من ادراك قرب الشبح وبعدهِ وذلك ان الاشعة باتجاهها من الشبح الى العين ترسم زاويةً قاعدتها الشبح وقمتها عند مركز البؤبؤ وهذه الزاوية تنفرج كلما قرب الشبح فيرى بالضرورة اكبر وتضيق كلما بعد فيرى اصغر وبذلك يُستدَلّ على قربهِ وبعدهِ . الا ان هذا انما يكون فيما قد عُرِف حجمهُ او عند المقابلة بين الشبحين المتماثلين كرجلين متساويي الطول مثلاً . وهناك امرٌ آخر وهو وضوح النور والظل المرتسمين عن الشبح فانهُ كلما بَعُد الشبح كان هذا الوضوح اقلّ كما تجدهُ بالمراقبة ولذلك فكثيراً ما يبطل الاستدلال بكبر الشبح وصغرهِ اذا استوى وضوح النور والظل بين الشبحين فيُحكم باستوآئهما في البعد وان

اختلف حجمها في رأي العين وكثيراً ما ينعكس مقتضاهُ فيحكم بان اكبر الشبحين هو الابعد بالدليل عينه

وبهذه القاعدة نفسها يُدرَكُ كبر الاجسام وصغرها لان الحجم مرتبطٌ بالمسافة وكلاهما يدركان في وقتٍ واحدٍ فانك اذا نظرت الى صفٍّ من العمَد رأيتها تقصر كلما بعدت لان زواياها تضيق تبعاً لمقدار مسافتها ولذلك ترى البنآءين احدهما ابعد عنك من الآخر فتقدّر حجم كلٍّ منهما وتقيس ما فيهِ من النوافذ من غير التفات الى الحجم النسبي وترى النافذتين في الجدار الواحد احداهما بالقرب منك والاخرى في الطرف الآخر فتحكم بداهةً انهما بقياسٍ واحد مع انك لو قست رسم شبحيهما الواصل الى العين لوجدت بينهما فرقاً عظيماً . ومن اغرب ما في هذه الحال انك تقف في طرف الشارع الطويل فتراهُ من اولهِ الى آخرهِ بعرضٍ واحد ولكنك لو قستهُ من مكانك على حسب ما يرتسم في العين لوجدت من التفاوت بين رؤية العين ورؤية العقل ما لا تكاد تصدّقهُ . واعتبر ذلك في صورة الشارع المرسوم على الورق فانك ترى اولهُ مما يلي العين منفرجاً جدًّا ثم يضيق حتى يتألف من عرض طرفهِ القريب وجانبي طولهِ شكلُ مثلث قمتهُ عند طرف الشارع الآخر وهي عين الصورة التي ترتسم منهُ على الشبكية ولكنك اذا نظرت اليهِ من انبوبٍ يحصرهُ للعين حتى يظهر لها مجسماً رأيت طرفهُ الآخر ممتدًّا الى مسافة بعيدة وزال ما كنت ترى من الفرق بين اولهِ وآخرهِ فرأيتهُ كلهُ بعرضٍ متساوٍ كما ترى الشارع الحقيقي

وقد بقيت في هذا الباب جهاتٌ أُخر اضربنا عنها حبّ الاختصار

وفي كل ما اوردناهُ اقوالٌ وتفاصيل شتى ذكرنا اشهرها واقربها من مظنة الصواب وان بقي في بعضها ما يشكل ادراكهُ او يصعب التسليم بهِ فسبحان من وسع كل شيء علماً

التبريد في الصناعة

ما برح الناس من اقدم زمن يستعملون الثلج للتبرُّد بهِ في زمن القيظ فيتخذونهُ من الكهوف والاخاديد في اعالي الجبال وربما جمعوهُ في اوان الشتآء فادّخروهُ في المستودعات الباردة تحت الارض . غير ان كثيراً من البلاد لا تتوفر فيها المقادير الكافية من الثلج لقلة اشتداد البرد فيها ايام الشتآء فيُضطرّ اهلها الى اجتلابهِ من البلاد الباردة فان باريز مثلاً كانت كثيراً ما تجلب حاجتها منهُ من بلاد نروج. ولما كان ذلك يدعو الى زيادة النفقة وغلآء الثمن اخذوا ينظرون في الذرائع المبلغة الى اتخاذ الثلج بالوسائل الصناعية وقد توصلوا الى ذلك باحدى ثلاث طرائق وهي تبخير المآء وتمديد الغاز واستعمال الامزجة المبرِّدة . على ان الطريقة الاولى من الطرائق الطبيعية في الاصل وقد عُرفت في الهند منذ زمن بعيد فانهم كانوا يتركون المآء في ليالي الصيف في آنيةٍ واسعة قليلة العمق فاذا كان الجوّ صافياً والهوآء راكداً تجمد المآء حتى على ١٠ درجات فوق الصفر. وقد استُعملت هذه الطريقة في فرنسا منذ نحو ٦٠ سنة في مكانٍ من ضاحية باريز يقال لهُ ستوان لكن لم يحصل عنها ما يفي بالحاجة لاختلاف الليالي برداً وجفافاً فاهملوها وعمدوا الى الطرائق الصناعية. وبنآء على ما هو معلوم من ان التبخر

يزداد في الفراغ اخذوا في اختراع الاجهزة التي يتمّ فيها هذا التبخر مع استخدام بعض الموادّ الشديدة الامتصاص للرطوبة بحيث تمتصّ البخار المتصعد عن الماء واول جهاز جاء وافياً بالمطلوب هو الجهاز المنسوب الى المسيو كاراي اتمهُ سنة ١٨٥٧ وهو يصلح لكل عمل يقتضي تبريداً شديداً من صنع الثلج وغيرهِ

اما الجهاز المبنيّ على تمديد الغازات فقلما استُعمل في الصناعة واول ما عُرف منهُ الجهاز الذي صنعهُ تيلورياي سنة ١٧٣٥ وقد كان يمتحن تجميد الحامض الكربونيك . واما استعمال الامزجة المبرّدة فقد عُرِف منذ القرن السادس عشر وهو اسهل هذه الطرائق واشيعها. ومبناهُ على القاعدة المعروفة من ان الاملاح تحدث عند ذوبانها هبوطاً في درجة الحرارة بما تمتصهُ من حرارة الماء او غيرهِ من الاجسام المحيطة بها. واول ما استعملت هذه الطريقة بملح البارود وذلك نحو سنة ١٥٥٠ واستعمل البَرد باكون بعد ذلك مزيجاً من الثلج والملح البحري ثم توصل غيرهُ الى غير ذلك وقد تفننوا كثيراً في هذه الامزجة على تراكيب شتى اشهرها ان يُمزَج ١٢ جزءا من مسحوق الثلج او الجمد و ٥ اجزاء من الملح البحري و ٥ من نترات الامونياك وبهذا المزيج يهبط ميزان الحرارة الى ٣١° تحت الصفر

واكثر ما يُستخدَم التبريد في صنع الثلج لعموم الحاجة اليهِ ويقدّر ان ما يُنفَق منهُ في العالم كلهِ يبلغ عشرة ملايين كيلغرام في اليوم واكثر استعمالهِ في انكلترا واميركا . ويستخدَم في غير ذلك في صناعة الجِعة (البيرة) منعاً لارتفاع درجة الاختمار لئلا يسرع اليها الفساد ويستعان بهِ في حفظ

المطاعم المعرَّضة للفساد كاللحم حتى صاروا ينقلونهُ من بلادٍ الى بلاد بجعلهِ في مستودعاتٍ مبرَّدة واول من تنبه لهذه الطريقة فيهِ تالياي الفرنسوي وقد شرع ينقل اللحم كذلك من اميركا منذ سنة ١٨٦٩ ثم اخذ ذلك عنهُ الاميركان والانكليز . واليوم فان اكثر من ٢٠٠ سفينة كبيرة مجهزة بالمستودعات المبردة تنقل الى انكلترا اللحم والسمن والفواكه الطريئة من الولايات المتحدة والجمهورية الفضية ورأس الرجآء وغيرها ومن هذه السفن ما يكون محمولها الى ٢٢٠٠ وسق من اللحم المجمَّد . وكذلك يُجلَب الى لندرا من اللبن المجمَّد والزُبد من الدنمرك وفنلندا وكندا ما يبلغ ٤٠٠,٠٠٠ لتر في اليوم وجميع مستودعات المدن الكبيرة بانكلترا واميركا مبرَّدة فتتراكم فيها الحاصلات الزراعية بحيث يمكن ان تبقى زمناً سليمةً من الفساد كغيرها من سائر البضائع

وقد يستعمل التبريد في ابوابٍ أُخر من الصناعة كاخراج الصابون ونحوهِ من قوالبهِ وكعمل الديناميت وغيرهِ من المواد الملتهبة وفي تربية دود القزّ عند ارادة تأخير النقف اذا تأخر تفطُّر التوت وغير ذلك . ولا يبعد ان يستعمل عن قريب في المساكن لدفع الحرّ في اوان القيظ كما يستعمل البخار الحارّ لدفع البرد في زمن الشتآء فان الحاجة تدعو الى الواحد كما تدعو الى الآخر وليس ادخال مبرّدٍ الى منزلٍ باصعب من ادخال مدفئ

وقد عُلم مما مرَّ ان استخدام التبريد لم يبلغ الى الآن خمسين سنة وقد حصلت عنهُ هذه النتائج فلا بدَّ انهُ متى وصلوا في اختبار طبيعة الدرجات التي تحت الصفر ومفاعيلها الكيماوية الى مثل ما وصلوا اليهِ في اختبار الدرجات التي فوقهُ سينشأ هناك سلسلةٌ اخرى من المنافع

اختراعات كوريا

لا شك ان المطالع يستغرب هذا العنوان بالقياس الى ما هو معلوم من موقع هذه المملكة القصية وانقطاعها في اطراف آسيا الشرقية بمعزل عن الممالك المتمدنة ولكنهُ اذا طالع تاريخها ووقف على ما لاهلها من السبق في حلبة الاختراع قضى العجب العجاب مما بلغتهُ هذه الامة الصغيرة من الذكاء والحذق

وقد اطلعنا في احدى المجلات العلمية الانكليزية على فصل في هذا المعنى ننقلهُ الى القرّاء لما فيهِ من الغرابة والاهمية فقد ذكرت ان اهل كوريا هم اول من صنع حروف الطباعة واول من وضع رسم دوارع السفن واول من عمل جسراً معلقاً واول من اخترع القنابل المنفجرة وقد ساقت تاريخ هذه الاختراعات بما نعرّبهُ تحصيلاً قالت

لما ثقلت وطأة الاحكام البوذية على هذه البلاد قام فيها قائدٌ يقال لهُ يي تاجنغ فأطلق عنها الربقة الصينية واستولى على زمام احكامها وذلك في سنة ١٤٩٢ ولما استقرّ لهُ الامر وجَّه عنايتهُ الى توسيع نطاق العلم في الامة ففتح المدارس ومهد سبل التحصيل وكان اليابانيون قد اخترعوا قديماً ضرباً من حروف الطباعة يصنعونهُ من الخزف فاخذ عنهم هذا الاختراع وهذبهُ واتمهُ فصنع الحروف من المعدن بحيث ينضدّ بعضها الى بعض وتُطلَى بالحبر ويُطبَع عليها الورق بالضغط ولا يخفى ان هذه هي عين الطريقة المستعملة اليوم بعد ان زادتها الايام تحسيناً والعقول سبكاً وقد برع الكوريون في هذه

الصناعة حتى كان العامل يطبع نحو ١٥٠٠ نسخة في اليوم

واما اختراع الدوارع فكان بسبب الحرب التي نشبت بين كوريا واليابان سنة ١٥٩٢ وقد جردت اليابان جيشاً جراراً كاد يطمي سيلهُ على البلاد حتى رأى الكوريون ان لا طاقة لهم بهِ فدفعتهم الحاجة وهي ام الاختراع الى استنباط السفينة المسماة بالسلحفاة لشبهها بهذا الحيوان في الهيئة وتغشيتها بغطآء يشبه الذَبْل اي عظم ظهر السلحفاة الا انهُ من صفائح الحديد وركب امير البحر المسمى يي في جماعةٍ من هذه السفن وسار بها لضرب الاسطول الياباني وكان مؤلفاً من ست مئة مركب فحطّمها وشتت شمل اليابان واهلك منهم خلقاً كثيراً

وفي نحو ذلك التاريخ أُلجئ الكوريون بما كان من الحروب المتواصلة ان يزحفوا الى جنوبي سيول وكان في طريقهم نهرٌ عظيم لا جسر لهُ ولم يكن لهم مندوحةٌ عن عبورهِ فامر القائد الجند أن يجمعوا لهُ الياف الشيك وهو نباتٌ لهُ اليافٌ متينة تمتدّ نحو مئة يرد فجدل منها حبالاً غليظة كثيرة اثبت اطرافها في الشاطئ الواحد وارسل الاطراف الأُخر الى الشاطئ الثاني واثبتها هناك ثم ادخل بين الحبال اخشاباً غليظة وفتل بها تلك الحبال بعضها على بعض حتى توترت وارتفعت عن سطح المآء نحواً من عشر اقدام وغطاها بالعشب والتراب فكانت جسراً متيناً طولهُ مئة وخمسون يرداً وعبر عليهِ الجيش وكان مؤلفاً من ١٢٠ الف مقاتل بامتعتهم واثقالهم

وفي تلك الحرب عينها اخترع الكوريون ضرباً من المدافع كان يقذف كراتهِ من فوق اسوار اليابان فاذا وقعت القنبلة في ارض العدوّ انفجرت

فنشبت قِطَعها بمن حولها او انبعثت عنها روائح كريهة قتالة . انتهى

وسننشر ما يتيسر لنا من جغرافية هذه البلاد ووصف طبائع اهلها في الاجزآء الآتية ان شآء الله

الرثية

جآءتنا من بيروت تحت هذا العنوان الرسالة الآتية

ورد في العدد الثالث عشر من ضيآئكم الاغر تحت عنوان لسعة الزنبور ما ملخصهُ ان الدكتور لندَر اصابتهُ رثيةٌ (روماتزم) واستعمل لها ضروباً شتى من العلاج فلم يجد في شيء منها نفعاً وان لسعة زنبور ازالت تلك الرثية المستعصية . وقد اطلعت في هذه الاثنآء على حادثة من هذا القبيل في مجلة « الطب الداخلي » التي تُطبع في باريز تحت رئاسة الدكتور لانسيرو فأحببت ان أُتحف بها قرآء مجلتكم الغرآء لما لها من العلاقة بالحادثة التي ذكرتموها

ان رجلاً من اهالي برغونيا بفرنسا أُصيب برثيةٍ في ظهرهِ واستعمل لها علاجات شتى فلم ينجع فيهِ منها شيء وفيما هو ذات يوم في حديقة بيتهِ مضطجعاً على مقعدٍ اذا بجماعةٍ من نحلٍ قد خرجت من خليتها ووقعت على شجرةٍ قريبة فاراد الرجل ان يُرجع النحل الى خليتهِ ولما لم يكن احدٌ في البيت اضطرّ ان يقوم بهذه المهمّة بنفسهِ فأخذ يدبّ الى ان وصل الى الشجرة وتسلّقها متحاملاً على نفسهِ ولم يكد يبلغها حتى سقط على الارض منكباً على وجههِ فانقضّت النحل على ظهرهِ تلسعهُ ولم يكن عليهِ سوى قميص رقيق ولم ينهض من سقطتهِ الا زال وجع ظهرهِ ومن ذلك الحين شفي من

رئيته بعد ان عانى اوجاعها ست سنوات

ثم انهُ بعد ستة اشهر اصيب برئيةٍ اخرى في ركبتهِ فأتى بنحلٍ ووضعها على ركبتهِ فاخذت تلسعهُ وما كادت تتم لسعها حتى زال الوجع . وبعد مرور تسعة اشهر اصيب ايضاً برئيةٍ في القَطَن فأتي بنحلةٍ واحدة ووضعها على الجانب الايمن منهُ فشُفي واستمرَّ الايسر على ما كان عليهِ ففعل بهِ كالاول فشفي تماماً . اه

ولعل الكيمياء ترينا في مستقبل الايام مادةً مضادة للرثية اذا تعددت امثال هذه الحوادث وستكشف لنا التجارب عن صحة هذه المسألة وارجو اطباءنا في القطرين ان يعيروا هذا الامر جانب العناية فان الحقيقة بنت البحث لا تتجلى الا بالتجارب وبتكرارها يظهر صحيح القول من فاسدهِ

نجيب بدورة

المدارس والمعاش

بقلم حضرة الاديب موسى افندي صيدح

ورد في الجزء الحادي والعشرين من هذه المجلة اقتراحٌ لاحد مهذبي الشبان المصريين يذكر فيهِ انهُ قضى ما ينيف على ثماني سنين في مدارس القطر وبعد خروجهِ منها واحرازهِ الشهادات المؤذنة بختمهِ دروسها لم يوفق الى اصابة خدمةٍ يرتزق منها ويسأل القرآء ارشادهُ الى وجهٍ يضمن لهُ ولامثالهِ مستقبل حياتهم . ولا يخفى ما في هذا السؤال من الاهمية التي تستحق ان يتنبه لها كل من يهمهُ امر مستقبل البلاد اذ ليس المقصود منهُ انتداب

ذوي العقول واصحاب الاقلام للنظر في امر واحدٍ من شبان البلاد ضاقت بهِ سبل المعاش ولكن الامر يتناول مئاتٍ بل الوفاً من اولئك المتخرجين ممن ضاقت بهم معاطف الشوارع واماكن اللهو وكلهم الا العدد اليسير منهم معطلون عن الكسب مُخلدون الى البطالة التي هي من شر المفاسد يقضون ايامهم فيما لا يجدي منفعةً ولا يكسب محمدةً ولا يُبقي على مالٍ موروث ولا مجدٍ تليد وعندنا من الشواهد اليومية على ذلك ما لا حاجة معهُ الى الاسهاب . ولا يخفى ما تجرّ هذه الحال من الشؤم والخراب على الأُسَر ثم على البلاد بالاجمال بحيث لا يلبث هذا القطر الا زمناً يسيراً حتى يرى رجال مستقبلهِ والذين كان يُعِدّهم للقيام باعبآء مهماتهِ وانمآء ثروتهِ وسعادتهِ هم انفسهم مصدر شقآئهِ ووبالهِ وسبب فقرهِ وخمولهِ واضمحلال آمالهِ

ومن المعلوم ان الشابّ لا يبلغ الدرجة التي يخرج فيها من المدارس حاملاً شهاداتها الا بعد ان يقضي زمن الصبوة وصدراً من زمن الشباب الذي هو زمن التحصيل والاستعداد لمستقبل الحياة وبعد ان ينفق من المال ما لو استبقاهُ لاستعان بهِ على فتح بابٍ من ابواب الكسب. فاذا خرج من المدرسة وظن انهُ قد قبض على مفاتيح السعادة وضمن لنفسهِ احوال آتيهِ عاد يعالج اقفال اليأس والقنوط ويعضّ انامله اسفاً على ما اضاعهُ من الزمن وكدّ بهِ نفسهُ من الجهد والنصب وايقن انهُ كان في غرور فلا ما حصّلهُ من العلم نفعهُ ولا بقي لهُ سبيلٌ الى تدارك ما ذهب منهُ لفوت الزمان وتعذر الامكان . وذلك ولا جرم يفضي بالبلاد الى احدى حالتين اما تهافت الالوف من المتعلمين والدارسين فيها الى دركات الذل والمسكنة وفي

ذلك من العواقب السيئة عليهم وعلى البلاد ما لا يجهلهُ عاقل واما الاعراض عن طلب العلم بتةً واطفآء مصابيحهِ من البلاد حتى تعود الى قديم حالها وتتشاها ظلماتٌ بعضها فوق بعض

فبقي ان نبحث عن اسباب عقم العلم عندنا وصيرورتهِ سبباً للشقآء والخراب حالة كونهِ عند جميع الامم المتمدنة هو سبب سعادتها وفلاحها ومورد غناها وقوّتها . ولا يخفى ان الشيء الواحد لا ينتج نفعاً في مكان وضرراً في غيرهِ الا ان تتغير طبيعتهُ او تختلف طبيعة المكانين والظاهر ان كلا الامرين موجودٌ عندنا. فانا اذا نظرنا الى حالة المدارس وهي السبب الاعظم في هذا التأخر وجدنا ما يُلقى فيها من ضروب العلم قاصراً عن القدر الذي يمكن ان يُنتفع بهِ الا في احوال خاصة لانها مقصورةٌ على تعليم شيء من اللغات واللغات لا تنشئ رجالاً ولو قيل كل لساني بانسان ثم اشيآء من الرياضيات لا تتعدى مبادئ الجبر والهندسة ولا تغني عن المتعلم فتيلاً لان كل هذه انما تُعَدّ من آلات العلوم وجلّ ما يمكن ان تصل بصاحبها الى استفتاح ابواب الاستخدام التي غصّت ساحاتها في هذه الايام بالقارعين بعد ما غصّت مقاعدها بالداخلين او تعينهُ على تحرير حساباتهِ اذا كان ممن يشتغلون بالتجارة وما يجري مجراها واذا كان من اهل الحذق امكنهُ ان يستعين بها على اتقان صناعتهِ اذا عاد الى الاقتدآء بعشيرتهِ وسائر اهل طبقتهِ فيكون لهُ بين امثالهِ مقامٌ يضمن لهُ الفوز عليهم والتبريز في صناعتهِ بما لا يلحقهُ فيهِ احدٌ منهم. وهو الوجه الذي نشير بهِ على صاحب الاقتراح فليس لهُ خيرٌ من صناعةٍ يستعين بها على معاشهِ ويعيش بها عزيزاً حرًّا ولا ينبغي

ان يتوهم انهُ بهذا القدر الذي حصلهُ من العلم قد ارتفع عن تعاطي الصناعة كما لا ينبغي لهُ ان يتوهم ان في الصناعة شيئاً من التسفل والدناءة ولا سيما اذا عضدها بما تعلمهُ وطالع الكتب التي تبحث فيها فاستفاد منها ما يزيدها اتقاناً ويكسبهُ فخراً وشرفاً

واما اذا نظرنا الى حالة البلاد فاننا نجد رجال الحكومة لا يلتفتون الى تكثير موارد الغنى فيها ولا يهتمون بحفظ ثروة الاهالي ولكنك ترى الاموال عندنا تجرُّ الى البلاد الاجنبية مندفعةً اندفاع المياه في التيار تخطف وتتوارى قبل ان تلحقها الابصار وترى اغنياءنا وذوي الوجاهة فينا كانما يساعدون الاجانب على سلب اموال الوطن وهم لاهون بما بين ايديهم من اسباب الترف والنعيم ولو انهم تفطنوا لما يأخذ جسم الامة من الانحلال وثروتها من الاضمحلال لكان في خزائنهم ما يدرأ غارة الاجنبيّ عن كنوز البلاد ولم يعجزوا عن وضع جانبٍ من اموالهم المعطلة بين ايدي من ينفع بها وينتفع فيكون لهم منها الربح الوافر والاحدوثة الطيبة والامر لله من قبل ومن بعد وهو سبحانهُ ملهم السداد

متفرقات

النيل الصناعي ـ المراد بالنيل ويقال لهُ النيلَج ايضاً هذا الصبغ الازرق الذي تُصبغ بهِ الانسجة وهو يتخذ من نباتٍ يقال لهُ العِظلِم على

ورقهِ شيءٌ ازرق يشبه الغبار هو النيل . فيُنقَع الورق في الماء اياماً او يُغسل بالماء الحار فينحلّ ما عليهِ من الزرقة ويُترك الماء فيرسب النيل اسفلهُ كالطين ثم يُصَبّ الماء عنهُ ويجفَّف

والنيل احد موارد التجارة الواسعة بالهند لانهُ من الهند الانكليزية وحدها يخرج في السنة ما يبلغ تسعة آلاف وسق (الوسق ٨٠٠ اقة) يكون ثمنها ١٨٠ مليوناً من الفرنكات

وقد شرع الالمان منذ بضعة اشهر يعملون نيلاً صناعياً وطريقة صنعهِ قديمة جدًّا الا انهُ لم يدخل في الصناعة الا من عهدٍ قريب وسيزاحم النيل الطبيعي مزاحمةً عظيمة لانهُ يباع الآن بثمنٍ معادل لثمن ذاك ولكنهُ لا يلبث ان يرخص عنهُ . وقد اعلنت احدى الجمعيات الصناعية ان هذا الصنف من النيل انقى من النيل الطبيعي واصلح للاستعمال وعليهِ فلا يبعد ان النيل سيلغى استعمالهُ بازآء هذا الصبغ الصناعي كما أُلغي استعمال الفوّة في الصبغ الاحمر بعد ظهور المادّة المعروفة بالأليزارين

الحامض الكربونيك — قدّر بعضهم ان ما يفرزهُ الانسان من هذا الحامض في مدة ٢٤ ساعة يبلغ ٤٥٠ لتراً وان اليرد المربَّع من ورق الشجر يحلّل منهُ في المدة المذكورة ١/١٠٠ من هذا المقدار وذلك بوجهيهِ العلوي والسفلي فيلزم لتحليل ما يفرزهُ الانسان منهُ في اليوم مئة يرد مربع من ورق النبات

فوائد

التصوير بالشمس على قشر البيض ـ تُغمس البيضة اولاً في محلول فيهِ ٣ ٪ من ملح الطعام وتترك الى ان تجف ثم تؤخذ ريشة او نحوها وتغمس في محلول نترات الفضة على نسبة ١٠ ٪ وتُمرّ على الجانب المراد التصوير عليهِ عدة دفعات . وبعد ان تكون أُخذت الصورة السلبية على قطعةٍ من الجلد الرقيق الشفاف تُجعَل على قطعةٍ من القطيفة السوداء قد قُوّر فيها الشكل الذي يراد ان تُطبع الصورة عليهِ ثم تُشدّ على البيضة ويخاط بعض اطراف القطيفة الى بعض من الجهة الاخرى بحيث تثبت على وضعها . ويمكن والحالة هذه ان تجافى اطراف القطيفة المحيطة بالصورة بعض الشيء لاحداث ما يسمى بالتدخين ثم تعرّض لفعل النور ومعلوم ان هذا التعريض ينبغي ان يكون في النور المستطير اي في الظل لا لاشعة الشمس رأساً وبعد ان يتم انطباع الصورة الى الدرجة المطلوبة تعرّى البيضة وتغسل ثم تدخل مغطس الذهب وتثبّت كالعادة

صفة صابون لازالة البقع الدهنية ـ يُحلّ على النار في لتر ماء مقطّر او ماء مطر ٥٠ غراماً من كربونات الصودا ثم يضاف اليها ٥٠٠ غرام من بُشارة الصابون الابيض ثم محّ (اصفر) ست بيضات بعد ان يُخفَق اي يُضرَب حتى يتم امتزاجهُ ويُترَك كل ذلك يغلي مع مواصلة التحريك الى ان يتمّ ذوبان الصابون . وقبل ان يُفرَغ في القالب يطيَّب بما يُستحبّ من الارواح العطرة

اسئلة واجوبتها

كفر أبي نجاح ـ عثرت في بعض المجلات على هذه العبارة « واصطحب خادماً من بعض السبئية » فما معنى هذه اللفظة الاخيرة وكيف يُلفظ بها

احمد الصرّاف

ملاحظ البوليس بكفر ابي نجاح

الجواب ـ السبئية بفتح السين والباء نسبة الى سَبَأْ واما المراد بهذا اللفظ فلا يُعلَم الا بالقرينة لان سبأ اسم لمدينتين احداهما قديمة بالحبش كانت على شاطئ البحر الاحمر قيل واليها يُنسب السبئيون الوارد ذكرهم في بعض كتب الانبياء كما في نبوءتي اشعيا ويوئيل والاخرى باليمن هي المعروفة بمأرِب وهي مدينة بلقيس المعروفة بملكة سبأ التي زارت سليمان الحكيم. وسبأ ايضاً لقب عبد شمس بن يشجب بن يعرب وهو يجمع قبائل اليمن عامةً . وفي فِرَق الشيعة فرقةٌ من الغلاة يقال لها السبئية وهي اتباع عبد الله بن سبأ الذي رُوي عنهُ انهُ قال لعليّ بن ابي طالب انت الاله وكان يزعم ان علياً لم يُقتل وانهُ حيٌّ لم يمت وانهُ في السحاب وان الرعد صوتهُ والبرق سوطهُ وانهُ ينزل الى الارض بعد حين . اهـ . ولعل هذا الاخير هو الاقرب الا ان يكون اللفظ معرَّباً عن احدى لغات الافرنج ويكون المراد بهِ الصابئة لان الصابئة والسبئية يعبَّر عنهما في الافرنجية بلفظٍ واحد ولذلك خلط مؤلفوهم احياناً بين الصابئين او الصابئة وبين المنسوبين الى سبأ مدينة مأرب والله اعلم

فكاهات

رواية

المذنب المختار[1]

كان في لندن فيما مضى من الزمن أسرةٌ شريفة النسب واسعة الثروة ذات املاكٍ فسيحة وريعٍ عظيم وان هذه الاسرة جعلت تقل اعضآؤها وتزداد ثروتها حتى بلغت في سنة ١٨٢٠ الملايين العديدة في يد رجلٍ واحد كان قد تزوج بالابنة الباقية من الاسرة ورزقهما الله غلاماً ذكراً سمياهُ موريس . واجتهد والد موريس وزوجتهُ في تربية ولدهما على اجمل طريقة من الادب فشبَّ آيةً في التعقل والرزانة وقد جمع محاسن الخَلق والخُلق فكان محلاً لاعجاب اصحابهِ من الفتيان وقدوةً لهم في الادب ومحاسن الصفات . ثم توفيت والدة موريس فحزن زوجها حزناً شديداً ولم يعد يمكنهُ القيام على اعمالهِ بنفسهِ فنصب على املاكهِ وكيلاً اسمهُ فلتون وفوض اليه العقد والحلَّ الى ان يبلغ موريس رشدهُ فيستولي على اموال ابيهِ ولم يمضِ على ذلك الا زمنٌ يسير حتى اعتلَّ الوالد ومات وترك ولدهُ القاصر وارثاً وحيداً لذلك الغنى الطائل تحت ولاية فلتون المذكور . وكان فلتون رجلاً كهلاً قبيح الصورة غائر العينين حاد النظر اصفر اللون قصير القامة وكان موريس

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

واصحابهُ يهزأون بهِ ويسمونهُ مثال ابليس فكان يتجنبهم ويغيظهُ عدم ميل موريس اليهِ بل خشي على مركزهِ بعد استيلاء موريس على تركة ابيهِ فاضمر لهُ الشرّ وتولدت في قلبهِ لهُ جراثيم الحقد والبغضاء

ولما اشتدّ الحرّ في لندن في تلك السنة وقصدت سراتها تبديل الهواء انتقل موريس الى مصيفهِ في بريتون وانتقل معهُ الوكيل فلتون فأقاما بالقصر وتبع موريس جماعةٌ من اصدقائهِ الفتيان فكانوا يقضون اوقاتهم معاً في الصيد. وكان في بريتون طبيبٌ اسمهُ الدكتور لانس ولهُ ابنة تدعى دازي لم توجد الطبيعة اجمل منها صورةً ولا ارقّ طباعاً واكمل ادباً وذاع صيتها في ذلك القطر وهام بها كل شبان بريتون وكان كلٌّ منهم يتمنى ان يحظى ولو بنظرةٍ من جمالها . اما هي فلم تمل الى احدٍ من اولئك الا الى موريس وصديقٍ لهُ يدعى فيليب كان يشابه موريس في الخلقة والطباع. ثم رأت من موريس ما رجحت لهُ كفة ميزان حبها فلم تعد تلتفت الى غيرهِ وشعر موريس بذلك منها فزارها وخطبها الى ابيها فوعدهُ بها . وكان اليوم الذي وضع فيهِ موريس علامة الخطبة لدازي هو نفس اليوم الذي اتمّ فيهِ السنة الحادية والعشرين من عمرهِ وهي سنة رشادهِ فجاءهُ الوكيل فلتون بقلبٍ خافق وهيئةٍ ابليسية ليسلم اليهِ الاوراق المختصة باملاكهِ ويطلعهُ على حساباتهِ . فطلب موريس تأجيل ذلك الى الغد وقال لهُ اني قد عزمت ان ادعو اصدقائي هذه الليلة للعشاء في النزل وقد اعددت لهم مأدبةً نسرّ بها ونطرب فاليوم خمر وغداً امر وواجبٌ ان تحضر معنا انت ايضاً

ولما كان مساء تلك الليلة انطلق موريس وفلتون الى النزل فاستقبلا

المدعوين من اصدقآء موريس وخلانهِ وبعد ما اخذوا مجالسهم دارت بينهم الكؤوس واخذوا يطربون ويلهون ويهنئون موريس بعيدهِ وخطبتهِ ومع ان اكثر الشبان المدعوين كانوا يميلون الى دازي ويتمنون الحصول عليها لم يبتئس احدٌ منهم لخطبة موريس لها لانهم كانوا يحبونهُ ويتمنون لهُ ما يتمنون لانفسهم . وكان كل واحدٍ منهم يرفع كأسهُ فيشرب نخب موريس ودازي حتى لعبت الخمرة برؤوس الجميع الا فلتون فانهُ كان كلما تناول كأساً صبها وراءَ ظهرهِ ولم يذقها . ولما تناصف الليل وقد بلغ منهم السكر اخذ فلتون كأساً فملأها وادناها الى موريس قائلاً اشرب هذه الكاس يا مولاي نخب سعادتك المقبلة وسعادة السيدة دازي فرفع موريس الكاس واحتساها جرعةً واحدة وما كادت تستقرُّ في جوفهِ حتى احمرَّت مقلتاهُ واصفرَّ لونهُ لانهُ كان قد شرب في تلك الليلة ما لم يشربهُ في حياتهِ قط . ثم شرب فيليب ايضاً كأسهُ وقال لموريس لو لم تكن موجوداً يا موريس لما تمتع بجمال دازي سواي . وكأن الخمرة افقدت موريس رشدهُ فلم يفقه كلام فيليب فتناول كرسيَّةً من تحتهِ وضربهُ بهِ ثم استلَّ خنجراً وهجم على فيليب بعينين ملؤهما الانتقام وهو يشتم ويتهدد فقامت الاصدقآء تتلافى الخرق قبل اتساعهِ واصلحوا بين موريس وفيليب . ثم انحلَّ عقد الجماعة فذهب كلٌّ منهم الى قرارهِ وسار موريس وفيليب يداً بيد الى منزليهما على طريقٍ واحدة بظاهر البلدة . وكان الشراب قد اضعف قواهما فما بلغا نصف الطريق حتى اسمعتهما آذانهما دويَّ رعود يصحبها وميض بروق فسقطا الى الارض وهما لا يعلمان ما خبأهُ لهما الغيب

ولما اشرفت طلائع الصباح على معسكر الفسق افاق موريس من نومهِ وهو متألمٌ من يبوسة اعضائهِ في ذلك البرد الشديد ورأى قطرات الندى متجمعة على جسمهِ وثيابهِ وهو لا يستطيع الحراك فادهشهُ وجودهُ في تلك البرية متوسداً الحجارة والتراب وجعل ينبّه دماغهُ ليتذكر كيف بلغ ذلك المكان ثم تذكر ليلتهُ الماضية والوليمة وكيف خرج مستنداً على ذراع صديقهِ فيليب الى ان بلغ منتصف الطريق وتذكر ايضاً انهُ سقط على الارض وغاب عن الوجود . ثم تفكر في صديقهِ فيليب وقال أمن الممكن ان يتركني فيليب ههنا فاين هو ياترى ام اراد مجازاتي على ما فرط اليهِ مني من الكلام القبيح امام بقية اصحابنا فتركني هنا . ومرَّ بخاطرهِ حينئذٍ ما قالهُ لفيليب وما كان من هجومهِ عليهِ ليقتلهُ فتلهف وتململ ثم استند بيدهِ الى الارض ونهض جالساً وحانت منهُ التفاتةٌ فرأى بقربهِ جسماً آخر لا حراك بهِ فعرف للحال انهُ فيليب فناداهُ فلم يجب فتقدم اليهِ وهزَّهُ بيدهِ فلم ينتبه وشعر من لمسهِ ببرودةٍ غريبة ارتعش لها جسمهُ . ثم اقترب من وجههِ ليرى هل يتنفس ولما لم يشعر بنفَس تفرَّس في وجههِ فاذا في صدغهِ فتحة قد جمد الدم عليها وتذكر ما سمعهُ من الصوت عند سقطتهِ فتيقن ان فيليب مقتول بطلق رصاص في دماغهِ . ولو زُلزلت الارض تحت اقدام موريس لما ارتعد وارتجف اكثر من تلك الدقيقة الهائلة واخذ يبحث فيمن يكون الفاعل وبعد اجهاد فكرهِ تأكد انهُ لا يمكن ان يكون القاتل سواهُ فانهُ هو الذي توعَّد فيليب بالقتل وهو الذي خرج بصحبتهِ في تلك الليلة المشؤومة وانهُ على سكرهِ الشديد ربما فعل ما فعل وقتل بيدهِ اعز

صديق لهُ . ولما تمثلت لعينيهِ هذه الحقيقة طار رشدهُ وجعل يندب صديقهُ
ويذم تلك الوليمة ويلعن المسكر ويقسم انهُ لن يتعاطاهُ ما دام حياً . ثم
انتقل الى امر القتل فرأى ان يعترف جهراً بفعلتهِ ويسلم نفسهُ الى القضاء
ولكنهُ عاد فتذكر حبيبتهُ دازي وما عساهُ ان يصيبها بعد ذلك ولما كان الوقت
غلساً ولم يرهُ احدٌ بعد نهض هارباً من البقعة حتى بلغ قصرهُ والناس نيام ودخل
من بابٍ سرّي الى غرفتهِ فخلع ثيابهُ ونام في سريرهِ تتجاذبهُ تيارات الافكار

ولما برزت الشمس من حجابها وقام كلٌّ الى عملهِ مرَّ احد الفلاحين
فرأى القتيل فأسرع وابلغ الحكومة فبادرت الى محل الحادثة وحملت القتيل
الى دارها للكشف عن امرهِ . وبلغها ما كان من اجتماع الليلة السابقة فجعلت
تستدعي افراد المدعوين وتأخذ اقرارهم وكان موريس لا يزال في غرفتهِ
فدخل خادمهُ يقول لهُ ان بالباب رجالاً يطلبون مواجهتهُ فنهض للحال
فاذا هم شرطةٌ يطلبون حضورهُ للتحقيق . فارتدى ثيابهُ عجلاً وسار الى دار
الحكومة وكانت غاصةً بالناس ورأى جثة فيليب وتمثل لهُ ان كل العيون
المحدقة به تتغامز عليهِ وتشير الى انهُ القاتل فامتقع وجههُ وارتعشت اعضاؤهُ
ولم تعد ركبتاهُ تقويان على حملهِ فسقط على كرسيٍ كان بالقرب منهُ . ورأى
القضاة والحضور ذلك منهُ فنسبوهُ الى تأثرهِ من مقتل صديقهِ لان الجميع
كانوا يعلمون مقدار محبتهِ لهُ . ثم شرع القاضي في استنطاق موريس
فسألهُ عن ليلتهِ بالأمس فقصَّ عليهِ موريس ما كان من الدعوة والاجتماع
والانصراف . قال القاضي ولما انصرفت الى البيت هل رافقك احد . قال
نعم خرج معي عزيزي فيليب . قال القاضي وهل جرى لكما في الطريق

حادث واين افترقتما . قال صحبني فيليب الى البيت ولم يحدث لنا في الطريق ما يوجب الذكر ورغبت اليهِ ان يقضي الليلة عندي فاعتذر واصرّ على الرجوع فرجع ونمت . وعند ذلك تنهد فلتون وكان حاضراً تنهد من كان في ضيقٍ وأُفرج عنهُ . وانجلى التحقيق اخيراً عن امرٍ واحد وهو ان فيليب انتحر لعدم حصولهِ على دازي لانهم رأوا في مذكرتهِ كتابةً بخطهِ يقول فيها انهُ لم يعد لهُ لذةٌ في الحياة بعد ما يئس من الحصول على دازي وانهُ يفضل الموت على ذلك . وفي المساء دُفنت الجثة وتفرّق الحاضرون كلٌّ الى مكانهِ

اما موريس فرجع الى غرفتهِ حزيناً منكسر القلب يؤنبهُ ضميرهُ على عدم الاقرار بفعلتهِ ثم يقول اذ لم يؤخذ احدٌ بهذا الذنب فلا بأس من كتمانهِ . وعند المساء اقبل فلتون فدخل غرفة موريس وطلب ان يسلم اليهِ الحسابات والاوراق على ما اتفقا عليهِ بالامس فابى على امل ان يتشاغل بذلك عن اضطراب افكارهِ . وجعل فلتون يبرز امام موريس الصكوك والاوراق والحجج حتى انتهى الى الحساب المالي فوجد ان فيهِ نقصاً ينيف عن الخمسين الف ليرة . فسألهُ موريس عن ذلك فاجاب بتمام السكينة والاستخفاف هذا المبلغ قد سرقتهُ لنفسي . فقال موريس سرقتهُ . . ولكني اجبرك على ردّهِ . قال لا يمكنك ان تجبرني على ردّهِ بل انا اجبرك ان تعطيني فوقهُ ان شئت . ولم يكن موريس معتاداً سماع مثل هذه الوقاحة من خادمهِ فنهض لينادي خادماً يستدعي لهُ رجال الشرطة فقال فلتون لا تفعل يا موريس لئلاَّ تجني على نفسك ولو حضرت الشرطة الآن لعرّفتهم حالاً بقاتل فيليب وساقوك مهاناً الى السجن الابدي الذي تقضي فيهِ بقية

ايامك . وتبين موريس ان فلتون واقفٌ على ما جرى والأ لما تجاسر على مثل هذا الكلام فاظلمت الدنيا في عينيهِ وحنى رأسهُ صاغراً وعاد فجلس على كرسيهِ . فقال فلتون أجَل انت القاتل والكاذب فلقد قتلت رفيقك فيليب بالأمس وكذبت على القضاة اليوم اذ قلت انهُ رافقك الى بيتك مع انك لما فرغت من قتلهِ عدت في هذا الصباح الى البيت متسللاً بين اشجار الحديقة كي لا يراك احد وقد رأيتك انا لاني كنت مستيقظاً افكر في حساباتي وكيف يمكن ان اخفي سرقتي . اما الآن فقد تحققت ضمانة نفسي من يدك واني اصبحت انا الرئيس وانت المرؤوس فلأجزينك بالاهانات التي كنت احملها منك واني بكل جرأةٍ ادعوك نذلاً وجباناً . وكان ذلك اكثر مما يمكن موريس احتمالهُ فوثب الى عنق فلتون وقبض عليهِ بكلتا يديهِ فقال فلتون لا اعجب من فعلك ايها القاتل فقد اعتدت القتل ولم تعد تُسَرّ الا بسفك الدمآء . فصمت موريس حيناً لا يدري ماذا يفعل ثم قال والآن فهل تبيعني سكوتك يا فلتون وبماذا . فقهقه فلتون وقال نعم ابيعهُ لك اما الثمن فرخيص جدًا وهو اولاً سكوتك عن الخمسين الف ليرة واعطائي وصلاً بالقيمة وثانياً الانقياد التام لي في جميع ما افعل وثالثاً امورٌ اطلبها منك فيما بعد. وكان موريس غائباً عن الرشد لا يدري ما يصنع فوقّع على شروط فلتون وكتب لهُ ما شآء . ولما حصل فلتون على الاوراق الموقع عليها وضعها في جيبهِ ثم قهقه وخرج وقام موريس فانطرح على سريرهِ وفي قلبهِ هيجان يزوف

وبعد بضعة ايام راقت الاحوال فعاد موريس الى زيارة خطيبتهِ

والاستعداد للعرس . وكان والد دازي هو الطبيب الذي فحص جثة فيليب واستخرج منها الرصاصة وحفظها عندهُ . وكان لهُ خادمٌ يبيت في قريةٍ اخرى ويعود كل يوم الى بيت مولاهُ وكان في ذهابهِ في كل مساء يرى فلتون يجلس في غابةٍ على حافة الطريق بقرب الموضع الذي صُرع فيهِ فيليب كمن يبحث عن شيء . فاشتغل لذلك فكر الخادم واراد ان يعرف الامر فانتظر يوماً ريثما ذهب فلتون ثم اقترب الى المحل وجعل يبحث بجد واجتهاد فعثر على بندقيةٍ غائصة في الوحل فتناولها ومسحها واخذ يقلبها في يديهِ فرأى عليها حرفين ج . ف . ولما كان الخادم يكره فلتون وعلم ان هذه بندقيته التي يبحث عنها لم يرد ان يردها اليهِ فاخذها معهُ واخفاها عندهُ في بيت الطبيب

اما فلتون فكان يتمادى في غيهِ وطغيانهِ وهو لا يسمح لموريس الأَ بدون القليل من النفقة فضلاً عما يسومهُ من المذلة والاهانة وموريس صابرٌ على ذلك المضض خوفاً من افتضاح امرهِ . وانهُ ذات يومٍ في غرفتهِ اذ دخل عليهِ فلتون وقال لهُ اراك يا موريس قد اطلقت لنفسك العنان في محبة دازي وانك لتقضي ايامك في سرور كما لا ينبغي ان يكون القاتل فيجب عليك ان لا تعيش الا في ضيق لتكفر عن ذنبك . وعليهِ فخذ واكتب اليها ما املي عليك . فانقاد موريس صاغراً لولي امرهِ فاملى عليهِ فلتون ما يأتي

يا دازي — انا لا اريد ان اقترن بكِ فاسعي في اصطياد غيري ولا تطمعي مني في زيادة ايضاح فلن تري وجهي بعد الآن

فلما سمع موريس هذه الكلمات رمى القلم من يدهِ وصاح بفلتون ويلٌ لك ايها الخائن الدنيء أَإِلى هذا الحد انتهى بغيك واستبدادك أَلم يكفك

ما فعلت بي حتى الآن . كلاًّ لم يعد في الامكان الاحتمال فان ظلمة السجن وكلام الناس اهون من احتمال ظلمك ايها اللعين . ولما قال ذلك هجم كالاسد الضاري ولطم فلتون بيدٍ من حديد فسقط الى الارض يتدفق الدم من فيهِ وغاب عن رشدهِ

اما موريس فتوجه توًّا الى مكتبتهِ فكتب الى حبيبتهِ دازي يقول

ايتها المفداة بالروح - بينما اعلل النفس بامتلاككِ قريباً والحصول على تمام سعادتي ابى ضميري الاَّ ان اعترف باني لست اهلاً ان اكون بعلاً لكِ فاصفحي عن مداخلتي الماضية واسمحي لي ان اكفّر عن ذلك الذنب بان احرم نفسي ملذات العالم والتمتع بمرآكِ ايضاً . انا شقيٌّ يا دازي وما للشقيّ سوى الموت ليستريح من افكارهِ المتعبة ومن النظر الى المستقبل المظلم . سيبلغك عن قريب اني مجرمٌ وقاتل ومحكومٌ عليَّ بالقتل فان افكاري تقضي عليَّ بذلك وسأسلم نفسي الى يدي العدالة على اني اشعر في ضميري انني بريءٌ ولا اعلم كيف وليس لديَّ ما ابرهن بهِ على ذلك . ان دماغي في اضطراب وحياتي مرَّة فلا ادري ماذا اكتب فانسيني ايتها الحبيبة ولكن لا تعطري ضريحي بلعناتكِ فلعليّ لا استحقها موريس

وبعد ان بعث بهذه الرسالة توجه الى دار الحكومة وطلب مواجهة القاضي ثم اعترف لهُ بانهُ هو قاتل فيليب كما تراءى لهُ فحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدة الحياة

ووصلت رسالة موريس الى دازي فقامت قيامتها واعولت وبكت ولم تفهم مقصدهُ من هذه الكتابة حتى بلغها في اليوم التالي القاء القبض

عليهِ ومحاكمتهُ على مقتل فيليب والحكم عليهِ بالاشغال الشاقة . فاسرعت الى سجنهِ وطلبت مواجهتهُ فلم يؤذَن لها في ذلك فعادت الى البيت وهي مقرَّحة العينين ملتهبة القلب ثم جعلت تعيد قرآءة الرسالة فتبين لها من خلال كلماتها ان موريس قد أُلجئ الى ما فعل وانهُ بريء ولكن من اين لها ان تثبت ذلك . ومضت عليها ايام لا يذوق جفناها الكرى ولا يدخل فاها القوت حتى اضمحل لون وجنتيها وهزل جسمها . وجلست يوماً في الحديقة تبكي ايامها وترثي حبيبها وبيدها رسالتهُ الاخيرة وهي غائصة في اكتشاف حلّ للغز الموجود فيهِ واذا بخادمها الصغير مقبلٌ وكان يحبها كثيراً ولما رآها تبكي جثا امامها وقال لتأذن لي مولاتي ان اكلمها في امرٍ مهمّ ارجو ان اخدمها فيهِ اعظم خدمة . قالت تكلم . قال علمت ان موريس قد قُبض عليهِ وحوكم على قتل فيليب وأُثبتت عليهِ جريمة القتل ولكنني لا اعلم كيف تم ذلك ولست ارى الا ان موريس مظلوم في هذا الحكم . قالت ومن اين علمت ذلك . قال لديَّ امرٌ اطلعكِ عليهِ لم يعلمهُ احدٌ غيري واظن انهُ يمكن ان يُتوصل منهُ الى تبرئة موريس والحاق تبعة القتل بعدوّهِ اللعين فلتون . وذلك انني كنت كل يوم عند منصرفي الاحظ فلتون بقرب المحل الذي جرى فيه القتل كمن يبحث عن شيء ولكنهُ لم يجدهُ بل وجدتهُ انا . قالت وما هو . قال البندقية التي اظن ان الفعل قد حدث بها فاني وجدت احدى حديدتيها فارغة والاخرى محشوّة ولا أشك انها لهُ لان عليها الحرفين الاولين من اسمه فاما ان يكون هو الفاعل واتهم بذلك موريس او يكون قد اكره موريس على ذلك . وكانت دازي تتفهم كلام الخادم بكل

اصغآء. ثم طلبت ان يريها البندقية فقعل فاخذتها الى غرفتها وجعلت تتأمل فيما سمعت ورأت. وفي نفس النهار ارسلت رسالةً الى لندن تطلب احد رجال الشحنة السرية على حسابها لتحقيق امرٍ مهمّ ولما حضر اطلعتهُ على ما علمت من الامر وطلبت اليهِ ان يحقق الامر بتمامهِ وانها على استعداد ان تنقدهُ ما شآء من المال . فخرج الشحنة يسعى بينما كان فلتون ناعم البال متمتعاً باملاك مولاهُ عائشاً بالسعة والترف ولم يكن يهمهُ سوى فقدان البندقية التي لم يقف لها على اثر...

واتت على موريس سنةٌ تامة في سجنهِ يشتغل الاشغال الشاقة فخشنت يداهُ وتغيرت هيئتهُ وابيضّ شعرهُ وكان لا يكلم احداً الا نفسهُ فيتأمل في حياتهِ الماضية وما وصل اليهِ ويجهد فكرهُ ليعلم كيف قتل فيليب فلم يعلم . وفي يوم نهاية السنة دخل عليهِ السجان كعادتهِ ولكنهُ عوضاً عن ان يقودهُ للعمل اخبرهُ انهُ مطلوب للوقوف امام القضاة فنهض لساعتهِ وسار في صحبتهِ ولما دخل المجلس رآهُ غاصاً بالقضاة والناظرين ورأى شخصين اثرت فيهِ رؤيتهما فارتعد جسمهُ ورمى ببصرهِ الى الارض وكان الاول فلتون مكبلاً بالقيود والثاني دازي واقفةً بجانب والدها وقد ظهرت عليها علائم الفرح والابتهاج بعد الهم والوصب ونحول الجسم . ثم اخذ القاضي في الكلام فقال

قد علم الحاضرون ما تقلبت عليهِ اخبار مقتل فيليب الى الآن ولكن الحقيقة لم تنجلِ الا اليوم . ثم اخذ في سياق القصة فذكر ما كان من امر اختلاس فلتون لاموال موريس وانهُ خاف ظهور سرقتهِ عند تسليم الاملاك

والحسابات الى موريس فلما كانت ليلة الوليمة وحدث ما حدث من النفور بين موريس وفيليب اغتنم فلتون تلك الفرصة ولما خرجا للانصراف تبعهما قاصداً الايقاع بموريس واتهام فيليب بقتلهِ ولكنهُ اخطأ الغرض واصاب فيليب ولم يكن يعرف ذلك حتى الصباح حين رأى موريس عائداً الى بيتهِ فسآءهُ ذلك اولاً ولكنهُ عاد فازداد سرورهُ بايقاع التهمة على موريس وتسليمهِ الى ايدي القضآء ليقتصّ منهُ وزادهُ ثقةً من ذلك ارتباك موريس حين استنطاقهِ فعرف انهُ يجهل الامر تماماً . ثم مضى القاضي في حديثهِ حتى انتهى الى امر البندقية وما كان من فحص الشحنة حتى اثبت ان البندقية هي بندقية فلتون بدلالة الحرفين المرسومين عليها من اسمهِ وبمقابلة الرصاصة التي اخرجها الطبيب من راس فيليب بالرصاصة الباقية فيها وانهُ بعد اتخاذ الطرق اللازمة اقرّ فلتون بانهُ هو قاتل فيليب

ثم قال والآن وقد وضحت الحقيقة فاني باسم الشريعة اطلق سراح موريس وانادي على رؤوس الاشهاد ببرآءتهِ واردّ عليهِ كل ما اختلسهُ فلتون من مالهِ . ثم التفت الى فلتون فقال واما انت يا فلتون فسنجتهد في تعذيبك لتلقى ثمرة ما جنت يداك فخذوهُ الى سجنهِ

ولما أُطلق موريس من قيودهِ اسرع فجثا امام حبيبتهِ دازي يشكرها على ما سمحت به من امر خلاصهِ ثم اخذهُ اصدقآؤهُ الى منزلهِ فاقام مدةً الى ان ثاب اليهِ جسمهُ وزال عنهُ ما اثر فيهِ من عنآء السجن وبعد ذلك اقترن بدازي فعاشا على تمام السعادة والغبطة

المرأة

في الجاهلية

بقلم حبيب افندي الزيات الدمشقي
عُفي عنهُ

طُبعت

برسم مشتركي الضياء

لسنة ١٨٩٨ – ١٨٩٩

وهي هدية السنة

هذه الرسالة لا تباع ولا توجد في المكاتب

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر ٧

المرأة في الجاهلية

كل من عاني البحث في احوال العرب في الجاهلية وتصفح ما دُوّن عنهم في اسفار التاريخ الاسلامية يعلم ما يكتنف تلك الاعصار من الظلمات الطامسة على آثارها المودية بكثير من صحيح اخبارها بحيث كان هذا اليسير المنقول منها لا يسدّ حاجةً ولا يشفي غلةً فضلاً عما يتنازعهُ من الاقوال المتناقضة والروايات المتضاربة التي لا يصح معها رأي ولا يتّجه بهما حكم وفضلاً عن كون اكثر هذه الروايات وارداً مورد الاقاصيص والخرافات مما لا يتضح بهِ بحث ولا يبنى على مثلهِ علم . ولذلك لم يكن بدٌّ للناظر في هذا الصدر من تاريخ العرب المستزيد بياناً لاحوالهم وتفصيلاً لوجوه معيشتهم المتشوّف الى الوقوف على كنه اخلاقهم واستطلاع طِلع عوائدهم من اعادة النظر في ما جآء عنهم لذلك العهد والتنقيب عن تتمتهِ في تضاعيف الاخبار وغضون الاحاديث التي لا يكاد يخلو منها مصنّف في اللغة او مؤلّف في الادب والاستعانة على تحقيق موضع الشاهد فيها من استقرآء دواوين الشعرآء في الجاهلية وبدء الاسلام وهي على عزّتها وتعذر منالها تكاد تكون فيما عدا اللغة والامثال اوحد الآثار التي تمثل تلك الاعصار . ولا يخفى ما يقتضي مثل هذا المطلب الشاق من الجلد الرابط وما يستغرقهُ من الوقت الطويل مما لا يضطلع بهِ الواحد ولا يتسنى بلوغهُ لكل طالب

وانما جآء هذا النقص لاشتغال العرب في القرون الاولى من الاسلام

بجهاد المشركين وفتح الفتوحات وانصراف الرواة منهم عن رواية الاخبار الجاهلية الى استقصاء الاحاديث الاسلامية حتى اذا استقر فيهم الملك ودانت لهم الامصار واخلدوا الى الحضارة كان اول ما دفعتهم اليهِ الحاجة تدوين بعض ما يستعينون بهِ على تفهم السنة والحديث وإحكام تلاوة القرآن كما يشهد بذلك ما نقل عن اصل وضع فنّي الصرف والنحو . ولذلك كانت اكثر تآليفهم في سائر العلوم لا تتجاوز في بدء امرها حد الكفاية ولا تتعدى الغرض الذي دعاهم الى وضعها لأنفتهم من انتحال غير العلوم الدينية واطّراحهم كل ما عداها مما لا يرجع اليها او لا يعين عليها نظراً لقرب عهدهم بالبداوة واشتغالهم بتولي الرئاسة وتقلد الاعمال السلطانية حتى كان اكثر حملة العلم بينهم من العجم كما نبّه على ذلك ابن خلدون في مقدمتهِ

ولهذه الاسباب لم اطمع حين أقبلت على البحث عن حالة الانثى في الجاهلية ان أفي هذا الموضوع حقهُ ولا ان أحيط بالمسئلة من جميع اطرافها لغياب ما يمثل تلك الحالة بتمامها لا سيما وان الكلام فيها نسجٌ على غير منوال وطبعٌ على غير مثال اذ لا اعلم فيما بلغني ان قد سبق لاحد من اهل اللسان العربي كلام في هذا الصدد او استقصاء في البحث عنهُ ولذلك اضطررت ان ارجع في كثير مما ذكرتهُ الى ابيات من الشعر اصبتها بعد طويل الجهد متفرقة في اقوال شتى لشعراء مختلفين اوردتها شواهد بما وصفتهُ جرياً على المشترط في اصول البحث من الاحتجاج لكل قول بما يثبت صحتهُ وينفي عنهُ شبهة الوضع . ولم اقتصر منها على ما كان جاهلياً بحتاً بل نقلت احياناً من شعر المخضرمين واهل الطبقة الاولى من المحدثين ما اصبت

الشاهد فيهِ اذ كانت الاخلاق والعوائد لذلك العهد لم تحل بعد بتمامها عما كانت عليهِ في الجاهلية الا ما نسخهُ الشرع او حظرهُ الدين

ولست ادّعي بذلك انما حكيتهُ هو تمثيل الواقع واصابة السداد فرُبَّ رأيٍ تخيل لي انهُ هو الراجح والارجح غيرهُ وانما حكمت بحسب ما ثبت لي من الظاهر ودلتني عليهِ القرائن وعلى قدر ما اجتمع عندي من الشواهد التي حصلتها مما تهيأ لي مطالعتهُ من المصنفات التي تكاد تنحصر في شرح الحماسة للتبريزي وجزء من العقد الفريد لابن عبد ربهِ وبعض صفحات من كتاب الاغاني للاصبهاني . ولا ريب انهُ اذا تسنى لاحد من ذوي الخبرة والاطّلاع استكمال مثل هذه المطالعات واستقراء اشباه هذه الشواهد في مظانها يظفر منها بما يكون حكاية الصحيح وفصل الخطاب وينجلي البحث بعدها بما لا يذكر معهُ ما اشتملت عليهِ هذه المجالة القاصرة

وقد قسمت الكلام عن حالة الانثى الى قسمين وصفت في الاول حياتها المادية وفي الثاني حياتها الادبية مقتصراً في كلٍّ منهما على ما قل ودل ميلاً مع الفائدة واكتفاء بالشاهد الواحد في مقام الاحتجاج

القسم الاول

معلوم ان العرب في جاهليتهم كانوا اكثرهم اهل بادية معاشهم من القيام على الابل يتغذون بالبانها ويقتاتون بلحومها ويكتسون باوبارها ويتخذونها ركائب يقطعون عليها مجاهل القفار فكانت لذلك مخصَّصة عندهم بمزيد العناية يتخيرون لها اطيب الارض بقعةً واكثرها عشباً ويتبعون

لاجلها مواقع الغيث على حسب اختلاف الفصول فلا يزالون دهرهم في حلّ وترحال يطوفون الآفاق طلباً للمرعى وارتياداً للماء . غير انهم كثيراً ما كانوا يصابون بالقحط ويحتبس عنهم المطر فيهلكون هم ومواشيهم جوعاً او تدفعهم الحاجة او الطمع الى الاغارة على من جاورهم فيقطعون السابلة ويغزو بعضهم بعضاً فينهبون ويسبون وربما أصاب احدهم الفتاة العذراء او المتزوجة أمّ البنين فيحسبها غنيمةً باردة كسبها برمحهِ ويختصها لنفسهِ دون تحرُّج ولا تورُّع وربما سُبيت منهُ فيغتصبها غيرهُ فلا تزال تنتقل من مالك الى آخر الى ان يتيسر لاهلها استرجاعها فتعود الى منزلها الاول وقد لزمها من العار ما يبقى سبةً لذويها مدى الدهر

وقد كانت السبيَّة لمعرفتها بمقدار الذل الذي يلحقها من امتلاكها بالسبي وأنفتها من تعيير اهل مولاها ودعائهم اياها بالامة تحين الفرص لمفارقتهِ وتعمل على الفرار من يديهِ لا يثبطها عن ذلك طول صحبتها اياهُ مع احسانهِ اليها ولا يثني من عزمها ما يصلها بهِ من علاقة الولد كما ذكر ابو عمرو الشيباني عن سلمى امرأة عروة بن الورد وقد كان اصابها بكراً من بني كنانة واعتقها وتزوجها واتخذها لنفسهِ فمكثت عندهُ بضع عشرة سنةً وولدت لهُ اولادًا وهو لا يشك انها ارغب الناس فيهِ وهي تقول لهُ لو حججت بي فامرّ على اهلي واراهم فحج بها ثم اتى المدينة فلما همّ ان يعود بها قالت سلمى لقومها تعالوا اليهِ واخبروهُ انكم تستحيون ان تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحةً سبيةً وافتدوني منهُ فانهُ لا يرى اني افارقهُ فاتوهُ وسقوهُ الشراب فلما ثمل قالوا لهُ فادِنا بصاحبتنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة وان علينا

سبةً ان تكون سبيةً فاذا صارت الينا واردت معاودتها فاخطبها الينا . فامتنع ثم اشترط عليهم ان يخيروها فاختارت اهلها ثم اقبلت عليهِ فقالت يا عروة أما اني اقول فيك وان فارقتك الحق والله ما اعلم امرأةً من العرب ألقت سترها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضّ طرفاً واقل فحشاً واجود يداً واحمى لحقيقةٍ وما مر عليّ يوم منذ كنت عندك الا والموت فيهِ احب اليَّ من الحياة بين قومك لاني لم اكن اشاء ان اسمع امرأة من قومك تقول قالت أمة عروة كذا وكذا الا سمعتهُ ووالله لا انظر في وجه غطفانية ابداً فارجع الى ولدك راشداً واحسن اليهم . فقال عروة في ذلك ابياتاً ذكرها صاحب الاغاني

ولهذين السببين اي خوف العار وخوف الفقر كان بعض العرب يئدون بناتهم لا يفعل ذلك منهم عابد الوثن فقط بل المتنصر احياناً كما نُقل عن عدي بن ربيعة المعروف بالمهلهل زير النساء انهُ لما وُلدت لهُ ابنتهُ ليلى امر بدفنها ثم بدا لهُ فاستحياها . وذكر عن قيس بن عاصم انهُ وأد بيدهِ بضع عشرة ابنةً لهُ قال وما رحمت منهنَّ الا واحدة ولدتها امها وانا في سفر ودفعتها الى اخوالها فلما قدمت وسألت عن الحمل اخبرت انها ولدت ميتاً ومضت سنون حتى ترعرعت فزارت امها ذات يوم فدخلت فرأيتها قد ضفرت لها شعرها وزينتها والبستها الحلى فقلت من هذه الصبية فقد اعجبني حسنها فبكت وقالت هذه ابنتك فامسكت عنها حتى اشتغلت امها فاخرجتها وحفرت حفرة وجعلتها فيها وهي تقول يا أبتِ اتغطيني بالتراب حتى واريتها وانقطع صوتها . واستمر الوأد جارياً عند العرب الى ان قام زيد بن عمرو النصراني فجعل ينهى عنهُ وتبعهُ صعصعة بن ناجية جد الفرزدق فاخذ

يطوف في القبائل يشتري الموءودة بناقتين وجمل يشتري حياتها لا رقّها وظل كذلك الى ان جاء الاسلام وقد فدى ثلاث مئة موءودة . وقد افتخر بفعله هذا الفرزدق فعدهُ في شعرهِ من جملة مآثر آبائهِ فقال

وجدي الذي منع الوائداتِ واحيا الوئيد فلم يوأدِ

ونظراً لتأصل هذه العادة القبيحة في نفوسهم وتعارفهم بها كان الوالد اذا ادركتهُ الشفقة على ابنتهِ واحب استحياءَها يجهد باخفائها من الناس لئلا يفطن لها احد مثلما فعل عصيم بن مروان بابنتهِ نضيرة ام حصن بن حذيفة فيما حكاهُ ابو محمد الاعرابي ولم يكن لهُ ولد غيرها فلما وُلدت لهُ ورآها انتشرت نفسهُ عليها ورق لها وقال لامها استرضعيها واخفيها من الناس

ومع ذلك فلم يكن العرب باسرهم على هذا المنوال يئدون بناتهم فان عدداً منهم ليس بالقليل كانوا يستحيونهنّ غير انهم كلهم قاطبةً كانوا يكرهونهنّ ويرون ولادتهنّ مصيبةً عليهم انفةً من العار الذي قد يلزم عنهنّ وهرباً من مؤونة تربيتهنّ . وقد سئل احدهم عن ولدهِ فقيل لهُ كم ولدك فقال قليل خبيث فقيل لهُ كيف قال لا اقل من واحد ولا اخبث من انثى . وقال آخر في ابنةٍ لهُ كانت تبالغ في برّهِ واكرامهِ

تهوى حياتي واهوى موتها ابداً والموت اكرم نزّالٍ على الحُرَمِ

وقد توارث هذه الكراهة الخلف عن السلف حتى انهُ لما اراد بعض الاسلاميين ان يهنئ بعض الوزراء قديماً بابنةٍ وُلدت لهُ احتاج ان يذكر تسليةً لهُ ما في السماء والارض وما بينهما من الاناث وهذا نص كتابهِ أوردهُ تفكهةً ليعلم منهُ كم كانت الانثى مُبغَضةً الى والديها قال

اهلاً وسهلاً بعقيلة النسآء . وام الابنآء . وجالبة الاصهار . والاولاد الاطهار . المبشرة باخوة يتسابقون . ونجبآء يتلاحقون

ولوكان النسآء كمثل هذي لفضّلت النسآء على الرجالِ
فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

والله يرزقك البركة في مطلعها . والسعادة بموقعها . فادّرع اغتباطاً . واستأنف نشاطاً . فالدنيا مؤنثة والناس يخدمونها . والذكور يعبدونها . والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية . وفيها كثرت الذرية . والسمآء مؤنثة وقد زُينت بالكواكب . وحليت بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة وهي قوام الابدان . وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام . ولا تحرك الانام . والجنة مؤنثة وبها وُعد المتقون . وفيها تنم المرسلون . الى آخر ما هنالك مما هو بالتعزية اشبه منهُ بالتهنئة . واما التهنئة الصحيحة فانما كانت تكون عندهم اذا توفيت الانثى واقل ما كانوا يكتبونهُ في التهنئة بوفاتها قولهم ستر العورات من الحسنات ودفن البنات من المكرمات وتقديم الحُرَم من النعم وغير ذلك مما لا استقصي في ذكرهِ

على ان بعض العرب كانوا في عكس من سبق يحبون بناتهنّ ويبذلون في اكرامهنّ غاية جهدهم دون ان يمنعهم ما كانوا يتقونهُ منهنّ من الفضيحة وثقل المؤونة عن توفيتهنّ حقهنّ من العناية والتربية بحيث كانوا يجزعون لاقل اذًى يحل بهنّ . قال حطّان بن المعلّى

لولا بنياتٌ كزغب القطا رُددنَ من بعضٍ الى بعضِ
لكان لي مضطرَبٌ واسعٌ في الارض ذات الطول والعرضِ

وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارضِ
لو هبَّت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمضِ

وقد بقيت آثار ذلك كلهِ الى اليوم كما هو مشهور في هذه الاقطار

وقد تعبت كثيراً في ما بين يديَّ لاجد ما أصف بهِ حالة الانثى في بيتها اذا ترعرعت وما كان يستغرق وقتها من اشغال المنزل ومهمات تدبيرهِ فلم اظفر من ذلك بالبلاغ فان البيت كلهُ كان في الغالب قائماً في طراف او خباء يتولينَ فيهِ الردن اي الغزل ومنهُ اشتقاق رُدَينة من اسمائهنَّ او ينسجنَ الصوف والوبر والشعر ونحوهُ وقد يدبغنَ الاديم ويرملنَ الحصير قال الوليد بن عقبة

فانك والكتاب الى عليٍّ كدابغةٍ وقد حلم الاديمُ

وقال النابغة

كأن مجرَّ الرامسات ذيولها عليهِ حصيرٌ نمقتهُ الصوانعُ

ومهمات المنزل باسرهِ منحصرة في تهيئة الطعام في ما لا يكاد يخرج عن اللبن الحليب والأقِط والتمر والدقيق والعسل والزبد والسمن والزيت والشحم شأن سائر سكان القفار الباقين على نشأتهم الطبيعية . ولذلك اذا راجعنا مآكل العرب وحلوياتهم لم نَرَها تتعدى هذه الاشياء تُفرَد او تُخلَط بعضها ببعض واما اللحم فغاية احضارهِ ان يشوى على الجمر او على الحصى او يدفن في الرماد او يكون جيد النضج بالنهُ او قليلهُ مما يرجع الى حالة واحدة ولا يتطلب كبير عناء . ولذلك كان بعض النساء يخرجنَ راعيات يقضينَ يومهنَّ في القيام على الابل او الشياه وبعضهنَّ بائعات كما نُقل عن ذات النحيين

في المثل المشهور . واكثر ما كنَّ يبعنَ العسل والسمن والتمر والعطر يطفنَ بهِ الاحياء يستبدلنهُ احياناً بالشحم او يلزمنَ بهِ مكانهنَّ فيأتيهنَّ الرجال يتطيبون بهِ لديهنَّ كما جاء في المثل عن منشم في احد الاقوال . وربما تعرضنَ للركبان بالأَدَم والبُرَم اي الجلود والقدور قال النابغة ايضاً

ليست من السوداعقاباً اذا انصرفت ولا تبيع بجنبي نخلةَ البُرَما

وبعد ذلك

كادت تساقطني رحلي وميثرتي بذي المجاز ولم تُحسِس بهِ نَغَما

من قول حِرميةٍ قالت وقد ظعنوا هل في مُخفيكمُ من يشتري أدَما

ولا يبعد ان يكون هنالك صنائع أُخرى كن يتعاطينها مما لا يكاد يتعدى حاجة ساكن القفر مثلما جاء عن رُدينة انها كانت في خط هجر هي وزوجها سمهر يقوّمان الرماح ولذلك نسبت الرماح اليهما فقيل رمح رديني ورمح سمهري

ويلحق بهذا ما كان يتعاطاهُ بعضهنَّ من فنون الكهانة كالضرب بالحصى مما يشاهد مثلهُ في بدويات اليوم وكزجر الطير او العيافة وهي ان ترمي الطائر بحصاة او ان تصيح بهِ فان طار عن اليمين استسعدت بهِ وان طار عن اليسار تشاءمت بهِ تسمي العرب الاول سانحاً والثاني بارحاً وكانوا يعتقدون بصحة هذه الخرافات وقل من انكرها منهم كلبيد حيث يقول

لعمرك ماتدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

وكنَّ فيما عدا التنجيم يتكلفنَ الرقي والنفث في العقد من فنون السحر وهو ان يعقدنَ عُقَداً في خيوط او في وتر وينفثنَ عليها اي ينفخنَ مع ريقٍ وقد

استعاذ منهن القرآن فقال قل اعوذ برب الفلق من شرّ النفاثات في العُقَد

على ان كثيراً من هذا الذي تقدم كان تقوم بهِ الولائد والاماء من الرقيق وهن وقتئذٍ يُعدَدن بالالوف فكنّ يُستخدَمنَ في عامة حاجات المعيشة من رعي الابل خاصةً وخدمة المنزل وتعاطي المهن وسائر ما تتطلبهُ لوازم الحياة في القفر مما كانت تترفع عنهُ حرائر النسآء او يأنفن من مزاولتهِ لما يترتب عليهِ عندهنّ من العار والغضاضة في الشرف . قال التبريزي في شرح قول قيس بن الحطيم

يهون عليّ ان تردّ جراحها عيونَ الأواسي اذ حمدت بلآءها

« الأواسي المداويات للجراح وانما ذكر النسآء لانهم يأنفون من الصناعات ويعلمونها العبيد والاماء وحرائر النسآء اذا لم يكنّ في غاية بعيدة من الشرف » . ولذلك قال النابغة في البيت المتقدم ولا تبيع بجنبي نخلةَ البُرَما وقال ذو الاصبع العدواني

عني اليك فما امي براعيةٍ ترعى المخاض ولا رأيي بمغبونِ

ومن اظهر الدلائل على هذه الانفة من الامتهان والتبذل قولهم في المثل تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها

ومما يلحق بذلك الغناء فانهُ في الجاهلية كان من خصائص الاماء وتسمى عندهم الامة المغنية بالقينة والكرينة واول من غنى من الاماء فيما زعموا جاريتان كانتا لمعاوية بن بكر من قبيلة عاد الهالكة وهما المدعوتان في الاخبار بالجرادتين

ولا يبعد ايضاً ان تكون الامة هي التي كانت تتولى خياطة الثياب

واصلاحها بنفسها او تسعفها في ذلك مولاتها اذا كان المخيط لها او لأسرتها اولم تكن عريقة في الشرف . وكانت النسآء لذلك العهد او بعضهنَّ يحتفلنَ بملابسهنَّ ولا يقتصرنَ على لبس القطن والصوف والوبر بل يتشحنَ احياناً بالديباج والحرير حسب يسارهنَّ . قال المنخل اليشكري

الكاعب الحسنآء ترفل م في الدمقس وفي الحريرِ

واقل من ذلك لبسهنَّ الثياب الموشاة بالذهب قال سامى بن ربيعة

والبيض يرفلنَ كالدمى في الرَيط والمذهب المصونِ

يعني بالبيض النسآء يتبخترن في الريط وهي الملآء الواسعة . والمذهب المصون يراد بهِ الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب . على انهنَّ كنَّ في اوقات الخلوة يقتصرنَ على لبس الصدار والمجول والإتب تحت دروعهنَّ وهي كما ذكرهُ الثعالبي قُمُصٌ متقاربة الكيفية في القصر واللطافة وعدم الاكمام . ولا بد ان ذلك كان عاماً لهنَّ حتى قيل في المثل كل ذات صدار خالة

واما الزيّ الذي كنَّ يتخذنهُ في ملابسهنَّ فالظاهر انهُ كان لا يخلو من بعض التأنق . ومن اغرب الشواهد الدالة على مبلغهِ عندهنَّ هذه الوسادة التي تضعها نسآء الفرنجة ونسآؤنا تحت اثوابهنَّ في اسفل الحصور لتعظيم ما خلف الظهور فانها ليست من ايجاد مخترعات الزي في اوربا بل هي من معلومات نسآء العرب في سالف الدهر وتسمى عندهن بالمُظَّامة والحشيَّة والرِفاعة . واذا قرأْنا في تفسيرها قول ارباب اللغة المظَّامة ثوب كالوسادة تعظّم بهِ المرأة عجيزتها علمنا انها هي ما نراهُ اليوم في زيّ المرأة المتمدنة . ومن ذلك ايضاً عادة اطالة الذيول وجرها تبختراً وخيلآء واشمار

العرب طافحة بذكرها فلا حاجة الى النص عليها في بيت بعينهِ

واشد من اهتمامهنَّ بالملبس حرصهنَّ على التحلي وبلغ من شغفهنَّ بهِ انهنَّ لم يقتصرنَ على الحلي الواحد في الموضع الخاص بهِ بل ربما عدّدنهُ في كل قسم منهُ كاليد مثلاً فانهنَّ في ما عدا الخواتم في الاصابع اتخذنَ فيها للمعصم سواراً وللساعد جبيرةً وللعضد دملجاً . وكالرجل فقد ذكر الثعالبي فضلاً عن الخلخال والخدَمة لها الفتَخ لاصابعها وقال تلبسها نساء العرب وكذلك الاذن فقد جاء الشنف لما يعلق في اعلاها والقرط لاسفلها. ويظهر ان السوار لم تكن تلبسهُ الا الحرائر من النساء دون الاماء بدليل قول حاتم الطآئي لما لطمتهُ العنزية حين فصد لها البعير لو ذات سوار لطمتني

ومن لوازم التحلي ولواحقهِ التزين والتبرج في ما يتناولهُ من التطيب والاختضاب والوشم وترجيل الشعر وتزجيج الحواجب والتكحل وما اشبه. واكثر ما كان الوشم في ظاهر الكف والمعصم يدل على هذا الثاني قول زهير في معلقتهِ

ودارٌ لها بالرقمتين كانها مراجيع وشم في نواشر معصم

وربما وشمت الحمقآء غير ذلك ليكون احسن لها كما ذكروا في تفسير المثل هو اعظم في نفسهِ من المتَّشمة . واما الشعر فيستفاد من وصف امرئ القيس للفرع في معلقتهِ المشهورة انهنَّ كنَّ اذا اردنَ ترجيلهُ تفننَّ في ضفرهِ وتهيئتهِ وخالفنَ فيهِ بين تثنيةٍ وارسال وهو قولهُ

غدائرهُ مستشزراتٌ الى العُلى تضل العقاص في مثنًى ومرسلِ

ونظراً لما يترتب على الفرع الطويل من الحسن كنَّ اذا قصر شعر احداهنَّ

تصلهُ بغيرهِ ليكون اتم لها وتسمى من كانت كذلك بالواصلة والطالبة لهُ بالمستوصلة . وقد لعنهما كلتيهما الرسول كما لعن الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة . ومعنى النامصة الناتفة لشعرها كما تفعل بعض النسآء اليوم ومنهُ قول الراجز

يا ليتها قد لبست وصواصا   ونمّصت حاجبها تنماصا

اراد بتنماص الحاجب نتف مانبت فيه ورآءَ القوس من الشعر وكانت العرب تحب الحواجب المزججة اي المدققة المطولة . واما صبغها المعروف بالخطوط فلم تكن تعرفهُ البدويات وانما هو من تبرج الحضَريات كما قال ابو الطيب

افدي ظبآء فلاةٍ ما عرفنَ بها   مضغ الكلام ولاصبغ الحواجيبِ

ولا حاجة الى التنبيه على ان هذا الذي تقدم من حرص المرأة على التزين والتحلي كان يُشاهد في غير المرأة الثاكل او الفاقد فان حداد هذه كان يشغلها عن كل زهو وتبرج ولذلك عرَّفوا الحداد بكونهِ خاصةً ترك الزينة والخضاب وان كان في الواقع يتناول غير ذلك كلبس السُّلُب السود وهي ثياب المآتم والمسوح كما قال لبيد

يخمشن حُرَّ أوجهٍ صحاحِ   في السُلُب السود وفي الأمساحِ

وقد تعصب الحادُّ رأسها ايضاً بالسلاب كما يدل عليهِ قول ضمرة بن ضمرة النهشلي

هل تخمشنْ ابلي عليَّ وجوهها   ام تعصبنَّ رؤوسها بسلابِ

بل ربما تناول الحداد ما هو اشد من ترك الزينة كحلق الشعر وتسليق النعلين احيانًا كما ذكر عن الخنسآء انها رؤيت بعد مقتل اخيها صخر تطوف بالبيت

محلوقة الرأس وهي تبكي وتلطم خدها وقد علقت نعل صخر في خمارها . فلما عوتبت على ذلك ونُهيت عنهُ قالت ابياتاً منها

ولكني رأيت الصبر خيراً   من النعلين والرأس الحليقِ

قال المبرّد وتأويل النعلين ان المرأة كانت اذا أُصيبت بحميمٍ لها جعلت في يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها . قال عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربعٍ عويلهما   لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

اذا تجاوب نوحٌ قامتا معهُ   ضرباً أليماً بسبتٍ يلعج الجِلدا

وقصرُهُ الاصابة على الحميم فقط يدل على انهُ اذا لم يكن المصاب بهِ كذلك ندبتهُ المرأة بغير نعلين واستعاضت عنهما بخرقة تمسكها بيدها وهي تنوح كما تصنع النوادب اليوم . وتسمى هذه الخرقة بالمئلاة قال الشاعر يصف سحاباً

كأنَّ مصفحاتٍ في ذراهُ   وانواحاً عليهنَّ المآلي

ومما اشتهر عنهنّ البروز عند سماع النعيّ حاسرات بغير نقاب كما سيجيء وخمش الوجه وقد تقدم شاهدهُ وشق الجيب كما قال طرفة

وان متُّ فانعيني بما انا اهلهُ   وشقي عليَّ الجيب يا ابنة معبدِ

واقل منهُ تخريق الخمار كما قال صخر في اختهِ الخنساء

والله لا امنحها شرارها   وهي حصانٌ قد كفتني عارها

وان هلكتُ خرّقت خمارها   واتخذت من شعرها صدارها

واما مدة الحداد فلا يبعد انها كانت تختلف باختلاف منزلة الفقيد او نسبهِ وقد جعلها لبيد حولاً كاملاً حيث قال يخاطب ابنتيهِ بعد ان نهاهما عن خمش الوجه وحلق الشعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

ومما يتصل بالملبس التقنع والتنقب وقد كان النقاب يستر الوجه الى قصبة الانف او الى المحجر فقط بحيث كانت تُرى منهُ العين . ولعلهُ لم يكن في بدء الامر الا فضلة القناع تردّها المرأة على شفتها كما يردّ الرجل فضل عمامته على فمه بدليل اطلاق لفظ اللثام على كلا الردّين . ثم ما لبث اللثام ان ارتفع الى ما فوق الفم فكان لفاماً ثم انتهى الى الانف فغشيهُ او بعضهُ فكان نقاباً وربما ضاق ايضاً حتى لا تبدو منهُ الا العين فقط وهو البرقع والوصواص . قال المثقب العبدي

ظهرن بكلةٍ وسدلنَ اخرى وثقّبنَ الوصاوص للعيونِ

وذكر ابو زيد في كتاب النوادر انهُ قيل لاعرابي ما تقول في نسآء بني فلان فقال بُرَقِعٌ وانظر يدحسن اعينهنَّ

ومن هذا الترتيب يستدل على ان النقاب كان في اول اتخاذهِ كاللثام للرجال ثم لما جعل ارباب الهوى لا يرون حسناً الا تمشقوها ونظموا فيها الابيات السائرة تحرز منهم النسآء بالنقاب ستراً لمحاسنهنّ ان يبتذلها الوصف فاصبح لذلك التنقب عادةً اوجبها التعفف والتصون . يشهد بذلك ما ذكر عن المتجردة امرأة النعمان ملك الحيرة حين سقط يوماً نصيفها اي خمارها فابصرها النابغة الشاعر فبادرت واستترت بيدها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لامتلآئها وغلظها . فما لبث النابغة بعد هذه اللمحة اليسيرة ان نظم قصيدتهُ الدالية وصف فيها المتجردة وصفاً نبّه فيهِ على اكثر محاسنها حتى تجاوز الى رضابها فقال فيهِ ما اوجب غضب النعمان عليهِ . ولما انتهى

الى امرء سقوط النصيف واستتار المتجردة قال

سقط النصيف ولم ترد اسقاطهُ   فتناولتهُ واتّقتنا باليدِ

ونُقل مثل ذلك عن طرفة لما كان بين يدي عمرو بن هند يشرب وأشرفت اختٌ للملك فرآها طرفة فقال فيها بيتين من الشعر نقمها عليهِ عمرو بن هند وكان من بعض ما بعثهُ على الامر بقتلهِ كما ذكر في قصتهِ

ومما يدل على ان التنقب لذلك العهد كان تصوناً استئثار الحرائر بهِ دون الاماء حتى كانت الحرة اذا خشيت السبي يوماً وارادت ان تأمن على نفسها تلقي عنها النقاب وتبرز حاسرةً كالأمة ليظن انها هي فلا يتعرض لها. قال التبريزي في شرح قول معدي كرب

وبدت لميس كانها   قمر السماء اذا تبدّى

اي برزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها وانما فعلت كذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما تداخلها من الرعب ومثلهُ

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها   يُخلَنَ اماءً والاماء حرائرُ

على ان التنقب لم يكن عاماً لكل الحرائر على السواء ملازماً لهنَّ في جميع احوالهنَّ فان بعضهنَّ كنَّ لا ينتقبنَ من الرجل اذا كان غير شجاع تظاهراً بالاحتقار لهُ ان يكون عاجزاً عن حماية الاعراض ومدافعة الاعداء وقد نقل عن بني الحرث بن كعب خاصةً انهُ اذا كان الرجل منهم جباناً لم تحتمر منهُ امرأة ابداً . وكنَّ كلهنَّ جمعَ اذا فاجأهنَّ ما يذهلنَ لهُ من مصيبة او حزن يبرزنَ حاسرات سافرات عن وجوههنَّ يلطمنها باكيات . قال الربيع بن زياد في مقتل مالك بن زهير

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ نسوتنا بوجه نهارِ
يجد النسآء حواسراً يندبنهُ يلطمنَ اوجههنَّ بالاسحارِ
قد كنَّ يخبأنَ الوجوه تستراً فاليوم حين برزنَ للنظارِ
يضربنَ حرَّ وجوههنَّ على فتىً عفّ الشمائل طيب الاخبارِ

وقد وصف المتنبي مثل هذا في بعض نسآء المحدثين فقال

واخرجت الخدور مخبآتٍ يضعنَ النِقس امكنة الغوالي
اتتهنَّ المصيبة غافلاتٍ فدمع الحزن في دمع الدلالِ

ومثل ذلك كانت تفعل بعض النسآء الحسان فكنَّ في اكثر الاوقات يبرزنَ للنظار سافراتٍ عجباً بجمالهنَّ ان يسترهُ قبح القناع . وقد عُرف ذلك منهنَّ حتى كانت المرأة اذا رؤيت حريصةً على التنقب والتستر حُكم عليها لاول وهلة انها قبيحة المنظر واعتقد فيها انها انما تقنعت لتغرَّ الناظر اليها وتوهمهُ جمالها ولذلك قيل في المثل ترك القناع من ترك الخداع . وقد ذكر عمر بن ابي ربيعة عادة النسآء الحسان في ترك التقنع فقال من شعرٍ لهُ

ولما تفاوضنا الحديث واسفرت وجوهٌ زهاها الحسن ان تتقنما

اي استخفّها الحسن ان تستر وجهها بالقناع . قال التبريزي في شرح هذا البيت وهكذا كانت نسآء العرب تفعل اذا كانت جميلة . وقد ذكر مثل ذلك الشماخ وابو النجم من الرُجاز فقال الاول أطارت من الحسن الردآء المحبَّرا وقال الثاني من كل غرَّآء سقوط البرقعِ

وعلى كلٍ فايًّا كان السبب لم تكن النسآء يبرزنَ حاسرات الا وهنَّ حريصات على التعفف حرصهنَّ عليهِ وهنَّ متنقبات مستترات كما قال في

مثلهنَّ بعض واصفيهنَّ

برزنَ عفافاً واحتجبنَ تستراً وشيب بقول الحق منهنَّ باطلُ
فذو الحلم مرتابٌ وذو الجهل طامعٌ وهنَّ عن الفحشآء حِيدٌ نواكلُ
كواسٍ عوارٍ صامتاتٌ نواطقٌ بعف الكلام باخلاتٌ بواذلُ

ومن هنا يعلم ان النسآء لم يكنَّ جميعاً يستترن بالنقاب استتاراً لا يكشفنَ فيهِ عن وجوههنَّ البتة بل كان كثيرات منهنَّ يبرزنَ للرجال ولا سيما الفتيات يراهنَّ الراغب في الزواج فيخطبهنَّ عن معرفة ومرأى لا عن شهادة ورواية . وقد بقي بعض هذه المادة الى ما بعد الاسلام فكان بعض النسآء يبرزنَ للرجال يحدثنهم ويحدثونهنَّ كما ذكر عن سكَينة بنت الحسن وتسمى من كانت كذلك بَرْزة . وبعضهنَّ يجلسنَ لخطَّابهنَّ كما صرح بذلك ابن عبد ربهِ في العقد الفريد فيما نقلهُ عن معبد ابن خالد الجدلي انهُ قال خطبت امرأة من بني اسد في زمن زياد وكان النسآء يجلسنَ لخطَّابهنَّ فجئت لانظر اليها وكان بيني وبينها رواق فدعت بجفنة من الثريد مكللة باللحم فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ثم دعت بقربةٍ صغيرة مملوءة لبناً فشربتهُ حتى اكفأت القربة على وجهها وقالت ياجارية ارفعي الستر فاذا هي جالسة على جلد اسد واذا شابَّةٌ جميلة فقالت لي ياعبد الله أنا اسدة من بني اسد وعلى جلد اسد وهذا طعامي وشرابي فان احببت ان تتقدم فتقدم وان احببت ان تتأخر فتأخر. فقلت استخير الله في امري وانظر وخرجت ولم اعد . واورد ابن عبد ربهِ حكايات أُخر في مثل هذا المعنى بعضها اصرح في الدلالة لا انقلها لطولها فليطالعها من يشآء

وعلى ذكر الخطبة والزواج فقد يظهر ان بعض فتيات الاعراب كنَّ يتزوجنَ في سنٍّ حدثٍ جداً ومما لا يكاد يصدق ما وجدتهُ في رجزٍ لبعض النسآء قالتهُ في ابنتها ردّاً على جارةٍ لها ولدت غلاماً . قالت

وما عليَّ ان تكون جاريه　　تغسل رأسي وتكون القاليه

حتى اذا ما بلغت ثمانيه　　زوَّجتها مروان او معاويه

أَختانَ صدقٍ ومهورٍ غاليه

فانَّ تزوُّج الفتاة في الثامنة من سنها مما ينكرهُ الطبع وتكاد تنكرهُ الطبيعة ولعلهُ انما كان يقع في الظاهر فقط ليُملك امرها ثم لا يُبتَى عليها الا متى ادركت كما نُقل عن الرسول فيما ذكرهُ ابن عبد ربهِ من انهُ تزوَّج عائشة في السادسة من سنها وابتنى عليها في التاسعة

ولا يبعد ان تكون هذه العادة باقيةً الى اليوم في بعض المدن الاسلامية كما يؤخذ مما ذكرهُ نيبهر[١] في كتابهِ في وصف بلاد العرب وهو احد من زارها سنة ١٧٦٣ قال في معرض كلامهِ عن الجمع بين الزوجات « سمعت في فارس ان امرأة وضعت في الثالثة عشرة من سنها . قال وفي هذه البلاد تزوج البنات من التاسعة من اعمارهنَّ » . وذكر ايضاً في الجزء الثاني من كتابهِ هذا من بعض ما تختلف فيهِ اهل الجبال واهل المدن « ان بنات اليمن يتزوجنَ في التاسعة او العاشرة من سنيهنَّ واما بنات الجبال فيندر ان يتزوجنَ قبل الخامسة عشرة »

ومهما يكن من مقدار العمر فلم تكن الفتاة تُزوَّج في الغالب الا من

(١) M. Niebuhr. Description de l'Arabie

كان غريباً عنها لا تجمعها بهِ صلة معرفة او صلة نسب . اما صلة المعرفة فلانهم كانوا شديدي الغيرة على اعراض النسآء ان يلحق بهنَّ ما يُعرِّضنَ من اجلهِ للظنة حتى لقد كانوا يمنعون زواج الفتاة لمجرد سلامٍ يسلمهُ عليها الرجل فضلاً عما اذا كان مشتهراً بهواها . قال عبد الشارق بن عبد العزّى

الا حُيِّيتِ عنا يا رُدَينا　　　نحييها وقد كرمت علينا

اي نسلم عليها وان كان في السلام يأسٌ منها . قال ابو رياش فيما نقلهُ التبريزي في شرح هذا البيت « قيل ان الرجل اذا عُرف بحب امرأة لم يزوجوهُ اياها فاذا سلّم عليها عُرف انهُ يهواها » . وقريبٌ من هذا فيما اظن قول الآخر

وما ليَ من ذنبٍ اليهم علمتهُ　　　سوى انني قد قلت يا سرحة اسلمي

نعم فاسلمي ثم اسلمي ثمتَ اسلمي　　　ثلاث تحياتٍ وان لم تكلّمي

واما صلة النسب فلأن العرب كانت تعتقد ان الرجل اذا تزوَّج قريبةً لهُ جآء ولدهُ ضاوياً نحيفاً . قال أعرابي

ألا فتى نال العلى بهمّهِ　　　ليس ابوهُ بابن عم أُمهِ

ترى الرجال تهتدي بأَمّهِ

ولذلك جآء في الحديث اغتربوا لا تضْوُوا اي تزوَّجوا في الاجنبيات ولا تتزوَّجوا في العمومة

ولكنهم في ضد ذلك كانوا يتزوجون احياناً بنسآء آبآئهم كما ذكر الاصبهاني في آمنة بنت أبان انهُ لما مات عنها أمية بن عبد شمس تزوجها من بعدهِ ابنهُ ابو عمرو قال وكان هذا نكاحاً تنكحهُ الجاهلية فانزل الله تعالى تحريمهُ قال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النسآء الا ما قد سلف انهُ كان

فاحشةً ومقتاً وسآءَ سبيلاً فسمي نكاح المقت

وقد يتوهم كثير من الناس ان النسآء في ذلك العهد كنَّ يتزوجنَ من يختارهُ لهن ذووهنَّ ويكرَهنَ على الاقتران بمن لا يعرفنهُ او لا يرغبن فيهِ . وهذا وان كان يجري بعضهُ احياناً لا يصح في الاطلاق بل كانت الانثى مخيرةً في الغالب تختار من تشآء وتتزوج من تعرف اذا لم يكن ثمَّ ما يمنع زواجها كما سبق مما يخشى منهُ على طيب الذكر او يبعث تحدُّث الناس . وقد جآء على ذلك شواهد كثيرة اجتزئ منها بما نقلوهُ عن الخنسآء الشاعرة من انها كانت تهنأ بعيراً لها ودريد بن الصمة يراها وهي لا تشعر بهِ فاعجبتهُ فانصرف وانشد ابياتاً منها

ما إن رأيت ولا سمعت بهِ كاليوم طالي اينقٍ جرُبِ
متبذلاً تبدو محاسنهُ يضع الهنآء مواضع النقبِ

فلما اصبح غدا على ابيها فخطبها اليهِ فقال لهُ ابوها مرحباً بك انك الكريم لا يُطعن في حسبهِ والسيد لا يُرَدّ في حاجتهِ ولكن لهذه الفتاة في نفسها ما ليس لغيرها وانا اذكرك لها ثم دخل اليها وقال لها يا خنسآء اتاكِ فارس هوازن وسيد بني جشم يخطبكِ وهو من تعلمين فقالت يا أبتِ أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح ومتزوجةً شيخ بني جشم هامة اليوم او غد . فلم يجبها ابوها بشيء مع رغبتهِ في تزويجها لدريد وخرج اليهِ وقال يا ابا قرة قد امتنعت ولعلها ان تجيب فيما بعد . وسيأتي فيما عدا هذا دليلٌ آخر اكثر صراحةً يعلم منهُ كم كانت الانثى يومئذٍ حرةً في اختيار من تشآء ورفض من تشآء زوجاً لها . وفي هذا الشاهد الذي نقلتهُ عن الخنسآء

شاهدٌ آخر بما تقدم ذكرهُ من ان بعض النسآء كنَّ اذا اردنَ يخرجن حاسرات بلا نقاب ولذلك قال دُرَيد متبذّلاً تبدو محاسنهُ

ومما يزيد في فضل هذه المشيئة التي تركها العرب لفتياتهم في اختيار الزوج ان النسآء في الجاهلية او بعضهن كنَّ يطلّقنَ رجالهنَّ وكان طلاقهنَّ انهنَّ ان كنَّ في بيتٍ من شعر حوّلنَ الخبآء ان كان بابهُ قبل المشرق حولنهُ قبل المغرب وان كان بابهُ قبل اليمن حولنهُ قبل الشام فاذا رأى ذلك الرجل علم انها قد طلقتهُ فلم يأتها كما حدث لحاتم الطآئي مع امرأتهِ ماوية مثلما هو مذكور في قصتهِ . وقد قيل في حاتم هذا انهُ كان نصرانياً فان صح هذا القول كان في تطليق امرأتهِ لهُ دليل على ان الطلاق كان مشتركاً بين النصارى وعابدي الوثن وهذا الموضع مهم للمشتغل بتاريخ النصرانية في الجاهلية والاسلام فليُنتبه اليهِ . ونظيرهُ ما ذكر من تطليق امرئ القيس لامرأته ام جندب حين حكمت لعلقمة الفحل عليهِ عند ما تحاكما اليها في ما قالاهُ من الشعر . وفي هذه القدرة التي كانت للمرأة على تطليق الرجل دليلٌ ناطق بمقدار منزلتها في الجاهلية بحيث كان لها من الحقوق قريبٌ مما كان للرجل تطلقهُ ان انكرت منهُ سوء معاملةٍ لها او تحاملٍ عليها او رأتهُ مهملاً لمكانها مقبلاً على ما تكره منهُ وفي هذا من العدل والانصاف ما لا يخفى على احد

ولم يكن الجمال في المرأة الجاهلية هو وحدهُ المعين لها على الزواج فان كثيرين من الرجال كانوا يؤثرون فيها جمال النفس وكمال الخُلق وشرف النسب وكرم العنصر ودهآء الرأي وذكآء الفهم سوآءٌ كانت مع ذلك

حسناً، او قبيحة . واكثر ما كانوا يلتمسون فيها شهرة الاسم وتطاير الصيت فرب فتاة كانت خاملة الذكر مجهولة المكان متناهية الفقر لا يأتيها راغب ولا يخطبها خاطب ثم اتفق ما نوّه باسمها ونبّه على منزلتها من شعرٍ قيل فيها او في مدح اسرتها فما لبثت حتى اقبل عليها الطلاب من كل قبيلة يبذلون لها من المهر ما اغنى ذويها وأدرَّ عليهم اخلاف الرزق كما رُوي عن المحلّق الكلابي انهُ كان لهُ ثلاث اخوات قد كسدنَ عليهِ وكان مع ذلك فقيراً سيّئ الحال فاتفق ان مرّ ذات يوم بهِ الاعشى الشاعر فبادر وبسّ اليهِ بالضيافة واكرمهُ فما كان بعد قليل حتى قال الاعشى شعراً سار وشاع في العرب فما اتت على المحلق سنةٌ حتى زوّج اخواتهِ الثلاث كل واحدةٍ على مئة ناقة وأيسر وشرُفَ . وحكى صاحب الاغاني ايضاً ان امرأة جاءت الى الاعشى نفسهِ وقالت لهُ ان لي بناتٍ قد كسدنَ عليَّ فشبِّب بواحدة منهنّ لعلها ان تنفق . فشبب بواحدةٍ منهنّ فما شعر الاعشى الا بناقة بُعثت اليهِ فقال ما هذا قالوا زُوّجت فلانة فشبب بالاخرى فاتاهُ مثل ذلك فسأل عنها فقيل زُوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوّجنَ جميعاً

واما الذكاء والفطنة فما من احدٍ يجهل قصة شنّ وما ألزم بهِ نفسهُ من ان لا يتزوج الا بامرأة تضاهيهِ في الدهاء فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبتهِ الى ان صادف في بعض اسفارهِ ابا طبقة فسألهُ اسئلةً لم يفطن لمغزاها حتى فسرتها لهُ ابنتهُ طبقة تفسيراً حمل شناً على خطبتها وتزوجها . ونظير ذلك ما يحكى عن امرئ القيس من انهُ كان قد اقسم الا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية واربعة واثنين فجعل يخطب النساء فاذا سألهنّ عن

هذا قلنَ اربعة عشر فبينا هو يسير في جوف الليل اذا هو برجل يحمل ابنةً
لهُ صغيرة فاعجبتهُ فقال لهـا ياجارية ما ثمانية واربعة واثنان فقالت اما ثمانية
فاطباءُ الكلبة واما اربعة فاخلاف الناقة واما اثنان فثديا المرأة فخطبها الى
ابيها فزوجهُ اياها واتفق لهُ معها قبل الزواج ما يدل على شدة ذكائها ووفرة
عقلها مما لا انقلهُ لطولهِ . وفي هذه الحكاية دليل ايضاً على ما سبق التنبيه
عليهِ من ان بعض الفتيات كنَّ يتزوجنَ في سن حدث وهو قول صاحب
الرواية عن الرجل الذي لقيهُ امرؤ القيس انهُ كان يحمل ابنةً لهُ صغيرة ولم
يمنعهُ صغرها مع ذلك من تزويجها

القسم الثاني

تقدم في القسم الاول وصف المرأة الجاهلية في حياتها المادية وسأصف
في هذا القسم حياتها الادبية وما كان لها من المنزلة والتأثير في أُسرتها وبين
قومها واول ما اذكر من ذلك سلطتها على القلوب واستيلاؤها على الافكار
حتى كانت مفتتح كل قول ومنصرف كل حديث كالبسملة تُقدَّم بين يدي
كل كلام وكالقبلة يثني اليها وجه كل داعٍ بحيث لم يكن من شعرٍ يُنظَم
الا يقف الشاعر في مطلعهِ يحيي المرأة تحية خاشعٍ لها خاضع ويصف في
مستهلهِ شوقهُ اليها صفة هائم بمحاسنها مفتون بمحبتها . وما برحوا يعتقدون
ذلك فرضاً واجباً عليهم حتى عم ذكر المرأة سائر اقوالهم ومنظوماتهم مهما
اختلفت فيها الاحداث النفسانية فصاروا يذكرونها في غير مقامات الصبابة
وفي حين لا داعي الى ذكرها كفي احيان الغضب مثلاً وطلب الثأر مما

لا يبقى للنفس فيهِ محلٌ لرقة القلب ووصف الاشواق . والشواهد على ذلك كثيرة اجتزئ منها بواحد آخذهُ من شعرٍ لذي الاصبع المدواني قالهُ في ابن عمٍّ لهُ كان يعاديهِ ويبغيهِ شرًّا فلما هـاج بهِ هائج الغيظ قال فيهِ قصيدةً افتتحها بذكر امرأةٍ لهُ اسمها ام هرون اولها

يا من لقلبٍ شديد الهم محزونِ امسى تذكَّرَ ريًّا امَّ هرونِ

واتبع ذلك بابياتٍ في مثل هـذا المعنى وصف فيها الشوق وحرقة البعد ثم وقف فجأةً فقال

ولي ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ مختلفانِ فأقليهِ ويقليني

فجمع في قصيدة واحدة بين صفة الحب وصفة البغض . وما ابطأت مثل هذه العادة ان تملكت من كل الخواطر حتى صار النسيب وهو وصف المرأة وذكر الاشواق واجبًا لا بد منهُ في مطلع كل قصيدة ولا سيما قصائد المدح كما يشاهد في المنقول من شعر العرب . ولذلك لما انكر الحسن بن زيد على ابن المولى ذكرهُ النساء في شعرهِ وتشبيبهُ بهنَّ وقال لهُ من ليلى هذه التي تصفها في شعرك قال لهُ ابن المولى ما هي الا قوسي هـذه سميتها ليلى لاذكرها في شعري لان الشعر لا يحسن الا بالتشبيب . ووقع لابن المولى هذا مثل هذه القصة مع عبد الملك بن مروان لما قال لهُ أخبرني عن ليلى التي تقول فيها

وابكي فلا ليلى بكت من صبابةٍ اليَّ ولا ليلى لذي الودّ تبذلُ

والله لئن كانت حرةً لازوجنك اياها ولئن كانت أمةً لأبتاعنها لك بما بلغت فقال كلا يا أمير المؤمنين ما كنت لاذكر حرمة حرٍّ ولا أمتهُ . ما ليلى

الاقوسي هذه سميتها ليلى لأُشبب بها فقال لهُ عبد الملك ذلك اظرف لك·
وزاد المتأخرون تمسكاً بهذه العادة حتى اصبح كل شاعر عندهم مضطرًا ان يتعشق ويصف النسآء في مقدمة شعرهِ ولو لم يكن متيَّمًا بهنَّ · وقد انكر ذلك عليهم المتنبي فقال

اذا كان مدحٌ فالنسيب المقدمُ أكلُّ فصيحٍ قال شعراً متيمُ

وعلى كلٍّ فان لم يكن بدٌّ من النسيب والتغزل في الشعر فكل ذي حظٍ من الادب يؤثر مني طريقة العرب الاقدمين في التشبيب بالنسآء والشكوى من بعادهنَّ والتشوق لقربهنَّ على هذه الطريقة القذرة التي ولع بها المولدون من التغزل بالغلمان وذكر اوقات الاجتماع بهم وما يُرتكب في خلالها من ضروب المحرمات واصناف الفسق مما اخذوهُ ولا بد عمن خالطهم بعد الجاهلية من الاعاجم· وانظر اي فرق بين نسيبِ العرب وبين تغزل المولدين فان شعر الاولين كان في الغالب عفيفاً اذا أُنشدتهُ العذرآء في خدرها لم تستحي لهُ بخلاف الثاني مما يرجع الفضل فيهِ الى تأثير المرأة على افئدة العرب وحفظها لآدابهم

وقد كانت المرأة عالمة بهذه المنزلة التي لها في القلوب فكانت تستخدمها لا لتبلغ مآربها ولكن لتبعث روح الحمية والاقدام في نفوس قومها وتضرم في افئدة الشبان نار الشجاعة والغيرة وتحملهم بما لها من النفوذ في اهوآئهم على الترفع عن الدنايا واجتناب مساوئ الاخلاق · وقد نُقل عن بعض نسآء بني كنانة لما خشيت من خيل تغير على حيها انها خرجت من خيمتها وكانت حسنآء تامة الحسن وجلست بين صواحب لها ثم دعت وليدةً من

ولا نُدها وقالت ادعي لي فلاناً فدعت لها رجلاً من الحيّ فقالت لهُ ان نفسي تحدثني ان خيلاً تغير على الحيّ فكيف انت ان زوَّجتك نفسي فقال افعل واصنع وجعل يصف نفسهُ فيفرط فقالت لهُ انصرف حتى أرى رأيي واقبلت على صواحباتها فقالت ما عندهُ خير ادعي لي فلاناً فدعت آخر فخاطبتهُ فاجابها بمثل جوابهِ فقالت لهُ انصرف حتى أرى رأيي وقالت لصواحباتها وما عند هذا خير ايضاً . ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدم فقالت لهُ مثل قولها للرجلين فقال لها انَّ اعجز العجز ان يصف الرجل نفسهُ ولكني ان لقيت أعذرت وحسب المرء غناءً ان يعذِر فقالت لهُ قد زوَّجتك نفسي فاحضر غداً مجلس الحيّ ليعلموا ذلك فلما كان الغد تزوَّجها وخرج من عندها ودافع الخيل عنها خير دفاع . فلينظَر كيف ان هذه المرأة لما كانت عارفةً بمقدار السلطة التي لها على النفوس ورأت ان المقام حينئذٍ اصبح حرجاً واحتاج الحي الى من يردّ عنهُ هجمات العدوّ بذلت نفسها جائزةً لمن يحمي حوزتها ولم تبخل بجمالها على اول فارس رأت فيهِ الكفاءة للدفاع وان كانت ربما لم ترَ فيهِ الزوج الذي يهواهُ قلبها

ومن اظهر الدلائل الشاهدة بما كان للمرأة من التأثير في انجدة قومها ما نُقِل عن ابنتي الفند الزِمّاني يوم التحالُق انها لما اشتدت الوغى وحمي القتال وخاف بنو بكر من القرار عمدت احداها الى اثوابها فألقتها عنها واقبلت عاريةً مجردةً وجعلت تحضّ الناس وتنشد الاشعار ثم اقتدت بها اختها الاخرى فكشفت عن جسمها ووثبت بين القوم تحرّض الفرسان على القتال وهي تنشد

نحن بنات طارقِ   نمشي على النمارقِ   ان تُقبلوا نعانقِ   او تدبروا نفارقِ

فتحمس القوم وثارت في رؤوسهم حمية الجاهلية ووثبوا يتقاتلون قتالاً منكراً . ولا جرم ان المتأدب بآداب هذا العصر يستفظع فعل هاتين الفتاتين وينسبهما الى القحة والفجور كما اتهمها بذلك بعض الرواة . ولكن من راجع ما ذكرتهُ من معرفة المرأة بسلطتها على الافكار وتأثيرها في النفوس وتدبَّر اخلاق اهل الجاهلية وصحة آدابهم قضى انهما لم تفعلا ما فعلتا الا لتضرما في صدور المتقاتلين نار الغيرة على حماية الاعراض ودفع العار الذي يلزم من الفرار دون ان يخطر لهما ببال ان ظهورهما بذلك المظهر قد ينكر عليهما او ينسب الى سفاهة وفجور نظراً للعفة التي كانت متصفة بها المرأة في الغالب وحرصها على صيانة النفس من الانقياد الى ما يأمر بهِ داعي الشهوات والاستسلام الى اميال الرجل حتى في ما كان يجري بينهما من مطارحات الحب واحاديث الغرام مما لا يبقى للنفس معهُ قدرة على كبح جماح الهوى والاغضاء عن مطالب القلب . ولذلك كان بعض النساء لشدة تمسكهنَّ باذيال العفة اذا اشتد بهنَّ الغرام يؤثرنَ الموت طاهرات على التلطخ باوضار الاثم . وقد عُرفت بذلك خاصةً قبيلة بني عذرة واشتهر عنها حتى كان العرب اذا ارادوا ان يصفوا الحب الطاهر قالوا عنهُ حبٌّ عذريّ نسبةً الى هذه القبيلة كما يقال عند غيرهم حب افلاطوني

بيد ان المرأة كانت مع هذه الحصانة والنزاهة كثيراً ما تُعرَّض للتهمة وسوء الظن فيحلّ بها البلاء على غير استحقاق . وذلك ان العرب لشدة غيرتهم كانوا اذا اراد احدهم سفراً عمد الى شجرة فعقد غصنين من اغصانها

وهو ما كانوا يسمونهُ بالرتم فان رجع وكان الغصنان على حالهما قال ان امرأتهُ لم تخنهُ والا فقد خانتهُ وعلى ذلك فان عرض المرأة ونقآءهُ كان موكولاً الى رحمة القدر متوقفاً على غصنين ربما هبت الريح فصلتهما او عمد اليهما بعض من لهُ حاجة بحل عقدها ومن ثم لا يخلو ان يكون بعض ما نُقل من الابيات التي اتُّهمت فيها المرأة بالخيانة وبذل العرض مسبباً عن مثل ذلك وبالتالي جديراً بالاطراح في مقام الحكم والاستشهاد

ومن النسآء اللواتي اشتهرنَ بالعفة ليلى بنت لكيز الملقبة لذلك بالعفيفة وكانت تامة الحسن كثيرة الادب خطبها كثيرون من اشراف العرب وابنآء الملوك فصانت نفسها تعففاً عنهم وعن ابن عمها البرّاق بن روحان مع رغبتها فيهِ ثم سمع بها ابنٌ لكسرى ملك العجم فبعث من اختطفها وحملها اليهِ وارادها على التزوج بهِ فأبت فجعل يضيّق عليها ويضربها وهي لا تزداد الا منهُ نفرةً وعنهُ تصوناً حتى استنقذها ابن عمها البرّاق وهي القائلة عن ابن كسرى لما جعل يعذبها

يكذب الاعجم لا يقربني ومعي بعض حشاشات الحيا

على ان هذه العفة الغالبة لم تكن لتثني بعض النسآء عن حب الفجور وايثار السفاح فان العواهر لا يخلو منهنَّ مكان ولا تسلم من آفتهنَّ أمة. غير ان اكثر ما كانت تأتيهنَّ العرب اذا وفد الليل وخيّم الظلام حتى اذا هموا بالرجوع ارخوا أُزُرهم لتنجرّ على آثارهم فلا تبين كما ذكر ذلك التبريزي في شرح قول العورآء بنت سُبيع

أبلغ... ما أنْ طاوي الكشح لا يُرخي لمظلمةٍ إزارَه

ويؤخذ من قول الآخر

الا رجلاً جزاهُ الله خيراً　　　يدلُّ على محصّلةٍ تُبيتُ

ان المرتاد لهنَّ كان اذا لم يهتدِ الى موضع احداهنَّ لا يدعُ ان ينشدها مسترشداً اليها . ومعنى المحصّلة هنا المرأة التي تختلف اليها الرجال كما هو الاشبه والاظهر في المراد من هذا البيت لا التي تحصّل تراب المعدن وتميزهُ كما نقل في تفسيرها صاحب كتاب النوادر في اللغة

ولكن اين مكان هؤلآء الموسات من سائر نسآء العرب اللواتي كنَّ لشدة ايثارهنَّ للعفاف لا يقنعنَ لاجلهِ بالترفع عن ملابسة المحرَّمات واقتراف المحظورات بل يطمحنَ الى ما هو اسمى من ذلك همةً واجلّ فضيلةً ويصنَّ النفس ايضاً عما هو حِلٌّ لهنَّ مباح حتى لقد كانت الفتاة المضطرمة شباباً يُعرَض عليها الزوج فتأباهُ لاعتقادها عدم كفآءتها لهُ او تؤثر الدميم الخلقة الشريف النسب المشهور بالشجاعة على الصبيح الوجه الضئيل النسب المعروف بالجبن ثم لا تتزوَّج الاول حتى تحملهُ بما استقرَّ لها من السلطة في فؤادهِ على فعل ما يكسبهُ الفخر وترامي الصيت بين قبائل العرب . وانا ناقلٌ في الاستشهاد على ذلك قصةً لا احسب ان التاريخ اورد مثلها عن امةٍ مثل العرب نشأت في القفار لا أدب لها مكتسب الا آدابها النفسانية . وهي ما حكاهُ صاحب الاغاني عن الحارث بن عوف انهُ خطب الى اوس بن حارثة الطآئي ابنتهُ ومعهُ خارجة بن سنان فردهُ اوس لاول وهلة ثم اجابهُ وقال لزوجتهِ ادعي لي فلانة لاكبر بناتهِ فأتتهُ فقال يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جآءني خاطباً وقد

اردت ان ازوّجكِ منهُ فما تقولين . قالت لا تفعل قال ولِمَ قالت لاني امرأة في وجهي رَدّة (اي قبح) وفي خُلقي بعض الشدة ولست بابنة عمه فيرعى قرابتي وليس بجارك في البلد فيستحييك ولا آمن ان يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليَّ في ذلك ما فيهِ . قال قومي بارك الله عليكِ . ادعي لي فلانة لابنتهِ الوسطى فدعتها فقال لها مثل قولهِ لاختها فاجابتهُ بمثل جوابها وقالت اني خرقاء . ليست بيدي صناعة ولا آمن ان يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليَّ في ذلك ما تعلم . فقال قومي بارك الله عليكِ . ادعي لي بهية يعني الصغرى فقال لها كما قال لهما فقالت انت وذاك فقال اني قد عرضت ذلك على اختيكِ فأبتاهُ فقالت ولم يذكر لها مقالتيهما لكني والله الجميلة وجهاً الصَناع يداً الرفيعة خُلقاً الحسيبة اباً فان طلقني فلا اخلف الله عليهِ بخير . فقال بارك الله عليكِ ثم خرج الى الحارث فقال لهُ قد زوّجتك يا حارث بهية بنت اوس . قال قد قبلت . فأمر امها ان تهيّئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضُرب لهُ وانزلهُ اياهُ . قال خارجة بن سنان فلما هيّئت العروس بُعث بها اليهِ فلما اقبلت عليهِ لبث هنيهةً ثم خرج اليَّ فقلت ابلغت شأنك قال لا قلت وكيف ذلك قال لما دنوت منها قالت مَهْ أعند ابي واخوتي هذا والله ما لا يكون . قال فأمر بالرحلة فارتحلنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت وعدل بها عن الطريق وما ابث ان لحق بي فقلت أكان ما تحب قال لا والله قلت ولِمَ قال قالت لي أكما يُفعل بالامة الجليب او الاخيذة السبيّ . لا حتى تنحر الجُزُر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يُعمل لمثلي . قلت اني لأرى همةً وعقلاً وارجو ان تكون المرأة منجبةً ان

شآء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل عليها وخرج اليَّ فقلت ابلغت ما تريد . قال لا . قلت ولِمَ . قال دخلت أُريدها وقلت لها قد احضرنا من المال ما قد ترينَ . قالت لقد ذكرتَ لي من الشرف ما لا اراه فيك . قلت وكيف . قالت أتفرُغ لزواج النسآء والعرب تقتل بعضها وذلك في ايام حرب عبس وذبيان . قلت فيكون ماذا . قالت اخرج الى هؤلآء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى اهلك فلن يفوتك . فقلت والله اني لأرى همة وعقلاً ولقد قالت قولاً فاخرج بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح واحتملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير وانصرفنا باجمل الذكر . انتهى ببعض تصرف . فهل سُمع قط بمثل هذه العفة الشريفة والعقل الراجح يُعرض على الفتيات في شرخ صباهنَّ سيدٌ من سادات العرب فتأباهُ بعضهنَّ بدعوى انها لا تصلح لهُ وترضاهُ احداهنَّ وبدلاً من ان تتمتع بما أُحلَّ لها تصون عنهُ النفس تعففاً انفةَ من ان تشتغل بلذتها بينما الناس يقتل بعضهم بعضاً . لا غرو ان مثل هذه العفة في مثل تلك الهمة لغريبة في مثل تلك الفتيات اللواتي لم يصحبنَ الا الوحش في الفلوات

وفي هذا الشاهد شواهد أُخرجآءت مثبتةً لبعض ما تقدم ذكرهُ من موضوعات هذا البحث انبّه عليها تعزيزاً للدعوى فنها شاهد بان الفتيات كنَّ لا يُغصبنَ على التزوج بمن لا يردنهُ بل تُعرَض عليهنَّ في الغالب الازواج فيخترنَ من يشأنَ ويرفضنَ من يشأنَ . ومنها سلطة المرأة على الرجل وتأثيرها في افكارهِ واعمالهِ بحيث كان يأتمر بامرها ولا يعصي لها نهياً . ومنها عناية بعض الأُسر الكريمة بتعليم فتياتهنَّ بعض الصنائع

اليدوية واعتقاد هؤلاء الفتيات تعلمهنَّ لها من افضل واجبات المرأة الكاملة واهمّ الضروريات المعينة على الزواج خلافاً لما تقدم من أنفة اكثر النساء من الامتهان وتجافيهنَّ عن الصناعات للاماء. والحرائر غير العريقات في الشرف

وقد كانت النساء لهذه العفة التي وصفت حريصات على سمعتهنَّ يغرنَ عليها غيرتهنَّ على شرف أسرتهنَّ . فكنَّ يرضين بكل شيءٍ خلا قبح الاحدوثة ويؤثرنَ الموت على فعل ما يغضُّ من ذكر قومهنَّ او يلحق بهنَّ العار . وقد جاء عن فاطمة بنت الخرشب وهي احدى النساء المنجبات وكان يقال لبنيها الكَمَلة انهُ لما ظفر بها حمل بن بدر راكبةً وقادها بجملها قالت لهُ أيْ رجل هل ضل حلمك والله لئن اخذتني فصارت بي وبك هذه الاكمة التي امامنا وراءنا لا يكون بينك وبين بني زياد صلحٌ ابداً لان الناس يقولون في هذه الحال ما شاءوهُ وحسبك من شرّ سماعهُ . قال اني اذهب بكِ حتى ترعي عليَّ ابلي فلما تقينت انهُ ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفاً ان يلحقها او يلحق بنيها عارٌ فيها

لا جرم ان اجتماع مثل هذه الخصال الشريفة في المرأة الجاهلية كان نتيجة حسن تأديب والديها لها وأخصّ بفضل هذه التربية المرأة نفسها وان كان للرجل فيها حظ ونصيب فان الوالدة كانت للأدب الذي نشأت عليهِ تحرص على تهذيب ابنتها بمثل ما هذبت بهِ نفسها وتُعنى ببث روح العفة وعزة النفس في فؤادها حتى اذا ترعرعت خرجت نظيرها لا همة لها الاّ كرم الاخلاق وطيب الخصال ولا رغبة الا في نقاء العرض وحسن الذكر كما يشهد بذلك ما ذكر قريباً عن بنات اوس الطائي وتصرف الصغرى

منهنَّ خاصةً مع زوجها . وقد نقل الرواة وصيةً اوصت بها امرأة عوف بن محلم الشيباني ابنتها لما خطبها عمرو بن حجر ملك اليمن يُعلم منها مبلغ التربية التي كانت تربي بها النسآء فتياتهنَّ في الجاهلية ومنهج التأديب الذي كنَّ ينهجنهُ في تعليمهنَّ كيف يستمررنَ في المنزل ومع الزوج اذا دُفعنَ الى الزواج ومنها يُستدل على مقدار الحكمة التي كانت متصفةً بها الانثى في الجاهلية ووفرة العقل الذي كانت تستضيء برأيهِ في كل امرٍ تباشرهُ او خطةٍ تجري عليها . وقد نُقل عنها من الاقوال الآخذة بمجامع السداد المستولية على لب الصواب ما يشف عما كان يتقد فيها من الذكآء والنباهة . ومن طالع اقوال هند بنت الخس احدى حكيمات العرب الاربع وما كان يدور بينها وبين ابيها من الاحاديث تيقن صحة ما ذهبت اليهِ واستدل بهذه الآثار على رفعة المكانة التي بلغتها المرأة في تلك القفار

ومع كل ذلك لم تكن الانثى تكتفي بهذه الفضائل بل كانت تطمح الى كثير من مزايا الرجل فتشاركهُ فيها كالكرم والشجاعة والخوض في معامع الحروب والحرص على ادراك الثأر مما هو خاصٌّ بالرجل مشهور بهِ وحدهُ

اما الكرم فانها كانت لا تفرغ يومها اجمع من استقبال الضيوف وبذل القرى لهم ولو لم يحضرها في ذلك زوجها . ومن المشتهرات بالجود والسخآء سفانة بنت حاتم الطآئي كان ابوها يعطيها القطعة من الابل بعد القطعة فتهبها وتعطيها للناس فقال لها حاتم يا بنية ان القرينين اذا اجتمعا في المال اتلفاهُ فاما ان اعطي وتمسكي او امسك وتعطي فانهُ لا يبقى على هذا شيء فقالت لا امسك ابداً قال وانا لا امسك ابداً فقاسمها مالهُ وتباينا . ولما

كان الكرم داعياً الى الشجاعة كانت المرأة لا ترهب من شهود القتال ولا تخشى الخوض في ساحات الوغى ولست اعني بذلك انها كانت تعتقل الرمح وتتقلد السيف وتبرز لمطاعنة الرجال . بل انها كانت تخرج لتحرض فرسان قومها على الثبات في مدافعة العدو وتؤجج في قلوبهم نار الحمية بما تهيجهم بهِ من الاقوال الحماسية والمظاهر التي تلتهب لها الصدور غيرةً كما ذكرت عن ابنتي الفند الزِماني ومثلما يشاهد اليوم في بدويات المصر . ولا يزال الى الساعة صدى القفر يردد قول الزرقاء . ألا ان خضاب الرجال الدماء . وخضاب النساء الحناء . وقد نقل ابن عبد ربه في كتابهِ العقد الفريد جملةً من مثل هذه الاقوال والخطب الحماسية المحفوظة عن اشهر النساء . فلتطالع هنالك

ولقائلٍ ان يقول ان غير ذلك كان اولى بالمرأة وانها لو انصرفت عن تهييج القوم على سفك دماء بعضهم الى معالجة الجريح منهم واعانة الملهوف لكان اشبه بها وازين لها فاجيب ان المرأة انما كانت تفعل ما تفعلهُ لا رغبةً في اراقة الدماء . ولكن لعلمها ان قومها اذا صدقوا القتال واحسنوا الدفاع حموا بذلك عرضها من ان تخلص اليهِ يد الغالب فتدنسهُ بما يكون سبة الابد وعار الدهر فضلاً عن ان بعض النساء كنَّ اذا شهدنَ الحرب ورأينَ الصريع من قومهنَّ يبادرنَ اليهِ فيعصبنَ جراحهُ ويعالجنهُ بما استطعنَ كما حكي عن نساء بني بكر يوم التحالق انهنَّ تقلدنَ كل واحدةٍ اداوةً من ماء في يدٍ فكنَّ اذا مررنَ بصريع من قومهنَّ سقينهُ الماء ونعشنهُ . ولكنهنَّ في ضد ذلك اخذنَ هراوةً في اليد الاخرى وكنَّ اذا مررن على رجلٍ من الاعداء ضربنهُ بها واجهزنَ عليهِ

واما الحرص على ادراك الثأر فقد يظهر ان المرأة كانت لا ينام لها وتر ولا تغفل عن طلب الانتقام وربما كانت تتشدد في هذا الطلب اكثر من الرجل وتنبهُ اليه اذا رأتهُ مهملاً لهُ مثلما ذكر عن ريحانة بنت معدي كرب انها قالت لدريد بن الصمة بعد حولٍ من مقتل اخيهِ يا بنيَّ ان كنت عجزت عن طلب الثأر باخيك فاستعن بخالك وعشيرتهِ . فانف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدَّهن ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأرهُ . وما لبث حتى جاءَها بقاتل اخيهِ وقتلهُ بفناَئها وقال هل بلغتِ ما في نفسكِ قالت نعم متّعت بك . ولست انكر ان مثل هذا الحرص على سفك الدم تشفياً وانتقاماً مما لا تمدح بهِ المرأة الجاهلية وان كان لها بعض العذر فيهِ لكون القتيل قريباً لها من ذوي رحمها وممن يُعدُّ الطلب بثأرهِ والحقد على قاتلهِ طبيعةً لكل نفس فان مثل هذه الصفة هي بالرجال أجدر لا سيما وانهم كانوا يحسبون القعود عن طلب الثأر اقراراً بالعجز والجبن وهو ما كانوا يأنفون منهُ . ومثل ذلك انكر بعض الناس من المرأة سجيتي الكرم والشجاعة وآثروا لها في ضدهما البخل والجبن حتى كانوا اذا مدحوا الفاضلة من النسآء مدحوها بهما وعدوهما فخراً وزيناً لها كما قال الطغرائي في لاميتهِ

قد زاد طيبَ احاديث الكرام بها ما بالكرائم من جبنٍ ومن بخلِ

وانما ذهبوا هذا المذهب لاعتقادهم ان المرأة اذا كانت كريمة تجود بمالها لا تبطئ ان تجود بعرضها ايضاً واذا كانت شُجاعةً قد تعودت مشاهدة الابطال ولقآء الرجال لا تلبث ان تألفهم فلا تستتر منهم وتعرّض نفسها

للاتهام بهم . قال الصفدي في شرح البيت المتقدم « الجبن والبخل خصلتان محمودتان في النسآء مذمومتان في الرجال لان المرأة اذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فأوقعت بهِ فعلاً أدّى الى هلاكهِ او تمكنت من الخروج من مكانها على ما تراهُ لانهُ لا عقل لها يمنعها مما تحاولهُ وانما يصدُّها عما يقتضيهِ عقلها الجبن الذي عندها والخور فاذا لم يكن لها مانع من الجبن اقدمت على كل قبيح وتعاطت ما تختارهُ اقداماً منها على ما يأمرها بهِ الشيطان . واذا كانت المرأة سمحةً جادت بما في بيتها فأضرَّ ذلك بمال زوجها ومتى علم منها الجود بما يُطلب منها ربما حصل الطمع فيها بامر آخر ورآء ذلك » ولعل مثل هذه الاعتبارات تصدق في غير المرأة الجاهلية فقد سبق في عفة هذه وصحة آدابها وأصالة رأيها ما يغني عن التكرار ويزيل كل شك وارتياب

ومما شاركت الرجل فيهِ ايضاً وساوتهُ بهِ اذا لم اقل ابرَّت عليهِ في بعض اقسامهِ قول الشعر فانهُ كان ايسر فضائلها واهون شيء عليها ترسل الكلام فيهِ ارسالاً فيأتي محكماً صادق الوصف مستولياً على اقصى آماد الفصاحة قد جمع بين مثل رشاقة قدها وسحر مقلتها واخذ من صحة آدابها باجزل قسم ومن رقة فؤادها باوفى نصيب . ولذلك كانت اكثر ما تجيد في المراثي خاصةً كما يُرى في شعر الخنسآء في اخويها صخر ومعاوية . ولهذه السجية المطبوعة على النظم كان لا يخلو منهُ قولٌ لها جدًّا كان ام هزلاً فاذا انامت غلامها او ارقصت فتاتها او فاخرت جارتها او مدحت قومها او بكت فقيدها ذكرت ذلك كلهُ بمنظوم ربما كان الغالب عليهِ الرجز . وقد كان العرب يعرفون لها هذه المنزلة في الشعر حتى ان النابغة الذبياني وكان يجلس

لشعرآء العرب في عكاظ على كرسي ينشدونهُ فيفضل من يرى تفضيلهُ لما انشدتهُ الخنسآء في بعض المواسم أُعجب بشعرها وقال لها لولا ان هذا الاعمى انشدني قبلكِ يعني الاعشى لفضلتكِ على شعرآء هذا الموسم . وقد نقل التاريخ في ما عداها اسمآء شواعر كثيرات ممن حفظ الرواة شعرهنَّ تضمن منهُ الجزء الاول وحدهُ من ديوان رياض الادب المطبوع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت شعر نحو احدى وستين شاعرة في الرثآء فقط فليطالعهُ من يشآء . وكفى دليلاً على رفعة مكانة المرأة في الفصاحة وجلالة قدرها في النظم ان ابا تمام ومعلوم من هو لما أَلَّف كتابهُ المشهور بالحماسة الذي انتقاهُ من اجود شعر العرب لم يجد بدًّا من تضمينهِ اقوال كثيراتٍ من النسآء الشواعر . بل ان امرأ القيس نفسهُ لما اختلف هو وعلقمة الفحل في ايهما اشعر لم يجد من يحاكمهُ اليهِ الا امرأةً كان قد تزوَّجها من قبيلة طيٍ فانشدها شعراً وانشدها علقمة شعراً فحكمت لعلقمة عليهِ لبيت وصف فيهِ امرؤُ القيس فرساً فقصَّر . وحسبي بهذا الشاهد فلا اتخطاهُ الى غيرهِ لتعريفهِ بالقدرة الراجحة التي كانت للمرأة على قرض الشعر او نقدهِ حتى كان يتقاضى اليها فيهِ فحول الشعرآء من الرجال

ولا ريب ان الفرزدق نفسهُ لو كان قد ادركها في الجاهلية وسُئل عنها لما اجترأَ ان يجيب بمثل ما اجاب بهِ حين قيل لهُ ان فلانة تقول الشعر فقال « اذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتذبح » فان هذه الدجاجة التي لم تكن تصلح عندهُ الا للذبح كانت هي نفسها تُصلح احياناً الديك صياحهُ كما نُقل عن جواري المدينة انهنَّ اصلحنَ للنابغة الذبياني ثلاثة ابيات من

شعرهِ كان قد اقوى فيها . قال المرزباني في الموشح فقدم المدينة فعيب عليهِ ذلك وأسمعوهُ اياهُ في غنآء واهـل القرى ألطف من اهل البدو وكانوا يكتّبون جواريهم عند اهـل الكتاب . وفي هـذا القول شاهد آخر جآء اتفاقاً من غير عمد على ان بعض النسآء في الجاهلية كنَّ ايضاً يحسنَّ الكتابة والقرآءة فضلاً عما سبق من فضآئلهنَّ . وهذا ولا جرم من اغرب ما تُمتدَح بهِ الانثى في تلك الاعصار ومن افضل ما تُعرف بهِ حياتها الادبية في تلك الاقطار . وليكن آخر ما اذكرهُ من اوصافها وقوفاً عند الحد الذي رسمتهُ لنفسي في هذا المختصر ولو اردت ان استقصي وابلغ الغاية في الوصف للزمني مجلد كامل اذ كان لا يكشف الكشف الوافي عن هذا البحث الا سرد القصص والروايات وهي ما يضيق عنها المقام

ولا محالة ان الناظر في هذه النبذة اليسيرة المتصف بالنزاهة والتجرد عن الهوى يقف وقفة الدهش والاستغراب عند ما يتأمل رفعة المنزلة التي بلغتها المرأة في الجاهلية ويرى انها قد خُلقت فيها لغير قضآء الشهوة وخدمة اللذة وبالتالي انها لم تكن لعبة الرجل ولا نعلاً لهُ يلبسها متى شآء كما ذكر فيها بعض واصفيها من المخضرمين . ومع ذلك فقد وجدت كثيرين يبخسونها حقها او يساوون بينها وبين غيرها من الاناث ويجمعونها تحت حكم واحد جهلاً لا محالة بالصحيح وقياساً لاحداهما على الاخرى . وقد ذكرت في الاولى منهما ما وسعني ذكرهُ مما يظهر بهِ الفرق بين المرأتين ويتضح الحق لذي عينين

فاياكَ واسمَ العامرية انني اغار عليها من فم المتكلمِ